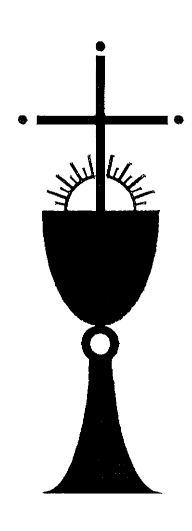
دير القديس أنبا مقار

الإفخارستيا

عشاء الرب

بحث في الأصول الأُولى لليتورجيا

ومدخل لشرح القداس وتطوُّره من القرن الأول حتى عصرنا الحاضر



للأب متى المسكين

كتاب: الإفخارستيا

عشاء الرب

بحث في الأصول الأُولى لليتورجيا

ومدخل لشرح القدَّاس وتطوُّره من القرن الأول حتى عصرنا الحاضر

المؤلف: **الأب متى المسكين**

الطبعة الثانية: مزيدة ومنقَّحة

مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.

صندوق بريد 2780 القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2000/15654

رقم الإيداع الدولي: 977-240-090-1

وقد صدرت نبذة مُلحقة لهذا الكتاب بها بحث قيِّم عن:

إفخارستية عشاء الرب – قداس الرسل الأول

مذبح من القرن السادس (من بلدة ريحا بسوريا)، وبها الصينية، وصحن الخبز من الفضة. ويظهر فيها المسيح وهو يقيم الشركة مع تلاميذه (العشاء الأخير).

كرسي كأس من الخشب وله قاعدة من نحاس من
كنيسة مار استفانوس المجاورة للكنيسة المرقسية
الكبرى بالأزبكية. وواضح أنه مصنوع على شكل
تابوت العهد. وهو أثري دقيق الصنع.

كأس أنطاكية العظمى ـ محفوظة في متحف المتروبوليتان للفنون بنيويورك ـ ويرجّح كبار الباحثين أن تاريخها يرجع إلى ما بين السنة 60ـ70 ميلادية.

وعلى هذه الكأس يُرى صور الرسل جلوساً وإلى جانبهم 12 عنقوداً من العنب وزخارف أخرى، وصورتان للسيد المسيح، إحداهما تمثّله صغيراً إذ كان يباحث الكهنة في الهيكل والأخرى بعد القيامة.

وبالفحص وُجد داخل جدران هذا الكأس كأس آخر من معدن غير ثمين وليس عليه أي نقوش مما جعل العلماء يقرون أن هذا الكأس البسيط هو الكأس الذي استخدمه المسيح في العشاء الأخير. وقد تفانى الرسل في حفظه بكل اهتمام داخل كأس أنطاكية.

ويقول أول الباحثين حول هذا الكأس أن وجه المسيح هنا عجيب لم تستطع مخيلة أي فنان كان أن تبتكر له مثيلا، وفوق رأسه حمامة هي رمز الروح القدس ونجم هو رمز الميلاد. وفي يمينه طبق عليه سبعة أرغفة وسمكتان، وتحت قدميه حَمَلٌ رافع رأسه شاخصاً إليه، وبجانب الحمل نسر كبير وسلّة بها خبز.

كأس زجاجية سليمة وكاملة وُجِدَت تحت أرضية هيكل كنيسة القديس أنبا مقار

(راجع حاشية رقم 19 صفحة 310).

فهرس الكتاب

الباب الأول

الينابيع الأُولى للإفخارستيا

الباب الثاني

وليمة العشاء الأخير للرب وتأسيس سر الإفخارستيا

الباب الثالث

عشاء الرب والتقليد الإنجيلي

الباب الرابع

سر العشاء والأغابي

الباب الخامس
عشاء الرب والأسفار الأخرى

الباب السادس
الإفخارستيا وليتورجيتها في القرن الأول والقرن الثاني في الكنيسة عامة

الباب السابع

التقليد الإفخارستي وأصالته في مصر

الباب الثامن

طقس الإفخارستيا والليتورجية (القدَّاس) في مصر

لوحات الكتاب

1 ـ اللوحات :

مراجع الكتاب

أولاً: مخطوطات:

ـ مخطوطة النوموكانون، رقم 251 المكتبة الأهلية بباريس.

ـ مخطوطة رقم 1 لاهوت بمكتبة دير القديس أنبا مقار.

ـ مخطوطة رقم 3/550 مكتبة مطرانية أسيوط.

ـ مخطوطات لليتورجيات متنوعة من المكتبة الأهلية بباريس.

ـ أجزاء من ليتورجيات عتيقة من القرن الثاني عشر فما دون وُجدت بأرضية مكتبة دير القديس أنبا مقار وبالحصن.

ـ مخطوطة رقم 24 لاهوت بمكتبة دير القديس أنبا مقار.

ثانياً: مراجع ليتورجية:

_ Baumstark, A., *Comparative Liturgy*, tr. by F. L. Cross, London, 1958.

_ Bethune- Baker, *Early History of Christian Doctrine*.

_ Bouyer, L., *Eucharist, Theology and Spirituality of the Eucharistic Prayer*, tr. by C. U. Quinn, Notre Dame Press, Indiana, 1968.

_ Bouyer, L., *Liturgical Piety*, Notre Dame Press, Indiana, 1955.

_ Brightman, F. E., and Hammond, C. E., *Liturgies Eastern and Western*, Oxford, 1896.

_ Bultmann, *The Synoptic Tradition*, Oxford 1963.

_ Burney, C. F., *The Aramaic Origin of the Fourth Gospel*, Oxford, 1922.

_ Cabasilas, Nicholas, *A Commentary on the Divine Liturgy*, London, 1960.

_ Congar, Yves, O.P., *The Meaning of Tradition,* 1964.

_ Coquin, R. G., “Anaphore Alexandrine de S. Marc”, *Le Muséon*, tome LXXXII, Louvain, 1969. p. 307-356.

_ Cross, F. L. *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, London, Oxford University Press, 1957.

_ Cullmann, O., *Early Christian Worship*, 1953.

_ Cullmann, O., *Essay on the Lord's Supper*, London, 1966.

_ Daniélou, J., S.J., *Primitive Christian Symbols*, London, 1963.

_ Daniélou, J., *The Bible and the Liturgy*, London, 1956.

_ Deiss, Lucien, *Early Sources of the Liturgy*, tr. by B. Weatherhead, Alba House, 1967.

_ Dembitz, L. N., *Jewish Services in Synagogue and Home*, Philadelphia, 1898.

_ Dix, Dom Gregory, *The Jew and the Greek, A Study in the Primitive Church*, London, 1967.

_ Dix, Dom Gregory, (ed.) *The Treatise on the Apostolic Tradition of St Hippolytus of Rome, reissued by H. Chadwick, London, 1968.*

_ Dix, Dom Gregory, *The Shape of the Liturgy*, London, 1945.

_ Doresse, J., Lanne, E., Capelle, *Un Témoin archaique de la liturgie de S. Basile (Bibliothèque du Muséon, 47), Louvain, 1960.*

_ Dugmore, C. W., *The Influence of the Synagogue upon the Divine Office*, Oxford, 1964.

_ Foote- Moore, G. *Judaism.*

_ Frere, W. H., *The Anaphora or Great Eucharistic Prayer*, London, 1938.

_ Gogol, N.V., *The Divine Liturgy*, London, 1960.

_ Grimm, *Lexicon of the New Testament*.

_ Hamman, A., *The Mass, Ancient Liturgies and Patristic Texts*, tr, by T. Halton, Alba House, 1967.

_ Hamman, A.., *The Mass, Ancient Liturgies and Patristic Texts, tr. by* T. Halton, Alba House, 1967.

_ Hedegard, David, *Seder R. Amram Gaon, Part I, Hebrew Text with Critical Apparatus, Translation with notes and Introduction*, Lund, 1951.

_ Idelsohn, A. Z., *Jewish Liturgy and its Development*, New York, 1960.

_ James, M.R., *The Apocryphal New Testament*, Oxford, 1924.

_ Jeremias, Joachim, *The Eucharistic Words of Jesus,* London, 1966.

_ Jeremias, Joachim, *The Prayers of Jesus,* London, 1967.

_ Jones, C., Wainwright, G., Yarnold, E. (editors), *The Study of Liturgy,* SPCK, 1978.

_ Jungmann, J. A., S.J. *The Early Liturgy to the Time of Gregory the Great,* tr. by F. A. Brunner, London, 1959.

_ Jungmann, J. A., S.J., *The Place of Christ in Liturgical Prayer,* London 1964.

_ Lanne, E., Le Grand Euchologe du Monastère Blanc, P.O. XXVIII, 1958, pp. 267-407

_ Leenhardt, F. J., Le Sacrement de la Sainte Cène

_ Lietzmann, H., *Mass and Lord's Supper, A Study in the History of the Liturgy,* tr. by D. H. G. Reeve, with Introduction and Supplementary Essay by R. D. Richardson, Leiden 1953-1974 (9 fascicules).

_ Micklem, Nathaniel, (ed.) *Christian Worship, Studies in its History and Meaning,* Oxford, 1936.

_ Moule, C. F. D., *Worship in the New Testament,* London, 1967.

_ Neal, John Mason, *General Introduction to a History of the Eastern Church,* London, 1850, Book III, *Eastern Liturgies,* pp. 315-726.

_ Normann, J., *Handbook to the Christian Liturgy,* London, 1944.

_ Oesterley, W. O. E., *The Jewish Background of the Christian Liturgy,* Clarendon Press, 1925.

_ Oulton, J.E.L., D.D., *Holy Communion and Holy Spirit,* 1951.

_ Palmer, Paul, *Sacraments and Worship,* London, 1956.

_ Peterson, Erik, *The Angels and The Liturgy,* London, 1964.

_ Rahner, Karl, *The Church and Sacraments,* London, 1974.

_ Renaudot, E., *Liturgiarum orientalium collectio,* 2 vol., Frankfurt, 1847.

_ Richardson, R. D., *Supplementary Essay* in: H. Lietzmann, *Mass and Lord's Supper, A Study in the History of the Liturgy,* Leiden, 1953-1974, pp. 217-560.

_ Roberts, C. H. and Capelle, B., *An Early Euchologium. The Dêr-Balizeh papyrus enlarged and reedited (Bibliothèque du Muséon,23), Louvain, 1949.*

_ Rousseau, Dom O. *Histoire du Mouvement Liturgique*, Paris, Les Editions du Cerf, 1945.

_ Schmemann, A., *Introduction to Liturgical Theology*, London, 1966.

_ Schocken Books, *The Passover Haggadah*, New York, 1953.

_ Shepherd, M. H. Jr., *Worship in Scripture and Tradition*, Oxford, 1963.

_ Srawley, J. H. *The Early History of the Liturgy*, Combridge, 1947.

_ Tabet, Père Jean, *Testamentum Domini*, Kaslik, 1975.

_ Thurian, Max, *The Eucharistic Memorial*, 2 vol., tr. by J. G. Davies, London, 1961.

_ Verheul, A., *Introduction to the Liturgy*, Burns and Oates, 1968.

_ Vogel, C., *Sin in the Orthodox Church.*

_ Wernert, Eric, *The Sacred Bridge*, London, 1959.

ثانياً: مراجع عامة:

– Rev. Bingham Jun., M.A.T., *The Antiquities of the Christian Church*.

– *Theological Dictionary of the New Testament*, Erdmans.

بالإضافة إلى ما ورد في الهوامش من مراجع أخرى مبيَّنة في متن وهوامش الكتاب:

– الأرشيدياكون حبيب جرجس، أسرار الكنيسة السبعة.

– ابن كبر، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة.

– جراسيموس مسره، كتاب خدمة القداس الإلهي ـ طبعة ثانية منقَّحة، بيروت 1925.

– جراسيموس مسرة، الأنوار في الأسرار.

– الأب يوحنا تابت، عهد الرب، لبنان 1975.

– الأب جيرارفيو ـ قدَّاس القديس سيرابيون ـ فاقوس 1973.

– الترتيب الطقسي ـ البابا غبريال الخامس البطريرك 88 ـ مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية ـ الموسكي.

مقدمة الطبعة الأُولى[1]

لكي نقيم دراسة ليتورجية إفخارستية تكون ذات أثر في العبادة وذات توجيه روحي تَقَوِي، لابد أن نرجع إلى الأصول الأُولى للتقليد الليتورجي كما عرفته ومارسته الكنيسة الأُولى.

ونحن لا نريد أن نفرِّق بين الممارسة العملية للخدمة الإلهية وبين الدراسة اللاهوتية الصادقة بحسب وضعها الآبائي، لأن الآباء الذين كتبوا في علم اللاهوت الإفخارستي[2] كانوا يمارسونه بتقوى وورع شديدين بل بشغف وتأمل وعبادة صادقة. لذلك يستحيل أن نحرم الدراسة الليتورجية من الغنى والزخم الروحي المتكاثف في التقليد الإفخارستي الآبائي.

والملاحَظ أن الملء الروحي للكنيسة المنبعث من الممارسة الليتورجية لم يفرغ قط من جيل إلى جيل، ولم يتناقص قط بمرور الزمن أو حركة التاريخ من مد وجزر، مع أن الليتورجيا أصابها كثير من الغموض وعدم الفهم، بسبب اختلاف اللغة أو عدم فهم الترجمة الصحيحة للمعاني القديمة أو خروج مضمون الصلوات القديمة عن المألوف العام بسبب تغيُّر البيئة والمعرفة والعادات.

كذلك وبالرغم أيضاً من دخول الليتورجيا[3]، بعد المجامع[4] المتعددة، في قيود القوانين وعدم التغيير التي جمَّدت كثيراً من الانطلاق التأملي الحر في الصلاة الذي كانت تنعم به الكنيسة الأُولى، حينما كان الأسقف يضع صلواته في الإفخارستيا بنفسه ويزيد عليها بقدر النعمة المعطاة له[5]، وبالرغم من قلة الإقبال على الدراسة التاريخية أو الشرح اللاهوتي لليتورجيا؛ نقول بالرغم من ذلك كله، فالملء الروحي للكنيسة بسبب الإفخارستيا وليتورجيتها لا يزال يفيض بسخاء فيضاً سريًّا سماوياً على المؤمنين بسبب الممارسة العملية وتذوُّق الشعب للأسرار بروح الإيمان.

---

(1) محاضرة أُلقيت في الكنيسة بدير القديس أنبا مقار يوم خميس العهد سنة 1976.

(2) علم «اللاهوت الإفخارستي» أي علاقة الشكر (الإفخارستيا) بطبيعة الله (اللاهوت).

(3) «ليتورجيا» مكونة من كلمتين (لاؤس = الشعب، إرجون = عمل) أي خدمة صلاة عامة يقيمها الشعب.

(4) أي المجامع المسكونية الثلاثة الأُولى.

(5) النصوص الإفخارستية التي من القرون الأُولى أعطت للأسقف ''أن يزيد ويطيل في الإفخارستيا كما يعطيه الله''، فهو شبه أمر. ولكن بعد عصر المجامع المسكونية خشيت الكنيسة من بعض الذين يضيفون على الليتورجيات عن عدم كفاءة وقدرة، فمنعت التغيير.

هذا يجعلنا نؤمن ونتيقن أن سر الإفخارستيا ينبع من مصادر أعمق من التاريخ وأعمق من القوانين وأعمق من كل القدرات البشرية ومحدودية الفكر البشري.

لذلك فعملنا الوحيد الذي نستطيع أن نعمله في دراسة الإفخارستيا وليتورجيتها هو أن نجعل هذا العمق الروحي الذي نتذوقه منها على مستوى الوعي التاريخي والإدراك اللاهوتي والمعرفة بالتقليد الصحيح الذي كان يعيشه الآباء.

لأنه كم يسعدك أيها القارىء أن تعرف ما هي صورة القداس الذي كان يصلي به البابا أثناسيوس الرسولي؟ وما رأي هذا الأب الكبير في خدمة المذبح والهيكل؟ وفي صلوات الإفخارستيا واحدة فواحدة؟ وهل كانوا في أيامه يسبِّحون تسبحة الشاروبيم؟ وما رأي القديس أثناسيوس في ملائكة المذبح وفي الجسد والدم، وما هو أثر التناول في عقيدة القديس أثناسيوس؟ ثم وقبل ذلك أيضاً ماذا كان شكل القداس في القرن الثاني الميلادي، في مصر؟ ثم كم تندهش بل وكم تفرح وتتهلَّل عندما تسمع من كلمندس الإسكندري الذي عاش في القرن الثاني كمدير لمدرسة الإسكندرية، أنه كان يسبِّح بالمزمور 150 أثناء التوزيع؟ كما تسبِّح به أنت الآن في القرن العشرين!! وكم تتعجب عندما يقص عليك البابا القديس ديونسيوس الكبير البابا الرابع عشر (241-264م.) قصة الرجل الذي توسَّل إليه البابا كثيراً أن يتشجَّع ويتناول وهو محجم من رهبة المذبح ومخافة الجسد والدم!

وهل يمكننا أن نتكلَّم ونبشر العالم بالإفخارستيا وتقليدها اللاهوتي في مصر ونحن لسنا على دراسة دقيقة بأصولها الأُولى وتاريخها منذ البدء؟

لقد سبَقَنا علماءُ الغرب في دراسة ليتورجياتنا، وكثير منهم مَنْ قضى حياته تقريباً، مثل ''جون نيل''، في دراسة قدَّاس مار مرقس الرسول وبقية القداديس المصرية! كان هذا في القرن الماضي!! وغيره أيضاً من العلماء المخلصين مثل «هانز ليتزمان» و «سراولي» و «جريجوري دكس» [6]، و «لوي بوييه »(رجع إلى الأصول العبرية في الليتورجيا القبطية)، و «هامان» و «هامون» و «برايتمان» و «إرك وارنر » و «نورمان» و «فريير» حوالي 35 عالماً لهم 35 دراسة ومجلَّداً وغيرهم من العلماء الألمان القدماء.

---

(6) بالرغم من أنه تجنَّى على الكنيسة القبطية إلاَّ أنه درس الليتورجيات القبطية جيداً.

ولكن بالرغم من أن هذه الدراسات دقيقة ومستفيضة ولم تترك شاردة ولا واردة، إلاَّ أنها في مجموعها لا تعطي الأساس الذي نتوق إليه ليكون القاعدة التقليدية السليمة، ليس من جهة العلم والدراسة وحسب، ولكن من جهة الروح والإيمان الحي، حتى يمكن أن تنبني عليها عبادتنا الليتورجية.

وقبل أن نؤسِّس هذا الأساس الذي يجمع بين دقة العلم وفحص التاريخ مع فيض الروح ومجرى التقليد معاً، لن نستطيع القول أن لنا ليتورجيةً ولاهوتاً ليتورجياً يمكننا أن نواجه العالم به.

نعم، لقد سبقتنا الكنائس التقليدية الغربية والشرقية في هذا المضمار، فمنذ القرن السابع عشر بدأت حركة الوعي والتجميع الليتورجي على يدي العالمين الكبيرين إسحق هوبرت Isaak Hubert، وجاك جوار Jacques Goar الأول ألَّف أول دراسة للطقوس والرئاسات الكهنوتية في الكنيسة اليونانية سنة 1647م ArcieratikÒn'، وفي نفس السنة أيضاً أخرج جاك جوار كتابه عن القداسات أو الطقوس اليونانية EÙcolÒgion

وكان هذان المؤلَّفان هما الأساس الذي بدأ عليه الغرب نهضته الليتورجية، لأن منذ ذلك التاريخ وحركة التأليف والنشر تسير بسرعة لحساب العلماء والباحثين من قواميس ونصوص ومخطوطات وبرديات وكل ما يحتاجه أي باحث أو عالم في دراساته الليتورجية كان يجده في متناول يده، وبدأت الدراسات والرسائل والمنشورات الدورية والمجلات العلمية تتخصص في المجال الليتورجي بصورة حيَّة وفعَّالة.

وحذت بعد ذلك الكنيسة اليونانية والكنيسة الروسية حذو الكنيسة الغربية، وبدأت فيهما نهضة دراسية مماثلة لليتورجيا والطقوس الكنسية، ولكن بعد مضي حوالي قرنين كاملين من الزمان من بعد نهضة الغرب. وبدأت الدراسات ضعيفة تتبع الطرق المدرسية والرمزية وتنحصر في التاريخ، أعقبتها نهضة أخرى لاهوتية. وتبعت هذه النهضة الدراسية اللاهوتية نهضة في العبادة[7].

وكان من أئمة اللاهوتيين في ذلك العصر (منتصف القرن التاسع عشر) في روسيا «ن. ف. كرازنوسلتسيف، و أ. أ. ديمتريفسكي، والأسقف بورفيري أوسبنسكي (الذي زار مصر ودرس كتب الصلوات والليتورجيا القبطية وشهد بعدم أوطاخية الكنيسة القبطية وأعلن اعتقاده بأرثوذكسيتها)، وخومياكوف»

(7) Schmemann, *Introd. to Litur. Theology*., p. 10.

وبالرغم من أن هذه النهضة عموماً، شرقاً وغرباً، قامت على أسس تاريخية، إلاَّ أنها عملت على تقدُّم البحث الليتورجي في الكنيسة الغربية والشرقية بدرجة عظيمة. وكانت في جملتها تمهيداً رائعاً للدراسات اللاهوتية في مجال الليتورجيا، وبالتالي أدَّت إلى نمو وتفتُّح في الليتورجيا، أي إحياء واستعادة الخدمات الإلهية بكافة فروعها، وخصوصاً في روسيا، وإنما في حدود التلمذة الصحيحة للاهوت الأصيل.

وخير مَن يمثِّل لنا حقبة الانتقال من التمهيد التاريخي في البحث الليتورجي إلى الدخول في عتبة الأبحاث اللاهوتية الصميمة عند الغرب عموماً هو العالِم «ف. كابرول » F. Cabrolالذي كتب سنة 1907 يقول:

[الآن أصبحت «الليتورجيا» علماً ليس بقليل الشأن، والآن يجوز لنا بحق أن نقول إن أساس البناء الليتورجي العام قد تمَّ مسحه مسحاً ميدانياً، وأن كافة فروع هذا العلم قد أصبحت الآن مستكملة. ولكن ما تبقَّى في هذا العمل ليس بالهين اليسير ولا هو بالأمر الذي يستهوي الباحثين.](8)

وكان «كابرول» يقصد ذلك العمل الجبار المضني المختص بمراجعة الأصول وتحقيقها ونقد المراجع العامة لمزيد من ضمان جمع كل المعرفة تحت عمل واحد يتمشَّى مع العبادة الصحيحة.

وواضح أن القرن التاسع عشر انصرم كله دون أن ينتبه أي باحث في الغرب كله إلى عظمة التقليد الليتورجي، فبقيت كل أبحاثه، شأن كل الدراسات الكنسية، مغلقة وعاجزة دون الانتقال إلى المستوى اللاهوتي اللائق بها.

ولكن ببزوغ القرن العشرين بدأت حركة انبعاث في الوعي الكنسي عموماً لدى كل علماء الغرب والشرق **ما عدا مصر**. وهذه الحركة شملت **الوعي** الليتورجي معها بالضرورة، فدخلت الكنيسة في عصر تفهُّم كامل لقيمتها اللاهوتية على كل المستويات وخاصة الليتورجية منها، لا بصفتها جماعة مؤمنين وحسب بل بصفتها جسد الرب الحي.

ولقد نشطت حركة النهضة الليتورجية على المستوى اللاهوتي الحي بصفة خاصة بعد الحرب

(8) Dom F. Cabrol, «*Introduct. aux Études Liturgiques*», in «Compte Rendu du IV ème. Congrès Scientifique Internat. des Sciences Religieuses Cath.,» Fribourg, 1898, Cited by Schmemann, op. cit., p. 11.

العالمية الأُولى (1914ـ1918)، وبدأت الليتورجيا في كل كنيسة تتضح صورتها التقليدية الخاصة بها وينمو وعيها اللاهوتي بتقليدها ويمتد ويكبر على ضوء تاريخها الذي كان قد تمهَّد تمهيداً حسناً بالدراسة الوافية لدى كل كنائس العالم أرثوذكسية أو كاثوليكية أو بروتستانتية. وخير مَنْ يلقي الضوء على تطوُّر هذه النهضة الليتورجية ومراحل نموها بدقة وإخلاص هو العالم دوم أ. روسو، في كتابه «تاريخ الحركة الليتورجية.» [9]

وإن خلاصة ما انتهى إليه علم الليتورجيا على المستوى اللاهوتي، أو باختصار، فإن أعظم ما وصل إليه اللاهوت الليتورجي في الكنيسة عامةً شرقاً وغرباً نتيجة لهذه النهضات المتواثبة في هذا الميدان هو أن المسيحية ليست عقائد وحسب، بل هي أيضاً وقبل ذلك فعل وعمل وصلاة وخدمة شعبية روحية عميقة حيَّة، حيث لا ينحصر مفهوم التقوى في النظرة أو العمل الفردي المنحصر في التاريخ، ولكن يلزم حتماً أن يشمل استعلان الكنيسة ووعيها بذاتها ككل على المستوى الأبدي.

ونتيجة لهذا الوعي المتزايد يكون من الرائع حقاً أن تصبح العبادة مدخلاً لفهم الكنيسة، كما تصبح الدراسة الكنسية مدخلاً للعبادة على قدم المساواة، على أن تكون العبادة هي شركة كل شعب الله في الخدمة الإلهية على مستوى الملء الروحي حيث تبلغ الكنيسة قصدها الإنجيلي الحقيقي، أي إلى ملء قامة المسيح بصفتها جسده الحي.

وهكذا ينتهي الوعي الليتورجي بمستواه اللاهوتي القائم على أساس تقليدي وتاريخي صحيح إلى حياة الكنيسة بحسب الله كمسئولة عن الشهادة للمسيح بخدمتها الصادقة له في الداخل أولاً قبل الشهادة له في الخارج.

ولكن يلزمنا أن نعرف أن «اللاهوت الليتورجي» ليس مجرد نهضة روحية للعبادة داخل الكنيسة، ولكنه يختص أيضاً بإعطاء الخدمات الدينية مفهومها الصحيح ووضعها الصحيح موضِّحاً وشارحاً ومحدِّداً بالروح كل مقولات الطقس وكل معطياته بحيث لا تكون خدمة قائمة في الكنيسة قط إلاَّ ومضمونها اللاهوتي قائم معها، إن لم يكن في أذهان الشعب عموماً فلا أقل من أن يكون في أذهان القائمين بالخدمات والتعليم على كل المستويات، على أن يعطوه للشعب قليلاً قليلاً. وبحيث أيضاً لا تُعطى الفرصة للقائمين بالخدمة أو التعليم أن يزيدوا أو يُنقصوا مما هو في الطقس بحسب التقليد الذي يتولَّى البحث العلمي الدقيق تحديده وتقنينه.

(9) Dom O. Rousseau, *Hist. du Mouv. Liturg.*, Paris, 1945.

ومن الأمور التي سوف تُسهِّل أمامنا مشقة الأبحاث التاريخية وتهوِّن علينا من ضخامة الجهد اللازم لتحقيق النصوص في مجالاتنا القبطية، هو أن الليتورجيا القبطية دخلت بحكم الضرورة ضمن دائرة أبحاث علماء الليتورجيا في الغرب، كعمل لا مناص منه، باعتبارها بدء البدء في الدراسة التاريخية للنصوص والمؤلفات الليتورجية للكنيسة المسيحية عامةً.

فأمامنا، إذاً، من المراجع التاريخية والأبحاث والنصوص المشروحة والقواميس والإنسيكلوبيديات والدراسات الأكاديمية الفائقة في الدقة والأمانة العلمية شيء كثير جداً لا يُستهان به في المجال التاريخي، بحيث لا يوجد أمام الباحث القبطي الدؤوب إلاَّ تحصيل المعارف الجاهزة وهضمها وصياغتها بالروح القبطية.

أمَّا من جهة المجال اللاهوتي لليتورجيا، فوإن كان علماء الغرب قد أهملوه أو شوهوه أو جاروا عليه، فهذا جزاء قعودنا نحن أو رقادنا نحن هذه السنين الطوال، على أنهم لم يتركوا المجال اللاهوتي لنا في فراغ بل وضعوا له الأسس التي وإن كان علينا أن لا نتمسك بها تمسُّك الأعمى، إلاَّ أنه علينا أن نسترشد بنهجها بالقدر الذي يفتح أمامنا مجالات البحث لبذل قدراتنا الخاصة والجديدة التي تتناسب مع تقليدنا اللاهوتي العريض، الذي لو كان الغرب يملك مثيله لانبعثت كنيسة الرسل من جديد.

والذي يسترعي انتباه الباحث أو القارىء في الليتورجيا القبطية هو أنه سيجد البحث في منابعه الأُولى مهما كان مضنياً، مُشْبِعاً لروحه شبعاً يفوق التصوُّر، فهو عبادة بحد ذاته. إن النصوص الليتورجية القبطية القديمة التي تقع عليها عين الباحث أو أُذن القارىء والتي تعود إلى القرن الثاني الميلادي تتكلَّم بنفس الروح التي نتكلَّم بها اليوم، إنها لم تكُفّ قط عن الشهادة لمجد الله في كنيسته، ولكنها بقيت في صمت الكتب والرقوق والبرديات ومكتبات العالم تنتظر مَنْ يذيع صوتها، على أولادها أولاً، ثم على العالم.

ما هو علم اللاهوت الليتورجي؟

إذا كانت الليتورجيا هي الخدمة الإلهية العملية التي تقوم بها الكنيسة بكل كيانها الكهنوتي والشعبي، وإذا كان علم اللاهوت هو فهم كل ما يخص طبيعة الله الفعَّالة في الكنيسة وفي الإنسان عامةً، في عبارات إيمانية قانونية، فهذا ينتهي بنا إلى أن تعريف اللاهوت الليتورجي ينبغي أن ينقسم إلى قسمين:

الأول: هو شرح الليتورجيا شرحاً إيمانياً يوضِّح معنى الطقوس والصلوات في العبادة ليعطيها قيمتها الروحية الصحيحة، وبالتالي يُظهر أهميتها ومدى صحة التزام الإنسان بها كتقليد.

والثاني: رفع هذه المفهومات وهذه الإيضاحات إلى مستوى الإيمان والعقيدة التي تربطنا بطبيعة الله.

فمثلاً، نحن في القداس نسبِّح «تسبحة الشاروبيم» بصوت مُدوٍّ. فالمطلوب بحسب مستلزمات علم اللاهوت الليتورجي أن يكون الإيضاح كالآتي:

أولاً: من جهة الليتورجيا بحد ذاتها:

(أ) ما هي هذه التسبحة وما هو تاريخ استخدامها في القداس ومدى علاقتها بالتقليد القبطي أولاً ثم بالتقليد الكنسي عامةً.

(ب) ما قيمة هذه التسبحة روحياً بالنسبة للقداس عامةً وبالنسبة لتقديس القرابين بوجه خاص.

(ج) هل أهمية هذه التسبحة تبلغ إلى حد الالتزام بها كتقليدٍ هام ينبغي أن نتمسَّك به جداً ونشترك فيها بكل روحنا وكياننا؟

ثانياً: من جهة علم اللاهوت بحد ذاته:

ما هي علاقة طبيعة الله بتسبحة الشاروبيم؟ وهل الله يطلب منَّا أن نشترك فعلاً في تسبحة الشاروبيم في هذه اللحظات؟ إذاً، ما هو النص الإيماني الذي يمكن وضعه لتحديد القيمة الإيمانية لتسبحة الشاروبيم في الليتورجيا حتى تصير مقولة قانونية ليتورجية في اللاهوت الأرثوذكسي؟ حتى نعرفها نحن أولاً لأنفسنا ثم يعرفها عنَّا العالم كله ثانية!

وهكذا يصبح علم اللاهوت الليتورجي واسطة لمعرفة ماهية الكنيسة أولاً، ثم واسطة أيضاً لاستعلان الكنيسة للعالم كله.

وما أحوج الكنيسة أن ترفع كل تقليدها السرائري إلى مستوى اللاهوت أو المقولات اللاهوتية السهلة، حتى يمكن أن تحقِّق الكنيسة نفسها بالمعرفة والإيمان والفهم والعمل إلى أقصى ما يمكن من الكمال السرائري.

إن كل دراسة لاهوتية حيَّة للأسرار سوف تدفع الإكليروس والشعب إلى الإقبال على ممارسة الأسرار بإيمان حار وثقة شديدة وحب وشغف، من شأنه أن يجعل التقليد السرائري خلاصاً وحياةً بالحق، كما وضعه الرب تماماً: «مَنْ آمن واعتمد خلص» (مر 16:16)، و «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو 54:6)

ولكن نقول الحق إن هذا العمل شاق، ولكنه هام، إنه يقوم على الدراسة اللاهوتية الواعية قبل أن يبلغ إلى حد التعريف السهل والمقولة الحلوة. ولكنه على كل حال ضرورة حتمية موضوعة على الكنيسة، وهي وضعته على أعناقنا أمانة حيَّة أبدية لنواكب التحرُّك التاريخي للكنيسة. فالتاريخ

الكنسي له حتمياته والزمن يطالبنا، وعلينا أن نستجيب قبل أن يصرخ الشعب في وجهنا عندما يستبد به الجوع والعطش إلى المعرفة، بل وينسب إلينا التقصير والجهل، وقبل أن يطالبنا العالم علانيةً بتقديم عقيدتنا وإيماننا الليتورجي موقَّعاً على مقولات لاهوتية واضحة يسندها إيمان حقيقي، وليس كلاماً ومحاجاة، بل وحياة وسيرة وحقّاً إلهياً، تنبثق من عمق التقليد الصميم الذي ورثناه، وتشرحه.

والذي يتابع تاريخ الليتورجية عبر القرون ويدرسها بعمق ووعي ويتحسَّس حدودها ومفهوماتها سواء على النصوص الليتورجية ذاتها أو على أقوال الآباء العظام المعاصرين لها في كل قرن، يجد تحرُّكاً في الليتورجية يتجه ناحية النمو بشكل واضح. ولكن اكتشاف الحركة والنمو في مسار الليتورجية والإفخارستيا أمره هين وبسيط لا يتعدَّى وضع النصوص المتعددة تجاه بعضها، والأقوال الآبائية تجاه بعضها ليُكتشف الجديد، والمضاف، والمطوَّل، والمعدَّل، والمهم المحذوف.

ولكن الصعوبة والأهمية القصوى أن ندرس هذه الإضافات والمطوَّلات والمعدَّلات والمحذوفات حتى نعرف:

أولاً: الدوافع التي حتَّمت بهذا، إن كانت لاهوتية نتيجة الصراعات العقائدية لمقاومة البدع، أو إن كانت بيئية نتيجة التطوُّر الطبيعي والفكري والحضاري، أو هي مجرد استعارات من تقاليد أخرى لأقطار مجاورة كان لها تأثير ما في وقت ما مثل تأثير تقليد سوريا على مصر وتقليد الإسكندرية على روما.

ثانياً: ثم ندرس هذه الإضافات أيضاً حتى نكتشف مدى خضوع هذا النمو وهذا التطور لقانونٍ ما؟ ثم مدى ارتباط هذا القانون بالتقليد اللاهوتي العام أو العقيدة الإيمانية العامة التي تعيشها الكنيسة.

ثالثا: ندرس الأثر الذي نجم عن هذه الإضافات، على المدى البعيد والقريب، على إيمان الشعب وعلى عبادته ونشاطه في متابعة الليتورجيا والاشتراك فيها ووعيها.

رابعاً: ندرس مدى انسجام حركة هذا النمو وهذا التطور وهذه الزيادة أو النقصان الحادث الآن. ثم مدى إمكانياتنا في التحكُّم فيها، فإن كان لها ضرورة مُلحَّة لصالح العبادة وملاءمة البيئة وتطوُّرها نستزيدها، لأنه معروف قطعاً لدى كل علماء اللاهوت والتقليد والدراسات الكنسية بوجه عام أن النمو صفة طبيعية في التقليد الكنسي بكل صوره.

خامساً: ندرس أيضاً ما سقط من التقليد الليتورجي عبر القرون، وما تقلَّص عنه فتجمَّد وتوقَّف سواء كان عن إهمال أو عدم دراية أو بحكم التغيير والانتقال من حكمٍ إلى حكم ومن لغةٍ إلى لغة

ومن بيئة إلى بيئة، فنكشفه ونوضحه ونشرحه.

وفي النهاية توضع هذه الأمور كلها تحت التقييم اللاهوتي، وبعد أن تُفحص فحصاً مخلصاً بالنسبة لأهميتها في العبادة والإيمان تُقنَّن كنسياً حتى تأخذ طابعها الإيماني العام.

ومن هنا يتضح مبلغ أهمية اللاهوت الليتورجي، فهو المسئول عن نقل واقع العبادة والصلاة إلى واقع إيماني واضح ومحدد وحي ونامٍ، حتى لا يبقى شيء قط في العبادة مبهماً أو بلا معنى أو مجرد تسليم عشوائي غير معروف تاريخه وأهميته. هذا أمر مستحيل لأن كل ما لا تاريخ له فلا معنى له، ويبقى في مفهوم العبادة النافلة[10].

على أنه توجد قوانين كنسية كثيرة وتحذيرات بلا عدد لا يبدو مفهوماً سببها ولا معروفاً تاريخها، فتبدو وكأنها نافلة وليست بذات أهمية، ولكن بمجرد دراستها دراسة تاريخية صادقة يُعرَف أصلها ويُعرَف سببها وتتضح قيمتها الروحية اللاهوتية وتبدو على أقصى ما يمكن من الأهمية، بل وربما تكون هي أحد المعايير الهامة في تحديد معالم أرثوذكسية الليتورجية القبطية!

وكمَثَل من هذه الأمثلة، خُذْ موضوع الثلاث الصلوات (الأواشي) التي تُقال بعد قراءة الإنجيل. فكثير من الكهنة، بل ربما معظمهم يحذفها لأنها تبدو أمامه وكأنها تكرار ونافلة لا لزوم لها، أو يقولها الكاهن بمنتهى السرعة حتى يتفرغ للتطويل في ألحان قداس التناول، فلو علم الكاهن أو الأسقف أنها تكوّن صُلْبَ القداس الأول المسمَّى بقداس الكلمة أو قداس الموعوظين، وأنه بحذفها يكون قد حذف قدَّاساً بأكمله من الطقس الكنسي، ثم هو بهذا العمل يكون قد حرم قطاعاً كبيراً من الشعب (الذين لا يحضرون قداس المتناولين) من نوال بركة هذه الصلوات قبل أن يخرج من الكنيسة، ثم لو علم أن هذه الصلوات هي أقدم أجزاء الليتورجيا عامةً وهي من وضع الرسل ومسجَّلة في النصوص الليتورجية منذ القرن الثاني، ولها وزنها اللاهوتي العالي لأنها تنتهي بالبركة التي يقولها الكاهن على الشعب المنصرف من أمام الله، حيث مفهوم البركة يشمل استعلان الله في الكلمة المقولة؛ نقول لو علم هذا كله لَمَا تجرأ الكاهن قط على أن يحذفها. ولو علم الشعب هذا كله لأقبل عليها وتفهَّمها واشترك فيها بكل قلبه وطالب بها بكل حزم لنوال قوة وبركة القداس الخاص بالكلمة أو بالموعوظين.

---

(10) أي الزائدة عن الواجب.

هنا يقدِّم التاريخ الليتورجي الأساس المتين الذي يقف عليه اللاهوت الليتورجي ليقوم بواجبه في تقييم أجزاء العبادة والصلوات ويعطيها معيارها الإيماني الذي يجعلها واجبة ومستوجبة التنفيذ. وبالتالي يجعلها أحد منابع المعرفة الإلهية بل إحدى وسائط القوة الروحية المنسكبة من الله على الكنيسة. وهكذا يتضح أمامنا أكثر فأكثر قيمة اللاهوت الليتورجي في كونه يجدِّد وجه العبادة ويمدها بالقوة الإلهية ويجعل لها مدخلاً واعياً بالإيمان والحق.

وإن أول حقيقة سوف يكتشفها اللاهوتي الليتورجي عند استكماله فحص الإفخارستيا على المستوى اللاهوتي هي قناعته قناعة مطلقة أن الإفخارستيا ليست فقط أحد أسرار الكنيسة السبعة، بل هي السر الذي ينبع منه كل الأسرار، لأن منه تنبع القوة الإلهية اللازمة لكل شيء ولكل سر**!!**. فالإفخارستيا بالمعيار اللاهوتي الصادق هي سر الأسرار جميعاً، هي محور حركة الحياة في الكنيسة، وهي أيضاً المنبع الدائم الذي تنسكب منه هذه الحياة على الكنيسة كلها على مدى العصور كلها.

ولكن هناك فرقٌ كبيرٌ جداً بين أن نقولها مجرَّد قول جزافاً أن الإفخارستيا هي سر الأسرار كتعريف مدرسي للسر قابل للحفظ والتسميع، وبين أن يقولها علم اللاهوت الليتورجي عن تحقيق تاريخي آبائي وبرهان إنجيلي إلهي لتصير مقولة إيمانية مؤسسة على وعي تاريخي ولاهوتي، فتصبح جزءاً من افتخار الإيمان عن فهم وممارسة**!**

والآن، لاحِظ شعورك الروحي أيها القارىء العزيز عندما تتكلَّم لاهوتياً في هذا الأمر وتقول: توجد أسرار سبعة في الكنيسة. ولكن الإفخارستيا هي «**سر الكنيسة**» بالدرجة الأُولى، لماذا؟ **لأن** الكنيسة هي **جسد المسيح السري!** والإفخارستيا هي **سر جسد المسيح!!**

لاحِظ مدى التأثير العميق الذي يملأ القلب والشعور بقناعة هذا المفهوم اللاهوتي**!!** وبالتالي انظر إلى القناعة التي سوف تملأ قلبك حينما تعلِّق على ذلك وتقول لاهوتياً: إذاً، فالإفخارستيا ليست سرًّا مهماً فقط في الكنيسة أو أهم سر في الكنيسة، بل هو السر الذي ينبع منه كل ما هو مهم في الكنيسة**!!**

وهنا نجد أن علم اللاهوت الليتورجي تقع عليه مهمة ربط الأسرار والصلوات جميعاً معاً، حتى الفردية منها، بمركزها الحي أي بالإفخارستيا، فيكشف عن دراسة وقناعة تاريخية ولاهوتية مدى القوة المنبعثة من هذا السر المركزي إلى بقية الأسرار وكافة الصلوات، حتى والصلوات التي للأفراد في مخادعهم. ثم بالعكس أيضاً مدى القوة المنبعثة أيضاً من الأسرار والصلوات التي تقوم بها الكنيسة والأفراد جميعاً وتنصبُّ في هذا السر، سرِّ الإفخارستيا، لأن بهذه الصلة الحية بين الصلوات

والإفخارستيا تُرفع الأسرار والصلوات جميعاً إلى مستوى الإفخارستيا. وهذا يجعل العبادة ليست جزئية ولا منقسمة إلى ما هو مهم وما هو ليس مهماً، أو ما هو فردي وما هو جماعي أو جمهوري، لأن مفهوم الكنيسة الأول أنها كلٌّ لا يتجزأ، رأسها المسيح وهي جسده لا يمكن أن يجتمع جزئياً وهو مجتمع دائماً.

فكل مَنْ يولد لا يولد لنفسه، بل لأنه يولد في الكنيسة يُضمُّ إلى الجسد. وكل مَنْ يموت لا يموت لنفسه بل لأنه يموت في الكنيسة ينتقل من الجسد على الأرض إلى الجسد في السماء. وكل مَنْ يتوب ويعود إلى الكنيسة يُنعش الجسد كله، وكل مَنْ يسهر ويصلّي في مخدعه يكمِّل عمل الجماعة في الكنيسة ويكون لها كردٍّ فعل واستجابة.

إذاً، فالكنيسة هي «سر» الجماعة و «سر» الأفراد. علم اللاهوت الليتورجي أصبح عليه أن يُبْرز من مصدر الإفخارستيا والليتورجيا قيمة كل العبادة معاً وقيمة كل الصلاة معاً، أي كل ما أمر به التقليد وكل ما جرى عليه الطقس وكل ما قامت عليه العبادة: يشرحه ويوضحه حتى يصير إلى عبادة أكثر وعبادة أصدق، نابعة من كيان واحد، من مصدر واحد، من جسد واحد!

وعلم اللاهوت الليتورجي لا يُعني فقط بالأمور الكبيرة بل ينزل إلى كل ما يُقال ويُعمل في العبادة إلى أقل توجيه أو إعلان أو نداء يقوله الشماس، لأنه ليست هناك مقولة قط في الكنيسة بغير ذات معنى، وليس معنىً بدون وزن لاهوتي. وعلى سبيل المثال هناك معنى عندما يقول الشماس: «**للصلاة قفوا**»، وهناك معنى أعمق عندما يقول: (**قفوا** «**بخوف**» من الله)، وهناك معنى أعمق من الكل عندما يقول: (اسجدوا لله «**بخوفٍ ورعدة**»). فمتى يكون الوقوف؟ ومتى يكون الخوف؟ ومتى يكون الخوف والرعدة؟ ولماذا هذا ولماذا ذاك؟ وما هو تاريخ هذا النداء؟ هل هو رسولي؟ ثم ما سببه لاهوتياً؟ ثم إن كان هو خطيراً بهذا المقدار فلماذا لا يُوعَّى الشعب، وبالتالي لماذا لا يُقنَّن هذا الأمر كقانون إيماني لازم التنفيذ؟؟

وهكذا يقف اللاهوت الليتورجي مرة أخرى حارساً للطقس حتى إلى أقل حركة ونداء فيه، عندما يقيِّمه على أساس تاريخي ولاهوتي، ثم يقنِّنه ليدخل مجال الإيمان كعقيدة!!

ولكن وظيفة علم اللاهوت بالنسبة للإفخارستيا تتجاوز كل ما يُقال وما يُعمل علناً سواء كان كبيراً أم صغيراً، إلى ما يُقال سرًّا، فهناك صلوات وتضرعات ينبِّه الطقس على الكاهن أن يقولها سرًّا عن نفسه، بين نفسه والله. ولكن كثيرين من الكهنة لا يجدون لها لزوماً أو على الأكثر يتلونها

تلاوةً سريعة أي بلا اعتبار أو اهتمام، هنا ينبري اللاهوت الليتورجي يحذِّر بشدة أن الذبيحة كلها يتوقف قبولها على هذه الصلوات السرية التي يقولها ويتضرع بها الكاهن عن نفسه!! لأن الذبيحة هي أولاً عن نفس الكاهن ثم عن الشعب.

هكذا يُحقِّق التاريخ الليتورجي رسولياً وما هو قبل الرسل أيضاً، لأن الذبيحة تُقبل من يد الكاهن عن نفسه أولاً بدموعه وصلواته وتضرعاته واعترافه أمام الله بانسحاق شديد وتذلُّل وهو واقف على المذبح يرتب الأواني أو يردد القربانة على يديه عند بداية رفعها وهو ناظر إلى فوق، كما فعل الرب يسوع نفسه أمام تلاميذه برزانة وهيبة والتزامٍ طقسي!!

وهكذا يقف علم اللاهوت الصاحي حارساً لضمان قيام الذبيحة بتقييم كل مستلزمات رفعها من الصلوات السرية التي يحتِّم بها التقليد الطقسي، وذلك بأن يوضح قيمتها اللاهوتية، وعندئذ يقنِّنها إيمانياً.

إن خطر العبادة الطقسية عندما تكون باستهتار وجهالة وغير مفهومة ولا مشروحة على مستوى لاهوتي، هو أن هذه العبادة الميتة تتحكم في تصوير الكنيسة وفي إعطائها شكلها ومضمونها اللاهوتي بمستوى الضعف الذي تتم به العبادة. بمعنى أن الكنيسة تصير في أذهان الشعب وفي مظهرها الكلي لا تزيد عن حجم هذه الطقوس التي تؤدّى باستهتار فتصير ميتة في ذهن قائلها وسامعها، وكذلك العبادة الصورية غير المفهومة وغير المشروحة. ولا يُفيد هنا مقدار حبنا للكنيسة أو مقدار تمسُّكنا بالتقليد والتراث، لأن الإيمان الذي ينقصه الوعي يضعف ويهتز ويكون قابلاً للشك والاضمحلال.

وهذا الحال السقيم لا يتمشَّى مع حقيقة الكنيسة لاهوتياً، فالعبادة الكنسية والطقوس والرئاسات ليست هي التي تصنع الكنيسة، أبداً، ولا يحق أن تتحكم في تقييم حجمها الروحي أو وزنها اللاهوتي مطلقاً!! الكنيسة في أصلها هي المسيح الحي في الجماعة، الجماعة هي جسم المسيح الحي، والمسيح فيها رأس فعَّال ومدبر وحافظ ومجدِّد بالروح القدس.

لذلك، فالكنيسة هي التي تصنع العبادة كتعبير مباشر لوجودها وحياتها وفعل النعمة فيها، تصنع الرئاسات وتصنع الأفراد. والكنيسة هي التي تحيي العبادة وتجدِّدها وتنشِّطها بالروح الساكن فيها، هذا إذا كانت الكنيسة واعية لكل ما تقول وتفعل! وليست واعيةً فحسب، بل وقادرة أن تشرح أيضاً وتُعلن وتبشِّر بما تقول وتفعل!، وفوق هذا كله تكون قادرة أيضاً أن تتحكم في عبادتها على مستوى الانفتاح على المسيح والنظرة المتفائلة للمستقبل أو الحياة الأخرى (إسخاتولوجي) كحقيقة قائمة الآن تمارسها بالإيمان الحي والرجاء بغير المنظور، أو بمعنى عميق تمارسها بالأسرار.

لقد تثبتت صورة خاطئة في ذهن الشعب أن الرئاسات الكنسية قائمة في الكنيسة لتكمِّل الطقوس والعبادة، هذا يوضح مدى تقلُّص الكنيسة حتى صار الطقس هو الذي يحتويها وليست هي التي تحتويه، والرئاسات فيها هم خُدَّام طقس. مع أن اللاهوت الليتورجي يقول إن الرئاسات الكنسية اختارتهم الكنيسة وملأتهم بالروح القدس ليكمِّلوا حياة المسيح فيها ليُظهروا حبه الأبوي وطهارته ولطفه وحنانه وفداءه بسلوكهم، وأخيراً يقيمون بالأسرار علاقة حية بين المسيح ورعيته، يلدون بالماء والروح أولاداً له ويوصلون جسده ودمه للشعب ويسكبون على الناس عطايا الروح القدس من لدنه بالتوسُّل والصلاة والعبادة المتواترة.

هذا كله يتوقف على مدى نشاط وفاعلية اللاهوت الليتورجي، فهو المسئول عن رفع الكنيسة من تحت مراسيم الطقوس وقوانين الصلوات والممارسات السرائرية ليجعلها فوق الطقوس والصلوات والممارسات، أي أن يجعلها سيدة لما تقول وتعمل! ولا يمكن أن تصبح الكنيسة سيدة لما تقول وتعمل إلاَّ إذا فهمت ووعت وتحكَّمت في ما تعمل وتقول!! أي فهمت ووعت وتحكَّمت في ذاتها.

القانون، أي قانون، سواء كان مدنياً أو كنسياً، هو صورة للعبودية والإذلال، نُطبِّقه صاغرين طالما نعمله ونحن نجهل واضعه ونجهل سببه ونجهل فائدته!!

فإذا درسنا القانون، أي قانون وعرفنا واضعه وعرفنا سببه وعرفنا فائدته أقبلنا عليه نطيعه ونطبِّقه بشغف شديد ووقار. وهكذا فإن المعرفة هي الواسطة الوحيدة للحرية: «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو 32:8). وفي الكنيسة، الله وحده يحررنا!! أي اللاهوت كمعرفة بطبيعة الله وطبيعة الصلاة.

والفرد في الكنيسة (ولا نقول الكاهن أو الخادم) حينما يكتفي بتأدية العبادة وممارسة الأسرار مهما كان عن حب ونشاط وبذل وتلذُّذ، دون ان يحاول ان يفهم ويدرس بعمق ما يقوله وما يُقال له وما يمارسه وما يمارسونه أمامه، سيبقى أداة ركود وموت وتحجُّر للكنيسة، لأن الكنيسة لا تستعلن إلاَّ بالعابدين فيها بأولادها وخدَّامها معاً! فإذا كان الفرد يجهل ما في الكنيسة، فالكنيسة جاهلة ومجهولة فيه وبه، لأن الكنيسة **بالنسبة لكل فرد** ليست فقط منبع غذاء وعزاء وامتلاء شخصي له، بل هي بعد ذلك وفوق ذلك تستمد منه استعلانها **وتحقق به وجودها** وتعلن فيه وبه حياتها وصدقها وإيمانها ورجاءها!! وكيف يكون ذلك إلاّ إذا عاد إليها يدرس ويفهم ويفحص ويتأمل في كيانها الليتورجي والسرائري الذي يستمد منه كيانه؟ لأن كل فرد في الكنيسة حتى إلى أصغر فرد هو صورة لحياة الكنيسة، هو دعامة من دعامات تشخيص نشاطها ونموها، هو اختبار من ضمن اختبارات إيمانها وحقها وصدق

رسالتها في العالم، ثم هو نموذج وواسطة من وسائط بشارتها!؟

مقدِّمة الطبعة الثانية

الإفخارستيا في مفهوم المسيح

كما قال المسيح لنيقوديموس بخصوص الميلاد من فوق:

+ «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله!» (يو 3:3)

ولما تعثَّر نيقوديموس في الوسيلة، بسَّطها له على مستوى الزمان والمكان فقال:

+ «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو 5:3)

هكذا بالنسبة للإفخارستيا

إن كان أحد لا يقبل الحياة من فوق، لا يقدر أن يعاين الحياة الأبدية.

فلمَّا تعثَّر الإنسان في الوسيلة، بسَّطها المسيح على مستوى الزمان والمكان فقال:

+ «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي (الإفخارستيا) فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير.» (يو 54:6)

وعاد فأوضحها:

+ «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو 57:6)
+ «أنا هو الخبز الحي (المسيح) الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.» (يو 51:6)

متى المسكين

الأحد الثاني من الخمسين المقدَّسة

1999/4/25

وقد صدرت نبذة ملحقة بالطبعة الثانية لهذا الكتاب بها بحث قيِّم عن:

إفخارستيا عشاء الرب ـ قداس الرسل الأول

الإفخارستيا

مفهوم الكلمة وسرّها

1 ـ مفهوم كلمة «سرّ»:

كلمة «سر» بالعربية أصلها اليوناني must«rion، وهي تعني الشيء المخفي أو المستور. والمرادف اللاتيني *Sacramentum* ولو أنه يفيد نفس المعنى، إلاَّ أنه في أصله يحمل اتساعاً أكثر، فهو يفيد معنى وثيقة على مستوى عالٍ ذات قيمة قضائية، أو خدمة إلهية على مستوى الكنيسة.

أمَّا في المفهوم اللاهوتي، فكلمة «سر» وجمعها «أسرار» أو «سرائر» تفيد حقيقة أو حقائق إلهية ثابتة ومستقرة كانت مخفية ومكتومة منذ الدهور، لأنها كانت فائقة على قدرة الإنسان العقلية، أو أعلى من مستواه الروحي أو أكثر من حاجته، ثم أعلنها الله بروحه لأنبيائه ورسله وقديسيه ثم للكنيسة، وذلك إما بوحي إلهي أو إلهام في رؤيا أو بسمع الأُذن أو بانفتاح الذهن أو بتلقين الروح، أو كأمر ووصية صريحة واضحة بتسليم محسوس كما صنع المسيح مع تلاميذه في العشاء الرباني.

والأسرار عموماً حقائق تختص بالله، إما في ذاته، كسرِّ الثالوث ويسمَّى سر اللاهوت؛ وإمَّا في علاقته بنا كسرِّ التجسُّد والفداء ويُسمَّى سر التدبير الإلهي؛ وإمَّا في اتحادنا به كسرَّي المعمودية والإفخارستيا مع بقية أسرار الكنيسة المعروفة بأسرار الكنيسة السبعة[11]. هذا بالإضافة إلى أسرار

(11) أول مَنْ حدَّد عدد الأسرار الكنسية بالرقم 7 (سبعة) هي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بواسطة أسقف باريس «بطرس لمبارد» مع غيره، وقد قبلها توما الأكويني، وقنَّنها بعد ذلك مجمع فلورنسا (سنة 1439م). وقد أخذت الكنيسة البيزنطية هذا التقليد عن الكنيسة الكاثوليكية – *(Oxford Dict. of Christ. Church, p. 1198.)*، ثم دخل هذا التقليد إلى الكنيسة القبطية. وأول ذكر لها تحت أيدينا هو ما ورد في المخطوطة المعروفة باسم «نزهة النفوس» وهي لكاهن مجهول، وأقدم مخطوطة لها معروفة لدينا هي الموجودة بدير أنبا مقار (لاهوت 24) بتاريخ برمهات / مارس ـ أبريل 1564م. ولكن يُظن أن مؤلِّف كتاب «نزهة النفوس» ليس قبطياً أرثوذكسياً لأنه يورد أقوالاً ليوحنا الدمشقي (وهو من آباء الكنيسة البيزنطية في القرن الثامن بعد الانشقاق الذي حدث في مجمع خلقيدونية عام 451م).

وعلى أي حال لم نجد ذكراً لتحديد أسرار الكنيسة بالعدد سبعة في مخطوطة العالِم ابن كبر المعروفة باسم «مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة»، وهو أهم وأدق مَنْ كتب في الأسرار في القرون الأخيرة، وحتى لم يذكرها مجموعة معاً، بل جاءت في كتابه ناقصة عن العدد سبعة ومتفرقة على مدى الكتاب. عِلما بأن هذا العالِم عاش حتى إلى أوائل القرن الرابع عشر.

أخرى لم تأخذ تحديدها اللاهوتي أو مواصفاتها بالكامل مثل «سر الإنجيل» (أف 19:6)، و «سر ملكوت الله» (مر 11:4)، و «سر الإيمان» (1تي 9:3)، و «سر التقوى» (1تي 16:3). وقد أعطى المسيح للكنيسة في أشخاص الرسل القديسين وأنبياء العهد الجديد استعلان أسرار الله المخفية منذ الدهور بحكمته الفائقة وتدبيره بالروح القدس لخدمة الدهور كلها حسب قول القديس بولس الرسول:

+ «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي **لأجلكم**، أنه **بإعلان عرَّفني بالسر** الذي بِحَسَبه حينما تقرأونه تقدرون أن **تفهموا درايتي بسر المسيح**، الذي في أجيال أُخَر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح.» (أف 3: 2-5)

وقد استلمت الكنيسة هذه الأسرار جميعاً: ما هو لاهوتي وما هو كنسي، واستودعتها قلب قديسيها ومختاريها من جيلٍ إلى جيل بالتسليم من أساقفة وكهنة، وصارت الكنيسة غنية جداً بأسرار المسيح الفائقة ومؤتمنة وكارزة ليس للبشر فقط بل ولدى السماء أيضاً لإعلان هذه الأسرار:

+ «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السمويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف 10:3)

ولكن، ومن القديس بولس الرسول أيضاً، نعلم علم اليقين أن «**سر المسيح**» هو من العمق والامتداد بما لا يمكن أن يُستقصى. فالأسرار هي ذخيرة الله التي لا تُحدُّ ولا تُضبط بلفظٍ، ولا تُستنفذ:

+ «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصَى، وأُنير الجميع فيما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله.» (أف 3: 8و9)

ولكن يلزم أن نفرِّق بين أسرار اللاهوت والتدبير (أي سر الثالوث الأقدس وسر التجسُّد والفداء) وبين أسرار الكنيسة. لأن أسرار الكنيسة تقوم على ممارسات عملية بالصلاة للتقديس تُستخدم فيها وسائط حسيَّة منظورة: كالماء في المعمودية، والزيت في التثبيت، والخبز والخمر الممزوج بالماء في الإفخارستيا، والزيت في مسحة المرضى، ووضع اليد بالصليب في الكهنوت، وفي التوبة، وفي الزيجة.

وهكذا يُعتبر السرُّ الكنسي عملاً مقدَّساً يتم بالصلاة واستخدام وسائط حسيَّة منظورة تنال من خلالها النفس البشرية نعمة الله ومواهبه غير المنظورة.

وقد عرَّف القديس أغسطينوس السر الكنسي هكذا: [الشكل المنظور لنعمة غير منظورة.][12]

ومعروف أن أسرار الكنيسة مُسلَّمة لنا من المسيح كما هي، مثل سر الإفخارستيا الذي أكمله الرب بكل دقائقه في عشاء يوم الخميس، الذي من خلال الخبز والخمر الممزوج وهبنا جسده ودمه لغفران الخطايا ولحياة أبدية.

ولكن الذي يتحتم علينا أن نعرفه ونقبله هو أنه توجد علاقة حيَّة شديدة بين سر الثالوث الأقدس (سر اللاهوت) وسر التجسُّد والفداء (سر التدبير الإلهي) وبين أسرار الكنيسة بوسائطها المنظورة. فخبر الإيمان (بالثالوث) يتحتم أن يدخل اختبار الفعل والعمل حسب قول المسيح: «مَنْ آمن واعتمد (باسم الآب والابن والروح القدس) خلص» (مر 16:16)، والإيمان الفكري بالتجسُّد يتحتم أن يدخل أعماق الكيان البشري بالتناول من جسد الرب. والثقة الإيمانية بالفداء بالدم على الصليب يتحتم أن تُمارَس عملياً بشرب هذا الدم في الإفخارستيا.

والوحدة التي علَّمنا الرب أن نطلبها لأنفسنا بالصلاة وبالإيمان في دالة الحب الشديدة والثقة فيه بقوله: «اثبتوا فيَّ» والتي يصلِّي أيضاً عنَّا للآب قائلاً: «**ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا**» و«**ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد**» و «**أنا فيهم** وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو17: 21ـ23)؛ هذه الوحدة الحقيقية الحية مع الرب يسوع المسيح تتم بصورة عملية في الأسرار وبالأخص في الإفخارستيا، بفعل خفي أي سرائري غير منظور ولا محسوس، بقوة سمائية من فوق بالروح القدس، كقول الرب لنيقوديموس بخصوص المعمودية، وكقول الرب لليهود بخصوص الإفخارستيا: «جسدي مأكلٌ حقٌّ، ودمي مشربٌ حقٌّ، مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه.» (يو 6: 55و56)

والقديس يوحنا ذهبي الفم يوضِّح ذلك هكذا:

> [إنه يلزم أن نفهم عجب هذا السر، وما هو، ولماذا سُلِّم لنا، وما هي المنفعة من ممارسته، لأننا نصير جسداً واحداً وأعضاءً من لحمه وعظامه - كما قيل - وهذا يتم بالأكل، الذي سلَّمه لنا مجاناً كهبة ... لأنه هيأ جسده على مستوانا لنتحد به كما يتحد الجسد بالرأس.]
> (على إنجيل يوحنا، عظة 46)

[12] قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية - ص 1198.

2 ـ مفهوم كلمة «إفخارستيا» EÙcarist…a:

1 ـ كلمة إفخارستيا تعني باليونانية عموماً «الشكر» أي الإحساس (مجرد إحساس) بالشكر أو المسرة كما جاءت قديماً: (أ) في سفر المكابيين الثاني (27:2)، (ب) في ابن سيراخ (11:37)، وكما جاءت حديثاً ـ في سفر الأعمال (3:24):

(أ) «ولكن لأجل **شكر** eÙcarist…an (مسرَّة) الكثيرين، نتحمَّل بسرور هذا العناء الكبير.» (2مك 27:2)

(ب) «لا تتشاور مع إنسان حاقد في كيفية **الشكر** eÙcarist…aj.» (ابن سيراخ 11:37)

(ج) «فَنَقبل ذلك أيها العزيز فيلكس **بكل شكر** met¦ p£shj eÙcarist…aj في كل زمان وكل مكان.» (أع 3:24)

2 ـ ولكن كلمة «إفخارستيا» استُخدمت أيضاً بمعنى «**تقدمة شكر**»، أي شكر معبَّر عنه بتقدمةٍ ما سواء كان ذلك بالتسبيح أو بالصلوات أو بالذبائح[13]. وقد استُخدمت كلمة «إفخارستيا »(كصلاة) بنوع مخصوص في حالة «شكر الله على خلقة العالم» فكل صلاة مقدَّمة لله فيها شكر من أجل خلقة العالم كانت تسمَّى «إفخارستيا» وهذا التعبير يهمنا جداً لأن **القديس إيرينيئوس**[14] **يعتبر أن من الأهداف الأساسية «لسر الإفخارستيا» هو شكر الله بلسان الخليقة من أجل خلقة العالم وبركاته للإنسان.**

3 ـ أما في الكنيسة فتُخصَّص كلمة «إفخارستيا» للتعبير عن سر الجسد والدم كتقدمة عموماً أو للتعبير عن مواد السر «التقدمة» ـ أي خبز الإفخارستيا وخمر الإفخارستيا.

4 ـ ولكلمة «الإفخارستيا» مشتقات طقسية تتعلَّق بعمل الليتورجيا، منه الفعل «إفخارستين» eÙcariste‹n ومشتقاته: فالفعل «إفخارستين» استخدمه المسيح عندما أمسك بيده الكأس المملوءة خمراً ممزوجاً بماء: «ثم تناول كأساً وشكر ''إفخاريستيساس eÙcarist»saj''.» (لو 17:22)

([13]) Philo, *De Victimis*, C. 9, C. 4.
([14]) Irenaeus, *Haereses*, IV. 18, 4.

كما استخدمه المسيح أيضاً عندما أخذ خبزاً على يديه: «وأخذ خبزاً وشكر ‘‘إفخارستيساس eÙcarist»saj’’.» (لو 22:19)

ولكن كلمة «وشكر» هنا لا تفيد مجَّرد أنه شكر، بل إنه فَعَل فِعْل الشكر الطقسي، أي **أدَّى وقدَّم الشكر من أجل الخليقة وبركة الله لها الخاصة بهذا الموقف**. وهذا كان يعمله التلاميذ، ثم مَنْ تسلَّموا منهم في القرن الثاني والقرنين الثالث والرابع إذ كانوا يتلون صلاة شكر خاصة على الخبز والخمر، كما يعرِّفنا بذلك القديس الشهيد يوستين، وكما جاء في تعاليم الرسل وقدَّاس سيرابيون – كما سيأتي بعد.

5 – ولكن في علم اللاهوت الإفخارستي يُعرف أن فعل «إفخارستين» أي فعل الشكر الذي قدَّمه المسيح على الخبز والخمر والذي كان يمارسه التلاميذ، أصبح يُقيَّم كعمل تقديس[15]. فعندما شكر المسيح على الخبز والخمر أو عندما كان يعمل التلاميذ ذلك، فهو بمثابة «**قدَّس**» أو «**بارك**». وفي هذا يوضِّح لنا القديس الشهيد يوستين أنه بمجرد أن يتلو رئيس الإفخارستيا الشكر على الخبز والخمر الممزوج بالماء يصيران في الحال **مادتي إفخارستيا** (يتحولان)، أي يصير الخبز تقدمة (ذبيحة) إفخارستيا والخمر تقدمة (ذبيحة) إفخارستيا[16].

أمَّا في الكنيسة الأرثوذكسية الآن «تقليد متأخر» فلا يصير تلاوة التقديس **ولا يتم التحوُّل هذا إلاَّ بعد حلول الروح القدس عليهما**، وذلك بعد تلاوة الشكر والبركة والتقديس مع الرشومات.

ويوضِّح أيضاً القديس يوستين الشهيد أن الشكر الذي يُتلى على الخبز والخمر هو «**شكر الله على بركات الخليقة والفداء**»، وهو مضمون صلاة الشكر التي كانت تُقال على كلٍّ من الخبز والخمر.

وباختصار، نفهم من كلام القديس يوستين أنه: [بعد «**فعل**» **الشكر** على الخبز والخمر يتم «**سر**» **الشكر** مباشرةً، أي بعد سرّ «**الإفخارستين**» يصير الخبز والخمر **إفخارستيا**]. وقد اقتصرت على ذلك الكنيسة اللاتينية في الغرب حتى الآن، أمَّا في كنائس الشرق عموماً فيتحتم استدعاء الروح القدس بعد الشكر للحلول على الخبز والخمر ليتم التحوُّل. أي أن الخبز والخمر لا يصيران إفخارستيا (تقدمة شكر) بفعل رشومات التقديس والشكر فقط بل باستجابة هذا التقديس والشكر لفعل الروح وذلك باستدعاء الروح القدس وحلوله. ويؤيد ذلك بوضوح القديس إيرينيئوس الذي يقول: [إن الخبز **بعد استدعاء الروح القدس** Epiclesis ليس بعد خبزاً ساذجاً بل **إفخارستيا** من

([15]) Grimm, *Lexicon New Test.* s. v.

([16]) Justin Martyr, *Apol.* I. 65.

شقين: شق أرضي وشق سماوي.][17]

ولكن الذي يهمنا من هذا الآن هو كلمة «**إفخارستيا**» التي تعني هنا سرًّا مقدَّساً، والتي أخذت مضمونها السرِّي والقدسي أو بالحري الإلهي من فعل الشكر أي «الإفخارستين» الذي يُتلى على الخبز والخمر، ومن قبول هذا الشكر بحلول الروح القدس وتحويل الخبز والخمر إلى مادتي الإفخارستيا.

6 ـ والمعروف أن التقليد المنحدر إلينا من القديس إيرينيئوس والقديس يوستينوس الشهيد يشير أيضاً إلى أن كلمة «إفخارستيا» التي أُطلقت على سر عشاء الرب لا تشتق هذا الاسم (الشكر) فقط من فعل الشكر ـ إفخارستين ـ الذي يُشكر فيه الله على بركات الخليقة وعلى الفداء، والذي يُتمَّم على مادتي الخبز والخمر، بل ويُشتق أيضاً من تقدمة ذات المادتين المختارتين في هذا السر ـ **أي خبز الحنطة وعصير الكرم ـ فهما يقدَّمان كصعيدة (أنافورا) وكتقدمة شكر لله مختارة عن كل الخليقة.**

وكلمة «أنافورا» ليست مستحدَثة، فهي واردة في المزمور 19:51، وكلمة ¢nafšrein ـ وهي المصدر من ¢nafor£ ـ وردت في النسخة السبعينية للعهد القديم لتعطي معنى «تقديم الذبيحة» و «الأنافورا» اقتبستها الكنيسة في البدء على فم العلاَّمة أوريجانوس كاصطلاح عام يُفيد « إصعاد الصعيدة» [18]، ثم استخدمها كاتب قوانين الرسل بمفهوم «الصعيدة» ذاتها[19]. وبعد ذلك استقرت الأنافورا الآن بمعنى الجزء الرئيسي الذي يقوله الكاهن في سر الإفخارستيا حيث تشمل البروسفورا، أي تقديم الصعيدة في البدء.

والعلاَّمة أوريجانوس يشير إلى ذلك في ردِّه على ادعاءات «كِلْسُس» ضد المسيحيين على أنهم لا يشكرون الآلهة كما يليق، إذ يرد عليه أن المسيحيين **يعلنون شكرهم لله بتقديمهم الخبز المدعو إفخارستيا الذي يتحوَّل إلى جسد مقدَّس يقدِّس الذين يتناولون منه.**

وتقدمة الخبز والخمر يسميها القديس كلمندس الروماني «**تقدمة عطايا**» (dîron ذورون)، والدسقولية تسميها «ذبيحة» وإيرينيئوس ويوستين يسميانها «القربان الجديد الذي للعهد الجديد »و «باكورة ثمار عطايا الله»

والمدقق يلاحظ أن هناك ترابطاً مقصوداً بين تقدمة الخبز والخمر للتعبير عن الفداء الذي أكمله المسيح بجسده ودمه في سر الإفخارستيا، بجانب التعبير عن شكر الله على ما أكمله من بركات الخليقة

---

(17) Irenaeus, *Haeres*., IV. 18, 5.

(18) Orig., *In Evang. John*, VI. 33, 34.

(19) *Apostolic Constitutions*, II, 59, 4; VIII, 47,3.

بواسطة الكلمة يسوع المسيح. ففي عمل عبادي واحد استطاع المسيح أن يسلِّم للكنيسة الشكر الكامل عن أعمال كلٍّ من الخليقة والفداء معاً، وهكذا جمع بصلاة واحدة الرد البشري اللائق على كل أعمال الله ورحمته وعنايته بالإنسان. **ولذلك أصبحت الإفخارستيا مركز كل العبادة على الأرض كلها، وقلب كافة الصلوات، وقمة التعبير الصادق عن علاقة الله بالإنسان، وردَّ الإنسان بالشكر المستمر على تدبير الله القائم والدائم للخليقة كلها والعالم.**

ولذلك أيضاً نجد أن صلوات الإفخارستيا يتخللها كلها رنة فرح وتهليل سماوي باعتبارها تسبحة شكر متعددة الجوانب والاتجاهات، صادرة من فرحة الحياة الجديدة التي نالها الإنسان بالتجسُّد الإلهي الذي صار بواسطته تقديسُ الخليقة كلها وفداؤها مبتدَءاً بالإنسان.

والإفخارستيا هي ذبيحة التجسُّد**!!** فهي الجسد الإلهي المذبوح والدم الإلهي المسفوك الذي يعبِّر عن فداء الخليقة كلها، فالخليقة كلها تتبارك في ذبيحة الإفخارستيا، والعالم كله يتقدَّس، والإنسان يُفدَى. وفي الإفخارستيا، فإن بركات الخليقة ممثَّلة وقائمة بالحنطة والخمر والماء، والعالم كله ممثَّل وقائم بواسطة الكنيسة.

لذلك تحتَّم أن تضم الإفخارستيا في صلواتها (المسمَّاة: الأواشي) كل الأقطار وكل أجناس الخليقة من كل ما ينبت على الأرض من كل نبات، وكل ما يطير في الهواء ويدب على الأرض، ومن كل فئات الناس، فالخليقة كلها والعالم كله مرفوع بالصلوات والبخور، بل وكافة أرواح القديسين والملائكة تشترك في الصلاة في هذا السر، لأن الجميع داخل في صميم أبعاد الإفخارستيا**!!** والإفخارستيا لأنها جسد المسيح ودمه أصبحت بالتالي تضم كل خليقة ما في السماء من فوق وما على الأرض من تحت كقول المسيح:

+ «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم. »(مت 28: 18و19)

وكقول الرسول بولس:

+ «**ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك**.» (أف 1:10)

وكل ما قلناه هنا ليس هو اجتهاداً منَّا، بل هو في الحقيقة من وحي وإحساس صلوات الإفخارستيا الأُولى ووضوحها وبساطتها المذهلة التي وصفها لنا القديس يوستين الشهيد، وأيضاً ما

تكشفه لنا صلوات الإفخارستيا في كتاب «تعاليم الرسل» وبقية الليتورجيات، فإن صلوات الإفخارستيا في مضمونها الكلي هي توقيع دائم لمقاطع قانون الإيمان ومختصر لأعمال الله في العهدين، فقد روعي فيها أن تكشف بترتيب وبدقة درجات عمل الله واستعلانه في الخليقة مبتدَءاً بالخَلْق، يصليها الكاهن بخشوع في تعبيرات كلها شكر وامتنان، ويقولها بلسان آدم المفْدِيّ أو بروح الإنسان الخالد: « خلقتَ لي السماء سقفاً؛ وثبَّتَّ لي الأرض لأمشي عليها» ثم مروراً بكل أعمال الله الحكيمة في الخليقة والفردوس: «أظهرتَ لي طبيعة الحيوان؛ وأخضعت كل شيء تحت قدميَّ» ثم غواية الحية، ثم سقوط آدم، وخروج قضية الموت، ثم إعطاء الناموس وظهور الأنبياء، واستعلان تدبيرات الله في القديم تمهيداً للخلاص: «رَبَطْتَني بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة» وأخيراً استعلان تدبير تعطُّف الله بظهور يسوع المسيح، وأخبار التجسُّد والتأنُّس والخلاص وعمل الفداء الذي يبلغ القمة في ترديد كلمات المسيح التي قالها وقت العشاء على الخبز والخمر حسب وصيته: «اصنعوا هذا لذكري» ثم أخبار الآلام والصليب والقبر ونزول الجحيم والقيامة في اليوم الثالث. ثم الصعود والوعد بالمجيء الثاني من السماء لدينونة الأحياء والأموات وحياة الدهر الآتي. ثم تقديم الخبز والخمر للتقديس. وأخيراً، وكختام لهذه الصلاة الإلهية، تستدعى الكنيسة بفم الكاهن الروح القدس لتكميل سر التحوُّل حيث تصبح التقدمة إلهية فلا يعود يجوز الصلاة عليها، بل منها ينبثق التقديس ويُمنح، حيث يتم التجلِّي فلا يعود يوجد على المذبح أرضيات تُخدَم بل سماويات مُعلَنة تؤكل بالسر ويُتعجب منها بالمجد!

وهكذا، بتهليل وفرح مذهل وشكر فوق شكر، تنتهي الإفخارستيا بإحساس ما سينتهي إليه العالم في القيامة العتيدة عندما تتجلَّى الخليقة وعلى رأسها الإنسان، ويلبس الفاسد عدم فساد، ويُستعلن الله في الكل مالئاً الكل في الكل. ويخرج المؤمنون من الكنيسة وكأنهم آتون وقادمون من السماء.

ولكن الذي استقر في الكنيسة على ممر الدهور هو أن كلمة «إفخارستيا» أصبحت محددة بسر الجسد والدم المقدَّسين، بكل ما يحويه هذا السر من معاني الشكر: قولاً وفكراً وعملاً على ما أولانا به المسيح من بركات الخليقة وتقديس وغفران وفداء وقيامة وثبوت واتحاد بطبيعته الإلهية ونوال روح الحياة بكل نعم ومواهب الروح القدس.

الإفخارستيا والإنسان الجديد

❐✞❖✞❐

لقد كشف المسيح بكل وضوح عن طعام جديد روحاني يتعاطاه الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله «في البر وقداسة الحق» (أف 4: 24)، ليحيا به وتدوم حياته إلى الأبد، عِوَض الطعام المادي الذي يتعاطاه الإنسان العتيق ويموت. وقد أوضح المسيح ذلك في قوله:

+ «1. الحق الحق أقول لكم: مَنْ يؤمن بي فله حياة أبدية.

2. أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المنَّ في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إنْ أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

3. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.» (يو 6: 47-51)

يتدرَّج المسيح في هذا القول بذِكْر الحقائق الآتية:

1 - إنَّ مَنْ يؤمن بالمسيح، ينال الحياة الأبدية، الذي يشرحه إنجيل القديس يوحنا في موضع آخر بقوله: «الحق الحق أقول لكم: إنَّ مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو 5: 24). وهذا في الحقيقة هو حال الإنسان الجديد الذي سمع خبر البشارة، وآمن واعتمد للمسيح، ويكون هو الذي وُلِد ثانية من فوق ومن الماء والروح، وصار مهيَّأً لدخول ملكوت الله حسب كلام المسيح لنيقوديموس: «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يُولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح.» (يو 3: 5و6)

2 - يعود هنا المسيح ويقدِّم نفسه باعتباره الخبز الحي الجديد الذي نزل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت بعد، بل يحيا إلى الأبد حتى وإنْ مات بالجسد. وواضح هنا أن الذي يغتذي بالمسيح هو الإنسان الجديد المخلوق جديداً ''من فوق'' و''من الماء والروح''، الذي خلقه المسيح في نفسه بقيامته من بين الأموات، ونلناه بالإيمان والمعمودية.

3 - عاد المسيح وحدَّد بوضوح شديد كيف سيُعطي نفسه خبزاً ليأكل منه الإنسان الجديد

ليحيا إلى الأبد بأن حدَّد أن الطعام الروحي للإنسان الجديد سيكون جسده الذي يبذله عن حياة ال عالم. وهنا يدخل المعنى في تصوير مستيكي أي سرِّي شديد الشفافية، بمعنى أن المسيح سيُقدِّم جسده على الصليب ذبيحة حيَّة مقدَّسة للآب عن خلاص العالم. وهذه الذبيحة الحيَّة المقدسة لكي يتم عملها في الإنسان، بإعطاء الخلاص والغفران والحياة والبر، يتحتَّم أن يأكل منها الإنسان لكي يكون شريكاً في فعلها الإلهي السرِّي الفائق. ولكي يُعطي المسيح لكل إنسان الفرصة والحق ليأكل منها في كل مكان وإلى مدى جميع الأزمان، قام يوم الخميس المبارَك برسم طقس ذبح الجسد على العشاء الفصحي مع تلاميذه بأن أخذ خبزاً عادياً وشكر وبارك وكسر، وأعطى لتلاميذه برسم الجسد المكسور على الصليب يوم الجمعة قائلاً بسر رهيب: "هذا هو جسدي المكسور من أجلكم (على الصليب)، خذوا كلوا منه كلكم". ثم عاد وأخذ الكأس الرابع في طقس عشاء الفصح الممزوج خمراً وماءً، وشكر وبارك وأعطاه لتلاميذه قائلاً: "هذا هو دمي المسفوك من أجلكم (على الصليب)، اشربوا منه كلكم".

وهكذا حقَّق المسيح، بالفعل الإلهي السرِّي في الخبز والخمر، الوجود المستيكي الإلهي للجسد الحقيقي المذبوح على الصليب والدم المسفوك عليه.

وهكذا حقَّق المسيح بالفعل الإلهي السرِّي ذبيحته الفصحية بجسده بواسطة الخبز والخمر. حتى أن كل مَنْ أكل من هذا الخبز الفصحي السرِّي وهذا الخمر الفصحي السرِّي، يكون قد أكل بالفعل السرِّي المسيح نفسه في حالة الذبيحة الفصحية التي قدَّمها للآب لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لكل مَنْ يتناول منه.

ثم عاد المسيح ليوثِّق هذا الأكل والشرب الفصحي من جسده ودمه كعهدٍ أبدي معنا، فقال باختصار ووضوح: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو 6 : 54). ولكي يرفع عن ظنِّ الإنسان أنه يأكل خبزاً ساذجاً وخمراً ممزوجاً ساذجاً، عاد فأكَّد: «لأن جسدي مأكلٌ حقٌّ ودمي مشربٌ حقٌّ» (يو 6 : 55). والمعنى هنا عميق، إذ يفرِّق المسيح بين أكل الخبز الساذج وشرب الخمر الساذج، وبين أكل الجسد الإلهي وشرب الدم الإلهي. فهنا الخبز الفصحي المتحوِّل إلى جسد المسيح الذي استودع فيه المسيح قوة وحياة جسد الكلمة المحيي، لم يَعُدْ أكلاً ساذجاً يأكله الإنسان بالجسد ويموت، بل مأكلا حقًّا. و"الحق" هو ما لا يتغيَّر ولا يزول، والله وحده هو الذي لا يتغيَّر ولا يزول، بمعنى أن الذي يأكل الجسد ويشرب الدم الكائن بالقوة

الإلهية في سرِّ الخبز المكسور والخمر الممزوج إنما ''يأكل الحق'' و''يشرب الحق''، وهو أعمق تعبير سرِّي عن استيعاب لاهوت المسيح الكائن في الجسد والدم الفصحي العامل لغفران الخطايا والحياة الأبدية، الذي عبَّر عنه المسيح بعد ذلك تعبيراً مُبدِعاً بقوله: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (57:6)، الذي في صميم معناه قال بولس الرسول: «لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل 20:2)

وهكذا أعطى المسيح عهداً أبدياً موثَّقاً أن كل مَنْ يأكل من الخبز المكسور الفصحي والخمر الممزوج الفصحي، الذي نعبِّر عنه بسرِّ الإفخارستيا، يكون قد أكل المسيح بحال ذبيحة فصحية على الصليب، الذي صار ضميناً لخلاص الإنسان غفراناً وحياةً أبدية. لذلك يسمَّى خميس الفصح بـ ''خميس العهد''، وهو العهد الجديد كقول المسيح العلني: ''كذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك من أجلكم.'' (لو 20:22)

كما أعطى المسيح استعلاناً جديداً لفاعلية الأكل من الجسد والشرب من الدم الفصحي بقوله: « مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو 56:6). هذا الثبوت المتبادَل بالفعل السرِّي مع المسيح بواسطة الاشتراك في الجسد والدم، هو ما يُعبَّر عنه لاهوتياً بالاتحاد السرِّي. الذي عبَّر عنه القديس يوحنا في رسالته الأولى هكذا: «أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (1يو 3:1). كما عبَّر عنه المسيح بقوله: «أنتم فيَّ، وأنا فيكم» (يو 20:14)، وقوله: «ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا...» (يو 21:17)، «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو 23:17)

بهذا ندرك أن الطعام الجديد الروحي الذي أحدره لنا المسيح من السماء كخبز حي إلهي، وهو جسده ليُطعم به الإنسان الجديد ليحيا وتدوم حياته إلى الأبد؛ هو جوهر العهد الجديد. فنحن الذين أكلنا الجسد وشربنا الدم، دخلنا في صميم العهد الجديد وجوهره الذي صنعه الله الآب معنا بدم ابنه الوحيد الذي شربناه من يده، فتغلغل الابن في أحشائنا ودخلنا نحن في عمق أعماقه وصرنا في وحدة أمام عين الآب أهَّلتنا للبنوَّة وميراث الابن الوحيد.

فالإفخارستيا – طعام الحق هذا – للإنسان الجديد، قد رفعته من الأرض إلى السماء، ومن حال الخلقة الترابية التي تدبُّ على الأرض كإحدى الدبابات إلى وجود سمائي وكيان روحاني يتراءى أمام الله في حالٍ من البر والقداسة لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب، وهذا كله كان حسب مسرَّة مشيئة الآب.

غير أن في المعمودية يخرج الإنسان الجديد بمفرده حاملاً المسيح فيه حسب قول بولس الرسول: « لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح »(غل 3:26)، «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف 4:24). أما في سر الإفخارستيا فيخرج المؤمنون متَّحدين في شركة معاً ومع المسيح: «كأس البركة التي نُبارِكها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (1كو 10:16و17)

لهذا يُقال للمؤمن إنه عضو واحد متميِّز في جسد المسيح حسب موهبة الروح التي أخذها من الله ليخدم بها الجسد. ولكن يُقال عن المؤمنين معاً إنهم جسد المسيح الواحد أي كنيسته.

كذلك فإنسان المعمودية الجديد من فوق، هو روح ثابت لا يتغيَّر ولا يزول، على صورة خالقه. أما الإفخارستيا فهي سرُّ التجديد الدائم للإنسان، يتجدَّد فينا بقدر ما يَفْنَى الخارج يوماً فيوماً، حيث يتغيَّر الإنسان إلى صورة خالقه في المجد من مجدٍ إلى مجدٍ كما من الرب الروح، كلما أكلنا الجسد وشربنا الدم ودخلنا مجدَّداً في سرِّ الشركة مع المسيح وسلكنا بالروح.

ÇáÈÇÈ ÇáÃæá

ÇÈíÚ ÇáÃõæ áì ááÅÝ

مقـدِّمة

لكي نستمتع، بصورة واضحة، بسرِّ الإفخارستيا،
ولكي نتذوَّق معاني الكلمات والصلوات وندرك قيمتها الروحية،
ولكي نشبع ونرتوي من مواقف التجلِّي في هذا السر الرؤيوي،
ولكي ندخل حقاً في مجال حلول الروح القدس وحضور الرب،
ولكي ننال شركة فعلية في الجسد السرِّي والدم الثمين،
ولكي يمتلىء فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً بالحق عند التمام والانصراف[1]،

ينبغي الرجوع إلى الينابيع الأُولى للإفخارستيا كما كان يباشرها الآباء الرسوليون والكنائس الأُولى، حيث تظهر الصلوات في صورتها الأُولى البدائية البسيطة التي تعبِّر بكل وضوح عن مفهوم كل موقف وقصد كل صلاة، وتردُّ بلا لَبْسٍ ولا إبهام على كل سؤال من الأسئلة التي يتقاذفها اللاهوتيون ويتحيَّر لها البسطاء من المؤمنين:

(أ) يسأل البروتستانت: هل الإفخارستيا ذبيحة حقيقية أم هي مجرد تذكار لذبيحة أُكملت في الماضي؟

(ب) يسأل الكاثوليك وهم متحيرون: هل المسيح حاضر بالفعل في مادة الإفخارستيا؟ ويسألون بالأكثر وهم مهمومون: هل الفعل الفدائي موجود وحاضر في إقامة الإفخارستيا؟

(ج) ثم يسأل الفلاسفة الروحيون والفاحصون في الأديان المقارنة: كيف يكون الجسد الواحد حاضراً في أماكن محصورة ومتعددة في نفس الوقت؟

(د) كيف يحصل لحدثٍ واحدٍ تمَّ في الماضي أن يستمر في الحاضر كل يوم؟

هنا نقول إن الجدل اللاهوتي لن يفيدنا شيئاً. والواقع أن المطارحات اللاهوتية بين العقائد لم تحل قط أي نزاع فكري حتى الآن، فكل عقيدة لها ردودها ولها حلولها ولها قناعتها، ولكن بمجرد الرجوع إلى الينابيع الأُولى لصلوات الإفخارستيا وشرح الآباء وتعليقهم على خفيات هذا السر

(1) «فمنا امتلأ فرحاً ولساننا تهليلاً من جهة تناولنا من أسرارك غير المائتة يا رب.» (القدَّاس الباسيلي ـ أوشية بعد التناول)

العظيم لن يبقى سؤال لسائل ولن يُترك فراغ لمجادل.

لهذا رأينا في مستهل كتابنا هذا أن نقدِّم الينابيع الأُولى التي انحدرت منها ليتورجيات الإفخارستيا في صورتها الروحية الأُولى البسيطة غاية البساطة، حينما يلتف جميع المؤمنين في كل مدينة داخل الكنيسة يوم الأحد حول مائدة الرب، وكأنما الكنيسة صارت عالمهم الجديد الآخر أو ملكوتهم السرِّي الذي يتبعون وطانته خفياً أو أُورشليم الجديدة النازلة من السماء متزينة وعريسها في وسطها قائم يملك على قديسيها، يأتون جياعاً عطاشاً إليه وهو يأتيهم بشبع سرور. ولم تكن الكنيسة إلاَّ هؤلاء المؤمنين الذين يمثلون الخليقة الجديدة حينما يجتمعون حول خالقهم، وكمولودين ثانيةً سرًّا من فوق من السماء يأتون إليه يطلبون حقهم من الخبز السمائي السرِّي. وكل ما يفقده المؤمنون على مدى سبعة أيام من سلام ونور وحق وحياة وسرور، يستردونه من المسيح في اليوم الثامن، لأن المسيح لا يزال للسائرين في الظلمة نور العالم، وسلاماً وحقاً للذين أضاعوا الحق، ومنه دائماً تُسترد الحياة المفقودة والسرور الضائع «ادخل إلى فرح سيدك.» (مت 21:25)

هذا هو مسيح الإفخارستيا، مسيح النور والحق والحياة والسرور، المسيح المأكول حقاً والمشروب حقاً في يوم الرب المدعو باليوم الثامن، لأن يوم الأحد أو أي يوم للإفخارستيا هو حقاً أصبح ليس من هذه الخليقة ولا لهذه الخليقة التي ضيَّعت الحياة الأبدية وعاشت في فراغ الزمن الميت. فكما أن المسيح هو آدم الثاني، أي رأس الخليقة الجديدة والحياة الجديدة، هكذا يوم الإفخارستيا أصبح هو الزمن الثاني، أي بدء الخلود والأبدية.

لذلك، فإن المؤمنين يحصلون في الإفخارستيا، في هذا اليوم، على ملء قوة حياة المسيح القائم من الأموات ـ (لأن يوم الأحد معروف أنه هو هو عيد القيامة الأسبوعي، أو بالحري اليوم الخارج عن الأسبوع والزمن) ـ وهذه القوة أي قوة قيامة المسيح الحي هي التي تملأ باستمرار الفراغ الميت المتولِّد في حياتهم من الخطيئة ومن عجز الجهاد البشري!

وهكذا نستطيع أن نمثِّل المؤمنين المزدحمين في الكنيسة حول الإفخارستيا كجماعة راحلة إلى السماء، في رحلة باهظة الجهد والتكاليف خارج العالم وخارج الزمن. فهذا العالم ـ الذي يمثِّله بيوتهم وأعمالهم واهتماماتهم ـ ينبغي أن يقف وراء ظهرهم منسياً ومهملاً تماماً، لأن مرتفع الأبدية وعر، لا يجيز أيَّ حِملٍ فوق الظهر أو الكتف ولا أية فكرة تعكِّر صفو الرؤيا، رؤيا المسيح الذي «**ليس من هذا العالم**»، فهؤلاء أيضاً ينبغي لكي يروه ويعرفوه ويأكلوه أن يكونوا «**ليسوا من هذا العالم**»!

المسيح القائم من الأموات لم يعرفه تلاميذه أولاً ولا المجدلية لأنه لم يصبح من هذا العالم. ولا تلميذا عمواس عرفا الرب على مدى مسيرة طويلة، ولكن عند «كسر الخبز» انكشف السر فعرفوا المسيح في الحال! وهكذا صارت الإفخارستيا (كسر الخبز) واسطة استعلان مسيح الدهور.

وهكذا المسيح، أصبح لا يمكن الدخول إليه الآن على أبعادٍ بشرية. لا يظن أحد أن الفرح بالمسيح والتمتع بعشرته والإحساس بوجوده يمكن أن يحدث بدون «سر» لابد أن ندخل إلى «السر» أولاً لكي نعرف المسيح ونفرح به ونتلذَّذ بحضوره. السر يغيِّرنا نحن أولاً لكي ندرك المسيح، يغيِّرنا في المعمودية فندرك «موت الرب» يغيِّرنا في مسحة الميرون فنتنفس روحه القدوس، يغيِّرنا في الإفخارستيا فندركه كقيامة، يغيِّرنا في الكنيسة حينما تمتليء بالأتقياء ويكمِّل فيها سر الحضور الإلهي فندرك جسده الذي يملأ الكل في الكل!

رحلة المؤمنين المزدحمة في الكنيسة حول سر الإفخارستيا هي في الحقيقة رحلة إلى السماء من خلال عمق أعماق المسيح الميت والمقام، بقيادة الروح القدس نفسه التي تبلغ ذروتها عندما يصرخ الكاهن مستدعياً الروح القدس: «فليحل روحك القدوس **علينا** وعلى هذه القرابين **ويطهِّرها، وينقلها ويظهرها** قدساً لقديسيك»

وليلاحظ القارىء أن دعوة الروح القدس هي للحلول على المؤمنين أولاً قبل القرابين، لكي عندما يتغيَّرون ويتقدَّسون هم أولاً يستطيعون أن يستعلنوا بالإيمان المستنير ظهور الجسد والدم وحضور المسيح.

إذاً، فرحلة المؤمنين إلى السماء وهم مزدحمون حول الإفخارستيا ليست باستعدادات بشرية، بل باستعداد القلب والفكر لحلول الروح القدس عند ندائه للتغيير والتقديس حتى يُظهر القُدْس للقديسين ويُستعلن الجسد بالإيمان ويُرى المسيح حاضراً في الإفخارستيا عندما يصرخ الشعب كله بعد حلول الروح القدس: «تي ناهتي آمين» أي «**أؤمن** حقاً» هنا تكون الكنيسة كلها في حالة استعلان والشعب في مواجهة المسيح، والمستحقون للعرس يدخلون، ومائدة الملكوت تكون قد تهيأت بقدساتها للقديسين، وعندها يقول الكاهن: «اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارةً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون (بجسدك الواحد) جسداً واحداً وروحاً واحداً، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء.» (القداس الباسيلي)

هنا دخول الشعب للتناول هو دخول حقيقي إلى السماء «إلى الأقداس العليا حيث دخل المسيح

كسابق من أجلنا ... بدم نفسه، دخل مرَّةً واحدةً إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً» (عب 20:6؛ 12:9). ليس هنا تشبيه ولا رمز، ولكنه سر مُعلَنٌ بالإيمان، فالمسيح حاضر على المذبح كما في السماء، بذبيحة نفسه، بجسده، وبدم نفسه، كما هو أمام الآب، يعطي جسده المكسور لكل مَنْ يتقدَّم ودمه المسفوك يهبه غفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل مَنْ يتناول منه.

الكنيسة وقت الإفخارستيا هي بالحقيقة سماء، بسبب حضور المسيح كوعده، فحيث يوجد المسيح توجد السماء: «ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو 13:3). والمسيح لا يمكن أن يُرى الآن إلاَّ « كخروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ 6:5) كما رآه يوحنا في رؤياه في السماء، أي كإفخارستيا مهيَّأة للأكل. إذاً، فالذبيحة الإلهية قائمة دائماً بحضور المسيح كما في السماء؛ كذلك أيضاً في الكنيسة في كل إفخارستيا حسب طلب الرب: «اصنعوا هذا لذكري» «لأن كل مرةٍ تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تُبشِّرون بموتي»

حضور الملائكة في كل إفخارستيا علامة تأكيدية على أن الكنيسة اتَّسعت أبعادها الرؤيوية وصارت بالفعل استعلاناً سماوياً بالحق، والله متراءٍ. الشعب يتهلل ويصرخ مشاركاً الملائكة في التسبيح أمام الله كأنه في السماء تماماً ويردد مع الشاروبيم والسيرافيم تسبحة الغلبة والخلاص: «قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت؛ السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس» الكنيسة هنا خليقة جديدة بالفعل، والنفوس البسيطة تفرح وتُهلِّل تهليلاً ملائكياً، أمَّا ذوو العيون المكشوفة فينبهرون إذ يتجاوزون حتى الملائكة في بهجتهم، لأن الإفخارستيا تتجاوز بهم حدود «الوقوف قُدَّام» الحضرة الإلهية وتدخل بهم إلى داخل الحجاب إلى وليمة الأخصَّاء، إلى الجسد والدم، إلى أسرار الطبيعة الإلهية غير المنطوق بها؛ فيعودون من هذه الرحلة السماوية والدَهَشُ يملأ عقولهم، محمَّلين بعطايا ومواهب روحانية وعلى رؤوسهم ابتهاجٌ وفرحٌ أبدي وعلى لسانهم بُشرَى ورسالة مفرحة للعالم المتألم!؟

الفصل الأول

صور وأمثال ورموز الإفخارستيا

في العهد القديم

يعتمد الآباء في تقديمهم لصور وأمثال العهد القديم، وهم يشرحون ويوضحون أعمال الله في العهد الجديد، على حقيقة إيمانية ثابتة لدى الكنيسة كلها، أن كل ما عمله الله في الماضي عمله بتدبيرٍ خاص حتى يكون كأساس مُسْبَق يبني عليه الإنسان رجاءه وأمله فيما هو عتيد أن يعمله الله في مستقبل الزمان من أجل تكميل خلاصه.

وتحتل الإفخارستيا في هذا المضمار مركزاً أساسياً في امتداد واستمرار الصلة السرائرية بين العهد القديم والعهد الجديد، فهي كالقلب النابض لكلا العهدين.

وقد وجدنا أن لدى كل اللاهوتيين شرقاً وغرباً، وحتى لدى واضعي الليتورجيات وكل شارح من الآباء وواعظ على الأسرار، اتجاهاً عاماً لاعتبار الإفخارستيا ذات استمرار عميق وسرِّي لذكرى الذبيحة التي قدَّمها هابيل الصدِّيق، وتقدمة وذبيحة ملكيصادق، وذبيحة إبراهيم لإسحق ابنه، وذلك من الوجهة الكهنوتية. فكلٌّ من هذه الذبائح قُدِّمت بروح كهنوتية، ففي كتاب الخولاجي نقرأ في صلاة رفع بخور باكر:

[يا الله الذي قَبِلَ قرابين هابيل الصدِّيق وذبيحة نوح «ذبيحة عهد» وإبراهيم «تقدمة إسحق» وبخور هارون وزكريا ...]

ولكننا وجدنا أن العلاقة بين سر الإفخارستيا والعهد القديم تأخذ صورة أوضح وارتباطاً أكثر من جهة المادة السرائرية كما هو حادث في تقدمة ملكيصادق حيث الخبز والخمر يبدو فيها انطباقاً واضحاً. وكذلك في نزول المن من السماء كخبز سمائي، وفي خروف الفصح.

1 – تقدمة ملكيصادق، وسرّ الإفخارستيا

فعقيدة الكنيسة الأُولى نجدها واضحة أشد الوضوح في كلام العلاَّمة كلمندس الإسكندري (سنة 195م.) الذي يربط ربطاً مباشراً بين الإفخارستيا في الحاضر وتقدمة ملكيصادق في الماضي السحيق هكذا:

[إن الخبز والخمر المقدَّسين اللذين قدمهما ملكيصادق هما صورة نموذجية *Typos* للإفخارستيا.](1)

هذه هي عقيدة الآباء الأوائل عموماً، وقد طوَّرها القديس كبريانوس (210–258م) بعض الشيء، فهو يقول:

[وفي حالة ملكيصادق كاهن الله العلي نرى ذبيحة الإفخارستيا التي قدَّمها الرب يسوع تسبق فتأخذ صورتها الأُولى بحسب شهادة الكتاب المقدَّس إذ يقول إن ملكيصادق ملك ساليم قدَّم خبزاً وخمراً.](2)

ويستمر كبريانوس في الربط الدقيق بين العهدين الجديد والقديم من حيث هذا السر الإفخارستي بكل ظروفه، فيقول:

[إن ملكيصادق هو قبل كل شيء «مثال» صورة نموذجية *Typos* للمسيح، ودليلنا على ذلك قول المزمور 109: «إنك أنت الكاهن إلى الأبد على طقس ملكيصادق» ثم مَنْ هو ذلك الكاهن لله العلي أكثر من ربنا يسوع المسيح الذي قدَّم للآب **نفس التقدمة** أي الخبز والخمر – كملكيصادق – اللذين هما جسده ودمه؟](3)

وهكذا يربط كبريانوس بين ملكيصادق والمسيح وبين تقدمة المسيح وتقدمة ملكيصادق، بل ويستمر في إيجاد عناصر المطابقة لا في صورة إفخارستيا (تقدمة شكر) المسيح وإفخارستيا ملكيصادق فقط، بل وفي الوضع **السري** *Sacramentum* «» القائم في الإفخارستيا، فيقول:

---

(1) *Strom*. IV, 25.
(2) *Epist*. LXIII, 4.
(3) Ibid.

[وهكذا نجد أن المثال، أي الصورة النموذجية، للإفخارستيا وتكوينها من خبز وخمر قد أُظهرت في العهد القديم، وهذه الصورة عينها هي التي أكملها المسيح وحققها حينما قدَّم الخبز والخمر الممزوج بالماء، ولكن المسيح كان هو نفسه التكميل والتحقيق لهذه الحقيقة المخفية في هذه الصورة النموذجية.][4]

ثم نجد هذا التقليد التفسيري يستوطن عند القديس أمبروسيوس بشيء من الاتساع، إذ يعود إليه في وعظه مرات كثيرة مضيفاً إلى نموذج الإفخارستيا عند ملكيصادق نموذجاً آخر هاماً للإفخارستيا هو **المن** الذي كان معجزة أو سرًّا *Sacramentum* «**خبز الخروج**»، ويقول متكلِّماً عن إفخارستيا العهد الجديد:

[نحن نذكر أن هذه الأسرار قد انحدرت إلينا قبل زمان إبراهيم، لأن ملكيصادق «الشخص المقدَّس» الذي قدَّم نموذجاً كان بلا بداية أيام ولا نهاية أيام.][5]

وهكذا يتقدَّم أمبروسيوس في استقصائه لهذا السر حتى يُثبت أن سر الإفخارستيا الذي نقيمه الآن هو من حيث زمانه التاريخي أقدم من عصر الذبائح عند موسى!! وهذه حقيقة جديرة بالاعتبار، فالكهنوت والإفخارستيا ينحدران أصلاً من الأبدية، من الله، من وراء الزمن والتاريخ، فملكيصادق هو أصلاً بلا بداية أيام ولا نهاية أيام!! يقول أمبروسيوس:

[اقبلوا هذا الذي أقوله لكم: اعلموا أن أسرار المسيحيين هي أسبق زمنياً في أصولها من ذبائح اليهود، لأنه إن كان اليهود يذهبون في أسرارهم إلى زمان إبراهيم، فإن نموذج أسرارنا ينحدر إلينا من زمن أسبق، زمن ملكيصادق كاهن الله العلي «الذي هو بلا بداية أيام» والذي قابل إبراهيم وهو عائد من انتصاره وأعطاه خبزاً وخمراً، ومَنْ هو الذي كان في يده الخبز والخمر؟ ليس إبراهيم بل ملكيصادق الذي يُعتبر مؤسِّس هذا السر.][6]

ويهمنا هنا أن نشير إلى أنه سواء القديس أمبروسيوس أو مَنْ قبله من الآباء، فالكل أخذوا إلهامهم فيما يختص بملكيصادق وعلاقته بالمسيح من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين التي يقول فيها عن ملكيصادق بصريح العبارة:

(4) *Epist*. LXIII, 4; C.S.E.L., 704.
(5) *De Sacra.* IV, 10.
(6) *De Sacra.* V, 1.

+ «بلا أبٍ بلا أمٍ بلا نَسَبٍ، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبَّه بابن الله.» (عب 3:7)

ولكن الذي نريد أن نضيفه على أقوال الآباء في هذا الموضوع الخطير هو أنه وإن كانت رسالة العبرانيين بنوع خصوصي والأناجيل عموماً لم تكشف بصريح العبارة عن علاقة الخبز والخمر في ملكيصادق بالخبز والخمر في إفخارستيا المسيح، إلاَّ أن الرسالة إلى العبرانيين والأناجيل أيضاً محمَّلة بإلهام عالٍ جداً يشير إلى أن المسيح في تقديمه **للخبز والخمر بالذات**، هذه التقدمة التي لم يقدِّمها أحد قط إلاَّ ملكيصادق في القديم، كان يريد ضمناً أن يُلفت الأنظار في صمت وفي سر رائع إلى كهنوته الأبدي وملكوته الروحي كملك السلام، وإلى شخصيته التاريخية بتلميحه السري الرائع: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن!!!» (يو 58:8)

كذلك، فالمسيح هنا يريد أن يرفع مستوى العبادة والمفهوم السري للذبيحة والتقدمة فوق وضعها الكائن الذي كان يعيش عليه اليهود آنئذٍ (والتي كانت متعطِّلة تنتظر التجديد)، فالمسيح بتقدمته الخبز والخمر التي هي تقدمة ملكيصادق يشير بصورة سرية رائعة وبدون كلام إلى أنه يتجاوز كل التقدمات والذبائح الموسوية بل واليهودية على الإطلاق، لأن ملكيصادق ملك ساليم لم يكن من نسل اليهود «بلا نسب» !

كذلك نريد أن نوضِّح أيضاً أن المسيح لما أخذ الخبز والخمر على يديه وشكر وبارك وقدمه لتلاميذه على أنه ذبيحة فعليَّة للعهد الجديد: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد» كان يقصد أن يشير إلى تلاميذه وإلينا نحن أيضاً في صمتٍ رائع وسرٍ عجيب أنه كما كان الخبز والخمر وهما على يدي ملكيصادق (الشخص العجيب الذي **بلا بداية أيام ولا نهاية أيام**) يستمدان من ملكيصادق بصورة سرية أو سرائرية Sacramental صفة البركة المادية والتعضيد **الروحي اللانهائي** لإبراهيم، كذلك كان المسيح عندما قدَّم لتلاميذه الخبز والخمر إنما ليس في صورة ونموذج بعد أو كمجرد بركة وتعضيد، بل كحقيقة أبدية وفعل لانهائي وأسرار إلهية حيث كشف المسيح عن مفهوم الخبز وعن جوهره الذي كان عند ملكيصادق مجرد خبز حنطة للبركة والتعضيد، فإذا به على يدي المسيح خبز نازل من السماء خبز حقيقي، فيه صفة الأليثيا[7]، جسد إلهي، مأكلٌ حقٌّ، الذي يأكل منه لا

(7) الأليثيا ¢l»qeia أي «الحق»، ومنها الحقيقي ¢lhqinÒj وهو الذي لا يتغيَّر ولا يفسد ولا يزول، وهي الكلمة المحببة لدى المسيح الذي كان يصف بها نفسه عندما كان يعطي تشبيهات مادية كالكرمة الحقيقية والنور الحقيقي والخبز الحقيقي، حتى يرفع الصفة المادية إلى مستوى الأليثيا (لا تتغيَّر، لا تفسد، ولا تزول، بالإضافة إلى صفاتها الطبيعية مثل سريان العصارة واتحاد الفرع بالأصل ...إلخ).

يموت، يثبت في الله، يحيا إلى الأبد، يقوم في اليوم الأخير.

ثم **كشف** المسيح أيضاً عن مفهوم الخمر الذي كان على يدي ملكيصادق مجرد خمر بركة يفيد التعضيد المستمر الزمني أي بمفهومه الدائم بالنسبة لإبراهيم ولنسله؛ فإذا به على يدي المسيح يُستعلن جوهره الحقيقي: «دم» دم ابن الله، حيّ بروح أزلي، دم ذبيحة قُدِّمت بحسب المشورة الإلهية منذ الأزل (لا بداية أيام لها)، وهي باقية أمام الآب تكفِّر عن خطايا الخطاة وتشفع في المذنبين «إلى التمام» إلى الأبد (لا نهاية أيام له) «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد ... يُعطَى لمغفرة الخطايا، وحياةً أبديةً لكل مَنْ يتناول منه»

وهكذا نرى أن المسيح بتقديمه تقدمة ملكيصادق نفسها، أي الخبز والخمر، أراد أن يُلفت أنظارنا إلى شخصه أولاً ثم إلى الأسرار الكثيرة والمزدحمة في هذه التقدمة، لنأخذ كل قيمتها الروحية من نموذجها الأول عند ملكيصادق ونُضيف إليها ما استعُلن في شخص المسيح وبواسطته!!

ولكن لم نُعدم شارحاً بارعاً يخوض في مجال هذه العلاقة السرية المبدعة بين ملكيصادق والمسيح وتقدمة كل منهما. فعن أفضلية ذبيحة ملكيصادق على الذبائح الموسوية يقول العلاَّمة الأسقف يوسابيوس القيصري أنه ولو أن الذبائح الموسوية عند اليهود كانت تُحتسب أنها خطوة نحو الإعداد وسبق تصوُّر لما سيكون عليه العهد الجديد، غير أنها تُعتبر في نفس الوقت نكوصاً وتقهقراً في المفهوم العام للكهنوت، لأن الكهنوت في إسرائيل التزام من جهة الذبائح الدموية أن يكون من اختصاص سبط واحد فقط فلا يقربه أحد من بقية الأسباط قاطبةً، في حين أن كهنوت ملكيصادق كان كهنوتاً عاماً (مسكونياً) لا يقتصر على حالة خاصة: [فملكيصادق لم يختاروه من بين الناس ولا دهنوه بزيت من صُنع البشر.][8]

ويعود يوسابيوس القيصري فيرى في النظام اليهودي الذي يلتزم بأن تكون العبادة والذبائح في مكان واحد محدد هو هيكل أورشليم أنه بجوار ما يشير إليه هذا النظام من وحدانية الله ممثَّلة في الهيكل الواحد المنظور، كذلك يمكن احتساب هذا النظام عينه قصوراً عن بلوغ مفهوم الملكوت الآتي الذي لا يحدُّه مكان، والذي رآه ملاخي النبي وصوَّره في ذبيحة جديدة تُقام في كل مكان: «في كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة.» (ملاخي 11:1)

(8) *Dem. Ev.* V, 3., PG XXII, 365, B-C.

ويقول يوسابيوس القيصري إن الآباء في الكنيسة يعودون إلى ملاخي النبي مراراً وتكراراً بالشرح والتعليق حول هذه الذبيحة التي يشير إليها ملاخي باعتبار أنها ما هي إلاَّ ذبيحة الإفخارستيا في العهد الجديد: [ذبيحة العهد الجديد التي تُقام في كل مكان](9). ثم يربط يوسابيوس القيصري بين ذبيحة ملكيصادق وذبيحة ملاخي النبي قائلاً: [ولأن ذبيحة ملكيصادق لم تكن محدَّدة بمكان فهي التي يقصدها «ملاخي النبي» أنها تُقام في كل مكان.](10)

ويعود يوسابيوس القيصري ليفحص هذه العلاقة السرية القائمة بين تقدمة كل من ملكيصادق والمسيح فيقول:

[وكما أن ذلك الذي كان محسوباً أنه كاهن الأمم «ملكيصادق» لم يظهر مستخدماً الذبائح الجسدية بل إنه منح البركة لإبراهيم في الخبز والخمر، كذلك وعلى نفس الطريقة صنع الرب يسوع، ثم من بعده هؤلاء الذين استمدوا منه كهنوتهم(11) في جميع أقطار الأمم يتممون جميعاً الذبيحة الروحانية بحسب قوانين الكنيسة مقدِّمين الخبز والخمر لاستعلان سر الجسد والدم، هذه التي سبق أن رآها ملكيصادق بالروح القدس لكي يخدم بالصورة والمثال الحقيقة الآتية.](12)

وهكذا ينتهي يوسابيوس القيصري إلى أن تقدمة ملكيصادق لإبراهيم كانت تقدمة أكثر روحانية من ذبائح اليهود الدموية.

ولكن إذا ألقينا نظرة أكثر عمقاً من نظرة يوسابيوس القيصري نجد أن المسيح بتقديمه **أولاً** تقدمة ملكيصادق، وبتقديمها **ثانياً** في زمن موسوي محدَّد هو وقت ذبح خروف الفصح، **وثالثاً** بكشف المسيح عن سر جوهر الخبز والخمر اللذين قدَّمهما باعتبارهما يحملان ذبيحة نفسه أي جسد حقيقي مكسور ودم حقيقي مسفوك عن العالم، بهذه الاتجاهات الثلاثة يكون قد جمع المسيح كل السر المتكدِّس في تقدمة ملكيصادق، وأضاف إليه كل السر المتكدِّس في ذبيحة خروف الفصح الموسوي بكل ظروفه الأولى ومعانيه الروحية العميقة، ثم أضاف إلى الطقسين وفي نفس الخبز والخمر سرَّه هو

(9) Ibid. I, 10.

(10) Ibid. I, 10.

(11) يقول الكاهن في قدَّاس القديس غريغوريوس وهو يشير إلى الإفخارستيا الموضوعة في الصينية والكأس: «أنت الذي أعطيتني هذه الخدمة المملوءة سرًّا»، هنا المسيح يُستعلن كواهب للكهنوت!!

(12) *Dem. Ev*, V, 3., PG XXII, 365 B-C.

كابن الله المتجسِّد الذي قدَّم نفسه ذبيحةً على الصليب "عن (لأجل) خلاص العالم" كله: «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم ... هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي» (1كو 11: 24و25)، «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين!!!» (مت 26:28)

إذاً، ففي سر الإفخارستيا الذي أسَّسه المسيح مساء الخميس وفي مادتيه السريتين المتحولتين، تتجمع كافة الذبائح بكل قيمها الروحية مضافاً إليها سر المسيح كابن الله وككاهن أعظم للعالم كله!! وهكذا تكمل في المسيح كل عبادة، وكل ذبيحة وكل عهد، وكل توسط بين الله والناس، في كل العصور، وعلى المستوى الكلي، فهو البداية والنهاية لكل علاقة تربط الإنسان بالله والله بالإنسان. أمَّا هذه العلاقة بكل أسرارها العميقة التي استعلنها المسيح في نفسه فقد استودعها جميعاً في سر الإفخارستيا: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي.» (يو 57:6)

2 ـ الإفخارستيا
والمن السماوي «خبز الخروج»

معروف أن الخروج ـ أي خروج بني إسرائيل من مصر ـ يبدأ بمعمودية إجبارية «جميعهم اعتمدوا ...» (1كو 2:10)

وهكذا تقف هذه المعمودية في البحر، ثم بعدها تفجُّر الماء من الصخرة، ثم نزول المن سرًّا من السماء دون أن يراه أحد، تقف كأسرار Sacraments تسبق وتتصوَّر فيها كل أسرار العهد الجديد.

وبولس الرسول، وهو إمام الرائين لهذه الأمور السرية التي حدثت كلها من أجلنا حسب إيمانه الحق، يُعتبر أول مَنْ كشف عن السر المخفي والمكتوم منذ الدهور في هذه الحوادث السرية جداً والتي بقيت في طيِّ الكتمان مخفية عن الأذهان هذه الأجيال كلها حتى استعلنها وترجمها بوضوح هذا الرائي الملهَم الحاد البصر!

ويجيء القديس يوحنا ذهبي الفم ويطابق بين هذه وتلك، إنما في أسلوب مبسَّط، لأن السامعين هم موعوظون مبتدئون، فيقول:

[بولس الرسول يقول: إن جميعهم شربوا شراباً روحياً واحداً (وذلك بعد أن خرجوا من البحر الأحمر)، وهكذا أنتم أيضاً بعدما خرجتم من جرن المعمودية أسرعتم إلى المائدة المقدَّسة، فكما أكلتم أنتم «الجسد المقدَّس» أكلوا هم المن من المائدة العجيبة، وكما شربتم أنتم من الشراب السري، الدم الفادي، كذلك هم أيضاً شربوا شراباً عجيباً تفجَّر لهم من الصخرة ماءً يجري بغزارة من صخرة صلبة وفي مكان قفر ليس به ماء!][13]

وهكذا يبدو أن الإلهام الذي عاش فيه الآباء الأوائل كان يتركز بشدة حول أسرار الخروج التي اعتبروها أساساً متيناً يمكن أن يبنوا فوقه كل تعاليمهم حول أسرار العهد الجديد، وكان المن السماوي والماء المتفجِّر من الصخرة هما المادتين السرائريتين اللتين طالما تصوروا فيهما خبز وخمر الإفخارستيا التي للعهد الجديد.

(13) PG LI, 247 AC.

أمَّا من جهة المن فبالرغم من أن التقليد الإسكندري، من كلمندس حتى أُوريجانوس، اكتفى بالإشارة إلى أن المن يرمز فقط إلى كلمة الله «اللوغس» وأسموه المن العقلي، آخذين ذلك عن فيلو الفيلسوف اليهودي، إلاَّ أن كلاً من كبريانوس[14] وأمبروسيوس أشار في تعليمه بوضوح إلى أن المن هو المثال أو التصوير النموذجي *Typos* في العهد القديم للجسد المقدَّس المأكول في خبز الإفخارستيا في العهد الجديد.

فكما نجح القديس أمبروسيوس في التدليل على أن سر إفخارستيا المسيحيين هي أقدم من كل أسرار اليهود مستخدماً نموذجها عند ملكيصادق، يعود فيتخذ المن كنموذج *Typos* للإفخارستيا أساساً آخر ليثبت به فعالية أسرار المسيحيين أكثر من أسرار اليهود فيقول:

[إن المنَّ كان معجزة كبيرة عندما أمطره الله من السماء على آبائنا الأولين، لقد تولَّت السماء تغذية الشعب يومياً بالطعام كما هو مكتوب: «وأكل الإنسان خبز الملائكة» (مز 25:75). ولكن بالرغم من ذلك فكل الذين أكلوا هذا الخبز ماتوا، أمَّا هذا الطعام الذي تتناولونه الآن « جسد المسيح» فهو الخبز الحقيقي النازل من السماء الذي يمدُّكم بجوهر الحياة الأبدية لأنه جسد المسيح. فكما أن النور أعظم من الظل والحقيقة أقوى من المثال، هكذا جسد الخالق أعظم من المنِّ الذي نزل من السماء.][15]

وهكذا نجد أن القديس أمبروسيوس أشار بوضوح إلى "**التماثل الحقيقي**" القائم بين المن والإفخارستيا باحتساب أن الإفخارستيا هي أعلى من المنِّ كمثيل أو شبيه، ولكن هذا التفاضل أو التسامي للإفخارستيا على المنِّ لا يعني أن المنَّ في العهد القديم كان مجرد خبز فاقد لصفة القداسة، بل كان في الحقيقة **سرًّا حقيقياً مقدَّساً**.

أمَّا ارتفاع قيمة المنِّ كسرٍّ حقيقي من أسرار العهد القديم فيوضحه القديس أغسطينوس هكذا:

[إن المنَّ قديماً يشير إلى خبز الإفخارستيا، والمذبح قديماً يشير أيضاً إلى خبز الإفخارستيا، وهذه ـ أي المنّ ومذبح الله في القديم ـ كانت في الحقيقة أسراراً ... الظهور يختلف ولكن الحقيقة واحدة، فالتغذية تختلف من حيث الجسد: هم أكلوا منًّا ونحن نأكل شيئاً آخر، غير أن التغذية الروحية كانت واحدة لهم كما لنا.][16]

وفي الحقيقة إن اعتبار المنِّ والماء الذي من الصخرة أسراراً فائقة مثيلة لأسرار العهد الجديد ليس

---

(14) Cyprian, *Epist*. LXVIII.
(15) *De Myst*. 46.
(16) *Tract. John*, XXVI, 6, 12.

من اجتهاد القديس أمبروسيوس أو القديس أغسطينوس، فالقديس بولس الرسول أوضحها في رسالته الأُولى إلى كورنثوس بكلام استعلاني عجيب:

+ «جميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً **لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيةٍ تابعتهم، والصخرة كانت المسيح.**» (1كو 10: 3و4)

وبعد هذا التصريح الخطير للقديس بولس الرسول بأن الصخرة التي كانوا يشربون منها **كانت صخرة روحية**، وأنها **تابعتهم** في تنقلاتهم، يعود بولس الرسول فيبلغ القمة في كشفه لخفايا أسرار العهد القديم حينما يقول: «**والصخرة كانت المسيح**»**!** ــ مع ملاحظة أنه لم يقل إن الصخرة كانت تمثِّل المسيح ولا كانت رمزاً للمسيح، بل **كانت المسيح**.

والملاحَظ أنه في نفس الأصحاح الذي يتكلَّم فيه بولس الرسول عن المنِّ كطعام روحي والماء الذي خرج من الصخرة كشراب روحي، والذي فيه أشار إلى العقاب الخطير الذي حلَّ بشعب إسرائيل بسبب عبادتهم للوثن وبسبب زناهم وتذمرهم بعد أن ذاقوا الطعام الروحي والشراب الروحي؛ في نفس هذا الأصحاح يعود ويطبِّق هذا في الحال على سر الجسد والدم الإلهي فيقول:

+ «أقول كما للحكماء احكموا أنتم في ما أقول: كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ ... لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شياطين (أي ما ذُبح للأوثان).» (1كو 10: 15و16و21)

ويعود أيضاً في موضع آخر ويطبِّق كل ما حصل لشعب إسرائيل على الذين يأكلون ويشربون من جسد المسيح ودمه بدون استحقاق في أنهم يمرضون ويقعون تحت نفس العقاب والدينونة التي وقع فيها شعب إسرائيل، الذي بعد أن أكل وشرب من الطعام الروحي والماء الروحي قام للّعب والزنى فوقع منهم 23 ألفاً بيد الرب في يوم واحد**!!**

كل هذا يُظهر بغاية الوضوح تكامل مفهوم السر عند بولس الرسول فيما يختص بالمنِّ وبالماء في العهد القديم، وليس الماء فقط محسوباً أنه شراب روحاني **بل والصخرة نفسها التي كان ينبع منها الماء كانت عند القديس بولس تحمل سر حضرة المسيح ووجوده الفعلي**[17] .

(17) الذي ينتبه إلى هذا الكلام لا يندهش من إصرار القديس أثناسيوس في توقيره الفائق للمذبح (المائدة) الذي تُقام عليه الإفخارستيا، إذ يحسبه بعد التقديس والتكريس وإقامة الذبيحة وحلول «الكلمة» عليه أنه أصبح «روحانياً» له هيبة ووقار، والاستهانة به أو بخدمته أمر يستوجب العقاب.

كل هذا يضعنا في إحساس رهيب بخصوص أسرار العهد القديم وعلو شأنها، بالرغم من أنها كانت جسدية وكانت صورتها الخارجية عادية لا توحي بروحانيتها، ولكن بولس الرسول ينبِّه ذهننا إلى أنها كانت تطابق، في مفهومها وفعلها وأثرها الرجعي على المخالفين، كلَّ شروط الأسرار في مفهومنا الآن، مع كل رهبتها المخيفة.

كل هذا أيضاً لم يفُت على القديس بولس أن يوضِّحه لنا، فهو بعد هذا الكلام مباشرة، يعود فيحذِّر أن الذين أكلوا من المن السمائي (الطعام الروحي) والذين شربوا من الصخرة (الشراب الروحي) باستهتار أو بعدم إيمان أو بغير استعداد للتوبة هلكوا:

+ «لكن بأكثرهم لم يسرَّ الله لأنهم طُرحوا في القفر.» (1كو 10:5)
+ «...الذين أخطأوا الذين جثثهم سقطت في القفر، ولمِنْ أقسم لن يدخلوا راحته إلاَّ للذين لم يطيعوا، فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الإيمان.» (عب 3: 17-19)

ثم يعود بولس الرسول ويطابق مطابقة شاملة بين الأسرار في القديم وفعلها الرجعي على المخالفين، وبين الأسرار في الحاضر وفعلها الرجعي في المخالفين في مواضع كثيرة ننتخب منها هذه الآيات:

المثل في القديم:

+ «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، **وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً**؛ لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيةٍ تابعتهم والصخرة كانت المسيح. لكن بأكثرهم لم يسرَّ الله لأنهم طُرحوا في القفر. وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا حتى **لا نكون نحن مشتهين شروراً** كما اشتهى أولئك ...، **ولا نَزْنِ** كما زنى أُناسٌ منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً، **ولا نجرِّب** المسيح كما جرَّب أيضاً أُناس منهم فأهلكتهم الحيات، **ولا تتذمروا** كما تذمَّر أيضاً أُناس منهم فأهلكهم المهلك. **فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا** نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. (لاحِظ هنا أن القديس بولس رأى آخر عهود القديم وأول العهد الجديد). إذاً، مَنْ يظنُّ أنه قائم فلينظر أن لا يسقط.» (1كو 10: 1-12)

يُلاحَظ أن هذه المصائب كلها حدثت كتأديب وقصاص سريع تلقائي للذين أكلوا الطعام الروحي وشربوا الشراب الروحي ثم خالفوا وعصوا وصايا الله. أي أن بولس الرسول يشير إلى أن هذه التأديبات الصارمة هي عقاب حتمي للذين يشتركون في الطعام الروحي والشراب الروحي ولا

يسلكون بالروح بل حسب شهوة الجسد.

ثم يعود القديس بولس الرسول ويقدِّم التطبيق في العهد الجديد:

+ «لأننا جميعنا بروحٍ واحدٍ **أيضاً** اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ ... وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (1كو 13:12)

+ «إذاً أيُّ مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس، **لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونةً لنفسه غير مميِّزٍ جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون** ...، **لا تجتمعوا للدينونة.**» (1كو 11: 27-34)

والذي نستفيده من هذا التطبيق الذي استعلنه بولس الرسول بنعمة فائقة بين المنِّ وماء الصخرة من جهة وبين جسد ودم المسيح من الجهة الأخرى، هو استيضاح صورة الأسرار هنا في الإفخارستيا ورهبتها المخيفة خصوصاً بالنسبة لعدم الاستحقاق أو المخالفة، وذلك بحسب ما تمَّ في العهد القديم على المخالفين. فإن كان المنُّ الذي كان يأكله كل الشعب كل يوم بدون صلاة أو تقديس، وإذا كان الماء الذي يشربونه من الصخرة طول النهار، لم يكن مجرَّد طعام ساذج ولا شراب عادي مع أنه كان حسب الظاهر لقوام الجسد، بل اعتُبر طعاماً روحياً وشراباً روحياً يحتاج إلى حياة إيمان وطاعة وعفة وتسليم وشكر[18] وإلاَّ يصبح هذا الطعام والشراب وبالاً وخراباً للمخالفين وعلَّة موت أكيد؛ فكم يا تُرى يصير جسد المسيح ودم المسيح بالنسبة للمتناولين منه؟

هذا هو خُلاصة إيمان العهد الجديد فيما يختص بخطورة الأسرار ورهبتها بحسب بولس الرسول:

+ «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة، فكم عقاباً أشر تظنون يُحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة.» (عب 10: 28و29)

(18) يلاحَظ هنا كيف أن الله أسس في أعماق وجدان الشعب قدسية الأكل والشرب منذ بدء تعليمهم، وفي أول مراحل إقامة العلاقات التي تربطهم بالله والسماء، باعتبار أن الطعام (المنّ) والشراب (الماء الخارج من الصخرة) هما دائماً أبداً من عطايا الله بالنسبة للشعب السائر وراء الله، وهكذا سوف نرى في الفصول القادمة أنه قد تأسس بالفعل في عمق العبادة اليهودية **أن كل أكل وكل شرب يدخلان في صميم طقس العبادة.**

ولكن إذ نستمر في المطابقة بين المن السمائي وبين خبز الإفخارستيا نجد أوجه المماثلة تمتد أيضاً بحسب واقع الكتاب المقدَّس فتشمل:

أولاً: التعميم:

فكل شعب إسرائيل أُعطي أن يأكل المن، هكذا نجد في سر الإفخارستيا كيف أن المسيح يوضِّح عمومية هذا السر بنوع الأمر والهبة في آنٍ واحدٍ: «خذوا كلوا منه **كلكم**، خذوا اشربوا منه **كلكم**.» (انظر: مت 26: 26و27)

ثانياً: التكرار:

فالمن يؤكل كل يوم، والإفخارستيا تُقدَّم باستمرار: «كلما أكلتم ...» (1كو 11:26). **وهنا صفة التكرار لسر الإفخارستيا تأخذ ملامحها السرية من نزول المن من السماء كل يوم باعتباره طعاماً لقوام الحياة** «**خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم**»، وهذا ما يميز الإفخارستيا عن المعمودية التي لا تُمنح إلاَّ مرَّة واحدة في الحياة، كما خرج شعب إسرائيل من مصر مرَّة واحدة فقط وعبروا البحر الأحمر تحت سحابة الله مرَّة واحدة فقط في حياتهم لم تتكرر قط.

ثالثاً: الأُخروية أو طعام للمستقبل الدائم:

لقد أعطى اليهود، قبل زمن المسيح، بواسطة الربيين الملهمين صفة الإسخاتولوجية ـ أي الحياة الأُخروية ـ للمنّ، فيقول التلمود هكذا:

[فكما أن الله أطعم شعبه أثناء الخروج من المنِّ كطعام إعجازي مدهش، فهو عتيد أيضاً أن يُطعم الشعب في آخر الأيام في خروجهم العتيد أن يكمِّلوه.][19]

ولقد ظل هذا التعبير الإسخاتولوجي أي الأُخروي يُنسب للمنِّ كطعام للحياة المستقبلة حتى تسجَّل في سفر الرؤيا ليوحنا الرسول: «مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من المنِّ المخفَى» (رؤ 2:17). وقد وضع الكتاب المقدَّس المنَّ على مستوى شجرة الحياة التي في وسط الفردوس عندما قال يوحنا الرسول أيضاً: «مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله.» (رؤ 2:7)

وهنا ـ أي في سفر الرؤيا ـ يُعتبر المنُّ استعلاناً مجدَّداً لهذا السر القديم يشرح كيفية الاشتراك اليومي أي الدائم في بركات وإنعامات الله في الحياة الآتية، أي في الملكوت الآتي، حيث المنُّ هنا

(19) Foote - Moore, *Judaism*, II, p. 367, cited by Danielou, *op. cit.*, p. 150.

يُستعلن كطعام للحياة الأبدية.

ولكن المعروف أن الإفخارستيا ـ أي جسد المسيح ودمه ـ هما **طعام الحياة الأبدية**: «الخبز الحي الذي نزل من السماء» (يو 51:6) حسب قول المسيح: «آباؤكم أكلوا المنَّ في البرية وماتوا. مَنْ يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد» (يو 6: 49و58)، «الخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو 51:6)، أي أن الإفخارستيا هي في الحقيقة المنُّ الحقيقي، الطعام الإسخاتولوجي للحياة المستقبلة، طعام الحياة الدائمة أو الأبدية الذي كان المنُّ في سيناء مجرد مثال له وجاءت الإفخارستيا وأكملت تحقيقه وكشفت السر المخفى فيه.

ومن هنا يتضح أن الإسخاتولوجية ـ أي صفة الأُخروية التي تلازم كلاًّ من المنّ والإفخارستيا كطعام الحياة الآتية، جعلت التطابق بينهما شيئاً بديعاً لا ينتهي!

3 ــ الإفخارستيا
والماء النابع من صخرة حوريب

الذي لا يدقق في مواقف المسيح وتصريحاته في الإنجيل يستغرب جد الاستغراب من قول بولس الرسول في رسالته الأُولى لكورنثوس: «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحيةٍ تابعتهم والصخرة كانت المسيح» (1كو 10: 1ـ4). من أين أتى الرسول بهذا الاستعلان العجيب أن الصخرة كانت المسيح؟؟

يخبرنا إنجيل يوحنا في الأصحاح السابع عن عيد المظال، وبالأخص اليوم الأخير منه، كيف وقف يسوع ونادى قائلاً: «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب» (يو 37:7). فما قصة هذا القول؟

كان من أبدع طقوس اليوم الأخير في عيد المظال أن يسير رئيس الكهنة مع فرقة من اللاويين حاملين جرَّة من الفضة الخالصة ـ وكانت سابقاً من الفخار ـ يملأونها ماءً من بركة سلوام ويتقدمون نحو الهيكل وهم يرددون المزمور الخاص بإعالة إسرائيل في البرية وقصة خروج الماء من الصخرة في جبل حوريب، وكيف ظل يرتوي الشعب العطشان من هذه الصخرة أربعين سنة.

وفي أثناء مرور هذا الموكب التقليدي ويسوع واقف في الهيكل، وبمجرد تفريغ الجرَّة المحلاَّة بالفضة على المذبح (وكسرها على المذبح حتى يتفجَّر الماء منها إذا كانت من الفخار)، نادى يسوع قائلاً: «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب ... مَنْ آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي.» (يو 7: 37و38)

كانت هنا الإشارة في هذه المناسبة شديدة الوضوح، كاد المسيح يقول فيها: «أنا هو صخرة حوريب. أنا الذي سقيت آباءكم في البرية أربعين سنة ماءً حيًّا، تعالوا إليَّ، آمنوا بي حتى تستقوا مني لا ماءً يروي العطش بعد بل ماء من جنبي المطعون، ماء فيه الحياة، فيه الروح القدس الذي إن أخذتموه يظل ينبع في أعماقكم ويخرج من بطونكم أنهار ماء حي»

وكان قول المسيح هذا وفي هذه المناسبة بالذات شديد الوطأة على رؤساء الكهنة والفريسيين حتى إنهم أرسلوا ليقبضوا عليه!!! لأن قوله هذا كان تحدِّياً لطقوس الهيكل بل إلغاءً لمفهومها التقليدي القديم، فالصخرة ليست ـ كما ظنوا ـ تاريخية بل روحية، والماء لم يكن مجرد ماء من صخرة حوريب للذكرى والطقس، بل روحاً نابعاً من صخر الدهور، سقى الآباء ولا يزال وسيظل حتى إلى الأبد يسقي كل الآتين إليه!!

هذا كله التقطه بولس الرسول بروحه الشفافة وترجمه بأسلوبه السري، فأعطانا صورة سرائرية عجيبة لماء حوريب «شراباً روحياً» !! وإسماً حبيباً رهيباً للصخرة التي أنبعته!! «**والصخرة كانت المسيح**»!!

وأمَّا بولس الرسول فكان بقوله هذا مُلهِماً للآباء في الكنيسة منذ البدء الذين أخذوا يطبِّقون سر الماء النابع من صخرة حوريب المضروبة، على سر الماء النابع من جنب المسيح المطعون، مع سر الماء الممزوج في خمر الإفخارستيا. وهنا القول للقديس أمبروسيوس:

[الماء نَبَعَ من الصخرة لليهود؛ والدم نَبَعَ لكم من المسيح. الماء روى عطشهم ساعة؛ والدم يطفيء عطشكم إلى الأبد. فاليهود شربوا وعادوا عطاشى؛ أمَّا أنتم فإذا شربتم فلن تعطشوا أبداً. ذاك كان مثالاً؛ وهذا هو الحقيقة. فإذا كان المثال هكذا يظهر لكم عجيباً فكم تكون الحقيقة التي مِثَالها أنتم توقرونه هكذا!!]

وأيضاً الكلام هنا للقديس أمبروسيوس:

[هم شربوا من **الصخرة الروحية** التي كانت ترافقهم، وهذه الصخرة كانت المسيح، اشربوا أنتم أيضاً حتى يرافقكم المسيح. انظر السرَّ: موسى كان هو النبي؛ والعصا ـ التي ضرب بها الصخرة ـ كانت هي كلمة الله. والماء تفجَّر وشعب الله ارتوى؛ هكذا الكاهن يقرع (بالصلاة) **فيتفجَّر ماء الحياة داخل الكأس** لحياة أبدية.][20]

ثم يأتي القديس أغسطينوس ويتبع في استعلانه كلام بولس الرسول:

[وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً، غير أنهم شربوا بحسب المحسوس الظاهري نوعاً ونحن نشرب نوعاً آخر، الاختلاف هنا في الظاهر أمَّا بحسب القوة الخفية فكلاهما يشيران إلى نفس الشيء. لأن الصخرة كانت المسيح.][21]

(20) *De Myst.*, V.4.

(21) *Tract. John*, XXVI. 6, 12.

4 – الإفخارستيا وخروف الفصح

ما معنى الفصح؟

إن الترجمة التي اعتمد عليها آباء الكنيسة في شرحهم للفصح تتجه اتجاهين متقاربين:

الاتجاه الأول: ويعني به «العبور في diabasis di£basij» وينصبُّ هذا الاتجاه في الشرح على **عبور** بني إسرائيل **في** البحر الأحمر.

والاتجاه الثاني: عند بعض الآباء كان يعني «العبور على hyperbasis Øpšrbasij» وينصبُّ الشرح حينئذ على عبور الملاك المهلك **على البيوت** التي أخذت علامة دم الخروف دون أن يصيب الابن البكر فيها. ولذلك سُمِّي الخروف بخروف «**الفصح**»، أي الذي بواسطة دمه يعبر الملاك المهلك. وهذا الاتجاه الأخير هو السائد عند الآباء الذين أولوا الموضوع اهتماماً وعمقاً لاهوتياً، وهو أيضاً بحسب التدقيق اللغوي الأقرب إلى معنى الكلمة الحقيقي.

والآن من الواضح أن عبور الملاك المهلك على البيوت التي أخذت علامة الدم دون أن يصيب الابن البكر فيها، هو مَثَل بارع لتصوير مفهوم الفداء عملياً.

وأمَّا التطبيق اللاهوتي الذي يقصده الكتاب المقدَّس من هذا المثل فهو أن الحكم بالهلاك صادر تلقائياً ودائماً ضد العالم بسبب الخطيئة التي سادت فيه وعليه، ولكن الله قام بعملية فداء عظمى تغطِّي كل الأجيال في كل الدهور وتشمل الذين يقبلون دم المسيح كعلامة خلاص، وهذا الدم إذ يلزم أن يكون موجوداً باستمرار وفي كل مكان وزمان، قدَّمه الله من عنده بروح أزلي ثم استودعه في سرِّ الكنيسة، أي سر الإفخارستيا، مجاناً؛ ولو أن سر المعمودية لا يخلو أيضاً من تعبير عن هذا الفداء والعبور أي الفصح، فعندما يُدفن الشخص في الماء يكون كمَنْ مات (تعبيراً عن الطوفان)، ثم عندما يقوم من الماء يُدهن بزيت الميرون بعلامة الصليب (دم المسيح) فيكون قد نجا بالصليب وقَبِلَ الفداء بدم المسيح كعلامة حتى لا يموت مع العالم.

ولقد انحدر إلينا التقليد التفسيري بخصوص هذا الموضوع مبكراً جداً منذ أيام القديس يوستين الشهيد، إذ يقول:

[إن الذين خلصوا من شعب إسرائيل في مصر إنما خلصوا بدم الفصح الذي مَسحوا به قوائم أبوابهم وأعتابها، «**لأن» الفصح كان المسيح** الذي ذُبح فيما بعد**!!** فكما أن دم الفصح

خلَّص الذين كانوا في مصر، هكذا دم المسيح يقي (يحفظ) من الموت الذين يؤمنون به. ولكن هل هذا يعني أنه إذا لم تكن هذه العلامة موجودة على الأبواب كان الله يُخطىء في معرفة (الذين له)، كلاَّ ولكن هذه العلامة ـ أي الصليب[22] ـ كانت استعلاناً مُسْبَقاً عن الخلاص الذي سيتم بدم المسيح الذي به يخلِّص جميع الخطاة في كل الأمم عندما يقبلون الفصح عن خطاياهم ولا يعودون يخطئون.][23]

هنا يتركَّز تعليم القديس يوستين (وهو تقليد سبق أن انحدر إليه أيضاً) أن الذي خلَّص شعب إسرائيل في مصر وفداهم من ضربة الملاك المهلك هو سر دم المسيح الذي رُسم على الأبواب كعلامة الصليب، أمَّا دم الخروف فكان هو الظاهر من هذا السر. وهذا واضح في قوله: «**لأن الفصح كان المسيح الذي ذُبح فيما بعد**»، بل وذُبح في مصر بحسب سفر الرؤيا (رؤ 11 : 8).

وهكذا يتجه جميع الآباء فيما بعد في هذا الاتجاه السرائري التقليدي فيما يختص بدم خروف الفصح، وبوضوح شديد يسلِّمنا هيبوليتس أسقف روما نفس هذا التقليد في عظته الفصحية:

[إن الدم (دم خروف الفصح) عندما مُسح به كعلامةٍ صار هو السر ***Mysterion*** القائم في ختم دم المسيح، نعم إن هذه العلامة لم تكن هي ذات الحقيقة بعد ولكنها مثال ***Typos*** للحقيقة الآتية: إن كل الذين يأخذون هذا الدم ينطبع على نفوسهم كما حدث وانطبع على بيوت اليهود عندما مُسحوا به كأمر الناموس، فكل الذين (أخذوا هذه المسحة) يعبر عنهم الهلاك.

فالدم كعلامة هو للخلاص، كما كانت على البيوت كذلك على النفوس، لأن النفوس بالإيمان وبالروح القدس ما هي إلاَّ بيوت (هياكل) مقدَّسة. هذا هو سر Sacrament *Mysterion* البصخة (الفصح) العامة للعالم كله!!][24]

ونلاحظ في كلام هيبوليتس لاهوتاً فصحياً بمعنى الكلمة يسير في خط سرائري مُبدع، فدم المسيح حينما ينطبع على النفس البشرية كعلامة صليب تتقدَّس النفس: [وعلامة الصليب بدم المسيح لا يمكن أن تتم كختم دموي على النفس إلاَّ بالمعمودية والإفخارستيا معاً، ففي المعمودية نأخذ علامة الصليب فقط، وفي الإفخارستيا تمتليء هذه العلامة بالدم المحيي!!!].

(22) T. مسح القائمتين والعتبة العليا بدم خروف الفصح يفسره الآباء بأنه برسم الصليب

(23) *Dial.* CXI, 4.

(24) *Paschal Homily*, SC 27, 143.

وقد أسمى هيبوليتس ختم الصليب بدم المسيح الذي ينطبع على النفس باسم «سر البصخة» أو «السر الفصحي Paschal Mystery» الذي يُفيد عبور الهلاك عن النفس، الذي يسري الآن في العالم كله وفي النفوس المقدَّسة، فأصبح سرَّ العالم الفصحي.

ونأتي الآن إلى تعبيرات القديس كيرلس الأُورشليمي للموعوظين ببساطتها ووضوحها:

[لقد أرسل الله موسى لكي يخلِّص شعب إسرائيل من عبودية المصريين، فأمرهم أن يمسحوا أعتاب أبوابهم العليا وقوائمها بدم الخروف حتى يعبر المهلك متجاوزاً هذه البيوت التي عليها علامة الدم، والآن نترك القديم ونأتي إلى الجديد، من المثال *Typos* نأتي إلى الحقيقة. فهناك أرسل الله موسى إلى مصر؛ وهنا نجد الله يرسل المسيح إلى العالم. هناك كانت رسالة موسى أن يخلِّص الشعب المضطهَد من مصر؛ وهنا الرسالة أن ينقذ المسيح الناس الذين طغاهم العالم واستعبدهم بالخطية. هناك دم الخروف أَبْعَدَ المهلك؛ وهنا دم الحمل الحقيقي يسوع المسيح يجعل الشياطين تهرب منَّا.][(25)]

ويذكر هذا الموضوع القديس غريغوريوس النزينزي في دفاعه عن معمودية ومناولة الأطفال الصغار بقوله:

[إنه من الأفضل أن يعتمد الطفل وهو غير مدرك للعماد من أن يموت وهو لم يأخذ الختم والانفتاح، ولنا في الختان القديم برهان على ذلك، فهو كان يُجرَى على الأطفال في يومهم الثامن الذي هو مثال ختم المعمودية. وأيضاً نجد البرهان على ذلك في مسح أعتاب وقوائم الأبواب (في مصر) بالدم، الإجراء الذي حفظ أبكار بني إسرائيل وهو قائمٌ على حقيقة كانوا يجهلونها.][(26)]

والقديس كيرلس الإسكندري يقول في مقاله الملقَّب بـ"العبادة"، وذلك في معرض حديثه عن عيد الفصح:

[إن رش الدم يخلِّص الذين يُمسحون به، هذه حقيقة مُثْبَتةٌ في الكتاب المقدَّس حينما أمر أن مداخل البيوت ـ يلزم أن تُمسح بالدم، هكذا سر المسيح Sacrament فإنه يمنع دخول الموت، بل ويجعل الموت عديم القدرة بالنسبة لِمَنْ يتقبَّله (في المعمودية والإفخارستيا)، فلهذا إذ قد مُسحنا بالدم المقدَّس نصير أقوى من الموت ونزدري بالفساد.][(27)]

---

(25) *Catech*. PG XXXIII, 1068, A.

(26) *Or.* 40:28.

(27) *De Adoratione*, PG LXVIII, 1069, A.

ويعود أيضاً القديس كيرلس الإسكندري مشيراً إلى قوة الأسرار قديماً في دم خروف الفصح وأنها لم تتناقص، غير أنه يطابق مسح أعتاب الأبواب وقوائمها بدم خروف الفصح على ختم المعمودية:

[وما فعله دم خروف الفصح مع اليهود، هذا تفعله المعمودية الآن مع المسيحيين لأن مفعول هذه الأسرار لا يمكن أن يتناقص.][28]

وفي عظة منسوبة للقديس يوحنا ذهبي الفم تحمل طابع القديس كيرلس الإسكندري التقليدي نجد الإشارة واضحة إلى فعل الدم الإلهي فينا تطبيقاً لفعل خروف الفصح قديماً:

[لأنه لا وسيلة لنا الآن أن ننجو من الملاك المهلك إلاَّ بالدم الإلهي الذي بمحبته سكبه من أجلنا، وبهذا الدم نحصل على الروح القدس، لأن الدم والروح هما على صلة حتى إننا بالدم الذي من طبيعتنا نحصل على الروح الذي ليس من طبيعتنا، وبهذا ينغلق باب الموت بالنسبة لنفوسنا، هذا هو ختم الدم.][29]

وبهذا القول المركَّز نجد أمامنا منهجاً منسجماً في اللاهوت السرائري فيما يختص بالعماد والإفخارستيا معاً ممثَّليْن في دم خروف الفصح: فكل مَنْ يأخذ المسحة المقدَّسة في المعمودية بعلامة الصليب على الجبهة يكون قد حصل على ختم الدم الإلهي، الذي هو استعلان لسرِّ مسح دم خروف الفصح على أبواب بيوت شعب الله. وهذا الختم الإلهي يبدأ في الحال يفعل فعله الخفي، فهو أمام الله علامة انعتاق من الهلاك، ولأن هذا الختم يكمُل بالدم الإلهي بصورة غير منظورة في سرِّ الإفخارستيا، فإنه يكون واسطة لانسكاب الروح القدس في الحال الذي يجعل هذا الختم روحياً وأبدياً، ولأن كل مَنْ يحصل على الروح القدس لا يبقى بعد تحت سلطان الموت.

هكذا يصير دم المسيح عبوراً على الموت وقيامة في الحياة الأبدية.

الإفخارستيا وأكل خروف الفصح:

والآن نأتي إلى موضوع «أكل خروف الفصح» باعتباره «وليمة الفصح» وما تحمله من معانٍ سرائرية تتصل بالإفخارستيا اتصالاً وثيقاً، وكانت موضع تأملات محبَّبة لدى الآباء في كل زمان.

وينبغي لنا أن نشير هنا إلى أن «أكل الفصح» كان يُعتبر قبل زمن المسيح لدى كافة اليهود، وبالأخص الربيين وكل شارحي التوراة، أنه مثال ***Typos*** للملكوت الآتي، وأنه وليمة المسيا الآتي!!

(28) Ibid. 897.

(29) Pseudo Chrys., *Paschal Hom*. PG LIX, 726.

فكان اليهود يحتفظون دائماً أثناء أداء طقس الفصح ـ أي أثناء أكل خروف الفصح كل عام ـ يحتفظون بتذكار حي للفداء الذي تممه الله لهم قديماً، وفي قلوبهم ـ في نفس الوقت ـ آمال قوية في فداءٍ آتٍ يكمِّل حقيقة الفداء الأول!

ونجد في كلام المسيح ما يشير بوضوح إلى هذه الحقيقة:

+ «شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم، لأني أقول لكم: إني لا آكل منه بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله.» (لو 22: 15و16)

إذاً، فوليمة الفصح ممتدة إلى الدهر الآتي حيث يُستكمل استعلانها في ملكوت الله!!

ومن هذا يتبيَّن أن الفصح الذي أكله المسيح مع تلاميذه قبل الآلام له أيضاً امتداد في وليمةٍ آتية، وليمة المسيا في ملكوت الآب، التي يدعو المسيح إليها منذ الآن خواصه القديسين.

ولكن ما هو وضع الإفخارستيا هنا في هذا الدهر؟

هنا الإفخارستيا تقف كمرحلة تهيِّيء وتعدُّ المؤمنين ليكونوا من خواصه، من لحمه ودمه، ليكونوا من مدعويه في وليمته السمائية في عشاء عرس الخروف. فالإفخارستيا تقف بين وليمة الفصح في العهد القديم وبين وليمة المسيح في الدهر الآتي في ملكوت الآب، فبالنسبة لوليمة الفصح القديم هي استعلان حقيقي له كسرِّ النجاة والخلاص والفداء.

فالإفخارستيا هي سر الفصح الجديد للعالم كله، سر الفداء والخلاص الذي أُكمِل، والذي يؤكل فيه جسد ودم المخلِّص والفادي. أمَّا بالنسبة لوليمة المسيح في الدهر الآتي في ملكوت الآب، فالإفخارستيا هي استعلان مُسْبَقٌ لها، وسَبْقُ تَذَوُّقٍ، ونوالُ عربونٍ والحصول على شركة مع العريس منذ الآن.

فالإفخارستيا هي الآن استعلان، من داخل الزمان، لملكوت الله على الأرض، حيث الكنيسة في لحظة تقديم الإفخارستيا تكون بمثابة استعلان زمني لأورشليم السمائية النازلة من السماء سرًّا، والمذبح يكون بمثابة عرش المسيح غير المنظور، وحوله كل جنوده وخواصه من ملائكة وأرواح قديسيه، حيث المسيح يكون هو الذي يأخذ بيديه الخبز والخمر ويُطعم خواصَّه من جسده ودمه، كامتدادٍ دائم وفعَّال لما فعله مع تلاميذه يوم الخميس.

فالإفخارستيا هي استعلان دائم لسر المسيح الحاضر والآتي، ولا يُستعلَن هذا السر منذ الآن إلاَّ لخواصه!

وعلاقة الإفخارستيا بخروف الفصح هي من التقاليد الكنسية الأُولى، فنجد أول إشارة لها عند هيبوليتس في عظته عن الفصح:

[أنتم تأكلون في **بيت واحد**(30) لأننا مجمع واحد، كنيسة واحدة، حيث يؤكل الجسد المقدَّس الذي للمسيح.](31)

هيبوليتس هنا يرى الإفخارستيا ـ أي الجسد المقدَّس ـ عاملاً أساسياً ليجعل المؤمنين عائلة واحدة (بيت واحد)، ثم عاملاً أساسياً ليجعل الجماعة المتفرِّقة مجمعاً متحداً، والمجمع المتحد وحدة كنسية ـ أي جسد سرِّي، وهكذا يرى أنه كما كان خروف الفصح لا تأكله إلاَّ عائلة مجتمعة ومتحدة ومختومة بالدم، هكذا سر الإفخارستيا تنبعث منه هذه القوى السرية: يصالح ويجمع ويوحِّد ويقدِّس!!

والمعروف في التقليد اللاهوتي السرائري أن القديس كيرلس الإسكندري هو أول مَنْ عمَّق المفهوم السرائري للإفخارستيا باعتباره استعلاناً لوليمة خروف الفصح القديم:

[إن أكل الفصح وقت المساء (أي قبل بزوغ فجر يوم حريتهم العظمى وخروجهم من أرض العبودية) يعني أن سر الإفخارستيا (الذي هو استعلان له) قد احتُفِظَ به لهذا الدهر فقط ـ لأن الكتاب يُشدِّد على أن يكون أكل اللحم ليلاً فقط، وكلمة «ليلاً» تشير إلى هذا الزمان، لأن هذا هو ما يقوله بولس الرسول. فطالما نحن في هذا العالم فبواسطة الجسد المقدَّس والدم الثمين نستطيع فقط أن نتحد بالمسيح، إنما بطريقةٍ ليست بعد كاملة. ولكن حينما نأتي إلى يوم استعلان قوته ومجده ونرتفع إلى بهاء مجد القديسين، فنحن حينئذ نتقدَّس هناك بطريقة أخرى معروفة لديه، عندما يوزع بركات الدهر الآتي.](32)

كذلك يرى القديس كيرلس الإسكندري أن عمل الإفخارستيا الأساسي يتناسب مع هذا الدهر، وسيُرفع هذا الجانب بحلول فجر يوم المسيح حينما يظهر في مجده:

[إن الاشتراك في الجسد المقدَّس والشرب من الدم المخلِّص يحوي ضمناً الاعتراف بالآلام والموت اللذين تقبَّلهما المسيح من أجلنا، كما قال الرب على لسان بولس الرسول عند تأسيسه لقانون هذا السر: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت

(30) يلاحِظ القارىء أن تعبير «**تأكلون في بيت واحد**» هو نص الآية الواردة في سفر الخروج التي تصف كيفية أكل خروف الفصح: «في بيت واحد يؤكل» (خر 46:12)، هنا الإشارة إلى أن الكنيسة كلها أصبحت بيتاً، وأفراد المؤمنين أسرة!!

(31) *Paschal Homily* 41, SC 27, 163.

(32) Cyril of Alex., *Glaphyres*, PG LXIX, 428 B.

الرب إلى أن يجيء» (1كو 26:11). ففي هذا العالم باشتراكنا في هذه الحقائق نحن نظل نُبشِّر بموته إلى أن يجيء، فحينما نصير في مجد الآب لن يكون هناك زمان للاعتراف بآلامه، بل نتأمله في صفاءٍ كالله وجهاً لوجه.][33]

يلاحِظ القارىء هنا أن القديس كيرلس الإسكندري يركِّز في الإفخارستيا على آلام الرب وموته كجسد مكسور ودم مسفوك باعتبارهما عملاً جوهرياً يختص بحياتنا الحاضرة (الآلام شافية وموت الرب مُحيي). ولكن لا يخفى أن القديس كيرلس هنا يربط خفياً بين خروف الفصح المذبوح والمأكول على أعشاب مُرَّة وبين موت الرب وآلامه، هنا طقس الفصح القديم يكشف ما فيه من عجب الأسرار المخفية، وهؤلاء الآباء الملهَمون يفتحون عيوننا على حقائق عظيمة كانت مخفية.

ولكن لئلاَّ يظهر القديس كيرلس الإسكندري كأنه مجتهد من ذاته، يلزم أن يُرجع إلى الإنجيل فهل من إشارة توضِّح مصادر إلهام هؤلاء الآباء؟

هناك إشارة صغيرة في إنجيل يوحنا، ولكنها تفتح مجالات للفكر اللاهوتي لانهائية بالنسبة لسر الإفخارستيا وارتباطه بخروف الفصح، ففي الأصحاح التاسع عشر يعلِّق كاتب الإنجيل على سرعة موت الرب على الصليب وعدم اضطرار الجند لكسر ساقيه تعجيلاً لموته، هكذا: «لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظمٌ لا يُكسر منه!!» (يو 36:19)، وما هو الكتاب هنا إلاَّ سفر الخروج وهو يصف كيفية ذبح الخروف وأكله: «في بيت واحد يؤكل، لا تُخرِجِ من اللحم من البيت إلى الخارج **وعظماً لا تكسروا منه**.» (خر 46:12)

إذاً، يوحنا الرسول يرى في موت الرب تكميلاً للسر المكتوم في خروف الفصح منذ الدهور!! ويرى في طقس وترتيب ذبح الخروف وأكله استعلاناً إفخارستياً دقيقاً يكاد يكون على مستوى حرفي!!

كذلك لا نُعدم عند القديس بولس الرسول شهادة مؤكدة لذلك، فقد جاء في الرسالة الأُولى لكورنثوس: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (1كو 7:5)

هنا يبدو العلم اللاهوتي السرائري للقديس كيرلس الإسكندري كتابياً بالدرجة الأُولى، حيث يظهر لنا بوضوح أهمية العلم اللاهوتي السرائري القائم في طقس خروف الفصح من الوجهة الإفخارستية.

ويمتد القديس كيرلس الإسكندري في استعلانه لدقائق سر الإفخارستيا من الوجهة الروحية

(33) *Ibid* 428, C.

والسلوكية أيضاً، وذلك بالمطابقة على ما جاء وتأسس في طقس خروف الفصح قديماً، إذ يقول القديس كيرلس الإسكندري في مقاله عن العبادة:

[إن كل مَنْ يأكل المسيح، أي يشترك في جسده المقدَّس وفي دمه، يلزم عليه أيضاً أن يحصل على روحه القدوس ويجاهد ليحيا في داخل تدبير المسيح **وفكره**، أي يدرك كل ما في **باطن** المسيح. هذه الحقيقة واردة ومقترحة لنا في الكتاب المقدَّس ـ كما جاء في سفر الخروج ـ أنه ينبغي أن تؤكل **رأسه** مع أكارعه (رجليه) **وجوفه**، وفي الحقيقة فإن جوفه يعني قلبه، أو أليس القلبُ تعبيراً عن الروح؟ أمَّا أكارعه ـ أي رجلاه ـ فتعني أعماله الصالحة وسلوكه، أمَّا بقية الجوف فيعني حياته الداخلية المخفية.](34)

وقد يبدو لنا هذا التدقيق عجيباً، ولكن هكذا بدأ القديس يوحنا الرسول في إنجيله، وهكذا سار الآباء على نفس الخط يشرحون ويدققون في أوصاف خروف الفصح باعتباره المثل ***Typos*** الذي يحمل كل ما يمكن أن يُستعلن عن المسيح وفي الإفخارستيا بالتالي.

ولكن الذي نخرج به من هذه المطابقات الحرفية أن الإفخارستيا ينبغي أن تحمل لنا كل ما للمسيح، لأننا فيها نأكل المسيح كله، بمعنى أنه ينبغي أن نحمل كل صفاته ونتحلَّى بفكره وبروحه ونسلك في نفس طرقه.

ولا يفوتنا هنا أن ننبه القارىء إلى أن القديس كيرلس الإسكندري في تطبيقاته هذه الأكثر قبولاً وإلهاماً يُعتبر أول مَنْ خطَّط منهجاً روحياً كتابياً عن الحياة الداخلية للمسيح أو مع المسيح.

وتأتي المقالات المنسوبة للقديس يوحنا ذهبي الفم مطابقة للتقليد الذي وضعه القديس كيرلس الإسكندري في تطبيقاته الروحية والأدبية السلوكية على الإفخارستيا كما استوحاها من طقس خروف الفصح، ففي مقال له عن الفصح يقول:

[**الناموس كان يُنهي عن أكل لحم الخروف نيِّئاً** ...، وهذا بالنسبة لنا يلهمنا معانيَ عظيمة، فهو يعني **أولاً**: أنه لا ينبغي أن نقترب من الاشتراك في جسد الرب ونحن في حالة إهمال وكسل، **وثانياً**: أو بدون توقير زائد، **وثالثاً**: أو بدون أن نُستأهل للإتحاد بجسده بالأعمال الصالحة. وبولس الرسول أيضاً يرى مثل ذلك في الذين يحوِّلون الإفخارستيا إلى وليمة فخمة فيحوِّلون معنى الشركة المقدَّسة إلى وسيلة للأكل والشرب، وهؤلاء يرفضهم الرسول لأنهم

(34) *De Adoratione*, 17, PG LXVIII, 1073.

لا يقتربون بالقداسة إلى ما هو مقدَّس فيقعون تحت الدينونة كمستبيحين. **رابعاً**: يعني أولئك الذين لا يهيئون جسمهم للإتحاد اللائق بجسد المسيح حتى يصيروا مستحقين لأخذ الروح القدس.][35]

والآن، وقد أَحَطْنا بالعلائق السرائرية المتينة القائمة بين سر الإفخارستيا وخروف الفصح القائمة على الكتاب المقدَّس وإلهامات الآباء، يلزم أخيراً أن لا يتوه عن بالنا أن المسيح أسَّس سر الإفخارستيا من داخل وليمة الفصح الأخير نفسها، هذه الوليمة التي كانت محسوبة لدى اليهود أنها وليمة خلاصية لفداء تمَّ وفداء مُنتَظَر، وليمة عهد تأسس بدم خروف الفصح في مصر، انتظاراً لعهد جديد بالمسيا[36].

هنا أكمل المسيح هذا الفداء المنتظر الذي ظل ينتظره اليهود كل سنة في كل فصح، على مدى الأجيال السالفة، هنا أعلن لهم العهد الجديد حيث المسيح نفسه هو حَمَل الفصح الجديد ودمه هو دم العهد الجديد وجسده هو طعام الفصح الأبدي. لقد انتهى الفصح الذي بالمثال، الذي كان ينبغي أن يتكرَّر كل سنة، وجاء الفصح الحقيقي ليقدَّم مرة واحدة عن كل العالم، فتظل تأكل منه كل الأمم، في كل الأجيال، وعلى مدى الدهور كلها إلى أن يجيء.

لقد ذُبح المسيح فعلاً كحَمَل وديع على الصليب، أمَّا هو فقد استودع مُسْبَقاً سرَّ ذَبْحِه وسر جسده ودمه في وليمة فصحية قوامها خبز وخمر حملها سر الجسد وسر الدم حتى يصير أكلهما بالإيمان لا بالعيان.

ولا ينبغي أن يتوه عن بالنا قط أن عنصر الفصح القديم هو الفداء بدم الخروف، فالفصح حياة قائمة على موت، لقد عاش الأبكار لما ذُبح الخروف ورُشَّ دمه على الأبواب. كذلك كان الفصح الجديد، فداءً بدم المسيح، حياة قائمة على موت، لقد مات المسيح لكي يحيا كل مَنْ يتقدَّس بدمه.

إذاً، فقوام الفصح هو موتٌ لفداء، ودمٌ للتقديس.

هكذا عرفنا الإفخارستيا سر آلام وموت: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس **تخبرون بموت الرب**» ـ «اصنعوا هذا لذكري»

ولكنها ليست ذكرى آلام عقيمة مفردة لواحد قد مات، لأن المسيح الذي مات قام من الأموات.

(35) Pseudo - Chrysost., *Paschal Homily*, PG LIX, 127-128.

(36) P. J. Leenhardt, *Le Sacrament de la Sainte Cène*, p. 21.

فالتذكار هنا شركة في موت لحياة، فكل مرة نقيم الإفخارستيا نموت مع المسيح ونقوم لنحيا معه. موت المسيح ليس هو موتاً وحسب، بل موتاً لفداء، فكل مرَّة نموت معه نُفدى فنقوم من الموت!

كان خروف الفصح الذي يُذبح كل سنة هو السر Sacrament القائم في العهد القديم بين الله وبين شعب إسرائيل، الذي يقرر حقوقهم في هبات الاختيار والتبنِّي والاشتراع والمواعيد والنبوَّة سنة بعد سنة.

ولكن لما قام رؤساء الكهنة والكتبة مع رؤساء شعب إسرائيل على المسيح وذبحوه على الصليب في يوم فصحهم، توقَّف الفصح القديم من ذلك اليوم ومن تلقاء ذاته، وتوقفت تبعاً لذلك كل حقوقهم وهباتهم المترتبة عليه، وظهور المسيح أنه الفصح الكبير الحقيقي، فصح العالم كله، فصح كل زمان ومكان، الذي ظلَّ الفصح القديم يخدم مجيئه إلى أن أتى.

وحينما ذَبَحَ المسيح ذاته بالنية وسلَّم جسده لتلاميذه ليأكلوه في خبز الإفخارستيا، أعلن نفسه أنه هو الفصح الحقيقي الجديد، وحينما سلَّمهم دمه في خمر الإفخارستيا ليشربوا منه، ابتدأ في الحال العهد الجديد وصارت الإفخارستيا ذبيحة فصحية، ذبيحة عبور فوق الموت والظلمة والجحيم والعالم والخطية والزمن.

إن الكتاب يعلن صراحةً أن المسيح هو الفصح الجديد: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا »(1كو 7:5)، فصار جسده حياةً وقيامةً، ودمه عهداً جديداً وغفراناً لخطايا العالم كله!

وفي هذا التقليد الآبائي السرائري المبدع الذي يدور حول وحدة الأسرار بين الإفخارستيا وخروف الفصح، يتضح لنا منهج سرائري يقوم على وحدة الأسفار وانسجام العهدين وكمال خطة الله للخلاص من البداية حتى النهاية.

الإفخارستيا وفطير الفصح:

كان من ضمن طقس الفصح أن يؤكل مع الخروف فطير، أي أرغفة خبز غير مختمر، وكذلك يظل هذا الفطير هو طعام الشعب كله مدة سبعة أيام بعد يوم الفصح. وقد كان عيد الفطير ـ أصلاً ـ عيداً قائماً بذاته يبدأ في 15 نيسان ويستمر سبعة أيام (انظر: خروج 15:23، لاويين 23: 6ـ8، عدد 17:28، تثنية 16: 1ـ4).

والذي يهمنا من هذا العيد هو «نوع» هذا الطعام، وعلاقته بالفصح، ثم ماذا انحدر إلينا في العهد الجديد من هذا الطقس.

وأول مَنْ ألقى الشرارة للبدء في استعلان سر هذا الطعام وعلاقته بالفصح هو القديس بولس الرسول، في رسالته الأُولى إلى كورنثوس:

+ «ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمِّر العجين كله، إذاً، نقُّوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير Azymes، لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا، إذاً، لنعيِّد ليس بخميرةٍ عتيقةٍ ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق.» (1كو 5: 6-8)

معروف أن الخميرة تكون دائماً محفوظة أو مخلوطة بعجين مختمر سابقاً أي قديم، أمَّا فطير الفصح فيُعمل بدقيق جديد من محصول القمح الجديد الذي يكون قد بدأت باكوراته (15 نيسان). أي أن الفطير في هذا الوقت يشير بوضوح إلى الحياة الجديدة تماماً، فأَكْلُ الفطير قديماً بعد الفصح مباشرةً كان يشير بوضوح إلى حياة الانعتاق الجديدة بعد العبودية والضيق!!

وتطبيق القديس بولس الرسول لهذا الطقس في العهد الجديد لا يفيد العودة إلى أكل الفطير، ولكن يفيد استعلان السر الذي كان مخفياً في هذا الطقس لكي نعيشه بالروح بعد أن عاشه إسرائيل بالجسد دون أن ينفتح ذهنهم لمعناه العميق.

القديس بولس هنا يؤكِّد العلاقة السرية بين أكل الفصح الجديد - جسد المسيح ودمه - وأكل الفطير الذي يحمل معنى السلوك في جدَّة الحياة الخالية من خمير الشر والخبث، فلكي نُؤهَّل لأكل الفصح الجديد، أي الإفخارستيا، يلزمنا أولاً أن نكون على استعداد لكي ننقي حياتنا من الصفات والعادات القديمة بالتوبة الشاملة التي تمثلها المعمودية: «نقُّوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً **جديداً**»

هنا العجين **الجديد** الخالي من الخميرة هو استعلان واضح للطبيعة الجديدة للإنسان الجديد المولود من فوق من الماء والروح، المهيَّأ والمعدّ والمستحق أن يتقدَّم إلى الفصح الجديد - أي الإفخارستيا - بعد العماد، كالفطير الذي يُقدَّم في وليمة الفصح: «كما أنتم فطير»

وهنا بولس الرسول يعود فيكشف أنه بمجرد أكلنا من الإفخارستيا «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» ندخل في عيد أبدي ليس مدته سبعة أيام بل إلى كمال العمر، نظل نحيا كخليقة جديدة في طبيعة جديدة، «أنتم فطير» ! نغتذي على «الإخلاص والحق» من الفصح الدائم «الإفخارستيا»

إذاً، فطير الفصح عند بولس الرسول كان سرًّا من الأسرار الكثيرة التي كانت مكتومة منذ الدهور في طقوس وأعياد وحوادث العهد القديم، والتي استُعلنت له. أمَّا سر الفطير، كما استعلنه القديس بولس، فهو الخليقة الجديدة، الحياة الجديدة للبشرية الخالية من الخبث والشر المعدَّة منذ

الدهور للانفتاح والاستنارة (المعمودية) لقبول سر المسيح (الإفخارستيا) حتى تكمِّل حياة الإخلاص والحق، ولتكون عجينة واحدة مع المسيح:

+ «فإننا نحن الكثيرين خبزة واحدة جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبزة الواحدة.» (اكو 17:10)

وأول مَنْ تكلَّم عن هذا التقليد التفسيري هو القديس يوستين الشهيد، الذي أضاف معنى جديداً للخميرة الجديدة:

[إن ما يشير إليه الفطير هو أن لا نعمل أعمال الشر التي للخميرة القديمة، أمَّا اليهود فقَبِلوا معنى الفطير على مستوى جسدي خالص، لذلك أمرهم الله أنه بعد أيام الفطير السبعة **يخمِّرون لهم خميرة جديدة، وهو بذلك يوجِّههم إلى الأعمال الجديدة**.][37]

أمَّا هيبوليتس فيأخذ الخميرة الجديدة ويعمل منها فكراً جديداً، يشير به إلى عمل الإفخارستيا في حياتنا:

[دَعْ اليهود يأكلون الفطير سبعة أيام حتى إلى سبعة دهور العالم، أمَّا نحن فالمسيح فصحنا قد ذُبح لأجلنا وقد قبلنا منه عجينة جديدة باتحادنا معه.][38]

أمَّا في العلم اللاهوتي السرائري للقديس كيرلس الإسكندري، فتبدأ العلاقة السرية بين الفطير والإفخارستيا تظهر بأشد وضوح:

[إن الكتاب يصف أن اليهود يأكلون الفطير في الفصح، وهذا المثال يعني بالنسبة لنا أن الذين يشتركون في أكل المسيح «الإفخارستيا» عليهم أن يغذُّوا أرواحهم باشتياقات طاهرة غير مخمَّرة (بالشر)، حتى يصبحوا منسجمين مع الحياة المبرَّرة الخالية من الخبث.][39]

وهكذا إذ يتمشَّى القديس كيرلس الإسكندري مع بولس الرسول في فكر الفطير، إنما يكشف أكثر العلاقة بالإفخارستيا.

ويعود القديس كيرلس الإسكندري في عظته عن العبادة فيقول في هذا الموضوع:

[نحن الذين تقدَّسنا جميعاً واشتركنا في الحياة الأبدية على مستوى الأسرار، علينا أن نجاهد بلا

(37) Justin, *Dial.* XIV, 3.

(38) Hippolytus, *Paschal Homily*, 39, SC 27, 161.

(39) Cyril of Alex., *Glaphyres*, PG LXIX, 429 A.

انقطاع أن نحافظ على قانون الفصح، فنعيِّد باستمرار مع المسيح رافعين الخمير من وسطنا، لأن هذا هو ما يليق بالذين دُعوا إلى الإيمان والحق، الذين يعيشون في المسيح، الذين يعيِّدون الفصح بالروح، أن يرفعوا خمير الخبث والشر من كل أعمالهم، منقِّين الخميرة العتيقة، فيتغيَّرون عن شكلهم إلى ما هو أفضل دائماً ويظهروا بالفعل أنهم عجين جديد مع كل أفراد أسرتهم وكل مَنْ تحت سقفهم، حتى يصيروا جماعة مؤمنين متحدة ككتلة إيمان عظيمة.](40)

وهنا نجد أن التقليد التفسيري الذي انحدر من القديس بولس، يبلغ أعلى درجة من النقاوة والوضوح عند القديس كيرلس الإسكندري! حيث ترتفع الطقوس القديمة لتأخذ مستواها الروحي الفائق عندما يُستعلن السر المخفي فيها، الذي ينكشف علانيةً في العهد الجديد!

ويعود القديس كيرلس الإسكندري يتكلَّم عن الخميرة الجديدة التي ليست من هذا العالم والتي تتقبلها عجينة البشرية الخالية من خمير الغش والشر فتصير خبزاً سماوياً!

[وكما يقول بولس الرسول إن خميرة صغيرة تخمِّر العجين كله، هكذا فإن أقل قدر من البركة والصلاح يُصلح كل الإنسان ويملأه بالقوة والفعل، هكذا حينما يصير المسيح فينا ونصير نحن أيضاً فيه، كما يُقال، إن العجين كله اختمر أو صار خميراً أو الخميرة صارت في العجين كله، هذا هو بالاختصار معنى الكلام!

فإن كنَّا نتوق إلى الحياة الأبدية، وإذا كنَّا نصلِّي لنحصل على واهب الحياة الأبدية داخلنا، فلا يليق أن نكون كالمستهترين ونرفض البركة، أو نجعل الشيطان بحيله الخبيثة يوقعنا في فخ من فخاخه أو في مجد باطل. لأنه حقاً هذا المكتوب: «لأن الذي يأكل (من هذا الخبز) ويشرب (من هذه الكأس) بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونةً لنفسه» (1كو 11:29).](41)

(40) Cyril of Alex., *De Adoratione*, PG LXVIII, 1076 C.

(41) Cyril of Alex., *Commen. on S. John*, PG LXXIII, 560-605.

5 – الإفخارستيا ووليمة المسيَّا

لقد تكلَّم سليمان النبي في سفر الأمثال عن وليمة أقامتها «الحكمة» كلُّها أسرار:

+ «الحكمة **بَنَتْ بيتها**، نحتت أعمدتها السبعة، ذبحت ذِبْحها، **مزجت خمرها**، أيضاً رتَّبت مائدتها، أرسلتْ جواريها تنادي على ظهور أعالي المدينة: مَنْ هو جاهل فلْيَمِلْ إلى هنا، والناقص الفهم قالت له: هلموا كُلُوا طعامي **واشربوا من الخمر التي مزجتُها**.» (أمثال 9: 1–5)[42]

ثم إذ نرجع خطوة إلى أيام الناموس الأُولى، نجد أن الله يحدِّث الشعب عن وليمة مزمعة أن تكون في الهيكل، يأكل فيها الشعب خبزه وخمره وأبكار غنمه أمام الرب (في الهيكل). يقول الناموس:

+ «... المكان **الذي يختاره الرب إلهكم** من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه، سُكْناه تطلبون وإلى هناك تأتون، وتقدِّمون إلى هناك محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ونذوركم ونوافلكم وأبكار بقركم وغنمكم. **وتأكلون هناك أمام الرب إلهكم وتفرحون** بكل ما تمتد إليه أيديكم أنتم وبيوتكم **كما بارككم الرب إلهكم**.» (تث 12: 5–7)

وهذه الوليمة التي حدَّدها الناموس لتكون وليمة المستقبل لكل الشعب في هيكل الله، يمكن اعتبارها صورة موسَّعة تذكارية لوليمة موسى ورفاقه الأخصاء على جبل سيناء **التي فيها رأوا الله وأكلوا أمامه:**

+ «ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل؛ ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صَنْعةٍ من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا.» (خر 24: 9–11)

وكانت هذه الوليمة هي أول وليمة ذُكر فيها أن الإنسان **أكل أمام الله**، وكانت بعد استلام موسى دقائق ناموس العهد، فكانت بمثابة «**وليمة العهد**»، حتى إن كل وليمة أُقيمت بعد ذلك تُعتبر إحياءً بالتذكار لها أو امتداداً لذلك العهد.

ومن خلال هذا المضمون السري لهذه الوليمة الأُولى يمكن اعتبار الإفخارستيا التي صنعها الرب

(42) فصل الأمثال 9: 1– 5 يُقرأ كنبوَّة عن الإفخارستيا في يوم الخميس الكبير في الطقس القبطي.

وأكل فيها تلاميذه معه **وأمامه** أنها وليمة العهد الجديد حيث جلس على مائدة الرب الاثنا عشر الذين كانوا يمثلون الكنيسة، أي شعب الله الجديد، بدل موسى وهرون والسبعين شيخاً الذين كانوا يمثلون شعب إسرائيل.

ثم يجيء إشعياء النبي ويُعطي صورة إسخاتولوجية (أي آتية أو مستقبلة) لوليمة المسيا المنتظرة في الدهور الآتية:

+ «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه (قارن مع قول المسيح: ''إن عطش أحد فلْيُقبل إليَّ ويشرب'' يو 37:7)، والذي ليس له فضة، تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً، لماذا تَزِنُون فضةً لغير خُبزْ وتعبكم لغير شبع. استمعوا لي استماعاً وكُلوا الطيِّب، ولتتلذذ بالدسم أنفسكم، أميلوا آذانكم وهلموا إليَّ؛ اسمعوا فتحيا أنفسكم، **وأقطع لكم عهداً أبدياً**، مراحم داود الصادقة.» (إش 55: 1ـ3)

ثم يعود إشعياء النبي ويصف الذين سمعوا إليه فاستمتعوا بوليمته، والذين رفضوه (رفضوا المسيح) فجاعوا وعطشوا بينما غيرهم يشبعون ويرتوون:

+ «... دعوتُ فلم تجيبوا، تكلمتُ فلم تسمعوا، بل عملتم الشر في عينيَّ واخترتم ما لم أُسر به. لذلك هكذا قال السيد الرب: هوذا عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون، هوذا عبيدي يشربون وأنتم تعطشون، **هوذا عبيدي يفرحون** وأنتم تخزنون، **هوذا عبيدي يترنمون من طيبة القلب** وأنتم تصرخون من كآبة القلب، ومن انكسار الروح تولولون؛ وتخلِّفون اسمكم لعنةً لمختاريَّ، فيميتك السيد الرب ويسمِّي عبيده اسماً آخر.» (إش 65: 12ـ15)

وفي رؤيا إشعياء النبي يسبق ويرى هذه الوليمة أنها وليمة لكل الشعوب:

+ «ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن (مسمَّنات)، وليمة خمرٍ ... مصفًّى.» (إش 6:25)

فإذا جمعنا أوصاف هذه الوليمة كما صوَّرها العهد القديم، أنها وليمة الحكمة في بيت الحكمة، في المكان الذي يعيِّنه الرب، لكل الشعوب، لكل مَنْ يسمع الرب ويأتي، حيث مَنْ يأكل يأكل في حضرة الله، فهي وليمة عهد للشبع المجاني وشُرْبُها للإرتواء المجاني، خمرها مصفًّى وممزوج، كلها مسمَّنات، للفرح، وللترنُّم، وطيب القلب، الجاهل إذا أكل صار حكيماً، والناقص الفهم يصير مباركاً!!

وبهذه الأوصاف جميعاً وبعمق روحي فائق أسس الرب وليمة حبه ليلة آلامه. إن الإفخارستيا

هنا هي الاستعلان الواضح والعميق لوليمة المسيا في جميع صورها التي ركَّز عليها العهد القديم كله في ناموسه وطقوسه ونبواته ومزاميره ورؤاه، في كل الأجيال.

لقد جاء المسيا، وصنع وليمته، وكعريس قدَّم لمدعويه من جسده ودمه، مسمَّنات أبدية وخمراً إلهياً يقطر سرًّا وحكمة، فلتفرح الحكمة وليتهلل الناموس وليترنَّم إشعياء مع داود، ولْيَطِبْ قلب كل الشعوب، وليأتِ الأطفال والجُهَّال ليأكلوا أمام الله من سر الحكمة والحياة والبركة والخلود.

وإن من مظاهر مجالس المسيح مع تلاميذه ومدعويه أنه كان يعتبر نفسه عريساً في وليمة عرس، لا صوم فيها، بل وينبغي أن الفرح والبهجة والترنُّم يكون حيث يكون هو دائماً: «هل يستطيع بنو العُرس أن يصوموا والعريس معهم؟» (مر 19:2)

كان المسيح يرى أن كل أيامه على الأرض ينبغي أن تكون وليمة دائمة. أليس هو المسيا؟ ومن أجل هذه الوليمة جاء، وقد أعد جسده ودمه ليكونا طعامها وخمرها؟ «ليس لأحد حبٌّ أعظم من هذا، أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبائه» (يو 13:15)، لذلك ليس أسعد من المسيح عندما يرى مدعويه ملتفين حول جسده ودمه يأكلون ويشربون من سر ألمه وحبه. إنها وليمة المسيَّا العظمى، وأقصى استعلان للحب ممكن أن يقدِّمه الله لكل الشعوب.

إن المسيح أحب دائماً أن يأكل مع الخطاة حتى عيَّره الفريسيون على ذلك: «لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة؟» (مت 11:9). وقد ألمح مراراً وتكراراً أن مسرته في الوجود معهم والأكل على مائدتهم، فكان هذا واحداً من أعمق الأسرار التي كشفها عن أهداف رسالته، وهو أن يرفع الحواجز القائمة بين الخاطيء والله، وليس من وسيلة إلى ذلك إلاَّ بأن يشاركهم مائدتهم ويشاركوه مائدته: « أتعشَّى معه وهو معي» (رؤ 20:3)؛ وأخيراً بأن يعطيهم جسده ودمه سرًّا في وليمة حبه، الأمر الذي كشفه أخيراً في الإفخارستيا. وأخيراً، وأخيراً جداً، وبصعوبة شديدة قائمة حتى اليوم، عرف العالم أن وليمة المسيَّا هي للخطاة!!

وللقديس أمبروسيوس قولٌ في هذا الموضوع:

[المسيح يأكل مع العشارين والخطاة، هذا معناه أنه لا يرفض أن يشارك طعاماً مع الذين هو مزمع أن يعطيهم الأسرار (جسده ودمه).][43]

(43) Ambrose, *Exp. Luc.*, II, II.

ثمَّ مَنْ هم الخطاة في عُرف الفريسيين وفي نظر اليهودي المترفع؟ أليسوا هم كناية عن بقية الأمم والشعوب المحسوبة أنها مرفوضة لأنهم خطاة؟ إذاً، فكانت مجالس ولائم المسيح مع العشارين والخطاة تكشف بوضوح الخط الخلاصي المتَّجه من المسيح ناحية الأمم. وهذا كان واحداً من أهم أهداف وليمة المسيا قديماً التي انكشفت إتجاهاتها في سر الإفخارستيا في العهد الجديد، حينما استودعها المسيح لتلاميذه ـ أي الكنيسة ـ بيت الحكمة ـ لتكون وليمة كل الأمم وإلى أقصى الأرض.

وهذا التقليد التفسيري لوليمة المسيا وعلاقتها بالإفخارستيا انحدر إلينا بغزارة، عبر الآباء، منذ العصور الأُولى.

فالقديس كبريانوس يقول:

[بواسطة سليمان يُظهر لنا الروح أيضاً مثال *Typos* الإفخارستيا «ذبيحة الرب» وذلك بذكر الذبيحة التي تُذبح، مع الخبز والخمر، والمائدة. يقول: «الحكمة بَنَتْ بيتاً ودعمته بسبعة أعمدة، وذبحت ذِبْحها ومزجت خمرها بالماء في الكأس وأعدت المائدة، ثم أرسلت عبيدها ينادون بصوت عالٍ يدعون المدعوين ليأتوا ويشربوا من كأسها قائلةً: تعالوا كُلوا خبزي واشربوا خمري الممزوج لكم» فهنا سليمان حينما يتكلَّم عن الخمر الممزوج، فإنه يعلن بالنبوَّة عن كأس الرب الممزوج خمراً وماءً.][44]

ويعطينا أيضاً العلاَّمة أوريجانوس الصورة التقليدية التي انحدرت إليه عن هذه الوليمة، رابطاً معاني الوليمة التي جاءت في الإنجيل كمَثَلٍ لملكوت السموات مع وليمة الحكمة، رابطاً الكلَّ بسر الإفخارستيا، في قوله:

[الكنيسة الآن تسأل عبيد الحكمة أن يقودوها إلى أقبية الخمر حيث مزجت الحكمة خمرها وذهبت تنادي بواسطة عبيدها أن تعالوا أيها الجُهَّال كُلوا خبزي واشربوا من كأسي الممزوج، إنه في بيت الوليمة هذا سوف يأتون من المشارق والمغارب ويجلسون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات، هذا هو البيت (بيت الحكمة) الذي تشتهي كل نفس في الكنيسة أن تدخله حتى تبلغ الكمال بتعاليم الحكمة وأسرار المعرفة التي هي **طعام الوليمة** ومسرة خمرها.][45]

ويعطينا أيضاً القديس غريغوريوس النيسي هذه الصورة وهذا الرباط عينه بين خمر الوليمة وسر

---

(44) Cyprian, *Epistle to Cecilius*, LXIII, 5,

(45) Origen, *Commen. Cant*. III, PG XIII, 155.

الإفخارستيا في قوله:

[حينما تُخرج الكروم أزهارها، تُذكِّرنا بالخمر الذي سوف تملأ به الحكمة كأسها وتسكبه لمدعويها ليشربوا كما يشاءون ويسكروا بحكمة ورزانة الاستعلان الإلهي الذي يرفع الإنسان من دائرة المنظورات.](46)

[ما قلته هنا ظاهر للذين أُعطوا أن يفهموا الخفيات في معاني الكتاب، إذ لا فرقَ بين هذا وبين ما يتم عمله في سر العشاء (الإفخارستيا).](47)

ويعود القديس أمبروسيوس يشرح السر بأكثر وضوح:

[إن أردت أن تأكل وإن أردت أن تشرب (الحق)، تعالَ إلى وليمة الحكمة التي تدعو الناس جميعاً بصوتٍ عالٍ، تعالوا كُلوا خبزي واشربوا خمري الذي مزجته لكم. تعالَ، لا تخفْ، فأنت في الكنيسة لن تُعدَم رائحة عطرة أو طعاماً صالحاً أو شراباً ممزوجاً أو خدَّاماً أكفاءً، تعالَ فسوف تجمع مُرًّا الذي هو دَفْنُ المخلِّص حينما تجوز المعمودية معه، وسوف تذوق القيامة عندما تقوم معه، وتأكل «**الخبز**» الذي يشدِّد قلب الإنسان و«**الخمر**» لكي تنمو إلى ملء قامة المسيح.](48)

هنا الجمع واضح بين وليمة الحكمة والإفخارستيا بصورة تطبيقية مبدعة حقاً**!!**

وفي التقليد السرائري للعلاَّمة ديديموس الإسكندري الضرير صورة أيضاً مبدعة للربط بين وليمة المسيا عند إشعياء النبي وسر الإفخارستيا في الكنيسة:

[أيها العطاش تعالوا إلى المياه، كل مَنْ ليس له ذهب ولا فضة فليأتِ ويشرب خمراً ثميناً وطعاماً فاخراً. الماء يُعنَى به الروح القدس وينبوع المعمودية، أمَّا الخمر والخبز فهما ما كان يقدِّمه اليهود قديماً، أمَّا الآن فهما الشركة غير المائتة في جسد الرب ودمه.](49)

هنا يقف العلاَّمة ديديموس الإسكندري الضرير ليعلن تحقيق نبوَّة إشعياء عظيم الأنبياء، ويشير في يقين ووضوح واختصار إلى الإفخارستيا كتكميل نبوات كل الدهور عن وليمة المسيا الدهرية التي

(46) Greg. of Nyssa, PG XLIV, 873 A.

(47) *Ibid*., 989 C.

(48) Ambrose, *of Cain & Abel*, 1, 5. C.S.E.L. XXXII, 1, 356.

(49) Didymus, PG XXXIX, 716 B.

ظهرت لنا واستُعلنت، وأكلنا وشربنا من بركاتها!!

أمَّا عن نبوَّة إشعياء التي يرى فيها وليمة المسيا على جبل صهيون لكل الشعوب، فيتأمل فيها العلامة يوسابيوس القيصري ويعلن تكميلها في المعمودية والإفخارستيا:

[ويُعِدُّ الرب وليمةً على هذا الجبل لكل الشعوب، إنها الكنيسة التي يعنيها الرب بقوله هذا حيث يشربون خمراً بل سروراً ... لأن النبي كان يتنبأ عن سر العهد الجديد الذي أسسه الرب، الذي تحتفل به اليوم كل الشعوب.](50)

ومن جميع هذه النبوات يتضح لنا كيف أن «وليمة المسيا الآتي» كانت تشكِّل رجاءً هاماً في عبادة إسرائيل على مدى الدهور، كما كانت موضوعاً لتوقعاتهم اليومية، فأصبحوا ينظرونها بعين الأمل في كل وليمة رسمية يقيمونها سواء في بيوتهم أو مجامعهم، حتى إنهم أقاموا صلوات وطقوساً مناسبة لوليمة المسيا في مجامعهم، وكانوا يولونها أهمية خاصة وصلت في زمن ما قبل المسيح إلى درجة أكثر أهمية من ذبائح الهيكل، إذ كانوا يعتبرونها بالفعل أنها شركة في بركات عهد الله والمسيا الآتي!!

وكان كثير من اليهود الأتقياء يقيمون الولائم لاستمطار بركات عهد الله وترجيِّاً لعهد المسيا الآتي، وهي التي علَّق عليها المسيح كما هو مكتوب: «وقال أيضاً للذي دعاه: إذا صنعت غذاءً أو عشاءً فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلاَّ يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة؛ بل إذا صنعت ضيافة فادْعُ المساكين الجُدْع العُرْج العُمْي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك. لأنك تُكافأ في قيامة الأبرار. فلمَّا سمع ذلك واحد من المتكئين قال له: طوبى لمنْ يأكل خبزاً في ملكوت الله.» (لو 14: 12-15)

وفي الحقيقة نرى أن الإفخارستيا كما أسسها المسيح تُحتسب بالحق وليمة المسيا النبوية كما هي وليمة العهد الجديد، فهي التي رآها الأنبياء بالروح وكما ترجَّاها كل أتقياء اليهود، جاءت وفق ما كانوا ينتظرون، إنما في بساطة إلهية وفي سر يتناسب مع عِظم الذبيحة المقدَّمة.

ولكن الذي ينبغي أن ينتبه إليه ذهننا، هو أن المسيح اختار التقدمة على غرار تقدمة ملكيصادق تماماً لتكون ذات إلهام خاص لتلاميذه، ولنا على ممر الدهور. فقد اختار نفس مواد التقدمة، **أي الخبز والخمر بالذات، ليكشف سرَّ نفسه** وبالتالي سر أزلية التقدمة «قبل أن يكون إبراهيم أنا

(50) Eusebius *Dem. Ev.*, 1, 10, PG XXII, 92 C.

كائن.» (يو 58:8)

ثم اختار المسيح زمن سر الإفخارستيا بدقة ليتناسب مع أهداف عديدة في وقتٍ واحد، فأقامه ليلة الفصح **ليشير إلى ذبيحة نفسه** باعتباره حَمَل الفصح، وليشير إلى **العهد الجديد** باعتبار أن الفصح يشكِّل بطبيعته عهداً مع الله، **وليعلن الخلاص الكامل** الذي كان يتوقعه كافة اليهود والأمم باعتبار أن الفصح هو عبور من العبودية والموت والهلاك معاً.

ثم اختار أن تكون الإفخارستيا على شكل الوليمة الطقسية التي اعتاد اليهود على تقديمها في الميعاد ترقُّباً لمجيء المسيا، حتى يكشف أنه قد تمَّ الزمان وتحققت كافة النبوات عن سر وليمة المسيا التي ظل اليهود ينتظرونها بفارغ الصبر.

وهكذا نرى في مادة الإفخارستيا، أي الخبز والخمر إشارة، عَبْر ملكيصادق، إلى أزلية المسيح وذبيحته.

ونرى في توقيت الإفخارستيا، ليلة الفصح، إشارة، عَبْر خروف الفصح، إلى ذبيحة نفسه، وإلى العهد الجديد بدمه، وإلى الخلاص الشامل العتيد أن يكمِّله بموته.

ونرى في اختيار تأسيس سر الإفخارستيا ليكون من داخل وليمة المسيا، إشارة إلى اكتمال الزمان وتحقيق النبوات.

إذاً، فالإفخارستيا هي التحقيق النهائي «لوليمة المسيا» النبوية، والاستعلان الشامل لكل أسرارها. وإنه وإن كانت الإفخارستيا قد جاءت في شكلها وترتيبها حسب الطقس اليهودي المتواتر، إلاَّ أنها جاءت في كلماتها وفي جوهرها وسرِّها ومعناها ونتائجها مختلفة تماماً عن كل ولائم المسيا التي صنعها اليهود.

والآن ندرك لماذا جاءت الإفخارستيا بخبز وخمر، ولماذا جاءت في موعدها هذا، لا على أساس آراء واجتهادات ومجادلات لاهوتية، بل على أساس تقليد وأسرار عميقة وإشارات قصدها المسيح وأدركها تماماً وعبَّر بها عن أمور فائقة على التصوُّر والحصر. ولكن كل هذا يعرضه لنا العهد القديم بعمق وأصالة وإبداع على مدى كل أسفاره المقدَّسة، وذلك بالإشارات الحية، والنبوات الواضحة، والرموز، والمثالات، والطقوس المتواترة، على مدى كل الأجيال، بدقة فائقة؛ ليعطينا أكبر قدر من الوضوح والرؤيا لنرى سر الإفخارستيا في عمقه، ودقته، وامتداده، وأصالته الزمانية، وما فوق الزمانية، البشرية والإلهية معاً، في انسجام وتسلسل، عَبْر الكتاب المقدَّس كله، بل عَبْر الزمان والأبدية.

6 – الإفخارستيا ومائدة الرب
"المزمور 23"

+ «الرب راعيَّ فلا يُعْوِزُني شيء. في مراعٍ خصيبة يقبلني. ومياه الراحة يوردني. يردُّ نفسي ويُهديني إلى سُبُل البر من أجل اسمه. إني ولو سلكت في وادي ظلال الموت لا أخاف شرًّا لأنك معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني، تهيىء أمامي مائدةً تجاه مضايقيَّ. وقد مسحت بالدهن رأسي. وكأسي مُرْوِيَةٌ. الجودة والرحمة تتبعاني جميع أيام حياتي. وسُكناي في بيت الرب طول الأيام. »(الترجمة عن كتابات الآباء)

✠ ✠ ✠

هنا الإشارة والمثل بين الإفخارستيا والعهد القديم لا تقوم على أساس وليمة يصنعها الإنسان أمام الله كوليمة المسيا، بل مائدة يرتبها الرب للإنسان! وكأنها نازلة من السماء، هنا المثال ***Typos*** يجوز امتداداً جديداً من مستوى الأكل الذي يعدُّه الإنسان ويتقدَّس بحضور الله، إلى حضور إلهي على رأس مائدة سماوية يقدِّم فيها الله قُدْسَاتِهِ ليأكلها الإنسان: «**هيأتَ** مائدة» هنا الله هو المخاطَب. « **وكأسُك** مُرْوية» هنا الله هو الذي يمزج الكأس ويقدِّمه!!

وهنا الإفخارستيا تأخذ من العهد القديم استعلانها الإلهي الأخير والأكمل!!

حيث تواجه الإفخارستيا لا مثالاً ولا صورة، بل سرًّا في مواجهة سر.

المزمور الثالث والعشرون يحتل مكانة كبيرة في التقليد الكنسي السرائري بسبب قول الروح فيه على فم داود النبي بخصوص عطايا الله السرائرية فيما يختص بالإفخارستيا والمعمودية، وبالأخص مسحة الميرون، فكانت الكنيسة تلقِّنه للموعوظين قبل المعمودية كأحد المحفوظات التي تُحفظ عن ظهر قلب مثل «أبانا الذي في السموات» وكان الآباء (الأساقفة) يقومون بشرح المزمور الثالث والعشرين هذا للموعوظين قبل وبعد المعمودية، فكان هذا المزمور هو النور الهادي من العهد القديم الذي ينير الطريق من المعمودية إلى الإفخارستيا، في موسم عيد القيامة، بالنسبة للموعوظين.

والقديس كيرلس الأُورشليمي يعلِّق على هذا المزمور قائلاً:

[«لقد هيأتَ مائدةً تجاه عينيَّ مقابل الذين يضايقونني» ماذا يعني بذلك إلاَّ المائدة السرائرية mystical «mustik الروحانية التي أعدَّها الله لنا؟

«أنت مسحت بالزيت رأسي» وهوذا الله قد مسح جباهكم بختم الله sfr£gij sphragis الذي تقبَّلتموه حتى إذ ينطبع الختم عليكم تصيرون مقدَّسين (مكرَّسين) لله.

ثم ترون أيضاً كيف يذكر الكأس الذي شكر عليه الرب قائلاً: «هذه الكأس هي دمي»][51]

وهكذا يعتبر كيرلس الأُورشليمي هذا المزمور نبوَّة خاصة تُستعلن من خلاله المواهب المسيحية للعماد والإفخارستيا، ويأخذه كحقيقة نبوية مسلَّمة لا تحتاج إلى جهاد في التطبيق، كما يعتبره مزموراً خاصاً بكل مَنْ يتقدَّم للمواهب السرائرية.

وبنفس التأكيد والوضوح يتكلَّم عنه القديس أمبروسيوس:

[اسمعوا عن ماهية الأسرار التي نلتموها. اسمعوا داود ماذا يقول لكم، لأنه هو أيضاً رأى بالروح هذه الأسرار. وكيف استهل مزموره أنه لم يعد يحتاج شيئاً، لماذا؟ لأن كل مَنْ يتناول جسد المسيح لم يعد يجوع بعد، **كم مرة سمعتم هذا المزمور** دون أن تتأملوا فيه. انظروا كيف هو يطابق الأسرار السماوية.][52]

هنا إشارة القديس أمبروسيوس إلى أن الموعوظين سمعوا هذا المزمور كثيراً، يفيد أنه كان يُتلى عليهم ضمن طقس ليتورجيا العماد، وضمن طقس التسبيح الذي كان يشترك فيه خورُس الموعوظين.

هذا يتضح أكثر من قول العلاَّمة ديديموس الإسكندري، مما يثبت قطعاً أن نفس هذه الترتيبات كانت أصيلة في مصر:

[إن الذين قد حُرموا بعد من البركات الأرضية بسبب صغر سنهم تُمنح لهم المواهب السماوية بغنى للملء، حتى حقَّ لهم أن يترنموا بالفرح قائلين: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء»][53]

هنا الإشارة واضحة أن المزمور كان تسبحة الموعوظين والأطفال.

ويضيف القديس أمبروسيوس إلى ذلك، مشيراً إلى مواضع التسبيح بهذا المزمور قائلاً:

(51) Cyril of Jerus. PG XXXIII, 1101 D.

(52) Ambrose, *De Sacram*. V, 12-13.

(53) Didymus of Alex., *De Trinitate*, PG XXXIX, 708 C.

[وبعدما يخلع المعمَّد عنه صبغة الخطايا القديمة «ويتجدَّد مثل النسر شبابه» يُسرع إلى الوليمة السماوية. فعندما يقترب ويرى المذبح مهيَّأ يرنم قائلاً: «أعددتَ لي مائدة تجاه عينيَّ»][54]

وهكذا نكتشف أن خورس الموعوظين كان يرتل هذا المزمور وهو يتقدَّم داخل الكنيسة حتى يدخل تجاه الهيكل ويرى المذبح!

ويعلِّق القديس غريغوريوس النيسي على أسرار هذا المزمور بقوله:

[بهذا المزمور يعلِّم المسيح الكنيسة أنه ينبغي عليك أولاً أن تصير غنمة وراء الراعي الصالح، بتعاليمه يقودك إلى المراعي وينابيع المعرفة والتعاليم الصحيحة. بعد ذلك تجوز معه الموت: «إن جُزتُ في وادي ظل الموت» في دفن المعمودية. غير أن ذلك ليس موتاً بحسب الظاهر وإنما شبه ومثال الموت.

وبعد ذلك يعدُّ لك المائدة السرائرية، ويمسحك بزيت الروح.

وأخيراً، يقدِّم لك الكأس التي تفرِّح قلب الإنسان وتَهب الثمالة الروحية والحكمة.][55]

أمَّا يوسابيوس القيصري فيقص علينا كيف تعلَّم هو نفسه هذا المزمور لأول مرَّة وهو شماس صغير:

[وبعدما تعلمنا كيف نُقيم تذكار الذبيحة على المائدة بواسطة العلامات السرائرية (الخبز والخمر) التي للجسد والدم، بحسب مواصفات العهد الجديد، تعلَّمنا أن نرنم بصوت داود النبي: «لقد أعددتَ مائدةً أمامي تجاه مضايقيَّ، مسحتَ بالزيت رأسي» وفي هذه الآيات يشير «الكلمة »(اللوغس)، بوضوح، إلى المسحة السرائرية (الميرون) وإلى الذبيحة المقدَّسة المقدَّمة على مائدة الرب.][56]

وللقديس كيرلس الإسكندري شرح فيما يختص بالآيات الأُولى لهذا المزمور نوردها لأهميتها الخاصة:

[إن المراعي الخضر (التي يُربض فيها الراعي خرافه) ينبغي أن تُفهم أنها هي كلمات الله التي هي دائماً نضيرة وجديدة، كلمات الإنجيل المقدَّس التي بإلهام الروح تغذي قلوب المؤمنين وتهبهم قوة روحانية...

(54) Ambrose, *De Myst.*, 43.

(55) Greg. of Nyssa, PG XLVI, 692 A-B.

(56) Eusebius, *Dem. Ev.*, 1, 10.

كذلك فالمراعي الخضراء تعني الفردوس الذي انحدرنا منه وسقطنا، والذي إليه يعود بنا المسيح ويقيمنا فيه على ماء الراحة، أي نعمة المعمودية.](57)

وهنا تجدر الإشارة ـ ولو أنها خارجة نوعاً عن الموضوع ـ إلى أُوشية الراقدين، التي تُقال في رفع البخور، والتي في مطلعها آية المزمور الثالث والعشرين:

[تفضل يا رب أرِحْ نفوسهم جميعاً في حضن آبائنا القديسين إبراهيم وإسحق ويعقوب (هنا ذكر لوليمة المسيا في الدهر الآتي)، ارْعَهُم في موضع الخضرة (المعرفة الإلهية العالية) على ماء الراحة (بحسب نعمة المعمودية ـ أي كمواهب الخليقة الجديدة المبرَّرة من كل خطية) في فردوس النعيم ... إلخ.](58)

يؤكِّد هذا المعنى أيضاً القديس أثناسيوس الرسولي:

[إن ماء الراحة يعني بلا شك المعمودية المقدَّسة التي بواسطتها تُمحى كل ثقل الخطية.](59)

ولكن الذي يهمنا من المزمور الثالث والعشرين هو إلهاماته الخاصة بالإفخارستيا، والتي ركَّز عليها الآباء جميعاً، يقول القديس كيرلس الأُورشليمي:

[إذا أردت أن تعرف فعل هذه الأسرار اسأل داود الطوباني الذي يقول لك: «أعددتَ مائدةً قدامي قبالة الذين **يضطهدونني**» أي قبل أن تأتي يا رب، كانت الشياطين هي التي تعدُّ موائد النجاسة المملوءة من الأعمال الشيطانية، ولكن لما أتيتَ إلينا يا رب أعددتَ مائدةً لي التي هي ليست إلاَّ المائدة السرائرية الروحانية التي أعدَّها الله لنا.](60)

كذلك أيضاً القديس غريغوريوس النيسي الذي يقول عن «أعددتَ لي مائدة»

[أي أعددتَ المائدة السرائرية Sacramental.](61)

ويأتي القديس كيرلس الإسكندري ويوضِّح السر في هذه الآية بقوله:

[إن المائدة السرائرية يُعنى بها جسد الرب الذي يقوينا قبالة الشياطين وشهواتنا، ففي الحقيقة

(57) Cyril of Alex., PG LXIX, 841 A.

(58) الخولاجي المقدَّس.

(59) Athanas., PG XXVII, 140 B.

(60) Cyril of Jerus., PG XXXIII, 1102 B.

(61) Greg. Nyss., PG XLVI, 692 B.

الشياطين يخافون من الذين يشتركون في الأسرار.][62]

وإن كانت مائدة هذا الراعي هي الإفخارستيا، فالكأس فيها هي كأس الرب. هكذا رآها الآباء جميعاً.

وفي الترجمة اليونانية الحديثة تُترجم «كأس فائضة أو مُتْرعة» أمَّا الترجمة السبعينية القديمة فتُترجم « كأس مُسْكِرة» أو «كأس مُدْهشة»

ويتكلَّم عنها القديس كبريانوس آخذاً عن العلاَّمة أوريجانوس:

[وإن مَثَل الإفخارستيا واضح ومشروح في سفر المزامير بالروح القدس. فعن ذكر كأس الرب يقول: «كأسُك المسْكِرَة كم هي مدهشة لي» ولكن السُكْر الذي يكون من كأس الرب ليس هو السكر الذي يحدث من الخمر العادي، لأن كأس الرب تُسكرنا بالروح دون أن تُفقدنا عقلنا وصَحْونا.][63]

وعن هذه الكأس المسْكِرة، في المزمور، يقول القديس كيرلس الأُورشليمي مطبقاً مباشرةً على كأس الرب:

[كم هي عجيبة يا رب كأسك المسْكِرة هذه، هذه (التي في المزمور) هي الكأس التي أمسكها الرب بيده وشكر عليها وقال: «هذا هو دمي الذي يُسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا»][64]

أمَّا عن السُّكْر الذي في كأس الرب، فيقول عنه القديس أثناسيوس الرسولي: **[إنه الفرح السرِّي]**[65]

وهنا إشارة أثناسيوس الرسولي إلى فعل دم المسيح في الإفخارستيا تبلغ استعلانها الروحي الفعلي، فكما أن الخمر في العالم تفرِّح قلب الإنسان وترفع عنه الإحساس بالهموم، بسبب التخدير الذي تستحدثه الخمر في مراكز الأعصاب العليا حتى يدخل الإنسان حالة السكر ثم انعدام الإحساس بالدنيا، هكذا الإفخارستيا في مستواها الروحي المستيكي ـ أي السرِّي ـ حيث يدخل الإنسان حينما يتفتَّح وعيه لسرِّ الدم الإلهي ويتغلغله هذا السر، فيُلهب مراكز الحب العالي في قلب الإنسان، فيهيم الإنسان بالله والسماء ويفقد وعيه الإرادي بالدنيا وهمومها حتى يدخل الدَهْش الإلهي الذي لا يعود فيه يحس بنفسه.

(62) Cyril of Alex., PG LXIX, 841 C.

(63) Cyprian, *Epist.*, LXIII, 11.

(64) Greg. Nyss., PG XXXIII, 1104 A.

(65) Athanasius, PG XXVII, 140 D.

ولكن هذه المفاعيل الروحية لا تصيب الإنسان تلقائياً كمَنْ يشرب كأساً من الخمر فيحس بأعراض السُّكْر تأتيه مباشرة، ولكنه سكر بالسعي والإرادة والوعي الروحي حينما يرتفع القلب إلى مستوى بذل المسيح على الصليب ويدرك عمق سر الموت الإرادي الذي دخله الرب عن دوافع الحب الصادق!!

إنه سكر الروح لا سكر الحواس!!
إنه خمر الحب الإلهي الذي يُذهل العقل.

وفي تطبيق سر الشكر من مزمور داود على كأس الإفخارستيا يقول القديس كبريانوس:
[ولكن السكر الذي نحصل عليه من كأس الرب ليس كالسكر الذي يُصيب الإنسان بفعل الخمر العادي، لذلك يقول المزمور (الترجمة السبعينية) «كأسك المسكرة أدهشتني»

إن كأس الرب تُسكرنا، إنما لا تُفقدنا وعينا وصحونا، بل بالحري تقود النفس إلى الحكمة الروحانية والدهش الإلهي، وبواسطتها ينتقل الإنسان من مذاقة الأمور الباطلة إلى معرفة أمور الله.

ولكن كما أن الخمر تُحرِّر النفس وتجعلها بلا إحساس بالأحزان هكذا يكون عمل الدم المخلِّص في كأس الرب، فإنه يمحو ذكر الإنسان العتيق ويهب النسيان للحياة السابقة في الباطل ويجعل النفس تشعر براحة، لأن فرح الله يسكن القلب الذي كان حزيناً ومثقَّلاً بالهموم ورازحاً تحت أثقال الخطايا.][66]

وفي قول آخر للقديس أمبروسيوس يرتفع معنى السكر الروحي إلى مستواه اللاهوتي حينما يقول:
[إن كأس الرب تمنح غفران كل الخطايا، الكأس التي فيها الدم الذي سُفِك لغفران خطايا كل العالم! وهذه هي الكأس التي أسْكَرت كل الأمم فنسيت أحزانها ولم تعُدْ تذكر معاصيها الأُولى، كم هو جيد هذا السُّكر الروحاني الذي يولِّد الصحو، لأنه يزيل حزن الضمير المهموم بثقل الخطية، وعوضاً عن الحزن ينسكب فرح الحياة الأبدية. من أجل ذلك يقول المزمور: «إن كأسك المسكرة كم هي عجيبة»][67]

(66) Cyprian, *Epist.*, LXIII, 11.

(67) Ambrose, *Exp. Ps.*, CXVIII.

ويعود أمبروسيوس ليقول في موضع آخر:

[إن الذين يشربون بحسب الظاهر فقط يرتوون وحسب، أمَّا الذين يشربون «بالحق» فإنهم يسكرون!! كم هو صالح ذلك السُّكْر الذي يورِّثنا الحياة الأبدية، لذلك اشربوا من هذه الكأس التي يقول داود عنها: «وكأسك المسكرة كم هي عجيبة»](68)

ويعود القديس غريغوريوس النيسي بأسلوبه التصوفي ليشرح معنى السُّكْر:

[إن الخمر الذي خُلق ليُبهج قلب الإنسان، حينما يعطيه الرب فإنه يهب النفس هذا السُّكر المنعش أو الصاحي الذي يرفع تعلُّقات القلب من الأمور الزائلة إلى الأبديات. وكل مَنْ ذاق هذا السكر فإنه يستطيع أن يستبدل الأمور الوقتية بالتي بلا نهاية ويعيش في بيت الرب مدى الأيام كقول المزمور.](69)

ويعطينا أيضاً القديس يوحنا ذهبي الفم صورة روحية لهذه الكأس المسكرة في مفهومها الإفخارستي:

[«إن كأسك المسكرة لهي عجيبةٌ حقاً» ما هذه؟ إنها الكأس الروحانية، كأس الخلاص، كأس دم الرب. هذه الكأس لا تصيب الإنسان بالسُّكْر، بل تهبه اليقظة والصحو.](70)

ولكن لا تزال في هذا المزمور إلهامات عميقة استطاع الآباء أن يجدوا فيها استعلاناً لترابط أكثر بين الأسرار وبين المسيح كراعٍ حقيقي، وفي هذا يقول القديس غريغوريوس النيسي:

[في هذا المزمور يدعوك داود أن تكون غنمة يرعاها المسيح، حتى لا تعود في عوزٍ لشيء قط لأن راعيك يكون حينئذ هو ملجأك وهو ماء راحتك وطعامك ومسكنك وطريقك وقائد حياتك يوزِّع نعمه على قدر حاجتك ... وحينما تصبحُ أنت غنمة للراعي الصالح فحينئذٍ يقودك بتعاليم الخلاص إلى المراعي والينابيع التي هي التعاليم المقدَّسة.](71)

ويرى القديس كيرلس الكبير أن المزمور الثالث والعشرين يصلح ليكون:

[أُغنية للوثنيين الذين صاروا بالإيمان تلاميذ للرب، الذين أكلوا بالروح وشبعوا وأصبح عليهم أن يعبِّروا عن شكرهم لقائد نفوسهم الذي يُطعمهم طعام الخلاص، يدعونه راعيهم وأباهم

(68) Ibid. *On Ps.* I, C.S.E.L. 64, 8.

(69) Greg. of Nyssa, PG XLVI, 692 B.

(70) John Chrys., *De Res*., II, PG L, 455 A.

(71) Greg. of Nyssa, PG XLVI, 692 A.

لأنه لم يرسل لهم قديساً ليقودهم كما أعطى لإسرائيل عبده موسى، بل أرسل لهم راعي الرعاة وسيد المعرفة كلها الذي فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة.](72)

ولقد كان تأثير هذا المزمور السرائري والرعائي على الكنيسة الأُولى شاملاً، فقد تغلغل حتى في تعبيراتها الفنية عن الأسرار. ففي كثير من المعموديات رُسم المسيح كراعٍ صالحٍ يرعى خرافه ويقودها على مجرى الأنهار، ولا يمكن أن يكون هذا التعبير إلاَّ عن المزمور 23: «الرب راعيَّ ... على ماء الراحة يوردني ... مسح بالزيت رأسي» ومعروف أن الموعوظ في ذلك الوقت كان أقدر مَنْ يفهم هذه الصورة، لأنه يحفظ المزمور عن ظهر قلب! لكن أهم ما يُبرز المزمور الثالث والعشرين بالنسبة للإفخارستيا هو أنه يجمع معاً «وليمة المسيا الآتي» مع وضع المسيا في الوليمة كراعٍ يُطعم خرافه ويسقيها وهو نفسه يقودها ويبذل نفسه عنها.

وهذه الصورة التي يقدِّمها المزمور الثالث والعشرون للمسيا الآتي، نجدها واضحة وسائدة جداً في حياة المسيح المعلَنة على طول الإنجيل، والتي كان ينبِّه عليها الرب كثيراً:

+ «أنا هو الراعي الصالح» (يو 10:11)
+ «حين أرسلتكم ... هل أعوزكم شيء» (لو 22:35)
+ «إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يو 10:9)
+ «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب» (يو 7:37)
+ «مَنْ يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد» (يو 4:14)
+ «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو 11: 25و26)
+ «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو 6:51)
+ «وأخذ الكأس ... قائلاً: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد.» (مت 26: 27و28)

ولذلك يُعتبر هذا المزمور، بعد تأمُّلنا السابق في وليمة المسيا، هو التمهيد الأخير لاستعلان المسيح في وظيفتيه السريتين العظيمتين: كراعٍ صالحٍ وحَمَلٍ مذبوح، كاهن وذبيحة: راعٍ يرعى خرافه،

(72) Cyril of Alex., PG LXIX, 840 C.

وحَمَل يطعمها ويسقيها من جسده ودم نفسه! فالمسيح هو صاحب الإفخارستيا وهو نفسه مائدتها وطعامها وشرابها.

ثم يظل المزمور الثالث والعشرون يخط في الكنيسة بتأثيراته الإلهامية السرائرية مقدِّماً أعظم صورة للمسيا في وظائفه الخلاصية والرعائية، لا في العهد القديم والعهد الجديد فحسب، بل وحتى في الدهر الآتي.

فنحن نجد القديس يوحنا الرسول في رؤياه يرى المزمور الثالث والعشرين وقد صار حقيقة تُرى بالعين:

+ «فقال لهم: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف. ومن أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله، والجالس على العرش يحل فوقهم. لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر. لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيَّة، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.» (رؤ 7: 14ـ17)

الفصل الثاني

صلوات الإفخارستيا والقداس اليوم
ومقارنتها
بالصلوات المماثلة في العهد القديم

سوف نقدِّم في هذا الفصل صورة للصلوات في العهد القديم، كما جاءت على فم الآباء والأنبياء؛ ثم نوضح كيف تبلورت هذه الصلوات العامة المتفرقة منذ زمن موسى ويشوع، ودخلت كأساس لصلوات الهيكل وصلوات المجمع اليومية، وصلوات الشعب العامة التي تُتلى في البيوت على الولائم الرسمية، ثم نعرض لآخر صورة من هذه الصلوات كما صلَّى وسبَّح بها المسيح داخل المجمع وعلى العشاء الأخير.

لأنه في هذه الصورة سيتضح لنا كيف ظلت كلمة الله ووصيته وعهده القائم مع الآباء والشعب هي الينبوع الدائم لكل الطقس القديم. ومن عرضنا لدقائق هذه الصلوات ومعانيها وترتيبها ينكشف لنا عمق الأساس الذي تقوم عليه الصلاة التي تقُدَّم في الكنيسة اليوم؛ كما يتضح أمامنا معنى كل صلاة وسببها وأهدافها، والروح التي صاغتها، وقوة الوعد التي تعطيها فعاليتها.

غير أنه لن يكون من الصعب اكتشاف الفارق الكبير بين صلوات العهد القديم وطقوسها وبين صلوات الكنيسة اليوم وطقوسها، إذ بينما يتشابه الوضع والكلمة أحياناً، يبقى الأساس الإلهي الجديد شامخاً بالمسيح، عميقاً بسر الصليب، متسعاً بالنعمة، حيًّا بالروح، كما هو حادث تماماً في الفارق بين العهد الجديد والعهد القديم على وجه العموم.

1 - مضمون الصلاة في العهد القديم

والصلوات قديماً سواء التي جاءت حرَّة على أفواه الآباء والأنبياء، أو التي استخلصها الربيون وحكماء إسرائيل وأدخلوها كطقس ثابت داخل الهيكل والمجمع، تقوم أساساً على نوعين من الصلاة: **النوع الأول**: اسمه ومضمونه هو **صلاة البركة، والنوع الثاني**: اسمه ومضمونه هو **صلاة التضرُّع**.

ولا يزال هذان النوعان من الصلاة يكوِّنان الهيكل العام لصلاة الإفخارستيا ـ أي القداس.

وأول مَنْ فرَّق بين صلاة البركة وصلاة التوسُّل عملياً وجعل لكل منهما ألفاظاً واضحة ومحدَّدة، هو سليمان النبي، في زمن اكتمال الهيكل.

وقد جاءت صلاة البركة باسمها العبري «**برَاخُوث**»، وتُرجمت في الترجمة السبعينية إلى eÙlog…a **أولوجية**، ووضح فيها **عنصر الشكر والتسبيح والتمجيد**.

أمَّا صلاة التضرُّع فجاءت باسمها العبري «**تِفِلاَّه**»[1] Tephillah، وهي تقرب من معنى الشفاعة وكلها توسُّل.

وكمثال لصلاة البركة، أي الأولوجية، التي قالها سليمان، نقدِّم:

+ «وقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة إسرائيل **وبسط يديه إلى السماء** وقال: **أيها الرب إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء** من فوق ولا على الأرض من أسفل، حافظ **العهد والرحمة** لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم ...، **مبارك الرب** الذي أعطى راحةً لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلَّم به ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلَّم به عن يد موسى عبده.» (1مل 8: 22و23و56)

ويُلاحَظ في صلاة البركة هذه:

أولاً: أنها تحوي مباركة الله،

ثانياً: أنها صلاة قائمة على أساس العهد القائم،

ثالثاً: أن مضمونها مأخوذ من كلمة الله المنطوقة بفمه التي هي أصلاً «اسمع يا إسرائيل **الرب إلهنا ربٌ واحدٌ**...» (تث 4:6)،

رابعاً: أنها مقدَّمة على أساس الطاعة المطلقة لله «السائرين أمامك بكل قلوبهم»

خامساً: أن وضعها الخارجي يكون برفع الأيدي.

وكمثال لصلاة التضرُّع Tephillah **قال سليمان:**

+ «فالتفتْ إلى صلاة عبدك وإلى **تضرُّعه** أيها الرب **إلهي**، واسمع **الصراخ والصلاة** التي يصليها

---

(1) احتار كثير من الشرَّاح في فهم كلمة «حيّ على الفلاح»، ونعتقد أنها تعني «حي على التضرُّع إلى الله».

عبدك أمامك اليوم، لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت ـ الذي قلتَ إن **اسمي يكون فيه** ... اسمع تضرُّع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلُّون في هذا الموضع ... وإذا سمعت **فاغفر** ... إذا **أخطأوا إليك ثم رجعوا إليك واعترفوا** باسمك **وصلُّوا وتضرَّعوا** إليك نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء واغفر خطية شعبك إسرائيل **وارجعهم** إلى الأرض التي **أعطيتها لآبائهم**.

وكان لما انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب بكل هذه **الصلاة والتضرُّع** أنه نهض من أمام مذبح الرب **من الجُثُوِّ على ركبتيه، ويداه مبسوطتان نحو السماء**، ووقف وبارك كل جماعة إسرائيل بصوتٍ عالٍ.» (1مل 8: 28– 30 و33و34 و54و55)

وهنا يعطينا سليمان النبي كل الشروط الأساسية لصلاة التضرُّع:

أولاً: إنها يلزم أن تقوم على أساس ارتباط تعهُّدي مع الله، أي علاقة تبعية «أيها الرب إلهي»

ثانياً: إن الأمر المتضرَّع عنه هو على اسم الرب أو يحمل اسم الرب «اسمي يكون فيه»

ثالثاً: إن التضرُّع قائم على أساس توبة، أي رجوع القلب إلى الله.

رابعاً: إن التوبة قائمة على أساس **الاعتراف** باسم الرب.

خامساً: إن الطلب المقدَّم له أساس في وعد الله «التي أعطيتها لآبائهم»

سادساً: إنها بصراخ وتذلُّل.

سابعاً: إنها بركوع وسجود أمام الله.

وهذه كلها جاءت في تضرُّع سليمان.

ونلاحظ في صلاة سليمان وتضرُّعه أنه كان باستمرار يقول: «**اسمع صلاة عبدك وتضرُّعه**»، أي أن صلاة البركة (أو تمجيد الله) لابد أن تسبق صلاة التضرُّع والتوسُّل والسؤال.

وهذا الترتيب الطقسي لا يزال متَّبعاً بحرفيته في كل صلاة تُقام في الكنيسة حتى اليوم!

ويُلاحَظ دائماً في صلوات العهد القديم أنه لا يمكن أن تُقدَّم ذبيحة أو تقدمة إلى الله أو أن يأكل منها إنسان إلاَّ بعد أن يصلِّي عليها صلاة البركة، وهكذا نجد أن سليمان النبي **بعد أن بارك الله والشعب ذبح الذبائح أمام الله ثم قدَّم الوليمة للشعب**. وهكذا نجد أن كلاً من التقدمة والأكل مرتبط ارتباطاً شديداً بصلاة البركة، كطقس ثابت ودائم في العهد القديم.

كذلك من عجب الطقس القديم أن صلاة البركة التي تُتلى على الذبائح التي يأكل منها الشعب،

أي المعتبرة أنها وليمة، كان لابد أن يُذكر عليها ـ أي على الذبيحة ـ دعاء ورجاء من أجل بيت داود وعودة الملك إليه! أي أن كل وليمة كانت تأخذ صبغة مقدَّسة باعتبارها «وليمة المسيا الآتي» وكأنها تشير إلى الإفخارستيا من بعيد.

لذلك نجد أنه حتى في صلاة سليمان على الذبائح التي قُدِّمت لله والتي سيأكل منها الشعب، لم تخلُ من إشارة إلى المسيَّا الآتي وملكوت الله!! «وذهبوا إلى خيامهم فرحين وطيبي القلوب **لأجل الخير الذي عمله الرب لداود عبده**» (1مل 66:8)، (مع أن داود كان قد مات، فالإشارة هنا ليست لسليمان وحده بل للمسيَّا الذي سينتهي إليه مُلْك بيت داود).

كذلك فالمعروف منذ البدء أن صلاة البركة والتضرُّع كانتا لا تُقدَّمان بصورة طقسية إلاَّ ويُرفع معهما بخور أمام الله: «لتستقم صلاتي كالبخور قدامك» (مز 2:141)، لأنه توجد علاقة سرية بين الاثنين، أي بين البخور والصلاة. هذه العلاقة ظلت قائمة منذ العهد القديم حتى إلى سفر الرؤيا ـ أي الصلاة في السماء (رؤ 8:5).

2 ـ مفهوم البركة في العهد القديم

وصلوات البركة في العهد القديم غزيرة ومتنوعة، فقد وردت كلمة «البركة» كمفهوم صلاة ما يقرب من 400 مرة، تُرجمت إلى اليونانية في الترجمة السبعينية إلى كلمة eÙlog…a بمشتقاتها.

وجمع بركة «بِرَاخوث» باللغة العبرية، والفعل منها «**بِيرَخ**». أمَّا في اللغة العربية فللأسف الشديد بقيت الكلمة هي هي بالعبرية بدون ترجمة. فكلمة «بركة» ليست عربية، لذلك ظلت مُبهمة المعنى ليس لها أي قياس ومغلقة بالنسبة للفكر العربي. ومما زاد في تعقيد فهم كلمة «بركة» ارتباطها بكلمة عكسية وهي «اللعنة» وفي الحقيقة قد أساء الناس فهم «البركة» على ضوء إساءتهم لفهم «اللعنة» ولو فُهمت الأُولى على حقيقتها لفُهمت الثانية وتجرَّدت من مضمونها السحري.

لذلك فالحاجة ماسة جداً لفهم كلمة «بركة» فهماً كتابياً ولاهوتياً صحيحاً، حتى تتنقَّى العبادة عموماً من شوائب كثيرة، ويتعدَّل ميزان التقدير الروحي في العلاقات مع الله ومع الناس وحتى مع الأشياء والمقتنيات. إذ لابد أن يتبدَّد المفهوم الخاطيء الذي يحيط بهذه الكلمة من جهة التفاؤل والتشاؤم، والاستسلام للقضاء والقدر، والتعلُّق بمفهوم الحظوظ، وعمل السحر، واستخدام الأحجبة والطواطم.

والذي يحتِّم علينا دراسة هذه الكلمة بالتفصيل وقوعها في صُلب الإفخارستيا، فأساس الصلاة

التي صلاَّها المسيح على الخبز والخمر هي كلمة «بارك» كذلك في صلوات القداس الإلهي، نجد أن كلمة «بارك» ومشتقاتها وردت 66 مرة، وعلى أساسها تقوم كل «الأواشي» تقريباً. فما هو **المعنى الروحي** لكلمة «بركة» وما هو «**فعلها**»؟ وما هي القوة التي تُلازم البركة؟ هل هي قوة سرية أم هو تأثير خفي، أم هو فعل مادي؟

ثم كيف يباركنا الله؟ وكيف يجوز أن نبارك الله؟ وكيف نبارك نحن الناس، وكيف يبارك الله الأشياء، وكيف نبارك نحن هذه الأشياء؟

3 ـ مفهوم البركة واستخداماتها في العهد القديم

لكي نسهِّل على القارىء فهم معنى البركة في العهد القديم، رأينا أنه من الأفضل أن نقدِّم أولاً استخداماتها كما جاءت في المواضع والمواقف التي ذُكرت فيها، حتى ينتبه الذهن إلى العمق والاتساع الهائل الذي غطَّته هذه الكلمة الروحية في كافة العلاقات التي تربط الإنسان بالله وبالآخرين وبكل شيء في العالم!

استخدامات البركة في العهد القديم

أولاً: الله يبارك الإنسان والخليقة:

العهد القديم في كل أسفاره يحرص على أن يقدِّم الله دائماً باعتباره هو الوحيد الذي يملك البركة ويعطيها، فهو «المبارَك **وحده**» «حيٌّ هو الرب ومبارَك» (مز 46:18)، «مبارَكٌ اسمُ مجدِهِ إلى الدهر»(مز 19:72)، «مبارَكٌ أنتَ يا رب» (مز 12:119)، «مبارَكٌ مجد الرب من مكانه» (حز 12:3)، «أأنت المسيحُ ابنُ المبارَك؟» (مر 61:14)

وبهذه الآية الأخيرة سأل رؤساء الكهنة المسيح عن علاقته بالله حيث استخدموا صفة «المبارَك» للكناية عن الله باعتبارها الصفة الشخصية المميزة تمييزاً مطلقاً لله وحده. وكان هذا تعبيراً عن مضمون الفكر المقدَّس السائد في كل العهد القديم عن الله.

فكل بركة هي مستمدَّة من الله وعائدة إليه بالضرورة، والإنسان مسئول عن كل بركة بارَكَ الله بها الخليقة، يثبت وجودها ويحافظ عليها وينمّيها وينتفع بها شخصياً، إنما لتمجيد الله!!

فالإنسان يتقبَّل بركة الله لكل المخلوقات لنفسه، ولكن على أساس أن يجعلها تعمل لمجد الله وتؤول إليه!

ولكن هذه البركة التي يمنحها الله للإنسان والخليقة إنما يمنحها بحرية إرادته الذاتية كفعل إلهي يكشف عن أعماق تحننات الله، بقصد أن تنجح الخليقة وينجح الإنسان في كل عمله لتكميل مشيئة الله ومسرَّته! ولكن ليس جزافاً أو بدون شرط، بل إن الله دائماً أبداً يجعل بركته رهن شروط ينبغي أن يلتزم بها الإنسان بمحض إرادته الحرة! «يفتح لك الرب كنزه الصالح السماء ليعطي مطر أرضك في حينه وليبارك كل عمل يدك ... إذا سمعت لوصايا الرب إلهك التي أنا أوصيك بها اليوم، لتحفظ، وتعمل. »(تث 28: 12و13)

يُلاحظ هنا أن البركة التي يمنحها الله للإنسان تأتي إليه عن طريق الخليقة الطبيعية: «يُعطي مطر أرضك في حينه»

أمَّا شرط البركة الأساسي هنا فهو: «إذا سمعت لوصايا الرب، ... تحفظها وتعمل بها»

وفي حين أن بركة الله للإنسان استلزمت دائماً شروطاً معيَّنة، نجد أن بركة الله للخليقة غير العاقلة أصدرها الله بدون شروط، بسبب أن الخليقة الجامدة وغير العاقلة فاقدة لحرية الإرادة، لذلك أصبحت بركة الله للخليقة كقانون يعمل تلقائياً وكقوة طبيعية تعمل وتتحكم في سير الخليقة بدون وعي منها: « وباركها الله قائلاً: أثمري وأكثري واملئي المياه في البحار وليكثر الطير على الأرض» (تك 1:22)، حيث البركة هنا تتعلَّق بنموها الطبيعي وتكاثرها.

ولكن نظراً لأن البركة التي يمنحها الله للخليقة هي أصلاً لحساب الإنسان ومنفعته، **أصبحت بركة الله للخليقة محسوبة بصورة غير مباشرة كبركة للإنسان**. ولهذا أصبح الإنسان بالتالي مسئولاً عن بركة الله للخليقة يستديمها بطاعته لله وتقواه، ويتسبب في إتلافها وزوالها بعصيانه وشرِّه!!

ومن أمثلة ذلك ما قاله داود في المزامير:

+ «يجعل الأنهار قِفَاراً ومجاري المياه مَعطشةً والأرض المثمرة سَبِخَةً من **شر الساكنين فيها!!**،

يجعل القفر غدير مياهٍ والأرض اليابسة يجعلها ينابيع مياه، ويُسكِن هناك الجياع (إلى البر) فيهيِّئون مدينة سَكَنٍ ويزرعون حقولاً ويغرسون كروماً فتصنع ثمر غلةٍ **ويباركهم فيكثرون جداً ولا يقلِّل بهائمهم**.» (مز 107: 33-38)

كذلك يُلاحَظ في خلقة الإنسان أن الله بارَك الإنسان وأعطاه أن يعيش في جنة من البركات

على الأرض، ثم أعطاه الوصية التي هي دائماً أبداً شرطاً أساسياً للبركة، التي لو حفظها وعمل بمقتضاها لعاش في البركة ودامت له الجنة، ولتجاوز الموت وعبر إلى الحياة الأبدية بطاعته، ولكنه إذ نقض الوصية وخالف تعرَّى هو من البركة وتعرَّت من البركة كل الأرض من حوله، فواجه اللعنة التي هي هي انعدام البركة في كل شيء!

ولكن الله استبقى شيئاً من البركة، إنما بصورة محدودة وفي دائرة الماديات وحسب، لرؤوس البشرية الأوائل نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وكثير من الأنبياء والقديسين، وذلك بسبب حفظهم لوصايا الله وتقواهم.

وقد أعطى الله أيضاً أن يكون لهؤلاء الآباء المباركين سلطان أن ينقلوا بركتهم ويورثوها لآخرين من بعدهم، بالدعاء باسم الرب وبوضع اليد، وانحصر هذا التوريث في الابن البكر فقط. ومن المهم جداً أن نلاحظ أن توريث البركة بهذه الصورة يقابل إلى حدٍّ ما توريث اللعنة التي تقبلتها البشرية، الأبناء من الآباء!

أمَّا انحصار البركة في الابن البكر فقط فواضح أنها بغرض استقرارها على المسيح «بكر كل خليقة »(كو 15:1)، الذي سيعيد إلى الإنسان، وبالتالي الخليقة كلها، البركة الأُولى إنما في فعلها الروحي الفائق جداً فوق الطبيعة بكل خيراتها الزمنية، بركة لا تمتُّ بعد إلى هذا العالم وإنما بركة الحياة الأبدية بالروح.

وقد اخْتُصَّ إبراهيم بالبركة العظمى بقَسَمٍ إلهي «كعهد» ظل قائماً لا يتزعزع عَبْر كل الأجيال، حتى استقر على المسيح!!

كذلك لم تُحرم بقية الشعب من نوال مزايا هذه البركة المادية، كلُّ مَنْ أطاع وصايا الله، لأن الله بحكمته الفائقة أعطى الوصية لكي يفتح أمام الإنسان باباً للبركة! «انظر، أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة، البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزُغْتم عن الطريق التي أنا أُوصيكم بها اليوم.» (تث 11:26ـ28)

وليلاحظ القارىء أن بدخول الوصية ارتفعت كل حجج الإنسان ومعاذيره أنه إنما ورث اللعنة من آدم، إذ أصبح الإنسان كل يوم في موقف متجدِّد أمام الله يستطيع بطاعته للوصية أن ينفض عنه اللعنة التي توارثها من آدم ويتجاوزها إلى البركة لو شاء، وذلك بطاعته الوصية والعمل بها!

كذلك يلاحظ القارىء أن البركة هنا بعد الوصية، بدأت تأخذ نوعاً من التلقائية كقانون ينطبق من تلقاء ذاته بالنسبة لطاعة الوصية أو رفضها، فبدت الوصية بالنسبة لعجز الإنسان وضعفه عن تتميمها وكأنما الوصية صارت من جديد سبب لعنة وموت!! هذا الذي شكا منه القديس بولس الرسول بشدة في رسالته إلى أهل رومية.

ولكن في الحقيقة كان الله من وراء ذلك يدرِّب ضمير الإنسان على الإحساس بشناعة التعدِّي على وصايا الله وأوامره، وبالتالي يؤسِّس في أعماق وجدانه بغضة الخطيئة والجزع من الغواية التي يبثها الشيطان في النفس لاشتهاء الشرور.

وعلى هذا الأساس بدأت الوصايا تنير الطريق أمام مسيرة الإنسان لكي يطلب البركة ويسعى نحوها: «الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل، ولا حلف كذباً، هذا ينال بركةً من الرب وبرًّا من إله خلاصه» (مز 24: 4و5). ويُلاحَظ هنا أن شروط البركة جاء بعضها إيجابياً: «طاهر اليدين، نقي القلب» وبعضها سلبياً: «لا يحمل نفسه إلى الباطل، ولا حلف كذباً»

ولكن لم يكن طلب البركة في العهد القديم بدون طقس، إذ لم يكن مسموحاً للإنسان العادي أن يقف أمام الله يطلب لنفسه البركة، أمَّا طقس طلب البركة فكان له صلوات محدَّدة يقوم بها الشعب في مناسبات محدَّدة وبكلمات محدَّدة، من خلف الرؤساء الذين يعيِّنهم الله، وحتى هؤلاء لا يجرأون من تلقاء ذواتهم على الصلاة وطلب البركة إلاَّ من خلال تمسُّكهم بوعود الله للآباء السابقين وبمقتضى عهده السابق.

فمثلاً نجد «حَنَّة» أم صموئيل النبي وقفت تصلِّي إذ كانت عاقراً وتطلب نسلاً، ولكن إذ أن هذا يُعتبر سؤال بركة، تدخَّل عالي الكاهن ليصحح موقفها وبدأ بدالَّة كهنوته يسأل عنها هكذا: «أجاب عالي وقال: اذهبي بسلام، وإله إسرائيل يعطيكِ سُؤْلَكِ الذي سألتِهِ من لدنه!» (1صم 1:17)

بل وحتى إبراهيم، وهو أب الآباء، احتاج إلى «كاهن» ليباركه ويعضِّده «وملكيصادق ملك ساليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي وباركه وقال: مبارك أبرآم من الله العلي ملك السموات والأرض» (تك 14: 18و19). كما يُلاحَظ هنا أن الوحي الإلهي تعمَّد أن يذكر «وكان كاهناً لله العلي» قبل أن يذكر «وباركه» حتى يثبت أن قانون البركة إنما يتبع طقساً مُلزِماً.

وقد استقرت البركة أخيراً بحسب الناموس الذي وضعه الله على فم موسى كعمل طقسي لا يقوم به إلاَّ الكاهن، والأصل في هذا الطقس واضح جداً في وصية الله لموسى هكذا:

+ «وكلَّم الرب موسى قائلاً: كلِّم هرون وبنيه قائلاً: هكذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم: يباركك الرب ويحرسك، يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً. فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أُباركهم!» (عد 6: 22ـ27)

ويُلاحَظ هنا أنه حتى بركة الكاهن الرسمية تظل بلا فاعلية إلى أن ينطق الكاهن اسم الله على رؤوس الشعب، وحينئذ يتولَّى الله بنفسه بركة الشعب. أي أن بركة الكاهن ما هي إلاَّ إعداد فقط لبركة الله الذي يمنحها بنفسه! ولكن ليس معنى هذا أنه يمكن تجاوز الكاهن فتُطلب البركة بدونه، فالشريعة تحتِّم اختصاص الكهنة وحدهم بتلاوة البركة، حتى إنها دُعيت ببركة هارون أو البركة الهارونية، أي لا تجوز رسمياً إلاَّ من فم الكاهن وفي مناسبات محدَّدة ـ وعلى وجه الخصوص وبالتحديد داخل الهيكل! حتى إنه بسبب اختصاص الكهنة بالبركة صارت لهم الكرامة من جراء ذلك: «ثم **يتقدَّم** الكهنة بنو لاوي لأنه إيَّاهم اختار الرب إلهك ليخدموه **ويباركوا باسم الرب!**» (تث 5:21)

كيفية بركة الله للإنسان في العهد القديم:

هذا الجزء من البحث في أصول البركة هام جداً، لأنه سيكون الأساس والمنطلَق الذي سنشرح بمقتضاه مفهوم وقوة «الأواشي» أي الصلوات التي تُقام أثناء القدَّاس والتي تتضمن طلب البركة «مراراً وتكراراً» على كل شيء: على الماء والينابيع، على الهواء والثمار، على الزرع والعشب، على البيوت والمساكن، على اجتماعات الشعب وعلى مداخلهم ومخارجهم ... إلخ. كما سيأتي في موضعه.

يُلاحَظ أن الله لم يترك أمراً من أمور الإنسان الحافظ عهد الله ووصاياه إلاَّ وعضَّده بالبركة، سواء بفمه أو بفم قدِّيسيه وأنبيائه، ولكن كلها في حدود الماديات والزمنيات وحسب. ونقرأ في الأسفار أنه يبارِك زوجة الإنسان ونسله وأكله وشربه وأعماله ومقتنياته وعمره وحقله وأرضه، حتى الندى والمطر الساقط من السماء، بل والمعجن الذي يعجن فيه والسلَّة التي يضع فيها خبزه، وكل شجرة مثمرة والخمر والزيت حتى الماء والغنم والماشية وحتى مخازنه، بل ويبارك مجرَّد دخوله وخروجه!

وهذه هي مختصر نصوص الآيات التي تشير إلى ذلك، نرجو القارىء أن يرجع إليها ليتعمَّق قوتها ويفهمها:

+ «وأُعظِّم اسمك **وتكون بركة** (الرب يقول لإبراهيم).» (تك 2:12)
+ «**بركات السماء من فوق، وبركات الغمر** ...، **بركات الثديين، والرحم** ... تكون على رأس يوسف.» (تك 49: 25و26)
+ «وأقطع معهم عهد سلام وأنزع **الوحوش الرديئة** من الأرض فيسكنون في البرية مطمئنين وينامون في الوعر، وأجعلهم وما حول أكمتي بركةً وأُنزل عليهم **المطر في وقته** فتكون **أمطار بركةٍ، وتعطي شجرة الحقل ثمرتها وتُعطي الأرض غلتها!**» (حز 34: 25ـ27)
+ «**طعامها أُبارك بركةً**.» (مز 15:132)
+ «وتعطون الكاهن أوائل عجينكم لتحل البركة على بيتك.» (حز 30:44)
+ «هاتوا جميع العشور إلى الخزانة ليكون في بيتي طعام وجرِّبوني، بهذا قال رب الجنود، إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأَفيض عليكم بركة حتى لا تُوسَع، **وأنتهر من أجلكم الآكل (الآفات) فلا يُفسد لكم ثمر الأرض ولا يُعقَر لكم الكرم** في الحقل ... ويطوِّبكم كل الأمم لأنكم تكونون **أرض مسرَّة** قال رب الجنود.» (ملا 3: 10ـ12)
+ «إنهم نسلٌ **باركه الرب**.» (إش 9:61)
+ «أليس أنك سيَّجت **حوله** وحول بيته وحول **كل ما له** من كل ناحية، **باركت أعمال يديه؟**»(أي 10:1)
+ «**فيُبَارِكُ** خبزك وماءك، وأُزيل المرض من بينكم، لا تكون مُسقِطةٌ ولا عاقر في أرضك، وأُكمِّل عدد أيامك.» (خر 23: 25و26)
+ «ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك، ويُحِبُّك، **ويباركك**، ويكثِّرك، **ويبارك** ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، قمحك، وخمرك، وزيتك، ونتاج بقرك، وإناث غنمك ... لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك، ويردُّ الرب عنك كل مرضٍ وكل أدواءِ مصر الرديئة.» (تث 7: 12ـ15)
+ «**يبارك مسكن** الصدِّيقين.» (أم 33:3)
+ «**مباركاً تكون في المدينة ومباركاً تكون في الحقل** ... مباركة تكون **سلَّتك ومعجنك،**

مباركاً تكون **في دخولك** ومباركاً تكون **في خروجك** ... يأمر لك الرب بالبركة **في خزائنك** وفي كل **ما تمتد إليه يدك** ... ويزيدك الرب **خيراً في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك** ... وتكون في **الارتفاع فقط** ولا تكون في الانحطاط إذا سمعت لوصايا الرب إلهك التي أنا أوصيك بها اليوم لتحفظ وتعمل.» (تث 28: 3ـ13)

ويُلاحَظ أن الله في مباركته لأشياء الإنسان، يُضْفي عليها أحياناً من قداسته. فمثلاً نجد في يوم السبت أن الله بعد أن باركه قدَّسه، وهذا يعني أن الله بعد أن يبارك الأشياء التي يباركها للإنسان يجعلها ذات صلة وثيقة به أيضاً، وهذا يعني أن هذه الأشياء التي يباركها الله قد أصبحت في الحال لعمل مجد الله، وحينئذ يلتزم الإنسان أن يستخدمها في حدود العلاقة التي تربطه بالله، أي تصبح هذه الأشياء مقدَّسة لله، لذلك التزم الإنسان أن يعطي الله أبكاره من كل شيء سواء من نسله أو بهائمه أو كافة ممتلكاته إشارةً إلى أن كل شيء قد تبارك وتقدَّس!

حتى في الأيام، نجد أن الله يبارك اليوم السابع من الأسبوع، يوم السبت، ثم بعد أن يباركه يقدِّسه ليصير يوماً للرب، يرتبط فيه الإنسان بالله في كل ساعاته. فإن هو قدَّس هذا اليوم لله فعلاً امتدت البركة حتماً إلى بقية أيام الأسبوع، فإذا لم يقدِّسه لله لا يعود يوم السبت مباركاً بالنسبة لهذا الإنسان، وبالتالي يفقد البركة خلال كل أيام الأسبوع.

هذا ينبِّه ذهننا إلى المعنى المخفَى وراء ما يقوله الكاهن قبل التناول «القُدْسَات للقديسين» أي أن الأشياء المقدَّسة لا تكون مقدَّسة إلاَّ بالنسبة للقديسين! أمَّا لغير القديسين فيصير لها عمل عكسي.

كذلك نلاحظ أنه لما قال الله لشعب إسرائيل إنه سيبارك لهم خبزهم وماءهم عندما يعبدون الرب بأمانة: «وتعبدون الرب إلهكم فيبارك خبزك وماءك وأُزيل المرض من بينكم، ولا تكون مُسقِطة ولا عاقر في أرضك، وأُكمِّل عدد أيامك» (خر 23: 25و26)، يظهر من هذا أن العبادة ـ أي تقديس الله وتقديس اسمه بالصلاة وفي السلوك والمعاملة ـ يهيِّئ الطريق لله لكي يضفي من قداسته على صحة الإنسان وعلى أشيائه، فيتقدَّس خبزه وماؤه، فلا يعود مرض في الخبز ولا مرض في الماء بل صحة وقوة، وبالتالي لا يكون إخفاق في النسل: لا مُسقِطة ولا عاقر لا في النساء ولا في البهائم.

بل ويزيد الرب في قوله إنه يكمِّل عدد أيام الإنسان، بمعنى أن لا يفاجئه الموت قبل الوقت، وذلك بسبب بركة الخبز والماء وكل الطعام.

وهذا ما أشار إليه القديس بولس الرسول في حالة الذين يأكلون من المقدَّسات: أي يأكلون من

الجسد ويشربون من الدم بدون استحقاق، أي وهم ليسوا على مستوى وصية الله وطاعة أوامره: «من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون» (1كو 11: 29و30). هنا كلمة «يرقدون» أي يموتون قبل اكتمال عدد أيام حياتهم، كنوع من التأديب. وبهذا يتضح تماماً أن بركة الله التي كانت تحل على خبز الإنسان ومائه تقدِّسهما، وبالتالي يصير الأكل منهما للصحة والحياة الجسدية إن كان الإنسان على مستوى البركة ـ أي طاعة الوصية ـ وإلاَّ فيصير الأكل والشرب للدينونة والعقاب بالمرض وبالموت!!

وهكذا يتضح تماماً أن البركة في العهد القديم تقترن اقتراناً جوهرياً بطاعة الوصية، فهي نتيجة حتمية للأمانة إزاء عهد الله.

ثانياً: الإنسان يبارك الله:

يُعتبر هذا الجزء من البحث هاماً جداً من جهة الإفخارستيا، وبالذات في تقديس الذبيحة حيث محور التقديس يكمن في أن الكاهن يبارك الله على الخبز والخمر على مثال ما عمل المسيح.

وهنا يندهش الإنسان لأول وهلة: كيف يجوز للإنسان أن يبارك الله؟ ولكي نشرح هذا الأمر يلزمنا أولاً أن نورد الأمثلة ونوضِّح من خلالها مضمون ومعنى هذه البركة تمهيداً لشرح مفهوم البركة بوجه عام.

ويلزم أن ينتبه القارىء أن مباركة الله تأتي دائماً كنوع من أنواع الصلاة، بل وتُعتبَر أعلى أنواع الصلاة، كما تأتي مقترنة بالسبب الذي قُدِّمت من أجله صلاة البركة هذه.

الأمثلة:

1ـ تأتي صلاة البركة في سفر التكوين هكذا: «خررتُ وسجدتُ للرب وباركتُ الرب إله سيدي إبراهيم **الذي هداني في طريق أمين**.» (خر 24:48)

هنا تأتي البركة كصلاة شكر من أجل هداية السفر، فهي بمثابة نواة لأوشية المسافرين.

2ـ وتأتي في سفر التثنية هكذا: «فمتى أكلتَ وشبعتَ تبارِك الرب إلهك لأجل الأرض الجيدة التي أعطاك.» (تث 10:8)

هنا البركة تأتي نموذجاً مقترحاً من الله نفسه لصلاة الشكر من أجل الطعام والأرض الجيدة. وسوف يلاحظ القارىء أنه تمَّ بالفعل صياغتها على هيئة صلاة طلبة وأصبحت من أهم الصلوات الطقسية في الهيكل وفي مجامع اليهود. كما دخلت بروحها وألفاظها ضمن الأوشية الأساسية التي

تُقال بعد قراءة الإنجيل أو قبل صلاة المجمع (سواء كانت أوشية الثمار أو الزروع أو المياه). وأولها: « أصْعِدها كمقدارها ...»

3ـ وتأتي في سفر يشوع هكذا: «اليوم علمنا أن الرب بيننا ... وبارَك بنو إسرائيل الله.» (يش 22: 31و33)

هنا صلاة البركة جاءت انفعالاً تلقائياً بسبب الشعور بحضور الله في وسط الشعب. هنا نجد نواة أوشية الاجتماعات، ولحن «عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن» والتي يرافقها عادةً لحن «إفزمارؤوت» ـ أي «مباركٌ الله»

4ـ وتأتي في سفر القضاة هكذا: «فترنَّمت دَبُورَة وباراق بن أبينوعم في ذلك اليوم قائلَيْن: لأجل قيادة القواد في إسرائيل لأجل انتداب (تضحية) الشعب: باركوا الرب، اسمعوا أيها الملوك واصغوا أيها العظماء، أنا أنا للرب أترنَّم، أُزمِّر للرب إله إسرائيل ... قلبي نحو قضاة إسرائيل المنتدبين (المضحِّين) في الشعب، باركوا الرب ... الرب سلَّطني على الجبابرة ... السماوات حاربت، الكواكب في أفلاكها حاربت سيسرا ... دوسي يا نفسي بعزٍّ.» (1:5ـ3و9و13و20و21)

هنا تسبيح البركة جاء كصلاة شكر من أجل انتصار الشعب على يد دبورة النبية، وصلاة هذه البركة تعتبر نواة لأُوشية الملك وأوشية السلامة الكبيرة، وواضح فيها أن السلطان على الأعداء والنصرة في الحروب تأتي من السماء، لذلك فتسبيح البركة قرينٌ لتسبيح النصرة أو طلبها!!

5ـ وتأتي في السفر الأول لأخبار الأيام هكذا:

+ «وبارَك داود الرب أمام كل الجماعة، وقال داود:

مباركٌ أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد. لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لأن لك كل ما في السماء والأرض. لك يا رب المُلْك وقد ارتفعتَ رأساً على الجميع، والغِنَى والكرامة من لدنك وأنت تتسلَّط على الجميع وبيدك القوة والجبروت وبيدك تعظيم وتشديد الجميع.

والآن يا إلهنا نحمدك ونسبِّح اسمك الجليل. ولكن مَنْ هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب (نضحِّي) هكذا، لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك، لأننا نحن غرباء أمامك ونزلاء مثل كل آبائنا. أيامنا كالظل على الأرض وليس رجاء.

أيها الرب إلهنا، كل هذه الثروة التي هيأناها لنبني لك بيتاً لاسم قدسك إنما هي من يدك ولك الكل، وقد علمت يا إلهي أنك أنت تمتحن القلوب وتُسرُّ بالاستقامة. أنا باستقامة قلبي انتدبت (ضحيتُ) بكل هذه، والآن شعبك الموجود هنا رأيته بفرح ينتدب (يضحِّي) لك.

يا رب إله إبراهيم وإسحق وإسرائيل آبائنا، احفظ هذه إلى الأبد في تصوُّر أفكار قلوب شعبك وأعدَّ قلوبهم نحوك. وأمَّا سليمان ابني فاعْطِه قلباً كاملاً ليحفظ وصاياكَ شهاداتك وفرائضك وليعمل الجميع وليبني الهيكل الذي هيأتُ له.

ثم قال داود لكل الجماعة: باركوا الرب إلهكم، فبارَكَ كل الجماعة الرب إله آبائهم وخرُّوا وسجدوا للرب وللملك، وذبحوا للرب ذبائح ... وأكلوا وشربوا أمام الرب في ذلك اليوم بفرح عظيم.» (1أي 29: 10-22)

هنا صلاة البركة تأتي كتسبيح وشكر واعتراف مع تمجيد كثير أمام الله، تنتهي بذبح الذبائح ثم الجلوس في حضرة الله لتناول الطعام والشراب أمام الرب بفرح عظيم.

وفي الواقع نجد في هذه الآيات صورة عميقة وهيكلاً عاماً لقدَّاس كامل. ولكي نفتح مجالاً للتأمل أمام القارىء نضع أمامه بعض اتجاهات هذه الآيات وما يقابلها تقريباً في القدَّاس الإلهي اليوم:

هنا الصلاة تبدأ بالبركة وتستمر الصلاة كما هو في القدَّاس الآن تماماً:

1أي 29:10= مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل «**أبينا**».

[مبارك الله **الآب** آمين ـ الرشومات في القدَّاس].

29:11= من الأزل وإلى **الأبد** لك يا رب العظمة.

[يا الله العظيم **الأبدي** ـ صلاة الصلح في القدَّاس].

= لك كل **ما في السماء والأرض**.

[خالق السماء والأرض **وكل ما فيها** ـ القدَّاس].

= لك يا رب **المُلْك** وقد ارتفعت رأساً على **الجميع**.

[الجالس على كرسي **مجده** المسجود له من **جميع** القوات المقدَّسة].

29:14= **من يدك** أعطيناك.

[نقدِّم لك قرابينك **من الذي لك**].

15:29= لأننا نحن **غرباء** أمامك ونزلاء مثل كل آبائنا.
[ونحن **الغرباء** في هذا الموضع].

ثم تُختم هذه الصلوات، التي ينصبُّ مضمونها كلها على تقديم البركة لله، بالذبائح ثم التناول أمام الله بفرح [فمنا امتلأ فرحاً ... إلخ ـ القداس الإلهي ـ أوشية تُقال سرًّا بعد التناول] كما هو حادث تقريباً في مسيرة القداس حتى نهايته!

6- وتأتي صلاة للبركة في سفر عزرا خاصة بقراءة الكتاب المقدَّس على مثال غاية في الدقة والترتيب لما هو حاصل الآن في القراءة الطقسية للإنجيل أثناء القداس، ونقدِّمها مفصَّلة بترتيبها ليستشف منها القارىء مقدار التطابق العجيب بين ما أجراه عزرا ونحميا في طقس قراءة الشريعة وما هو حادث اليوم في أوشية الإنجيل. حيث ينبغي أن ننتبه جداً إلى أن النطق بصلاة البركة قبل القراءة، يُعتبر بمثابة المركز والقلب للأُوشية!!:

+ «فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكلِ فاهمٍ ما يُسمَع»

«وقرأ فيها ... من الصباح إلى نصف النهار»	«ميعاد القدَّاس»
«وكانت آذان كل الشعب نحو سفر الشريعة»	«انصتوا لسماع الإنجيل المقدَّس»
«ووقف عزرا الكاتب على منبر الخشب»	«وقوف الكاهن على المنجلية»
«ووقف اللاويون بجانبه عن يمينه وعن يساره» (عدد 4)	«شماسان على جانبي المنجلية»
«وفتح عزرا السفر أمام كل الشعب»	(الأسفار مقدَّسة لا يلمسها إلاَّ الكاهن ـ هذا هو التقليد قديماً)
«وعندما فتحه وقف كل الشعب»	«الشماس ينذر بالوقوف بخوف الله»
«وبارك عزرا الرب الإله العظيم»	**«الكاهن يقول: مبارك الآتي باسم الرب»**
«وأجاب جميع الشعب آمين آمين رافعين أيديهم، وخروا وسجدوا»	ـ سجود الشعب [أُهملت الآن][2]

(2) السجود للإنجيل لا تزال آثاره باقية في أسبوع الآلام عندما يقول الكاهن بعد قراءة الإنجيل بالقبطي: «اسجدوا للإنجيل المقدَّس»، وللأسف لا يسجد أحد عند سماع هذا النداء.

«وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان»	ـ القراءة بوضوح.
«وفسَّروا المعنى» (من الآرامية إلى العبرية)	ـ ترجمة من القبطية إلى العربية.
«وأفهموهم ما قُرِيء»	ـ شرح وتفهيم ما قُرِيء.
«وقالوا لجميع الشعب: هذا اليوم مقدَّس للرب إلهكم، لا تنوحوا ولا تبكوا»	ـ ممنوع الحزن والمطانيات يوم الأحد.
«اذهبوا كُلُوا السمين واشربوا الحلو»	ـ ممنوع الصوم.
«وابعثوا أنصبةً لمن لم يُعدَّ له.» (نح 8: 2- 10)	ـ ولائم للفقراء (الأغابي).

7 ـ أمَّا في سفر دانيال فتأتي صلاة البركة في وضع التوبة كحالة شكر وتمجيد لله الذي نجَّى من موت مثل هذا وهو ينجِّي أيضاً!!:

+ «وعند انتهاء الأيام، أنا نبوخذ نصَّر رفعت عينيَّ إلى السماء، فرجع إليَّ عقلي وباركتُ العليَّ وسبَّحتُ وحمدت الحيَّ إلى الأبد، الذي سلطانه سلطان أبدي وملكوته إلى دور فدور.» (دا 34:4)

هنا تُعتبر صلاة البركة المقدَّمة لله بعد العودة والرجوع من الخطية إلى صحو التوبة جزءاً هاماً في إعادة العلاقة والرباط الذي يربط النفس بالله، ويلاحظ في قراءة التحليل على رأس التائب المعترف أنه ينبغي إعطاء البركة لله الآب والابن والروح القدس على رأسه قبل البدء في الصلاة.

8 ـ وتأتي توجيهات من جهة صلاة للبركة في سفر طوبيا على فم الملاك يتبين منها كيف ابتدأ يتركز الطقس على أهمية صلاة البركة:

+ «حينئذ دعا الملاك اثنيهما خفيةً وقال لهما: باركا الله واعترفا له، وأعطيا له التعظيم، واعترفا أمام جميع الأحياء بكل ما صنع معكما، **صالح هو التبريك لله**، وارتفاع اسمه الأعظم، وأظهرا بأقوالكما أعمال الله، ولا تتهاونا بأن تعترفا له إن سرَّ الملك حَسَنٌ أن يُخفى، أمَّا أعمال الله فيُتَمجَّد بأن تظهر.» (طوبيا 12: 6و7)

والذي نخرج به من هذا التوجيه بفم الملاك هو أن صلاة البركة تُعتبر بحد ذاتها «عملاً صالحاً» أي بلغة الكنيسة اليوم: هي ليتورجيا أو خدمة إلهية!!

9 ـ أمَّا في سفر المزامير فتأتي صلوات البركة لله في مواقف عظمى عديدة إمَّا كتسبيح خدمة

حرَّة بدون اقترانها بأعمال أو عطايا ممنوحة، أو مقترنة بأعمال الله كرد فعل حتمي وواجب لقبول العطية بالشكر والتسبيح والاعتراف ولدوام أفضال الله ونعمه ومراحمه:

+ «أبارك الرب الذي أفهمني.» (مز 7:16)

وهذه تذكِّرنا بالطلبة: «اعطِ فهماً للموعوظين»

+ «أبارك الرب في كل حين، دائماً تسبيحه في فمي ... طلبت إلى الرب فاستجاب لي.» (مز 1:34)

هنا البركة والتسبيح كلٌّ منهما يستزيد الآخر.

+ «**باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس**، باركي يا نفسي الرب **ولا تنسي كل حسناته،** الذي **يغفر** جميع ذنوبكِ، الذي **يشفي** كل أمراضكِ، الذي **يفدي** من الحفرة حياتكِ، الذي **يكلِّلكِ** بالرحمة والرأفة، الذي **يُشبع بالخير** عمركِ، **فيتجدَّد** مثل النسر شبابكِ!» (مز 103: 1-5)

هذه أعلى نماذج التسبيح بالبركة لله المقرونة بالعطية، كاعتراف متواصل بحسنات الله.

+ «يحمدك يا رب كل أعمالك ويباركك أتقياؤك، بمجد مُلكك ينطقون وبجبروتك يتكلَّمون، ليعرِّفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال مُلكك.» (مز 145: 10-12)

هنا صلاة البركة جاءت كخدمة تسبيح حرَّة لله خالية من ذكر عطايا خاصة.

+ «وليبارك كل بشرٍ اسمه القدوس إلى الدهر والأبد.» (مز 21:145)

يظهر هنا أن صلاة البركة عمل حتمي وفرض إلزامي على كل بشر وفي كل زمان، مما يوضِّح أن الخدمة الإلهية (الليتورجيا) هي العمل الأول والدائم والواجب للإنسان.

+ «يا رب **أحببت محلَّ بيتك وموضع مسكن مجدك** ... رِجْلِي وقفت بالاستقامة، في وسط الجماعة أباركك.» (مز 26: 8و12)

هنا كلمة «موضع» تهمنا جداً، لأنها تُذكر دائماً في دورات البخور أثناء القدَّاس عندما يبخِّر الكاهن الكنيسة والهيكل والمذبح وحوله قائلاً: «**وموضعك** المقدَّس هذا» هنا كلمة «موضع» مُضافة إلى كلمة «مسكن» تفيد وجوداً فعلياً لحضرة الله.

فهنا يلزم التفريق بين **بيت** الله، **ومسكن** الله، **وموضع** الله، حيث البيت هو المكان الذي يجتمع فيه الشعب ويمثله الخوروسان الأول والثاني، أمَّا المسكن فيمثله الهيكل حيث يجتمع الله **مع** الإنسان (الكهنة والشمامسة الذين يمثلون الشعب)، أمَّا الموضع المقدَّس فهو موضع مجد الله أي مكان وقوفه أو حلوله، وهذا لا يمثله بقعة معيَّنة من الأرض.

وقد جاءت باليونانية هكذا:

جمال بيتك وموضع مسكن مجدك:

eÙpršpeian o‡kou sou ka^ tÒpon skhnèmatoj dÒxhj sou

يُلاحَظ هنا أن داود النبي ينبِّه ذهننا في هذا المزمور إلى أن وجودنا في وسط الجماعة لتقديم تسبيح البركة لله هو حالة حب: «أحببت ... موضع مجدك» هنا خدمة التسبيح بالبركة مقترنة بالحب الإلهي. ثم يعود يعزز وجود حالة حرارة الحب هذه أثناء التسبيح في وسط الكنيسة بقوله: «رِجْلِي وقفت بالاستقامة» أي أن وقوفي للتسبيح باستقامة (أي بدون إهمال أو ارتخاء) هو دلالة حبي نحو مجدك الحاضر في موضع تسبيحنا!!

+ «يا الله إلهي إليك أصرخ مبكِّراً لأن نفسي عطشت إليك، وجسدي يشتاق دواماً إليك ... لهذا ظهرتُ أمامك في الهيكل (الكنيسة) لكي أرى مجدك وقوتك ... لهذا أباركك في حياتي.» (مز 63: 1و2و4 حسب السبعينية)

يلاحَظ هنا أن صلاة البركة والتسبيح بها، هي تعبير عن حالة عطش نفسي وشوق عاطفي وصراخ بالفم، تدفع الإنسان للتبكير إلى الهيكل والاستمرار في ذلك مدى الحياة!!! ثم يقابل هذا شبع نفساني دائم بالروح كما يشبع الجسد بالدسم!

+ «باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوةً، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه، باركوا الرب يا جميع جنوده خدامه العاملين مرضاته، باركي الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه. باركي يا نفسي الرب.» (مز 103: 20-22)

واضح هنا أن تسبحة البركة لله يشترك فيها معاً الملائكة المقتدرون المستعدون دائماً لطاعته، والخدَّام العاملون مرضاته مع أعماله التي ينطق بها كل فم، مع نفس الإنسان في الباطن. هنا الخليقة كلها تتجلَّى أمام نفس الذي يقف ليبارك الله في التسبحة، فتحدث للنفس البشرية شركة سرية في ليتورجيا سمائية أعلى بكثير جداً جداً من الألفاظ المنطوقة والألحان الموزونة!!

+ «باركي يا نفسي الرب، يا رب إلهي قد عظمتَ جداً، مجداً وجلالاً لبست. اللابس النور كالثوب.» (104: 1و2)

هنا يتضح أن حالة النفس قد ارتفعت أثناء التسبيح بالبركة، وبلغت حالة تَجَلٍّ واضحة ظهر فيها الرب لداود وهو في حالة العظمة متسربلاً بالنور وكأنه ثوب، هذا الذي ظهر فيه المسيح بالفعل لعينيّ بطرس ويعقوب ويوحنا، ومن هذا يتضح أن صلاة البركة واسطة تَجَلٍّ.

+ «باركوا الرب يا جميع عبيد الرب الواقفين في بيت الرب بالليالي، ارفعوا أيديكم تجاه القدس وباركوا الرب.» (134: 1و2)

الدعوة هنا إلى خورس المسبِّحين للانتباه ليكون الهدف الأساسي من خدمتهم ووقوفهم بالليل هو مباركة الرب، أمَّا رفع اليدين والاتجاه نحو القدس فهو لكي يزيدهم انتباهاً أنهم واقفون تجاه الله وأمامه (يُلاحَظ أن في كل مجامع المدن التي كان يجتمع فيها الشعب للتسبيح كان ينبغي أن يكون اتجاه وقوف المصلِّين هو «القِبْلة» ناحية الهيكل «القدس» بأورشليم). وهذا التشديد في الاهتمام بإعطاء البركة لله باستمرار أثناء الوقوف باستقامة ورفع اليدين والاتجاه نحو أُورشليم يوضِّح أن محور الصلاة كلها ومركز كل تسبحة هو مباركة الله.

+ «**يا بيت إسرائيل باركوا الرب** (الشعب)، **يا بيت هرون باركوا** الرب (الكهنة)، **يا بيت لاوي باركوا** الرب (الشمامسة)، **يا خائفي الرب باركوا** الرب (الأتقياء والنسَّاك)، **مبارك الرب من صهيون الساكن في أُورشليم**.» (مز 135: 19-21)

هنا يتضح أن بركة الرب فرض عام على كل إنسان، وإنما كل فئة لها تسبيحها الخاص في حدود طقسها. على أنه يتضح من هذا الدعاء أن مركز البركة المقدَّمة لله هو **أورشليم** وبالذات **جبل صهيون**، وهذه إشارة إلى أن خدمة العبادة وليتورجية البركة تظل متعلِّقة بالمكان وتظل زمانية، وذلك بقصد إلهي، إلى أن جاء المسيح وحرر العبادة من المكان والزمان بصعوده إلى السماء، حيث أصبح محور العبادة ومركز البركة **أورشليم السمائية**، حيث تُوجَّه البركة نحو السماء أمام عرش الله، كما نراه في الكنيسة الآن وفي المستقبل أيضاً على طول أصحاحات سفر الرؤيا!

+ «من الأمام المغنُّون، ومن الوراء ضاربو الأوتار، وفي الوسط فتيات ضاربات الدفوف، **في الجماعات باركوا الله** الرب ... يا ممالك الأرض غنوا لله، رنموا للسيد. سلاه ... إله إسرائيل هو المعطي قوةً وشدةً للشعب. مبارك الله.» (مز 68: 25و26و32)

يلاحَظ هنا أن تسبيح البركة صار غناءً وترنُّماً على وقع الأوتار والدفوف حيث تُدعى إليه الجماعات وممالك الأرض كلها. هنا ليتورجية الخدمة لله بالبركة ترتفع إلى أعلى وأجمل أوضاعها الأرضية بائتلاف الأصوات والموسيقى في الخوارس، وتمتد لتشمل الأرض كلها. وهذه أجمل صورة مجسَّمة وأرضية لحالة الليتورجية الحقيقية بالروح في السماء التي تشترك فيها الكنيسة الآن بصورة سرية في القدَّاس الإلهي!

+ «رنموا للرب **ترنيمة جديدة**، رنمي للرب يا كل الأرض، رنموا للرب **وباركوا اسمه**، بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه.» (مز 96: 1و2)

هنا إشارة إلى تسبحة جديدة ستشترك فيها كل الأرض حيث يُبارَك فيها اسم الرب على بشرى الخلاص ويمتد يوماً بعد يوم. وهذه في الواقع رؤيا من وراء الدهور يرى فيها داود ترنيمة الكنيسة الجديدة في كل الأرض التي تقوم على مباركة اسم يسوع (المخلِّص) للعهد الجديد ولخلاصٍ أبدي.

+ «اهتفي للرب يا كل الأرض، اعبدوا الرب بالفرح، ادخلوا إلى حضرته بترنم ... ادخلوا أبوابه بحمدٍ، ادخلوا دياره بالتسبيح، احمدوه وباركوا اسمه.» (مز 100: 1و2و4)

هنا البركة تصير هتافاً ينطلق من الأرض كلها، هتاف الفرح، ولكن يُلاحَظ أن تسبيح البركة ينبغي أن يُقدَّم **أثناء الدخول من باب الكنيسة** (ديار الرب)، لأن الدخول من باب الكنيسة هو هو الدخول إلى **الحضرة الإلهية**، ولا يليق إطلاقاً أن يدخل الإنسان إلى حضرة الله وهو صامت أو مشغول الفكر بغير الله وتبريك اسمه. فتسبيح البركة لله يتحتَّم أن يسبق خطواتنا عند الدخول إلى بيت الله.

+ «ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد، من مشارق الشمس إلى مغاربها اسم الرب مسبَّح.» (مز 113: 2و3)

يُلاحَظ هنا أن تسبيح البركة باسم الرب يشمل الزمن والأبدية معاً، فهو العمل الوحيد أو الخدمة الوحيدة التي لن ينقطع تقديمها لله لا على الأرض ولا في السماء. كذلك يُلاحَظ أن بركة اسم الرب تبدأ من الشرق وتنتهي إلى الغرب، فشملت الأرض كلها كما شملت الزمن والأبدية معاً. فالتسبحة التي نقدِّمها في الشروق تعبِّر عن الخلاص الذي بدأ والذي نعيشه الآن، وتسبحة الغروب تعبِّر عن الخلاص الممتد الذي نترجاه من وراء الزمن.

+ «ليكن اسمه مباركاً إلى الأبد، اسمه يدوم أكثر من الشمس، وكل أمم الأرض تتبارك فيه وتدعوه كافة الشعوب مباركاً ... مبارك الرب إله إسرائيل الذي وحده يصنع العجائب،

ومبارك اسمه الممجَّد إلى الأبد، بل وإلى أبد الأبد، وأن كل الأرض ستمتلىء من مجده. يكون يكون. انتهت تسابيح داود بن يسَّى!» (مز 72: 17ـ19 حسب السبعينية)

وهكذا ينتهي داود من مزاميره بهذه التسبحة التي يبلغ فيها التمجيد للمسيح بأوضح ما تكون الرؤيا حيث تترَكَّز تسبحة البركة لاسم المسيح كعبادة تتحدَّى الزمان وتفوق الشمس، وتنتقل البركة منه إلى كل الأمم ويصير المسيح بركة لكافة الشعوب ومجداً لكل الأرض، وهنا يتجلَّى أثر خدمة تسبحة البركة باسم المسيح لتُعطى معنى وقوة الشركة في نفس بركة المسيح ومجده.

V V V

وبذلك نخرج من مفهوم مباركة الإنسان لله في سفر المزامير بأنها خدمة إلهية على أعلى وأجمل ما تكون أعمال الإنسان، حيث يُعطَى الإنسان فيها أن يكون شريكاً للملائكة وجند الله في السماء، وحيث تُعتبر هي في حد ذاتها «خدمة شكر» أو بمفهومها الكنسي (**إفخارستيا**)، وخدمة تسبيح (**ليتورجيا**)، وخدمة اعتراف (**أومولوجيا**)، وخدمة تمجيد (**ذكصولوجيا**)، وخدمة بركة (**أولوجيا**). وهذا كله معاً تحويه كل كلمة أو كل جملة أو كل ترنيمة أو كل لحن يحمل عبارة «مباركٌ لله» أو «مباركٌ اسم الله» ! وهي التي يبدأ بها القدَّاس الإلهي وتتخلله 66 مرة!! حيث يُعتبر القدَّاس الإلهي كله عبارة عن تقديم البركة لله على هيئة تسبيح وحمد وشكر واعتراف وتمجيد وتذكار في مضمون الذبيحة، التي صارت بالفعل بركة كل الأمم ومصدر كل البركات السمائية.

ثالثاً: مباركة الإنسان للإنسان وللأشياء المادية:

وأساس هذه البركة هو أن يدعو الناس للآخرين بالبركة باسم الله، متوسلين أن يكون ذلك بحسب رضى الله.

والأمثلة على ذلك محدودة جداً خارج الكهنوت، وخارج الآباء الأوائل إبراهيم وإسحق ويعقوب، إذ لا يتبقَّى بعد ذلك إلاَّ الملوك كداود حينما بارَك الشعب باسم رب القوات (2صم 6:18)، وكسليمان حينما أكمل بناء الهيكل وأثناء تكريسه، في بدء التكريس وفي نهايته (1مل 8: 14و55)، وكذلك صموئيل باعتباره نبياً، فهو ينطق بفم الله، عندما ذبح وبارك الذبيحة (1صم 9:13)، وكذلك في مثل بلعام بن بعور الذي بارك شعب إسرائيل وهو ليس كاهناً ولا ملكاً ولا نبياً وإنما كان شخصاً استخدمه الله لينطق بواسطته البركة.

في هذه الأمثلة نجد أن البركة الصادرة من الإنسان تعتمد إمَّا على بركة سابقة مثل الآباء، أو

على مسحة مقدَّسة مثل الملوك، أو على أمر إلهي مُسْبَق أو رؤيا مثل صموئيل، أو على تكليف والتزام مثل بلعام بن بعور.

وفي هذه الأمثلة كلها خرجت البركة باسم الرب وبمشيئته. وهكذا نرى أنه ليس للإنسان سلطان على إعطاء البركة، إلاَّ إذا نالها مُسْبقاً من الله لنفسه فيكون له الحق في إعطائها لغيره أو يكون قد أُمر من الله بمنحها للآخرين لأسباب وبشروط.

ونكتفي هنا بمثال للبركة التي ينطقها الإنسان باسم الله، وهي بركة يعقوب ليوسف، وهي من أجمل الأدعية في الكتاب:

+ «يوسف غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين، أغصان قد ارتفعت فوق حائط. فمرَّرته ورَمَتْهُ واضطهدته أرباب السهام. ولكن ثبتت بمتانةٍ قوسه وتشدَّدت سواعد يديه، من يدَيِّ عزيز يعقوب، من هناك، من الراعي صخر إسرائيل، من إله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كل شيء الذي يباركك، تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت بركات الثديين والرحم. بركات أبيك فاقت على بركات أبويَّ. إلى مُنية الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير إخوته.» (تك 49: 22-26)

المعنى الروحي واللاهوتي للبركة
في العهد القديم

وعلى ضوء نماذج هذه «البركات» كلها الواردة في الكتاب المقدَّس، المقدَّمة من الله للإنسان والمقدَّمة من الإنسان لله يمكننا تحديد صورة لمعنى «البركة» ككل في العهد القديم.

صحيح أن الكلمة اليونانية «أولوجيا» أو «إفلوجيا» استطاعت إلى حدٍّ ما أن تكشف عن معنى عام للبركة فهي تعني: «كلام حسن وصالح» وتعني أيضاً «كلام الشكر eÙcarist…a» ، لأن معنى كلٍّ من كلمة «أولوجيا» وكلمة «شكر» واحد في الترجمة وفي المفهوم الليتورجي، ولكننا نجد المعنى العبراني يتعدَّى في مفهومه الروحي واللاهوتي هذا كله، فالمعنى يفيد «**عهد**» قائم، البركة في العهد القديم قائمة على «**هذا العهد القديم**»، لأنه يستحيل أن تكون بركة بدون عهد.

الله أقام عهده الأول مع إبراهيم على أساس البركة: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرآم ميثاقاً

قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض» (تك 18:15)، ومنحه البركة الدائمة على أساس هذا العهد!! « وأُقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً.» (تك 7:17)

البركة إذاً هي حالة «عهد قائم» بين الله والإنسان. ولكن البركة عندما أعطاها الله لإبراهيم، أعطاها بوعد أنها ستدوم وتُورَّث لأولاده، وكل الأمم. هنا بركة **العهد** دائماً تكون ممتدة من تلقاء ذاتها بمقتضى أمانة الله، فهي بركة «ذات وعد دائم» أي كما أنها «**بركة عهد قائم**»، فهي «**بركة وعد دائم**».

إذاً، **فالبركة من الله: حالة قائمة بعهد، ودائمة بوعد، إنها قانون روحي قائم بذاته ويعمل من تلقاء ذاته.**

ولكن البركة لا تأتي من فراغ، صحيح أن الله يبارِك مَنْ يشاء ويرحم مَنْ يشاء، ولكن مشيئة الله لا تسير إلاَّ في اتجاه راحتها، وبركة الله لا تحل إلاَّ عند مَنْ يتقرَّب إليها. إبراهيم كان يرتاح إليه الله، لأن إبراهيم كان يرى الله أعزّ من نفسه ومن وحيده!! «بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك **فعلت هذا الأمر** ولم تُمسك ابنك **وحيدك**، أباركك مباركةً ... ويتبارك في نسلك جميع أُمم الأرض.» (تك 22: 16-18)

إذاً، فالبركة تصدر عن أمانة الله لعهده ووعده، ولكنها لا تستقر إلاَّ عند مَنْ كان أميناً على عهد الله ووعده.

الناموس الذي وضعه الله على فم موسى صار محكّاً دائماً لأمانة شعب إسرائيل تجاه عهد الله ووعده. ولذلك أصبحت بركة الله لا تسري إلاَّ لمنْ أطاع وصايا الله وأوامره. أي أن قانون البركة القائم على العهد والوعد الذي قلنا إنه قائم بذاته ويعمل من تلقاء ذاته لا يعمل جزافاً لكل أولاد إبراهيم، أي لكل شعب إسرائيل بدون تمييز، لأن قانون البركة هو ككل أعمال الله الحكيمة بحكمة صُنعت وبحكمة تعمل، تفرز وتميِّز وتزيد وتنقص وتفيض وتتوقف بمقتضى قانون حكمة فائق.

فبقدر طاعة الإنسان لوصايا وأوامر الله تحل البركة وتزيد، كما يقول الآباء في وصاياهم التقوية: «**على ابن الطاعة تحل البركة والمخالف حاله تالف**». أمَّا ناموس الطاعة بالنسبة للبركة فيقدِّمه الكتاب المقدَّس بكل وضوح: «أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض. **قد جعلتُ قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة.** فاختَرْ الحياة لكي تحيا أنت **ونسلك**، إذ **تحب الرب إلهك، وتسمع لصوته، وتلتصق به**، لأنه هو **حياتك** والذي يطيل أيامك **لكي تسكن على الأرض التي حلف**

الرب لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيهم إياها.» (تث 30: 19و20)

إذاً، فالبركة هي حالة قائمة بعهد، ودائمة بوعد إنما لكل مَنْ يهيِّئ نفسه لها بمحبة الله وطاعة وصاياه.

ولكن لا يزال السؤال يلحُّ: وما هي البركة في حالة صدورها من الله؟ وفي حالة حلولها على الإنسان وسكناها وديمومتها؟ هل هي قوة سرية؟ أم هي تأثيرات خفية؟ أم هي فعل مادي مؤثر كما توحي به كلمة «بركة» في مفهومها المبهم؟

هنا نعود إلى الترجمة اليونانية لكلمة «البركة» وهي: «أولوجيا eÙlog…a» ، فنجد أنها لا تشير إطلاقاً إلى أي شيء من هذا المعنى. فالأولوجيا كلمة تعني في أصلها اللغوي «كلام حسن» أي أن الله حينما يتكلَّم كلاماً حسناً أو طيباً بالنسبة للإنسان فهذا الكلام الحسن هو البركة. هذا في الواقع حقيقة، لأن كلمة الله حية وفعَّالة وأمضى من كل سيف ذي حدَّين ـ كما يقول القديس بولس الرسول ـ وكلمة الله أيضاً تعمل من تلقاء ذاتها بقوة حكيمة مميزة وتستمر في فعلها بلا عائق أو توقُّف كما يقول إشعياء النبي: «لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت (العشب) وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً **للآكل، هكذا تكون كلمتي**(3) التي تخرج من فمي، لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُررت به وتنجح فيما أرسلتها له.» (إش 55: 10و11)

إذاً، فالبركة هي كلمة طيبة تصدر من فم الله لصالح الإنسان، غير أن هذه الكلمة هي في نفس الوقت فعَّالة ودائمة في فعلها، لا تتوقف حتى تبلغ الغاية المحدَّدة التي أرسلها الله من أجلها، حسب مسرته.

والآن السؤال الآخر: ما هي دائرة فعل البركة، أو بحسب تعريفنا الآن، ما هي دائرة فعل الكلمة الصالحة الصادرة من فم الله بحسب مسرته لصالح الإنسان؟ أو إذا أخذنا بتعريف القديس بولس الرسول أن «كلمة الله فعَّالة» يكون السؤال: ما هي فعالية الكلمة في البركة؟

نحن نعلم أن فعل «الكلمة» إذا خرجت من فم الله، فهي تعمل في كل مجال تُرسَل إليه للخَلْق والتجديد والتقويم والإصلاح والتأديب والموت والقيامة وكل شيء، أمَّا هنا في «البركة» فدائرة عمل « الكلمة الصالحة» = «إفلوجيا» يشمل عملاً جديداً وعجيباً حقاً، إذ يقول الكتاب في

(3) يُلاحظ القارىء هنا العلاقة السرية بين الخبز وكلمة الله.

مضمون عمل البركة:

+ «وإن سمعتَ سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم، يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض، **وتأتي عليك جميع هذه البركات وتدركك** إذا سمعت لصوت الرب إلهك:

مباركاً تكون في **المدينة**، ومباركاً تكون في **الحقل**، ومباركةً تكون **ثمرة بطنك، وثمرة أرضك، وثمرة بهائمك نِتاج بقرك وإناث غنمك**، مباركةً تكون **سلّتك ومعجنك**، مباركاً تكون في **دخولك** ومباركاً تكون في **خروجك**. يجعل الرب **أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك** في طريق واحدة يخرجون عليك وفي سبع طرق يهربون أمامك.

يأمر لك الرب بالبركة في **خزائنك**، وفي كل ما تمتد إليه يدك، ويباركك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك، يقيمك الرب لنفسه شعباً مقدَّساً كما حلف لك، إذا حفظت وصايا الرب إلهك وسلكت في طرقه، فيرى جميع شعوب الأرض أن **اسم الرب قد سُمِّي عليك، ويخافون منك، ويزيدك الرب خيراً في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك** على الأرض التي حلف الرب لآبائك أن يعطيك.

يفتح لك الرب كنزه الصالح السماء ليعطي مطر أرضك في حينه، **وليبارك كل عمل يدك، فتُقرِض أمماً كثيرة وأنت لا تقترض، ويجعلك الرب رأساً لا ذنباً**، وتكون في الارتفاع فقط ولا تكون في الانحطاط، إذا سمعت لوصايا الرب إلهك التي أنا أوصيك بها اليوم لتحفظ وتعمل.» (تث 28: 1-13)

+ «مرضاً ما مما وضعته على المصريين لا أضع عليك، فإني أنا الرب شافيك.» (خر 15: 26)

إننا هنا أمام عمل فائق على قوانين الخليقة! والبركة هنا ككلمة صالحة صادرة من فم الرب، شملت في فعلها السماء والأرض وقوانين التكاثر والولادة في الإنسان والبقر والغنم، وقوانين الكميات والأعداد في الخبز الذي يملأ السلة والعجين الذي يملأ المعجنة، وكل الحوائج والأشياء داخل المخازن. ثم شملت الكلمة في فعلها المرسَلَة إليه كل ظروف وأحوال حركة الإنسان في الدخول والخروج والمسير والحرب، ومواجهة الأعداء، والمستوى الاجتماعي بين الناس.

القوانين الطبيعية هنا ذُلِّلت وظهرت طائعة خاضعة لكلمة الله:

أولاً: لقد أُوقفت الطبيعة عن أن تعطي إخفاقات أو تناقضات أو نفايات، فلا عقر ولا عقم ولا

تشويه ولا كوارث ولا جفاف ولا أمراض ولا آفات.

وثانياً: بمقتضى كلمة البركة الفعَّالة الصادرة من الله أخذت الطبيعة أمراً لتنفك عن حدود قوانينها العاملة بها بحسب الخلق، لتعطي أعداداً وأرقاماً وكميات وأنواعاً أكثر مما تتحكم فيها قوانين الوراثة والتكاثر والغذاء والبيئة والجو**!!** أي بدأت الطبيعة تكشف عن الناموس الفائض المستتر في طبيعتها الجديدة.

نحن هنا الآن أمام حالة طبق الأصل من حالة الخمس خبزات والسمكتين وهما على يديِّ المسيح والتي أشبعت خمسة آلاف رجل، أو ماء عرس قانا الجليل الذي تحوَّل في الأجران إلى خمر إزاء كلمة المسيح الصادرة بالبركة، أو حالة الثياب التي كانت على جسد المخلِّص وقت التجلِّي حينما خرجت عن لونها وعتمة مادتها وصارت لامعة ومنيرة وبيضاء كالثلج**!** أو حالة أهداب ثوب المخلِّص لما لمستها المرأة نازفة الدم**!!**

الطبيعة في كلتا الحالتين تجلَّت بكلمة الله، والخليقة أظهرت سر العالم الجديد الخالي من اللعنة ومن الحزن والبكاء والتنهد.

إذاً، فالبركة هنا هي أمر إلهي صادر بالكلمة الفعَّالة للدخول في سر الخليقة (المادية) الجديدة حينما يُرفع عنها العجز والفساد الذي تئن تحته الآن ـ بحسب تعبير بولس الرسول.

البركة هنا استعلان مُسْبَق للعالم الجديد المخضَع لله والطائع لأولاد الله**!!** حيث السيادة للبركة وليس للقوانين المادية.

ولكن البركة هنا ـ أي في العهد القديم ـ مادية محضة لأن العهد التي هي قائمة عليه ماديٌّ، فهي لا تتجاوز الكثرة والملء والشبع والراحة والمسرات الأرضية، لأن العهد قائم على تملُّك أرض وسيادة على شعوب وراحة وكثرة.

لذلك فإن هذه البركة لم تعد مقبولة تماماً ولا نافعة لكثير في العهد الجديد، لأن العهد الجديد روحي قائم على تملُّك السماء لا الأرض وعلى بنوية الله وليس إبراهيم ولا موسى: «الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبونني (العبادة المزيفة) ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه.» (يو 6: 26و27)

إذاً فبركة العهد القديم مارسها المسيح بالفعل في الخمس خبزات والسمكتين وفي عرس قانا الجليل، لأن سر استعلان الخليقة لا يزال يعمل بواسطة الرب يسوع، ولا يزال أيضاً يعطيه لا كأساس بل كإضافة: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه وهذه كلها تزاد لكم.» (مت 33:6)

المسيح بكلمة منه، أخرج المادة عن حدود طبيعتها، حدود العدد والكمية والنوع، وكان ذلك تمهيداً لإعلان بركة العهد الجديد. وبركة العهد الجديد ليست قائمة في العالم بل في المسيح نفسه، فالمسيح هو خبز وماء ووطن وسماء.

إذاً، فالبركة لم تعد على هيئة خبز للشبع وأرض للسكن، بل حياة أبدية في طعام سمائي وشراب إلهي، في سر جسد ودم المسيح.

إذاً، فالبركة في العهد القديم تمثِّل سلطان كلمة الله الصالحة كفعل استعلان للخيرات الزمنية الفائضة والمكدَّسة والمخفية في ناموس الخليقة القديمة، وذلك لتكون:

أولاً: جزاءً وِفَاقاً مناسباً للطائعين لكلمة الله وناموس العهد القديم الذي كان بحسب الجسد،

وثانياً: لتكون تمهيداً لفعل الكلمة الصالحة في العهد الجديد بنفس السلطان لاستعلان ناموس الخليقة الجديدة التي تعمل لا بناموس الكثرة العددية أو الشبع، بل بناموس الروح للحب والبذل والفداء، ليكون الإنسان واحداً مع الله.

البركة في العهد الجديد بركة فداء، فداء للخليقة القديمة نفسها لتُعتَق من ناموس الطبيعة جملةً وتفصيلاً. الفداء جاء ليفصل بين الخليقة العتيقة ببركاتها وبأفخر نواميسها وأعظم خيراتها، وبين الخليقة الجديدة. الخليقة الجديدة هي أعظم بركات الله التي استُعلنت في يسوع المسيح للإنسان والتي سيكمل استعلانها بمجيء الرب يسوع في مجده، حيث تشترك الخليقة المفديَّة في مجد الرب يسوع إلى الأبد!!

أمَّا من جهة البركة التي يقدِّمها الإنسان لله: فكلمة «البركة» تأتي أيضاً بحسب معناها الحرفي في الترجمة اليونانية «أولوجيا eÙlog…a» بمعنى «الكلمة الحسنة أو الصالحة» ولكنها هنا كلمة إنسان لا كلمة الله، وكلمة الإنسان ليست فعلاً، وإن حسبناها تجاوزاً أنها فعل فهي ليست على أي حال فعَّالة ككلمة الله، وإنما مجرد جهد مبذول على مستوى الفكر والشعور والقلب واللسان وقيام وسجود ورفع يدين.

لكن هذا الجهد المبذول بالكلمة هو بالنسبة للإنسان أقصى ما يمكن للإنسان أن يقدِّمه لله. بل وإن

مباركة الله بالقلب واللسان تُعتبر ذبيحة على كل حال، حينما يكون رفعها أو إصعادها (anaphora أنافورا) بالعقل مع كل القلب لله وبأقصى ما يمكن من شعور الانسحاق والتذلل والشكر وبذل الذات.

إذاً، الفرق هنا كبير وواضح بين البركة التي يبارك بها الله الإنسان وبين البركة التي يبارك بها الإنسان الله. فبالرغم من أن البركة، ككلمة صالحة أو حسنة، هي من حيث المضمون اللغوي بل والمعنوي واحد إذ لا تخرج البركة في الاثنين عن كونها كلمة و «كلمة صالحة» إلاَّ أن المضمون التأثيري والعملي لبركة الله تمتد لتصل إلى حد الفعل الخالق والمجدِّد للطبيعة لحساب الإنسان المحب والطائع والخاضع لكلمة الله!

ولكن كلمة «بركة» أي «أولوجيا» أي «كلمة حسنة أو صالحة» حينما تكون صادرة من الإنسان لله، فإنها تبتدىء تأخذ معنى محدوداً جداً يتناسب مع ظروف نطقها. لأن الإنسان إذا تكلَّم كلاماً صالحاً أمام الله **وموجَّهاً لله**، فإنه لا يمكن أن يخرج بأي حال من الأحوال عن الشكر eÙcarist…a، لذلك فكلمة «البركة» الأولوجيا إذا كانت موجَّهة لله فإنها تُترجم eÙcarist…a أي «شكر» حتى ولو بقيت الكلمة كما هي «أولوجيا» فإنها لا تُفهَمُ إلاَّ على أنها «شكر» أي «إفخارستيا» eÙcarist…a

المعنى العميق للإفخارستيا

الكلمة يونانية أصلاً eÙcarist…a، ومعناها الشكر.

والشكر يُقدَّم لله إمَّا بالكلام فقط ويُسمَّى تسبيحاً وتمجيداً، وإمَّا يُقدَّم على مستوى التقدمة، كتقدمة الخبز والخمر في وليمة العشاء الربَّاني ويُسمى تقدمة أنافورا (anaphora) ''تقدمة الشكر'' أو ''ذبيحة الشكر''، التي اصطلح عليها كنسياً بكلمة ''إفخارستيا''.

فإذا كان الشكر المقدَّم لله أي الإفخارستيا يرافقه أيضاً تسبيح وتمجيد وتقديس لاسم الله، مثل التسبحة الشاروبيمية، حينئذ تسمَّى الإفخارستيا بـ''القداس''[4]

ويُلاحَظ أن القداس قد يكون خالياً من تقدمة الإفخارستيا بالخبز والخمر، مثل قدَّاس اللقَّان حيث التسبيح والشكر وتقديس الله يكون على لقَّان الماء، حينئذ يسمَّى بقدَّاس اللقان.

(4) ''القداس'' كلمة عبرية تُنطَق بالعبرية قِدَّشْ وهي أصلاً بتلاوة البركات (أي التشكُّرات) التي كانت تُقدَّم في المجامع (السيناجوج)، وكانت تنتهي بتسبحة الشاروبيم والسيرافيم لله. فكلمة ''قداس'' أساساً تعني تقديس الله.

لذلك يلزم دائماً توضيح اسم الإفخارستيا إذا كانت بتقديم الخبز والخمر فتسمَّى بقدَّاس الإفخارستيا، لتمييزها عن قدَّاس الماء الذي هو اللقَّان.

إذا ألقينا نظرة فاحصة على أنواع البركات التي سجَّلها العهد القديم التي قُدِّمت فيها البركة لله، نجد أن مفهوم البركة العميق كما قصده الوحي الإلهي واستخدمه على أفواه الآباء الأوائل والأنبياء والملوك والشعب عندما يحس بحضرة الله، ليس مسألة شكر مجرَّد شكر على أي شيء عمله الله معنا، أي ليس للتعبير عن الامتنان الشخصي وبالتالي يكون تعبيراً على الذات البشرية المفردة وتأكيد وجودها على حساب الله، حيث يكون الشكر في هذه الحالة تعظيماً وتأليهاً للذات البشرية.

كذلك فمباركة الله في النماذج التي رأيناها في العهد القديم لا توحي إطلاقاً بأنها مسألة شكر طقسي أو خدمة شكر يقف فيها الإنسان سواء بمفرده أو في وسط الجماعة يسبِّح ويشكر بدون الإحساس بشخص الله أو في عدم مبالاة أو عدم انشغال قلبي وروحي وذهني، فالشكر ـ أي التسبيح ـ بهذا الوضع يكون «**عملاً حكومياً**» وليس «**عملاً إلهياً**»، بمعنى أنه يكون حُكْمَ فَرْضٍ على الإنسان أن يشكر ويسبِّح**!!** هذا ليس حقيقة أبداً في مفهوم تقديم البركة لله في كل نماذج العهد القديم. اسمع ما يقوله العهد القديم:

+ «فبارَك كل الجماعة الرب إله آبائهم **وخروا وسجدوا** ... **وذبحوا للرب ذبائح!**» (1أي 29: 20و21)
+ «وأجاب جميع الشعب **آمين آمين رافعين أيديهم وخرَّوا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض.**» (نح 8: 6)
+ «اليوم علمنا **أن الرب بيننا** ... فبارَك بنو إسرائيل الله.» (يش 22: 31و33)
+ «باركوا الرب ... **الرب سلَّطني على الجبابرة** ...، **من السموات حاربوا، الكواكب** ... حاربَتْ سيسرا ... **دوسي يا نفسي بعزٍّ.**» (قض 5: 9و13و20و21)
+ «رفعتُ عينيَّ إلى السماء **فرجع إليَّ عقلي** وباركتُ العلي!!» (دا 4: 34)
+ «**صالح هو التبريك لله.**» (ملاك طوبيا ـ طو 12: 6)
+ «**كل ما في باطني** فليبارِك اسمه القدوس.» (مز 103: 1)
+ «**في كل يوم** أباركك، أباركك **ما دمتُ حيًّا**، باسمك أرفع يديَّ **فتشبع نفسي!!**» (مز 145: 2؛ 63: 4و5)
+ «**يا رب أحببت محلّ بيتك** ... **في وسط** الجماعة أباركك.» (مز 26: 8، 22: 22)

+ «**ارفعوا أيديكم نحو القدس** (نحو هيكل أُورشليم) وباركوا الرب.» (مز 134: 2)
+ «**أيها المغنون**، ... **يا ضاربي الأوتار** ... **يا ضاربات الدفوف** باركوا الرب.» (انظر: مز 68: 25و26)
+ «باركوا اسمه، **بشِّروا** من يومٍ إلى يومٍ **بخلاصه**.» (مز 96: 2)
+ «ادخلوا أبوابه **بالحمد**، ادخلوا دياره **بالتسبيح**، ادخلوا إلى حضرته **بالترنم**، اعبدوا الرب **بالفرح**، **احمدوه** وباركوا اسمه.» (مز 100: 2و4)
+ «ليكن اسم الرب مباركاً ... من **مشرق** الشمس إلى **مغربها**.» (مز 113: 2و3)
+ «مباركٌ اسمُ مجدِهِ إلى الدهر، **ولتمتلىء الأرض كلها من مجده**.» (مز 72: 19)

هذه هي نماذج البركة في العهد القديم وما يرادفها من إحساس وشعور روحي.

هذه النماذج المملوءة حبًّا ومخافةً وحياةً وغيرةً وشعوراً جارفاً بحضور الله، جعلت البركة تخرج بالترنُّم، وكأن القلوب تهتف والأيادي ترتفع إلى فوق من تلقاء ذاتها، وكأنها تعبِّر عن طيران الروح إلى الأعالي. الانبطاح على الأرض في سجود سريع، والوجوه تتعفَّر بتراب الأرض من فرط الرهبة وخشية الحضرة، العقل في رزانة الدهش ينبهر من الله اللابس النور كالثوب، والفم يصرخ: «قدوس» و «آمين» إلى ما لا نهاية. هللويا تخرج مع كل بركة[5].

إذاً، فالبركة هنا ليست مسألة شكر وامتنان على نعمة خاصة أو عطية. ولكن على أي أساس كانت البركة تُقدَّم لله في العهد القديم؟

أولاً: استعلان الله:

البركة في العهد القديم كانت قائمة أولاً وقبل كل شيء على أساس استعلان الله الشخصي في قلب الجماعة وتنازله المدهش بالاقتراب جداً من الشعب المجتمِع أو القلب المرتفع أو التسبيح أو الترنم. الشكر هنا صادر ردًّا على تنازل بالظهور القلبي والاستعلان الفكري والتنازل بالوجود في وسط الجماعة «الرب بيننا»

البركة كشكر وتسبيح هنا هي انفعال بذات الله (وليس انفعالاً بذات الإنسان حينما يشكر إثر

---

(5) يُلاحَظ أن المزامير كلها تقريباً تُعتبر بركات، أي مباركة الله، ومعظمها يتخلله «هللويا» و«سلاه»، حيث يكون العقل والقلب قد سُلب فيتوقف المزمِّر عن اضطرار «سلاه».

نواله منحة أو **عطية** أو تكريماً). ذات الإنسان هنا وفي لحظات التسبيح في حضرة الله أصابها صِغَرٌ ثم صِغَرٌ ثم انعدام، لأن ذات الله استُعلنت وملأت كل الفراغ المسمَّى بالذات الشخصية للإنسان «نموت موتاً لأننا قد رأينا الله.» (قض 22:13)

وهكذا يتضح لنا أن مباركة الإنسان لله هي انعكاس صادق على مرآة القلب تعكس بركات الله للإنسان في صورة شكر يُقدَّم إلى الله يرتفع إلى مستوى إماتة الذات وذبحها لله!!

إن أجمل صورة يمكن التعبير بها عن بركة الله للإنسان ثم مباركة الإنسان لله كردٍّ على ذلك، نجدها في إبراهيم. فالله بارَك إبراهيم لأنه أحبه جداً فأعطاه ابناً في شيخوخته، وهذا يُعتبر معجزة كمعجزة الحياة من الموت. وإبراهيم، ردًّا على هذه البركة، أخذ إسحق وحيده الذي يحبه وقدَّمه لله ذبيحة كبركة أو تعبيراً عن شكر، فعاد الله وقَبِلَ التعبير في مستواه القلبي لأنه صادق جداً، وزاد إبراهيم بركة فوق بركة.

ثانياً: عهد قائم:

مباركة الله في المفهوم الكتابي أو اللاهوتي تقوم على ارتباطٍ شخصي أساسه عهد قطعه الله مع الشعب، أي أن في تقديم المباركة لله لا يقف الإنسان أو الشعب كمَنْ يقدِّم شيئاً خاصاً أو عاماً لله. فالبركة، سواء كانت من الله للإنسان أو من الإنسان لله، هي عمل ارتباطي: الإنسان مرتبط بالله لأن الله ارتبط بالإنسان بعهد. ولكن الله هو الذي قدَّم نفسه أولاً، وأظهر حبه، هو الذي بحسب منتهى مسرته ربط نفسه برباط عهد مع الإنسان وعلى أساس هذا، قدَّم الله البركة للإنسان.

إذاً، فالإنسان لا يقدِّم البركة بالتالي من فراغ بل يستمدها من العهد القائم بينه وبين الله، وعلى أساس أمانة الله وحبه، إنها ردٌّ؛ ولكن البركة ليست ردَّ جميلٍ، بل هي ردُّ فعلٍ. فربط العهد والحب حينما نعيه ونحسه نجد أنه يُشدُّنا اضطراراً إلى الله، هذا هو رد فعل الأمانة والحب.

المباركة لله هنا هي ردُّ فعل واستجابةٌ كيانية لعمل الله معنا. الإنسان يستجيب لكل حب الله وأمانته وعهده مرة واحدة بانفعال كياني كما يقول المزمور: «كلُّ ما في باطني ليبارِك اسمه القدوس!!» (مز 1:103)

ثالثا: أمانة كلمة الله:

مباركة الله قائمة على أساس صدق وأمانة مطلقة لكلمة الله. هنا نقصد بـ «كلمة الله» شيئاً غير ما يعرفه الآن العلماء والوعَّاظ واللاهوتيون المدرسيون الذي يعتبرون «كلمة الله» مصدراً أو موضوع معرفة وفهم وبحث وتجميع وتعليق ووعظ، واستخلاص أبحاث ودروس؛ ولكن كلمة الله

كما عرفها الآباء والأنبياء وجميع أتقياء الله «حقيقة حية بذاتها» فكلمة الله بالنسبة للإنسان هي حادثة معجزة في حياة الإنسان نفسه: الله تكلَّم، أي يلزم أن ينصت الإنسان، ويلزم أن يستجيب. هكذا فهم الأنبياء معنى كلمة الله: «الأسد زأر فمَنْ ذا الذي لا يخاف!! والسيد الرب قد تكلَّم فمَنْ ذا الذي لا يتنبأ؟» (عا 8:3)

والله يتكلَّم لا لكي يعطي معطيات لاهوتية أو مفهومات تُدرس ولكن لكي يُعلن ذاته للإنسان ليعرِّفه شيئاً يتحتَّم أن يعرفه، فهو لا يُعلن ذاته كإضافة زائدة للإنسان ولا لكي يتقرَّب إلى فكر الإنسان ويظل كحقيقة بعيدة عنه، ولكن الله يعلن ذاته ليدخل كحقيقة في صميم حياة الإنسان ليصير الإنسان حقيقة!!

الله لما تكلَّم لم يتكلَّم كإنسان. فالإنسان حينما يتكلَّم، يُعرِّفنا نفسه بالكلمة من بعيد أو يعطينا معرفة أو مساعدة أو علماً ويظل هذا الإنسان بعيداً عن كياننا، وبعد أن يكلِّمنا يظل «كآخر» بالنسبة لنا؛ ولكن الله لما تكلَّم فإنه تكلَّم لكي بالكلمة يدخل حياتنا ويصير كذات في ذات. إن أول كلمة الله من هذا النوع هي ما يسميها اليهود بالشِمَّعْ[6]: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك» (تث 4:6). هنا الله يعرِّف نفسه للإنسان على أساس أنه «إله الإنسان» هذا حدث عظيم وخطير، مفرح ومرعب معاً. فكون الله يكون إلهنا، فهذا أقصى ما يمكن أن يحصل عليه الإنسان ويعرفه وأعظم ما يمتلكه الإنسان ويقتنيه في حياته، ولكن في نفس الوقت لا يملك إسرائيل أن يرفض الله بعد أن أعلن نفسه له ولا يملك أن يصمَّ أذنيه، هذا ــ إن حدث ــ يمثل موتاً محيقاً له.

ثم بعد ذلك تنصُّ كلمة الله على أن الإنسان إزاء هذا الفضل العظيم أن يكون الله إلهه، عليه أن يحب الله من كل قلبه ومن كل نفسه ومن كل قوته. الله هنا يدخل في حياة الإنسان ويتغلغل كيانه كله، القلبي والنفسي والجسدي. الله هنا بعد ما تكلَّم للإنسان لم يَصِرْ «آخر» بالنسبة للإنسان، فكونه قد صار إلهاً للإنسان يعني أنه صار ألصق للإنسان من كل شيء آخر، بل صار كنفس الإنسان وكذاته! وعلى هذا القانون نفسه فالله في كل الكتاب المقدَّس لم يتكلَّم قط إلاَّ لكي يثبت هذه الحقيقة ويعمِّقها ويضمن نفاذها!

إذاً، فكلام الله ليس حديثاً للمعرفة والعلم وبعدها يظل الله بعيداً «كآخر» بالنسبة للإنسان، بل

(6) شِمَّعْ، أي «اسْمَعْ»، وهي الكلمة التي بدأ بها الله كلامه.

كلمة الله هي حَدَثٌ واقع في صميم كيان الإنسان لتجعله ليس وحيداً بعد، بل مع الله، والله أيضاً يكون كإله وسيد معبود ومحبوب من كل أعماق القلب والنفس والجسد! «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك»

و «كلمة الله» ليست نُطقاً يُسجَّل في أُذن وعلى ورقة للتذكار، بل هو عمل، وعمل لا يهدأ! فبمجرد أن ينطق الله، يكون؛ حتى ولو كان النطق على فم نبي صغير مثل «عاموس» أو «إرميا» فقط كان الملك يرتعب من كلامه لأنه يعلم أنه بمجرد أن ينطق النبي بكلمة الله فهي لا بد تكون ولا بد أن تأخذ قوتها ومداها حتى النهاية!!

وهذا في الواقع قد صار ميراثنا الإيماني نحن أيضاً، فهذا هو صميم الإيمان بعمل كلمة الله في الأسرار المقدَّسة. فبمجرد أن ينطق الكاهن (المعتبَر أنه نبي، وكلمة الله في فمه) بوعد الله القائم بالكلمة، يصير ويكون في الحال.

فالمسيح أمسك الخبز **وبارك** وقال: «هذا هو جسدي» وكذلك الكأس **وبارك** وقال: «هذا هو دمي» فما قاله، صار في الحال، فلا يؤكل بعد ذلك خبزاً بل جسداً، ولا يُشرب خمراً بل دماً حقيقياً ككلمة الله الصادقة. ثم قال: «اعملوا هذا كلما أكلتم من هذا الخبز أو شربتم من هذه الكأس!!» فنحن نعمل ولا نزال نعمل حتى يأتي، إنها أمانة الكلمة الفعَّالة التي كوَّنت السر وجعلتنا نأكل المأكل الحق ونشرب المشرب الحق.

كلمة الله «**فعَّالة**» كما يقول القديس بولس الرسول، وذلك يعني أننا نأخذها كفعل وليس كخبر، فهي كالسهم الذي خرج من قوسه، ينبغي أن تكون عيوننا وقلوبنا عليه في مساره الأبدي.

وكلمة الله لا بد أن تتم عملها الذي صدرت من أجله، كما يقول الرب على فم إشعياء: «لأنه كما عَلَتْ السموات عن الأرض، هكذا عَلَتْ طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم (كلمة الله وكلمة الإنسان). لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سررتُ به وتنجح فيما أَرْسَلْتُها له.» (إش 55: 9-11)

أي أن كلمة الله في المفهوم الكتابي تملك قوتها التي تتم بها عملها، وعلى أعلى مستوى من الحكمة والدقة والتنفيذ.

كلمة الله ليست مجرد حَدَثٍ في حياة الإنسان، ولكنه حَدَثٌ قائم يتمم ذاته بمنتهى الصدق، بل

هو الصدق والأمانة احتوتهما كلمة الله الفعَّالة، وهو حتماً ينجح فيما أرسله الله، طالما خضع له الإنسان في قلبه وفكره وآمن به وأحبه!!!

هذا هو المضمون السري الكبير الذي تحمله كلمة الله.

وعلى أساس هذا المضمون لكلمة الله وبعمقه تماماً أسَّس المسيح بالكلمة سر الإفخارستيا، أي تقديم الشكر لله، كرد فعل من جهتنا واستجابة لما فعل!

4 ـ الإفخارستيا
وصورة للصلوات داخل المجمع
في زمن المسيح

والآن نأتي إلى عرض صورة للصلوات بنوعيها: صلاة البركة، وصلاة التضرُّع، التي كانت تُتلى في المجامع، في زمن المسيح، باعتبارها آخر صورة انتهت إليها الصلوات في العهد القديم، وهي توضح لنا مقدار انطباع الطقس بروحانية وبحرفية الصلوات القديمة المدوَّنة في الأسفار. كما تكشف لنا عن عمق لاهوتي وتَقَوِيٍّ فائق كان القصد منه في الواقع أن يخلق من هذا الشعب « مملكة كهنة، وأُمَّة مقدَّسة» كقول الرب، وأن ينشيء جيلاً صالحاً مستعداً لظهور المسيح ومهيَّأً لقبول غِنَى بركات العهد الجديد واستيعاب أسرار الملكوت التي ما فتىء المسيح يكشفها حتى آخر لحظة قبل صعوده!

وإن نظرة واحدة على بدء الإنجيل تُعرِّفنا على أمثلة من هذا الجيل السعيد، مثل حَنَّة النبية أو سمعان الشيخ الذي رأى المسيح وتعرَّف عليه وتنبأ عنه وباركه وسبَّح له وهو لا يزال طفلاً على ذراعي أمه، ليعطينا البرهان الواضح الأكيد على صلاحية هذه الصلوات وعمقها وأثرها التربوي والروحي الذي مهَّد بالرؤيا القلبية والعينية في أتقياء هذا الجيل تمهيداً صادقاً صحيحاً لمعرفة الرب يسوع المسيح، باعتباره المسيَّا الآتي مخلِّص العالم «نوراً للأمم ومجداً لشعب إسرائيل»

هذا الأمر نفسه ـ أي صلاحية هذه الصلوات لمعرفة الحق، والإلهامات البليغة التي تحتويها، والنور المتكدِّس في معانيها ـ هو ما أحزن قلب المسيح لما رأى أرباب الدين والمشتغلين به والمحترفين لطقوسه قد عميت بصائرهم، فلم يكتشفوا على نوره نور المسيح لما أتى، لا عن عجز في الطقس أو

في الصلاة أو في المعرفة، ولكن عن عمى إرادي أصاب قلوبهم بسبب عِرق الخطية المرِّ المتغلغل في حياتهم وسلوكهم هذا الذي أورثهم عدم الإيمان وعدم التصديق، بل أورثهم العداوة للحق وللنور وللحياة الأبدية، «أخذتم مفتاح المعرفة، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم» (لو 11:52)، «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه**، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا» (مت 23: 2و3)، «(المسيح يسأل نيقوديموس أحد الفريسيين:) أنت معلِّم إسرائيل ولست تعلم هذا؟» (يو 3:10)

ولكن لا ننسى أن من هذا الجيل تكوَّنت جماعة المسيحيين الأُولى الذين أثَّرت فيهم روح العبادة والتقوى والصلوات، فآمنوا بالمسيح وقبلوه.

ولقد كان للمزامير تأثير بليغ على هؤلاء الأتقياء من الشعب في مجامعهم أو في مخادعهم أو على موائدهم؛ فصلوات المزامير لم تكن عند الأتقياء من الشعب روتينية لمجرد التلاوة، كما هو حادث الآن في أيامنا هذه داخل الكنائس، بل كان لها هيبة وخشية شديدة، باعتبارها نموذجاً حياً لـ «كلمة الله» أي للتوراة، التي كان يعبدها الأتقياء من اليهود. ويكفي أن نتذكَّر تعليق الرب يسوع على المزامير عندما قال عنها: «يدعوه داود بالروح ربًّا قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني ...» (مت 22:43). هنا شهادة من إله ومن مواطن يهودي معاً على علوِّ قيمة المزامير، **فهي كلام الروح**.

لذلك كان الشعب يصدِّق كل حرف في كل كلمة من كل مزمور يُتلى على مسامعه، فحين كان يسمع: «قلباً نقياً أخلق فيَّ يا الله» كان يعتبر أن مجرد سماع هذه الألفاظ وإدخالها بالإيمان داخل القلب، كفيلٌ بحد ذاته أن يخلق فعلاً قلباً جديداً. كان الشعب يعتقد أنه ممكن لكلام المزمور أن ينطبع على طبلة الأذن وعلى جدران القلب ويترك أثراً كالختان تماماً «يا ... غير المختونين بالقلوب والآذان.» (أع 7:51)

لذلك كان الشعب يقف، عندما يسمع الصلاة، بوقار وخشية فائقة، أو بحسب كلمات الطقس الذي استلمناه في التقليد ولم نعمل به، «اسجدوا لله بخوف ورعدة» ! «قفوا بخوفٍ من الله وانصتوا لسماع الإنجيل المقدَّس» هذا كله ميراث تقوي انحدر إلينا، وللأسف فإن قليلين جداً مَنْ يعمل به، أمَّا الخشية والرعدة التي كانت تجوز في نفس الشعب قديماً، فكانت بسبب اعتقادهم وإيمانهم الراسخ أن تلاوة التوراة واسم الله يعني حضرة إلهية وبالتالي يعني موتاً أو حياة.

5 – صورة للصلوات داخل المجمع اليهودي زمن المسيح

أولاً: يقف المسئول عن الصلاة، ويدعو للصلاة. فيقف الشعب ويظل يصلِّي صامتاً بعض الصلوات المحفوظة. ولكن هذه الصلوات الصامتة تحوَّلت فيما بعد إلى تسبحة بالمزامير من 145 – 150. وعن هذه الصلاة سأل التلاميذ مرة الرب يسوع قائلين: «يا رب علِّمنا أن نصلِّي» (لو 1:11) لأن كل معلِّم كان يعلِّم تلاميذه بعض الصلوات اللازمة في هذه الفترة من المجمع.

ثانياً: البركات التي كانت تُتلى داخل المجمع (في زمن المسيح) والتي شارَك المسيح في الصلاة بها أثناء حضوره في المجامع، وهي هكذا:

يبدأ رئيس الصلاة بقوله: ''مُبارَكٌ **يَهْوَه**، الذي ينبغي له البركة''.

يرد الشعب: ''مبارك يهوه، الذي ينبغي له البركة **من الآن وإلى الأبد**''.

البركة الأُولى:

[مبارك الرب إلهنا، ملك الدهور، الذي أقام النور وخلق الظلمة، الذي أقام السلام وخلق كل شيء! الذي برحمته أعطى النور للأرض والساكنين فيها، والذي بصلاحه يجدِّد الخليقة كل يوم على الدوام!

ما أعظم أعمالك يا رب في تنوعها، بالحكمة قد صنعتها كلها، لك الأرض وكل ملئها! أنت الملك الذي وحده له الرفعة منذ الدهور، مُسبَّح وممجَّد ومرتفع منذ القِدم.

يا الله الأبدي في مراحمك الكثيرة، ارحمنا فأنت يا رب قوتنا وصخرتنا الذي نمسك به، درع خلاصنا وسندنا جميعاً.

الله المبارك العظيم الذي في علم معرفته رتَّب الشمس وأشعتها كهبة لأجل مجد اسمه، وثبَّت الأجرام المنيرة في دائرة فَلَكها كعمل قوته.

رؤساء جنوده المقدَّسون يعظِّمون القادر على كل شيء، وعلى الدوام يعلنون مجد الله وقدسه.

فلتتبارك أيها الرب إلهنا في السموات في العُلا، وعلى الأرض هنا.

فلتتبارك يا صخرنا وملكنا وفادينا خالق الخلائق المقدَّسة. ليكن اسمك مسبَّحاً إلى الأبد.

يا ملكنا، يا خالق الأرواح الخادمة، كل الأرواح الخادمة تقف في علوّ الكون لتعلن بالعجب، وفي اتحاد، كلمات الله ملك الدهور.

كل الأرواح الخادمة محبوبة وكلها طاهرة مقتدرة وكلها بخوف ورعدة تصنع مشيئتك!

كلهم يسبِّحون ويمجِّدون ويقدِّسون اسم الملك العظيم، الإله المقتدر والمخوف، ويقولون بأفواهٍ لا تسكت: قدوس!!

كلهم وهم تحت نير ملكوت السموات يقفون الواحد قبالة الآخر منهم يقدِّسون الخالق بفرح الروح الهادىء، وبقول طاهر ونغم مقدَّس، الكل بالخوف يتفقون في الوحدانية، وبالدهش ينطقون ...]

وهنا تسبِّح الجماعة كلها مع رئيس الصلاة تسبحة «القِدُّوشاه» Qedushah قدوس، قدوس، قدوس، رب الصباؤوت، الأرض مملوءة من مجده!!

ثم يقول رئيس الصلاة:

[والشاروبيم (ومفردها كاروب، وهو الموصوف في رؤيا حزقيال بالأوفِنِّيم ومعناها = مركبة Ophannim) والسيرافيم (ومفردها سيراف، وهو الموصوف في رؤيا حزقيال بالحَيّوُث ومعناه = كائن حي Hayyiot) بضجة عظيمة، يتقدمون رافعين ذواتهم تجاه بعضهم البعض يسبِّحون قائلين (وهنا تشترك الجماعة كلها مع رئيس الصلاة): "**مبارك مجد الرب من موضعه!**"][7]

وهنا يختم رئيس الصلاة البركة الأُولى بهذه الصلاة:

[للرب **الإله المبارَك** يقدِّمون التسابيح،

للملك الحي الرب الدائم إلى الأبد ينطقون بالألحان، ويرفعون أصواتهم ليُسمَعَ مديحهم،

فهو وحده الذي يعمل العظائم ويصنع الجديدات، رب الحروب، يزرع البر ويبعث الخلاص، يصنع الأَشْفية، مُكرَّم ومُسبَّح رب المعجزات الذي بصلاحه يجدِّد الخليقة يوماً بيوم وعلى الدوام.

احمدوا الذي صنع لنا الأنوار العظيمة، ولْتَدُمْ نعمته علينا إلى الأبد.

---

[7] هذه الصلاة مأخوذة حرفياً من سفر حزقيال: «ثم حملني الروح فسمعت خلفي صوت رعد عظيم: مبارك مجد الرب من موضعه.» (حز 12:3)

مبارك أنت يا رب خالق الأنوار.**]**[8]

البركة الثانية:

[بمحبة أبدية أحببتنا أيها الرب إلهنا، وبشفقة فائقة أشفقت علينا يا أبانا وملكنا.

من أجل آبائنا الذين وثقوا بك، الذين علَّمتهم علم الحياة، كُنْ منعِماً علينا نحن أيضاً ...

يا أبانا، يا أبانا الرحوم، كُنْ رحيماً معنا واغرس في قلبنا أن نفهم ونميز ونسمع ونتعلَّم ونعمل بكل كلمات التوراة التي للمعرفة بالحب.

أنر عيوننا بنور وصاياك واجعل قلوبنا تتمسك بخوفك، ووحِّد قلوبنا في محبة اسمك، لأننا دُعينا باسمك العظيم القدوس حقاً.

فاعمل معنا من أجل اسمك المخوف، وبالحب ارفع قرننا سريعاً، وكُنْ ملكنا وخلِّصنا من أجل اسمك، لأننا وثقنا بك. لذلك لا نخزى، وقد تمسَّكنا باسمك فلا نخجل ولا نتعثَّر إلى الأبد وإلى أبد الأبد لأنك أنت يا الله أبونا وإلهنا فلا تنزع عنَّا رحمتك إلى الأبد. أنت الذي اخترتنا من كل شعوب الأرض وأحببتنا وأتيت بنا، لنكون هنا تحت اسمك العظيم.

مبارك أنت أيها الرب الذي اخترت شعبك إسرائيل وأحببته].

هنا تقال "الشِمَّع": [«اسمع يا إسرائيل ...»].

والملاحَظ في هاتين البركتين أنهما تجمعان بين تمجيد الله كخالق للنور المنظور والخليقة المنظورة، وبين تمجيد الله على النور غير المنظور (أي التوراة) والخليقة غير المنظورة أي الجنود الروحانية والشاروبيم والسيرافيم.

كما يُلاحَظ أن البركة الأُولى انتهت بالتقديس الشاروبيمي الذي بسببه تسمَّى الصلاة كلها هنا باسم «القدَّاس» ويلاحَظ أن صلاة «القِدَّشْ» أو الثلاثة تقديسات تسبق صلاة البركة الثانية والتي تختص بالتوراة وفهمها وتمييزها وتعلُّمها والعمل بها[9].

ولكن في زمن المسيح صارت الثلاثة تقديسات تُقال مرة أخرى بعد قراءة الأسفار، أي عند

(8) D. Hedegard, Seder R. Amram Gaon, Part I, pp. 46 ff., cited by Louis Bouyer, *Eucharist*, p. 62.

(9) يُلاحَظ أن صلاة الثلاثة تقديسات تُقال في القدَّاس الإلهي الآن كذلك، قبل الإنجيل مباشرةً.

الانتهاء من خدمة التعليم والوعظ وعند ذكر اسم الله بالتمجيد والتعظيم[10].

وبعد قراءة «الشِمَّع» ـ أي «اسمع يا إسرائيل» ـ والصلاة التي بعدها، تأتي صلوات التضرُّع أو التشفُّع وتسمَّى Tephillah « تِفِلاَّه» وهي عبارة عن ثماني عشرة بركة قديمة العهد جداً، وهي تشدُّ الانتباه وتجعل الصلاة ذات أهداف محدَّدة، وتتكون في مجموعها من ثلاث بركات في المقدِّمة وثلاث بركات في النهاية، وفي الوسط اثنتي عشرة طلبة، وهذه تكوِّن الصلاة الأساسية في «السيناجوج» أي المجمع.

والذي يقول هذه البركات والطلبات عليه أن يقف أمام التابوت الذي يحوي الأسفار الإلهية، ووجهه نحو هيكل أورشليم، ويقولها باللحن، على أن كل فرد في الشعب عليه أن يرددها معه في سرِّه، لأن المفروض على كل واحد أن يحفظها عن ظهر قلب ويقولها من نفسه ثلاث مرات كل يوم.

والشعب ـ عموماً ـ يرد «آمين» بعد كل طلبة. على أن الـ «قِدَّشْ» أي تسبحة الشاروبيم ذات الثلاثة تقديسات تُقال بين الطلبتين الثانية والثالثة.

البركات الثماني عشر:

يقول رئيس الصلاة باللحن: «يا رب افتح شفتيَّ ولينطق فمي بتسبيحك»

البركة الأُولى:

وعنوانها «أبُوث » Aboth– أي من أجل الآباء:

[**مباركٌ أنت يا رب** إلهنا وإله آبائنا، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، الله العظيم والقوي والمهَاب، الإله المتعالي جداً الذي يفيض رحمةً ومحبةً، والذي يملك كل شيء، الذاكر لعمل تقوى آبائنا والذي سيرسل الفادي لأولادهم من أجل اسمه العظيم ومن أجل محبته. الملك المعِين والمخلِّص الحامي،

مبارك أنت يا رب، حامي إبراهيم].

البركة الثانية:

وعنوانها «جِبُرُوث » Geburothأي الجبَّار:

[أنت الجبَّار إلى الأبد يا رب، أنت الذي تُحيي الموتى، أنت الجبَّار المخلِّص، الذي تحدر من السماء، وتجعل للريح هبوباً ومساراً وللمطر أواناً للسقوط، تشدِّد المخلوقات بحبك

(10) يُلاحَظ أن في القدَّاس الإلهي تُقال الثلاثة تقديسات مرة أخرى.

ورحمتك، تقيم الميت بحنان عظيم، تسند الساقطين، تشفي المرضى، وتحل المربوطين، وتحفظ للمنبطحين في التراب إيمانهم.

مَنْ مثلك يا رب في أعمالك العظيمة، ومَنْ يُشبهك أيها الملك الذي تُميت وتُحيي وتجعل الخلاص ينبعث، أنت بأمانتك تُحيي الموتى.

مبارك أنت أيها الرب يا مَنْ تُحيي الموتى].

الجزء الثاني من البركة الثانية (قِدَّشْ)

وهي بعنوان (كِثِير kether أي الكثرة):

[إن كثرة الجموع المحتشدة في العلا وكل المجتمعين أسفل يطرحون أمامك تاجاً. والكل باتفاق واحدٍ يردِّدون تسبحة القداسة ثلاث مرات كقول النبي: الواحد يصرخ قبالة الواحد ويقولون قدوس قدوس رب الصباؤوت الأرض كلها مملوءة من مجده، وبضجة عظيمة يصوِّتون بأصوات عالية قوية ومقتدرة ويتدافعون حاملين ذواتهم قائلين: **مبارك مبارك هو مجد الرب في موضعه**.

من موضعك أطَّلع علينا يا ملكنا واحكم لنا لأننا في انتظارك، متى تحكم يا رب؟ تعالَ سريعاً احكم صهيون في أيامنا وفي حياتنا، تعالَ واسْكُنْ.

لك التعظيم ولك القداسة في وسط أورشليم، مدينتك، في كل الأجيال وإلى الأبد.

ليت عيوننا ترى مُلْكك بحسب الكلمة التي ترنَّم بها داود لقوتك: «الرب يحكم إلى الأبد وإلهكِ يا صهيون إلى كل الأجيال» هلليويا].

البركة الثالثة:

وهي بعنوان «قدوشات هاشيم » Qedushat ha-Shemأي الاسم القدوس:

[من جيلٍ إلى جيل اعطوا الكرامة لله لأنه هو وحده العالي والقدوس، إن تسبيحك يا إلهنا لن يبرح من أفواهنا إلى الأبد، لأنك الملك العظيم القدوس.

مباركٌ أنت يا رب، الإله القدوس].

وفي هذه البركات الثلاث نجد الطقس يجمع شمل ميراث إسرائيل من مواعيد وتقوى ويصبُّها في رجاء المستقبل.

فالبركة **الأولى** تقوم من أجل الآباء والعهد وانتظار مجيء المسيا.

والبركة **الثانية** من أجل قيام الخليقة وقيامة الأموات.

والبركة **الثالثة** تقوم على عهد التسبيح الدائم للاسم القدوس وهي استجابة وردٌّ على تسبحة الشاروبيم.

والآن نأتي إلى الاثنتي عشرة طلبة:

الطلبة الأولى: وتُدعى «بيناه» Binah أي النباهة أو «بِرَاخوث حوكمه» Birkat Hokmah أو بركة الحكمة، أي المعرفة:

[لقد وهبت الإنسان المعرفة وعلَّمت بني آدم الفهم، فَهَبْ لنا من لدنك المعرفة والفهم والتمييز:

مبارك أنت يا رب الذي بصلاحك وهبت المعرفة].

الطلبة الثانية: وتُدعى «التوبة» Teshubah بمعنى أن الله هو الذي يتوِّبنا أو يغيِّرنا أو يرجع بنا إليه:

[اجعلنا نعود ونتوب يا أبانا إلى توراتك. وقرِّبنا يا ملكنا إلى خدمتك. وعُد بنا في توبة كاملة أمامك.

مبارك أنت يا رب الذي تُسَرُّ بالتوبة].

الطلبة الثالثة: وتُدعى «صليحا» Selihah ومعناها يصالح أو يُعطي المغفرة والعفو:

[اغفر يا أبانا لأننا أخطأنا، اعفِ عنَّا يا ملكنا لأننا تعدَّينا أوامرك، وأنت صالح وغفور.

مبارك أنت يا رب، يا منعماً، يا مَنْ تغفر بلا كيل].

الطلبة الرابعة: وتُدعى «جِؤلاه» Geullah ومعناها يجلو بالشعب عن المهالك والمعاثر (فداء):

[انظر يا رب إلى ضيقتنا واشفق على حالنا وافْدنا سريعاً من أجل اسمك لأنك فادٍ مقتدرٌ.

مبارك أنت يا رب، فادي إسرائيل].

الطلبة الخامسة: وتُدعى «ريفاه» Refah وهي من أجل الشفاء والترفيه عن المرضى والمصابين والمجروحين:

[اشْفِنا يا رب فنُشفى، خلِّصنا فنخلص، هب لنا شفاءً كاملاً لجراحنا الكثيرة، لأنك أنت الإله الطبيب الشافي الرحوم.

مبارك أنت يا رب، يا مَنْ تشفي مرضى شعبك إسرائيل].

الطلبة السادسة: وتُدعى «بِرَخوث هاشانيم» Birkat Ha-shanim أي بركة السنوات:

[بارك لنا هذه السنة أيها الرب إلهنا من أجل خيرنا، أعطِ الندى والمطر بركة لوجه الأرض، وارسل الرياح على البلاد، وعضِّد العالم كله بصلاحك، واملأ أيدينا من خيراتك ومن غِنى عطايا يديك. احرس هذه السنة ونجِّها من كل شر أو خراب، ومن

كل نزاع، واجعلها رجاءً لنا واجعل نهايتها سلاماً.

احفظْنا وارحمنا واحفظ كل ما ينتج لنا من كل الثمرات **باركْها كبركة السنين الخيِّرة** بالندى والحياة والوفرة والسلام.

مبارك أنت يا رب، الذي تبارك السنين].

الطلبة السابعة: وتُدعى «قبُّوس جاليوث» Qibbus galuyoth أي تجميع شتات المنفيين (الذين جلوا عن الأرض):

[بوِّق يا رب لنا بقرن الحرية العظيم وارفع العلم ليجتمع المنفيون، إدْعُ لنا بالحرية لنتجمَّع من أقطار الأرض الأربعة ونعود إلى أرضنا.

مبارك أنت يا رب، يا مَنْ تجمع الشتات من شعبك إسرائيل].

الطلبة الثامنة: وتُدعى «برَاخوث مشباط» Birkat Mishpat أي بركة القضاة:

[أعِدْ لنا قُضَاتنا كالأيام الأُولى ومشيرينا، كما كانوا في البداية. واحكم أنت وحدك يا رب علينا بالنعمة والرحمة والبر والعدل.

مبارك أنت يا رب، الملك الذي يحب البر والعدل].

الطلبة التاسعة: وتُدعى «براَخوث صَدِّيقيم» Birkat Saddiqim أي بركة الأبرار والصدِّيقين:

[على الأبرار والصديقين والأتقياء من الدُخلاء، فلتأتِ رحمتك يا رب إلهنا. واعط جزاءً صالحاً لكل مَنْ يؤمن باسمك عن إخلاص. واجعل نصيبنا معهم حتى لا نقع في خزي إلى الأبد.

مبارك أنت يا رب، قيام ورجاء الأبرار].

الطلبة العاشرة: وتُدعى «برَخوث يروشاليم» Birkat Yerushalim أي بركة أورشليم:

[إلى أورشليم مدينتك عُدْ يا رب برحمتك واسكن فيها كوعدك وابْنِها من جديد لتقوم في أيامنا وإلى الأبد.

مباركٌ أنت يا رب، يا مَنْ تبني أورشليم**]**.

الطلبة الحادية عشر: وتُدعى «برَخوث داويد» Birkat Dawid أي بركة داود (المسيَّا):

[سريعاً يا رب فليخرج ابن داود، وليرتفع قرنه بخلاصك، فإننا نترجَّى خلاصك اليوم كله.

مبارك أنت يا رب، يا منْ تقيم قرن خلاصنا].

الطلبة الثانية عشر: وتُدعى «تِفِلاَّه » Tephillah وهي الصلاة التشفعية التوسلية:

[اسمع أصواتنا يا رب وارحمنا، واقبل إليك طلباتنا بالرحمة والنعمة، لأنك إله تسمع لصلواتنا وتوسلاتنا من مكان حضرتك، يا ملكنا لا تصرفنا فارغين لأنك تسمع لصلاة كل فم.

مبارك أنت يا رب، يا سامع الصلاة]

ثم يختتم رئيس الصلاة بهذه البركات الثلاث:

البركة الأُولى:

وتُدعى ''عبوداه Abodah'' أي ''من أجل العبادة أو الخدمة'':

[اقبل أيها الرب الإله عبادة شعبك، وأعد العبادة إلى قدس أقداس بيتك. واقبل سريعاً بمحبتك ونعمتك محرقات إسرائيل وصلواتهم. ولتكن خدمة صلوات شعبك إسرائيل مقبولة دائماً أمامك. ولتنظر عيوننا رجوعك إلى صهيون في رحمتك.

مبارك أنت يا رب، الذي يعيد الحضرة الإلهية إلى صهيون].

البركة الثانية:

وتُدعى «هوداه » Hodehأي تسبحة:

[نعطيك الشكر يا إلهنا وإله آبائنا، فأنت صخر حياتنا ودرع خلاصنا في كل الأجيال. نحن سنظل نعطيك الشكر ونعلن تسبحتك كل أيام حياتنا التي نضعها في يديك ونفوسنا نضعها تحت عنايتك. أنت الكلي الصلاح ومراحمك لا تسقط أبداً، فأنت الرحيم. وتعطُّفاتك لا تتوقف، ورجاؤنا فيك منذ الدهر.

لا تجلب علينا خزياً، أيها الرب إلهنا، لا تتخلَّى عنَّا ولا تُخفي وجهك عنَّا، لأنه من أجل الكل ليكن اسمك مباركاً ومتعالياً، يا ملكنا إلى الأبد.

كُلُّ حيٍّ يشكرك، سلاه. ويسبِّح باسمك الكلي الصلاح والحق.

مبارك أنت يا رب يا ذا الاسم الكلي الصلاح والذي يليق به الشكر دائماً].

البركة الثالثة:

وتُدعى «بِرَاخوث كوهانيم » Birkat Kohanimأي بركة الكهنة، وذلك لأن الأصل أن يقولها الكاهن، وتُختم بها الصلاة كلها. وهي هنا مأخوذة من روح البركة الهارونية التي كان لا يقولها إلاَّ الكاهن:

[امنح سلاماً لشعبك، **وبارك** واشفق وارحم واعطِ توفيقاً لنا ولكل إسرائيل شعبك،

باركنا كلنا معاً، وأضيء علينا بنور وجهك، لأنه بضياء نور وجهك يا رب أعطيتنا التوراة

التي للحياة والمحبة والنعمة والبر والرحمة، وليكن حسناً لدينا وصالحاً في عينيك أن **تبارك شعبك** إسرائيل بالرحمة في كل زمان!

مبارك أنت يا رب، يا مَنْ **تبارك شعبك** إسرائيل بالسلام].

⌖ ⌖ ⌖

هذه هي الصلوات التي استقرت في المجمع، بعد أن توقفت العبادة تقريباً في الهيكل بسبب توقُّف تقديم الذبائح.

وهذه هي نفس البركات والتسبيحات والتشكُّرات والتضرُّعات التي طالما اشترك فيها المسيح يومياً، وكل يوم سبت، في داخل المجمع، ولطالما قاد هو الصلاة بنفسه، وطالما وقف يشرح للشعب المعاني الجديدة في هذه الصلوات العتيقة، وطالما وقف يُصحِّح الأفكار والمعاني ويكشف عن سر المسيَّا الآتي، والذي كان واقفاً في وسطهم!

كم مرة نبَّه على أن لا تُؤْخذ الصلوات بمعانيها المادية!: «اعملوا لا للطعام البائد.» (يو 27:6)

وكم مرة راجع الطقس في إلحاحه على الخيرات ا لزمنية!: «اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه وهذ كلها تُزاد لكم.» (مت 33:6)

وكم مرة راجع الطقس في صلواته المنحازة ضد الأعداء والذين ليسوا من إسرائيل!: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.» (مت 44:5)

وكم مرة راجع التطويل في الصلاة وتكرار الصلوات!: «لا تكرروا الكلام باطلاً، كالأمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم فلا تتشبَّهوا بهم.» (مت 7:6)

وكم مرة راجع الطقس في انحيازه العنصري لإسرائيل ولإبراهيم!: «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم.» (يو 39:8)

وكم مرة أثبت لهم فساد عبادتهم من أولها إلى آخرها بسبب محبتهم لأنفسهم وطلبهم مجد ذواتهم وانغلاق قلوبهم عن رؤية المواعيد وهي تتحقَّق أمام عيونهم: «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » «قد عرفتُكم أن ليس لكم محبة الله في أنفسكم ...، كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه؟» «أنا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني ... لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب، يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه

رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تصدِّقون موسى لكنتم تصدِّقونني لأنه هو كتب عني. فإن كنتم لستم تصدِّقون كتب ذاك فكيف تصدِّقون كلامي؟» (يو 44:8؛ 42:5و44و43و45ـ47)

وبهذا القول الأخير أثبت لهم المسيح أن كل اتكالهم على التوراة وكل عبادتهم وصلواتهم مرفوضة، بالرغم مما فيها من صدق، ومن مواعيد، ومن حب لله وتمجيد لاسمه العظيم، ومن رجاء بمجيء المسيَّا، لأنهم تركوا محبة الله وأحبوا أنفسهم، وتركوا مجد اسم الله وطلبوا مجد أنفسهم، وبسبب عمى قلوبهم لم يُصدِّقوا المواعيد وهي ظاهرة أمامهم وقد تحققت أمام عيونهم بحسب صلواتهم، فكانوا يصلُّون عبثاً، وباطلاً يطلبون مجيء المسيَّا، بينما المسيح واقف أمامهم!!

فصلوات المجمع بحد ذاتها ـ لو استثنينا منها الانحرافات التي عالجها المسيح ـ نراها قوية ودسمة مشحونة بكل تقوى الآباء وميراث الأنبياء الوعظي والتعليمي وروح المزامير المنسحقة. ولقد كانت موضع تقدير وحب عند المسيح، فكان دائم التردُّد على المجامع، وبالأخص في السبوت، يصلِّي بها ويعظ عليها وينير البصائر فيما حَوَتْ من تعاليم حية: «بيتي بيت الصلاة يُدعى.» (مت 13:21)

إن المسيح يُعتبر الوريث الشرعي لكل ما هو جميل وحق في هذه الصلوات، التي هي أصلاً من روحه وهي من أجله، ولقد زادها المسيح نوراً وحقاً وجمالاً بتعليقاته وأمثاله وحِكَمِه وتفسيراته التي كان يختص بها تلاميذه.

لقد ورث عنه تلاميذه كل ذخائر الهيكل والمجامع من غِنى روحي، ومفهومات حية واضحة عن مجد الله ومجد اسمه وحضرته (الشاكيناه) الملهِمة لكل صلاح، ونور وجهه الذي أخرج التوراة.

وحينما أدرك التلاميذ موضع المسيح من هذه الصلوات، وأدركوا سر علاقته بالآب، وأنه هو هو الرب، وعرفوا يقيناً أنه هو الفداء والخلاص والمجد والغِنى والسلام، الأمور التي كانت سابقاً أساس التضرُّع والتوسُّل الكثير والمتكرر في العبادة اليومية، تركوا حرفيات صلوات الهيكل والمجمع جانباً وبدأوا يؤسسون، بالإلهام، للكنيسة صلواتها وطقوسها بروح المسيح وكلماته ومن تعاليمه ووصاياه: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف 20:2)

ولكن بقيت آثار ومعالم هذه الصلوات القديمة بأسمائها واصطلاحاتها وبعض كلماتها، ودخلت مع الرسل واليهود الذين آمنوا بالمسيح في الكنيسة الأولى، خصوصاً وأن كثيراً من المجامع اليهودية كانت في البداية هي ملتقى المسيحيين الأوائل.

6 – الإفخارستيا
وآخر صورة للصلوات الطقسية
على ولائم العشاء الرسمية في إسرائيل أيام المسيح

تُحجم الكنيسة عن أن تُقيم في شرحها وتفسيرها للإفخارستيا أية صلة بطقوس اليهود القديمة، وذلك بحسب التقليد الآبائي. لأن الإفخارستيا كعشاء سري للرب ـ في نظر الكنيسة ـ أصبحت بفعلها السرائري حقيقة إلهية شامخة تفوق كل المثالات التي سبق أن أوضحناها جميعاً متفرقة أو مجتمعة، وهي في نظر الكنيسة بمثابة سفر تكوين جديد، فهي البداية العظمى لخليقة جديدة خلقها المسيح من جسده ودمه.

فالمسيح، من لحمه وعظامه، يخلق كل يوم الإنسان الجديد الروحاني الذي يعضده «ببركة» العهد الجديد، ليذهب ويملأ العالم الجديد، ويعمل فيه بالروح، ويثمر ويتكاثر بالبشارة، وبعَرَق النعمة يعمل لمجد الله؛ لأنه بالإفخارستيا والمعمودية يتم القول «مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة ... «» لمجد الله الآب.» (أف 10:2، في 11:2)

فالإفخارستيا كما أسسها الرب في عشاء يوم الخميس ليس لها بداية أخرى غير ما ابتدأ المسيح به، فهي وليمة نازلة من فوق من السماء: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ... والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي» (يو 51:6). فكما أن المسيح لا يستمد كهنوته من آخر، إذ هو على طقس ملكيصادق بلا بداية أيام له ولا نهاية أيام، هكذا كانت الإفخارستيا على يدي المسيح خبزاً وخمراً، وطقساً وصلاة.

وعندنا قول للقديس إيرينيئوس، يؤكد فيه انقطاع كل صلة بين عشاء الرب وبين الطقس القديم:

> [هذه التقدمة، الإفخارستيا، هي الآن ليست بحسب الناموس، ولكنها بحسب الروح، لأنه بالروح والحق ينبغي أن نعبد الله.

ولهذا فإن تقدمة الإفخارستيا ليست جسدية بعد بل روحية (أي أن التقدمات قبل المسيح كانت جسدية في معناها وفي جوهرها). لذلك فهي طاهرة، لأننا بعد أن نقدِّم لله الخبز

وكأس البركة **رافعين الشكر له** = («**إفخاريستوندس آفتو**» وهي كلمة طقسية تختص بالليتورجيا)، لأنه أمر فأخرجت الأرض ثمارها لطعامنا؛ ثم عندما ننتهي من التقدمة (الصعيدة = أنافورا)، ندعو الروح القدس أن يُعلن (يُظهر بالروح) هذه الذبيحة، معلناً الخبز جسداً للمسيح والكأس دماً للمسيح حتى بالاشتراك في هذه الحقائق[11] ننال مغفرة الخطايا وحياة أبديةً.

وهكذا، فكلُّ مَنْ يشترك في هذه التقدمة لذكرى الرب لا يعود بعد تابعاً لطقس اليهود (لأنه لم تَعُدْ هذه الوليمة تُحسب تابعة لطقس اليهود بعد تأسيس السر الإلهي فيها)، بل عابداً بطقس الروح، ويُدعى من أبناء الحكمة.][12]

ولكن لكي نعطي للإفخارستيا تقييمها الروحي والإلهي الحقيقي، يلزم أن نضع أمامنا ما كان يماثلها قديماً وما كانت عليه الصلوات على الموائد الرسمية عند اليهود، لأننا بذلك نكشف ما هي الإفخارستيا كحقيقة إلهية، وما هو الفارق الشاسع واللانهائي الذي يفصلها عن الطقس القديم.

الصلوات التي كانت تُتلى على المائدة اليهودية:

كل مائدة تُقام في كل بيت أو أي مكان كان لها طقس صلاة مطوَّلة. ولكننا هنا نخصص بحثنا في الصلوات التي كانت تُقام في **الولائم الرسمية** التي كان يجتمع إليها بعض الجماعات المتدينة التي كان يجمعها روح الصلاة والعبادة والتوسُّل الصادق، ترجياً وتضرُّعاً لكي يرسل الله المسيَّا.

وكانت المحبة الملتهبة لبعضهم البعض نابعة من حبهم الشديد لله والعبادة والطقس وأمل ظهور المسيَّا وانتظار تعزية إسرائيل، وهي بكل تأكيد صورة لنفس الجماعة التي آمنت بالمسيح وأحبته ورضيت به وكوَّنت جسم الكنيسة الأُولى في أورشليم ودُعيت باسم المسيح.

فكان الطعام الذي يوضع أمامهم هو بسبب الصلاة والمحبة الروحية، لذلك كانت مثل هذه الولائم تُدعى: «ولائم المحبة» وكان اسمها العبري حَبُورَاه Haborah وجمعها حَبُورُوت.

وهذه الولائم التي كانت تُدعى ولائم المحبة، كانت مشهورة بين الأتقياء بسبب حرارة الصلوات فيها وبالأخص تلك التي كانت تُقال في نهاية الوليمة. لذلك كانت هذه الولائم موقَّرة جداً في نظر

---

(11) وردت هذه الكلمة باليونانية ¢nt…tupon (أنتي تيبون)، وتترجم في اليونانية الحديثة «مَثَِل» أو «صورة»، ولكن في اليونانية القديمة كانت تعني «الأصل» و«الحق». B. Baker, *Early Hist. of Christ. Doct.*, p. 402

(12) Irenaeus, *Fragment*, XXXVII (Harvey, vol. II, pp. 500-505).

الرؤساء، وكانت الخدمة الروحية فيها تُعتبر على مستوى عبادة المجمع[13].

وهذه الولائم التَقَوية التي كانت تُقام أصلاً للابتهاج الروحي والصلوات وانتظار تعزية إسرائيل، تكشف لنا عن مدى تغلغل القداسة والعنصر الكهنوتي في حياة الأتقياء من هذا الشعب الوارث لبركة الله منذ القديم: «فالآن إن سمعتم لصوتي **وحفظتم عهدي تكونون لي خاصةً** من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأُمة مقدَّسة.» (خر 19: 5و6)

وكان كل ما يقدَّم على المائدة لا بد أن تُقال عليه **صلاة ببركة خاصة** قبل أن يذوقه أحد، ولا يُترك على المائدة أي نوع من الأطعمة دون أن ينال التقديس بالصلاة والكلمة ويؤكل بالشكر، حسب تقليد القديس بولس الرسول: «لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يُرفَضُ شيء إذا أُخذ مع الشكر، لأنه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة.» (1تي 4: 4و5)

ولم تكن الصلوات التي تُتلى على المائدة مجرد كلمات عابرة، بل كانت بحسب أصول طقسية دقيقة وتسليم تقليدي من كبار الربيين. فالصلاة على المائدة كانت محسوبة «ليتورجيا» خاصة ــ أي خدمة دينية خاصة بالولائم.

ولو دقَّقنا لوجدنا أن الأصل في ولائم المحبة هو التجمُّع للصلاة بسبب مناسبة خاصة أكثر منه تجمُّعٌ معاً للأكل، وحتى الأكل هنا كان يدخل في صميم العبادة.

ولو رجعنا إلى طقس وليمة الفصح لوجدنا فيه الأصل والأساس الذي انحدر منه تقليد الصلاة على الموائد، فأكل خروف الفصح يتم بشروط معينة، وبنوع خاص من الطهي، وفي ميعاد خاص من النهار والسنة، وباستعدادات خاصة أثناء الأكل من وقوف وعَجَلَةٍ، وما يتبع الوليمة من فطير وأعشاب مُرَّة، وطقوس كثيرة وصلوات وقراءات في التوراة، ورهبة وخشوع وذكر للعبودية والموت والهلاك والنجاة والخلاص، كل هذا يمهِّد أمامنا لفهم روحانية مثل هذه الولائم وتغلغل روح العبادة والصلاة على الأكل كميراث ديني ظل قائماً حتى زمن المسيح.

وقد كانت صلوات الشكر والتسبيح التي تُتلى عند تناول كأس البركة الأخير على الموائد ذات صبغة تَقَوية ووقار وهيبة، لأنه كان يُذكر فيها توسُّل وتضرُّع كثير من أجل سرعة مجيء المسيَّا!

(13) Louis Finkelstein, *The Birkat Ha-Mazon*, Jewish Quart. Rev., vol. XIX, pp. 211, cited by Louis Bouyer, *Eucharist*, p. 79.

طقس صلاة وليمة المحبة بحسب زمن المسيح:

أولاً: تبدأ الصلاة بغسل يد جماعي، يبدأه رئيس المائدة ويتلو أثناء غسل يديه صلاة خاصة.

ثانياً: وحينما يلتئم الجميع حول المائدة، يبدأ توزيع الكأس الأول حيث يشرب من الكأس الواحد كل الجماعة معاً (في حالة وليمة الفصح كل واحد يأخذ لنفسه كأساً يشربه بعد أن يتلو عليه البركة):

[مبارك أنت يا رب إلهنا ملك الدهور الذي يعطينا ثمار (نتاج) الكرمة].

هذه هي الكأس الأُولى التي ذكرها القديس لوقا الإنجيلي، بخلاف كأس البركة بعد العشاء، وهو الوحيد من بين الإنجيليين الذي ذكر الكأس الأول بنوع من التدقيق، عندما وصف عشاء الرب. وقد سبَّب هذا التدقيق حيرةً وارتباكاً لجميع الشُرَّاح الذين حاولوا شرح معنى هذه الكأس، إذ حسبوا أنها تدخل ضمن التحوُّل السري الذي تمَّ. ولكن الحقيقة أنها كانت تتبع العشاء، ولم يُدخلها الرب في صميم كأس الإفخارستيا الأخير، لذلك لم يشرب منها الرب: «ثم تناول كأساً وشكر وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله.» (لو 22: 17و18)

هذا يعني أن هذه الكأس لم تتحوَّل بل ظلت نتاج الكرمة. وهذه الكأس بخلاف كأس البركة التي ذكرها لوقا الإنجيلي نفسه بعد ذلك، والتي أجرى عليها المسيح سر التحوُّل، فصارت هي كأس الرب التي تحوي دم العهد الجديد «وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم.» (لو 22:20)

إذاً، فالكأس الأول في طقس الولائم الرسمية زمن المسيح غير كأس البركة التي تُشرب بعد العشاء.

ومعروف في طقس كنيستنا أن المسيح لم يَذُقْ من هذه الكأس الأُولى، باعتبارها لمجرَّد الشرب من نتاج الكرمة، ولكن المسيح ذاق من كأس البركة.

ثالثاً: لا تبدأ الوليمة رسمياً إلاَّ إذا أمسك رئيس المتَّكأ الخبز وكسره وأعطاه للمتناولين قائلاً:

[مبارك أنت يا رب إلهنا ملك الدهور الذي أخرج لنا الخبز من الأرض].

وببركة الخبز هذه تُعتبر الوليمة كلها مباركة هي والآكلين منها، وبعد بركة الخبز هذه لا يُسمح لأي فرد أن يشترك في المائدة إذا جاء متأخراً بعد البركة.

رابعاً: على كل فرد من الآكلين أن يبارك على كل نوع من الطعام يمد يده إليه قبل أن يضع منه شيئاً في فمه.

خامساً: لأن طقس الولائم لا يبدأ إلاَّ بعد الغروب، لذلك كان من الطبيعي أن تدخل ظلمة الليل عليهم أثناء الأكل، لذلك فإنه بعد بدء الوليمة بقليل تدخل ربة البيت وفي يدها المصباح الذي تكون قد أعدَّته مُسْبَقاً ويصلي عليه رئيس المائدة بركة النور[14].

ولقد دخل هذا الطقس إلى الحياة المسيحية وهو المعروف الآن بتسبحة النور التي يقولها الشعب في البيوت وفي الكنيسة وقت إيقاد المصابيح، وتُسمَّى في الطقس اليوناني Lucernarium، وأيضاً نراه واضحاً في طقس إنارة الشموع على المذبح وقت القداس حتى ولو كان في الصباح.

وبعد إيقاد النور مباشرة يُحرق البخور على المائدة، وتُقال عليه بركة خاصة[15]. وهذا تقليد قديم يرجع زمانه إلى أيام هرون، وهو مأخوذ من طقس الهيكل: «وحين يوقد هرون السُرُج في العشية يوقد بخوراً دائماً أمام الرب في أجيالكم.» (خر 8:30 ـ حسب السبعينية)

سادساً: يُعاد غسل اليد، ويكون له طقس خاص، إذ يتقدَّم العبد أو الخادم إلى رئيس الصلاة بالطشت والإبريق، وفي حالة غياب الخادم يتقدَّم أصغر أفراد الجماعة[16]. وهذا يشرح لنا ظروف طقس غسل الأرجل الذي اعتنى القديس يوحنا الإنجيلي بذكره، ويُظن أن يوحنا نفسه هو الذي قدَّم الماء للمسيح ليغسل يديه.

ولكن الرب رفع هذا الطقس من مضمون التطهير الجسدي بالماء الذي يؤهِّل لنوال بركة العهد القديم، إلى سر الاتضاع الذي يؤهِّل للأكل والشرب من جسد المسيح ودمه لنوال بركة العهد الجديد لمغفرة الخطايا والحياة الأبدية.

سابعاً: يتقدَّم رئيس المائدة ليمسك بيده المغسولة كأس البركة التي تكون ممزوجة ومُعدَّة لذلك، ثم يرفع رئيس المتكأ الكأس بيده وهو مطاطيء الرأس داعياً الجماعة كلها للشكر:

[فلنشكر الرب إلهنا].

ويرد الجميع (لا يقل عددهم عن عشرة أشخاص حتى يُحسب الاجتماع رسمياً) بقولهم:

---

(14) *Mishnah, Tractate Berakoth* VIII, 5,6.

(15) *Mishnah, Tractate Berakoth* VIII, 5,6.

(16) D. Hedegard *op. cit.*, . p. 145.

[مبارك الرب إلهنا الذي بصلاحه أعطانا طعاماً، وبرحمته وهبنا الحياة].

وهذا الطقس وُجِد مسجَّلاً منذ أيام ألكسندروس حناؤس[17] (سنة 103 ـ سنة 67 ق.م).

ويُلاحَظ أنه إذا كان العدد أقل من عشرة أشخاص يُكتفى بإعطاء الشكر بفم رئيس المتكأ فقط[18].

ثامناً: يبدأ رئيس المتكأ بأن يقود تسبحة الشكر باللحن، وهي عبارة عن ثلاث بركات (يُضاف إليها دعاءٌ أخير في أيام الأعياد)، وهي مستخدمة منذ زمن سابق على زمن المسيح.

فالبركة الأُولى ثبت أنها منذ موسى، والثانية منذ زمن يشوع، والثالثة منذ زمن داود وسليمان[19]. ولكن أُضيف إليها بعض جمل لتُناسب زمن ما بعد التشتُّت.

البركة الأُولى:

[**مباركٌ الرب إلهنا** ملك الدهور الذي يُطعم المسكونة بصلاحه وبنعمته ورحمته، يا معطياً طعاماً لكل ذي جسد، يا مَنْ تقيم أَوَدَ كل حي، وتهيئ الطعام لكل المخلوقات.

مباركٌ أنت يا رب، يا مَنْ تعطي طعاماً للجميع].

البركة الثانية:

[نشكرك أيها الرب إلهنا من أجل الأرض المشتهاة الوفيرة الخيرات التي سُرِرْتَ أن تعطيها لآبائنا،

ونشكرك من أجل العهد الذي ختمته في لحمنا (الختان)،

ونشكرك من أجل التوراة التي أعطيتنا إياها،

ونشكرك من أجل الحياة والنعمة والرحمة والطعام الذي تمدُّنا به في حينه الحسن.

من أجل كل ذلك نشكرك أيها الرب إلهنا **ونبارك اسمك**.

مبارك أنت أيها الرب من أجل الأرض والطعام].

البركة الثالثة:

[أرسل رحمتك أيها الرب إلهنا على شعبك إسرائيل، وعلى أُورشليم مدينتك، وعلى صهيون موضع

---

(17) *Mishnah, Tractate Berakoth* VIII, 2.

(18) Ibid.

(19) D. Hedegard *op. cit.*, p. 139, cited by Louis Bouyer, *Eucharist*, p. 81.

L.N. Dembitz, *Jewish Services in Synagogue and Home*, p. 435.

مسكن مجدك، وعلى مملكة بيت داود مسيحك، وعلى بيتك العظيم المقدَّس الذي دُعي باسمك.

أطْعِمْنا، أشْبِعْنا، أعنَّا، إقْبَلْنا إليك، نجِّنا سريعا من كل ضيقاتنا، ولا تَدَعْنا نقف أمامك مُعْوَزين شيئاً من الأمور الفانيات، لأن الفانيات هِباتُها قليلة وهمومها كثيرة!

أمَّا نحن فقد وثقنا في اسمك العظيم المخوف القدوس.

يا ليت إيليا يأتي، والمسيَّا ابن داود يأتي في أيامنا، ويا ليت مملكة بيت داود تعود إلى مكانها وتحكم أنت علينا، أنت وحدك، وتخلِّصنا من أجل اسمك، وتعيدنا إليها وتُفرِّح نفوسنا فيها، وتريحنا في صهيون مدينتك.

مبارك أنت يا رب، الذي تبني أورشليم ثانياً.](20)

ويُلاحِظ القارىء أن البركة الأُولى بدأت بالشكر على الطعام الحاضر، ثم امتد الشكر ليشمل الخليقة، ومن الطعام الذي أخرجته أرض إسرائيل امتدت الصلاة لتشمل الشكر على أرض الميعاد، ومنها إلى الشكر على العهد القائم الذي يحمله كل الشعب كختم على اللحم، ثم امتد الشكر ليشمل التوراة. وهكذا شملت البركة الأُولى والثانية كل تاريخ الخلاص السابق.

أمَّا البركة الثالثة، فهي امتداد إلى المستقبل ليحصل فيه تجديد لأعمال الله السابقة مع إسرائيل وتجديد لبركات العهد. ثم يمتد هذا الإلحاح في طلب مجيء المسيَّا، على أن تكون علامته السابقة مجيء إيليا! ثم ظهور ملكوت الله وعودة مملكة داود في شخص المسيَّا. وتنتهي البركة الثالثة بالتضرُّع من أجل بناء أُورشليم المستمر واستعادة مجدها حتى مجيء المسيَّا.

وهكذا تنتهي وليمة اليهود التقليدية حاملةً لنا الملامح الأساسية التي تكوِّن الهيكل العام للطقس الذي نمارسه اليوم، والتي لا يصعب أبداً التعرُّف عليها داخل الإفخارستيا والقدَّاس.

دعاء التذكار الذي سيُضاف بعد البركة الثالثة في مناسبة الأعياد:

يُقال بعد التوسُّل من أجل مملكة بيت داود:

[يا إلهنا وإله آبائنا، فلْيدخُلْ إليك تذكارُنا هذا (أو ذِكْرُنا، وبالعبرية Zikkaron زِكَّارون) ذِكْرُنا نحن، وذِكْرُ آبائنا، وذِكْرُ أورشليم مدينتك، وذِكْرُ المسيَّا ابن داود فتاك، وذِكْرُ شعبك كل بيت إسرائيل؛ ليقم هذا الذِكْر أمامك، وليأتِ إلى حضرتك ويمر أمامك، وليُنظرْ ويُقبَلْ ويُسمعْ

(20) D. Hedegard *op. cit.*, pp. 146 ff.

حتى يصير في ذِكْرِك، تذكاراً أمامك للخلاص، للصلاح، للنعمة، للرأفة، للرحمة في هذا اليوم الذي هو يوم (كذا). اذكرنا أيها الرب في هذا اليوم للصلاح وافتقدنا فيه للبركة، وخلِّصنا للحياة بكلمة خلاص ورحمة ومعروف يدوم، وأظهر فيه رحمة لأنك إله مُنْعِم وملك رحوم].

وبهذا التذكار تنتهي الوليمة إذا كانت ذات اعتبار خاص بالنسبة لعيد هام كعيد الفصح مثلاً، حيث تسمَّى حينئذ «قدَّاس الفصح»

وفي هذه الإضافة تقابلنا كلمة «ذِكْر» وبالعبرية Zikkaron « زكَّارون» وهي كلمة ذات قيمة بالغة الأهمية جداً بالنسبة للإفخارستيا في وضعها المسيحي، لأنها تكشف لنا عن عمق وامتداد معنى قول المسيح: «**اصنعوا هذا لذكري**» (لو 19:22)، **والذي خُتِمَ به طقس الأكل والشرب ليعطيه صفته السرية والديمومة!!**

فمن هذه «البِرَاكَاه» ينكشف لنا أن كلمة «ذِكْر» أو «زكَّارون» بالعبرية ليست مجرد تذكار كما يبدو لنا، إذ لا يدخل في «الذِكْر» أمام الله إلاَّ أعمال الله، فالذِكْر أمام الله ليس كلمة بل هو فعلٌ مقدَّسٌ تسلَّم موسى سرَّه مع الوصايا والناموس: «اصنعوا هذا ذِكْراً أبدياً أمام الله.» (خر 14:12)

فالذِكْر وصية وتقليد مقدَّس، وهو وإن كان في الماضي من أجل أمور مادية في شكلها، إلاَّ أنه في ذاته كان عملاً روحانياً مقدَّساً مقدَّماً أمام الله، يدخل إلى عظمته في السموات.

والذِكْر يُعتبر ميراثاً روحانياً غالي الثمن جداً، فهو كنز البشرية (الذي تقوم قوَّته على العهد)، والذي إذ تستخدمه باستمرار تنال بواسطته استجابة أمام الله وقبولاً ودخولاً وظهوراً ورحمة وخلاصاً وبقاءً ونعمةً ــ كما تقول «**البِرَاكَاه**» **الثالثة.**

وبواسطة الذِكْر الدائم يصبح عمل الله في القديم حاضراً معنا دائماً، فهو سر ديمومة، وجوهر بقاء لأعمال الله وفعلها، فالإنسان بواسطة ذِكْر أعمال الله يستطيع أن يحتفظ بها ويعيش في فعلها، فالذِكْر يديم النعمة ويديم الرحمة ويديم الخلاص، بشرط أن يكون ذلك ضمن عهد الله وقد رضيَ أن تُذكر أمامه!

ويُلاحَظ أن «الذِكْر» في هذه «البِرَاكَاه» الثالثة خاص بأيام السبوت والأعياد والمواسم التي يكون قد تمَّ فيها عمل من أعمال الله العظيمة في الماضي، حتى يكون طقس اليوم كله وطقس الوليمة قائماً أساساً من أجل هذا الذِكْر «زكَّارون»

ومن هذا يظهر أن الأكل في وليمة الذِكْر أو «الزِكَّارون» عند اليهود هو أكل مقدَّس **لأنه أكل أمام الله، لذِكْر** عهد تمَّ بين الله وشعبه، ومطلوب في هذا اليوم **ظهوره واستعلانه ورؤيته ودوامه** وامتداده أمام الله بفعل نعمته ورحمته الضامنة لكل عهود الله[21].

كما يظهر أيضاً أن الذِكْر هنا هو مناسب وموافق ومؤكِّد لأمانة الله، كما هو مؤكِّد لأمانة الشعب في أمانة الله. **فالذِكْر** تأكيد لأمانة الشعب، وشهادة لأمانة الله، وفعل يضمن دوامها واستمرارها في الحاضر، وبالتالي هو عبادة على أعلى مستوى كعمل يرضي الله ويسرُّه ويُفرِّح قلبه ويجعله يذكر فعلاً عهده ورحمته وكل وعوده.

لذلك، فالمسرة والفرح في ولائم الذِكْر عند اليهود كانت مسرة مشتركة وفرحاً مشتركاً بين الله الأمين على عهده وبين شعبه، طالما هو قائم على الذكرى وأمانة العهد.

ونلفت نظر القارىء أننا سنعود إلى موضوع «الذِكْر» و «التذكارات» هذه مرة أُخرى عندما نتكلَّم عن الإفخارستيا والأواشي، أي الصلوات في الكنيسة وما تحويه من تذكارات.

---

(21) هذا ما تمَّ ويتم دائماً في الإفخارستيا، فبحسب وعد المسيح يطلب الكاهن أن يتمم الروح إعلان وظهور سرِّ الجسد والدم.

ÇáÈÇÈ ÇáËÇ

íãÉ ÇáÚÔÇÁ ÇáÃÎíÑ
ÓíÓ ÓÜÜÑ ÇáÅÝÎÇÑ

الفصل الأول

وليمة العشاء الأخير للرب وتأسيس سر الإفخارستيا

ظلت ولائم العشاء اليهودية التقليدية تتواتر من يوم إلى يوم ومن جيل إلى جيل، والتطلُّع فيها وبها يجعل الإنسان يزداد تحرُّقاً لمجيء المسيَّا، إلى أن جاء وأقام بنفسه وليمة هي هي وليمة نفسه، وليمة المسيَّا، وليمة خبز السماء لكل الدهور.

1 ـ «**ولمَّا كان المساء اتكأ مع الاثني عشر**» (مت 26:20):

كان ذلك مساءً بحسب الطبيعة، أو بحسب الطقس اليهودي، أمَّا بحسب الحقيقة (أليثيا ¢l»qeia) فكان فجراً مشرقاً للكنيسة في وسط ليل العالم المظلم، أنار لنا فيه المسيح طريق الخلود وسط تعثُّرات الدنيا.

أعطانا فيه ثقة أكيدة بالدخول إلى الأقداس العليا بالمغفرة وبالتطهير بدم العهد الذي أقامه بالسر قبل أن يقيمه بالصليب،

أطعَمَنَا فيه وبيديه الخبز الحي النازل من السماء الذي كل مَنْ يأكل منه لا يجوع إلى العالم ولا يموت بالخطية، بل يستوطن السماء.

نلنا فيه الحضور الدائم لشخص يسوع المسيح معنا، مصلوباً ومُقاماً، إلى انقضاء الدهر.

وفوق هذا كله أخذنا في هذه الليلة الموعد بانتظار فجر يوم آخر أكثر إشراقاً يأتي فيه المسيح، بمجده ومجد أبيه، مع ملائكته.

2 ـ «**فحين كان العشاء**» (يو 13:2):

هذا "**العشاء**" كان بحسب الطقس اليهودي وليمة عشاء يهودي أقامها معلِّم مع تلاميذ له من أخصِّ أحبائه، ولكن حينما جاء إلى كسر الخبز وإلى بركة الكأس قال ما لا يقوله بَشَرٌ، فقد باشر المسيح كهنوته الأزلي، وكشف السر المكنون منذ الدهور في مشورة الآب.

المائدة صارت أمامه مذبحاً، والخبز في يديه صار جسداً حيًّا مكسوراً وممزَّقاً، والخمر في الكأس تحوَّل إلى دمه، ووقف الكاهن مخضَّباً بدم نفسه، المسيح قدَّم نفسه ذبيحة. الحَمَل الذي ظل رؤساء الكهنة يطاردونه ليمسكوه ويقدموه قبل العيد «لئلا يكون شَغَبٌ في الشعب» (مت 26:5) سلَّم نفسه ليد الآب قبل أن يضعوا عليه الأيادي، وأكمل بالسر بيد نفسه مشورته الأزلية، وهم لا يزالون

يتشاورون عليه سرًّا، وسبق وذبح نفسه ـ بالنية ـ في وسط أحبائه قبل أن يصلبوه وسط لصَّين.

لقد حقَّق بالسر ما كان سيتحقق بالفعل، فأكمل الذبح على مستواه الأبدي قبل أن يُكملوه على مستواه الزمني، **حتى يظل الذبح بالسرِّ قائماً بعد انتهاء الفعل، وحتى تبقى ذبيحته قائمة بلا حدود ندخل إليها في السر كلما نشاء وأينما نشاء!!**

فالذبح الذي أكمله المسيح لنفسه رفع من قيمة الفعل الزمني الذي أكمله العالم فيه، فأعطاه صفة الدوام والشمول فوق الزمان والمكان، **حتى لا يُقال إن العالم هو الذي ذبحه على الصليب بل هو الذي ذبح نفسه لأجل حياة العالم**.

لم تَعُدْ مائدةً، ولم يَعُدْ عشاءً، ولم يَعُدْ طقس محبةٍ لأخصَّاء محبوبين، بل مذبحاً ناطقاً سماوياً، وذبيحة سمائية لكل الدهور، ومسيح الحب للعالم كله، ووليمة أقامها ابن الله للبشرية قاطبةً، وعليها جسده مذبوحاً ودمه مسفوكاً.

3 – «أخذ يسوع الخبز وبارك ... وأخذ الكأس وشكر» (مت 26: 26و27):

بحسب طقس الولائم في العهد القديم، كانت البركة التي تُقال على الخبز ـ قبل كسره ـ معروفة، وكانت كلمات الشكر والتسبيح التي تُقال على كأس البركة بعد العشاء معروفة أيضاً، وكانت جميعها لا تخرج عن مباركة الله الذي أعطى الخبز والخمر لإسرائيل، ثم شُكْر الله الذي يعطي الطعام لكل ذي جسد!! (كما قرأنا في ولائم المحبة عند اليهود).

وكانت هذه البركات كلها قائمة على أساس العهد الأول، أي القديم، وكان هذا العهد قد أقامه الله مع إبراهيم على أساس أرض تمتُلك كوطن، ثم أقامه مع موسى على أساس الفصح وطاعة الناموس (خر 8:24)، ثم أقامه مع داود على أساس مملكة ومدينة وهيكل، فكانت البركات التي تُقال والتضرُّعات التي تُقدَّم تدور كلها حول وعدٍ بأرض تعود، وذكرى فداء ومملكة تُشتهى، وهيكل يُفتخر به.

فكانت البركة التي تُقال على الخبز تمتد حتى تستعيد ذكرى الأرض الطيبة والآباء والمواعيد.

وكان الشكر الذي يُقال على الكأس في نهاية الوليمة يتحول إلى توسُّل لإعادة الملك وبناء أورشليم والهيكل ومجيء المسيا.

(أ) «أخذ يسوع الخبز وبارك» (مت 26:26):

ولكن ماذا قال المسيح على الخبز، وكيف باركه، وبأي روح باركه، وأية قوة علوية كانت محيطة؟

هذا سر السر، ولكن المعروف جيداً أن لا أرضاً طيبةً ذُكرت، ولا وطناً يُقتنى تكلَّم عنه، ولا خيرات تُشتهى ولا ثمراتٍ للأكل حتى الشبع أو كروماً للشرب والتغنِّي. لم يذكر الرب قط شيئاً من هذا، بل في بساطة وجلال وهيبة مرعبة قال: «خذوا كُلُوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم!!» (1كو 24:11)

نحن الآن أمام جلالٍ إلهي، وطعام مرعب ومخيف في معناه، ينقلنا فجأة وبلا أي التباس من مفهوم طعام اللذة الجسدية وشراب الراحة البشرية ومن عصير الكرمة، إلى طعام سرِّي معجون بالآلام والأحزان وعليه كل الأوجاع البشرية التي تفوق حدود الأرض والأوطان الأرضية.

فالجسد الذي استعلنه المسيح بالبركة، والذي كسره بكسره للخبز، وعيناه نحو السماء، صار طعامنا الجديد المكسور لأجلنا الذي مصدره السماء التي انحدر منها، والتي هو فيها الآن، والتي صارت بالتالي وطننا.

وهكذا، كما كانت كلمات البركة القديمة على الخبز القديم في الولائم القديمة تربط ذهن إسرائيل القديم بالأرض الطيبة التي أخرجت هذا الخبز الشهي وتربطه بالتالي بالعهد المقطوع مع إبراهيم لتملُّك هذا الوطن المتزعزع؛ **هكذا صارت بركة المسيح الجديدة على هذا الخبز السمائي وعيناه نحو السماء تربط ذهن إسرائيل الجديدة ـ أي الكنيسة ـ بالسماء التي أخرجت هذا الخبز الحي، وتربط ذهنها أيضاً بالعهد الجديد المقطوع مع المسيح ابن الله بسفك دمه لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ لنا في السموات، كوطن أفضل ـ أي دائم!**

(ب) «ثم أخذ الكأس وشكر» (مر 23:14):

نحن هنا في نهاية الوليمة «بعد العشاء» والكأس هنا تسمَّى «كأس البركة» فهو لم يكن فقط شكراً بمعنى الشكر بل كان أيضاً مُبَارَكة الله.

فمن أجل أي شيء شكر المسيح أو بارك على الكأس؟ هل من أجل الطعام الذي يُشبع كل ذي جسد؟ هل من أجل أن يردَّ المُلْك لبيت داود؟ هل لبناء أورشليم واستعادة مجد الخدمة والذبائح في الهيكل؟ أيعطي الرب دمه الإلهي الثمين ثمناً لتفاهات الإنسان؟ هل يمكن أن يكون الصليب ثمناً لمملكة داود أو فدية لبناء أورشليم أو توطئة لإعادة طقوس الذبائح من عجول وتيوس؟

إن مباركة المسيح وشكره على الكأس لم يكونا إلاَّ صورة عميقة لمشاعره من نحو الآب ومنظر الصليب أمامه، والهاوية والقيامة ومنظر ملايين المفديين من بني البشر يترنمون ترنيمة الخلاص وقد

بيَّضوا ثيابهم في دمه الثمين يتقدَّمون به إلى الآب!!

كل هذا كان في قلب الرب حينما مدَّ يده بالكأس إلى تلاميذه قائلاً: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين.» (مت 28:26)

كان هذا هو موضوع تسبيحه قبل أن يخرج إلى جبل الزيتون!!

(ج) «**هذا هو جسدي ... هذا هو دمي**» (مت 26: 26و28):

بهذه الكلمات المرعبة والمخيفة غيَّر المسيح في لحظة كل معالم ولائم العشاء التقليدية اللذيذة عند إسرائيل، وأوقف مفهوم الفرح والسرور بالأكل والشرب، وجمَّد كل المشاعر المسيَّبة نحو أمجاد مملكة أرضية، وحطَّم كل الطموح الكهنوتي لدى الشعب من جهة مجد هيكل سليمان وحلم سيادتهم به على العالمين. فها هوذا الملك الأبدي يموت، والكاهن الأعظم يذبح نفسه، والعهد الجديد يتأسس بدمٍ في كأس.

كانت كأس البركة القديمة تمتد بذهن إسرائيل المادي لتربطه بأمجاد مستقبل كلها أرضية زمانية للعظمة العنصرية، وكان المسيا هو محقِّق الآمال الموعودة. وهوذا الآن المسيح، مسيا الصليب والجروح والمسامير وكل الآلام والأحزان المدركة وغير المدرَكة، يمد يده بالكأس ليعطينا من داخلها سر المسيَّا الحقيقي، الذي ذُبح ليملك بالصليب، سر المجد الحقيقي، الذي دُفن في الأرض ليقوم بمجد الآب، سر التهليل والتسبيح بروح الكهنوت المغسول «بدم المسيح الذي بروح أزليٍّ قدَّم نفسه لله بلا عيب، **يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا** ‘‘latreÚein لاتريفين’’ (كلمة طقسية تفيد خدمة الكهنوت، ومنها اشتُقَّت كلمة leitourg…a ليتورجيا) **الله الحي**.» (عب 14:9)

4 ـ (أ) «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، **اصنعوا هذا لذكري**.» (1كو 24:11)

(ب) «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، **اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري**.» (1كو 25:11)

هنا الحد الفاصل الذي أنهى على كل معنى ومضمون للوليمة القديمة بطقسها القديم.

إذاً، فلا ذكرى أرض ولا وطن ولا مواعيد آباء ولا مملكة بيت داود ولا أورشليم ولا هيكل!!

فالخبز وقد صار جسد المسيح الحي والخمر وقد صار دم المسيح المحيي، انقطعت الصلات التي كانت تربطهما بأرض إسرائيل ومواعيد إسرائيل ومُلك إسرائيل وأورشليم وهيكلها.

فالوليمة لم يبقَ فيها بالروح إلاَّ خبز وخمر، والخبز أصبح جسد المسيح، والخمر أصبح دم المسيح!

والبركة على الخبز أصبح لا علاقة لها بالماضي، فقد ارتبطت بذكر المسيح الدائم لحضوره، والبركة على الكأس لا علاقة لها بالمستقبل، فهي ذكر أيضاً للمسيح، لحضوره. أو بمعنى أعمّ وأشمل، إن كل البركات والصلوات والتضرُّعات التي تُقدَّم على الخبز والخمر هي ذكر دائم للمسيح، بمعنى أنها مرتبطة به وحده كما هو مرتبط بها. فهما ـ أي الخبز والخمر ـ جسده ودمه، وهذا هو مضمون الحضور الدائم، وبذلك فهما، لا يختصان بأمور أو أشياء أو أشخاص مضت، ولا يتعلقان بآمال لم تتحقق ـ كخبز وخمر الولائم القديمة ـ بل إن خبز وخمر الإفخارستيا هما في الحقيقة مسيح حاضر، نأكله كلما أكلنا ونشربه كلما شربنا، ونذكره لأنه يكون حاضراً فينا بجسده ودمه وماثلاً أمام أعيننا بآلامه وبصليبه ... «**فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخْبِرون بموت الرب** ...» (1كو 26:11)

أمَّا ولائم المحبة التي طالما أقامها الأتقياء قديماً، المنتظرون عزاء إسرائيل عابدين بالجهد نهاراً وليلاً، فكانت الصلوات فيها شهادة دائمة على أن المسيَّا لم يأتِ بعد والكلمات والتضرُّعات فيها إخباراً دائماً عن توقُّف عزاء إسرائيل وعن امتناع إتيان النور والمجد.

ولكن، وقد جاء المسيح الرب مذبوحاً على مائدة المحبة اليهودية جاعلاً من خبز وخمر الوليمة العتيقة **فِصْحاً** مسيحياً جديداً، صار خبزها بالضرورة شهادة دائمة على **موت** الرب، وكأسها خبراً مجسَّماً حيًّا للصليب الذي سال فيه **الدم** الفصحي للعهد الجديد.

لقد صار لعشاء الرب عمل جديد مستمر إلى مدى الأجيال، عمل غير عمل الوليمة العتيقة، تلك كانت تُعمل لحساب إلحاحات جسدية لأمور مضت، وكل أملها في المستقبل كان هو تحقيق ما كان، أمَّا عشاء الرب فقد صار إخباراً بموته الذي تمَّ للفداء عن خطايا وجهالات ماضي الإنسان كله التي احتملها الله سابقاً بإمهال وطول أناة: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين!!» (مر 24:14)

فالإفخارستيا هي خبر موت، وذلك من واقع تقدمتها، فالخبز فيها جسد مكسور، والكأس فيها دم مسفوك.

الإفخارستيا نطقٌ فعلي حامل لوقائع الصليب بالسرِّ، حيث ضحيته الإلهية هي الجسد والدم!!

فالإفخارستيا يمكن اعتبارها مختصراً واقعياً يشرح على مستوى الأكل والشرب مفهوم التقليد المسلَّم حسب الكتب: «**المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب**.» (1كو 3:15)

خبر الموت أو الإخبار بموت الرب هنا ليس بشارة منطوقة بالفم وحسب بل وشركة في الموت. لأن الخبر هنا يختص بأكل وشرب جسد مكسور ودم مسفوك. فالخبر هنا عمل أو فعل مساوٍ لعمل المسيح الذي عمله في نفسه. فنحن نقول ما قاله المسيح ونعمل ما عمله المسيح، ثم نأكل الجسد ونشرب الدم، فالموت الذي أجراه المسيح في نفسه في جسده ودمه نُجريه نحن ونشترك فيه. فنحن نقدِّم له ما هو له تذكاراً لما فعله**!!** ونعمل ما عمله ليكون لنا شركة في ما عمله**!!**

لذلك فكل إفخارستيا نقيمها هي عشاء الرب وهي موت الرب، ليست لمجرد ذكرى، لأننا نشترك في الموت وننال كل المتحصلات منه ـ أي الخلاص والغفران.

وهكذا، فإن الكنيسة بإقامتها للإفخارستيا تعمل عمل الكرازة على أعلى مستوى، وحتى بين السمائيين**!!** «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي **صنعه في المسيح يسوع ربنا**.» (أف 3: 10و11)

إذاً، فعشاء الرب هو بحد ذاته بشارة متواترة بموت الرب، والاشتراك في هذا العشاء هو اشتراك في حقيقة قائمة وهي موت الرب لنوال كل بركات العهد الجديد: الجسد المكسور والدم المسفوك.

وستظل هذه الكرازة الفعلية بموت الرب بواسطة الإفخارستيا قائمة لازمة، طالما بقيت حاجة على الأرض للتوبة وطالما بقيت نفوس تطلب مغفرة الخطايا وبقي إيمان بعمل الجسد والدم وحضور الرب، إلى أن يأتي الرب**!!**

+ «**إلى أن يجيء**» (1كو 26:11):

إن وعد الرب بالمجيء من خلال تقديمه لجسده المكسور ودمه المسفوك هو حقيقة حضور قائم أكثر منه غياباً يُنتظر العودة منه، فالإفخارستيا تجمع معاً وبشدة مجيئه الأول ومجيئه الثاني، مجيئه الأول المتضع الذي أكمله سابقاً بالتجسُّد والصليب (وذلك في مضمون الخبز المكسور والمقدَّم الآن في الإفخارستيا **بصفته الخبز الحي النازل من السماء**)، مع مجيئه الثاني في مجده، لأن المسيح الذي أتى والمقدَّم الآن جسده ودمه في الإفخارستيا هو هو نفسه الذي سيأتي في التاريخ ليُنهي التاريخ والزمن، لذلك فحينما نأكله سرًّا في الإفخارستيا، نكون بالضرورة في استحقاق ملاقاته عند مجيئه الذي سيكمله في التاريخ.

لذلك، فمجيئه الآتي ليس إلاَّ استعلاناً لحضوره الكائن الآن فينا بالسر**!!**

1 ـ في الطقس الأرثوذكسي:
وليمة عشاء الرب مساء الخميس
هل كانت هي وليمة الفصح؟
وهل كان التقديس بالخبز المختمر ... أم الفطير ...؟

التقليد الأرثوذكسي الذي تسير عليه الكنيسة القبطية منذ أيام الرسل، وكما تسلَّمته من السيد المسيح، هو أن تقديس سر الإفخارستيا يكون بالخبز المختمر. وهذا على أساس أن السيد المسيح أسس سر الإفخارستيا **في اليوم السابق للفصح، أي قبل أن يحل ميعاد أكل الفطير**.

ولكي يفهم القارىء موضوع الفصح اليهودي والفطير وعلاقتهما بسر الإفخارستيا ينبغي أن يعرف الآتي:

حينما أراد الله أن يخلِّص شعب إسرائيل من العبودية في مصر، أمرهم ـ بفم موسى النبي ـ أن تَذبح كل عائلة خروفاً حَوْليًّا (أي ابن سنة)، ليكون دمه علامة الخلاص (فداء) لكل بكر في كل بيت. على أن يُمسح بدمه باب البيت: القائمتين والعتبة العليا حتى إذا نظر الملاك المهْلكُ علامةَ الدم يعبر عن البيت، لأن الأمر كان قد صدر من الرب أن يضرب الملاك المهلك كل بكر في أرض مصر، كعقاب لمصر بسبب تشديد العبودية على شعبه إسرائيل.

أمَّا الخروف فيُذبح في الغروب، عشية اليوم الرابع عشر (اكتمال البدر) من الشهر الأول نيسان (ميعاد خروج شعب إسرائيل من مصر)، ثم يؤكل لحمه مشوياً بالنار فقط، ولا يُكسر منه عَظْمُه، ولا يبيتُ منه شيءٌ للصباح، ويؤكل على أعشاب مرَّة (تذكيراً بالمرارة التي عاناها شعب إسرائيل في العبودية).

وفي هذا اليوم ـ أي الرابع عشر من نيسان ـ يُرفع الخمير من كل بيت (يُعزل من البيوت). حتى إذا جاء المساء ـ ميعاد ذبح الخروف ـ لا يكون خمير في إسرائيل كلها (تعبيراً عن بدء حياة جديدة مع خلاص جديد، والتخلُّص من حياة قديمة).

ويُخْبزُ الفطير في ذلك اليوم ليؤكل على خروف الفصح. أمَّا معنى الفطير فهو كما يقول الكتاب: « لا تأكل عليه خميراً. **سبعة أيام تأكل عليه فطيراً، خبز المشقة، لأنك بعجلة خرجت من**

أرض مصر، لكي تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك.» (تث 3:16)

وتُحسب أيام الفطير أنها عيد قائم بذاته يبدأ من 15 نيسان حتى 21 منه مساءً. **وعيد الفطير مقدَّس**، يبدأ اليوم الأول منه بمحفل مقدَّس، وينتهي بمحفل مقدَّس، **لا يُعمل فيهما عمل ما**.

أمَّا خروف الفصح فيؤكل بعجلة، والأشخاص وقوفٌ، يؤكل رأسه مع أكارعه وجوفه، والباقي إلى الصباح يُحرق بالنار، يأكلونه وقوفاً وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم في أرجلهم وعصيُّهم في أيديهم، يأكلونه بعجلة، فهو فصح للرب.

✞ ✞ ✞

الآن يظهر بوضوح أنه لو كان عشاء الرب الذي أسس فيه سر الإفخارستيا كان هو نفسه يوم الفصح الذي يُذبح فيه الخروف مساءً، لأصبح من المحتم أن يكون الخبز المستعمل في تقديس الأسرار فطيراً، لأنه يستحيل أكل الفصح على خبز مختمر.

الكنائس الأرثوذكسية (لا خلقيدونية وخلقيدونية) عموماً تقول إنها بموجب التقليد المسلَّم لها من الرسل، تقدِّس على خبز مختمر منذ القرن الأول مع إيمانها إيماناً راسخاً أن الرب أسس سر الإفخارستيا في اليوم السابق للفصح، **وكانت وليمته تسمَّى «وليمة قدَّاس الفصح»**[1]، لأن الكنيسة تؤمن عن يقين تقليدي وكتابي أن الرب صُلب يوم الفصح في ميعاد ذبح الخروف فصار بذلك هو الفصح المسيحي الجديد: «هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم.» (يو 29:1)

أمَّا الكنيسة الغربية ـ أي الرومانية الكاثوليكية ـ فقد ظلت تحافظ على هذا التقليد حتى القرن الحادي عشر[2]، ولكنها بعد ذلك رأت أن تغيِّر تقليدها مستخدمة الفطير بدل الخبز المختمر، مستندةً في ذلك على قراءة الأناجيل الثلاثة مرقس ومتى ولوقا التي تشير قراءاتها بحسب الظاهر إلى أن عشاء الخمسين كان وقت الفصح 15/14 نيسان. وبذلك بدأ انشقاق في التقليد السرائري بين الشرق الأرثوذكسي والغرب الكاثوليكي، وبدأ موضوع القراءات الإنجيلية يدخل في صراع في مواجهة التقليد.

وقبل أن نخوض في الموضوع ونكشف أصالة التقليد الأرثوذكسي، ينبغي أولاً وقبل كل شيء أن

---

(1) W.H. Frere, *The Anaphora or Great Eucharistic Prayer.* p. 7.

(2) انظر كتاب: «أسرار الكنيسة السبعة» للمتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس، صفحة 113.

ننبِّه ذهن القارىء أن سر الإفخارستيا بدأت الكنيسة تمارسه بالخبز المختمر منذ حلول الروح القدس يوم الخميس. أمَّا الأناجيل والرسائل فحينما بُدِىء في كتابتها، كان ذلك بعد ممارسة الإفخارستيا بحوالي عشر سنوات!! أي أن الأناجيل إنما بدأت تسجِّل عن الإفخارستيا من واقع ما هو جارٍ أمام أصحاب هذه الأناجيل والرسائل. فلو كان هناك أي مفارقة بين إفخارستية الرب في عشاء الخميس، كأن تكون مثلاً على فطير، وبين التقديس على الخبز المختمر الجاري على أيدي الرسل مرقس وبولس ومتى ولوقا ويوحنا، لكانت قد أصبحت موضوع شرح وتعليق بلا نزاع!

2 ـ القراءات الإنجيلية وكيف تثبت جميعها أن الرب صُلب في ميعاد الفصح. وأن الإفخارستيا كانت قبل الفصح بيومٍ كامل ...؟

قبل أن نعرض للقراءات يهمنا أن يفرِّق القارىء بين قراءة لا تثبتها الحوادث الملابسة لها، وبين قراءة تثبتها الحوادث المرادفة لها وتشير إليها تكراراً، فالقراءة الأُولى تثير الانتباه من جهة احتمال عدم وضوح في الترجمة، أمَّا القراءة التي تشير إليها الحوادث من كل جهة فهي قراءة ذات ترجمة محصَّنة.

هذا ما سنواجهه من جهة القراءات في الأناجيل الأربعة، فإنجيل يوحنا أورد زمن إقامة سر عشاء الرب أنه قبل الفصح مساءً (أي 14/13 نيسان)، بوضوح شديد، وحدَّده تحديداً واضحاً. ثم عاد في عدة مواضع أخرى وأشار بوضوح شديد أيضاً إلى أن ميعاد صلب المسيح كان في وقت الفصح تماماً (أي 15/14 نيسان)، بحيث لم يَدَعْ القديس يوحنا أية فرصة للشك في ميعاد العشاء الذي أقامه الرب قبل الفصح بيوم كامل، ولا في ميعاد الصلب الذي تمَّ في وقت ذبح خروف الفصح.

أمَّا في الأناجيل الثلاثة الأخرى: مرقس ومتى ولوقا، فلا نجد الأمر كذلك، بل نجد أن رواية العشاء كلها ترد كخبر، مجرد خبر يتعلَّق كله بمنطوق كلمة واحدة هي كلمة «أول» = «prîtV بروتي» (وفي اليوم «الأول» من الفطير). ثم لا نجد بعد ذلك في أيٍّ من هذه الأناجيل الثلاثة أية محاولة إيجابية من الكاتب يُظهر أو يُعلِّق فيها على زمن العشاء أو على زمن الصليب بالنسبة للفصح اليهودي.

ولأنه معروف أن كلاً من متى الرسول ولوقا الإنجيلي أخذ روايته من جهة عشاء الرب من إنجيل مرقس، ومعروف أيضاً أن مرقس الرسول كان يرجع في رواية بعض الحوادث التي لم يشترك فيها إلى مصدر يترجم له من العبرانية والأرامية إلى اليونانية، لذلك اتجهت أنظار علماء الكتاب المقدَّس إلى إنجيل مرقس وبالأخص إلى كلمة «اليوم **الأول** من الفطير» التي تحدد زمن عشاء الرب كأنه واقع في الفصح. وفعلاً وجدوا أن لا الأصل العبري يفيد هذا المعنى ولا حتى الترجمة اليونانية. وهذا سنأتي إلى شرحه في حينه.

3 ـ البراهين الكتابية التي تؤيد أن عشاء الرب كان قبل الفصح بيوم، وأن صلب المسيح هو الذي تمَّ في ميعاد ذبح خروف الفصح.

أولاً: قراءة إنجيل يوحنا:

أ ـ «أمَّا يسوع **قبل عيد الفصح** وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى، فحين كان العشاء ... »(يو 13: 1و2)

هنا يورد يوحنا الرسول الخبر مدعَّماً بالزمن عن قصد، لأنه يشاء أن يعرِّفنا بميعاد العشاء بالنسبة للفصح.

ب ـ «**ثم قبل الفصح** بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا ... فصنعوا له هناك عشاءً ... **وفي الغد** (أي قبل الفصح بخمسة أيام) سمع الجمع الكثير الذي جاء إلى العيد أن يسوع آتٍ إلى أورشليم، فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه (أحد الخوص).» (يو 12: 1و2و12و13)

إذاً، من هذه الرواية يُفهم ضمناً أن يسوع كان في بيت عنيا يوم السبت، وكان قد تبقَّى على الفصح ستة أيام، وبذلك أيضاً يكون عشاء الرب يوم الخميس قبل الفصح بيومٍ كامل بالضرورة**!!**

ج ـ «ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا **إلى دار الولاية وكان صبح**. ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية **لكي لا يتنجَّسوا فيأكلون الفصح**.» (يو 28:18)

إذاً، من هذه الرواية يُفهم أن المسيح حُوكم وصُلب في اليوم الذي سيُذبح فيه الفصح مساءً أي يوم الجمعة.

وبذلك يكون عشاء الرب قبل الفصح بيوم كامل ـ أي يوم الخميس.

د ـ «ثم إذ كان استعداد، فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب (بعد غروب الشمس، أي عند بدء يوم آخر) **في السبت، لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً**، سأل اليهود بيلاطس أن

تُكسر سيقانهم ويُرفعوا.» (يو 19:31)

من هذه الآية يتبيَّن لنا من قول يوحنا الرسول أن «ذلك السبت كان عظيماً» أن يوم السبت (الذي يبدأ بعد غروب الشمس) كان هو عيد الفصح. فالسبت الوحيد الذي يُدعى عظيماً هو السبت الذي يقع فيه عيد الفصح.

إذاً، فالسيد المسيح صُلب قبل غروب الشمس، أي قبل بدء يوم السبت، أي يوم الجمعة.
وبذلك يكون عشاء الرب يوم الخميس قبل الفصح بيومٍ كامل.

هـ ـ «فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسي الولاية ... **وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة.**» (يو 19: 13و14)

ومن هذا القول يتبيَّن بوضوح أن يوم الجمعة الذي هو يوم الاستعداد أصلاً بالنسبة للسبت، صار أيضاً استعداداً للفصح الذي يُذبح فيه خروف الفصح.

معنى هذا أن السيد المسيح صُلب يوم الجمعة، وهو يوم ذبح الفصح. وعليه يكون عشاء الرب قبل الفصح بيومٍ كامل.

ثانياً: قراءة أناجيل البشيرين الثلاثة: مرقس ومتى ولوقا:

أ – إنجيل القديس مرقس:

+ «وفي اليوم **الأول** من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونعدَّ لتأكل الفصح ... فأعدَّا الفصح. ولما كان المساء جاء مع الاثني عشر. وفيما هم متَّكئون يأكلون ...» (مر 14: 12ـ18)

ب – إنجيل القديس متى:

+ «وفي أول أيام الفطير تقدَّم التلاميذ إلى يسوع ...» (مت 26:17)

ج ـ إنجيل القديس لوقا:

+ «وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح، فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً: اذهبا وأعدَّا لنا الفصح لنأكل ...» (لو 22: 7و8)

قد يفهم القارىء من هذه القراءات أن المسيح أكل الفصح مع تلاميذه، وكان هذا هو عشاء الرب الذي أسس فيه سر الإفخارستيا، هذا بحسب المنطوق اللفظي أو الحرفي لرواية الأناجيل الثلاثة.

ولكن لو دققنا في الأناجيل الثلاثة، فإننا لا نجد أية إشارة أخرى في مضمون الحوادث تسند هذا المفهوم المتأتي من كلمة «**في اليوم الأول من الفطير**» حسب إنجيل مرقس، أو في «**أول أيام الفطير**» حسب إنجيل متى، أو «**ولمّا جاء يوم الفطير**» حسب إنجيل لوقا (الذي أخذ بالمفهوم الظاهري من الترجمة اليونانية، والتي لا تفيد هنا أكثر من «لما اقترب يوم الفطير» .

أصل الكلمة في المفهوم العبري واليوناني أيضاً:

لو دققنا في مفهوم هذه الآية بحسب ترجمتها الحالية، نجد فيها التباساً واضحاً يخلُّ بالمعنى العام: « وفي اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح.» (مر 12:14)

الواقع أن «في **اليوم الأول** من الفطير» لا يمكن أن «**يُذبح فيه الفصح**»، لأن هذا اليوم يكون حسب الطقس اليهودي هو عيد الفصح نفسه، وهو ثاني يوم بعد ذبح خروف الفصح، لأن الخروف يُذبح قبل الغروب والفصح يؤكل بعد الغروب، وغروب الشمس هو الحد الفاصل بين يوم ويوم آخر حسب الطقس اليهودي. لأن أول أيام الفطير هو 16/15 نيسان، وذبح خروف الفصح يكون في 14/ 15 نيسان.

+ «وفي الشهر الأول، **في اليوم الرابع عشر من الشهر فصحٌ للرب** (ذبح الخروف). وفي اليوم "**الخامس عشر**" (أكل الفصح وأول أيام الفطير السبعة) **من هذا الشهر عيدٌ، سبعة أيام يؤكل فطير**. في اليوم الأول محفلٌ مقدَّس، **عملاً ما من الشغل لا تعملوا**.» (عد 28: 16ـ 18)

إذاً يتحتم على قارىء الآية أن يُعيد النظر في الترجمة الأصلية من العبرية وفي الترجمة من اليونانية أيضاً.

وهذا ما قام به مؤخراً العالِم الألماني «كولسن » Chwolsonوهو أول مَنْ انتبه إلى عدم دقة الترجمة، وأفاض في شرحه في كتابه المعروف بالألمانية بـ «وليمة الفصح» "*Passamahl*" صفحة 180 وما بعدها. وقد أثبت أن الترجمة اليونانية لم توضِّح القصد العبري تماماً. فالتعبير «اليوم الأول من الفطير» هو في الأصل العبري byum kmy dpsh وقراءتها بالعبرية تكون «بيوم قمي دبصح »ومعناها الحرفي: «وقبل يوم الفصح» أو «**يوم قبل الفصح**».

وقد جاء العالِم اليهودي المتنصِّر "يواكيم إرميا" (سنة 1964)، ووافق على هذا التصحيح في كتابه عن الإفخارستيا (صفحة 18)، ولكنه صحَّح لكولسون كلمة dpsh (فصح) بـ dptyry أي الفطير. فأصبحت الترجمة الجديدة التي ينبغي أن تكون عليه الآية في الطبعة الجديدة للكتاب المقدَّس هي: «وقبل يوم الفطير حين كانوا يذبحون الفصح»

والمعنى هنا هو: «**وقبل يوم (خبز) الفطير الذي هو يوم ذبح الفصح**»، فإذا كان خبز الفطير يوم الجمعة يكون ذبح خروف الفصح يوم الجمعة أيضاً، ويكون بالتالي اليوم الذي قبل الفطير هو يوم الخميس.

والحقيقة أن الكلمة اليونانية prîtv « بروتي» (مر 12:14)، تُفيد هذا المعنى أيضاً أي «قبل »(3) وهذا مما جعل القديس لوقا يكتبها في إنجيله: «ولما جاء» أي «اقترب!» (4)

وبذلك تكون قراءة الأناجيل الثلاثة متفقة مع قراءة إنجيل يوحنا، إذ يكون المعنى «**وقبل يوم الفطير**» الذي يُذبح فيه الفصح، هو اليوم الذي قبل الفصح وقبل خبيز الفطير، حيث الجملة الموصِّلة هنا: «**الذي يُذبح فيه الفصح**» لا تعود إلى أول يوم من عيد الفطير بل إلى اليوم الذي يُنزع فيه الخمير ويُخبز الفطير.

وبذلك يكون الكلام واضحاً جداً: أن الرسول يشير إلى اليوم الذي قبل الفصح فعلاً: أي قبل يوم الجمعة 15/14 نيسان، وهو يوم الخميس 14/13 نيسان، بحسب إنجيل يوحنا.

(3) Liddell and Scott, Greek-English Lexicon, Oxford, 1972, p. 702.

(4) انظر المراجع الأجنبية التي أوردها المتنيح الأرشيدياكون حبيب جرجس في كتابه: «أسرار الكنيسة السبعة» ـ صفحة 122.

4 ـ الرد على القول بـ «فأعدَّا الفصح» (مر 16:14) والقول بـ «شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم.» (لو 15:22)

حينما يقول الكتاب: «أين تريد أن نمضي **ونعدَّ** لتأكل الفصح ... **فأعدَّا** الفصح» هنا الإعداد للفصح بمعنى الاستعداد ليوم الفصح، لأن أموراً كثيرة ينبغي أن تُرتَّب قبل ذلك اليوم. لأن الإعداد للفصح عملية معقَّدة عند اليهود، ويستحيل أن تتم في نصف نهار. أو كيف يسافر بطرس ويوحنا من بيت عنيا إلى أورشليم ويبحثا عن بيت مرقس، ثم في نفس الصباح يقومان بشراء الخروف الذي يتحتَّم أن يُذبح في الهيكل، ثم يقومان بعملية تنظيفه وشيِّه في فرن خاص بشروط خاصة، لأن الطقس يحتِّم أن يُشوَى الخروف صحيحاً بأكمله حتى جوفه وأكارعه، وذلك بأن تخترق عصا رمان من الفم حتى المخرج ويصير شَيُّهُ دون أن يلامس تراب الفرن، مع مطالب العيد الأخرى من أعشاب مرَّة وأطباق مأكولات يحتِّمها الطقس؟

إن كلمة («وأعدَّا» الفصح) هي في الواقع طقسية، وتُفيد الانتهاء من الترتيبات الخاصة بيوم «**الاستعداد للفصح**»، حيث تتم في كل ساعة من ساعاته عملية معينة. لذلك فإن كلمة «**أعدَّا**» الفصح لا تعني أنهما ذبحا الخروف وهيَّآه للأكل في ساعة من الزمان، فهذا غير معقول، وإنما يعني أنهما أكملا الترتيبات اللازمة للفصح، لأن مساء الخميس هو في الواقع بداية «يوم الاستعداد الكبير» للفصح الذي هو يوم الجمعة، وقد جعل منه السيد المسيح استعداداً آخر جديداً إذ أعدَّ فيه نفسه لذبيحة الصليب.

فكان مساء الخميس يوم استعلان للفصح الأبدي، وكان عشاء الخميس هو هو يوم ما قبل الصليب، حيث الصليب هو هو الفصح الحقيقي المزمع تقديمه على الصليب يوم الجمعة.

وعلى أساس ما أضمر المسيح أن يكمله في عشاء الخميس من استعلان الذبيحة وتقديم نفسه لتلاميذه وللكنيسة حملاً مذبوحاً لأجل حياة العالم ولمغفرة خطايا كثيرين، وعلى أساس ما كان يعلَمه المسيح من حوادث الجمعة العنيفة الدامية، وجسده أمام عينيه ممزَّق ودمه مسكوب على الأرض بأيدي الكهنة ورؤساء الكهنة قال: «شهوة اشتهيت أن آكل **هذا الفصح** معكم قبل أن أتألم» (لو 15:22). ومعلوم يقيناً أن المسيح لا يشتهي أكلاً ولا يشتهي عيداً، ولكنه كان يشتهي، منذ البدء وقبل أن يتجسَّد، أن يؤسس فصحاً جديداً. «**هذا الفصح**» يكون الأكل والشرب منه

أكلاً وشرباً حقيقياً (¢lhqîj أليثوس): «جسدي مأكلٌ حقٌّ ودمي مشربٌ حقٌّ» (يو 55:6)، حيث كلمة «حقيقي» هنا ¢lhqîj تُفيد أكلاً وشرباً إلهياً من خلال أكل وشرب مادي.

وهذا هو مضمون «السر» في عشاء الرب الذي أصبح به «هذا العشاء «» فصحاً حقيقياً» جديراً بأن يُشتهى بالحقيقة!! حيث صار الخبز والخمر لحمَ ودمَ حملِ الله، فصحِ الدهور والأبدية، الذي يرفع خطية العالم.

ومرة أخرى نقول: إنه يقيناً لم يكن المسيح يشتهي أن يأكل لحم خراف ولا كان يود أن يستمتع بذكريات مصر وسيناء مع تلاميذه، بل اشتهى أن يكشف لهم سر الفصح الكبير، فصح العالم كله، « مُشتهى الأمم» الفصح السماوي الجديد حيث كان حمل الله يُجرَى الاستعدادُ لذبحه في السماء كما على الأرض. فالمسيح اشتهى شهوةً أن يطعمهم لحمه السماوي بيديه قبل أن يذبحه اليهود بأيديهم. وهل توجد شهوة عنده أو حب له أعظم من هذا أن يذبح نفسه من أجل أحبائه، ألم يقل هو نفسه هذا (يو 13:15)؟ والآن لقد اشتهى أن يكسر بينهم الخبز السري النازل من السماء، الذي طالما حدَّثهم عنه، حتى عند أكل الخبز تنفتح عيونهم ويعرفوه، قبل أن يتألم!!

اشتهى شهوةً أن يَسْفُك دمه ويسقيهم منه قوة الحياة التي للعهد الجديد، ليبقى حيًّا فيهم بقوة قيامته فيكون لهم حياة أبدية في أنفسهم، حتى يقوموا ويلحقوا به في السماء ليكمل معهم الفصح الأبدي في ملكوت الآب، ويجلسوا معه على مائدته! هذه كانت شهوة المسيح التي اشتهاها لنا!!! ... «شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم، لأني أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله »(لو 22: 15و16)، حتى يكمل الخروج الأخير من العالم لشعبه ويدخلوا الملكوت معه!

ويرى العالِم L. von Sybel في مقال له بعنوان: Das Letzte Mahl Jesu [في مجموعة الدراسات اللاهوتية والنقدية ـ ليبزج، رقم 95 (1923ـ 1929)، ص 119] إن ما سجَّله القديس لوقا في إنجيله الوارد في أصحاح 22: 15و16، والمذكور أعلاه، هو في الحقيقة تقليد كنسي كان قائماً في الكنيسة وقت تسجيل القديس لوقا لإنجيله. ويقوم هذا التقليد[5] على أساس أن الرب قال هذا على أكل الخبز (الفصحي)، وليس على أكل خروف الفصح.

(5) هذا التقليد كان منذ أيام القديس لوقا الإنجيلي. وهو أن الكنيسة في ليلة عيد الفصح المسيحي من كل سنة (عيد القيامة) تظل تصلِّي صائمةً حتى بعد منتصف الليل، في انتظار عودة المسيح، حسب الاعتقاد السائد أن المسيح سيحضر في عيد القيامة في منتصف الليل ليكمل الفصح في ملكوت الله الذي سيُستعلن حسب وعده بمجيئه. فإذا لم يحضر حتى أول صياح الديك (الساعة الثالثة صباحاً)، يُقيمون الإفخارستيا باعتبار أنه سيشترك معهم كالعادة، في انتظار سنة أخرى.

وجاء العالِم Bultmann وأثبت هذا الرأي أيضاً في كتابه:

The History of the Synoptic Tradition, Oxford, 1963, p. 266.

وجاء أيضاً العالِم الفرنسي A. Loisy وتحيَّز بثقة إلى هذا الرأي.

وهكذا وجدنا أن التقليد القائم في الكنيسة الأرثوذكسية اليوم، تنحاز له الأبحاث اللاهوتية العميقة، وأنه كفيلٌ بأن يُستظهر على كل نقد، لأنه في الحقيقة منبع قائم بذاته سابق على تسجيل الأناجيل وعلى كل الرسائل، وخصوصاً من جهة سر الإفخارستيا ... فالرسل أقاموا سر الإفخارستيا بعد حلول الروح القدس مباشرةً، بحسب ما تسلَّموه من الرب، وقبل أن تُسجَّل كلمة واحدة في كافة الأناجيل أو الرسائل!

ومن جهة القراءات أيضاً، فإنه توجد بعض إشارات عابرة في كتب الأبوكريفا التي يرجع تاريخها إلى القرون الأولى، تحدِّد بوضوح ميعاد الصلب بالنسبة لعيد الفطير، وقد جاءت عفواً. ففي كتاب الأبوكريفا المدعو «إنجيل بطرس» 5:2 يقول: [إن محاكمة الرب وصلبه تمَّت قبل أول يوم من عيد الفطير](6). وهذا القول ـ وإن كنَّا لا نعتمد عليه ـ إلاَّ أنه يشير إلى التقليد السائد في ذلك الزمان عن ميعاد الصليب بالنسبة للفصح اليهودي، فهذا القول يوضِّح أن الكنيسة كانت على دراية أكيدة من أن المسيح صُلب في ميعاد الفصح تماماً، وأن عشاء الرب كان قبل الفصح، وبالتالي فإن التقديس يكون على الخبز وليس على الفطير.

وكانت هذه الوليمة السابقة على يوم الفصح تسمَّى: «قدَّاس الفصح.» (7)

---

(6) M. R. James, *The Apocryphal New Test.*, Oxford, 1924, p. 91.

(7) W. H. Frere, *The Anaphora*, p. 7.

5 – البراهين الأخرى

التي تثبت صحة التقليد الأرثوذكسي

عدا القراءات التي جاءت في إنجيل يوحنا بوضوح، نقدِّم الآن البراهين الأخرى المترتبة على القراءات والتي تشير كلها إلى أن عشاء الرب لم يكن فصحاً يهودياً، وأن المسيح صُلب في ميعاد ذبح الخروف:

أولاً: ينبغي أن نهتم بالفارق بين مفهوم الفطير ومفهوم الخبز في الإفخارستيا، فلا ينبغي أن يُؤخذ بخفة، لأن المعنى الذي يحمله كبيرٌ، فالفطير له علاقة معنوية ينبغي أن تبقى في حدود الفصح اليهودي فقط. لأن الفطير في الفصح – بحسب الكتاب – يمثِّل «**خبز الشقاء**»، وبالعبرية: Lehem Oni «لحِمْ عُنِي» ومعناه «خبز عناء» وترجمته اليونانية ¥rtoj kakèsewj (تث 3:16)، لأنه رُفع من المعجنة قبل أن يختمر أو قبل أن توضع فيه خميرة بسبب السرعة والعجلة للخلاص من العبودية والشقاء:

«لا تأكل عليه خميراً. سبعة أيام تأكل عليه **فطيراً، خبز المشقة، لأنك بعجلة خرجت من أرض مصر**، لكي تذكر يوم خروجك من أرض مصر كل أيام حياتك.» (تث 3:16)

ولكن الآن ونحن في الإفخارستيا، التي هي الفصح الحقيقي، الجديد، نحن لا نأكل «لحِمُ عُنِي» أي «خبز الشقاء» بل خبز البركة، الخبز الحي النازل من السماء، وليس ذاك الآتي من مصر.

فجسد المسيح لا يمكن أكله على هيئة فطير، أي خبز عناء، لأنه ليس أرضياً بل هو سماويٌّ ومؤدٍّ إلى السماء، فهو خبز الراحة الحقيقية واسمه «خبز البركة والشكر» و «ترياق الخلود» أي دواء عدم الموت، بل وعدم الشقاء، بل وعدم الحزن أو الكآبة أو التنهد أو حتى المرض. فالذي يأكله لا يجوع ولا يموت، فهو إذاً خبز الفرح والسرور والشفاء، وليس خبز المذلة والضيق والشقاء.

لذلك فإن موقف الطقس الأرثوذكسي من وليمة **الفصح اليهودي** موقف سليم، إذ لم يجعلها منطلقاً ولا أساساً للإفخارستيا، لأنه كيف يُعلَن الجسد المقدَّس في خبز عناء وشقاء؟

ثانياً: مرقس الرسول يقول في إنجيله: «أخذ يسوع خبزاً ¥rton وبارك وكسر» (مر 22:14)،

ولم يقل «أخذ فطيراً ¥zumon.» (8)

والتقليد المسلَّم للكنيسة القبطية على يدي مرقس الرسول نفسه وهو إنجيلي، حدَّد أن يكون خبز الإفخارستيا خبزاً لا فطيراً، فتواتر الطقس الأرثوذكسي منذ منتصف القرن الأول، وهو يقوم عملياً على أساس تقديم خبز لا فطير في الإفخارستيا، جعل قراءة إنجيل مرقس الرسول وبقية الأناجيل فيما يختص بكلمة الخبز الواردة بوضوح ¥rtoj وليس فطيراً ¥zumoj تشير إلى أن الإفخارستيا أقامها المسيح فعلاً بخبز مختمر وليس فطير.

فالتقليد يشدِّد ويحدِّد من قصد الكلمة الواردة في الأناجيل. لأن الاعتراضات التي يقدِّمها بعض العلماء على كلمة ¥rtoj الواردة في الأناجيل أنها قد تفيد أيضاً خبز الفطير ـ قياساً على ما جاء في الأسفار قديماً من احتمال ذكر كلمة «خبز» بدل «فطير» للاختصار، نقول إن هذه الاعتراضات قائمة على أساس مجرد قراءة الكلمة. ولكن بعد وقوف التقليد الأرثوذكسي من هذه الكلمة باستخدامه الخبز المختمر عملياً منذ القرن الأول المسيحي، أصبحت احتمالات القراءة الأخرى مستبعدة.

ثالثاً: الإفخارستيا، كما ظهرت في أول صورة لها في الكنيسة الأُولى في سفر الأعمال، ظهرت باستخدام الخبز لا الفطير، دون أي إشارة إلى طقس الفصح. فلم نقرأ مرة واحدة عن إقامة إفخارستيا بطقس الفصح أو بالفطير في كل الأخبار الواردة في الإفخارستيا المعبَّر عنها بكسر الخبز.

وهذه هي صورة أول إفخارستيا بعد يوم الخمسين مباشرةً:

+ «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات.» (أع 42:2)

وهذه الآية كلها تصوير لخدمة قدَّاس كامل. فالتعليم أولاً، ثم الاجتماع معاً حول المائدة (الشركة هنا كلمة طقسية: koinwn…a كينونيا)، وكسر الخبز (تعبير سفر أعمال الرسل عن سر الإفخارستيا)، والصلوات (أي تلك التي تُتلى بعد التناول).

فلو كانت الإفخارستيا قد أسسها الرب من خلال طقس الفصح أو انطباقاً عليه، لكانت إقامتها تستلزم دائماً خبز الفطير، كما وكان يتحتم أن يأخذ صورة سنوية، أو لكان زمن إقامتها السنوي يُعتبر أساساً.

ولكن الواقع أن تكرار إقامة الإفخارستيا في الكنيسة الأُولى منذ أول يوم كان على الخبز، وبدون

---

(6) تُقرأ بالأرامية Pattira باطيرة (فطيرة)، وتقرأ بالعبرية Massah ماصَّاح.

أي قيد زمني، وفي أي وقت من النهار (وهذا مهم للغاية)، هذا كله يشير إلى أن تأسيسها كان حرًّا من أي طقس سابق، وأنها كانت من خلال وليمة شركة ومحبة حرَّة غير مرتبطة بطقس الفصح اليهودي.

رابعاً: في رواية العشاء السري في الأناجيل الثلاثة مرقس ومتى ولوقا، ثم الرواية الواردة عن الإفخارستيا في رسالة القديس بولس الرسول الأُولى إلى كورنثوس، لا نجد أية إشارة إلى طقس فصحي على الإطلاق، فلا ذكر لخروف الفصح ولا لأعشاب مرَّة ولا لأكل بعجلة ولا لحديث الفصح التقليدي Heggadah.

بل على العكس، فإن الإنجيليين الأربعة يوضِّحون أنه اتكأ والإثنا عشر وابتدأوا يأكلون، فالاتكاء هنا يشير إلى أنها كانت ليست وليمة فصح حيث يأكل فيها الجميع، وهم وقوف، متمنطقين، وعلى عجلةٍ، وإنما كانت وليمة عشاء حدَّد المسيح طقسها وروحها كبداية وأصل.

أمَّا اعتراضات بعض العلماء (وهم من أعاظم العلماء في الإفخارستيا) بخصوص الإفخارستيا التي كانت تقيمها الكنيسة الأُولى، أنها كانت تكراراً للولائم العادية التي كان يقيمها المسيح مع تلاميذه وأنها لم تكن تكراراً للعشاء الأخير(9)، فهو قول مرفوض، لأن الكنيسة تؤمن بإفخارستيا واحدة، أُقيمت مرَّة، وهي هي التي تُقام كل مرة، لأن الذي يقيمها هو المسيح وبحضور تلاميذه وملائكته وقديسيه مع شعب كل كنيسة. فحضور الرب في كل إفخارستيا، وكون كل إفخارستيا هي نفس جسد المسيح ودمه، يُنهي على كل ثنائية في شكل الإفخارستيا وجوهرها.

ثم إنه في قول المسيح ـ في تقليد بولس الرسول الذي سجَّله عن الرب نفسه: «فإنكم كلما أكلتم **هذا** الخبز وشربتم **هذه** الكأس تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو 26:11)، تفيد كلمة («هذا »الخبز) وكلمة («هذه» الكأس)، أنه خبز واحد وأنها كأس واحدة لطقس واحد قد تعيَّن إلى الأبد، فكل إفخارستيا قامت وستقوم هي «**هذا**» الخبز نفسه و «**هذه**» الكأس عينها **لهذا** الطقس ذاته الذي أقامه المسيح مساء الخميس!

خامساً: إن كل أوصاف «عشاء الرب» كما جاءت في الأناجيل وفي رسالة كورنثوس الأُولى، تتنافى مع أوصاف طقس الفصح اليهودي كما جاء في العهد القديم وفي كل كتب اليهود الطقسية سواء كانت «المِشْناه» أو غيرها.

(9) Joachim Jeremias, The *Eucharistic Words of Jesus*, pp. 66, 67, citing E. Schwartz, Willhausen, Lietzmann, Schlatter.

(أ) ففي وليمة الفصح لا يُكسر (الفطير) إلاَّ بعد العشاء الرسمي؛ في حين أن الخبز في عشاء الرب ذُكر أن الرب قسَّمه قبل العشاء[10].

(ب) في وليمة الفصح وحينما يأتي ميعاد (الفطير)، وهو يكون في نهاية العشاء، لا تُقال عليه البركة قبل الكسر، بل بحسب الطقس اليهودي يُكسر أولاً ثم تُقرأ عليه البركة؛ في حين أن الذي ذُكر في إنجيل القديس مرقس هو أنه بارك أولاً ثم كسر، وكذلك بقية الأناجيل[11].

(ج) في وليمة الفصح لا يوجد كأس تتوزع على جميع الحاضرين، بل كل واحد يكون له كأسه وتكون له صحفته؛ بعكس ما جاء في الأناجيل أن المسيح بارك كأساً واحدة وأعطاها للتلاميذ ليشربوا منها كلهم[12].

(د) وكذلك يُفهم أيضاً أنه كان يوجد صحفة واحدة يغمس فيها الجميع (مر 20:14).

(هـ) في وليمة الفصح يتحتَّم توزيع أربع كؤوس أثناء الوليمة، لم يُذكر منها في الأناجيل إلاَّ كأس واحدة؛ أمَّا في إنجيل لوقا فقد كُشف عن وجود كأس آخرى في بداية العشاء قبل كسر الخبز، وهذا غريب عن طقس الفصح جملةً ـ وقد رفض المسيح أن يشرب منها باعتبار أنها مجرَّد كأس للشرب من نتاج الكرمة وحسب، أي لا يدخل في مضمون تأسيسه للسر المقدَّس القائم على كأس واحدة تحوي دم العهد الجديد. وهذا معروف ـ حسب الطقس القبطي ـ أنه ذاق منها ثم أعطاها للتلاميذ بعد البركة.

سادساً: ومما يزيد وضوح حقيقة أن عشاء الرب لم يكن ليلة الفصح، ما جاء في إنجيل القديس مرقس بخصوص تصميم رؤساء الكهنة أن لا يُقبض على المسيح في يوم العيد: «وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه، **ولكنهم قالوا ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب**.» (مر 14: 1و2)

وهذا يوضِّح أن المسألة تختص بقرار صدر من السنهدرين أن لا يُقبض عليه في العيد، ليس فقط لاعتبارات الخوف من ثورة يقوم بها الشعب ضد السلطة الدينية ولكن أيضاً بسبب اعتبارات طقسية هامة. إذ لا يجوز عمل ذلك في العيد بحسب الشريعة.

(10) M. Goguel, *L'Eucharistie, des origines à Justin*; J. Lightfoot, *Exercitations* of Matt. 26.26.

(11) M. Haller; F. Spitta; K. G. Goetz, cited by J. Jeremias, *op. cit.*, p. 68.

(12) Bultmann, *Tradition*, p. 264; Finegan, *berlieferung*. p. 66; Billerbeck, I. 989.

لذلك كيف يُحتمل بعد ذلك أن يُقال أن المسيح قُبض عليه مساء العيد وحوكم يوم العيد نفسه وتمَّ الصلب أيضاً يوم العيد؟ [13]

إذاً، يكون الطقس الأرثوذكسي في الجانب الأقوى، من حيث ظروف الحوادث الإنجيلية ومن جهة الشريعة اليهودية أيضاً. فالمسيح أسَّس الإفخارستيا قبل الفصح، وقُبض عليه قبل عيد الفصح، وحوكم قبل عيد الفصح، وتمَّ صلبه مع ذبح الخروف!

إن هذا يتمشَّى ليس مع الشريعة فحسب، بل ومع كافة النبوات أن المسيح هو الفصح الجديد « الواحد الذي يموت عن الشعب حتى لا تهلك الأمة كلها» (راجع يو 50:11) بحسب نبوَّة رئيس الكهنة العفوية.

سابعاً: جاء في إنجيل القديس يوحنا: «لكم عادة أن أُطلق لكم واحداً في الفصح، أفتريدون أن أُطلق لكم ملك اليهود؟ فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين: ليس هذا بل باراباس. وكان باراباس لصًّا.» (يو 18: 39و40)

وأصل هذه العادة هو اهتمام الطقس اليهودي بفك قيد مسجون واحد في العيد تعبيراً عن أن الفصح هو بمثابة فك قيود شعب إسرائيل من مصر!! فكان السنهدرين يتكفَّل بذبح خروف خاص **كفصح** رمزي عام إكراماً لهذا المسجون.

إذاً، فواضح أن إطلاق سراح باراباس اللص، **ليأكل الفصح مع اليهود**، هو برهان أن المسيح حوكم وصُلب **يوم ذبح الفصح**، وبذلك يكون عشاء الرب قد سبق الفصح بيوم كامل.

ثامناً: لقد أورد بولس الرسول في رسالته الأُولى لكورنثوس إشارة واضحة جداً، إنما على المستوى الميستيكي أي الروحي التأملي: أن المسيح صُلب في ميعاد ذبح الخروف وصار هو فصحنا الجديد: « لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (1كو 7:5)

وبما أن الخروف لا يُدعى فصحاً إلاَّ إذا ذُبح في ميعاد الفصح، لذلك فإن ذبيحة المسيح لا يمكن تسميتها فصحاً إلاَّ إذا كانت قد قُدِّمت في ميعاد الفصح تماماً، أي من الساعة السادسة من النهار

(13) Wellhausen, *Evang. Marci*, p. 108; Schwartz; C. G. Montefiore; M. Dibelius, *From Tradition to Gospel*, p. 191; T. Preiss, *Life in Christ*, p. 82.

(أي الثانية عشرة ظهراً) حتى الساعة التاسعة من النهار (الثالثة بعد الظهر)[14].

وهذا ما تمَّ بالفعل. بل وإن الإفخارستيا، أي سر عشاء الرب، قُدِّم على أساس أن المسيح سيكون هو خروف الفصح، بعكس ما يحاوله بعض العلماء أن يركِّزوا على عشاء الرب أنه هو الفصح. هذا لا يجوز من وجهة المنطق الروحي الدقيق، **فالإفخارستيا لا يمكن أن تكون فصحاً إلاَّ إذا كان المسيح فصحاً!!**، فلأن المسيح علم يقيناً أن ساعته قد جاءت وعلم يقيناً أنه سيُسلَّم ويُصلب في الفصح، قدَّم جسده مُسْبَقاً مكسوراً بالنية والإرادة الأزلية ومشورة الآب، باعتباره أنه هو لحم الفصح السماوي، وقدَّم دمه بروح أزلي متجاوزاً الزمن، باعتباره أنه هو دم الفصح المنجِّي من الهلاك والموت الأبدي.

إذاً، لولا يقين المسيح بأنه سيُقدَّم في الفصح ذبيحة إلهية لأجل خلاص العالم ما كان جعل عشاء الخميس ذبيحة سرية على مستوى الفصح، أي «جسد ودم» !

تاسعاً: كذلك أورد بولس الرسول إشارة في غاية العمق الروحي من جهة المضمون الطقسي لا يدركها إلاَّ الدارسون للطقس القديم. فهو يقول في رسالته الأُولى إلى كورنثوس: «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار **باكورة الراقدين**» (1كو 20:15). هنا كلمة «**باكورة**» ''Bikkurim'' كلمة طقسية تتبع في فهمها وشرحها الطقس الذي انحدرت منه إلينا. فما هو طقس «الباكورة» وما هو ميعادها؟

معروف في طقس الباكورة أنها أوائل حصيد القمح (الحبة التي كانت قد وقعت في الأرض وماتت)، تُقدَّم كحزمة فريك وذلك في غد السبت الذي يتبع الفصح ـ أي 16 نيسان ـ كما جاء في سفر اللاويين:

+ «في الشهر الأول (نيسان) **في الرابع عشر من الشهر**، بين العشاءين (الغروب والمساء) فصحٌ للرب. **وفي اليوم الخامس عشر** من هذا الشهر عيد الفطير للرب سبعة أيام ... تأتون بحزمة أول حصيدكم إلى الكاهن، فيردِّد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم في **غد السبت** يردِّدها الكاهن، ... ثم تحسبون لكم من غد السبت السابع من يوم إتيانكم بحزمة الترديد سبعة أسابيع تكون كاملة إلى غد السبت تحسبون خمسين يوماً، ثم تقرِّبون تقدمة جديدة للرب.»

---

(14) بحسب توقيت يوسيفوس المؤرخ ''من 3ـ5 بعد الظهر''، أمَّا بحسب توقيت فيلو الفيلسوف اليهودي ''فمن الظهر حتى الغروب''.

(لا 23: 5-6 و9-16)

إذاً، فالقديس بولس الرسول بعد أن ألمح إلى 14 نيسان أن المسيح هو فصحنا الذي ذُبح لأجلنا، عاد وألمح في صورة مبدعة إلى 16 نيسان بقوله أن المسيح صار أيضاً باكورة الراقدين، أي أن المسيح قام من الأموات في يوم تقدمة الباكورة. وبما أن الباكورة تُقدَّم في غد السبت (أي يوم الأحد) بعد الفصح، إذاً، فبولس الرسول بقوله أن المسيح كان باكورة الراقدين، فهو يعني تماماً قيامة المسيح يوم الأحد، وبالتالي يشير ويؤكِّد الإشارة إلى أنه مات يوم الجمعة 14 نيسان في ميعاد ذبح الفصح!!

ففي الإشارة الأُولى التي يقول فيها إن المسيح فصحنا، يشير إلى المسيح باعتباره حمل الفصح المذبوح في 14 نيسان، وفي الإشارة الثانية التي يقول فيها إنه باكورة الراقدين يشير إلى المسيح باعتباره حبة الحنطة التي كانت قد وقعت وماتت ثم قامت، وتم ترديدها أمام الله في غد السبت (الأحد) 16 نيسان!!

عاشراً: قول بولس الرسول عن ميعاد الإفخارستيا: «في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً ...» (1كو 23:11)، يشير إشارة ضمنية ولكن ذات اعتبار خاص، أنها لم تكن ليلة الفصح، وإلاَّ كان ذكر أن ذلك تم في ليلة الفصح. فإغفال بولس الرسول للفصح نهائياً يشير إلى أنها لم تكن ليلة الفصح.

حادي عشر: تقول الشريعة بكل وضوح وتأكيد إن من بدء أكل الفصح في العشاء، أي بعد غروب شمس اليوم الثالث عشر من نيسان بما يساوي دقيقتين (بتوقيتنا الزمني الحالي) ومنذ بدء أكل الفطير في نفس وقت الفصح، يُحسب سبعة أيام لا يكون فيها عمل من الأعمال: «عملاً ما من الشغل لا تعملوا» وعلى وجه الخصوص اليوم الأول الذي يبدأ بعد غروب 13 نيسان مباشرةً، وكذلك يوم 21 اليوم الأخير، فإنهما محسوبان محفلاً مقدَّساً للرب، وعليهما تشديد وعقوبة في الناموس:

+ «لا يُعمل فيهما عمل ما إلاَّ ما تأكله كل نفس، فذلك وحده يُعمل منكم.» (خر 16:12)

فكيف يُجيز القائلون بأن الإفخارستيا ـ أي عشاء الرب ـ كانت هي وليمة الفصح وكانت هي أول أيام الفطير؟ ويكون قد حدث فيها الآتي:

1- «وخرج (يسوع) مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه» (يو 1:18). فهل يمكن أن تكون هذه ليلة الفصح؟

2- «فأخذ يهوذا الجند وخدَّاماً من عند رؤساء الكهنة **والفريسيين**، جاءوا إلى هناك **بمشاعل، ومصابيح، وسلاح!**» (يو 3:18)، ويقول إنجيل لوقا إنه كان معهم «**رؤساء الكهنة**

والشيوخ» (لو 52:22)، وحتى التلاميذ حملوا معهم سيفين!! «فقالوا يا رب هوذا هنا سيفان!!» (لو 38:22). بل وضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف: «وضرب واحدٌ منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أُذنه اليمنى» (لو 50:22). فهل يمكن أن تكون هذه ليلة الفصح؟

3- وهل يمكن أن ينعقد السنهدرين ليلة الفصح، وينشغل في المحاكمة حتى الصباح! حتى صياح الديك الثالث!! وقانون السنهدرين واضح وصريح أنه لا يجلس أحد للحكم يوم العيد[15]؟؟

4- وهل يمكن أن يستمر صباح يوم عيد الفصح في المحاكمة؟ «ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب: رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم!!» (لو 66:22)

5- وهل يمكن في عيد الفصح المحسوب محفلاً مقدَّساً أن يمزق رئيس الكهنة – أثناء المحاكمة – ثيابه: «فمزَّق رئيس الكهنة ثيابه؟» (مر 63:14)

6- وهل يمكن أن يشترك اليهود شعباً وشيوخاً وكتبةً وفريسيين مع الرومان في المحاكمة يوم عيد الفصح؟

7- وكيف يمكن أن يأتي سمعان القيرواني من حقله البعيد عن المدينة (من الشغل) يوم عيد الفصح ظهراً؟ وكل المسموح به للمشي لا يزيد عن 880 متراً فقط والتي لا تكفيه أن يخرج من باب أورشليم؟

8- وهل يجوز الحكم بصلب إنسان يهودي يوم عيد الفصح بحسب شريعة اليهود؟

9- وكيف يجوز ليوسف الرامي، وهو مشير بين اليهود، أن يشتري يوم الفصح كتاناً من السوق ليكفِّن يسوع، وأي سوق هذا الذي يفتح أبوابه يوم فصح اليهود؟

10- وكيف يتم إنزال جسد ميت من على صليب (علامة اللعنة) ثم حمله ثم دفنه ثم دحرجة الحجر على القبر يوم عيد الفصح؟

إذاً، هذا كله تمَّ يوم ذبح خروف الفصح وليس يوم عيد الفصح!

(15) *Sanh*, 4. I; b. *Sanh*. 35a.

عشاء الخميس قبل الفصح
في أقوال آباء الكنيسة

1- القديس يوستينوس الشهيد (100-165م)[16]:

[لقد أخذتموه (يوستين يوجّه الكلام إلى تريفو اليهودي) وأسلمتموه في يوم الفصح].

™n ¹mšrv toà p£sca sunel£bete aÙtÕn.

ويعلّق على هذه العبارة العالِم أويسترلي Oesterley في كتابه «الخلفية اليهودية لليتورجيا المسيحية» بقوله: [إن بهذه العبارة يتضح أن يوستين يعتقد أن العشاء الأخير يتحتّم أن يكون قد حدث في يوم الخميس فيما قبل الساعة السادسة]، أن الوليمة التي في أثنائها أو بعدها قد تمّت الإفخارستيا من غير الممكن اعتبارها وليمة الفصح.

2- أبوليناري أسقف هيرابوليس (سنة 165م)[17]:

وقد دار في أيامه نقاش حاد عن ميعاد أكل العشاء الأخير، أي تأسيس الإفخارستيا. فأوضح ببراهين كثيرة أن المسيح لم يأكل الفصح في ميعاد الفصح، وأثبت صحة تقليد إنجيل يوحنا، واعتبر الذين يقولون إن المسيح أكل الفصح في 14 نيسان وصُلب في 15 نيسان «جهلة» و «محبي العراك.»[18]

---

(16) Justin Martyr, *Dialogue with Trypho*, 111, ANF I, 254.

والقديس يوستينوس الشهيد من المدافعين المسيحيين الأوائل، وُلد في نابْلُس بفلسطين من أبوين وثنيين، وبعد بحث عن الحق دام طويلاً اعتنق المسيحية عام 130م، وعلَّم الإيمان المسيحي في أفسس حيث التقى برجل يهودي «تريفو» عام 135م. ثم رحل إلى روما وكتب هناك رده على محاجاة تريفو اليهودي، كما كتب دفاعاً عن الإيمان أمام الإمبراطور ماركوس أوريليوس ثم استشهد عام 165م.

(17) وهو أبوليناريوس كلوديوس المدافع عن الإيمان أمام ماركوس أوريليوس (حوالي عام 172م)، وكتب مقالات عن الإيمان وعن الحق وعن القيامة، وتعيّد له الكنيسة في 8 يونيه. وطبعاً هو غير أبوليناريوس المبتدع (310- 390م) أسقف لاوديكية الذي حُرم.

(18) Apollinarius of Hierapolis, *De Pascha*, PG V, 1297= PG XCII, 80, cited by Oesterley, *op. cit.*, p. 162.

3ـ العلاَّمة هيبوليتس أسقف روما (170ـ236م):

[في الوقت حيث كان يتألم المسيح (أسبوع الآلام) لم يأكل فصح الناموس، لأنه هو كان الفصح الذي أُعلن عنه منذ القديم والذي أُكمل في ذلك اليوم المحدد.][19]

4ـ القديس أناتوليوس أسقف لاودكية (تنيَّح سنة 282م)[20]:

[اليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأول، تقدَّس بتسليم الرب، وهذا متوافق في كل شيء مع الإيمان الجامع.][21]

5ـ القديس بطرس خاتم الشهداء بابا الإسكندرية الـ 17 (300ـ311م):

[إلاَّ أنه بعد خدمته الجهارية لم يأكل الخروف، لأنه هو نفسه تألم كحمل في عيد الفصح، كما يعلِّمنا يوحنا البشير واللاهوتي في إنجيله، حيث يقول هكذا: «حينئذ اقتادوا يسوع من عند قيافا إلى قاعة الحكم. وكان الوقت باكراً، ولم يدخلوا قاعة الحكم خشية أن يتنجَّسوا، **فيمتنعوا عن أكل الفصح**» (يو 18:28 ـ الترجمة حسب النص). وبعد ذلك بقليل يقول إنجيل يوحنا: «فلما سمع بيلاطس هذا الكلام أخرج يسوع وجلس على منصة القضاء في الموضع المدعو البلاط وبالعبرانية جباثا. وكان **استعداد الفصح**، وكان نحو الساعة السادسة» (يو 19: 13و14 ـ الترجمة حسب النص)، كما أوضحت الكتب الصحيحة، ونفس النسخة التي كُتبت بيدي البشير نفسه، وقد حُفظت بنعمة إلهية في الكنيسة المقدَّسة بأفسس، وهي الآن هناك يُجِلُّها المؤمنون. ونفس البشير يقول: «ثم إذ كان يوم الاستعداد، فلئلا تبقى الأجساد على الصليب في السبت لأن ذلك السبت كان عظيماً، سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويمضي بهم.» (يو 19:31 ـ الترجمة حسب النص)

في هذا اليوم، إذاً، الذي كان اليهود فيه على وشك أن يأكلوا الفصح في المساء، صُلب ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، ليكون ذبيحة للذين يُشاركون بالإيمان في السر المختص به، حسبما كتب المغبوط بولس: «لأن المسيح فصحنا قد ذُبح لأجلنا» (1كو 5:7). وليس كما انساق البعض عن جهل يؤكِّدون بتصميم أنه أُسلم بعد أن أكل الفصح، الأمر الذي لم نتعلَّمه لا من البشيرين القديسين، كما أنه لم يسلِّمنا هذا أي رسول من الرسل هذا.

(19) ANF, vol. V, p. 240, I.

(20) هو أصلاً مواطن مصري من الإسكندرية، أسَّس فيها مدرسة فلسفية مشهورة وكان عضواً في مجلس السناتو الروماني لعلو ثقافته. أُقيم أسقفاً مساعداً لأسقف قيصرية فلسطين، ثم أسقفاً لمدينة لاودكية عام 268م.

(21) ANF, vol. VI, p. 151.

لذلك، ففي الوقت الذي كان فيه ربنا وإلهنا يسوع المسيح يتألم من أجلنا بالجسد، لم يأكل من الفصح الطقسي. ولكن كما قلت كان هو الحَمَل الحقيقي، الذي قُدِّم ذبيحة لأجلنا في عيد الفصح الرمزي، في يوم الاستعداد، أعني اليوم الرابع عشر من الشهر الأول.

الفصح الرمزي، إذاً، لم يعد قائماً. لأن الفصح الحقيقي قد صار حاضراً: «لأن المسيح فصحنا قد ذُبح لأجلنا» كما ذكرنا من قبل. وكما علَّم بذلك بولس الرسول الإناء المختار.][22]

6- القديس أثناسيوس الرسولي بابا الإسكندرية الـ 20 (295-373):

[لا نذبح بعد (يوم الفصح) خروفاً مادياً وإنما ربنا يسوع المسيح الحمل الحقيقي الذي ذُبِح]
(الرسالة الفصحية الأُولى)

واضح هنا أن ذبح المسيح (الصليب) كان في نفس الميعاد للفصح القديم. وهكذا ألغى الفصح الحقيقي الفصح القديم وكل ما يتعلَّق به.

7- العلاَّمة كلِمندس الإسكندري (150-215م):

أورد هذا الموضوع بتطويل وتوضيح كامل مثبتاً أن المسيح صُلب في الرابع عشر من نيسان في ميعاد ذبح خروف الفصح القديم، وأن الإفخارستيا كانت قبل الفصح[23].

وبالاختصار نجد أكثر العلماء تضلُّعاً في التقليد العبري وجميع الآباء الأقباط والباباوات بصفة عامة يتكلَّمون عن المسيح الفصح الحقيقي الذي ذُبح لأجلنا، وأنه حل محل الفصح الرمزي القديم إحلالاً دقيقاً شمل كل الصفات حتى الظاهرية، وبالتالي التاريخية، على أساس أن المسيح ذُبح في ميعاد الفصح اليهودي تماماً.

وبهذا يكون العشاء السري قد تأسس قبل الفصح، وتكون الوليمة بالتالي وليمة يوم ما قبل الفصح.

✞ ✞ ✞

كما تسوق إلينا أحدث أبحاث العلماء الفلكيين ما يثبت هذه الحقيقة التاريخية المختصة بزمن وتاريخ صلب المسيح، ومنها يتبين أنه كان في يوم الفصح، كما أن الإفخارستيا لم تكن وليمة فصح:

---

(22)Ibid., p. 282.

(23) Clement of Alexandria, *Fragment*, PG IX, 757 = PG XCII, 81.

[نقلت وكالة الأنباء المسيحية RNS في نيويورك خبراً مفاده أن عالمين بريطانيين توصَّلا بعد أبحاث طويلة إلى تحديد يوم صلب المسيح، وهو يوم الجمعة 3 أبريل.

وهذان العالمان متخصصان في الأبحاث الفلكية في جامعة أكسفورد، الأول اسمه البروفيسور كولين ج. همفري Colin J. Humphreys، والثاني اسمه و. جرايم وادينجتون W. Graeme Waddington وقد نشرا بحثهما في مجلة المؤسسة العلمية الأمريكية Journal of the Amer. Scient. Affil. في عدد مارس 1985، وبنيا هذا البحث على حسابات فلكية دقيقة وتفاسير متعددة للكتاب المقدس.

وقد اقتبسا في بحثهما من كتابات القديس البابا كيرلس الإسكندري (بابا الإسكندرية الـ 24 في عداد بابوات وبطاركة الكنيسة القبطية)، ومن وثائق كتبها بيلاطس البنطي الوالي الروماني، والذي في عهده صُلب المسيح، ذُكر فيها أن القمر تحوَّل لونه إلى الأحمر الدموي أثناء عملية الصلب. ويقول العلماء أن مثل هذا التغيُّر في اللون يمكن أن يحدث في حالة واحدة فقط وهي خسوف القمر نتيجة لكسوف الشمس.

وقال هذان العالمان أنه بمراجعة الحسابات الفلكية فإن المرة الوحيدة التي رُئي فيها خسوف للقمر في منطقة أورشليم وفي الفترة ما بين عامي 26-36م (وهي المدة التي من المؤكَّد أن يكون المسيح قد صُلب خلالها) كانت في يوم الجمعة 3 أبريل عام 33م. ويذكر الإنجيل أن المسيح بدأ خدمته وهو في عمر 30 سنة وأن خدمته حتى الصليب استمرت 3 سنوات ونصف.

ويقول البروفيسوران همفري ووادينجتون أن لهذا التاريخ أهمية ليست بقليلة. وهما يعتقدان في صحة هذا التاريخ نسبة إلى عمر المسيح (المتفق عليه) وقت الصلب، وكذلك بالنسبة لتاريخ وطبيعة العشاء الأخير الذي أكله المسيح مع تلاميذه قبل الصلب.

فقد أعلنا بأن عملية الصَلْب تمَّت في يوم عيد الفصح عند اليهود أو اليوم السابق لهذا اليوم الذي كان ينبغي فيه على اليهود بحسب طقوسهم أن يذبحوا خروف الفصح. وهذا يتفق مع إيمان الكنيسة بأن المسيح كان هو الفصح الحقيقي الذي سيكفِّر حقاً عن خطايا البشرية.

وفي الوقت نفسه أعلن هذان العالمان أن العشاء الأخير للمسيح مع تلاميذه كان وليمة من ولائم الفصح في الليلة التي تسبق عادةً الليلة التي يأكل فيها اليهود خروف الفصح.][24]

(24) عن مجلة: Orthodoxy Canada, vol. 12, No. 4, July-August 1985, p. 18

الفصل الثاني

المعاني العميقة

وراء كلمات الرب وقت العشاء

أولاً: «**حتى يُكمَل في ملكوت الله**»!
ثانياً: «**أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي**».
لوقا: «لأني أقول لكم إني لا آكل منه **بعد** حتى **يُكمَل** في ملكوت الله.» (16:22)
لوقا: «لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى **يأتي** ملكوت الله.» (18:22)
مرقس: «الحق الحق أقول لكم إني لا أشرب **بعد** من نتاج الكرمة إلى **ذلك اليوم** حينما أشربه **جديداً** في ملكوت الله.» (25:14)
متى: «إني **من الآن** لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه **معكم جديداً** في ملكوت أبي.» (29:26)

المسيح هنا ينتهي إلى نقطة فاصلة مع الزمن (**من الآن**) ...

كما ينتهي إلى الحد الفاصل بين خدمته التي أكملها في الزمن، وخدمته التي سيكملها في ملكوت الله «يُكمَل في ملكوت الله»

وهنا المسيح يرفع أنظارنا مرة واحدة ويوجِّهها بشدة كأنه ينذر نذراً أو يقطع عهداً: «الحق أقول لكم إني لا أشرب **بعد** ...» حتى ننتبه إلى أهمية وخطورة العمل القادم الذي سيكمله مع الآب لنا، مؤكِّداً أن الفصح الجديد (الإفخارستيا) هو موضوع عمله الأعظم لدى الآب، فهو سيكمل بتكميل الذبيحة أمام الآب، وسيصير «جديداً» بالروح القدس وأنه سيكون مركز التلاقي بيننا وبينه: «أشربه **معكم**» وأن من خلال الإفخارستيا سيعلن ويعطي ملكوت الآب «أشربه **معكم** في **ملكوت أبي**» مشيراً بذلك إلى حضورنا مع الآب بعد ذلك في صميم الإفخارستيا، وهكذا فإن بالإفخارستيا سيتلاقى بالنهاية الزمن الخلاصي بالملكوت «**من الآن ـ إلى ذلك اليوم ـ في ملكوت الله**»، **فهي دربنا إلى الملكوت**.

1 – الرب يستبدل الحضور المنظور بحضور سرِّي

حينما بدأ الرب وليمة العشاء الأخيرة بقوله: «شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم **قبل أن أتألم**» (لو 22:15)، كان يتطلَّع إلى الهوَّة العميقة المرعبة التي سيعبرها من أجل العالم، وذلك من خلال المحاكمة، والآلام والصليب والموت والهاوية ثم القيامة.

وكان يرى، بل كان قد صمَّم ودبَّر، أنه لا بد قبل أن يعبر الهاوية بمفرده أن يسلِّم العالم (العالم الجديد أي الكنيسة) الواسطة أو «**الطريق**» الذي يعبر به كل إنسان هذه الهوة التي سيعبرها المسيح، حتى يكون مع المسيح دائماً ومع الآب، ويبلغ النهاية التي من أجلها خلق الإنسان. أي أن الإفخارستيا تكون دربنا إلى الملكوت.

لذلك قال المسيح: «شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم» **لأنه كان يريد أن يحقِّق لتلاميذه حضوره «السري» الدائم بالجسد والدم** من خلال هذا «**الفصح**» عوض حضوره المنظور الذي سيتوقف بموته وقيامته (الفصح بمفهومه المسيحي الجديد أي العبور إلى الآب)، حتى يكون لهم بواسطة أكلهم وشربهم لجسده ودمه وجود ملتحم دائم معه ثم عبور دائم به **إلى الآب**. هذا هو المفهوم اللاهوتي البسيط الواضح كما جاء في تعبير بولس الرسول إلى العبرانيين: «فإذ لنا أيها الإخوة **ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً** (جديداً) حيًّا بالحجاب أي **جسده**.» (عب 10: 19و20)

وهكذا، بالدم والجسد **إذ نشترك فيهما نصير دائماً معه** لأن وجودنا معه هو منتهى مسرَّته ومسرة الآب أيضاً: «أيها الآب **أريد** أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون **معي** حيث أكون أنا.» (يو 17:24)

من أجل هذا، واضح جداً أنه كان «يريد» و «يشتهي» أن يأكل هذا الفصح الأخير معهم ليسلِّمهم «الطريق» طريق العبور به إلى الآب وسر الدخول إلى الأقداس بدمه وجسده، قبل أن يعبر هو.

هنا كلمة «**الفصح**»، في مفهومها الطقسي العبري «**العبور**»، كانت تصبغ كل فكر المسيح وحديثه ليلة العشاء. فالمسيح يعلم أنه «**سيعبر**» من العالم إلى الآب: «**أمَّا يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت "لينتقل" من هذا العالم إلى الآب** ...» (يو 13:1) فهو يعلم أنه سيكون «**فصح العالم**» أو «فصح الزمن والتاريخ» العالم سيجد في المسيح «فِصْحَه» إلى الآب –

أي «عبوره» إلى الحق والحياة الأبدية!!

والمسيح يعلم أن ساعته أيضاً قد جاءت وأنه سيعبر الموت إلى القيامة: «من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة **ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم**» (مت 21:16). أي أنه سيكون «فصح الإنسان إلى الحياة الجديدة» !

لذلك كان المسيح يتكلّم وقت العشاء بلغة هذه النهاية التي صوَّب كل نظره إليها، لم يصبح الفصح أمامه بعد بمعناه القديم، بل ذبيحة عبور حقيقية من العالم إلى الآب ومن الموت إلى القيامة، بجسده الذي «يُكسر» ليتم به العبور، ودمه الذي «يُسفك» ليتم به العبور!!

هنا فصح حقيقي **يشتهيه العالم** ويشتهيه كل إنسان، لذلك اشتهى المسيح أيضاً نيابةً عن كل إنسان أن يأكل هذا الفصح الحقيقي مع تلاميذه قبل أن يتألم حتى لا يعبر وحده!! **اشتهى أن يحقِّق للعالم** أن يكون لكل إنسان **عبور إلى الآب معه!!**

المسيح ـ بحسب الطقس ـ أكل مع تلاميذه كسرة الخبز التي بارك، وذاق الكأس التي بارك قبل أن يعطيهما لتلاميذه، ولكنه لم يشترك بعد ذلك في بقية الأكل أو الشرب! ... **لأن أكل المسيح من الخبز الذي بارك ومن الكأس التي بارك جزءٌ لا يتجزأ من تقديس الأسرار في المفهوم الطقسي والروحي معاً. وهو بآنٍ واحد تعبير عن رضاه منتهى الرضا بالموت الذي سيجوزه وكأنه قد جازه. فهو أكل وشرب «موته» مع تلاميذه فعلاً،** لذلك دُعي «العشاء الأخير» ولكنه كان **أكلاً وشرباً** في **مفهوم الموت وحدوده: هذا جسدي، هذا دمي!!**

وعلى هذا المرتكز قال إنه الأكل الأخير والشرب الأخير، وبقبوله الأكل من الفصح الأخير، **قَبِل بإرادته ضمناً الموت،** هذا الموت الذي كان على الأبواب!!

ولكن عشاء المحبة الإلهية لا يمكن أن يوقفه الموت أو يقف عند حدود الموت أو يحجزه الزمن عن الدوام والاستمرار، لذلك فقد زوَّد المسيح تلاميذه بسر عشاء هو في الحقيقة أبدي، وكان عتيداً أن يُستعلن سريعاً: «**إن كان الله قد تمجَّد فيه فإن الله سيمجِّده في ذاته ويمجِّده سريعاً**» (يو 32:13). **فالموت وإن كان في إحساس المسيح قد دخل إلى أعماقه بسر الإفخارستيا وبرضاه** وقت العشاء وكان بالتالي **على الأبواب** بالصليب، فملكوت الآب والمجد الذي أعدَّه لابنه بالقيامة كان أيضاً **وراء الأبواب!!**

وإن كان الأكل مع التلاميذ من الخبز والكأس ليلة الخميس والمسيح في أَوَج مضمون الإحساس بالموت وقت العشاء الأخير بسبب الموت الذي ارتضاه وأصبح ينتظره في كل لحظة: «وهو عالم أن ساعته قد جاءت» إلاَّ أن هذا لم يُخْفِ ولم يطمس في إحساس المسيح معالم الحقيقة الباهرة الآتية فيما يختص بالأكل والشرب مع التلاميذ أيضاً من سر الفصح الجديد بالإفخارستيا المكمَّلة في ملكوت الله بعد القيامة التي كانت قد أصبحت أيضاً في إحساس المسيح وشيكةً وقادمةً سريعاً، فالقيامة سريعة وعلى الأبواب: «بعد **قليل** لا تبصرونني، ثم بعد **قليل** أيضاً ترونني» (يو 16:16) ... «عندكم الآن حزن ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم.» (يو 22:16)

«حتى يُكمَل في ملكوت الله»:

+ «لأني أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله.» (لو 16:22)

«**يُكمَل**» = plhrwqÍ

إن استخدام المسيح لصيغة المبني للمجهول هو بنوع الإشارة السرية إلى عمل الآب مع الابن. وهذا التعبير بصيغة المبني للمجهول هو أسلوب المسيح الفريد الذي لا يوجد له مثيل في العهد القديم أو الأدب الرباني[1]. ويظهر هذا الأسلوب واضحاً في (مت 5: 4و6و7)، (مر 5:2) «لأنهم يُعزَّون» و «لأنهم يُشبعون» و «لأنهم يُرحمون» و «خطاياك غُفرت لك» واضح أن المسيح يشير إلى عمله مع الآب يعزِّي ويُشبع ويرحم ويغفر الخطايا.

لذلك ففي قول الرب: «لا آكل منه بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله» إشارة إلى **عمل الآب في تكميل هذا الفصح الإفخارستي في ملكوت الآب، أي بعمله وبحضوره**. بمعنى أني أنا الآن معكم في هذا العشاء، لكن عندما يُكمَل هذا الفصح في العشاء الآتي يكون الآب معي والروح القدس أيضاً على مائدتكم. **أي أن تكميل الإفخارستيا أو الفصح الجديد سيكون بتكميل حضور وعمل الثالوث!!**

وبذلك يكون في الإفخارستيا وبواسطتها، إعلان إتيان ملكوت الله، أي حضور الآب والابن والروح القدس، عاملين معاً لعبورنا من الموت إلى الحياة، ومن العالم إلى ملكوت الله، دائماً وكل يوم!

والعجيب أن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية تهتف في بداية القداس لخدمة الإفخارستيا: «مجداً

(1) Dalman, *Die Worte Jesu*, I, Leipzig, 1898, p. 184; Billerbeck, *on Talmud*, I, p. 443.

وإكراماً، إكراماً ومجداً **للثالوث الكلي القدس** الآب والابن والروح القدس» إعلاناً عن حضور الثالوث واستعلاناً لملكوت الله وعمل الآب والروح القدس في الإفخارستيا مع المسيح.

ثم عند تقديم الحمل يهتف الخورس في لحن «يا ملك السلام» «**عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن بمجد أبيه والروح القدس»!** ثم في بداية الرشومات على الخبز والخمر نهتف: «**باسم الله الآب الضابط الكل وباسم ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا وباسم الروح القدس الباراكليت»**.

كل ذلك تحقيقاً لوعد المسيح أن فصحنا المسيح الذي ذُبح لأجلنا بإرادته وقت عشاء الخميس وعلى الصليب يوم الجمعة، هو الآن معنا في الإفخارستيا مع أبيه والروح القدس.

هذه هي الإفخارستيا المكمَّلة في ملكوت الله، التي يأكلها المسيح ويشربها معنا في ملكوت أبيه ـ أي بحضوره في الإفخارستيا (يلاحَظ دائماً في تعبير المسيح بخصوص ملكوت الله أنه يعني حضوره الشخصي، وحضوره يعني بالتالي الدخول في تدبيره المباشر.)[2]

حضور الثالوث القدوس في الإفخارستيا هو إتيان الملكوت، وابتداء عمله فينا، ودخولنا في تدبيره يوماً بعد يوم. فمن خلال الإفخارستيا يتلاقى الزمن مع الأبدية ومع نهاية الدهور، حسب وعد المسيح وتعبيره: «إني **من الآن** (نهاية الزمن العاري من الخلاص والتجديد والأبدية) لا أشرب من نتاج الكرمة هذا **إلى ذلك اليوم** حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» (مت 29:26) (أي بإعلان زمن الخلاص وملكوت الله بالقيامة وحلول الروح القدس).

«**من الآن (هذا الدهر) ... إلى ذلك اليوم (الدهر الآتي).**» (مت 29:26):

هنا يتحتم علينا أن نتأمل معاً في معنى الزمن أو التاريخ العاري من الخلاص والتجديد والأبدية، الذي يعبِّر عنه المسيح بكلمة «من الآن» ومعنى الزمن أو التاريخ الخلاصي (إلى ذلك اليوم) الداخل في الفداء وإعلان ملكوت الله وتدبيره، وكيف ربط المسيح بينهما بشخصه، وأعطى للأول معناه وللثاني وجوده وإتيانه، وما علاقة ذلك كله بالنسبة لحياتنا وتفكيرنا؟ وما هو دور الروح القدس في استعلان الدهر الآتي والوجود فيه منذ الآن؟

(2) G. Dalman, *The Words of Jesus*, 1909, p. 107; *Jesus - Jeshua*, p. 182; J. Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, p. 162.

2 – معنى الزمن

(أ) معنى الزمن ودوراته التكرارية عند اليونان:

إن مسار الزمن والتاريخ كان له مفهوم خاص وله معتقدات خاصة عند كل من اليونان واليهود قديماً. فمنذ سنة 500 ق.م واليونان يعتقدون بوجود دورات تاريخية يجتازها العالم، وقد بنوا نظريتهم هذه على علوم فلكية كان قد برع فيها علماء الفلك في بابل، إذ كانوا قد قسَّموا السماء إلى ثماني دورات فلكية منتظمة تتبادل معاً كل عشرة آلاف سنة، حيث تعود النجوم إلى مواقعها الأُولى التي بدأت منها مسارها. حيث يبدأ العالم كله، بعد كل دورة، حركته التاريخية من جديد بنفس حوادثها وبكل دقائقها الهامة. ومن هنا لا يزال المثل السائد «التاريخ يعيد نفسه» يُشير إلى هذا المعتقد.

وكان هذا المعتقد لا يُفيد شيئاً من جهة النمو الحضاري والأخلاقي وبلا قيمة تُذكر حتى من جهة الفكر، وبالرغم من أن هذا المعتقد المحدود لم يتغلغل إلى الحياة الفردية ليقفل نوافذها، إلاَّ أنه كان يتحكم في كثير من معتقدات اليونان.

(ب) الزمن وملء الزمن عند اليهود:

أمَّا اليهود فكانت لهم فلسفة مبنية على أُسس التوراة ومعاملة الله، فبينما أغلق اليونان التاريخ إذ جعلوه على صورة دوائر متكررة بلا نهاية ولا معنى، جعل اليهود التاريخ على صورة خط وإن كان خطاً غير مستقيم بطبيعة الحال، لما عاناه اليهود من تأديبات جعلت الخط التاريخي عندهم قابلاً للهبوط والارتفاع.

ولكنه كان على كل حال خطاً له بداية وله نهاية. أمَّا بدايته فهي خلقة العالم بسفر التكوين حينما خلق الله العالم من لا شيء بسلطانه وإرادته ومشيئته وحده حيث بدأ الزمن ومعه التاريخ ـ أمَّا النهاية فهي ما ذكرها العهد القديم دائماً باسم «يوم الرب» حيث فيه وعنده ينتهي الزمن والتاريخ(3).

(3) ليلاحِظ القارىء هنا أن بداية «يوم الرب» أعلنها الرب عند قوله: «الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً» (يو 31:12)، باعتبار أن رفض المسيح هو دينونة العالم وهو انتهاء الزمن والتاريخ بالنسبة للذين سيرثون ملكوت السموات ولكنها في نفس الوقت تمثِّل التجربة العظمى للذين يرفضونه. من أجل ذلك كان المسيح ينبِّه تلاميذه في هذه اللحظات الخطيرة: «صلوا لئلا تدخلوا في **تجربة**» (مت 41:26)، وعندما فات على بطرس هذا المعنى وهذا التحذير قال له الرب: «طلبت من أجلك (عوضاً عن بطرس) لكي لا يفنى إيمانك.» (لو 32:22)

على أنه قبل الزمن والتاريخ والعالم، وبعد الزمن والتاريخ والعالم، لا يزال يوجد الله «الرب العالي والمرتفع جداً الذي يسكن الأبدية» ! فعندما يبلغ الزمن غايته وينتهي العالم، يبقى الله ليحكم في الدهر الآتي.

أمَّا «يوم الرب» هذا فهو لا يمثِّل كارثة أو انقطاعاً فجائياً غير متوقع للتاريخ في لحظة، فالتاريخ كلي لا يتجزأ، له هدف محدد ويسير إلى غاية مدبَّرة، وفي كل مراحله له معنى وله عبرة، لأن الله يضبط التاريخ ويوجِّهه إلى غاية سعيدة قد وضعها له في تدبيره.

ولكن الإنسان وهو واقف في منتصف هذا التاريخ، أو حينما يعبر مرحلة فيه، فإنه لا يستطيع أن يدرك حركته الكلية، وبالتالي لا يستطيع أن يفهم معناه تماماً أو يدرك غرض التاريخ ككل لأنه بالنسبة للزمن كله، لا يرى الإنسان إلاَّ جزءاً دقيقاً جداً منه (أي من التاريخ)، وهو لا يمكن أن يستشعره كحركة مع أنه كامل تماماً ومنظور ومُقاس في نظر الله.

لذلك، فإن حكم الله وضبطه للتاريخ والزمن والعالم يبقى دائماً غير واضح للإنسان، وفي مدى رؤيتنا المحدودة لا يظهر أمامنا إلاَّ الشرور وكأنها هي التاريخ، تظهر منتصرة بينما يظهر الإنسان مغلوباً وتظهر الفرص والحظوظ المؤقتة وكأنها شيء أو حقيقة، أمَّا مشيئة الله الكاملة وإرادته الضابطة فلا تظهر في الأجزاء الصغيرة من هذا التاريخ الضخم! مع أن حكم الله الكلي والبالغ الذروة في الدقة والحكمة والعدل والقضاء يضبط التاريخ ككل، بكل أبعاده الكبيرة! فحينما يكمل التاريخ حينئذ تُستعلن مشيئة الله في التاريخ في أصغر أجزائه وتبدو عجيبة ومريحة ومفرحة.

أمَّا قرب النهاية، نهاية الزمن، أو عندما يبلغ الزمن مِلأَه، فسيأتي شخص تحيطه الأسرار جداً يُدعى «المسيَّا» أي «الممسوح من الله» وهو الذي سيضطلع بإنهاء التاريخ وإظهار مشيئة الله وحكمه وسلطانه وكل دقائق تدبيره. وهكذا عندما يأتي المسيَّا «يوم الرب» يَستعلِن ملكوت الله، أي يَستعلِن حكمه السابق واللاحق!

و «يوم الرب» ـ في المفهوم اليهودي ـ يعني «آخر الأيام» أو «نهاية الدهور œscaton» (eschaton، أي نهاية التاريخ الذي يُرى الآن (في نظر اليهود) وكأنه مغلق وغير مفهوم، والذي يظهر أيضاً (لهم) وكأنه غير مضبوط.

و «آخر الأيام» هنا ليست نهاية باللفظ أو للزمن، بل هي مفهوم يعني تكامل التاريخ والزمن (يسميه الإنجيل: «ملء الزمان» غل 4:4) لاستعلان الحق. فهي كلمة مفرحة ومبهجة لفكر الإنسان الحزين

الذي يواجه مظالم غير مفهومة ولا يرى من التاريخ إلاَّ صُدَفاً وظروفاً، لذلك أصبح لهذه الكلمة: «آخر الأيام eschaton» عِلم وبحوث وآراء تُدعى بعلم البحث في الأُخرويات = eschatology.

لذلك فـ «يوم الربeschaton» سيكون هو الإجابة على كل مشاكل التاريخ المحزنة وغير المفهومة، المقبولة وغير المقبولة.

ولكن «هذا اليوم» أو هذه النهاية التي سيُستعلن فيها ملكوت الله في كل التاريخ السابق وفي كل أجزائه وأصغرها لن تحطِّم التاريخ أو تلغيه، ولكنها ستشرحه وتعلنه **وتكمِّله**. فكل أعمال الله وتدبيره العظيم الذي كان مجزَّءاً ومخفياً وراء الحوادث والتاريخ، يتجمَّع ويترتب ويُستعلن معاً في «هذا اليوم» أو في هذه النهاية eschaton التي يتحرك التاريخ نحوها.

وبهذا المعنى أيضاً يُفهم أن «يوم الرب» يحمل معنى محاكمة التاريخ ككلٍّ ومحاكمة كل مَنْ تدخَّل في صنع هذا التاريخ.

فالنهاية، أي آخر الأيام eschaton، واقعة في صميم التاريخ، ولكنها في نفس الوقت فائقة عليه وهي تحكم فيه، وهي تُعتبر كمال التاريخ أو اكتماله، لأنها بلوغ ذروة الزمن «ملء الزمان» ولكنها في الوقت نفسه تعبُر بالزمن إلى ما بعده، أي إلى «الدهر الآتي»

لذلك، فإن الأنبياء سبقوا فرأوا وتنبأوا عن هذه النهاية eschaton كحادثة محددة واقعة في الزمن، ولكنهم في نفس الوقت ولكي يشرحوها اضطروا أن يمثِّلوها بأشياء فائقة على الوصف وأن يحيطوها ببركات غير عادية أرضية وسمائية، ولكنهم على العموم رأوا فيها كمال واكتمال كل القيم الزمانية وشرحاً لكل معنى التاريخ.

أمَّا بالنسبة لفكر اليهودي المتدين، فهذا اليوم ـ أي «يوم الرب» أو المسيَّا أو آخر الأيام ـ يمثِّل عنده أولاً وأخيراً تحقيق كل قيمة الدين ومنفعة التديُّن، فهذا «المسيَّا» وهذه النهاية eschaton المنتظرة بفارغ الصبر، هي قلب الدين ورجاء التديُّن.

أمَّا العهد القائم بين الله وإسرائيل فلم يستطع إسرائيل أن يكون أميناً عليه إلاَّ في انتظار المسيَّا! ففي «أيام المسيَّا» سيرتفع «العهد القديم» إلى «عهد جديد» سيكون الله فيه صفوحاً بلا حدود. وعند استعلان مُلكه هذا سيُعطي إسرائيل القوة التي أعوزته لكي يحفظ هذا العهد لأن «بواسطة المسيَّا» سيفدي الله إسرائيل وسيعفو عن كل ذنوبه وإخفاقاته، وبالتالي سيرفع عنه تأديب التاريخ وأحزان وكوارث الزمن.

(ج) الزمن وملء الزمن في المفهوم المسيحي:

وبمجيء المسيح كشف سر اليوم المكتوم منذ الدهور، وبموت المسيح وقيامته جاء «هذا اليوم» واستُعلن فيه أي في المسيح فكر الله وتدبيره عبر كل التاريخ والزمن «لتدبير **ملء الأزمنة** ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف 10:1)

أي أن المسيح هو نفسه استعلانٌ ومعرفةٌ وشرح لكل حركات التاريخ والزمن على الأرض كما في السماء!! لأن حركة التاريخ ـ في المفهوم المسيحي الآن ـ تسير في الأرض وفق ما يتدبر في السماء. فكل خفايا التاريخ وألغازه ومشقّاته وتأديباته التي وقعت على الأجيال السالفة، بدأت منذ الآن تُعرف وتنكشف بواسطة المسيح كما يفصح القديس بولس الرسول: «بإعلانٍ **عرَّفني بالسر** ... حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا **درايتي بسر المسيح**، الذي في أجيال أُخر **لم يُعرَّف به بنو البشر** كما قد أُعلِن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح ... لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في **ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور** في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف 3: 3ـ9)

وهكذا، فإنه في اللحظة التي قدَّم المسيح فيها نفسه ذبيحة بإرادته أمام بيلاطس البنطي راضياً بالصليب، لكي يكمِّل مشيئة الله الآب فيه، كانت هذه هي محنة التاريخ كله ودينونة العالم، فكانت هي اللحظة التي بلغ فيها التاريخ ذروته والنقطة الحرجة التي عندها اكتملت الأزمنة.

أمَّا عندما عبر المسيح من الموت إلى القيامة، ثم أكمل القيامة بالصعود، ودخل فعلاً بجسده إلى مجد أبيه، فقد بدأ التحوُّل، وبدأت دهور الله أو الزمن الآخر eschaton، وبدأ عهد المصالحة مع الله بواسطة المسيح. لأن في حياته وفي سلوكه وفي موته كإنسان، تبرَّر الإنسان إزاء كل أحكام الله ونواميسه، لأن المسيح أكمل كل حكم الله وناموسه وكل قضاء التاريخ في نفسه!! الله صالح العالم لنفسه بواسطة المسيح!!

و «في المسيح» أي في جسده، تعيش الكنيسة (العالم الجديد) مبرَّرة، والمفديون بدمه صاروا أعضاءً في جسمه الذي وُلدوا منه وله بالمعمودية. وبالإفخارستيا صاروا معه وفيه دائماً على الأرض كما في السماء: «أقامنا معه وأجلسنا معه في السمويات.» (أف 6:2)

لقد دخل الإنسان «يوم الرب» وهو الآن يعيش فيه!! يعيش فيه كل يوم!! فكل إفخارستيا هي «يوم الرب»

3 – عمل الروح القدس

في استعلان أواخر الدهور «يوم الرب»

لقد أتاح لنا الروح القدس أن نعيش «يوم الرب» وملكوت الله في هذا الزمن، منذ الآن!

لقد بدأ الروح القدس عمله معنا على الأرض، حيث أنهى المسيح خدمته معنا على الأرض! «لكني أقول لكم الحق أنه خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبتُ أُرسله إليكم.» (يو 7:16)

حينما اكتملت الأيام وجاء ملء الزمن أو بتعبير المسيح ـ له المجد ـ «قد أتت الساعة» (مر 41:14)، أنهى المسيح خدمته على مستوى التاريخ الزمني، وصعد إلى السموات ودخل في مجد أبيه. **وأرسل لنا المسيح الروح القدس ليبدأ معنا حكم الله أي ملكوته الروحي على مستوى التاريخ، ولكن التاريخ والأبدية معاً!** ... «**وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد!!**» (يو 16:14)

وكما أنه لا تستطيع ممالك العالم الزمني أن تؤرِّخ لأعمال الروح القدس، كذلك فإن الروح القدس لا يعمل على مستوى تاريخ العالم الزمني، لأنه يعمل في المفديين فقط الذين ليسوا من هذا العالم بل من عالم آخر، عالم المولودين من فوق، من الماء والروح: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكثٌ معكم ويكون فيكم.» (يو 17:14)

إن علاقة الروح القدس بـ «يوم الربeschaton» علاقة صميمية يعبِّر عنها القديس بطرس الرسول هكذا: «هذا ما قيل بيوئيل النبي: يقول الله ويكون في الأيام **الأخيرة** (إسخاتايس إيميرايس ™sc£taij ¹mšraij) أني أسكب من روحي على كل بشر» (أع 2: 16و17). ولكن العجيب أن بطرس الرسول يضيف من عنده كلمة الأيام «**الأخيرة**» بإحساس وبروح العهد الجديد الذي يعيشه، لأن يوئيل النبي يقول فقط: «ويكون **بعد ذلك** أني أسكب روحي» (يوئيل 28:2). إن بطرس الرسول يشعر فعلاً أن النهاية أو الآخرة eschaton قد حضرت بحضور الروح القدس وذلك لما أكمل المسيح ذبيحته عن العالم، أي بموته وفدائه، عند ذلك أكمل الأيام وختم على الدهور السالفة. ثم بقيامته وصعوده ودخوله إلى مجد الآب، بدأ «الدهر الآخر» وبدأ «الملكوت» وأُرسل

الروح القدس ليلدنا للدهر الآتي، يلدنا من جديد، من جسد المسيح، من فوق، من الله.

وكل مَنْ يلدهم الروح القدس يختمهم بختم الله لأنهم صاروا مشترين لله، ليسوا من العالم، ويلد لهم تاريخاً جديداً، تاريخ المفديين على الأرض، تاريخ بني الملكوت الذين لا يعيشون بعد للعالم و «لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (2كو 15:5). أي لا يعيشون تاريخهم بعد للعالم الحاضر، بل يعيشون تاريخ النهاية، تاريخ المسيح، تاريخ الأبدية وملكوت الله.

الروح القدس يعمل فينا الآن عملين، لكي يؤهِّلنا للقيامة والحياة في أوخر الدهور **eschaton**، أي ليجعلنا قادرين أن نحيا في «يوم الرب» الذي يمثِّله الصليب، أي في محنة التاريخ وفي مقاومة العالم**!**:

أولاً: يلدنا ميلاداً آخر جديداً ليس من العالم بل من فوق من السماء، من جسد المسيح، ويوحِّدنا في هذا الجسد.

ثانياً: يعطينا بواسطة سر المسحة المقدَّسة (وكانت بوضع اليد في الكنيسة الأُولى) هبة روحية للعمل والشهادة لنصير أعضاءً حية عاملة في الجسد لكي لا نبقى عاطلين في العالم. وبذلك يؤهِّلنا للإفخارستيا (إذ لا يشترك في جسد الرب ودمه إلاَّ العضو الشاهد الحي في الجسد)، **وبالإفخارستيا نوجد دائماً مع المسيح وفيه بالروح والعمل**.

وبذلك يعطينا الروح القدس كل الحصانة لكي نعيش في يوم الرب في مواجهة العالم ـ في صليب دائم ـ ومحنة الزمن والتاريخ.

وهكذا تمم الروح القدس دعاء وطلب المسيح من الآب: «لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير» (يو 15:17). فبالمعمودية والمسحة المقدسة نصير محفوظين من الشرير، **وبالإفخارستيا نعيش «يوم الرب» مع المسيح، وفي نفس الوقت نعيش في صميم الزمن والعالم. أي أن بواسطة الروح القدس، تبقى الكنيسة في المسيح في «يوم الرب»، تعيش أواخر الدهور والزمن بآن واحد!**

وفي هذا نرى أيضاً أن الروح القدس يسخِّر الزمن والتاريخ ليؤرِّخ لأزمنة الفداء وللعالم المفدي (الكنيسة)، ويكتب في سجلاَّته اليومية أسماء الذين ينضمون إلى الكنيسة ويخلصون، ألوف ألوف وربوات ربوات!

الكنيسة تحيا الآن، كما يقول القديس بولس الرسول، أواخر الدهور: «نحن الذين **انتهت إلينا**

أواخر الدهور.» (1كو 10:11)

الروح القدس يعزي الكنيسة إزاء محنة التاريخ والعالم، يأخذ من الجسد الممجَّد فوق، ويعطي (الأعضاء) التي هي الجسد المتألم على الأرض.

«يوم الرب» لا يزال محنة التاريخ ودينونة العالم، لأن المسيح يمارس فيه ومنذ الآن قضاءه بواسطة الروح القدس!! «ومتى جاء ذاك يبكِّت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة. أمَّا على خطية، فلأنهم لا يؤمنون بي (ذلك لأنه بدون المسيح الخطية قائمة ودينونتها دائمة ومستعدة) وأمَّا على برٍّ، فلأني ذاهب إلى أبي ولا تروني أيضاً (أي أن ذهاب المسيح مرفوضاً من العالم أضاع فرصة التبرير السهل على العالم). وأما على دينونة، فلأن رئيس هذا العالم قد دِينَ (أي أن العالم الرافض للمسيح واقع تحت الدينونة والتبكيت الدائمين).» (يو 16: 8ـ11)

والعالم بدوره ـ أو رئيس العالم بمعنى أصح ـ يصبُّ روح النقمة والدينونة التي وقع فيها على الذين رفضوا العالم وجحدوا رئيسه مع أعماله وأمجاده الباطلة وصاروا «ليسوا من العالم»

من أجل ذلك يئن المفديُّون العائشون في «يوم الربeschaton» الآن من ثقل الجسد والمحنة التي يعيشونها بسبب اضطهاد العالم والتاريخ، وينتظرون بفارغ الصبر الانعتاق الأبدي من نير العالم، والتبنِّي فداء أجسادهم بالقيامة من الأموات بالمجيء الثاني للمسيح وحياة الدهر الآتي حيث يستنفد العالم فرصته الزمنية ويُبتلع الموت الذي فيه، وتصير الأرض كلها للرب ولمسيحه ويصير كل شيء مُخضَعاً لله، ويصير الله الكل في الكل.

ولكن نهاية العالم الزمني، أي نهاية الزمن والتاريخ، ليست محسوبة من «يوم الربeschaton» لأن العالم الذي وُضع في الشرير قد دِينَ في «يوم الرب» وهو محفوظ لـ «يوم الدينونة» العتيد أن يكون بالمجيء الثاني للرب. فالعالم الشرير مع تاريخ أعماله سيقع بعيداً عن «يوم الرب» سينتهي بقضاء عادل.

أمَّا «يوم الرب» فسيزداد نوراً وبهاءً ومجداً وامتداداً بالمجي الثاني للمسيح، لأن «يوم الرب» هو النهاية «الإسخاتون» التي بلا نهاية!!

أولاً: الإفخارستيا وملء الدهور eschaton «**يُكمل في ملكوت الله**»:

إذا لاحظنا في ترتيب النظريات الخاصة بحركة الزمن ومسار التاريخ التي قدَّمناها سابقاً صفحة 186 وما بعدها، نجد أن إدراك اليهود لمسار التاريخ وتحرُّك الزمن والحوادث ثم استعلان قصد وغرض

ونهاية هذا الزمن وهذا التاريخ، كل هذا يقوم على أساس لاهوتي. ثم أن هذا الأساس اللاهوتي يقوم على أساس أكثر تحديداً وتشخيصاً على «المسيَّا» وبالتالي على «يوم الرب» ثم وجدنا أنفسنا كمسيحيين قد ورثنا هذا الإدراك اللاهوتي للزمن والتاريخ واستعلانهما معاً، عندما ورثنا فجأة «يوم الرب» وورثناه بالمسيَّا نفسه عندما آمنَّا به، ورثناه بالحقيقة، ورثنا شخصه بالكامل جسداً ودماً، ورثناه «كذبيحة يوم الرب» في «عشاء الرب» ورثناه في داخلنا لأنه أعطانا جسده ودمه لنأكله ونشربه فصار فينا وصرنا فيه، فدخلنا في ملء الزمن، وأواخر الدهور، واستعلان كل شيء، لأننا صرنا في «يوم الرب»

الإفخارستيا كانت المدخل الوحيد السري والفائق للعقل والقياس الزمني، التي بواسطتها دخل الإنسان في أواخر الدهور، وعبَر الزمان والتاريخ وارتفع فوقهما وتعالى عنهما في حياة أخرى، مع أنه لا يزال كائناً في حركتهما، يحيا في مسارهما، بحسب الظاهر.

الإفخارستيا أعطتنا «المسيَّا» جسداً ودماً وروحاً وفكراً ونفساً، فدخلنا يوم الرب بكل كياننا، ودخلنا استعلان الزمن والتاريخ وكل شيء. «إنه بإعلان عرَّفني بالسر ... سر المسيح، الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلِن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح ... لي ... أُعطِيَتْ هذه النعمة أن ... أُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف 3: 3-9)

هذا كان مفهوم الإفخارستيا عند آباء الكنيسة الأوائل.

فالعلاَّمة هيبوليتس (تنيح 235م) يفتتح قدَّاسه هكذا:

[في آخر الأزمنة ep’ eschatois chronois أرسلتَ يا الله كلمتك ليكون فادياً ورسول تدبيرك].

وقدَّاس «أداي وماري» [4] الذي يُعتبر من القداديس السريانية الأصيلة الأُولى الخالية من أي تأثير بيزنطي – وقد استخدمه النساطرة بعد ذلك. يقول عند التناول في نهاية القدَّاس:

[نشترك (في الجسد والدم) للحياة الجديدة في ملكوت السموات.][5]

أي أننا إذ نشترك في المسيح (جسداً ودماً) نتقدَّم به إلى الآب – نحن الأمم الذين كنَّا بعيدين

(4) أداي وماري هما رسولا إدسَّا (بلاد الرها) بسوريا في القرن الثاني. من أنطاكية أصلاً.

(5) G. Dix., *The Shape of the Liturgy*, p. 263.

جداً عنه «فجاء وبَشَّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين لأن "**به**" لنا كلينا **قُدُوماً** في روح واحد إلى **الآب**.» (أف 2: 17و18)

إذاً، فالإفخارستيا أصبحت مدخلنا إلى **الآب**، إلى ملكوت الله، إلى الحياة الجديدة الأخرى، الملكوت تحقَّق والحياة الجديدة الأخرى استُعلنت لنا بموت المسيح وقيامته، وقد اشتركنا فيهما بالإفخارستيا.

هذا هو تحقيق نهاية التاريخ «الإسخاتون» وهذا هو غرضه ومعناه، مهما طال واستمر. الإفخارستيا (بالمسيح) تُحضرنا ـ كأناس عائشين في الزمن ـ إلى حضرة الله، ولكن تكشفهم أولاً وتدينهم، ثم تغسلهم بالدم وتصالحهم بالآب وتُخضعهم لملكوته.

الزمن والزمانيون، في المسيح وبعمل الإفخارستيا، يتَّحدون أخيراً بالأبدية ويصيرون منها، ويصبحون ولهم كيان خالد ومعنى ووجود.

الإفخارستيا هنا أولاً: دينونة وحكم وقضاء ـ وهذا ما فات على كثيرين مما تسبب في ميوعة الكنيسة وبرودتها ثم ضعفها الشديد ثم مرضها الذي قارب الموت عند كثيرين ـ فالدخول إلى الإفخارستيا هو دخول إلى «يوم الرب» إلى محاكمة الأفكار وفضح النيات والضمائر وكشف أستار القلوب.

هذا هو تقليد الكنيسة الذي استلمته من الرسل، منذ البدء. **ومعروف أن خدمة الإفخارستيا «خوف ورعدة» بالنسبة للكاهن والشعب، ولماذا الخوف ولماذا الرعدة؟ إلاَّ بسبب حضرة الآب وحضرة المسيح والروح القدس. أمَّا حضرة الله فهي دينونة حتماً قبل أن تكون بركة ومنح هبات.**

«يوم الرب» معروف منذ أيام الأنبياء أنه يوم قضاء خطير ومرعب:

+ «يوم الرب عظيم ومخوف جداً فمَنْ يطيقه ... لأن يوم الرب قريب في وادي القضاء.» (يؤ 11:2؛ 14:3)

+ «يوم الرب قريب، لأن الرب قد أعدَّ ذبيحة وقدَّس مدعوِّيه، ويكون في يوم ذبيحة الرب أني أعاقب الرؤساء وبني الملك وجميع اللابسين لباساً غريباً (أي غير لباس العُرس الذي ورد ذكره في مثَل المسيح الذي كان يشير به إلى نفس هذه النبوَّة). وفي ذلك اليوم أعاقب كل الذين يقفزون من فوق العتبة (يدخلون بدون استحقاق) الذين يملأون بيت سيدهم ظلماً وغشاً.» (صف 1: 7ـ9)

+ «هأنذا أُرسل إليكم إيليا النبي (بمثِّل روح القضاء والدينونة مثل يوحنا المعمدان) قبل مجيء يوم الرب العظيم **والمخوف**.» (ملا 5:4)

القديس بولس الرسول يرى أن الإفخارستيا قبل أن تكون غفراناً وصفحاً ومصالحةً هي قضاء ومحاكمة، على أساس أنها دخول إلى الحضرة الإلهية، ووقوف أمام ديان الأرض كلها، واشتراك في أقداس ذبيحة إلهية:

+ «لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق (أي قبل أن يبرىء ذمته وضميره عن كل خطاياه) يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميِّز جسد الرب. من أجل هذا (يدخل تحت القضاء والتأديب) فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون، لأننا لو كنَّا حكمنا على أنفسنا (دينونة الذات والاعتراف بالخطية وتوبة) لما **حُكِم علينا**.» (1كو 11: 29-31)

واضح جداً من كلام القديس بولس الرسول أن «جسد الرب ودمه في الإفخارستيا» هو في الحقيقة «يوم دينونة» يوم محاكمة أفكار وقضاء وحكم. وليس ذلك فقط بل وتنفيذ أحكام وعقوبة، وأمر بالدخول تحت التأديب «ولكن إذ **قد حُكم علينا نؤدَّب من الرب** لكي لا نُدان مع العالم.» (1كو 32:11)

إن صورة الرب التي رسمتها هذه الأجيال الأخيرة للرب يسوع على مائدة الإفخارستيا مشوَّهة وناقصة. نعم هو طيب وحبيب وغافر الخطايا وماسح الآثام والذنوب، ولكن ليس بلا سؤال وتحقيق، أو ليس بلا توبيخ وتأنيب، أو ليس بلا قضاء وحكم ودينونة، أو ليس بلا تأديب!!

أين نهرب من إعلان هذا الرسول المشْهَر كالسيف فوق رؤوس المتناولين «إذ **قد حُكم** علينا **نؤدَّب، من الرب**»

وأين نهرب من تحذيره «لا تجتمعوا للدينونة؟!» (1كو 34:11)

إذاً، فالإفخارستيا هي دخول إلى «ملكوت الله» عَبْر «محاكمة» هي مواجهة خطيرة لحكم قداسة الله على التاريخ الإنساني وعلى الزمن وحوادثه، قبل أن نعبر التاريخ والزمن إلى الدهر الآخر وحياة الأبدية!!

المسيح سبق ودخل حكم التاريخ من أجلنا وتبرَّأ «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء»(يو 30:14). ثم دخل بذبيحة نفسه الطاهرة المبرَّأة إلى الآب «كسابق من أجلنا» إلى الأقداس العليا، فوجد رضاءً، ووجد صفحاً، ووجد فداءً أبدياً. **من أجل ذلك صارت الإفخارستيا لنا مكمِّلة حسب وعد الرب: قضاءً وتبرئةً معاً، محاكمة وصفحاً، «مَنْ هو الذي يدين، المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا.»** (رو 34:8)

وهكذا نرى أن العلاقة بين الإفخارستيا والدهر الآخر أو الحياة الأبدية علاقة جوهرية، **فالإفخارستيا هي المنفذ الوحيد من الزمن إلى الحياة الأبدية عَبْر «يوم ا لرب»، أي عَبْر قضاء الله وحكمه على التاريخ السابق وكل أعماله الجاهلة**.

وعلينا أن ندرك كم من المعاناة عاناها المسيح ليكمِّل وعده الذي قاله في إنجيل لوقا: «إني لا آكل منه بعد **حتى يُكمَل** في ملكوت الله.» (لو 16:22)

فالإفخارستيا تمت وكملت بمعاناة شديدة وعميقة للغاية، بقضاء من الناموس، وقضاء من سلطان البشر، والتاريخ، والزمن، والعالم، ورئيس هذا العالم، ومن الموت، والهاوية. فلم يستطعْ واحد من هذا كله أن يأتي بحكم افتراء على المسيح وعلى ذبيحته، إذ نقض المسيح هذا كله فلم يُمسَك في القبر، ولا استطاع الموت ولا الهاوية أن يحتفظا به لحظة واحدة أكثر مما حدَّده هو**!!**

والإفخارستيا تمت وكملت أيضاً بقيامة المسيح من الأموات، وظهوره علانيةً لتلاميذه، ثم صعوده في سحابةٍ إلى السماء، ودخوله إلى مجد أبيه: فوجد في نهاية المطاف رضاءً وفداءً ومصالحة عظمى، فكانت ذبيحة المسيح مصالحة للعالم مع الله الآب، وأرسل بناءً على ذلك وبناءً على وعده، الروح القدس «المعزِّي الآخر» الذي كمَّل فعل واستعلان ذبيحة الخلاص لكل بشر**!!**

هكذا جازت «الإفخارستيا» بمفهومها كذبيحة المسيح الحية كل قضاء الأرض والسماء، حكم هذا الدهر وحكم الدهر الآخر، ملكوت الدنيا وملكوت الله، فتكمَّلت بالبراءة والمجد، وصارت للبراءة والمجد.

ثانياً: أشربه معكم «جديداً» في ملكوت أبي

الإفخارستيا والروح القدس:

+ «إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا، إلى ذلك اليوم حينما أشربه **معكم جديداً** في ملكوت أبي.» (مت 29:26)

«**جديداً**» = kainÒn:

الجديد أو الجدَّة هي دائماً إشارة إلى **عمل** الروح القدس في الخليقة.

فالخليقة الجديدة هي خليقة روحانية، والميلاد الجديد هو الميلاد من الروح، والعهد الجديد أي عهد الله مع الخليقة الجديدة، وجدَّة الحياة هي الحياة الروحانية، وما قاله القديس بولس: «هوذا الكلُّ قد صار جديداً» (2كو 17:5) أي صار روحياً، والإنسان الجديد هو الذي يعيش بحسب الروح،

والسماء الجديدة والأرض الجديدة إشارة إلى العالم الروحاني الجديد. وذلك لأن كلمة «الجديد» أو « التجديد» تفيد إعادة صياغة أو ميلاد أو خلقة الشيء على أساس روحاني بعمل الروح القدس.

فهنا في هذه الآية يشير الرب إلى إفخارستيا تُمارَس على أساس حياة جديدة قادمة، أي بعمل الروح القدس في خليقة جديدة، (أي كنيسة)، يكون قد كمُل فداؤها وصارت تحيا بالروح القدس في عهد مصالحة مع الآب.

فالمسيح وقت العشاء لم يكن قد أكمل الفداء والمصالحة، وبالتالي لم يكن بدأ عمل الروح القدس في الكنيسة للميلاد الجديد والحياة الجديدة، لذلك قال إنه لا يشربه من الآن حتى يشربه معهم **جديداً!!** أي عندما يصير التلاميذ على مستوى الحياة الجديدة، بالقيامة وبعطية الروح القدس.

حيث كل مَنْ يتناول من الإفخارستيا حينئذ (بعد القيامة وحلول الروح القدس)، يأخذ لا جسد الرب ودمه فقط، بل أيضاً الرباط الذي يربطه بهذا الجسد عَبْر الزمن والحياة اليومية؛ هذا الرباط هو الروح القدس الذي يهبنا قوة القيامة ويوحِّدنا بجسد المسيح لنحيا دوماً فيه ومعه معلناً حقيقة ملكوت الله في داخلنا.

لذلك نجد في صلوات الإفخارستيا، غير صلاة استدعاء الروح القدس للتقديس، صلوات أخرى لنوال قوة وموهبة الروح القدس قبل الخدمة، بالنسبة للكاهن، ثم قبل التناول مباشرةً من الأسرار التي هي قوام الحياة الجديدة حسب قول المسيح له المجد: «أشربه معهم **جديداً**»

(أ) **قبل الخدمة**:

في القداس المنسوب للقديس مرقس الرسول نجد هذه الصلاة – وهي منسوبة للقديس يوحنا أسقف بوسطرة (عاصمة حوران ببلاد العرب)، بحسب تحقيق برايتمان في كتابه عن الليتورجيات (صفحة 158) – وهي تسمَّى صلاة الحجاب، أي التي يقولها الكاهن سرًّا وهو واقف خلف حجاب الهيكل أمام المذبح، قبل أن يبدأ صلاة الصُلح. وفيها يقول الكاهن:

[أعطني يا رب روحك القدوس، النار غير الهيولية (غير المادية) غير المدرَكة، التي تأكل كل ضُعف وتحرق كل اختراعات الشرور، لكي يميت كل أعضاء الجسد التي على الأرض، ويُلْجِم كل حركات الفكر التي تقوده إلى الخيالات المملوءة أوجاعاً وآلاماً، وكما يليق بالكهنة يجعلني فوق كل فكر ميت ويهبني كلمات التقديس ... لكي أكمِّل هذا القربان الموضوع الذي هو سر جميع الأسرار بمعونة وشركة مسيحك.] (الخولاجي المقدَّس صفحة 546)

(**ب**) صلاة استدعاء وحلول الروح القدس، كما جاءت في قداس القديس مرقس الرسول، وهي من الصلوات النادرة والعميقة، والتي لا يوجد لها نظير في جميع القدَّاسات قاطبةً:

[إرحمنا يا الله ضابط الكل، وأرسل إلى أسفل من علوِّك المقدَّس ومن السماء مكان سكناك المهيَّأ، ومن حضنك غير المحدود، ومن عرش ملكوت مجدك، الباراكليت روحك القدوس الكائن بالأقنوم غير المنقسم ولا متغير، الرب المحيي الناطق في الناموس والأنبياء والرسل، الموجود في كل مكان، والمالئ كل مكان، ولا يحويه مكان، الذي بإرادته وسلطانه، وليس كالخادم، إنما بحسب مسرتك، يصنع تقديساً على الذين يرتاح (يُسرّ) فيهم، البسيط في طبعه والمتعدد الأنواع في عمله، ينبوع النعمة الإلهية، الواحد معك بالجوهر، والمنبثق منك، شريك عرش ملكوت مجدك مع الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح. أرسله علينا نحن خدَّامك، وعلى هذه القرابين الكريمة **الموضوعة** (**الحاضرة**) أمامك، على هذا الخبز وعلى هذه الكأس، لكي يتقدَّسا ويتحولا (ينتقلا). ولكي هذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح، وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له.][6] (الخولاجي المقدَّس: صفحة 639ـ641)

(**ج**) يقول الكاهن (في قداس القديس باسيليوس) قبل التناول مباشرةً وهو خاضع برأسه أمام الله:

[نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر لكي تطهرنا كلنا وتوحِّدنا فيك، بواسطة اشتراكنا في أسرارك الإلهية **لكي نصير مملوئين من روحك القدوس** ...] (الخولاجي المقدَّس)

وفي قداس القديس يعقوب الرسول الذي تحتفظ به الكنيسة السريانية يقول في التقديس على الكأس:

[وهكذا بعد العشاء أخذ الكأس ومزجه من خمر وماء. ونظر إلى فوق نحو السماء، **وقدَّمه** (**أظهره**) إليك يا الله أباه، وشكر، وبارك، **وقدَّس**، **وملأه بالروح القدس**، وأعطاه لتلاميذه القديسين المباركين قائلاً ...][7]

والواقع أن هذا قد يُفهم أيضاً ضمناً في القداس الباسيلي عند قوله على الكأس «**وقدَّسه**»**!!** أليس هذا معناه أنه ملأه بالروح القدس**!**

وفي هذا المعنى يقول القديس أفرآم السرياني:

(6) روجعت الترجمة على النص الإنجليزي والنص اليوناني، فوُجدت بعض الفروقات الطفيفة مثل زيادة في ا لنص اليوناني في أوصاف الروح القدس، يقول: «روح الحق الرب القدوس» .F. E. Brightman, vol. I, pp. 134, 179

(7) G. Dix., *The Shape of the Liturgy*, p. 190.

[لقد دَعا الخبز جسده الحي **وملأه بنفسه وبالروح** ... خذوا كلوا بالإيمان، ولا يشكَّ أحد أنه جسدي، وأن كل مَنْ يأكل منه بإيمان **يأكل فيه ناراً وروحاً**، كلوا منه كلكم، **كلوا فيه الروح القدس** لأنه جسدي بالحق.][8]

وفي هذا المعنى يقول الأب ثيئوذور أسقف المصيصا (سنة 410م) على التناول:

[إن الكاهن يصرخ قائلاً: «**القُدْسات للقديسين**» لأن هذا الطعام مقدَّس وغير مائت، لأنه جسد ودم ربنا **ومملوء قداسة بسبب الروح القدس الذي يسكن فيه**.][9]

وكذلك نجد عند هيبوليتس نفس الاتجاه بصورة عملية:

[لكي تمنح جميع مَنْ يتناولون منه أن يصيروا واحداً، ولكي **يتكلَّموا بالروح القدس**.][10]

ولا يزال في القداس الروماني (اللاتيني) حتى اليوم هذه الصلاة في داخل قداس عيد القيامة:

[اسكب فينا يا رب روح محبتك، حتى أننا نحن الذين ملأتهم بأسرارك الفصحية نكون بحسب محبتك فكراً واحداً.]

وذلك كقول القديس بولس الرسول: «لأننا كلنا سقينا **روحاً واحداً**» (1كو 13:12) كإسرائيل قديماً وهم في الصحراء: «أكلوا جميعاً طعاماً روحياً واحداً وشربوا شراباً واحداً روحياً.» (1كو 10: 3و4)

وهكذا ينبغي أن يعود إلينا فكر الآباء وروح الإفخارستيا الحقيقي لأن الروح القدس عندما نناله في الإفخارستيا فهو الذي يحقق لنا حياتنا الأبدية من خلال حياتنا الأرضية، ويجعل أقوالنا وأفكارنا وأعمالنا مطابقة لسيرتنا في السموات: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات.» (في 20:3)

هذا هو المعنى العميق الذي قصده الرب بقوله: «أشربه معكم جديداً» أي في إفخارستيا يعمل فيها الروح القدس لاستعلان ملكوت الله في داخلنا ولبقاء اتحادنا بجسد المسيح السري قائماً في صميم التاريخ والزمن، بواسطة اتحادنا بالروح القدس من خلال الإفخارستيا أيضاً!

---

(8) St. Ephraem Syrus, *Sermon on the Holy Week*, IV, 4.

(9) Theodore of Mopsuestia, *Catecheses*, VI.

(10) Cited by Dix, *op. cit.*, p. 266.

4 ـ «هذا جسدي: زه بيصاري»

«هذا دمي : زه دامي»

الرب يؤكد بهذا أن الإفخارستيا ذبيحة!

كلام المسيح ينصبُّ، فكراً ولفظاً، وعملاً، على اعتبار أنه قد صار بنفسه ذبيحة في سر الخبز والخمر، ذبيحة كفَّارية كهنوتية «عن كثيرين»

أولاً: «**هذا**» جسدي، «**هذا**» دمي = **الخبز والخمر صارا عنصري الذبيحة جسداً ودماً:**

لأول وهلة يتراءى لفكر القارىء أن «هذا» هنا هي اسم إشارة لكل من الجسد والدم، ولكن الحقيقة أن «**هذا**» هنا إشارة للخبز وإشارة للكأس. فالمسيح هنا ماسك بالخبز ويقول: «هذا »جسدي، أي هذا الخبز **هو جسدي!!** وماسك بالكأس ويقول «**هذا**» **دمي!**

ويتضح هذا الأمر جداً في النص الإفخارستي الذي أورده القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس، وفيه يقول: «أخذ خبزاً، وشكر، فكسر، وقال خذوا كلوا ''هذا هو'' جسدي» (1كو 11: 23و24)، فالضمير «هو» أوضح أن اسم الإشارة «**هذا**» يعود على الخبز الذي في يد الرب. وفي حالة الكأس يتضح المعنى أكثر حينما يقول: «"**هذه الكأس هي**" العهد الجديد بدمي.» (1كو 25:11)

إذاً، فالخبز نفسه هو جسد المسيح،

والخمر نفسه هو دم المسيح.

هنا المسيح لما أمسك الخبز وبارك عليه (باركه بحسب لغة القداس) «**صار**» **بحسب** «**تدبير**» **الرب جسداً له، كحالة واقعة** «**حقيقية**».

ولكن الرب حفظ المادة المصنوع منها الخبز من أن تتحوَّل عن شكلها الظاهر (كما تحوَّل الماء خمراً سابقاً بإرادته). إذ جعل التحوُّل هنا ليس بالمظهر بل بالحق ¢lhqe…v ™n الفائق على المادة، الذي يعطيها طبيعة وصفات جديدة ليست لها أصلاً، والذي لا يخضع للتغيير المادي أو تدركه الحواس الجسدية أو تؤثر فيه العوامل الطبيعية.

فالمسيح نور العالم، ولكن نور المسيح لا تراه العين، لأنه نور حقيقي ¢liqinÒj لا ينطفىء قط. وجسد المسيح الذي كان يعيش به على الأرض كان جسداً إلهياً، ولكن في شكل وصورة جسد

ترابي لا تدرك الحواس لاهوته، ولكن الإيمان عند بطرس أدرك «حقيقته» فنطق قائلاً: «أنت المسيح ابن الله الحي» (مت 16:16)، حيث الجسد هنا فائق على الطبيعة وفائق على الموت. والعين البشرية لما دخلت في حالة تجلِّي (عند بطرس ويعقوب ويوحنا) رأت الجسد مضيئاً «وتغيَّرت هيئته قدَّامهم» (مر 2:9). ولكن بعد التجلِّي لم ترَ العين إلاَّ الجسد البشري ولم ترَ فيه إلاَّ الصفات الطبيعية، حتى إن بطرس عثر في المسيح وأنكره بعد ذلك!!

هكذا «**خبز الإفخارستيا**» بعد البركة **هو جسد إلهي** للمسيح، أي جسد بالحق ¢lhqîj وليس بالشكل أو بالطعم، لذلك فالحواس لا تستطيع أن تدرك صفاته اللاهوتية.

العين البشرية إذا دخلت في حالة تجلِّي، تستطيع أن ترى «خبز» الإفخارستيا جسداً حقيقياً بالصورة التي يشاء الروح القدس أن يعلنه فيها، وكثيرون رأوا وارتعبوا وانعقدت ألسنتهم.

المهم أن الرب قال: «**هذا الخبز هو جسدي**» كتقرير حالة حقيقية واقعة. وكذلك قال: «**هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي**»، وفي موضع آخر قال: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد» فمن كل الوجوه ضيَّق الإنجيل، في تسجيلاته الأربعة، على منافذ الشكوك، حتى يؤمن الإنسان أن الرب جعل كأس الإفخارستيا دماً حقيقياً له.

ثانياً: (أ) لحم/ ودم = s£rx – aŒma (يو 51:6)[11].

(ب) جسد/ودم = sîma – aŒma (اكو 11: 24و25).

«بصار ودامBasar wadam» .

فصل عنصري الذبيحة إمعاناً في تحقيق فعلها ووجودها:

بحسب المفهوم العبري الطقسي، يحدِّد هذا الاصطلاح مكونات الذبيحة «**بعد ذبحها**». فالذبيحة من جهة مكوِّناتها التي تُرفع إلى الله على المذبح بعد ذبحها، عبارة عن «**لحم ودم**»:

+ «لأن نفس **الجسد** هي في **الدم**. فأنا أعطيتكم إياه (الدم) على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدم يكفِّر عن النفس.» (لا 11:17)

+ «احترز أن لا تأكل **الدم**، لأن الدم هو النفس فلا تأكل النفس مع **اللحم** ... فتعمل محرقاتك

---

(11) يلاحَظ أن كثيرين من الآباء الأوائل أخذوا بكلمة «لحم» بدل جسد في الإفخارستيا أخذاً عن تقليد يوحنا الرسول، ومنهم القديس أغناطيوس الأنطاكي في رسالته إلى سميرنا 1:7 وإلى رومية 3:7، وإلى فيلادلفيا 1:4، وإلى تراليان 1:8. وكذلك القديس يوستين في دفاعه 2:66:1.

ولكن كنيستنا الأرثوذكسية أخذت بلفظة جسد sîma أكثر من كلمة لحم s£rx.

(لا يؤكل منها شيء البتة) **اللحم والدم** على مذبح الرب إلهك، وأمَّا ذبائحك **فيُسفَك دمها** على مذبح الرب إلهك **واللحم** تأكله.» (تث 12: 23و27)

+ «فإن الحيوانات التي يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة تُحرَق أجسامها خارج المحلة (ذبيحة المحرقة). لذلك يسوع أيضاً (كذبيحة محرقة) لكي يقدِّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب.» (عب 13: 11و12)

يُلاحَظ في هذه الأمثلة أن الذبيحة ذات عنصرين أساسيين: الدم واللحم، وأنهما دائماً منفصلان: الجسد وحده والدم وحده. هذا له طقس، وذاك له طقس آخر. **فالجسد** يُحرق خارج المحلة إذا كانت **الذبيحة للتكفير عن الخطايا، ودمها** في نفس الوقت يُرش على المذبح للتكفير عن الشعب.

كما يُلاحَظ في هذه الأمثلة أن كلمة جسد sîma وكلمة لحم s£rx استُخدمتا كلتاهما بدون تفريق.

فإذا رجعنا إلى كلمات السيد المسيح: «هذا هو جسدي ... وهذا دمي» نجده يقول كُلاًّ منهما منفردة عن الأخرى ويقدِّمها منفردة عن الأخرى. وهكذا ندرك في الحال أنه يتكلَّم بلغة الذبائح، هذا ما فهمه التلاميذ تماماً وأدركوا معناه في الحال ولم يكونوا محتاجين إلى استيضاح، لأن السر الأقدس كان يصبغ كلمات الرب ونظراته وعواطفه. فالرب في هذه اللحظات كان يذبح نفسه بالنية والنبوَّة.

ويقيناً أنه قد جرى توضيح أكثر فيما يختص بذبيحة المسيح، وإلاَّ فمن أين أتى بولس الرسول بتقليده الرهيب في رسالته الأُولى إلى كورنثوس: «**لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا**» (1كو 5:7)؟ إن اعتقادنا أن هذا التقليد الطقسي واللاهوتي الذي أورده بولس الرسول هو بقايا شرح قدَّمه المسيح وقت العشاء عن ذبيحته. وهذا واضح غاية الوضوح في رسالة القديس بولس الأُولى إلى كورنثوس، إذ يؤكِّد الرسول أن الأكل والشرب من الخبز والكأس في سر الإفخارستيا هما اشتراك فعلي في جسد ودم المسيح:

+ «**كأس** البركة التي نباركها أليست **هي** شركة **دم المسيح**؟
الخبز الذي نكسره أليس **هو** شركة **جسد** المسيح؟» (1كو 10:16)

وعندما يستطرد القديس بولس الرسول ويوضِّح خطورة الأكل من ذبائح الوثنيين كشف بالأكثر أن الإفخارستيا بحد ذاتها ذبيحة، وأن الأكل منها يربط الإنسان في شركة مع الرب؛ كما يرتبط الأكل من ذبيحة العهد القديم بمذبح الله (المذبح في العهد القديم له صفة شخصية باعتباره

يمثِّل الله وينوب عن اسمه)[12]. أو كما يرتبط الوثني بالوثن (الشيطان) عندما يأكل من الذبيحة المقدَّمة له. لذلك يمتنع على المسيحي أن يشترك في ذبيحة مقدَّمة للأوثان، لأنه يُعتبر حينئذ أنه مشترك في ذبيحتين: ذبيحة الرب، وذبيحة شياطين!! «لا تقدرون أن تشتركوا في مائدة الرب وفي مائدة شيطان.» (1كو 10:21)

ونسمع صدى هذا التقليد عينه أيضاً عند القديس بطرس الرسول: «عالمين أنكم افتدُيتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل **بدم كريم** كما من **حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح**» (1بط 1: 18و19). كذلك نرى هذا التقليد واضحاً أيضاً في سفر الرؤيا:

+ «ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ **خروف** قائم كأنه **مذبوح** له سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المرسَلة إلى كل الأرض ...

وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه، لأنك **ذُبحت** واشتريتنا لله **بدمك** من كل قبيلة ولسان وشعب وأُمَّة ... وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم: مستحق هو **الخروف المذبوح** أن يأخذ القدرة والغِنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة ...

وهم غلبوه (أي غلبوا الشيطان) **بدم** الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت.» (رؤ 5: 6و9-12؛ 12:11)

ثالثاً: هذا دمي الذي «يُسفك» من أجل كثيرين:

يُسفك ™kcunnÒmenon

أ . عبري	**ب. أرامي**
hannisphakhe bead rabbim	demi ystephek al saggi in
هنِّيشفاخ بِعَد رَبِّيم	دامي يستفك على ساجي إن

(12) Gressmann, cited by Lietzmann, *Mass and Lord´s Supper*, p. 184.

وهذه الحقيقة نجدها واضحة جداً في قوانين القديس أثناسيوس الرسولي التي سنأتي إلى شرحها فيما بعد.

إعطاء الدم صفة دم الذبيحة:

وهنا الفعل جاء في الأصل اليوناني في حال المضارع المستمر Present Participle، وهذا بسبب قصور اللغة اليونانية في ترجمة الأصل العبري أو الأرامي الذي نطقه السيد المسيح. فالمسيح نطق الكلمة في وضعها المصدري. والمصدر في اللغة العبرية والأرامية ليس له زمن «هذا دمي **مسفوكاً**» والذي يحدِّد زمن المصدر هو واقع الجملة وزمانها. أمَّا في العربية فتُرجم المضارع الدائم في صيغة الفعل المضارع المبني للمجهول.

والمصدر في اللغة الأرامية لا يُستخدم أصلاً إلاَّ للتعبير عن حالة مؤكَّدة الوقوع حالاً أو متوقعة أكيداً[13]، أي أن الرب هنا يصف الكأس الذي يقدِّمه، أنه ليس مجرد دم بل **دمٌ مسفوكٌ** كصفة محتَّمة أو واقعة بالتأكيد. أي ليس هو دماً طبيعياً أو عادياً هذا الذي يعطيه لهم في الكأس، بل دم ذبيحته!!

وكلمة «مسفوك» هي تعبير في لغة الذبائح لا يصح استخدامه في حالة القتل أو الموت الطبيعي، وذلك بحسب ما جاء في الترجمة السبعينية[14]، حيث أن السفك يشمل معنى السكب على المذبح «يُسفك على المذبح»

ويُلاحَظ أن الرب هنا يشير إلى نبوَّة إشعياء «وسكب للموت نفسه» (إش 12:53). هنا كلمة «سكب» جاءت بالعبرية he'erah هِعِراه. وقد تُرجمت في الترجمة السبعينية إلى paredÒqh، ولكن إذا رجعنا إلى الأصل العبري نجد أن كلمة إشعياء يناسبها kcÚnnein™ أي «يُسفك» وليس «يُسكب.»[15]

وهكذا نلاحِظ أن في استخدام الرب لكلمتي «الجسد» و «الدم» كل منهما منفصلة عن الأخرى في وقتها وفي طقسها، ثم استخدامه **لصفة** «**المسفوك**» بالنسبة للدم؛ كل هذا يحتِّم على القارىء أو السامع أن يدرك ضمناً أن المسيح إنما يتكلَّم عن نفسه كذبيحة[16].

(13) C. F. Burney, *The Aramic Origin of the Fourth Gospel*, Oxford, 1922, p. 94; J. Jeremias, *Euch. W. of Jes.*, p. 178.

(14) *Ibid*, p. 222.

(15) ولكن اختيار السكب هنا يناسب الخمر كما أن الكسر يناسب الخبز، وسكب الخمر اصطلاح ذبائحي أيضاً معروف في طقس ذبائح العهد القديم (عد 5:15).

(16) C. F. Burney, *op. cit.*, p. 178.

فالمسيح يقدِّم نفسه على هيئة عنصرَيْ الذبيحة، جسد ودم ذبيحة كاملة، كل منهما قائم بذاته(17).

وهو يشير بذلك ضمناً أيضاً إلى أية ميتة سيموت، فهو يكاد يصوِّر نفسه مذبوحاً، مع العلم بأن الصليب لا يمثِّل الذبح تماماً، لأن موت الصليب لا يكون من أثر ذبح أو إهراق الدم فقط، بل ومن جراء عوامل أخرى أيضا. ولكن المسيح يُمعِن في تصوير الذبح لكي ننتبه إلى أن موت الرب بحد ذاته إنما هو ذبيحة. وهو وإن كان في العشاء يقدِّم الجسد بصفة «**المكسور**» والدم بصفة «**المسفوك**»، فهو أيضاً إمعاناً منه في توضيح عنف الموت الذي سيموته**!!**

ننبِّه القارىء إلى أن كلمة «**المكسور**» التي استخدمها الرب ليلة العشاء واصفاً بها جسده الممزَّق على الصليب، استخدمها الآباء الأولون ليس فقط كصفة للخبز المتحوِّل للجسد، بل «كإسم» حيث يُقال: [«هذا المكسور» الموضوع أمامك، وكما وُضِع هذا «المكسور»]. وذلك إمعاناً في إعطاء الخبز المتحوِّل بالتقديس والصلاة والمقسَّم في الصينية نفس حالة الجسد الممزَّق على الصليب**!**

كذلك لا نستطيع أن نتجاهل المناسبة التي يقول الرب فيها هذا الكلام، فهي مناسبة فصحية، الفصح على الأبواب، فالإشارة واضحة إلى خروف الفصح، المسيح يقدِّم تقدمة فصحية، «حمل الله» هنا تتطابق ليس فقط النبوات، بل وكلام يوحنا المعمدان وهو يشير بأصبعه إلى المسيح. إذاً، فالأكل والشرب هما أكل وشرب من حمل الله، الفصح السماوي.

فالأكل من الجسد شركة في حياة الرب للخلاص: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ... والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.» (يو 51:6)

والشرب من دم الرب شركة في موت الرب: «كلما ... شربتم هذه الكأس **تُخبرون بموت الرب**.» (1كو 26:11)

وهكذا يتضح لنا أن عملية الاشتراك في ذبيحة المسيح قصدها الرب أن تكون كاملة **جسداً ودماً**، كلاًّ على حدة، حتى تتم شركة كاملة في المسيح كذبيحة، **في حياته وفي موته!!** وقد سبق الرب وأنذر أن كل مَنْ لا يأكل **جسد** الرب **ويشرب دمه** لا تكون له **حياة** في ذاته، نحن ليس لنا حياة أبدية في ذواتنا؛ بل **المسيح أعطانا حياته**، التي في جسده ودمه**!!**

رابعاً: يُسفك «**عن**» (**من أجل**) كثيرين (Øpšr) وبالأرامي «على» كثيرين:

(17) Billerbeck, II, 275, 279; III, 260 f.

واضح أن الموت هنا كفَّاري، «الذبيحة كفَّارية»

يقول الرب هنا أن دمه يُسفك «من أجل كثيرين» يكشف مرة واحدة عن أنه يتكلَّم عن ذبيحة نفسه، ثم يعطيها صفتها أنها ذبيحة كفَّارية، أي كهنوتية، «من أجل كثيرين» ـ إذاً فهي مقدَّمة لله، إذاً فهي لها كل صفات المقدَّسات. فالجسد هنا مقدَّس، والدم هنا مقدَّس، فكلاهما مقدَّم على مذبح الله السمائي: و «هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم» (لو 22:19) أمام الله، «هذا هو دمي، الذي يُسفك عنكم» (مت 26:28، لو 22:20) أمام الله، وهذا التكرار يعني أن كلاً منهما ـ أي الجسد والدم ـ له عمل على مذبح الله السمائي!

الرب هنا يزيد كلامه وضوحاً، فهو لا يتكلَّم فقط بلغة الذبائح، بل بدأ يحدِّد ويعيِّن صفة ذبيحته وعملها. فالجسد الذي كسره وأعطاه لتلاميذه هو جسد ذبيحة كفارية (يُبذل عنهم)، يستبدل لهم حياة بحياة أو على وجه الأصح حياة بدل موت، والدم الذي يقدِّمه لهم في الكأس هو دم ذبيحة كفَّارية « مسفوك عنهم» أو «عليهم» بحسب التعبير الأرامي، لمغفرة الخطايا التي هي سبب الموت، والتطهير والتقديس وإعطاء «روح» الحياة الجديدة لأن هذا هو عمل الدم ووظيفته في الذبيحة.

+ «ويكون لكم الدم **علامةً على** البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم **وأعبر عنكم** فلا يكون عليكم ضربة **للهلاك**.» (خر 12:13)

هنا لا يزال لون التعبير الذي يعبِّر به الرب عن ذبيحته لوناً فصحياً، فهو يشعر فعلاً أنه «حمل الله» وأنه الفصح السماوي، جسده هو خبز الحياة ودمه هو شرب الحياة. فهو فصح أبدي، فصح النهاية eschaton التي ترقبتها الأجيال لتجد فيها الخلاص. نبوَّة إشعياء كانت ماثلة دائماً أمامه «سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة. وهو حمل **خطية كثيرين** وشفع في المذنبين.» (إش 53:12)

إذاً، ليس كما أكل آباؤهم الفصح وهلكوا وأكلوا المن وماتوا، وشربوا من الصخرة وعطشوا وسقطت جثثهم على قفر التيه في سيناء وتبدَّدت أجيالهم. هنا الحمل الحقيقي ¢lhqinÒj، جسده مأكل حق ¢l»qeia أبدي، ودمه مشرب حق ¢l»qeia أبدي. والذين يأكلون ويشربون منه يعيشون الأبدية، يثبتون فيه وهو فيهم إلى الأبد ولا يموتون، لأن ذبيحته قائمة أمام الله على مذبح الله، أبدية، **تشفع** «**كل حين**» (عب 7:25)، **وتخلِّص** «**إلى التمام**» (عب 7:25) كل الذين يتقدَّمون به إلى الآب، الذين يأكلونه بالروح والحق.

خامساً: من أجل «**كثيرين**» pollîn ـ عِظم وشمول عمل الذبيحة وأثرها:

هنا تحديد كلمة «كثيرين» (أي تحديد مَنْ هم هؤلاء «الكثيرون») يحدِّد بالتالي إحدى صفات هذه الذبيحة الكفارية المقدَّمة لله. فمن الواضح أن هذه الكلمة: «كثيرين» مقصودةٌ بها تماماً ما قصده إشعياء النبي في نبوته الكاملة عن ذبيحة المسيح الكفارية والكهنوتية المقدَّمة لله. «حمل خطية **كثيرين** وشفع في المذنبين.» (إش 53:12)

إذاً، يلزمنا هنا أن نعرف حدود قصد إشعياء النبي من هؤلاء الـ«**كثيرين**». مَنْ هم هؤلاء الكثيرون؟ وخصوصاً في اعتبارات الفكر المعاصر لزمن المسيح، حتى ندرك فكر المسيح؟

ولكن تواجهنا في ذلك صعوبة شديدة إذا رجعنا إلى علماء التلمود، فلا يوجد سفر لوَّثه اليهود بشروحاتهم، في كل كتبهم القديمة والحديثة، مثل سفر إشعياء النبي وبالأخص أصحاح 53، بسبب أنه يحمل نبوات واضحة ومركَّزة على آلام المسيح وموته وذبيحته الكفَّارية.

وقد قام أخيراً عدة علماء في دراسة الكتاب بلغاته القديمة، ومحَّصوا هذا الأصحاح بالذات في المخطوطات القديمة والتي اكتُشفت في وادي قُمران حديثاً. وقد واجهوا في شروحات الربيين تحيُّزات يهودية، وذلك بقصرهم معنى الكلمة على بيت «إسرائيل **فقط**» وما يماثل ذلك. فجاء شرحهم لكلمة «كثيرين» هكذا: «الكثيرون من **بيت إسرائيل**» «الأغنياء والفقراء من بيت إسرائيل بدون تمييز» «كل أجيال **بيت إسرائيل**» «الذين عبدوا العجل الذهبي في سيناء» «كل المدعوين إلى الحياة الذين يشاء الله أن يخلِّصهم من **بيت إسرائيل**» «الملوك والأقوياء والخطاة من **بيت إسرائيل**» «الأشرار الذين تركوا الله **من اليهود**»

وعلى العكس من ذلك تماماً، وجدوا أن الكتب المعاصرة لإشعياء النبي وما بعده إلى زمن المسيح، مثل سفر أخنوخ، وحكمة سليمان، اتفق الشرَّاح والربِّيون فيها على أن كلمة «الكثيرين» التي قصدها إشعياء النبي تشير «**إلى الأمم** الذين لا يملكون أن يدافعوا عن أنفسهم فيقفوا صامتين وخجلين وتائبين أمام المسيَّا» «وبالأخص أولئك الذين تنفتح عيونهم فجأة على منظر المسيَّا وهو حامل خطاياهم، في الوقت الذي فيه كانوا لا يعتدُّون به بسبب منظره وهيأته غير المناسبة**!!**» [18]

ولكن واضح من استخدام كلمة «كثيرين» كما جاءت في النص الإفخارستي لإنجيل القديس مرقس الرسول، أنها هي في وضعها العبري الأصيل كما قصدها المسيح تفيد الكثرة التي تشمل ضمناً

(18) Dalman, Feldmann, Hegermann, cited by J. Jeremias, in *Euch. W. of Jes.*, p. 228 f.

«كل واحد» وهذا بسبب عدم وجود كلمة «كل» في اللغة العبرية[19] بالمعنى الشمولي للكلمة. ذلك لأن كلمة «كُلّ» العبرية تختلف في مضمون معناها عن كلمة «كل» العربية، فهي تعني في العبرية « الإجمالي» ولكن ليس «الكل» الشامل، بينما كلمة «رَبِّيم» تُترجم بالعربية «كثيرون» وتعني «الكل الشامل بما يحويه من كثرة»

و «الكل» هو المقصود الأساسي من الكلمة. وقد أوضحها جداً يوحنا الرسول في إنجيله عند قوله: «والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل **حياة العالم**.» (يو 51:6)

لذلك فكلمة «كثيرين» بحسب فكر إشعياء النبي وبحسب فكر المسيح والنص الإفخارستي هي « الكثرة التي تحوي كل واحد» أي الدم المسفوك عن شعوب العالم، شعوب الأرض في كثرتها التي تحوي كل إنسان، كل الأجيال، إلى الأبد = «حياة العالم»

هنا مقدار شمول الكفَّارة لشعوب الأرض وأثرها المستمر إلى الأبد، يوضِّح عِظم مقدار الذبيحة وعمق أثرها وامتداده. إذاً، فالمسيح عندما قدَّم جسده ودمه لتلاميذه، قدَّم جسد ودم ذبيحة إلهية بلا شك، كون فعلها شاملاً وأبدياً.

ولعل في قول الرب: «اشربوا منها **كلكم**» إشارة إلى هذا الشمول عَبْر كل العالم وكل الدهور، ثم استطراد الرب في ا لحال بالقول: «ولكن هوذا يد الذي يسلِّمني هي معي على المائدة» (لو 21:22) إشارة إلى قصور البشرية قصوراً فاضحاً عن قبول هذا الخلاص الكلي والحياة الأبدية الشاملة للعالم، وذلك ممثَّلاً في يهوذا واحد من الاثني عشر، وتلميذ من المقرَّبين خان وسقط بعيداً عن عمل الذبيحة**!!**

---

(19) يُلاحَظ في القداس أن هذه المشكلة واجهت المترجم القبطي من اللغة العبرية في العصور الأُولى فترجمها «ويُعطي كل واحد فواحد كنحو أعماله» وذلك لعدم وجود كلمة «كل» في الأصل العبري بالمعنى الشمولي للكلمة.

راجع: J. Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, pp. 179-182.

5 – خذوا كلوا ... خذوا اشربوا منها كلكم!!

هذا «دمي»، هذا «جسدي»

«**حضور الرب، وسر الشركة**»:

لقد حرص الرب بعد أن بارك الخبز مباشرةً أن يمنحه – بقوة الكلمة – سلطان التحوُّل إلى جسده، وهو على يده، قبل أن يسلِّمه لتلاميذه ليأكلوه، ثم قال: «خذوا كلوا هذا هو جسدي» وبنفس الدقة وبنفس الترتيب حرص – بعد أن بارك على الكأس مباشرةً – أن يعطيه قوة الكلمة المحوِّلة، لكي يصير دماً له، وهو في يده، قبل أن يسلِّمه لتلاميذه ليشربوه. ذلك عن قصد واضح، وهو أن **يأكل التلاميذ الجسد ويشربوا الدم معاً فيصيروا في اتحاد وشركة مع المسيح ومع بعضهم البعض**. لأنه كان ممكناً أن يؤجل المسيح إلى ما بعد العشاء، وبعد الأكل من الخبز وشرب الكأس، يؤجل الكلام عن الخبز والخمر وشرح كونهما جسداً ودماً هذا إن كان الأمر مجرد كلام أو شرح أو رموز، لأن ذلك كان يُعتبر أكثر مناسبةً كحديث ما بعد العشاء.

ولكن أن يكون التوقيت بهذه الكيفية وهذه الدقة في كل من الخبز والخمر، كلٍّ على حدة، حتى يأكل التلاميذ خبزاً متحولاً إلى جسد وخمراً متحولاً إلى دم، فهذا له بالضرورة اعتباره العميق السري!

فالأمر هنا له هدف واضح في اعتبارات السيد، فالتلاميذ سيصبحون محتاجين أقصى الاحتياج – بعد ارتفاع الرب – إلى وحدة سرية تجمعهم إلى شركة، وما من سبيل إلى ذلك إلاَّ بوجود الرب نفسه!! أو على وجه الأصح باستمرار وجوده، فإن كان يتحتَّم ارتفاعه كذلك يلزم حضوره!!

إذاً، ف «هذا جسدي كُلُوه» و «هذا دمي اشربوا منه كلكم» هما دعوة سرية إلى شركة فيه واتحاد. الجسد هنا حضور. إذاً «**هذا جسدي» تعني باللغة السرائرية «هذا حضوري»** – أو بحسب اصطلاح الرب الذي كان محبوباً عنده: «**أنا هو** Ego Eimi لا تخافوا» **! والدم أيضاً حضورٌ حيٌّ**، و « هذا دمي اشربوا منه كلكم» يعني باللغة السرائرية «**هذا حضوري، وحياتي أيضاً**».

وقد حرص الرب أن يعطيهم جسده ودمه معاً، لأن الوجود في هيئة كاملة – أو على مستوى كياني كامل – **يستلزم أن يكون بالموت والحياة**، باللحم والدم، مأكولاً ومشروباً، على أعلى مستوى سري أو إلهي «بالحق»

فالإفخارستيا هنا وفي هذا الوضع السرائري الدقيق، تحقق **حضوراً سريًّا للرب: على مستوى الموت والحياة**، مأكولاً ومشروباً بالحق!! الرب هنا **يهب نفسه** «خذوا كلوا جسدي، خذوا اشربوا دمي» وبالتالي يهب حضوره مصلوباً ومُقاماً كوعده، ليكون في وسط الجماعة المسبِّحة دائماً وإلى الأبد تحقيقاً لوعده: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 20:28)، وتحقيقاً لاسمه النبوي « عمانوئيل» الذي تفسيره «الله معنا» !

حضور الرب هنا ومن داخل الأسرار، كمأكول ومشروب، يُنشىء شركة koinwn…a، **شركة أعضاء روحانية، متحدة في الرب، تستمد منه وجودها الكلي والفردي**، الجسد هنا يتجلَّى من وضعه السري غير المنظور على المذبح إلى أعضاء منظورة حية، تعمل، وتشهد لوجود المسيح، وتجاهد، بتدبير الرأس.

والمسيح يعلن وجوده في هذه الشركة وفي كل عضو بقدر العمل والشهادة والجهاد. الإفخارستيا بهذا المعنى «**حضور**» و«**عمل**» للرب معاً. **الرب يحضر أولاً في الكنيسة بالإفخارستيا، ثم ثانياً بعد اكتمال الشركة يعمل فيها وبواسطتها**، ككل، ومع كل فرد، بقدر ما تستجيب الكنيسة وبقدر ما يستجيب الفرد لحضوره!!

ولكن يلزم لكل إنسان في الكنيسة أن يدرك تماماً وعن يقين أن الرب له عمل متكامل مع كل فرد ومع كل كنيسة، فهو ينقِّي ويطهر ويدين الأفكار والنيات وآراء القلوب الخفية والأعمال الظاهرة والمختفية، وإن لزم الأمر يوبِّخ وينذر، وإن لزم الأمر أكثر يؤدِّب، وأخيراً إن لزم الأمر يقطع ويطرح خارجاً.

يلزم أن ننتبه إلى أن مَثَل الكرمة قاله الرب بعد العشاء، بعد أن أكل التلاميذ وشربوا من سر جسده ودمه، فمَثَل الكرمة يختص أساساً بالتناول والمتناولين، فبعد أن تعشوا قال لهم: «قوموا ننطلق من ههنا » وبينما هم منصرفون عن المائدة، قال لهم: «أنا هو الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام. كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه (الكرَّام = الله الآب) وكل ما يأتي بثمر ينقِّيه ليأتي بثمر أكثر» (يو 1:15). هذا ما قاله بعد أن أكلوا وشربوا من جسده ومن دمه السرِّيين. إذاً، **فمَثَل الكرمة يصوِّر الاتحاد الذي يتم بين كل فرد يتناول من جسد المسيح ودمه وبين جسم المسيح الكرمة الحقيقية، أي الكنيسة.**

والمَثَل كله يشرح قانون الشركة الذي يجمع الكل في المسيح، فكل عضو لا يأتي بثمر لا يتركه الرب عالة على الجسد، بأكله بلا ثمر، بمعنى أن الذي لا يُمجِّد ويشهد للمسيح وفي نفس الوقت لا

يعمل ويتعاون مع الأعضاء ينذره الرب ثم يقطعه، فيصبح فجأة وإذا هو بلا نعمة ولا قوة ولا بركة؛ أمَّا الذي يأتي بثمر فالرب لا يتركه، لأن عضو الشركة مطالَب دائماً بإثمار مستمر ومتزايد أيضاً. فإذا تكاسل أو أهمل أو استهان بالشركة، وأضرَّ بحياة الإخوة وأعثر الصغار أو استعلى أو تصامم عن مطالب الكنيسة وواجباتها، يصبح وإذا يد الرب عليه ثقيلة، ودون أن يدري يجد نفسه واقعاً تحت التأديب.

القديس بولس الرسول يوضِّح ذلك بلا مواربة: «**ليمتحن الإنسان نفسه** وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس، لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق (مستهيناً بقانون الشركة) يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميِّزٍ جسد الرب.» (1كو 11: 28و29)

جسد الرب هنا هو المسيح نفسه أولاً، ثم الكنيسة أيضاً باعتبارها جسده السري.

إذاً، فالشركة بصورتيها ــ أي سر الشركة مع الرب في الإفخارستيا، وسر الشركة مع الكنيسة بالإفخارستيا ــ هما ليسا كأنهما بلا قانون أو بلا محاسبة**!!**

بولس الرسول يعتبر أن أي إخلال بقانون الشركة وسرِّها هو جريمة توقع صاحبها تلقائياً تحت العقاب: «إذاً أيُّ مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب **بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه** ... من أجل هذا **فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون**. لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا **لما حُكم علينا**.» (1كو 11: 27ـ31)

ثم يوضِّح بولس الرسول موقف الرب المرعب والمخيف إزاء المستهينين بسر الشركة: «ولكن إذ قد حُكم علينا **نؤدَّب من الرب**» (1كو 32:11)، إذاً، ليس باطلاً صراخ الشماس على مدى القداس: «انصتوا بحكمة الله، انصتوا بخوف الله، قفوا بخوف من الله، اسجدوا لله بخوف ورعدة» ولماذا هذا الخوف؟ ولماذا الرعدة في الإفخارستيا إلاَّ بسبب حضور الرب، ولماذا حضور الرب يكون مخيفاً هكذا ومرعداً؟ أليس لأن حضور الله هو بحد ذاته كشف خطايا ودينونة وفضح آراء القلوب الخفية؟ ألم نقل أن «يوم الرب «» كيرياكي» هو يوم القضاء**!!**

وأخيراً، يلزم أن نوضِّح أنه ما بين حضور الرب والشركة في جسده ودمه، علاقة غاية في الدقة والأهمية يقوم عليها سر الإفخارستيا كله.

أمَّا الشركة التي أسسها المسيح في الإفخارستيا من جسده ودمه، ومن أحد عشر تلميذاً، ثم

رافقها بتدبيره، فهي الكنيسة الحية التي صارت ألوف ألوف وربوات ربوات، والتي لا يزال يقودها منذ عشاء الخميس عَبْر كل الدهور، حتى اليوم، وإلى الأبد. فهي جسده وهي دمه، أي هي حضوره في الإنسان، وهي أيضاً تدبيره وعمله «نحن عمله» (أف 10:2)، أي أن الكنيسة هي جسده، وهو أيضاً رأسها المسئول عنها الذي يحركها، هي شركة المفديين من العالم الذين يقودهم المسيح ويهديهم إلى ملكوته!!

هذه هي هبة الإفخارستيا العظمى التي وهبها المسيح للعالم، **فهو جاء لا ليموت فقط لأجل حياة العالم، بل لينشىء من جسده ودمه – من الإفخارستيا – حياة جديدة للإنسان** «**شركة الإنسان** الجديد» أو بتعبير بولس الرسول «شركة القديسين» الذين يمثلون العالم الجديد، أي الكنيسة، والتي يملك عليها المسيح سرًّا، بحسب تعبير سفر الرؤيا والقداس في مخاطبته للمسيح بقوله: [يا ملك القديسين]. يملك عليهم ويقودهم إلى ملكوته!!

أمَّا العنصر الأساسي الذي أبقى على هذه الشركة الإلهية أي الكنيسة، ولا يزال مبقياً عليها ضد عوامل الزمن والانحلال البشري، فهو سر حضور الرب الدائم بالإفخارستيا «فإننا نحن الكثيرين **خبزة واحدة، جسد واحد،** لأننا **جميعنا نشترك** في الخبزة الواحدة.» (1كو 17:10)

6 – «وبارك وقال ... هذا هو العهد الجديد بدمي»

عند كلامنا على بركات العهد القديم، رأينا كيف تجلَّت الخليقة المنظورة لإسرائيل وأعطت من ناموسها الفائض في النبات والحيوان والأرض والسماء وأغدقت، حسب أمر الله، على الشعب المبارك.

هكذا كانت المجازاة لكل مَنْ سمع لكلمات الرب ووصاياه، بركات في النسل وبركات في الحقل وبركات في الحظيرة وبركات في البيت، بركات في السلم وبركات في الحرب.

ولم يكن هذا أمراً عجيباً، فالخليقة لا تزال أبداً محتفظة ببركتها التي باركها بها الله يوم خلقها، وهي لا تزال رهن إشارة الله، تعطيها لمنْ حلَّت عليه بركة الله وانفكَّ من اللعنة الأُولى. أمَّا اللعنة التي استُعلنت قديماً بالأمراض والآفات والإخفاقات، فقد أصابت الخليقة لما أصابت الخطية الإنسان وأسقطته. وهي لا تزال تنتظر عتقها من الفساد، عندما يفوز الإنسان أخيراً بفداء الجسد**!!** «لأن الخليقة تئن وتتمخَّض معاً إلى الآن منتظرة التبنِّي فداء أجسادنا.» (راجع رو 8: 22و23)

ولكن البركات الكثيرة، والكثيرة جداً، التي فاز بها شعب إسرائيل، لم تدُمْ عليه لأن أذنيه ثقلتا عن سماع الرب وعينيه زاغتا وراء الشهوات والمحرَّمات، احتقر الوصية، وداس العهد، وأهان اسم القدوس في الباطل، ورفض «المسيَّا» رجاء إسرائيل الوحيد الذي عليه بركة الدهور كلها.

بركة العهد الجديد:

حينما أخذ الرب الخبز على يديه ليبارك، لم يطلب البركات للأرض والبركات لخبز الأرض. وحينما أخذ الكأس على يديه، لم يبارك الكرمة ولم يبارك نتاج الكرمة. ولم يبارك الرب الأرض المشتهاة – أرض فلسطين التي تفيض لبناً وعسلاً «الوفيرة الخيرات» بحسب صلوات «البِراخوث» – ولا بارك عهد الختان الذي ختمه على لحمهم، ولا بارك مملكة بيت داود للتسلُّط على كل الأمم. وعلى العموم، فكل بركات العهد القديم التي كانت تدور حول الأرض والطعام ورفاهية الحياة وعز الملوكية وإخضاع الشعوب، لم يذكر المسيح من هذه البركات شيئاً على الإطلاق.

ولكنه قال بركته الجديدة على الخبز: هذا جسدي المكسور كُلُوه. وقال بركته الجديدة على الخمر: هذا دمي المسفوك لأجلكم ولأجل كثيرين اشربوه، «**هذا هو عهدي الجديد معكم لغفران الخطايا** ... اصنعوا هذا لذكري، وسأشربه معكم جديداً في الملكوت الآتي.» ▪ إذاً، لقد صارت البركة لا في الخبز ولا في الخمر، بل في جسد مكسور ودم مسفوك**!**

- إذاً، لقد صارت البركة لا في أرض الموعد المشتهاة الكثيرة الخيرات لشبع إسرائيل، التي تُخرج الخبز والخمر، بل في الرب يسوع مشتهى كل الأمم الذي قدَّم جسده ودمه ذبيحة فداء لأجل حياة العالم كله.
- إذاً، لقد صارت البركة لا في الأكل والشرب حتى الشبع والملء والرفاهية، **بل في غفران الخطية**.
- إذاً، لقد صارت البركة لا في عهد مختوم على لحم إنسان، بل **في عهد مختوم على القلب بدم ابن الله**.
- إذاً، لقد صارت البركة لا في عهد يربط الإنسان بالأرض، **بل في عهد جديد (بالروح القدس) يربط الإنسان بالسماء**.
- إذاً، لقد صارت البركة لا في مملكة بيت داود للتسلُّط على كل الشعوب، بل في **ملكوت الله لخلاص كل الشعوب**.

لقد أعاد الرب يسوع إلى الإنسان لا البركة المادية المفقودة بالخروج من أرض الفردوس، بركة الأكل بالراحة والشرب بالمسرة والصحة والقوة والتسلُّط على الخليقة، بل **البركة الروحية المفقودة بالخروج من أمام وجه الله!!**

فالإنسان بسقوطه في العصيان فَقَدَ بركات وجه الأرض الطيبة، وفَقَدَ بركات وجه الله، معاً.

أمَّا بركات العهد القديم فكانت استعادة جزئية لبركات أرض الفردوس الطيبة في صورة أرض الميعاد التي تفيض لبناً وعسلاً، «أرض الخيرات الوفيرة» التي كان يصلِّي من أجلها اليهود عابدين بكل جهد ليل نهار ولا يزالون!

وأمَّا بركات العهد الجديد فهي استعادة نور الله في وجه يسوع المسيح الذي أعطانا جسده ودمه « عربون» التواجد الدائم مع الله في ملكوته.

إذاً، فليست لنا الآن بركة على الأرض. بركتنا هي في السماء، هي في المسيح «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي **باركنا بكل بركة روحية، في السماويات في المسيح**» (أف 3:1). ليس كأننا قد فقدنا الأرض بالمسيح، بل قد ورثنا السماء على الأرض!

المسيح لم يتألم ولم يمُت على الصليب لكي يُعيد لنا بركات الأرض المفقودة جزئياً، بل ليعيد لنا بركات

السماء التي فقدناها فقداناً كليًّا، حتى لم تعد تراها عين أو تسمع بها أذن، أو تخطر على قلب بشر.

وحينما أعطانا جسده ودمه في الإفخارستيا، وهبنا القوة والقدرة ومفتاح السر المخفي المؤدِّي إلى طريق الأقداس لنعبر به من العالم ــ بالخبز والخمر ــ بل بالجسد والدم، إلى السماء، إلى الله**!!**

لقد أعطى لنا بركة الإفخارستيا الجديدة التي تهيئنا، لا لكي نستوطن الأرض ونحوِّل لعنتها بالصلاة إلى بركة كالعهد القديم، بل **لأن نحصل على وطن أفضل ــ أي سماوي ــ بجسد يسوع المسيح**، «**لأن ليس لنا هنا مدينة باقية**.» (عب 14:13)

وفي الإفخارستيا نقدِّم أنفسنا والعالم كله لله، في ذبيحة المسيح ليحوِّل الكل ويجمع الكل إلى ملكوته.

في القداس نصلِّي من أجل الهواء والمطر والزروع والعشب ونبات الحقل وكل شجرة مثمرة والمياه والينابيع والأنهار والمدن والجزائر والأديرة والكنائس والملوك والرؤساء ومداخلنا ومخارجنا ومن أجل شفاء أمراضنا، ليباركها الله ــ لا ببركة العهد القديم لتزيد وتفيض وتُخرج أسرار ناموسها الفائض ــ بل **ببركة العهد الجديد ليكون لنا فيها وبواسطتها شركة مع الله وسلام**، لنرى فيها نعمته وعمله، لا لكي نأكل منها ونشبع ونتقوى وتملك أيدينا ويتسلط سيفنا، بل لتتجلَّى فيها رحمة الله علينا ويتجلَّى لنا في مجيئها وذهابها، في كثرتها وقِلَّتها، يتجلَّى سواء في وجودها أو إلى عدمها تدبير الله ومسرة مشيئته نحونا، مكتفين منها جميعاً على أحسن وجه بالكفاف**!!** كما يقول القداس **[وإذ يكون لنا الكفاف في كل شيء، كل حين، نزداد في كل عمل صالح!!]** (أوشية الثمار) ... «إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما.» (1تي 8:6)

في بركة العهد القديم الله جعل الخليقة تتجلَّى لتكشف عن ناموسها الفائض لتعطي من أسرار خيراتها وقوتها وصحتها وملء نجاحها المادي، للذين يطيعون وصاياه، بحسب بركة الله الأُولى لها «لتثمر وتكثر وتملأ الأرض.» (راجع تك 22:1)

أمَّا في بركة العهد الجديد، فالله نفسه تجلَّى في شخص ربنا يسوع المسيح، ويسوع المسيح نفسه تجلَّى في جسد نوراني ووجه يلمع كالشمس، لكي بهذا الجسد الذي أعطانا إياه في سر الإفخارستيا **تتجلَّى الخليقة فينا وعلى أيدينا** (وكرمز لها: الخبز والخمر)، ونتجلَّى معها، فيرتسم نور وجه الله علينا تحقيقاً للطِلْبة: «ليحلّ روح قدسك علينا وعلى هذه القرابين» (الخولاجي المقدَّس صفحة 230)، وندخل إلى حضرة الله، ونعيش في ملكوته كعربون لعودتنا إليه يوماً لنحيا معه إلى الأبد.

الخليقة الجديدة ـ ممثَّلة في الخبز والخمر لما تتجلَّى بالروح القدس ـ لا تُظهر ناموسها المادي الفائض كأن تكفي خمس خبزات لتشبع خمسة آلاف (كوليمة أغابي عظيمة)، **ولكن تتجلَّى لكي تُظهر الله الذي فيها فيرتسم وجهه عليها** بالإيمان كإفخارستيا التحوُّل للمجد، كقول القداس: [**أَظهِرْ وجهك** على هذا الخبز وعلى هذه الكأس] (أوشية التقدمة)! هنا استعلان وتجلٍّ!!

أمَّا البركة في العهد القديم ـ التي بإظهار الناموس الفائض ـ التي مارسها الرب أيضاً في خمس الخبزات وماء عرس قانا الجليل، شهادةً على أنه رب البركة الأُولى أيضاً ـ كانت أولاً وأخيراً للشبع والملء، ونادراً ما كانت لذكر الله أو تمجيده. «وقال الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل **لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم**، اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية (الإفخارستيا) الذي يعطيكم ابن الإنسان، **لأن هذا الله الآب قد ختمه** (أظْهَرَ وجهه عليه)[20].» (يو 6: 26و27)

هذه هي بركة العهد القديم، وهذه هي بركة العهد الجديد.

أمَّا البركة القديمة فهي للشبع والملء ونسيان الله، ونهايتها الزوال والموت (الطعام البائد). أمَّا البركة الجديدة، وإن كانت بالطعام أيضاً ومن خلاله، ولكنه محسوب أنه طعام باقٍ، غيرُ بائدٍ للحياة الأبدية. الله الآب ختمه (أي أظهر وجهه عليه)، وجعل اسمه فيه، أخذناه ونأخذه من يد الرب «الذي يعطيكم ابن الإنسان» !

ونحن نأخذ ليس الخبز والخمر فقط على المذبح من يد المسيح مختوماً بيد الله الآب والروح القدس، لنأكله جسداً حقيقياً ودماً حقيقياً، بل وأيضاً نأخذ كل شيء من يديه؛ ففي الإفخارستيا، نأخذ كل شيء في هذه الحياة وكل أعمالها ومهامها، حتى أحزانها ودموعها وأمراضها وقلقها وظلمها، نأخذه من يدي المسيح مختومة بالصليب، نأخذه كجزءٍ لا يتجزأ من إفخارستيا الأبدية، فيختم علينا الله بختمه كما يختم على ذبيحة المسيح: «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح.» (رو 8:36)

أليست هذه أيضاً هي بركة العهد الجديد؟

(20) هذا الختم تشير إليه قوانين الرسل أنه هو المذكور عنه في سفر الرؤيا: «مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من المنِّ المخْفَى وأُعطيه حصاة بيضاء، وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد غير الذي يأخذ» (رؤ 17:2) باعتبار أن الحصاة هي الجوهرة أو جزء الجسد (الذي عليه ختم واسم المسيح ينظره مَنْ يأكل).

7 ـ «دم العهد»
«هذا هو دمي الذي للعهد الجديد
الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا»
(مت 26: 28)

هذا تعبير ناطق أشد النطق بأن الرب كان يقدِّم للتلاميذ وقت العشاء ذبيحته الحية التي كان يقدِّمها في نفس اللحظة أمام أبيه في السماء!

هذا أشد تعبير عن سمو ذبيحة المسيح وسرِّيتها غير المدركة بالقياسات العقلية والزمانية، أو على مستوى الحوادث، إذ كان لا يزال باقياً على الصليب يوم كامل، **ولكن استُعلنت ذبيحة الرب على مستوى أواخر الدهور وملء الزمن واكتمال كل شيء، أليست هذه ذبيحة أبدية؟**

المسيح هنا يعلن ذبيحته على مستوى سمائي، قبل أن تُستعلن على مستوى الحوادث الزمنية وحُكم حنان وقيافا وبيلاطس. **الجسد يُرى مكسوراً بمشيئة الله قبل أن يتمزَّق على الصليب بمشيئة الناس، والدم يُقدَّم مسفوكاً بمسرة الآب والابن قبل أن ينسكب على الصليب بمسرة رؤساء الكهنة.**

هنا الإفخارستيا تحمل صورة الصليب على مستوى السر أو النبوة، بل وتحمل القيامة والصعود أيضاً.

على جبل سيناء أبرم الله عهده مع شعبه بدم ذبيحة، بعد أن سلَّمهم الناموس على يدي موسى، عندما بني موسى المذبح وأمر الشعب أن يقدِّموا ذبائح محرقة وذبائح سلامة:

+ «فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس، ونصف الدم رشَّه على المذبح. وأخذ كتاب العهد (المدوَّن فيه الوصايا) وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا: كل ما تكلَّم به الرب نفعل ونسمع له، وأخذ موسى الدم (الذي في الطسوس) ورشَّ على الشعب وقال: **هوذا دم العهد** الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال.» (خر 24: 6ـ8)

يُلاحَظ هنا أن موسى أخذ نصف الدم ورشَّه على المذبح ـ أي قدَّمه أمام الله أولاً ليكون عهداً من قِبَل الله نحو شعبه، ثم أخذ النصف الآخر ورشه على الشعب ليكون عهداً من قِبَلهم نحو الله.

وهكذا بواسطة دم الذبيحة تم تصوير الاتحاد بين الله وشعبه تصويراً نبوياً، باعتبار ما سيكون في عهد مختوم بالدم.

ولكن الملاحَظ أن هذا العهد لم يكتف بختم الدم فقط، بل اعتمد في أساسه على طاعة كلمة الله « كتاب العهد» «**هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال** ـ (بعد أن قرأها لهم)»

والآن حينما قدَّم الرب «**دمه**» لتلاميذه، كان قد انتهى معهم لتوِّه من تقديم «**كتاب العهد**» أي تعاليمه وأقواله على مدى ثلاث سنين، الذي اعتبره الرب كعملية تطهير أساسية بالروح والقلب: «أنتم **أطهار** من أجل **الكلام الذي كلَّمتكم به**.» (يو 3:15)

لذلك تحرص الكنيسة أن تقدِّم قداس الكلمة (قداس الموعوظين) قبل قداس الإفخارستيا (قداس المؤمنين). لأن هذا هو المفهوم الروحي للتطهير الداخلي، أي القلبي والذهني، «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو 2:12). **وهكذا دائماً تتم شروط العهد بين الله وشعبه في العهد الجديد**: «**بالاتحاد مع الله أولاً بالكلمة، ثم بدم المسيح**».

فإن كان موسى قد قدَّم نصف الدم على مذبح الله أولاً، ثم بعد ذلك وبعد قراءة «كتاب العهد »رش الشعب بالنصف الآخر، هكذا ذاق المسيح أولاً من الكأس، ثم أعطاه لتلاميذه ليشربوا؛ كذلك فكأس الدم وهو في يد الرب وقت العشاء، كان في الحقيقة وفي نفس الوقت مقدَّماً للآب مسفوكاً على مذبح الله في السماء. فالمسيح كان وهو على الأرض، دائماً في السماء وفي حضن الآب!

وموسى ليس كالمسيح، فالعهد الذي قدَّمه موسى، قدَّمه كوسيط بين طرفين هما الله وشعبه، أمَّا المسيح فقدَّم عهداً من طرف واحد، لأنه قدَّمه من قِبَل الله كابن (انظر غل 3: 19و20). لأن الدم الذي قدَّمه هو دمه، ودمه هو دم ابن الله، والعهد الذي قطعه معنا هو عهده، وعهده هو عهد الله.

وخادم البيت لا يكون كصاحب البيت حينما يُبرم عهداً مع ساكنيه، هكذا يصف سفر العبرانيين وضع المسيح منا ومن الله: «وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادةً للعتيد أن يُتكلَّم به، وأمَّا المسيح فكابنٍ على بيته، وبيته نحن.» (عب 3: 5و6)

«**لمغفرة الخطايا**»:

هذا هو طابع العهد وجوهره ـ من خلال عشاء الرب ـ وكأنما كل نقطة في كأس الرب وقت

العشاء هي ختم، وكل ختم يُقرأ هكذا: «لمغفرة الخطايا»

الخطية كانت تحجزنا إلى الأبد عن الله، أمَّا دم ألوف الذبائح قديماً، اليومية والموسمية منها فكانت تقف شاهدة على الخطايا. فكانت كتذكار دائم لخطايا الإنسان أمام الله شاهدةً على أن العداوة قائمة والفُرقة أبدية.

وعجز الإنسان يصرخ أمام الله، طالباً مَنْ يسدّ العجز ويدفع الغرامة والدَّيْن. فكانت كثرة الذبائح شاهداً بحد ذاتها على أن الحاجة مستمرة إلى مَنْ يرفع الخطية ويصالح الإنسان بالله.

المسيح جاء بالدم القادر على أن يغفر هذه الخطايا، دم ذبيحة أبدية قادرة على أن **ترفع** خطايا كل العالم. من أجل ذلك كانت مسرة الله الآب أن يبذله لأجل حياة العالم، ومن أجل ذلك نزل ابن الله من السماء وتجسَّد من العذراء مريم، وهكذا اقتنى دماً له فصار هو دم الكلمة ابن الله الذي بلاهوته ــ أو بروح أزلي ــ يستطيع أن يقدِّس ويطهِّر إلى التمام ويغفر خطايا كل مَنْ يتناول منه.

وهكذا رأى المسيح هذه القوة وهذه القدرة في دمه الإلهي «لمغفرة الخطايا» وحينما أعلن الرب وقت العشاء عهد الله الجديد معنا بدمه هذا، والذي سيسفكه على الصليب لمغفرة الخطايا اعتُبر ذلك تأسيساً لسر الخلاص والمصالحة الذي استعلنه الرب بعد ذلك على الصليب بالموت جهاراً**!!**

ولكن ظل الدم في سر العشاء مستحوذاً على المفهوم الأساسي لمغفرة الخطايا، باعتبار أنه هو هو نفس الدم الذي سُفك على الصليب**!!** وظل **الكأس** الذي حمله الرب بيده معلناً أن هذا هو **دمه الذي للعهد الجديد** لمغفرة الخطايا، نعم ظل هذا الدم في الكأس مستحوذاً على مفهوم سر الخلاص الذي **استلمته الكنيسة من الرب** الذي به غفران الخطايا والحياة الأبدية لكل مَنْ يتناول منه، باعتبار أنه يحوي كل سر الصليب**!!** «لقد تسلَّمتُ من الرب ما سلَّمتُكم» ! (1كو 23:11)

لقد استلمت الكنيسة عشاء الرب ومن داخله عمل الصليب والسفك الفعلي للدم والموت، أي كل مقومات غفران الخطايا، ثم أيضاً القيامة والصعود والجلوس عن يمين الآب، وحتى المجيء الثاني للرب، التي هي مكملات الشفاعة والخلاص ونوال الحياة الأبدية كميراث مع المسيح الجالس عن يمين أبيه. هكذا رأى بولس الرسول هذا كله في هذا السر حينما قال «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» ! (1كو 26:11)

لقد استلمت الكنيسة من الرب «سر العشاء» كميثاق العهد الجديد، وكسِرِّ الخلاص الذي من

داخله تقوم كل الأسرار ويُقْبَل ويتم فعلها وثمارها حتى مجيء الرب، ولكن أولها وبالدرجة الأُولى «**مغفرة الخطايا**».

إن العهد الجديد يدور كله حول محور هذه الحقيقة: **أن الله لن يذكر بعد خطايانا بسبب** ذبيحة ابنه التي قدمها عن خطايا العالم كله: «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً** ... أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد.» (إر 31: 31و34)

أمَّا العهد القديم فيقول عنه سفر العبرانيين هكذا: «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمِّل الذين يتقدمون. **لكن فيها كل سنة ذكر خطايا** (أي مجرد ذكر الخطايا أمام الله فقط) **لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع الخطايا** ... وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدِّم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية، **وأمَّا هذا** (**الرب يسوع**) **فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله** (إذ كان ينبغي أن) ينزع الأول لكي يثبت الثاني...» (عب 10: 1ـ9)

وباختصار، كانت ذبائح العهد القديم عبارة عن **تذكار دائم لخطايا الشعب أمام الله**، لكل مَنْ يقدِّم ذبيحة، إلى أن يأتي مَنْ هو قادر أن يحملها عن الخاطيء.

فأصبح العهد الجديد بواسطة ذبيحة المسيح **غفراناً دائماً للخطايا أمام الله**، لكل مَنْ يتقدَّم بذبيحة المسيح، لأنه جاء لكي يحمل خطايانا ويتحمَّل أوجاعنا «وآثامهم هو يحملها» (إش 53:11)، «هوذا حمل الله الذي يرفع خطاية العالم.» (يو 1:29)

8 – «اصنعوا هذا لذكري»

toàto poie‹te e„j t¾n ™m¾n ¢n£mnhsin

إن فهم معنى هذا النص الإفخارستي فهماً واضحاً سليماً، سوف يضيف إلى ذخيرتنا الإيمانية والتقوية آفاقاً جديدة، وسوف يجعل الإفخارستيا بليتورجيتها عملاً أو فعلاً محقَّقاً لأمر المسيح: «**اصنعوا** هذا» تسليماً شخصياً من الرب يسوع نفسه، كقول القديس بولس الرسول: «لقد تسلَّمتُ من الرب ما سلَّمتُكم»

فوصية الرب: «اصنعوا هذا لذكري» تجعل من الإفخارستيا ـ بعد كونها شركة في جسد ودم المسيح ـ رباط حب مقدس وعهد أمانة شديد الصلة جداً بالرب، كميراث روحاني غالي الثمن نعود إليه كل يوم، ككنز، ننال بواسطته دخولاً إلى الله الآب، ونتراءى أمامه في ذبيحة المسيح وباسمه، فنجد رحمةً ونجد خلاصاً ونجد تطهيراً ونعمة، ونصبح وكأننا على مائدة عشاء الرب يوم الخميس وسط التلاميذ نأكل ونشرب سرَّ موته وقيامته.

هذه الوصية «اصنعوا هذا لذكري» جعلت للإفخارستيا ـ كعمل جوهري للمسيح ـ سرَّ ديمومة، وجوهر بقاء على مدى الدهور، وحضوراً للرب معنا كل حين، لنتراءى به أمام الله الآب.

وهنا نفحص معاً أولاً كلمة «**لذكري**» ثم بعد ذلك «**اصنعوا هذا**»:

أولاً: «**لذكري**»:

وباليونانية، كما جاءت في الترجمة السبعينية أيضاً ¢n£mnhsij أما باللغة العبرية فجاءت zikkaron = زِكَّارون، وهي نفس الكلمة التي تُستخدم في ليتورجية الذبائح وفي طقس خروف الفصح بالذات. وجاءت أيضاً azkarah = أزكاراه، وأصل الكلمة هو zeker = زِكِرْ، وهي قريبة الشبه في النطق والمعنى من مثيلتها في اللغة العربية، إلا أننا نجدها في العبرية تقتصر على الاستخدامات الدينية.

+ «ويكون لكم هذا اليوم **تذكاراً** zikkaron فتُعيِّدونه **عيداً للرب**، في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية.»(خر14:12)
+ «ويكون لك علامة على **يدك** و**تذكاراً** بين **عينيك** لكي تكون شريعة الرب في **فمك**، لأنه **بيد قوية** أخرجك الرب من مصر.» (خر9:13)

وقد جاءت هذه الكلمة في العهد الجديد، بخلاف نصوص الإفخارستيا في إنجيل القديس لوقا ورسالة كورنثوس الأولى، وفي رسالة العبرانيين في نفس المعنى (3:10)؛ وفي قصة امرأة بيت عنيا التي دهنت جسد الرب بالطيب، فاعتبر الرب ذلك لها «**تذكاراً**» zikkaron؛ كذلك قائد المائة أخبره الملاك أن صلواته وصدقاته صعدت «**تذكاراً**» zikkaron أمام الله (أع4:10).

وهكذا نرى على وجه العموم أن هذه الكلمة تُستخدم **في الأعمال التي تخص الله** وتعبِّر عن **حدوث** «**صلة شخصية**» **على وجهٍ ما بين الإنسان والله**.

أما «ذكر الله» بنفس اللفظة التي استخدمها الرب يسوع le zeker = لي ذِكِرْ، حيث «لي» ضمير المتكلم، وهي نفس اللفظة تقريباً التي وُضعت كترجمة باللغة العربية «لذكري» فهي كلمة طقسية كانت تُستخدم في العهد القديم كليتورجيا أو خدمة إلهية قائمة بحد ذاتها، اسمها «ذِكِر» أو صلاة «ذِكِر» لها أصولها وخدَّامها من اللاويين والكهنة الذين يُعيَّنون عليها. وكانت عبارة عن تلاوة أعمال الله وذكر عجائبه مع تسبيح وشكر:

– «وجعل أمام تابوت الرب من اللاويين خُدَّاماً، ولأجل **التذكير** والشكر وتسبيح الرب إله إسرائيل... وكان آساف يصوِّت بالصنوج، وبنايا ويحزئيل الكاهنان بالأبواق دائماً أمام تابوت عهد الله... وجعل داود يحمد الرب بيد آساف وإخوته (أي بالآلات): **احمدوا** الرب، **ادعوا** باسمه، **أخبروا** في الشعوب بأعماله، **غنُّوا** له، **ترنَّموا** له، **تحادثوا** بكل عجائبه، **افتخروا** باسم قدسه، **تفرح** قلوب الذين يلتمسون الرب، **اطلبوا** الرب وعزَّه، التمسوا وجهه دائماً، **اذكروا** عجائبه التي صنع، آياته وأحكام فمه.» (1أي16:4ـ12)

أي أن طقس ليتورجيا «**الذِكر**» **في العهد القديم كان تلاوة أعمال الله وشكراً وتسبيحاً معاً** تقوم به فرقة من اللاويين والكهنة.

والكلمة «زِكِرzeker» التي استخدمها الرب يسوع «اصنعوا هذا لذكري» لها وجهان: وجه يختص بالإنسان بأن يَذكر الإنسان عمل الله، ووجه يختص بالله بأن يذكر الله عمله أو رحمته وعهده.

وكلٌّ من الوجهين متعلِّق بالآخر بصورة جوهرية. فإذا ذكر الإنسان عمل الله ورحمته، حيث «الذِكِرْ» ـ كما سبق وقلنا ـ عبارة عن خدمة وليتورجيا يتخللها قراءة أعمال الله وعجائبه ورحمته مع شكر وتسبيح، فإن الله يذكر عهده ورحمته.

كذلك، فإن تقديم الذبائح كان للذكر أو تذكاراً كما في خروف الفصح. وهنا المقصود بالذكر

أو التذكار الوجهان معاً، أي أن يذكر الإنسان بالشكر والحمد عمل الله ورحمته التي عمل لخلاص الشعب من العبودية المرَّة «ويكون لك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك لكي تكون شريعة الرب في فمك، لأنه بيد قوية أخرجك الرب من أرض مصر» (خر 9:13). وفي نفس الوقت هو لتذكير الله برحمته وخلاصه الذي عمله، **حتى يستديمه ويكمِّله**: « ويكون لكم هذا اليوم **تذكاراً فتعيِّدونه عيداً للرب**.» (خر 14:22)

أي أن خروف الفصح كان ذَبْحُه في كل سنة تذكاراً على وجهين: هو تذكار للشعب ليذكر رحمة الله عليه وعنايته وليشكره عليها ويطلب دوامها، ثم هو تذكار بالنسبة لله، إذ حينما كان يُسكب دم خروف الفصح أسفل مذبح الله كان ذلك كتذكير لله ليذكر رحمته حتى يكمل عهده ووعده الذي قطعه مع آبائهم.

وهكذا كان عيد الفصح يُعتبر عيداً «أي ذِكْراً» للشكر والشهادة والاعتراف بعناية الله وأمانته أمام العالم كله، وفي نفس الوقت كان يُعتبر فرصة مقدسة لتذكير الله بهذا الخلاص العجيب الذي صنعه مع شعبه تحقيقاً للعهد الذي قطعه مع آبائهم حتى يكمله لهم.

فأولاً: الذكر هنا هو تلاقٍ لأمانة الشعب مع أمانة الله في ذكر تحقيق وعد وعهد الله، وهو يُعتبر تلاقياً مجدَّداً ومستمراً بين الله والشعب.

وثانياً: هو تلاقٍ أيضاً مجدَّد ومستمر مع عهد الخلاص الذي بدأه الرب في مصر ليكمله معهم على طول المدى.

وثالثاً: هنا الذكر يُعتبر كرازة بأعمال الله ووسيلة عملية لإذاعة كلمة الله على العالم.

فإذا لاحظنا أن الصلوات التي كانت تُتلى على المائدة في مثل هذه المناسبات التي أقامها الرب، سواء كانت هذه المناسبات أعياداً عامة أو هامة للذكرى، كانت تحوي صلاة توسلية حارة من أجل ظهور المسيَّا، **استطعنا أن ندرك جمال المناسبة التي أسَّس الرب فيها الإفخارستيا باعتباره سر ظهور واستعلان الرب كاستجابة لصلوات الأجيال السالفة على مدى مئات السنين!!** أما مضمون الصلاة فقد سبق وأن دوَّنَّاه في صفحة 148ـ149، ولا مانع من إعادة كتابته للأهمية:

[يا إلهنا وإله آبائنا فليدخل إليك تذكارنا هذا (zikkaron أو ذِكرُنا)، ذِكرنا وذِكر آبائنا وذِكر أورشليم مدينتك، «**وذِكر المسيا ابن داود فتاك**»، وذِكر شعبك إسرائيل، **ليقم هذا الذِكر أمامك، وليأت إلى حضرتك، وليمـرَّ أمامـك، وليُنظـر ويُقبـل ويُسـمع، حتـى يصـير فـي**

ذِكْرِك، ذِكراً للخلاص، للصلاح، للنعمة، للرأفة، للرحمة، في هذا اليوم الذي هو تذكار (...). اذكرنا أيها الرب إلهنا في هذا اليوم للصلاح، **وافتقدنا فيه للبركة، وخلِّصنا للحياة بكلمة خلاص ورحمة ومعروف يدوم،** واظهِرْ فيه رحمتك لأنك إله مُنعِمٌ وملك رحوم] ـ وهو الدعاء الذي يُضاف على البركة الثالثة على المائدة للمناسبات(21).

هذا التوسل الذي تضعه الليتورجيا القديمة في أفواه المجتمعين من أجل ظهور المسيا، أصبح في الواقع غير ذي موضوع والمسيا جالس في وسط التلاميذ!! خصوصاً وأنهم كانوا قد أدركوا تماماً وآمنوا أنه هو المسيح الرب الآتي، بحسب إعلان بطرس الرسول مرة وهم جالسون على المائدة منذ سنتين خلتا، حينما أعلن بوضوح وإيمان «أنت المسيح.» (مر29:8)

هذا كله مهَّد تمهيداً إيمانياً على مستوى الرؤيا الحية، والسر الموضوع أمامهم، أنهم فعلاً إزاء العهد الجديد وأمام نهاية العهد القديم، وأن المسيح مُشتهى الأجيال القديمة و «مُشتهى كل الأمم» (حجي 7:2) وموضوع ذِكر كل الأجيال، جالسٌ في وسطهم الآن، وأن الصلاة والتوسل لله من أجل ظهور المسيا ينبغي فعلاً أن تُعدَّل على وضعها الجديد، كأمرٍ قد حدث بالفعل، وأن المطلوب الآن استمرار عمله!! كما جاءت على فم المسيح نفسه «اصنعوا هذا **لذكري**...» !

فإذا تذكرنا الكلمة التي قالها القديس بولس الرسول: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (1كو7:5)، استطعنا أن نفهم أكثر ماذا يعني الرب من «اصنعوا هذا **لذكري**» بل استطعنا أن نفهم عمق معنى كلمة «**ذكري**» وأهدافها القريبة والبعيدة.

فالرب وقت العشاء كان يتكلم في جو فِصْحي. وأورشليم كلها كانت في الخارج تعجُّ بمئات الألوف من الحجاج الآتين من كل أنحاء العالم، من كل شعب ولسان وأُمة على وجه الأرض، من يهودٍ ودخلاء وزائرين؛ وذَبْح الخروف لم يتبقَّ عليه إلاَّ ساعات، والرب عالم أن ساعته قد جاءت ومنظر الصليب أمام عينيه، الرب كان يتكلَّم بإحساس «حمل الله» الوديع الذي يسوقه أبوه إلى الجلجثة من أجل خلاص كل هذه الشعوب «**الكثيرة**»: الخروف الذي سيُذبح مرة واحدة لأجل العالم كله فيتوقف فصح مصر إلى الأبد ويُنسى ذكر مصر وخروفها كما تُنسى قصص الطفولة.

الرب قدَّم جسده ليؤكل كفصح حقيقي، ودمه ليُشرب لعهد خلاص أبدي، لا يُطلب عليه

(21) Quoted from: *The Passover Haggadah*, Shocken Books, New York, 1953, p 63.

مزيد، ولن يتوقف تذكاره إلى الأبد.

الرب يقول: «اصنعوا هذا كلما شربتم **لذكري**» (1كو25:11). **إنه «ذِكْرُ» فصح المسيح الحي والقائم مذبوحاً دائماً أمام الله، الذي فيه نتلاقى معه كلما أكلنا من جسده ونتلاقى معه على عهد أمانة كلما شربنا من دمه الثمين؛ نتلاقى معه في موت وفي قيامة، وفي خلاص مجدَّد ومستمر**، أكمله بالدم على الصليب مرة واحدة، ودخل به إلى الآب فوجد لنا فداءً وخلاصاً أبدياً. ولكنه خلاص يتحقق وفداء يتجدد بمجيئه إلينا على المائدة كل يوم لنأكله **وكأنه ذُبح اليوم لساعته**، نتلاقى معه بالكلمة وبالكرازة إلى أقصى الأرض، وفي رؤية مجيئه الثاني الذي نتوقعه بالصبر: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس **تخبرون** بموت الرب إلى أن **يجيء**.» (1كو26:11)

ومنذ تلك الليلة التي قدَّم المسيح فيها نفسه فصحاً لأجل حياة العالم كله، واستودع الكنيسة سرَّ جسده المكسور وسرَّ دمه المسفوك قائلاً: «اصنعوا هذا لذكري» لم يعد تذكارٌ لفصح مصر**!!** لقد توقف ذبح الخروف التذكاري عند اليهود إلى الأبد**!** لأنه قد جاء موضوع الذكرى الذي كانت كل أعياد الفصح السالفة تمهِّد له فقط وتشير إليه**!!**

وبهذا لا نرى أن «**اصنعوا هذا لذكري**» قيلت على مستوى الرجاء، أو هي وصية مَن هو ذاهب ليموت، ولكن الرب قالها فكانت، والسماء والأرض تزولان و «ذِكر» المسيح الرب بالإفخارستيا لن يزول**!!!**

إن **ذكر** المسيح قد صار «**فصحنا** الأبدي» وتذكاره هو «عيدنا اليومي» إنه «يوم الرب» = «كيرياكي» بداية الأبدية وديمونة العالم واستعلان ملكوت الله الذي نعيشه.

وما هو ذكر المسيح بالإفخارستيا؟

+ «**ذكر» المسيح** هو صلاحية **بها نتقدَّم وندخل بجراءة إلى الآب**، وذلك باستحقاق المسيح الذبيحة القائمة، ومصالحته الدائمة لنا مع الآب بوقوفه أمام وجه الله يشفع بدمه عن كل خطايانا: «المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيدٍ أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها **ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا**، فمن ثمَّ يقدر أن يخلِّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم» (عب24:9؛ 25:7). فكل ذِكْر للمسيح بالإفخارستيا هو دخولٌ إلى الله بواسطته وتراءٍ أمام وجهه للخلاص.

+ «**ذكر» المسيح** بالإفخارستيا، هو بمثابة **وضع يد الخاطئ على ذبيحة المسيح الكفارية**، ورفع

العين إلى الآب السماوي ليذكر الله الآب عهده الجديد بمقتضى ما صنعه المسيح في نفسه، إذ قدَّم نفسه ذبيحة إثم عن الخاطئ وسكب إلى الموت نفسه. من أجل هذا التذكار يسمع الخاطئ من فم الآب: «أَصفَح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد.» (إر34:31)

إذاً، فكل ذِكر للمسيح بالإفخارستيا يقابله عدم ذكر لخطايانا، وصفح «مؤكَّد» عن كل آثامنا من قِبَل الله.

+ «**ذكر**» **المسيح** بالإفخارستيا، هو **دخول في قوة العهد الجديد حسب الوعد**: عهد أمانة من جهتي وعهد دم من جهته، لنوال قوة العهد الجديد وختمه للتطهير والتقديس: «دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب14:9)

إذاً، فكل ذكر للمسيح بالإفخارستيا هو تطهير للضمير المثقَّل بالخطية ونوال قوة واستحقاق لخدمة الله.

+ «**ذكر**» **المسيح** بالإفخارستيا، هو **رؤيا لتجلِّي المسيح في المجد** وسط تسبيح وشكر وتهليل القديسين، **لأن كأس الإفخارستيا ثمن حريتنا ووثيقة عتقنا،** وقراءة مستمرة لصك الشراء الذي اشترانا به المسيح من كل لسان وشعب وأمَّة.

إذاً، فكل ذكر للمسيح بالإفخارستيا هو ليتورجيا شكر واعتراف وتهليل وشركة مع القديسين.

+ «**ذكر**» **المسيح** بالإفخارستيا، هو انتظار حار ملتهب بالصبر لمجيء الرب حسب وعده، ليُكمِّل الخلاص الذي بدأ.

إذاً، فكل ذكر للمسيح بالإفخارستيا هو قوة للرجاء وعمل للصبر يتناسب مع طول أناة الله.

ثانياً: «**اصنعوا هذا**» **لذكري**:

في فحصنا لكلمة «لذِكري» اتضح من المعنى والشرح أن الرب يقصد فعلاً أن يتكرر هذا الإجراء السري لكسر الخبز وشرب كأس البركة لذكر المسيح، وهو ضمناً وحسب عادته وأسلوبه تَرَك مفهوم حضوره معهم في كل مرة يقيمون هذه المائدة الروحانية، ترك ذلك لإيمانهم واستحقاق كل منهم لرؤيته، ولكنه في مواضع أخرى نبَّه إلى ذلك: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت20:18)، «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت20:28)

القديس بولس الرسول لإحساسه الشخصي الشديد بأهمية سر عشاء الرب وبحسب التقليد

الذي استلمه، أوضح على فم المسيح ضرورة أن يُصنع هذا لذكر المسيح. وكرر ذلك مرة عند ذكر الخبز: «وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم **اصنعوا هذا لذكري**» ومرة أخرى عند توزيع الكأس: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. **اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري**.» (1كو11:24و25)

ولكن في إنجيل القديس لوقا نجد هذه الوصية «اصنعوا هذا لذكري» يوردها عند الخبز فقط باعتبار أن كسر الخبز يمثِّل طقس العشاء كله، وهو التعبير الذي استخدمه القديس لوقا نفسه في سفر الأعمال عند ذكر الإفخارستيا.

والآن نتقدم لفحص المعنى العميق وراء هذا الأمر:

اصنعوا هذا toàto poie‹te ليست من الكلمات العادية التي تدخل ضمن الحديث أو التعبير الشخصي، ولكنها اصطلاح ليتورجي، وذلك بحسب ورودها واستخدامها في الطقس القديم:

1 ـ «**وتصنع** ka^ poi»seij لهرون وبنيه **هكذا** بحسب كل ما أَمرتُك.» (خر29:35)

2 ـ «**هكذا تصنع** oÛtw poi»seij للثور الواحد...» (عد11:15)

3 ـ «**هكذا يُصنع** oÛtw poi»sousin بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه.» (تث25:9)

ومن هذا يتبين بوضوح أن كلمة «اصنعوا هذا» هي اصطلاح مستخدم في الطقس للتعبير عن «**تكرار الطقس**» وعن «**قانونيته**».

وبالرجوع إلى النصوص العبرية المستخدمة في التنظيم للعبادة في أيام المسيح، وجدنا هذا الاصطلاح في نصوص قمران، وبالذات في ترتيب الموائد الطقسية التي كانت تُدعى موائد ماسيانية للصلاة من أجل مجيء المسيا. وقد تأكَّد العلماء من أن ورود كلمة «**هذا**» بعد كلمة «اصنعوا» إشارةً إلى «**طقس محدد**»، وقد تعيَّن للتكرار، كما هي واردة تماماً في الآيات الثلاث التي ذكرناها أعلاه.

ولكن ما هو تحديد كلمة «اصنعوا هذا» أي ما هو الموضوع المقصود من التكرار أو ما هو الترتيب الطقسي الذي يطلب المسيح أن نصنعه؟

في الواقع أن كلمة «اصنعْ» تنصبُّ على معنى «إجراء كامل» أو «فعل كامل» يتضح أكثر من كلمة «**كلما** شربتم» التي أوردها بولس الرسول في (1كو11:25). فأن يوردها القديس بولس الرسول «كأمر» عند توزيع الخبز المكسور، ثم يوردها بنفس الصورة عند توزيع الكأس حيث يقول: «اصنعوا هذا كلما شربتم...» يفيد أن قصد الـــــــرب مـــــــن التكـــــــرار يشـــــــمل كـــــــل الطقـــــــس في ســـــــر

العشاء، بل ويفيد ضمناً أن الرب قد أسس ترتيباً جديداً بخلاف ما كان متَّبعاً سواء من جهة الصلاة أو الترتيب في الأكل والشرب أو في أسلوب ومعنى وشرح وليمة هذا الطقس. وبسبب هذا الترتيب الجديد أوصى الرب أن «**اصنعوا** هذا لذكري»

ومن غير المعقول إطلاقاً أن يكون الرب قد أوصى تلاميذه أن يصنعوا هذا العشاء بوضعه وترتيبه القديم، بل بوضعه الجديد، لأنه من الأمور المحتَّمة بديهياً أن الرب أوصى وصايا وعلَّم أشياء وشرح وصلَّى في هذا العشاء السري أشياء جديدة وبطريقة فائقة جداً، تتناسب مع هذا السر، خصوصاً وأنها الوليمة الأخيرة والتي ينبغي أن يسلِّم كل شيء فيها لتلاميذه، وغالباً نحن تسلمناها ككلمات وأعمال ونستخدمها حالياً بتسلسل التقليد، ولكن لا نستطيع أن نحدِّدها.

وتوجد إشارة إلى ذلك في «الديداخي» (تعليم الرسل الاثني عشر)، وهي من مدونات سنة 100م، حينما تقول بعد شرح كلمات الصلاة على الكأس: [**التي أعْلَمْتَنا بها بواسطة فتاك يسوع**]. ثم في صلاة الشكر الأخيرة، تقول: [نشكرك يا أبانا القدوس من أجل اسمك الطاهر الذي أحللته في قلوبنا، ومن أجل المعرفة والإيمان والخلود **التي أعْلَمْتنا بها بيسوع فتاك**].

وحينما يستشهد القديس بولس الرسول بالطقس الذي تسلَّمه والذي يلخِّصه كالآتي: «كأس البركة التي نباركها... الخبز الذي نكسره» إشارة إلى مجمل ما أمر الرب أن «نصنعه» فهو هنا **عمل وصلاة معاً**. كذلك في تكرار القديس بولس الرسول للوصية بنفس كلماتها: «اصنعوا هذا لذكري» عند الخبز وعند الخمر إشارة إلى أهمية تكرار كل شيء كما سلَّمه الرب لتلاميذه تماماً وبدقة.

والملاحظ أن الجزء السري من العشاء والذي يختص فعلاً بالرب وهو «كسر الخبز» بعد البركة والشكر، ثم مزْج الكأس وتوزيعه بعد البركة والشكر، كان هو الجزء السري من الوليمة الذي أكَّد عليه الرب أنه هو الذي يُصنع لذكره. والبرهان الأكيد على ذلك هو إمكانية فصل الإفخارستيا بعد ذلك عن وليمة المحبة، أي فصل الجزء السري من العشاء عن بقية الوليمة!!

وهكذا يصبح مفهوم «**اصنعوا هذا لذكري**» هو أن يقيموا هذا الطقس السري من الوليمة الذي يختص بالجسد المكسور والدم المسفوك للرب، حتى بواسطة إقامة هذه الذبيحة أمام الله يكون لهم هذا واسطة «لذكر» المسيح الرب لدى الآب كل حين، إذ بهذا الذكر يكون لهم دالة وقبول أمام الآب وصفح عن الآثام وغفران الخطايا.

ثالثاً: تسجيل القديس بولس الرسول لقول المسيح: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو26:11)، وعلاقة ذلك بالنص الإفخارستي: «اصنعوا هذا لذكري»

واضح أن التعقيب الذي أورده بولس الرسول (كجزء من التقليد المسلَّم إليه) لأهل كورنثوس وهو: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» يقوم أساساً على النص الذي أورده القديس لوقا الإنجيلي: «اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري» وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية **النص الأول** في حد ذاته، أي أهمية الوصية «**اصنعوا هذا لذكري**»، حتى إن التقليد أخذ على نفسه أن يشرحه من داخل النص أيضاً**!!**

ويلاحِظ القارئ أن كلمة «**فإنكم** g£r» التي بدأ بها التقليد التعقيب على النص «اصنعوا هذا لذكري» تزيد من التأكيد، فهي حرف تعقيب للتأكيد**!**

كذلك يلاحظ القارئ أيضاً أن كلمة «**كلما** æs£kij» تفيد تأكيد **التكرار** وضرورته، وبهذا يكون التقليد قد ضمن تسجيل هذا التعقيب ونجح في أن يوصل لنا رسالة خاصة من الرب هي كالآتي: [إن الرب قد أوصى أن نصنع هذا الطقس (كسر الخبز والبركة على الكأس) باستمرار (بقوله: «كلما شربتم» لكي يكون لنا واسطة عملية مستمرة **لذِكْر** المسيح، لأن بتتميمنا هذه الوصية، وفي كل مرة نقيم فيها طقس هذا العشاء السري الذي للرب، نخبر بموت الرب وبالتالي نتراءى أمام الله في هذه الذبيحة].

وهكذا يرتبط «**ذِكْر**» الرب بـ «**موت** الرب» ففي كل مرة نعلن فيها موت الرب بواسطة الإفخارستيا، يكون ذلك «ذِكْراً» له أمام الله الآب في السماء.

(و«**الذِكْر**» ـ كما قلنا ـ حضورٌ، فالإفخارستيا حضور للمسيح معنا هنا على الأرض بالجسد والدم، وحضور مع المسيح «بالذكر» في السماء أمام الله الآب. هذا يعني أن الإفخارستيا المقدمة على مذبح الرب في الكنيسة مقبولة وظاهرة ومُعلنة بآن واحد على المذبح الناطق السمائي).

ولكن كيف نخبر بموت الرب؟ وما معنى ذلك؟

لكي نفهم معنى «نخبر بموت الرب» يلزمنا أن نفحص علاقتها ببقية الجملة: «إلى أن يجيء»

فالوصية تُلزمنا أن **نخبر بموت** الرب، وذلك لغاية مهمة محددة وداخلة في صميم الإفخارستيا والذِكر، وهي **إلى أن يجيء!!**

ويمكننا أن نفهم التركيب اللفظي والمعنوي لهذه الجملة في اللغة اليونانية إذا قسناها على آية أخرى تحوي نفس التركيب اللفظي والمعنوي باليونانية عند القديس بولس الرسول مثل: «إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل **إلى أن** يدخل ملؤ الأمم» (رو25:11)، وأيضاً مثل: «لأنه يجب أن يملك **إلى أن** (حتى ـ حسب النص) يضع جميع الأعداء تحت قدميه.» (1كو25:15)

وقد جاء أيضاً هذا التركيب عند القديس لوقا في إنجيله: «وتكون أورشليم مدوسة من الأمم **حتى تكمل** أزمنة الأمم.» (لو24:21)

إذاً، فنحن في الإفخارستيا نظل نخبر بموت الرب إلى أن يجيء. ولا يعني هذا أننا نذكر حادثة تاريخية مضت، بل نذكر موت الرب كحقيقة واقعة لها صلة وعلاقة صميمية بما هو آتٍ، بمستقبل «النهايةeschaton» التي بدأت بموت الرب، والتي تكمل بانتهاء الكرازة بموته. فالعهد «الجديد» بدأ بموت الرب، ولا يبلغ غايته إلاَّ بمجيء الرب**!!**

فنحن طالما نخبر بموت الرب نعيش «العهد الجديد بدمي» **!** وهذا لا يمكن أن يتأتى عملياً إلاَّ بأن «**نصنع هذا**» أي نقيم الإفخارستيا بدم المسيح، التي فيها وفيها فقط نستطيع أن نخبر بموت الرب خبراً عملياً. وهكذا كلما نقيم الإفخارستيا تنفيذاً للأمر الإلهي: «اصنعوا هذا لذكري» نظل نعيش العهد الجديد، وسنظل نعيش العهد الجديد بجسد المسيح ودمه طالبين سرعة مجيء الرب، إلى أن يجيء الرب**!**

هذا المعنى ـ أي طلب سرعة مجيء الرب من داخل الإفخارستيا ـ تشرحه وتوضِّحه «الديداخي» (تعليم الرسل الاثني عشر ـ سنة 100م) إنما في اختصار أشد الاختصار، حينما تقول بعد تقديس الخبز والخمر في الفصل (6:10):

[اذكر يارب كنيستك، نجها من كل شر، وكمِّلها في محبتك، واجمعها من الأربعة الرياح. لتكن مقدسة لملكوتك الذي أعددته لها، لأن لك القوة والمجد إلى الأبد. **ليت النعمة تأتي وليت هذا العالم ينتهي، أوصنا (خلصنا) لإله داود.** فمن كان طاهراً فليتقدم، وإذا لم يكن أحد كذلك فليتُب. «**ماران آثا**»[22] = **تعالَ أيها الرب يسوع آمين...]**

[22] ماران آثا Maran atha كلمة أرامية معناها «تعال يا ربنا». وقد ظلت تُقال كما هي باعتبارها من التعاليم السرية المستخدمة في الإفخارستيا استخداماً تقويًّا حاراً. فلم تُترجم إلى معناها باللغات الأخرى حتى يظل معناها السري خاصاً. وهي من مقطعين: «ماران» أي «ربنا» أو «سيدنا»، و«أثا» أي «تعالَ» (من فِعْل «أتى»).

إذاً، فكوننا **نخبر بموت** الرب كخبر نتلوه في الإفخارستيا على الخبز وعلى الخمر وقت التقديس وعلى الجماعة أيضاً وأمام الله، فهو فضلاً عن أنه نص إفخارستي تقديسي، فهو أيضاً مرفوع إلى الله الآب مع الذبيحة (التي هي بحد ذاتها استعلان مستمر لموت الرب)، حتى بالخبر المنطوق بموت الرب وبالذبيحة الناطقة بموت الرب يكون تذكار دائم أمام الله في السماء، إلى أن يكمُل عمل الخلاص الذي وعد به ويأتي الرب**!!** ولا ننسى أبداً أن موت الرب كان ولا يزال هو مسرة الآب.

وهكذا يلتحم «**الذِكْر**» الدائم للرب، مع الخبر الدائم «**بموته**»، مع الذبيحة المقدمة من الكنيسة، ليُرفع الكل أمام الله الآب كرائحة سرور لتكميل ظهور المسيح والمجيء الآتي**!!**

وهكذا استلمت الكنيسة منذ البدء **أن تصلي بحرارة في نهاية كل إفخارستيا من أجل مجيء الرب**. وهذا واضح جداً في صلوات الإفخارستيا المسجَّلة في «الديداخي» كما أوضحناها، وكذلك في سفر أعمال الرسل.

ولكن لأن مجيء الرب يتحقق فعلاً في كل إفخارستيا، لذلك كانت الإفخارستيا في الكنيسة الأولى بالنسبة للمؤمنين الحارِّين بالروح ساعة ابتهاج قلبي لا يوصف: «وإذ هم يكسرون الخبز (سر الإفخارستيا) في البيوت **كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب (قلب واحد) مسبِّحين الله ولهم نعمة** لدى جميع الشعب.» (أع2:46و47)

وبذلك، أي بذلك السر المنطوي في ممارسة وصية الرب: «اصنعوا هذا لذكري» بإقامة سر عشاء الرب باستمرار، وبالتالي مداومة «**ذِكر**» الرب، اتَّحدت الجماعات الأولى في جسد المسيح وبسر الفداء بقوة وفاعلية لا توصف. فكان الرب من جهته يكمِّل وعده: «**وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**» (أع2:47). أي أن سر الخلاص كان يسري في جسم الكنيسة بقوة علوية**!!** والذي كان ولا يزال بحد ذاته بمثابة استعلان وظهور لـ «**عمل**» الرب، إلى أن يَستعلن الرب نفسه**!**

9 - «ثم سبَّحوا وخرجوا»

(مر26:14)

التسبيح جزء «أساسي» في ذبيحة الإفخارستيا

بعد الشكر والتناول من كأس البركة الأخير، تبدأ التسبحة مباشرةً. وتشمل هذه التسبحة المناسبات التي في دائرة التعييد للفصح (بمفهومه الذي قصده المسيح في ذاته): تلاوة المزامير 114 و115 و116 و117 و118. ثم يتلو أحد التلاميذ المزامير بيتاً بيتاً، وفي كل نصف بيت تردُّ الجماعة «هلليلويا» أما عدد المرات التي تردُّ فيها الجماعة بـ «هلليلويا» فهي لا تقل عن 123 مرة!!

والمعروف بحسب التقليد أن الرب كان يتقن جداً حفظ المزامير، والمعتقد أنه هو الذي كان يتلو المزمور والتلاميذ يجاوبون «هلليلويا»

ثم بعد التسبحة تَرَأس الرب صلاة الشكر في الختام، وصلاة الشكر هذه مأخوذة من المزامير 114ـ118.

صورة لخورُس التسبيح بعد العشاء،
وعمق المعاني التي تركِّز عليها التسبحة:

بدأ التسبيح يأخذ من هذه المناسبة الفصحية في زمن المسيح لوناً ماسيَّانياً ملتهباً، وهذا واضح جداً من تسجيلات شروحات المزامير (114ـ118) المدوَّنة في كتب اليهود وأسفارهم[23]. فأصبح لكل مزمور من هذه المزامير طابع أُخروي eschatological (إسخاتولوجي) نبويٌّ. ويتضح هذا من مجرد العناوين لبعض هذه المزامير وآياتها كما جاءت في «المدراش» و «تلمود بابل» و «تلمود أورشليم» [24]:

---

(23) J. Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, p. 256

(24) *The Midrash on Psalms*, English version by W.G. Braude, 2 vols., New Haven, Conn., 1959.

عنوان تسبحة مز2:113	: تسبيح الرب في **الدهر الآتي**.
عنوان تسبحة مز9:113	: صهيون في «**أواخر الأيام**».
عنوان تسبحة مز1:115	: الآلام في **أيام المسيا**.
عنوان تسبحة مز1:116	: **أيام المسيا**، وما ينبغي أن تكون عليه صلاة إسرائيل للفداء.
عنوان تسبحة مز4:116	: خلاص نفوس الأتقياء **من جهنم**.
عنوان تسبحة مز9:116	: قيامة الأموات، ووليمة **الدهر الآتي**.
عنوان تسبحة مز13:116	: بركات مائدة داود بعد **وليمة الخلاص**.
عنوان تسبحة مز7:118	: **الدينونة الأخيرة**.
عنوان تسبحة مز10:118ـ12	: **الحرب ضد جوج وماجوج**.
عنوان تسبحة مز15:118	: **بداية أيام المسيا!!**
عنوان تسبحة مز24:118	: **الفداء بواسطة المسيا!!**
عنوان تسبحة مز25:118و26	: **خورُس التسبيح بالأنتيفونا في زمن استعلان المسيا!!**
عنوان تسبحة مز27:118	: الله نور **أزمنة الخلاص!**
عنوان تسبحة مز28:118	: **مستقبل العالم!!**

لذلك تُعتبر التسبحة التي سبَّح بها الرب مع التلاميذ ـ على أساس هذه المعاني المعروفة جداً آنذاك ـ كأنها صورة طبق الأصل من الواقع!

وهذا يوضِّح مدى حساسية وإلهام وحكمة حكماء إسرائيل القدامى في شرحهم وتأملهم في أقوال الله وخاصة المزامير، لأن رجاءهم وحبهم وإخلاصهم وتوقُّعهم الشديد لأزمنة الفداء والخلاص ومجيء المسيا، كان أشد وأعظم جداً مما نتصوره. فالنبوة لم تفارق إسرائيل قط حتى مجيء المسيح، وروح الرب ظل يشير إلى يوم الرب بأصبع الرؤيا والنبوة والإلهام في قلوب الأنبياء والنبيات، مثل سمعان الشيخ وحَنَّة النبية، حتى أتى الرب وظلت الرؤيا الصادقة تقود أقدامهم من بيت إلى بيت، حتى وجدوه على صدر مريم العذراء وهي داخلة به إلى الهيكل في صمت لم يحتمله الروح المتأجج في صدر سمعان، الذي كان يمثِّل آخر نبوة في إسرائيل، فحمله وظل يبارك الله حتى ارتاحت روحه وروح جميع الأنبياء فيه!

وعجيب حقاً أن يفسِّر المدراش (كتاب لتفاسير ودراسة المزامير وبقية الأسفار عند اليهود) الآية

24 في مزمور 118 «**هذا هو اليوم الذي صنعه الرب**»[25]، بأن ذلك يعني «**يوم الفداء**» الذي سيُنهي كل العبودية إلى الأبد**!** أي أنه يوم المسيا للفداء. ومن هذا التفسير ينطلق المفسر ليفسر كل الآيات على هذا المستوى العالي والواقعي جداً، مصوِّراً كل حوادث ووقائع الأيام الأخيرة، بحاسةٍ لا تخطئ**!!** حتى وصل إلى تصُّور تمثيلية سيقوم بها رجال أورشليم من الداخل ورجال يهوذا من الخارج عند استعلان يوم الفداء هذا، أي «يوم الرب»

وننقل هنا للقارئ هذه التمثيلية التي تخيَّلها حكماء إسرائيل أنها ستتم عند مجيء المسيا، ليدرك مدى انطباق الحوادث في أيام المسيح على التعاليم والشروحات التي كانت بين أيديهم.

فالشارح يصوِّر بالروح خورُساً من المسبِّحين من رجال أورشليم في داخل أورشليم يتجاوبون بالأنتيفونا[26] مع رجال يهوذا، والمسيا يقترب من أبواب أورشليم، هكذا:

جماعة أورشليم من **الداخل**	: نتوسل إليك يا رب الآن خلِّصنا (أوصنا بالعبري) ـ مز118:25.
يرد عليهم رجال يهوذا من **الخارج**	: نتوسل إليك يا رب، اجعلنا أن نكون الآن لزمان الإثمار...
جماعة أورشليم من **الداخل**	: مبارك الآتي باسم الرب ـ مز118:26.
يرد عليهم رجال يهوذا من **الخارج**	: باركناكم من بيت الرب.
جماعة أورشليم من **الداخل**	: الرب هو الله وقد أنار علينا ـ مز118:27.
يرد عليهم رجال يهوذا من **الخارج**	: رتبوا موكب العيد بأغصان الشجر الكثيفة وثبِّتوا الذبيحة إلى قرون المذبح[27]!!
جماعة أورشليم من **الداخل**	: أنت هو إلهي وأقدِّم إليك الحمد ـ مز118:28.
يرد عليهم رجال يهوذا من **الخارج**	: أنت هو إلهي وإني أرفعك.

ثم بعد ذلك تتحد جماعة أورشليم مع جماعة يهوذا في تسبيح واحد **للقدوس تبارك اسمه**[28]: اعطوا شكراً للرب لأنه صالح وأن إلى الأبد رحمته.

(25) صارت هذه الآية هي اللحن المختار المميَّز لطقس تقديم القرابين في سر الإفخارستيا.

(26) الأنتيفونا هي مثل المرابعة التي يقوم بها المسبِّحون الآن في التسبحة داخل الكنيسة: جماعة تقول أربع شطرات لبيتين من الشعر، ترد عليها جماعة أخرى لتقول أربع شطرات أخرى.

(27) بحسب الترجمة الصحيحة من الأصول العبرية.

(28) لغة التلمود في التعبير عن المسيح.

وهكذا يتصور المدراش اليهودي (قبل زمن المسيح بمدة كبيرة)، هذا المنظر الرائع الحي في لحظة ظهور المسيا، كيف يقف سكان أورشليم على أسوار أورشليم وأبراجها مع كهنة الهيكل، في نفس الوقت الذي يتقدَّم فيه رَكْبُ المسيا الملك نازلاً من جبل الزيتون على رأس جوقات من رجال يهوذا، وحينئذ إذ يقترب الموكب من أسوار أورشليم يحيي كل فريق الآخر بتسبحة الأنتيفونا من مزامير داود بكلمات المزمور 118. وبعد ذلك تتحد الجماعات معاً في تسبحة واحدة:

+ «اشكروا الرب فإنه صالح وأن إلى الأبد رحمته» !

هذه التمثيلية بحسب تدقيق علماء الكتاب المقدس هي من زمن سابق على زمن المسيح، وكانت متداولة بين عامة الشعب، حتى إن الشعب من تلقاء ذاته لما أحسَّ بالميعاد ـ والشعب في إحساسه دائماً دقيق لا يخطئ ـ خرج لاستقبال المسيح فعلاً عند دخوله إلى أورشليم في أحد الشعانين مستخدماً نفس هذه التسبحة ومن نفس هذا المزمور 118!! باعتبار أن ما تعلَّمه كان حقاً نبوة، وكان حقاً ترتيباً رُتِّب بالروح لزمانه المحدد.

ولكن تطبيق هذه التسبحة بكلماتها وبنفس أوضاعها التي تصوَّرها شارح المزامير في المدراش يبدو عجيباً حقاً، لأنه معروف في الأناجيل الثلاثة (مر9:11، مت9:21، يو13:12) أن الشعب والأطفال تلقائياً وبدون من يرتب صفوفهم، خرجوا جميعاً لاستقبال المسيح قائلين: «أوصنا (خلِّصنا)، مبارك الآتي باسم الرب» التي هي اختصار للآية 25:118 وكل الآية 26:118.

ولكن العجيب أيضاً أن يذكر كلٌّ من إنجيل مرقس وإنجيل متى ـ ربما بدون الانتباه المسبق إلى دقة هذا الوضع ـ أن الجماعة التي خرجت لاستقباله قسَّمت نفسها إلى خورس يمشي أمام المسيح وخورس يمشي وراءه! «والجموع الذين **تقدَّموا** والذين **تبعوا** كانوا يصرخون (الواحد قبالة الآخر) قائلين: أوصنَّا لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب، أُوصنا في الأعالي» (مت9:21)!!

أما بقية «الأنتيفونا» التي تقول في المدراش، بالكلام: «**رتبوا موكب العيد بأغصان الشجر حتى إلى قرون المذبح**»، فقد أكملها أصحاب هذا الموكب، إذ يقول الإنجيل أنهم **قطعوا بالفعل أغصان الشجر وفرشوها وزيَّنوا بها الطريق إلى الداخل**.

ولكن الذي يهمنا من هذا الموكب، أنه جاء تحقيقاً للشرح الإلهامي (الإسخاتولجي) لشارح المدراش الذي تصوَّر أواخر الأيام وتصوَّر موكب المسيا وتصوَّر كيفية دخوله. وهذا في الواقع يثبت أهمية ودقة شرح المزمور 118 في المدراش الذي هو أصلاً موضوع تسبحة لوليمة الفصح! والذي

استخدمه الرب ليلة العشاء السري (باعتبار أنه هو نفسه الفصح الحقيقي لأجل حياة العالم).

ونلاحظ أيضاً أن الرب كان يرى ومنذ البداية في المزمور 118 العلامات والكلمات والنبوات التي تشير إليه، إذ لا ننسى تمسُّكه بالآية: «هذا هو الحجر الذي رفضه البناؤون الذي صار رأساً للزاوية» مشيراً به إلى نفسه!! «أما قرأتم هذا المكتوب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا.» (مر12:10و11)

بل وأكثر من ذلك أيضاً، فالرب شاء بنفسه أن يُلفت نظر التلاميذ والجموع التي كانت تتبعه إلى هذا المزمور 118 بل وإلى شرحه الذي تعلَّموه من المدراش، بقوله: «لأني أقول لكم: إنكم لا تروني من الآن حتى **تقولوا** مبارك الآتي باسم الرب» (مت39:23).

وهكذا يصوِّر لنا الرب كيف أن أورشليم التي بكى عليها لأنها لم تعرف زمان افتقادها والتي عيَّرها لقتلها الأنبياء والمرسَلين إليها، كيف أن الله أبقى فيها بالرغم من ذلك شهوداً أُمناء، وسيترتب منهم خورُس تسبيح لاستقبال الرب ساعة دخوله فيها للمرة الأخيرة، تحقيقاً لنبوة الملهَمين السابقين. حيث أصبح أيضاً دخول الرب أورشليم بهذه الكيفية إشارة قوية وواضحة لمجيئه الثاني.

وعندما نعود إلى «الديداخي» (كتاب تعليم الرسل الاثني عشر ـ سنة 100م)، وهو أقدم وثيقة بقيت على حالها وهي تصوِّر لنا ترتيب الإفخارستيا في الكنيسة، نرى كيف أن جماعة المؤمنين الأوائل كانوا يعرفون تماماً بالتسليم وحسب التقليد هذه التسبحة وهذه الـ «أُوصنّا» (مز25:118) بنفس أسلوب ومعنى الاستعلان والظهور ومجيء الرب!! حيث «أُوصنّا» التي معناها «خلِّص» أو «خلِّصنا» وهي كلمة أرامية من الأصل Yeso = خلِّص، والتي منها جاء اسم «يسوع Yesoh» أي «مخلِّص» بدأت تأخذ في الإفخارستيا في الكنيسة معنى التهليل لظهور المخلِّص نفسه!! برجاء المجيء الثاني لكمال الخلاص.

هذا يعيدنا مرة أخرى لأصل التقليد، فالرب بعد العشاء سبَّح بهذا المزمور، وهتف التلاميذ بـ «أوصنّا» بأسلوب ليتورجي حي واقعي، وكان في شعورهم وإحساسهم أنهم إنما يوقِّعون تسبحة الخلاص السنوية والتقليدية على خلاص حاضر وواقع أمام عيونهم، حيث جماعة التلاميذ تمثِّل الكنيسة كلها عندما تلتف حول المسيح في مجيئه الثاني!!

ففي هذا المزمور وفي إنشاده والتسبيح به بالأنتيفونا وفي الـ «أُوصنا» بهتاف الفرح والرجاء يتحقق سر خلاص تمَّ، وخلاص يتمُّ، وخلاص سيتم أيضاً، من داخل الإفخارستيا وبحضور الرب.

وهكذا نتيقَّن لماذا حرص الرب بأن يقيم **طقس** «**هذه التسبحة**» في ختام توزيع كأس البركة، باعتبار أن هذه التسبحة عموماً هي جزء أساسي في سر العشاء، وتأكيد لخلاص تمَّ، وأنها تكميل حي في تدبير الخلاص الدائم، وتعبِّر عن علاقة وثيقة وأساسية بمجيء المسيح الآتي الذي هو جزء لا يتجزأ من سر الإفخارستيا وعمله.

فبهذه التسبحة التي في ختام سر العشاء تصير شركة، ويصير اتصال، وتصير هبة للكنيسة كما صار للتلاميذ في الخلاص بمعناه الكلي وفي سر المجيء الثاني للمسيح وحتى استقباله والسير في موكبه والاشتراك في وليمة الأبدية «عشاء عرس الخروف» إفخارستيا كمال كل الدهور.

الفصل الثالث

سر المحبة وسر الاتضاع

في صميم «عشاء الرب» و«سر الإفخارستيا»

لقد رأينا في الفصل السابق أن عشاء الرب لم يكن «وليمة الفصح» وإنما كان عشاءً في مساء الخميس و «استعداداً للفصح» ورأينا أن كلمة «**أعِدَّا** لنا الفصح لنأكل» التي أوردها الإنجيليون الأربعة على لسان المسيح، وكلمة «شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم» كانت كلها محمَّلة بتعبيرات سرية تحتاج إلى ذهن مفتوح لتقبُّل معناها السري الحقيقي، فالمسيح قد أعدَّ للفصح بالإفخارستيا، والإفخارستيا بدورها كانت استعلاناً لسر الصليب، أو بالحري كانت الإفخارستيا فصحاً سريًّا لفصح الصليب العلني. المسيح فِصْحُنا الذي ذُبح وقت العشاء وعلى الصليب.

المحبة وسر العشاء:

لقد اصطبغت وليمة الرب في العشاء الأخير بالحب العميق الذي ظل القديس يوحنا الرسول يحمل صبغته في قلبه وفكره خمسين سنة، حتى لما سنحت له الفرصة ليكتب عن هذا العشاء بدأه بقوله: «إذ كان قد **أحب خاصته** الذين في العالم **أحبهم إلى المنتهى**، فحين كان العشاء ...» لقد كان سر الإفخارستيا الذي أسسه الرب في هذا العشاء تعبيراً عن أقصى دَفْقات الحب الإلهي الذي كان يملأ قلب المسيح طوال أيام خدمته. لقد حانت الساعة لكي يكشف المسيح لتلاميذه وللكنيسة كلها عن نفسه، نفسه التي أحبت خاصته الذين في العالم، أحبتهم إلى المنتهى، هذا الحب الذي حققه المسيح بتقديم ذاته ذبيحة يأكل منها العالم إلى مدى الدهور كلها.

لم تكن كل الأعمال والأقوال التي عملها المسيح وقالها كل أيام حياته من أشفية وعجائب وتحنُّنات ومحبات كثيرة كافيةً في نظره واعتباره الخاص أن تكشف أعماق نفسه لتلاميذه وللكنيسة!! أو تقدِّم صورة حقيقية عن حبه.

والآن وقد حانت ساعة الانطلاق إلى الآب، حانت بالتالي الساعة التي ينبغي أن يكشف فيها المسيح عن حقيقة نفسه، وهل يمكن أن تعلن النفس الإلهية عن حقيقة ذاتها إلاَّ بالحب الفادي؟

لقد كان العشاء الأخير نهاية لكل أمسيات وولائم الحب، أحبهم إلى المنتهى، والمنتهى هو منتهى

الأيام ومنتهى الحب معاً: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه!» (يو 13:15). لأن المسيح في عشاء الخميس قدَّم كل شيء، كل ما يملك، كل حياته، كل حبه، قدَّم نفسه ذبيحة!!

لذلك فقد ارتبط سر الإفخارستيا بالمحبة رباطاً فائق الوصف. فأصبحت الإفخارستيا والمحبة سرًّا واحداً لا يستطيع أحد أن يدرك الواحد بدون الآخر. فكل مَنْ أراد أن يأكل من الجسد وكل مَنْ أراد أن يشرب من الدم، يلزم أن يَعْبُر على المحبة أولاً يشرب من نبعها ويوفي كل ديونها، حتى يقبل في حياته سر الجسد المكسور وسر الدم المسفوك.

ولقد تغلغلت المحبة في الإفخارستيا طقساً روحياً، فمائدة الأغابي حتى بعد فصلها عن تقديس أسرار الإفخارستيا ظلت حتى اليوم تشهد لمفهوم الإفخارستيا الأصيل كيف أنها وليمة حب. والإفخارستيا بحد ذاتها كشركة في الجسد الواحد لا يمكن قيامها إلاَّ لجماعة متصالحة متحابة بالروح والجسد حباً طاهراً من القلب بشدة كوصية المسيح والرسول.

أمَّا في الطقس فلا يُقدِم الكاهن على تقديس الأسرار إلاَّ بعد نداء الشماس: ''قبِّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة''، حتى يطمئن الكاهن إلى وحدانية القلب التي للمحبة، ثم يبدأ في تقديس الأسرار على هذا الأساس ـ أي على أساس الحب الذي تأسَّست عليه الإفخارستيا وانسكب من أجله الدم وقام العهد.

لأن الإفخارستيا خطرةٌ هي بدون الحب، إذ تصبح دينونة مخيفة وقبول عقاب وموت بدل غفران وحياة أبدية. أو كما يقول القديس بولس الرسول: «أيُّ مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونةً لنفسه غير مميِّز جسد الرب، من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون.» (1كو 11: 27ـ30)

الإفخارستيا نار آكلة كطبيعة الله تأكل كل مَنْ يخالف طبيعتها، أي كل مَنْ يضاد المحبة ويحتقرها. يهوذا عاش بسلام متخفياً وراء ظلام أعماله وريائه وخياناته كل الأيام، وأكل وشرب مع التلاميذ ومع الرب بلا أي مانع أو ضرر، إلاَّ ساعة استعلان سر المحبة المذبوحة في عشاء الإفخارستيا، فحينما دخلت اللقمة جوفه خرجت النعمة والقوة والستر، وانتُزع منه الروح الذي كان قد قَبِله من الرب، فداخله الشيطان وعميت بصيرته واظلمَّت الدنيا كلها أمامه، حتى شنق نفسه.

لأن الإفخارستيا ذبيحة محرقة. الجسد يحرق العداوة، والدم يحرق الخطية، والإحراق يتم بروح

أزلي – روح الإحراق – فالجسد والدم ذبيحة محبة مُحرِقة للعداوة بكل معنى وكل حق.

الإفخارستيا مأكل الحب وشراب الحب بالحق. لو لم يحب المسيح خاصته الذين في العالم ويحبهم إلى المنتهى ما قامت الإفخارستيا. الجسد مكسور حباً، والدم مسفوك حبًّا، هذا هو سر الإفخارستيا الذي تأسست عليه منذ عشاء الخميس فصارت حتى اليوم سر شكر من داخل سر الحب!

آية غسل الأرجل وسر العشاء:

ربما كان يُكتفى في الأوقات العادية والولائم العادية بغسل اليد قبل الأكل استعداداً للصلاة والبركة كطقس ولائم العشاء. ولكن هنا وفي هذه الوليمة المملوءة أسراراً **جعل السيد المسيح غسل الأرجل آية وعملاً هاماً من داخل الإفخارستيا**.

+ «**قام عن العشاء** ... وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ» (يو 13: 4و5):

قد يبدو لأول وهلة أنها مسألة تطهير أو على أكثر وجه تعليم ودرس عن الاتضاع، خصوصاً وأنه كانت بينهم منازعة على الجلوس في المتكأ الممتاز وبالتالي حول مَنْ هو أعظم، وربما أخذها بطرس الرسول على هذا المأخذ حينما تمنَّع عن غسل رجليه (ظنًّا منه أن الرب إنما يوبِّخه على اهتمامه بذلك). فسمع من الرب القول المذهل الذي جعله يجمد في مكانه: «إن كنتُ لا أغسلك فليس لك معي نصيب» (يو 13: 8)!!

إذاً، فالمسألة خطيرة إلى هذا الحد؟ وعدم الحصول على الغسل بيديِّ المسيح يعني حرماناً مؤكداً من ملكوت الله؟! بهذا الفهم وهذا الإيمان وهذا الاندهاش ينبغي أن نفحص علاقة الإفخارستيا بغسل الأرجل!

كان الرب كل يوم يأكل مع تلاميذه، ولكن في هذا العشاء فقط جعل من الأكل والشرب سرًّا للخلاص والحياة، وكشفاً وإعلاناً عن حبه الذي بلغ المنتهى والغاية، فقدَّمه لأحبائه ذبيحة من جسده ودمه!!

وكان الرب أيضاً كل يوم يغسل يديه والتلاميذ يغسلون أيديهم أمامه. ولكن في هذا العشاء فقط، ولأول مرة، اتَّخذ من الأمر آية: «قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتَّزر بها، ثم صبَّ ماءً في مِغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متَّزراً بها.» (يو 13: 4و5)

فإذا تنبهنا إلى أنه لم يتبقَّ وقتئذ على الصليب إلاَّ عدة ساعات قليلة، أدركنا أن العمل ذو

أهمية عظمى وهو مشحون بالسر. يوحنا الرسول يلمِّح للسر ويشير إليه من بعيد: «**يسوعُ وهو عالمٌ أن الآبَ قد دفع كل شيءٍ "إلى يديه"، وأَنه من عند الله خرج وإلى الله يمضى، قامَ عن العشاءِ، وخلعَ ثيابَهُ وأَخذَ منشفةً واتَّزرَ بها، ثم صبَّ ماءً في مغسلٍ وابتدأً يغسل أرجُلَ التلاميذ "بيديه"**...» (يو 13: 3- 5)

وكأنما القديس يوحنا الرسول يريد أن يقول لنا إن اليدين اللتين ''دفُع إليهما كل شيء مما في السماء وعلى الأرض'' انحنت هكذا كيديّ عبد تغسل الأرجل وتمسحها!!

إن سر غسل الأرجل خطير وإن كانت تنعكس آثاره القريبة والبسيطة على التلاميذ كتطهير على مستوى سرّي ودرس لهم في الاتضاع؛ إلاَّ أن آثاره الإلهية العميقة والأزلية تبدو بلا شك متعلقة بذبيحة المسيح!! يوحنا الرسول ينبه بشدة، وإنما بالإشارة الذكية، إلى هذا التنازل الذي اتَّخذه المسيح حتى إلى مستوى العبد، ينحني ويغسل أرجل التلاميذ بيديه، بقوله: «وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه. » (يو 13:3)

الإشارة هنا توجِّه الذهن المفتوح إلى أن الاتضاع الذي مارسة الرب في غسل الأرجل خارج عن حدود الاحتياج أو الإلتزام أو الضرورة.

فالمسيح وهو يعلم تماماً «أن كل شيء قد دُفع إلى يديه» أي أنه قد وضع يده على كل شيء مما في السماء وما على الأرض، في هذا الوقت وفي هذا الحال، قام المسيح يغسل أرجل تلاميذه بهاتين اليدين!!

فالاتضاع هنا تنازل جديد، كآخر صورة للتجسُّد، فاليدان اللتان تتسلطان على كل السماء والأرض، تتنازلان وتغسلان أرجل البشر، هذا إخلاء منتهى الإخلاء. إنه هبوط بالذات إلى مستوى التراب وأقل. فالمسيح جلس يغسل التراب عن أرجل تلاميذه، أليس هذا هو إماتة الذات؟ أو بحسب تعبير المسيح نفسه: «مَنْ أضاع حياته (ذاته) من أجلي يجدها؟» (مت 39:10)

إن الارتفاع الهائل الذي يريد يوحنا الرسول أن ننظر منه على المسيح وهو منحنٍ يغسل أرجل تلاميذه، يجعلنا ننظر في هذا العمل صورةً حقيقيةً للمسيح وهو يموت عن نفسه!!

وهكذا نرى أنه كما اصطبغت الإفخارستيا بالحب، هكذا تصطبغ هنا بالاتضاع الذي بلغ أعلى حدٍّ للموت عن الذات!!

حينما ارتفع القديس بولس الرسول بالرؤيا كعادته وأراد أن يستعلن لنا فكر المسيح الذي جاء

به وكان يحيا فيه، لم يجد أمامه أروع من منظر المسيح وهو منحنٍ يغسل أرجل تلاميذه كخادم أي «**عبد**»، فمن هذا المنظر استوحى فكر المسيح الذي تجسَّد بمقتضاه وجاء ليعيش ويموت ويقوم فيه، لكي يحرِّضنا نحن أيضاً أن نعيش ونموت بهذا الفكر، حيث قال:

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله (قارن مع: ”دُفع كل شيء إلى يديه“) لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله، **لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة "عبد"**، صائراً في شِبه الناس، **وإذ وُجِد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.** » (في 2: 5-8)

وهذا الفكر هو ما أراد المسيح أن ينقله لتلاميذه، بعد أن أكمل غسل أرجلهم وقام واتكأ على المائدة قبل بدء التقديس وإعلان الأسرار. لقد بدأ فعلاً ينقل صورته البسيطة والقريبة إلى تلاميذه ليكوِّن منهجهم المسيحي أو بالحري «**طقس الشركة**» أو **قانون الجماعة المسبِّحة المتقدمة للسر الإلهي**: أن «**يكون المتقدِّم كالخادم**»، «**والكبير فيكم ليكن كالأصغر**» (لو 22: 26)، و«**أن يغسل بعضكم أرجل بعض.**» (يو 13: 14)

لقد أراد المسيح أن يسجِّل هذا العمل الإلهي في ذهن الكنيسة، وليكوِّن منه درساً عميقاً للاتضاع وإنكار الذات. ولكنه بقي كما هو بسرِّه الكبير إخلاءً إلهياً مذهلاً وعملاً تواضعياً بشبه الموت**!!**

لقد دعَّم المسيح الإفخارستيا باعتبارها ذبيحة المحبة بهذه الآية العملية التي بلغ فيها الاتضاع حد الإماتة أو الموت، حتى إن كلَّ مَنْ يأكل الجسد المكسور ويشرب الدم المسفوك، يأكل ويشرب من سر الحب وسر الاتضاع اللذين كانا آية المسيح دائماً كل أيام حياته ولكنهما بلغا القمة والمنتهى في سر الإفخارستيا حيث صارا لنا طعاماً روحياً نغتذي به، لذلك أصبح من واقع الحال أو كاستجابة تلقائية أن كل مَنْ يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس يُخبر بموت الرب إلى أن يجيء**!!** لأننا نأكل جسداً مكسوراً ليس فقط وهو على الصليب فحسب، بل وأيضاً مكسوراً اتضاعاً بشبه الموت في غسل الأرجل؛ ومكسوراً حُباً حتى الموت على الصليب**!!**

حينما حاول بطرس، بانزعاج صادق، أن ينكر على المسيح تنازله إلى غسل الرجلين، ردَّه المسيح بلطف: « لستَ تعلم أنت الآن **ما أنا أصنع** ولكنك ستفهم فيما بعد » (يو 13: 7)، وهذا هو مستوى الطقس الكنسي.

يقدِّم لنا الطقس الكنسي الهبات الروحية والنِعم والطهارة والتقديس في صورة مبهمة غير مدركة بل

ومثيرة للدهشة وعدم التصديق: «فجاء إلى سمعان بطرس، فقال له ذاك: يا سيد أنت تغسل رجليَّ؟!» (يو 13:6). لكن عندما يكمِّل الرب عمله في نهاية المطاف وتنجح كلمته فيما أُرسلت إليه، حينئذ يدرك الإنسان معنى العمل الإلهي الذي كان مغلقاً على العقل والفهم وفائقاً على التصديق!!

حينما أكمل الرب إرساليته وأطاع حتى الموت موت الصليب، ثم إذ قام من الأموات بقوة وصعد أمام تلاميذه بمجد إلى السماء، حينئذ حان الوقت لدى بطرس والتلاميذ أن يروا في أعمال الرب التي أكملها في اتضاع ـ وعلى رأسها خدمة غسل الأرجل التي وقف المسيح فيها موقف العبد والخادم ـ حان الوقت أن يروا الصورة الداخلية السرية للصليب!!

وحينما صعد الرب بمجدٍ إلى السماء، أدرك بطرس أن «**نصيبه**» مع الرب صار محفوظاً لا يتدنس ولا يضمحل في السموات، إذ قَبِلَ من الرب «**غسل رجليه**» الذي كان له بمثابة إشارة سرية للاستعداد للموت الإرادي أيضاً.

وقد نبَّه الرب إلى ذلك بإشارة خفية وعميقة حينما قال لبطرس: « الذي قد اغتسل ليس له حاجة "**إلاَّ إلى غسل رجليه**" بل هو طاهر كله » الإشارة هنا تفيد أن المسيح بغسل أرجل التلاميذ أعدَّهم للموت معه!!! « إن كنت **لا أغسلك** فليس لك "**معي**" **نصيب**. » (يو 13:8)

أمَّا كيف يكون غسل الأرجل مساوياً لتكفين الجسد كله، فالإشارة والآية هنا تمد جذورها إلى قارورة الطيب التي «**دهنت بها مريم قدميَّ يسوع**» ثم «**مسحت قدميه بشعرها**»، فرأى المسيح في ذلك **عملاً يساوي تكفين الجسد كله** (يو 12: 3و7)، وهكذا كان غسل أرجل التلاميذ باليدين الإلهيتين عملاً تطهيرياً يساوي تكفين الجسد كله، وكأنه قد سبق فكفَّنهم بغسل أرجلهم بيديه.

أي أن المسيح أراد أن يصنع من غسيل أرجل التلاميذ شركة سرية في الموت معه، موت يؤول إلى قيامة ومجد ونصيب واحد في ملكوت معدٍّ:

+ « ولكني أنا بينكم **كالذي يخدم**، أنتم الذين ثَبَتُوا معي في تجاربي، **وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي** ... » (لو 22: 27ـ30)

ليلاحِظ القارىء أن المسيح كلَّمهم بهذا الكلام (الوارد في لو 22: 27ـ30) قبل البدء في العشاء الأخير مباشرةً، وإعلان سر الجسد والدم للعهد الجديد. لذلك فحين سلَّمهم الجسد المكسور وأعطاهم الدم المسفوك كان قد سبق وأعدَّهم بالكلام وبالعمل السري الإلهي لهذه الشركة التي لموته ـ بغسل الأرجل!

الباب الثالث

عشاء الرب والتقليد الإنجيلي

الفصل الأول

عشاء الرب كان تقليداً ليتورجياً قائماً بذاته، تسلَّمه الإنجيليون وسجَّلوه في الأناجيل والرسائل

حينما ندقق في كل ما تمَّ في عشاء الرب ليلة الخميس، بحسب ما جاء في الأناجيل وبحسب ما هو قائم في القداسات الآن، نجد أن الأساس الذي بنى الرب عليه سر الإفخارستيا في العشاء الأخير هو بحد ذاته تقليد أخذته الكنيسة بالتسليم، ووعته، واستودعته طقوسها بكل دقة، وكان نواة لصلوات أُضيفت دون أن تؤثِّر بشيء على شكل النواة الأُولى وقوتها وفاعليتها.

ولقد سرى تقليد «عشاء الرب» كما هو بيد الرسل في جميع الكنائس كتقليد محدد منفصل انفصالاً تاماً عن كل طقس آخر سابق في العبادة اليهودية، ولأن **عشاء الرب** جاء استعلاناً لكل الطقوس والعبادات السابقة وجاء مزدحماً بالمعاني ومحققاً لكل الإشارات والرموز والمثالات والنبوات السابقة، لذلك أصبح من الممكن رؤية كل الطقوس السابقة وكل العبادات والصلوات والإلهامات فيه.

من السهل أن نجد قولاً أو إشارة أو لفظاً قاله الرب في العشاء السري له صلة بل وصلات قوية بطقوس سابقة أو صلوات، ولكن الأمر الذي يهمنا أن ندركه جميعاً، وندركه بثقة وتأكيد، أن عشاء الرب يحوي كل ما هو جليل وكل ما هو حق وكل ما هو ملهم ومضيء في الطقوس والعبادات السالفة، دون أن ينطوي تحت واحدة منها.

لقد أخذت الكنيسة «سر عشاء الرب» كتقليد إلهي متكامل في ذاته منفصل عن كل تقليد آخر.

وحينما سلَّم التلاميذ هذا التقليد السري الذي هو على أعلى مستوى من الإلهيات، حاول كل واحد أن يسلِّمه أو يسجِّله كما استلمه أو كما وعاه في قلبه وعينيه وذاكرته، فكان إذا استلمه رسول آخر لم يكن قد اشترك فيه مع الرب ليلة العشاء الأخير مثل بولس الرسول، كان يستطيع بكل ثقة وتأكيد أن يقول إنه استلمه من الرب!!! «لأني تسلَّمت من الرب ما سلَّمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً ...» (1كو 23:11). إلى هذا الحد بلغت الثقة وبلغ اليقين في تسلُّم وتسليم تقليد سر الإفخارستيا.

ويلزمنا هنا أن نقف عند مفهوم «تسلَّمت وسلَّمت» الذي يستخدمه القديس بولس الرسول هنا

بحذر فيما يختص بالأسرار، لأنه استخدمه مرة أخرى فيما يختص بموت ا لرب وقيامته، أي فيما يختص بحقائق الإيمان العليا: «وأُعرِّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه ... فإنني **سلَّمت** إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر ... إلخ.» (1كو 15: 1-5)

هنا يستخدم القديس بولس الرسول أيضاً «تسلَّمت وسلَّمت» بنفس الكلمتين اليونانيتين paradidÒnai, paralamb£nein، وهو الاصطلاح الرباني المخصص في العبادة للتقليد السري الذي يكون على أعلى مستوى. فالكلمة «تسلَّم» وهي باليونانية paralamb£nein، والكلمة «سلَّم» وهي باليونانية paradidÒnai، هما أصلاً بالعبرانية وفي الأدب الرباني qibbel min (قبل من) وmasar le ويستخدمهما القديس بولس الرسول ليؤكِّد أن ما يقوله هو تقليد إلهي، وهو هو الصادر من مصدره الأصلي الذي هو الرب نفسه دون أي انقطاع أو تقطُّع.

ولكن الذي نريد التأكيد عليه هو أن بولس الرسول في نقله لهذا التقليد، لا ينقله بكلمات من عنده، وهذا بحسب أصول تقليد التسليم والتسلُّم، حيث ينبغي أن يُنقل بألفاظه وحركاته. فبولس الرسول ينقل التقليد الذي تسلَّمه من الرسل الذين تسلَّموه من الرب بنفس الألفاظ.

ويؤكِّد علماء اللغة اليونانية أن القديس بولس في نقله لهذا التقليد، سواء الذي جاء بخصوص الإفخارستيا (1كو 11: 23-25) أو الذي جاء بخصوص موت الرب وقيامته وظهوره (1كو 15: 1-11)، يستخدم كلمات جديدة لم تدخل قط في أسلوبه السابق. وعلى سبيل المثال نجد القديس بولس في جميع رسائله يتكلَّم عن الخطية بوصفها المفرد لأنه يعتبرها قوة مشخَّصة تستمد شخصيتها من الإنسان العتيق ومن الناموس، لذلك يشدِّد القديس بولس الرسول على أن المسيح أبطل الخطية بسفك دمه على الصليب لأنه أبطل كلاً من الإنسان العتيق والناموس كليهما، وهما القوتان اللتان تشخِّصان وتحييان الخطية، ففي تعاليم بولس الرسول حتى في مفهوم الإفخارستيا أي الجسد والدم يتركز الغفران على أساس إبطال «**الخطية**» وليس «الخطايا» كما ينقل الكلمة هنا عن التقليد المسلَّم له.

لذلك هنا في نقله لصورة التقليد الإيماني حينما يقول: «مات من أجل **خطايانا**» (1كو 3:15) فهو لا يتكلَّم قط بلسان نفسه.

كذلك كلمة «حسب الكتب» ليست من استخدامات القديس بولس في الكتابة، فهو هنا ينقلها حرفياً، كما استلمها شفاهاً.

وكذلك كلمة «اليوم الثالث» وكلمة «الاثني عشر» كتعبير عن الرسل. ومثل مصطلح «جسد المسيح» كتعبير عن جسم المسيح اللحمي، لأن القديس بولس لا يستخدم «جسد المسيح» إلاَّ في مفهومه العام أي جسد الشركة.

بل ويؤكِّد أيضاً العالم «يواكيم إرميا» أن التقليد الذي ينقله القديس بولس الرسول بكلماته هو من أصل عبري واضح وليس من أصل يوناني، توكيداً على أن التقليد اللفظي الإصطلاحي منقول من نفس الألفاظ التي قالها المسيح وسمعها التلاميذ ونقلوها كما هي وكما سَرَتْ في الكنيسة الأُولى في الوسط المسيحي العبري(1).

ولكن ينبغي أن ننبِّه ذهن القارىء إلى أن التسجيلات التي تمَّت في الأناجيل الأربعة وفي رسالة القديس بولس الرسول الأُولى إلى أهل كورنثوس تم تسجيلها في زمن ما بعد تأسيس عشاء الرب على مراحل مختلفة ومتباعدة جداً. فالقديس بولس الرسول وهو يُعتبر أول مَنْ سجَّل التقليد الإفخارستي كتابةً في رسالته الأُولى لأهل كورنثوس، سجَّله بعد تأسيس العشاء الرباني بحوالي عشر سنوات أو أقل قليلاً، كما تسلَّمه من الرسل الثلاثة بطرس ويوحنا ويعقوب أعمدة كنيسة أورشليم في الزمن الأول(2).

ويأتي بعد ذلك مرقس الرسول الذي يُظن أنه استقى تقليد صلوات عشاء الرب من القديس بطرس الرسول كشاهد عيان، وسجَّل ذلك بعد عشاء الرب بحوالي ثلاثين سنة أو أقل قليلاً(3).

والملاحَظ أن تسجيل التقليد كلما تباعد زمنه من وقت «عشاء الرب» كلما بدأ يدخل أكثر في الصيغة الكنسية المستخدمة آنئذ في الكنيسة، وكلما بدأت الكلمات تأخذ تفسيراً وترتيباً ليتورجياً(4).

إلى أن نأتي إلى زمن كتابة إنجيل يوحنا، وهو تقريباً في نهاية القرن الأول ــ أي بعد زمن تأسيس عشاء الرب بأكثر من ستين سنة، فنجد أن القديس يوحنا الرسول لا يجد في وقته سبباً لتسجيل كلمات العشاء الرباني، بصفتها قد أصبحت من تعاليم الممارسات السرية Disciplina arcani المحظور إذاعتها إلاَّ للمؤمنين الممارسين للأسرار فقط، ولأنها محفوظة من المسئولين عنها

(1) Joachim Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, p. 102.

(2) Schlatter, *Paulus*, p. 395.

(3) Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 64.

(4) Ibid.

ومُستخدمة كل يوم في الكنيسة، فاكتفى بتوضيح الحوادث الملابسة للعشاء فقط.

كذلك نجد بعض الكلمات مذكورة في إنجيل وغير مذكورة في إنجيل آخر، مثل «اصنعوا هذا لذكري» إذ نجدها في إنجيل لوقا وفي رسالة بولس الرسول، ولكن لا نجدها في كل من إنجيل القديس مرقس وإنجيل القديس متى. هذا في الواقع يعود إلى أنها كانت قد أصبحت حقيقة محفوظة في الكنيسة التي كتب لها القديس مرقس الرسول أو القديس متى الرسول، فاكتفى كل منهما بسرد التقليد الأساسي ـ أي الكلمات الأساسية[5] التي قام عليها القداس أو التقليد الكنسي المطوَّل ـ أمَّا القديس بولس الرسول وتلميذه القديس لوقا الإنجيلي فكل منهما كتب لكنائس كانت في طور التكوين ولم يترسخ فيها بعد التقليد الإفخارستي جملةً، فارتأى كل منهما أن يوضِّح التقليد بدقة كما تسلَّمه، وبتكراره كما هو حتى تستقي منه الكنيسة خدمتها.

كذلك نجد في إنجيل متى الرسول باللغة السريانية، أنه قد أُضيف على تسجيل كلمات العشاء الرباني المشتركة في باقي الأناجيل كلمة «**لمغفرة الخطايا**» (مت 28:26). هذا التسجيل هو من واقع ليتورجية الإفخارستيا في الكنيسة بحسب التقليد المسلَّم للكنيسة هناك قبل كتابة الإنجيل وترجمته.

وقد أصبحت هذه الإشارة الإنجيلية أهم خصائص الإفخارستيا السريانية منذ البدء حتى اليوم[6]. وقد أخذت الكنيسة القبطية بهذه العبارة عند تقديس كل من الخبز والخمر.

هكذا نرى أن التقليد الإفخارستي الموجود في الكنيسة منذ البدء والمدوَّن في الأناجيل يعطي كلٌّ منهما للآخر ويأخذ بحسب المصدر الواحد الذي أخذ منه هذا وذاك، أي «عشاء الرب» كما رآه وسمعه وشارك فيه التلاميذ والإنجيليون.

العنصر التقليدي الليتورجي في النصوص الإفخارستية:

لقد أخذت الأسرار وبالأخص العماد والإفخارستيا مسارها داخل الكنيسة، وتأصلت في حياة المؤمنين، ورسخت تعاليمها وممارساتها بدقة وحرفية ورهبة شديدة في جميع الكنائس قبل أن تكتب الرسائل أو الأناجيل. لذلك أصبح خط التقليد الليتورجي السرائري داخل الكنيسة ذا اعتبار هام وقت كتابة الرسائل والأناجيل، لأن الليتورجيا الأُولى تقليد أصيل ينقل صورة الممارسات التي تمت وقت العشاء السري والكلمات التي قالها الرب بدقة وحرفية لفظية وعملية بحسب التقليد المسلَّم.

---

(5) Ibid, p. 68.
(6) Ibid.

لذلك فبالرغم من الوحدة الأساسية في النصوص الإفخارستية المشتركة بين الأناجيل، نجد بعض التعديلات والإضافات والاختلافات في الترجمة بين بعضها البعض. هذا يوضح مدى تأثير التقليد الليتورجي القائم في الكنيسة وقتئذ على النص الإنجيلي.

فمثلاً نجد بولس الرسول في سرده للنص الإفخارستي المسلَّم إليه يضيف نصاً لم يرد في الأناجيل الأخرى، إلاَّ بصورة جزئية في إنجيل لوقا فقط[7]. ففي الرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس يقول لهم: « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو 26:11). هنا الكلام موجَّه من بولس الرسول إلى أهل كورنثوس وليس من الرب للتلاميذ، لأن ما سجله بولس الرسول عن لسان المسيح هو «اصنعوا هذا لذكري» حيث يؤكد بولس الرسول لأهل كورنثوس أنهم كلما أقاموا الإفخارستيا بحسب التقليد المسلَّم من الرب «كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس »يكونون بهذا العمل في موقف الذين يخبرون أو يبشرون باستمرار بموت الرب، كل مرة، وجيلاً بعد جيل، حتى يأتي الرب «تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو 26:11)، وذلك بحسب وصية الرب: «اصنعوا هذا لذكري» (لأن كلمة تخبرون kataggšllete هي في زمن المضارع المستمر بالصيغة indicative الإخبارية التي تفيد التبشير بحدث قائم أكثر مما تفيد معنى الإخبار بالكلام عن حادثة مضت وانتهت)[8].

غير أن هذا النص لم يُضِفْهُ بولس الرسول من نفسه، ولكنه كان تقليداً قائماً وممارساً. ففي تتميم كل إفخارستيا يتحتم أن يكون موت الرب واقعاً في صميم معنى الصعيدة ومركزاً للصلوات كلها (وهذه الصلاة نجدها واضحة في القداس الباسيلي في الكنيسة القبطية حيث يقول الكاهن بعد التقديس على الخبز والكأس، وقبل حلول الروح القدس مباشرة ‘‘**ففيما نحن أيضاً نصنع ذكرى آلامه المقدَّسة وقيامته من الأموات** وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وظهوره الثاني الآتي من السموات المخوف المملوء مجداً، نقدِّم لك قرابينك’’).

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى كلمة «تخبرون بموتي» في أصلها اليوناني نجد أن مقابلها العبري هو Higgid وهذا الفعل نفسه نجده هو المستخدم في **الإخبار** عن قصة الخروج وقت عشاء الفصح عند

(7) ما أورده لوقا الإنجيلي هو «اصنعوا هذا لذكري» وذلك على الخبز فقط. في حين أن بولس الرسول سجَّل في رسالته إلى كورنثوس «اصنعوا هذا لذكري» على كل من الخبز والخمر ثم أضاف بعد ذلك: «لأنكم كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء».

(8) Kittel, *Theol. Dict. of the N.T.*

الأكل من خروف الفصح لترسيخ **خبر الخلاص** والانعتاق والحرية التي تمت للشعب آنئذ في ذهن الأجيال[9]، وهذا الطقس يسمى Higgadi أي الإخبار بحوادث الخروج من عبودية مصر (تث 6: 6ـ9).

وهكذا يتضح لنا من هذا التقليد الذي سجَّله لنا بولس الرسول عن الأصل الليتورجي المستخدم عملياً في الإفخارستيا في كورنثوس، أن **الإخبار بموت الرب**، (عملياً بتقديم الجسد والدم، ولفظياً بذكر أخبار آلام الرب)، في كل مرة تقام فيها الإفخارستيا هو بشارة مستمرة بخبر الخلاص الذي تمَّ لنا بذبيحة المسيح.

والذي نريد أن ننبه ذهن القارىء إليه **هو أن النص الإفخارستي الذي** سجله لنا بولس الرسول في الرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» هو في الواقع نص ليتورجي أخذه بولس الرسول من صميم الممارسة العملية للإفخارستيا داخل الكنيسة وسلَّمه كما هو لأهل كورنثوس.

ولكن عادت الكنيسة بعد ذلك وأخذت هذا النص الإفخارستي المضاف وأدخلته برُمَّته كنص ليتورجي قائم بذاته حيث يقول الكاهن بعد التقديس على كل من الخبز والخمر:

[لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن أجيء].

وهنا اعتبرت الكنيسة هذا النص الذي أتى على لسان بولس الرسول أنه أصلاً أتى على لسان المسيح نفسه، وهذا ليس خروجاً عن الواقع أو تجنباً للحقيقة، فالمسيح قال: «اصنعوا هذا لذكري» وذكر المسيح يشمل حتماً موته وقيامته ومجيئه الثاني.

وهنا نجد صورة واضحة لتأثير الليتورجيا المتوطنة في الكنيسة، قبل تدوين الأناجيل، على النصوص الإفخارستية التي تسجلت في الأناجيل والرسائل. والعكس أيضاً، أي مدى تأثير النص الإفخارستي المدون في الأناجيل على صياغة الليتورجيا بإضافات إنجيلية عليها باستمرار وعلى طول الزمن.

ونقدِّم هنا مقارنة بسيطة بين التسجيلات لنصوص الإفخارستيا وبالأخص كلمات التقديس على

---

(9) D. Jones, "¢n£mnhsij in LXX and the Interpretation of 1 Cor. XI. 25", *J.T.S. (Journal of Theolog. Stud.)*, 1955, p. 188 f.

الخبز والخمر التي جاءت في الأناجيل والرسائل:

صلة الليتورجيا بالنص الإفخارستي لكلمات التقديس على الخبز والخمر الواردة في الأناجيل:

الرسالة الأُولى لأهل كورنثوس	**إنجيل لوقا**	**إنجيل مرقس**	**إنجيل متى**
أن الرب يسوع	و	وفيما هم يأكلون	وفيما هم يأكلون
في الليلة التي			
أُسلم فيها			
أخذ خبزاً	**أخذ خبزاً**	**أخذ خبزاً**	**أخذ** يسوع **الخبز**
وشكر	**وشكر**	**وبارك**	**وبارك**
وكسر	**وكسر**	**وكسر**	**وكسر**
	وأعطاهم	**وأعطاهم**	**وأعطى** التلاميذ
وقال	**قائلاً**	**وقال**	**وقال**
كذلك **الكأس أيضاً**	وكذلك **أيضاً الكأس**	ثم أخذ **الكأس**	**وأخذ الكأس**
بعدما تعشُّوا	**بعد العشاء**		
		وشكر	وشكر
		وأعطاهم	وأعطاهم
		فشربوا منها كلهم	
قائلاً	قائلاً	وقال لهم	قائلاً

واضح من هذا العرض للنصوص الإفخارستية كما وردت في الإنجيل ورسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس، أن التقليد الأساسي والأول الذي أخذ عنه الإنجيليون الثلاثة وبولس الرسول، واحدٌ ونفس الشيء، فالعبارات تكاد أن تكون واحدة، حتى وإن ظهرت فيها مفارقات طفيفة. فهذا بسبب أن كل كاتب (ممن لم يعاينوا عشاء الرب) إنما كان يسجل التقليد المسلَّم إليه بحسب الليتورجيا القائمة في الكنيسة التي يعيش فيها والتي اشترك هو بنفسه في الصلاة بها.

ولهذا نجد التقارب يظهر بشدة بين النصوص الواردة عند القديس بولس الرسول والنصوص الواردة عند القديس لوقا الإنجيلي، لأنهما كانا ملتزمين بليتورجية واحدة.

كذلك نجد التقارب يظهر أشد بين الرسولين مرقس ومتى لأنهما أصلاً ملتزمان بليتورجية كنيسة أورشليم حيث عُقد عشاء الرب.

ولكن الذي نريد أن نوجه نظر القارىء إليه هو أن كل هذه النصوص المسجَّلة في الأناجيل والرسالة إلى كورنثوس هي في الواقع نصوص ليتورجية، **أي منطوق العبارات التي تُتلى في التقديس على الخبز والخمر**. وهذا واضح جداً من مطلع التسجيل الذي يقدِّمه بولس الرسول:

- «**إن الرب يسوع**» في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر وكسر، هذا نص ليتورجي يُقال في خدمة التقديس. فاستخدام كلمة «**الرب يسوع**» لم ترد قط داخل حديث إخباري في الأناجيل، وهي هنا تأخذ شكل «**اعتراف**» إيماني كما جاءت قبل ذلك «لأنك إن اعترفت **بفمك "بالرب" يسوع وآمنت بقلبك** ...» (رو 9:10)

- كذلك قوله «في الليلة التي أُسلم فيها» يشير أيضاً إلى روح الليتورجيا، فالقول لا يتعلق بتحديد زمن إخباري، وإنما يربط العمل بذكرى رهيبة، ليعطي الخدمة هيبتها ووقارها، خصوصاً أن كلمة «أسلم فيها» تشير في صيغتها المبني للمجهول إلى إرادة الله الآب الذي أسلمه، فتربط الذهن المتأمل بكلام إشعياء النبي «كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه ... أمَّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن.» (إش 53: 7و10)

- كذلك فإن إيراد الأفعال الثلاثة متتالية: ‘‘أخذ’’ و‘‘شكر’’ و‘‘كسر’’، يكشف عن الالتزام بالشكل الليتورجي، لأن في الأصل الإخباري هناك وقفة زمنية طويلة يتخللها عمل بين «شكر» و «كسر» لأن كلمة «شكر» تفيد تلاوة صلاة خاصة للشكر على الخبز.

- كذلك فإن انفراد القديس بولس الرسول أولاً ومن بعده القديس لوقا الإنجيلي في تسجيل كلمة «**شكر**» بدل كلمة «**بارك**» على الخبز، هو في الواقع محاولة لتسجيل أول اتجاه ليتورجي جاء للخروج من تحت نير الطقس اليهودي، لأن الكلمة العبرية الأصلية هي ‘‘Berak’’ وتترجم إلى اليونانية إلى «باركeÙloge‹n» ، فتحويلها إلى مفهوم الشكر eÙcariste‹n (وهي فعلاً تحتمل هذا المفهوم) هو عمل مبكر جداً من أعمال الليتورجيا في الكنيسة المسيحية عند الأمم.

والقديس بولس الرسول هنا إنما ينقل لنا أول صورة لليتورجيا في الكنيسة المسيحية وهي تحوُّل مفهوم ومضمون «عشاء الرب» من طقس «**بركة**» إلى طقس «**شكر**»، وبالتعبير اليوناني من

«**الأولوجيا**» إلى «**الإفخارستيا**».

وقد أخذ القديس لوقا عنه ذلك (22: 7و19) حيث بدأت تسمية عشاء الرب، بعد ذلك بقليل، تصير «الإفخارستيا» أي طقس الشكر. لأننا نجد بعد ذلك القديس مرقس يستخدم كلمة « شكر» بدل «بارك» (16:8)، وكذلك القديس متى (36:15)، ووردت أيضاً في سفر الأعمال (35:27)، وقد استخدمها أيضاً القديس يوحنا الرسول (6: 11و23). وقد بدأ استخدامها رسمياً داخل الكنيسة في الدسقولية (1:9؛ 1:10).

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى التغيير الهام الذي حدث في استخدام الفعل «بارك» ''Barek'' بالأرامية و''Berak'' بالعبرية. فالأصل في هذا الفعل حينما يُقال على الشيء لا يقبل مفعولاً به إطلاقاً، لأنه فعل مضمر حيث المفعول به هو الله وأصله «وبارك الإنسان الله على الشيء» فأصبح هذا الشيء مُبارَكاً، أي أخذ بركة إلهية فوق صفاته المادية.

وهذا وارد في إنجيل مرقس «ورفع نظره نحو السماء **وبارك** (أي بارك الله الآب) ثم كسر الأرغفة وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم» (مر 41:6)، «وكان معهم قليل من صغار السمك فبارك (أي بارك الله الآب) وقال أن يقدِّموا» (مر 7:8)، حيث اسم الله لا يُذكر عادة.

ولكن لما امتدت البشارة خارج فلسطين أصبح عسيراً على الفكر اليوناني والأممي بوجه عام أن يستسيغ أن يبارك الإنسان الله على شيء دون ذكر الله كمفعول به ظاهراً ومباشراً، فابتُدئ يستخدم فعل Berak العبري **بدون** الله كمفعول به، وحلَّ بدل الله كمفعول به الشيء ذاته، لذلك نسمع القديس لوقا يقول في إنجيله: «فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء **وباركهنَّ** ثم كسَّر وأعطى التلاميذ ليقدِّموا للجمع» (لو 16:9). وهذا يُعتبر خروجاً على المنطق اللغوي للغة العبرية وعلى الفكر العبري بوجه عام فيم يختص بالأمور العادية، لأنه إذا وقع الفعل ''بارك'' Berak على مفعول به غير الله، صار هذا المفعول به (أي هذا الشيء) مقدَّساً[10] وهذا يحتاج إلى إجراءات طقسية **وكهنوتية** ومسح بالدم. لذلك فترجمة الفعل Berak أي «بارك» (افلوجين) بالفعل «شكر »(افخارستين) تعتبر محاولة للخروج من القيود اليهودية الطقسية الملزمة للكلمة «بارك» مع الاحتفاظ بكثير من المعاني[11].

---

(10) Joachim Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, p. 175.

(11) H. Schürmann, "Semitism in Mark & Luke", *Z.K.Th. 73*, (1951), p.74.

- وأيضاً في استخدام القديس بولس الرسول لكلمة «**وكذلك الكأس أيضاً**»، هي في الواقع تكشف عن وضع ليتورجي كمحاولة لعمل مطابقة أو مقابلة متساوية (كذلك أيضاً) بين التقديس على الخبز والتقديس على الخمر، خصوصاً وأن القديس لوقا استخدمها كما هي في تسجيله للنص الإفخارستي في إنجيله.

أمَّا النص الإفخارستي الذي أورده كل من القديس مرقس والقديس متى، فنجد أنه يبتدىء بجملة إضافية اختيرت لتكون مناسبة للمعنى «وفيما هم يأكلون ... أخذ خبزاً» ولكن بنظرة واحدة إلى بدايات النصوص الأخرى الواردة في بقية الأناجيل، وهي واحدة في الجميع، يظهر بوضوح أن القديس مرقس الرسول نقل هذه الكلمات عن النص الليتورجي الذي تسلَّمه، وعنه أيضاً أخذ القديس متى الرسول نفس النص الإفخارستي الذي هو من واقع الليتورجيا التي تسلمها وكان يمارسها.

وهكذا فإن الكلمات الأُولى التي أضافها كل من القديس مرقس والقديس متى كشفت لنا مرة واحدة عن أن النص الإفخارستي بأجمعه الوارد في الإنجيلين هو هو بعينه النص الليتورجي التقليدي المستخدم في الكنيسة وقت تدوين الأناجيل.

وبذلك يتضح لنا بحسب الجدول السابق لكلمات التقديس التي أوردها الإنجيليون الثلاثة وبولس الرسول في رسالته إلى كورنثوس، أنها هي منطوق كلمات الليتورجيا التي كانت تُقدِّس بها الكنائس وقتئذ. وهذا من شأنه أن يزيد من أصالة ويقين كل من الليتورجيا، أي خدمة الإفخارستيا في الكنيسة، منذ البدء، كما يلقي ضوءاً كبيراً على وحدة الأصل والمنبع للإفخارستيا كما سجلها الإنجيليون والقديس بولس الرسول.

انفصال الأغابي (وليمة المحبة) عن طقس عشاء الرب وتأثير ذلك على النص الإفخارستي كما جاء في الأناجيل

معروف أن «عشاء الرب» كان أصلاً وليمة عشاء أقامها الرب مع تلاميذه بسبب المحبة الروحية، مثل ولائم كثيرة سابقة أكل فيها مع تلاميذه. ولكن من خلال طقس هذا العشاء التقليدي، أسس الرب سر الإفخارستيا بتقديس الخبز قبل العشاء وتقديس الكأس «**بعد العشاء**».

ولكن تسلَّم التلاميذ «**سر الإفخارستيا**» كجزء من وليمة المحبة أو من مائدة يشترك فيها الأحباء المؤمنون بالرب.

ولكن كما نقرأ في رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس أن هذا الوضع، أي أن تكون هذه الأسرار الإلهية ضمن وليمة عشاء، أصبح يحمل معه خطورة الاستهانة بالأسرار المقدَّسة بشكل فاضح: «فحين تجتمعون معاً ليس هو (على مستوى) لأكل "**عشاء الرب**"، لأن كل واحد يسبق فيأخذ "**عشاء نفسه**" في الأكل، فالواحد يجوع والآخر يسكر، أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا، أم تستهينون بكنيسة الله؟ ... إذاً، يا إخوتي، حين تجتمعون للأكل انتظروا بعضكم بعضاً، إن كان أحد يجوع فليأكل في البيت لكي لا تجتمعوا للدينونة.» (1كو 11: 20-22و33و34)

وبذلك نجد أن بواكير حركة انفصال الإفخارستيا عن وليمة الأكل (المحبة) العامة قد بدأت مبكرة جداً، وذلك بسبب عادات الشعوب (الأمم) التي لا تنسجم مع تقديس الله على الطعام، وكذلك بسبب دخول غير المؤمنين في ولائم المحبة بصفتهم أصدقاء أو ذوي ولاية ورئاسة، مما جعل تتميم الإفخارستيا أمراً عسيراً.

وما أن أتت نهاية القرن الأول سنة 100م، حتى كانت الإفخارستيا في معظم الكنائس في العالم قد أخذت طابعها الإنفصالي السرائري المنفرد عن وليمة المحبة (الأغابي)، إلاَّ في مصر، فقد ظلت وليمة الأغابي متصلة بالإفخارستيا بصورة شديدة حتى القرن الخامس في كل بقاع مصر من

الإسكندرية إلى طيبة (الأقصر)، حيث كان المؤمنون يجتمعون وهم صائمون يوم السبت مساءً[12] من كل أسبوع، سواء صيفاً أو شتاءً، وعلى مدار السنة في وليمة محبة بحضور أسقف الناحية أو الكاهن، وبعد الوليمة يتقربون إلى الأسرار المقدَّسة في وقار وهيبة عظيمين[13].

وكانت هذه هي الحال أيضاً في الأديرة في أيام القديس مقاريوس الكبير كما يصفها مار إسحق في كتبه: (الكتاب الأول، الفصل الأول، الميمر الأول).

ويعتبر المؤرخون القدامى ومشاهير القديسين أن هذا الوضع كان وضعاً فريداً مميزاً جداً لمقدار تأصُّل التقليد الإفخارستي في مصر وأثره على الحياة العامة والإيمانية[14].

ولكن مصر تقف في هذا المجال الإفخارستي وقفة فريدة، لأن الأغابي كما قلنا بدأت تتقلَّص في كل الكنائس الأخرى وتفقد صلتها بالإفخارستيا حتى قبل نهاية القرن الأول، فالقديس يهوذا الرسول يذكرها بمفردها في رسالته (عدد 12).

ولكن كما نعلم، فإن الإفخارستيا (تقديس الخبز والخمر) ليست جزءاً من وليمة الأغابي، بحيث يمكن فصله عنها بدون التأثير على ترتيب الصلاة والتقديس. فالوليمة تبتدىء بالتقديس على خبز الإفخارستيا وتنتهي بالتقديس على كأس الإفخارستيا. أي أن الإفخارستيا في الأصل كانت نهاية تغطِّي كل الوليمة. فالمسافة الزمنية بين تقديس الخبز وتقديس الكأس لا تقل في المتوسط عن ساعة تنقضي في العشاء من المأكولات (الأغابي).

هذا ما نلحظه بسهولة في تسجيل بولس الرسول للتقليد الإفخارستي الذي تسلَّمه من الرب، أي من الرسل، وسلَّمه إلى أهل كورنثوس حوالي سنة 50م، ويتضح منه أن هذا التسليم هو من واقع ليتورجي (أي خدمة كنسية عملية)، قائم على أساس إفخارستيا من داخل وليمة أغابي: «كذلك الكأس أيضاً **بعدما تعشوا** قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي» (1كو 25:11). ومعروف أن هذا كان طقس كنيسة كورنثوس في البداية.

(12) والسبت مساءً هو في الواقع يشير إلى بدء يوم الأحد، أي أول الأسبوع بحسب التقويم الزمني الكنسي في مصر (العشية تتبع اليوم الذي يليها).

أمَّا صومهم في يوم السبت فهو قبل أن تحرِّم الكنيسة صوم السبت. انظر: Hippolytus, *Apost. Tr.*, 28. 1.

(13) Sozom., *H.E.*, VII, 19; Socrate, *H.E.*, V, 22.

(14) Augustine, *Epist. ad Januar*, I, 5; *Dict. of Antiq.*, I, p. 41.

كذلك في تسجيل **القديس لوقا** في إنجيله، فإنه يسجِّل تقليداً إفخارستياً قائماً على أساس ليتورجيا فيها الإفخارستيا والأغابي معاً: «وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء...» (لو 22:20). وهذا التقليد يمثل فترة زمنية ما قبل سنة 70م تقريباً.

ولكن في كل من إنجيل **القديس مرقس والقديس متى**، نجد التسجيل الإفخارستي فيهما يمثل لنا ليتورجيا قائمة على إفخارستيا منفصلة نهائياً عن وليمة الأغابي، حيث يذكر تقديس الكأس بعد تقديس الخبز مباشرةً: «أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسَّر وأعطاهم ... ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم ...» (مت 26: 26و27). وإنجيل مرقس يمثل لنا فترة زمنية ما قبل سنة 70م، وإنجيل متى كُتب بعد إنجيل مرقس.

ولقد أخذ انفصال الأغابي عن الإفخارستيا صورتين، ففي بعض المناطق كانت وليمة الأغابي تُقام أولاً، ثم بعد انفضاض المدعوين الذين كان يوجد بينهم عادةً أصدقاء غير مؤمنين، كان المؤمنون الأخصَّاء المدعوون للشركة يجلسون ويقيمون الإفخارستيا وحدهم سرًّا ـ كما كان في أثيوبيا مثلاً[15] ـ وكما نقرأه في ''الدسقولية'' وفي ''هيبوليتس'' في ''التقليد الرسولي Apos. Tr.''، وكما نقرأه مبكراً جداً في سفر الأعمال: «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل (فصول للقراءة) والشركة (كينونيا = وهي طقس الاشتراك معاً في مائدة الرب) وكسر الخبز (اصطلاح سر الإفخارستيا) والصلوات.» (أع 2:42)

كذلك فإن نفس الإشارة الواردة في رسالة القديس بولس الرسول الأُولى إلى أهل كورنثوس بخصوص عدم اللياقة التي ظهرت في ممارسة «عشاء الرب» بوجه عام هي أصلاً بسبب أن مائدة الأغابي كانت قد انفصلت عن الإفخارستيا وصار تقديمها في الأول فرصة للأكل الكثير والشرب الكثير. لذلك اقترح بولس الرسول أن يأكلوا ويملأوا بطونهم في بيوتهم قبل أن يجتمعوا للأغابي والإفخارستيا، حتى يكون «عشاء الرب» له وقاره الإلهي.

ويُلاحَظ في قول الرسول: «لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل، فالواحد يجوع والآخر يسكر» هو في الواقع يشير إلى أن الأغابي التي كانت تُقام قبل الإفخارستيا، قد وصلت إلى درجة الإنحلال (1كو 11:21).

(15) *Epistula Apostolorum*, Ethiopic Text, published by L. Guerrier, Patrologia Orientalis 9:3.

تقليد الكنيسة بخصوص الصوم من يوم خميس العهد
إلى وقت إقامة الإفخارستيا ليلة عيد الفصح
وعلاقة ذلك بالنص الإفخارستي

منذ أيام الرسل وهذا التقليد الكنسي قائم، إذ يأمر كتاب "تعاليم الرسل" أن يُصام الأسبوع المخصص لتذكار آلام الرب بالخبز والماء القراح، وأمَّا من بعد إفخارستيا خميس العهد (ميعاد عشاء الرب) وحتى إفخارستيا العيد فلا يُذاق شيء البتة.

في الواقع إن هذا التقليد الرسولي الكنسي المبارك هو «استجابة محبة» للوعد أو العهد الذي أقامه الرب على نفسه وقت العشاء الأخير أنه **لن يأكل ولن يشرب من نتاج الكرمة حتى يأكله ويشربه جديداً في ملكوت الآب** (راجع مت 29:26)!!

لقد احتفظت الكنيسة بهذا التقليد الإفخارستي أولاً من جهة الامتناع نهائياً عن الأكل والشرب بالنسبة لكافة الشعب، ثم **إيقاف طقس إقامة الإفخارستيا جملةً من بعد إفخارستيا الخميس**، وذلك استجابةً وتوافقاً مع الرب في صومه أو امتناعه باعتبار أن عودة الكنيسة للإفخارستيا في منتصف ليلة الفصح هو في الواقع شركة جديدة مع الرب في ملكوته.

أي أن إفخارستيا ليلة الفصح هي تحقيق لوعد الرب أن يأكله ويشربه **معنا** جديداً في ملكوت الله، باعتبار أن القيامة حققت بدء الملكوت الموعود الذي يكمُل بمجيئه الثاني.

لذلك كانت الكنيسة الأُولى تسهر صائمة حتى منتصف ليلة الفصح في رجاء وانتظار مجيء العريس الذي تؤمن الكنيسة، بحسب تقليد قديم، أنه سيأتي في منتصف الليل في ليلة من ليالي الفصح.

ولقد كان التقليد الكنسي الليتورجي المتأصِّل في الكنيسة منذ إقامة أول فصح بعد قيامة المسيح هو السبب في تنبيه بعض الإنجيليين لتسجيله، فقد كتب القديس لوقا البشير بدقة في إنجيله:

+ «وقال لهم شهوةً اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم، لأني أقول لكم إني **لا آكل منه بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله**، ثم تناول كأساً وشكر وقال خذوا هذه

واقتسموها بينكم، لأني أقول لكم **إني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله.**» (لو 22: 15-18)

ونحن نعلم أن القديس لوقا كتب إنجيله سنة 70م، أي أن الكنيسة كانت قد عيَّدت للفصح المسيحي أكثر من ثلاثين مرة. وهكذا كان التقليد الليتورجي الكنسي وقتئذ سبباً في تسجيل هذا النص الإفخارستي والاحتفاظ به، لأن القديس لوقا كان دقيقاً للغاية في تسجيل كل ما احتفظت به الكنيسة عن المسيح حسب قوله: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف **قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة**، رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبَّعت كل شيء من الأول **بتدقيق** أن أكتب على التوالي...» (لو 1: 1-3)

يلاحَظ هنا بكل اهتمام أن الصوم دخل في طقس الإفخارستيا مقابل الأغابي على وجه ما!! وفي الحقيقة يُعتبر صوم الكنيسة من عشاء الخميس حتى منتصف ليلة (الأحد) الفصح، صوماً ذا قيمة واعتبار شديدين لأنه أعطى ويعطي دائماً للإفخارستيا صورتها الملكوتية. فعشاء الخميس أقامه الرب وهو في صورة عبد موضوعاً في هيئة إنسان يغسل أرجل الناس، وختمه في جثسيماني بالعرق والدموع، وحقَّقه على الصليب بالآلام وعار الموت. ولكن بعد القيامة يحضره الرب معنا، بل يقيمه، بل يقدِّسه ويرفعه معنا للآب الآن وهو قائم عن يمين الآب في مجده كابن الله الوحيد وقد دُفع له كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض.

وينبغي أن نسجِّل هنا فكر الكنيسة الأُولى من جهة عدم تعييدها الفصح المسيحي مع الفصح اليهودي، بل جعلته دائماً في الأحد الأول بعد الفصح اليهودي، لا كرهاً في اليهود كما تقول الأجيال المتأخرة في العصور المظلمة، ولكن محاولة من الكنيسة الأُولى **أن تكون صائمة وقت تعييد اليهود لينظر الرب إلى بقية خاصته المشتتة التي رفضته عن جهل وعدم معرفة ويردَّها عن التعييد الخاطيء لفصح بائد!!** وهذا هو دليلي على ذلك، قول القديس إبيفانيوس:

[وبينما هم يعيِّدون، عليكم أنتم أن تنوحوا صائمين من أجلهم.][16]

نعم، ينبغي أيضاً أن تصوم الكنيسة **مع المسيح**، وبالمسيح إلى الآب، من الخميس إلى الأحد دائماً وكل عام من أجل الذين أتى من أجلهم ورفضوه.

(16) Epiphanius, *Panarion*, 10. 11. 3.

محاولة الحفاظ على التعاليم السرية للإفخارستيا وتأثير ذلك على تسجيل نصوص الإفخارستيا في الأناجيل والرسائل

لقد عانت الكنيسة أشد المعاناة وتعذَّبت أشد التعاذيب بسبب إشاعة الأخبار الكاذبة عن الإفخارستيا في الدوائر الحكومية وبين رعاع الوثنيين، سواء من جهة مواد أسرارها أو كيفية ممارستها أو ماذا يحدث في الاجتماعات أثناءها.

فقد ذاعت الإشاعات أنهم في اجتماعاتهم السريَّة يذبحون الأطفال ويشربون الدم ويُفسدون الأخلاق ويدبِّرون المؤامرات ويقاومون السلطات، وكل هذا كان يسبِّب القلق الشديد للحكَّام ويثير حب استطلاع الرعاع لاقتحام الاجتماعات.

والخطاب الرسمي المشهور المسمَّى «خطاب بليني» إلى الإمبراطور تراجان سنة 112م، يشير إلى هذا:

[إنه بعد امتحانه للمسيحيين قد اتضح له أنه لا خطر ولا ضرر من الطعام الذي يشترك فيه هؤلاء المسيحيون في اجتماعاتهم.](17)

وكذلك القديس بطرس الرسول يشير إلى هذه الظروف بقوله:

+ «وأن تكون سيرتكم بين الأمم حسنة لكي يكونوا **فيما يفترون عليكم كفاعلي شر**، يمجِّدون الله في يوم الافتقاد من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها.» (1بط 2:12)

+ «أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة لأجل امتحانكم كأنه أصابكم أمر غريب ... إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم.» (1بط 4: 12و14)

والواقع أن هذا كان بسبب السرية المطلقة التي كانت تمارسها الكنيسة في ممارستها للأسرار سواء المعمودية أو الإفخارستيا، فلا يُسمح لأقرب المقرَّبين أن يعرفوا شيئاً عنها، وحتى المتقدمون للإيمان كان يُخفى عنهم كل التعاليم، حتى الصلاة «أبانا الذي في السموات» والإيمان بالثالوث، وقانون

---

(17) Pliny, *Letters*, X, 96.

الإيمان، وما يجري في العماد، أو ما هو سر الإفخارستيا وما يجري فيه، كل ذلك كان محظوراً أن يعرفه المتقدِّم للإيمان وإلى يوم عماده!!

كذلك فإن الأسلوب والألفاظ التي كانت تستخدمها الكنيسة في الإشارة أو التعبير عن الأسرار كانت كلها رموزاً واصطلاحات وإشارات سرية، وهذه كانت تحيِّر غير المؤمنين وتجعلهم يظنون الظنون ويفهمون أموراً خاطئة مهولة ومشوَّشة عن الأسرار المسيحية وما يجري فيها.

وقد كانت الكنيسة مضطرة إلى اتخاذ هذا الأسلوب خوفاً من الوثنيين، وفي نفس الوقت كانت تعاني بسببه. فالتقليد الكنسي كله تسليم وتسلُّم شفاهي ويقوم على سريِّة مطلقة، لأن المعرفة بالأسرار كانت تُعتبر أيضاً سر الله، والمسيح أشار إلى هذا النوع من المعرفة التي كانت رأسمال الكتبة والفريسيين: « أخذتم مفاتيح المعرفة، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم» (لو 52:11). هنا كلمة ''مفتاح المعرفة'' تشير إلى الخزانة المغلقة!

وقد ظلت هذه التعاليم السرية Disciplina Arcani منهجاً رسمياً في الكنيسة[18] حتى القرن الثاني، فكان محظوراً على أي كاتب أن يسجِّل التعاليم السرية على ورقة أو في رسالة أو في كتاب، وكان محظوراً على أي مسئول أن يسلِّم التقليد لأكثر من واحد.

ولكن هذا كله ليس بالأمر المستغرب، فالسيد المسيح له المجد اتَّخذ هذا الأسلوب: «فقال لهم: قد أُعطي لكم أن **تعرفوا سرَّ ملكوت الله**، وأمَّا الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء.» (مر 11:4)

وكانت هناك أمور يهتم الرب جداً أن تُحفظ في طي الكتمان أو في مفهومها السري مثل الآتي:

1– **أنه هو المسيا**:

+ «وأنتم مَنْ تقولون إني أنا؟ فأجاب بطرس وقال له: أنت المسيح (المسيا)، **فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه**.» (مر 8: 29و30)

2 – **أخبار آلامه وموته**:

+ «ولم يُرِد أن يَعلم أحدٌ، لأنه كان يعلِّم تلاميذه (سراً) ويقول لهم إن ابن الإنسان (التعبير

(18) يقول أحد حكماء اليهود وهو «رابِّي سمعون»، وهو من بداية القرن الأول المسيحي في Aboth. II. 17.: [الذي يكتب الصلوات يخطيء كأنما هو يحرق التوراة]، وهو يقصد بذلك أنه يجعل الكلام المقدَّس في متناول أيدٍ نجسة.

السري عن المسيا) يُسلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث. وأمَّا هم **فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه**.» (مر 9: 30ـ32)

3 ـ **نبوات آخر الأيام:**

+ «سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد: قُل لنا متى يكون هذا وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا؟ ... فانظروا أنتم ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء.» (مر 13: 3و23)

وكان السيد المسيح دائماً يشير إلى التعاليم الخاصة أو السرية بقوله:

+ «مَنْ له أذنان للسمع فليسمع» (مت 11:15؛ 13:9)،
+ «الذي تسمعونه في الأذن (أي في السر) نادوا به على السطوح» (مت 10:27)،
+ «ليس مكتومٌ لن يُستعلن» (مت 10:26)،
+ «لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا دُرركم قدَّام الخنازير» (مت 7:6)،
+ «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب» (مت 15:26)،
+ «ليفهم القارئ.» (مر 13:14)

كذلك كان الرب يُخفي حقائق إرساليته وعودته إلى الآب في قالب القصة والمثل الذي يحتاج إلى ذكاء وإعمال الفكر.

والقديس بولس الرسول يحفظ نفس الطريقة، فهو يعتبر نفسه والرسل «خدام المسيح **ووكلاء سرائر الله**» (1كو 4:1). وهو وإن كان يتكلَّم ويكتب للجميع ولكن لا يزال عنده من أقوال الحكمة التي لا ينبغي أن يتكلَّم بها للجميع بل للأخصَّاء جداً: «لكننا نتكلَّم بحكمةٍ بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من (أقوال) عظماء هذا الدهر الذين يُبطَلون، بل **نتكلَّم بحكمة الله في سر، الحكمة المكتومة** التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر.» (1كو 2: 6ـ8)

وهو إنما يعطي أهل كورنثوس (وهم أهل حكمة أفلاطون وأرسطو) مجرد لبن كغذاء يتناسب مع ضعف قدرتهم الطفولية وحكمتهم الجسدية!! أمَّا الغذاء الكامل فأبقاه وأخفاه للكاملين بالروح! الذين يمكن أن يبلغوا إلى معرفة «أعماق الله» ! (1كو 3:1؛ 2:10)، هؤلاء يمكن أن تُكشف لهم الأسرار المخفية والمكتومة، فإن كان هذا بالنسبة لمسيحيي كورنثوس الذين لهم في المسيح عدة سنوات، فكم ينبغي أن يكون الكلام للمبتدئين والذين لم يُعمَّدوا والذين ليسوا بمسيحيين؟

كذلك يرى القديس بولس الرسول أن كل ما يختص بدقائق الأسرار وممارستها لا ينبغي أن يكتبها في رسالة بل ينبغي أن يُبقي عليها مكتومة حتى يسلِّمها شفاهاً: «وأمَّا الأمور الباقية فعندما أجيء أُرتبها» (1كو 11:34)، وهذا بالنسبة لترتيب إقامة الإفخارستيا.

كذلك كل ما يختص بكشف أسرار المسيح ورموزه في العهد القديم، وخصوصاً فيما يختص بتجسده واتضاعه وارتفاعه: «الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير **لننطق به** (محفوظ للتسليم الشفاهي) إذ قد صرتم متباطئي المسامع، لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان تحتاجون أن يعلِّمكم أحد ما هي أركان بداءة أقوال الله، وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعامٍ قوي.» (عب 5: 11و12)

لذلك نجد القديس بولس الرسول في موضع آخر يجمع كل هذه الحقائق في جملة واحدة مقتضبة غاية الاقتضاب، عن قصد واضح وإحجام متعمَّد عن الشرح أو التفسير: «**وبالإجماع** عظيم هو سرُّ التقوى الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أُومِنَ به في العالم، رُفع في المجد.» (1تي 3:16)

وفي موضع آخر يقول صراحة إنه: «سمع كلمات **لا يُنطَق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها**.» (2كو 12:4)

كذلك يَعتبر القديس بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين أن بعض التعاليم التي تُقدَّم للمؤمنين في البداية، ينبغي أن تُقدَّم بمفردها، وعلى أكثر تحقيق تُقدَّم شفاهاً، ولذلك رفض تسجيل شيء عنها في رسالته. وقد قسَّمها بولس الرسول إلى ثلاثة أقسام:

(أ) التوبة من الأعمال الميتة،

(ب) الإيمان بالله،

(ج) تعليم المعمودية ووضع الأيادي (يساوي الآن مسحة الميرون)، والقيامة من الأموات والدينونة الآتية (الحديث عن القيامة، وأغلبه على الشيطان، كان من الأمور التي يتحفَّظ فيها الإنجيليون جداً ولم يقدِّموا دقائق أسرارها).

ويلاحَظ هنا عدم ذكر الإفخارستيا باعتبارها تعليماً خاصاً لا يُقدَّم للمبتدئين.

بهذا الفكر وعلى أساس ما قدمناه من اتجاه الإنجيليين والرسل في رسائلهم، من جهة إخفاء هذه الحقائق أو محاولة صياغتها في ألفاظ مقتضبة جداً ومبهمة أحياناً بصورة شديدة، يتضح لنا لماذا

ارتأى القديس يوحنا الرسول أن لا يكتب شيئاً عن العشاء السري بخصوص ممارسة السرّ نفسه، واكتفى بشرح كل التعاليم الخاصة به في الأصحاحات الأُولى من إنجيله!! وشرح القديس يوحنا الرسول هذا لسر الإفخارستيا يعتبره كثير من العلماء الآن، بديلاً مقصوداً عن الحديث السري ليلة الخميس على العشاء السري.

كذلك فالإقتضاب الشديد جداً في سرد أخبار عشاء الرب والإكتفاء بوضعه في الصيغة الليتورجية وفي أضيق ألفاظها، هو عمل مقصود من الإنجيليين! لأن مسألة «**أكل**» **الجسد و**«**شرب**» **الدم**، وكلمة «الذبيحة» و «المذبح» كانت وقت كتابة الأناجيل نقطة حساسة وخطرة للغاية بالنسبة لليهود والأمميين على السواء، ولا ننسى أن بعض التلاميذ القدامى تركوا المسيح ولم يعودوا يسيرون معه بسبب هذا الأكل وهذا الشرب من ا لجسد والدم: «فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب مَنْ يقدر أن يسمعه.» (يو 6:60)

من أجل هذا نجد في تسجيل كلٍّ من القديس بولس الرسول والقديس لوقا الإنجيلي محاولة لعدم إبراز شرب الدم بصورة واضحة، فجاء الشرب من الدم عند بولس الرسول بصورة مُضمَرة غير مباشرة: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري» (1كو 11:25)، أمَّا القديس لوقا الرسول فجعل الأكل من الجسد والشرب من الدم عملاً يُفهم بدون أن يُذكر: «هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري» كذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفَك عنكم» (لو 22: 19و20). الاختصار هنا مقصود وواضح، وتضمين الكلمات للمعاني العملية واضح أيضاً، ولكن في صورة مخفية لا يمكن أن يدركها غير المؤمن!!

كذلك نجد في سفر الأعمال ـ وهو من تسجيلات القديس لوقا الإنجيلي ـ أنه يجعل للإفخارستيا اصطلاحاً بسيطاً ولكنه يكشف عن طبيعة الإفخارستيا وهو «كسر الخبز» لأن الإفخارستيا تبدأ بكسر الخبز. وهذا الاصطلاح لا يُفيد معنى ولائم المحبة، لأنه يُذكر دائماً بالإضافة إليها، والقصد من هذا الاختصار هو عدم ذكر شرب دم المسيح.

وفي كتاب ''الديداخي'' أي ''تعاليم الرسل'' الذي اكتُشف حديثاً، وهو من مدوّنات القرن الأول ويتضمن تعاليم من الرسل، يتضح من تركيبها وترتيب مواضيعها مكانة سرِّ الإفخارستيا والليتورجيا الخاصة بها بالنسبة لقامة المؤمن ودرجة نضوجه:

فالأجزاء من (1ـ6) تعاليم المبتدئين، والجزء (7) يُخصص للمعمودية، بعد ذلك تبدأ أقوال عن

الصوم والصلاة، ثم صلاة «أبانا» !، الأجزاء (8ـ15) نظام الكنيسة وتعاليمها، والجزءان (9و10) نظام الأغابي. وفي نهاية الجزء العاشر تبدأ تعاليم الإفخارستيا بعد كل خدم الليتورجيا، ولكن بدون وصف للإفخارستيا وبدون ذكر الكلمات أو الممارسات أو الصلوات التي يُتمَّم بها السر، حيث في (6:10) ينتهي الكتاب مباشرةً، وفجأة عند كلمة «**ماران آثا**» بحروفها الآرامية السرية، أي «تعالَ أيها الرب يسوع» آمين.

هذا الاقتضاب الشديد والسرِّية في كشف تعاليم سر الإفخارستيا كان تقليداً له رهبته واحترامه وتدقيقه منذ أيام الرسل، والأسباب كثيرة ومتعددة كما قلنا، فمنها الأسباب الروحية باعتبار الإفخارستيا سر الأسرار جميعاً وهو آخر ما يمكن أن يُلقَّن للمؤمن الكامل، ومنها الأسباب السياسية باعتبار أن السر يتم في اجتماع عام وأن فيه عبادة واضحة لغير آلهة الملوك، ومنها الأسباب العقائدية حتى لا تُسلَّم الممارسات لذوي العقائد المخالفة، ومنها الأسباب الدينية الخالصة التي تمنع على عامة الشعب التعرُّف على خصائص الليتورجيا حتى تحتفظ برهبتها وكرامتها وأثرها في القلوب.

وحتى الآباء الأوائل المدافعون عن العقيدة، مثل القديس يوستين الشهيد، حينما بدأ يرد على مزاعم الوثنيين بخصوص ما توهموه من ممارسات في سر الإفخارستيا، كانت ردوده مقتضبة أيضاً، ولم يحاول أن يزيد على نصوص الإفخارستيا أو يشرحها إلاَّ بالقدر الوارد منها في الإنجيل، حتى لا يكشف أسرار الليتورجيا وخصائصها باعتبارها عبادة سرية!

ولقد ورث الشعب كله عن طريق التعليم والتلقين والتحذير أن لا يبوح بأسرار كنيسته أو عقيدته لغير المعمَّدين، وكان يتعهد بذلك أثناء العماد.

ومن أروع ما وصلنا عن استخدام لغة الرموز والإشارات السرية للتعبير عن سر الإفخارستيا، النقوش التي وُجدت باسم كاتبها "أبيركيوس Abercius"، وهو أسقف لمدينة "هيرابوليس" في نهاية القرن الثاني الميلادي. ومن أعجب الصدف أن وُجدت كتابة أخرى مذكور تاريخها سنة 216م لصاحبها إسكندر من "هيرابوليس" ذَكَرَ فيها «أبيركيوس» والنقش الذي تركه باسمه. لذلك فإن تاريخ نقوش أبيركيوس صارت معتمدة للغاية.

هذه النقوش وُجدت في إقليم "فريجيا" بآسيا الصغرى، وهي الآن في "اللاتران" بالفاتيكان، وهي من 22 بيتاً يصف فيها أبيركيوس حياته وأعماله، وقد كتبها وعمره 72 سنة وتوفي قبل نهاية القرن الثاني. وأعظم ما سجله هو رحلته إلى روما، والكلام كله رموز، والأسلوب سرِّي تصوفي

Mystical للغاية. فهو يكتب كل شيء عن أسرار الحياة المسيحية بشرط أن أي قارىء مهما بلغ من الحذق لا يمكنه أن يفهم أن كاتبها رجل مسيحي، وحتى العلماء شكُّوا في بادىء الأمر، ولكن حينما كُشف السر عن الكلمات ظهرت واضحة وهي تعبِّر عمَّا كانت عليه الكنيسة من حذر وحذق شديدين في إخفاء حياتها وأسرارها. وننقل هنا بعض سطورها:

[بالاسم أنا أبيركيوس، تلميذ للراعي الصالح! ... لقد علَّمني التقوى بكتاباته! ... أرسلني إلى روما لأطَّلع على المملكة وأرى الملكة بلباسها الموشَّى بالذهب، ... ذهبت في كل النواحي، ورأيت الشعب الذي عليه الختم العظيم، وكان بولس معي رفيقاً يقودني بالإيمان أينما سرت، ووُضع أمامي طعامٌ «سمكة» من الينبوع، عظيمة، وطاهرة، كانت قد اصطادتها عذراء بلا دنس وأعطتها للأصدقاء ليأكلوا منها على الدوام!! مع خمر حلو، وكأس ممزوج، مع خبز.

أنا أبيركيوس الواقف الآن أمرت أن تُنقش هذه الكلمات، وفي الحق أنا في طريقي لأكمِّل اثنين وسبعين سنة. فمَن يفهم هذا ويؤمن بالذي كتبت، عليه أن يصلِّي من أجل أبيركيوس!!][19]

ويُعتبر هذا الحجر الذي حمل هذه النقوش أقدم أثر في العالم يتحدَّث عن الإفخارستيا هكذا:

الراعي الصالح هو المسيح، الملكة الموشاة بالذهب هي الكنيسة، الشعب ذو الختم العظيم هم المؤمنون المعمَّدون. وأينما سار وجد كنيسة وتناول فيها من الأسرار من الخبز والكأس الممزوج، فالسمكة هي المسيح (إخثوس ICQUS)[20]، والعذراء الطاهرة التي اصطادتها هي العذراء التي حبلت بالكلمة، أمَّا بولس رفيق السفر فهو الرسائل التي كان يتعزَّى بها.

وهيبوليتس يقول صراحةً في كتابه "التقليد الرسولي" (سنة 215م) في الفصل 23 عن المعمودية والإفخارستيا بهذا القول القاطع:

[إنه لن يبوح بهذا الكلام إلاَّ للمؤمنين.][21]

هذه هي الصورة الكاملة لسرية الممارسات داخل الكنيسة وبالأخص الإفخارستيا، فالحلقة محكمة من كافة الجهات حول التقليد السرائري سواء في الإنجيل حيث الاختصار والاكتفاء بالعناصر

---

(19) J. Quasten, I, p. 172.

(20) كلمة يونانية تعني سمكة وحروفها هي في الوقت نفسه تكوِّن الحروف اليونانية الأُولى من مجموعة كلمات تعني: يسوع المسيح ابن الله المخلِّص.

(21) Hippolytus, *Ap. Tr.*, 23. 14.

الأساسية المنطوقة في الليتورجيا دون التطرُّق إلى أي توضيح في الممارسة، أو سفر الأعمال حيث يسير على نفس المنوال، ويختص شرح الإفخارستيا للبالغين في الإيمان.

والقديس بولس الرسول يُبقي بقية التعاليم دائماً للتسليم الشفاهي ضماناً لنقاوة التعليم وعدم إذاعة أسراره.

وسفر العبرانيين يَعِدْ بأنه سيعود لشرح وتوضيح هذه المواضيع إنما خارج الرسالة.

ثم ''الديداخي'' لا تدخل في تفصيلات أو حتى شرح الممارسة للسر.

وينقل إلينا هيبوليتس قوانين الرسل مع إضافات خفيفة، ثم يمتنع صراحةً عن تقديم أي تعليم عام، ويجعله وقفاً على المؤمنين وجهاً لوجه.

أبيركيوس أسقف هيرابوليس يرفع السر إلى مستوى الشِفْرة!!

الإفخارستيا تنفصل عن وليمة المحبة كليًّا، ضماناً لبقاء الأسرار للأخصاء من المؤمنين الموثوق بهم جداً حيث لا يُسمح لغير المعمَّدين حتى بحضور ممارسة (عشاء الرب) سرّ الإفخارستيا، ثم يُمنع الموعوظون من حضور وليمة المحبة أيضاً لضمان الانتقال من وليمة المحبة إلى الإفخارستيا بدون خوف.

والقديس يوحنا الرسول في هذا الجو السري العجيب عندما طُلب إليه أن يكتب إنجيله في نهاية القرن الأول ارتأى أيضاً أن لا يتعرض لممارسة السر بحد ذاته، واكتفى بشرح كل ما يتعلَّق بالسر لاهوتياً في أصحاحاته الأُولى، بحيث لا يستطيع أحد أن يُدرك صلتها بالإفخارستيا إلاَّ المؤمنون فقط!!

وبذلك نرى أن ممارسة سر الإفخارستيا في وقت سابق على كتابة الأناجيل والرسائل، واستقراره في الكنيسة كليتورجيا ذات تقليد مسلَّم وصلوات محفوظة ومسلَّمة، ودخوله في دائرة التعاليم السرية الكنسية التي تتبع أصولاً دقيقة في الإخفاء والمحافظة والتسليم، جعلت تسجيل النصوص الإفخارستية في أضيق حدودها سواء في الإنجيل أو الرسائل أو بقية الكتب التي وصلتنا بعد ذلك. ولكن اتفاق التقليد الكنسي الليتورجي مع التقليد الإنجيلي المكتوب يوضِّح لنا حقيقة عظيمة ومهمة للغاية، وهي أن هناك مجرى واحداً لتقليد إفخارستي واحد استقت منه الكنيسة بالتسليم فماً لفم ويداً ليد، واستقى منه الإنجيليون والرسل بالرؤيا وبالروح وبالإلهام، وأن الصلوات التي تُقال قبل التقديس وبعد التقديس، أي مضمون الليتورجيا الأساسي، ليس هو زيادة أو إضافة على النصوص الإنجيلية، بل هو جزء لا يتجزأ من التقليد الأساسي، إنما ظلَّ محصوراً في دائرة الليتورجيا فقط بمقتضى تقليد التعاليم السرية Disciplina Arcani، ولم يسجَّل إلاَّ في العصور الأخيرة.

الفصل الثاني

بقية التسجيلات الإنجيلية لنصوص الإفخارستيا

مقارنة بين هذه النصوص كما وردت

في الأناجيل والرسالة إلى كورنثوس

عندنا خمسة نصوص إفخارستية مسجَّلة كالآتي:

1 ـ الرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس 11: 23ـ26 كُتبت في ربيع سنة 57م.

2 ـ إنجيل مرقس 14: 22ـ25 كُتب قبل 67م. ولكن الأبحاث الحديثة تضعه مبكِّراً جدًّا [1].

3 ـ إنجيل متى 26: 26ـ29 كُتب بعد سنة 67م.

4 ـ إنجيل لوقا 22: 15ـ20 كُتب بعد سنة 61م.

5 ـ إنجيل يوحنا 6: 51ـ 71 كُتب سنة 100م.

أولاً: مقارنة بين النصوص ذات الاتجاه الأُخروي (الإسخاتولوجي)

أي تكميل الإفخارستيا في الملكوت

لقد اهتم بهذا الاتجاه كل من القديس مرقس والقديس متى والقديس لوقا والقديس بولس:

إنجيل مرقس 25:14	إنجيل متى 29:26	إنجيل لوقا 22: 16و18	رسالة بولس 1كو 26:11
الحق أقول لكم إني لا أشرب **بعد** من نتاج الكرمة **إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله.**	وأقول لكم إني من **الآن** لا أشرب من نتاج الكرمة هذا **إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي**	أ . لأني أقول لكم إني لا آكل منه **بعد حتى يُكمَل في ملكوت الله.** ب . لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة **حتى يأتي ملكوت الله.**	فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخبرون بموت الرب **إلى أن يجيء.**

(1) انظر للمؤلِّف: ''كتاب: شرح إنجيل القديس مرقس'' صفحة 30.

وهنا نجد أن تسجيل إنجيل لوقا يتميز عن تسجيل كل من إنجيل مرقس وإنجيل متى في نقطتين:

الأولى: في الترتيب، إذ يُظهِر إنجيل لوقا الصورة الأُخروية في بداية التقديس قبل أن يبارك الرب على الخبز أو الكأس، في حين أن القديسَيْن مرقس ومتى يؤخران هذه الصورة الأُخروية إلى ما بعد التقديس في نهاية الوليمة قبل الختام مباشرةً.

الثانية: في التكرار، فإنجيل لوقا يقدِّم لنا الرب وهو يكرر الصورة الأُخروية للوليمة الآتية مرة عند الأكل ومرة عند الشرب.

وهنا علامة واضحة جداً أن القديس لوقا إنما يتبع منهجاً خاصاً قائماً بذاته يقوم في الحقيقة على كثير من الدقة أو التدقيق لا يختلف قط عن تقليد كل من القديسَيْن مرقس ومتى، ولكن يستقصي ظروفه وكلماته بأكثر تدقيق.

ففي الحقيقة يتبيَّن لنا أنه يوجد من جهة الصورة الأُخروية (لتكميل الإفخارستيا في الملكوت الآتي) تقليد واحد يسير في اتجاهين: اتجاه مختصر يتبعه كل من الرسولين مرقس ومتى، واتجاه مطوَّل أي مستقصى بتدقيق يربط المواقف ويوضِّح الأصول والأسباب، ويتبعه لوقا الإنجيلي[2].

والعجيب أن هناك اتفاقاً كاملاً بين علماء اللغة على أن كل التسجيل سواء اللغوي الحرفي أو التعبيري العام في كل من الأناجيل الثلاثة فيما يختص بالصورة الأُخروية (تكميل الإفخارستيا في الملكوت) إنما يستمد أصوله من اللغة العبرية والأرامية وعادات فلسطينية خالصة. فألفاظ «**نتاج الكرمة**» للتعبير عن الخمر، و«**الملكوت الآتي**» و«**يُكمَّل**» كمبني للمجهول، باعتبار أن الفاعل هنا هو الله الآب بدون أن يُذكر اسمه، هو في الحقيقة أسلوب تقليدي للتعبير عن عمل الله السري! وكذلك «حتى يأتي ملكوت الله» هو تعبير سري عن مجيء الله نفسه، لأن إعطاء صفة الحركة لملكوت الله هو كناية وإضمار خشوعي عن تحرُّك الله! وهو بالتالي إشارة إلى مجيء الرب الذي سيأتي في «مجده ومجد الآب» (لو 26:9)! كل ذلك مع ترتيب الحركة في الأخذ والعطاء والكلام، إنما يتبع أصولاً عبرية وأرامية وعادات فلسطينية[3].

---

(2) a– Joachim Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, p. 161.
b– W. Goossens, *Les origines de l'Eucharistie* (Gembloux, Paris 1931), pp. 105, 194.
c– Bultmann, *Tradition*, pp. 266, 276, 279.
d– C. H. Dodd, *The Parables of the Kingdom*, London, 1936.

(3) J. Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, p. 162; Dalman, *Jesus-Jeshua*, p. 182.

ثانياً: من جهة الكلمات الواردة في الأناجيل التي قالها الرب بعد البركة على الخبز والكأس

والمقارنة هنا ستضم إنجيل يوحنا باعتباره يقدِّم شرحاً وافياً ومستفيضاً عن معنى الخبز ومعنى الخمر في الإفخارستيا، إنما في صورة تفسيرية خاصة متقدِّمة على ميعاد الممارسة في العشاء.

ومن هذا الجدول الذي سنقدِّمه يتبيَّن للقارىء مدى الإنسجام والتوافق العام بين التسجيلات الخمسة:

(أ) **الشرح على الخبز**:

1كو 24:11	**لو 19:22**	**يو 51:6**	**مر 22:14**	**مت 26:26**
هذا هو **جسدي** المكسور **لأجلكم** = ط rp اصنعوا هذا لذكري	**هذا هو** **جسدي** الذي يُبذل **عنكم** = ط rp اصنعوا هذا لذكري	**الخبز** الذي أنا أُعطي **هو** **جسدي** الذي أبذله **من أجل** ط rp حياة العالم.	خذوا كلوا، **هذا هو** **جسدي**.	خذوا كلوا،**هذا هو** **جسدي**.

واضح من الجدول أعلاه أن الجميع يشهدون أن الرب قدَّم الخبز ومعه تفسيره قائلاً: «**هذا هو جسدي**»!

أمَّا الإضافات فتنحصر في الآتي:

1 ـ القديس مرقس يضيف «**خذوا**» (لا يوجد في النص اليوناني كلمة «كُلوا» وهي مضافة في التراجم).

2 ـ القديس متى يضيف «**خذوا كلوا**».

والإضافتان أصيلتان، لأنهما من واقع الحال، فوجودهما أمر طبيعي، وحذفهما لا يفيد غيابهما، إذ يُعتبر النص بدونهما كاملاً لأنهما مُضمَران فعلاً.

3 ـ كلٌّ من القديسين بولس ولوقا ويوحنا يضيف «**عن**»، جاءت في الترجمة العربية «**لأجل**» و«**عن**» و«**من أجل**».

فبولس الرسول يسجلها «لأجلكم» nîr ØmØp

ولوقا الإنجيلي يسجلها «لأجلكم» nîr ØmØp

ويوحنا الرسول يسجلها «**لأجل حياة العالم**»: r tÁj toà kÒsmou zwÁjØp

وقد يبدو لأول وهلة أنها غير موجودة في إنجيل كلٍّ من مرقس ومتى، ولكن الحقيقة أنها ذُكرت فيهما أخيراً على الكأس، باعتبار أن الجسد كُسِرَ والدم سُفِكَ، كليهما معاً «من أجل» أو «من أجل كثيرين» إلاَّ أن لوقا الإنجيلي ذكر التقليد مكرراً كعادته في الوضعين: وضع الخبز ووضع الكأس.

ويمكننا أن نقول إن التكرار في تقليد لوقا الإنجيلي هو دائماً بقصد الحفاظ على قداسة حدود السر جداً جداً وارتباطه معاً قولاً وفعلاً، خبزاً وخمراً، جسداً ودماً معاً، وذلك تجاه المحاولات الجاهدة التي ظهرت في أيامه لتجزئة السر أو التخريج منه، كالتقديس على الخبز فقط بدون الخمر، الذي حدث بعد ذلك لدى كثير من الهراطقة.

ولكن الذي يلزم التنبيه إليه هو أن لوقا الإنجيلي لا يوسع التقليد من ذاته، وإنما التزم بتقليد قائم ومسلَّم، فكل إضافة إنما هي سَعْي منه أكثر في استقصاء حقائق موجودة أكثر.

كما يلزم التفريق بين ما أورده القديسان مرقس ومتى (وموطنهما فلسطين) من قول الرب على الكأس «**لأجل كثيرين**»، وما أورده كلٌّ من القديسَيْن لوقا وبولس (وموطنهما الأمم) على الخبز «**لأجلكم**». فالبحث اللغوي في أصول الكلمة[4] أثبت أن «**لأجل كثيرين**» ذات أصل عبري واضح، وهي مفهوم يهودي يفيد اليهود والأمم، أمَّا «**لأجلكم**» فهي ليست ذات أصل عبري على الإطلاق[5]، وهي تركيب يوناني صرف، مما ينبهنا أنها تقليد ليتورجي مترجم يناسب الأمم كمخاطب مباشر أخذ به القديس لوقا مباشرةً.

ولذلك نجد أن في تقليد كنيستنا القبطية في ليتورجيا الإفخارستيا يقول الكاهن الجملتين الاثنتين معاً «**عنكم، وعن كثيرين**»، وهذه إحدى المحاولات الكثيرة والعجيبة للحفاظ على أصل التقليد وقداسته بكل أوضاعه وفي كل مواطنه.

4 ـ القديس بولس الرسول يضيف «**اصنعوا هذا لذكري**» مكررة على الخبز والخمر،

---

(4) Dalman, *Jesus-Jeshua*, p. 144 f.

(5) Schürmann, *Einsetzungsbericht*, pp. 24-26.

ويقتصرها القديس لوقا الإنجيلي على الخبز فقط، ولكن يتركها كلٌّ من القديس مرقس والقديس متى، فما هو السبب أو السر في ذلك؟

وبالرغم من أننا سنعود ونفرد فصلاً خاصاً بهذه الجملة الهامة جداً، ولكن يلزم أن نقول هنا باختصار **إنها جملة قالها الرب على الإفخارستيا باعتبار أنها ذبيحة مقدَّمة لله في شخصه باعتباره** «**حمل الله الذي يرفع خطية العالم**». ومعروف في الطقس اليهودي الليتورجي لجميع الذبائح والتقدمات أن كل ذبيحة أو تقدمة إنما تُقدَّم تذكاراً أمام الله! فالجملة في حد ذاتها تسجيل إفخارستي لما قاله الرب، ولكنها ليست لازمة ليتورجية أساسية أو مقولة تابعة بالضرورة للطقس يلتزم الكاهن بأن ينطقها، فهي كعنوان أو أمر أو نظام أو وصية لعمل. فطالما العمل قائم فهي قائمة بالتالي وبالضرورة.

ولأن كلاًّ من القديس مرقس والقديس متى يسجل منطوقاً ليتورجيا (خدمة عملية) لإفخارستيا قائمة وقتئذٍ، دون أن تحوي الليتورجيا القائمة وقتئذٍ هذه الإشارة التفسيرية، فلذلك لم يذكراها **باعتبار أن تكميل الطقس بحد ذاته هو بالتالي تكميل لأمر هذه الوصية**(6).

كذلك فإن كلاًّ من القديسَيْن مرقس ومتى يدرك تماماً أنه يكتب عن طقس مفهوم وقائم، لذلك كانا يكتفيان بتقديم النص بدون الأمر أو الوصية الخاصة به لتوضيحه.

فنصوص الإفخارستيا المذكورة الآن في الأناجيل كلها وفي رسالة بولس الرسول تنقسم في الحقيقة إلى ثلاثة أقسام:

(أ) **نص** إفخارستي،

(ب) **أمر** إفخارستي،

(ج) **شرح** إفخارستي.

القديسان مرقس ومتى يكتفيان دائماً **بالنص**: «خذوا كُلُوا هذا هو جسدي»

القديس لوقا لا يكتفي بالنص، إنما يضيف عليه **الأمر**: «اصنعوا هذا لذكري» لأنه يكتب للأمم الذين لا يعرفون هذا الأمر.

---

(6) Max Thurian, *The Eucharistic Memorial*, I, p. 17; Benoit, *Revue Biblique*, 48, 1939, p. 386.

القديس بولس يقدِّم **النص والأمر** ثم **يشرح** لأهل كورنثوس معنى هذا الأمر: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (1كو 26:11)، فلأنه هو الذي سلَّمهم الخدمة الليتورجية للإفخارستيا عملياً، أصبح مسئولاً عن شرح كل التقليد وأصوله ومفهومه القديم والحديث.

كذلك ينبغي أن ندرك أن ما قدَّمه كلٌّ من القديس مرقس والقديس متى كافٍ جداً لإقامة الليتورجية وتكميل السر! ولكن ما قدَّمه كلٌّ من القديس لوقا والقديس بولس مهم جداً لتكميل التعليم والعقيدة والحفاظ على أصولها وهيبتها وقداستها، لأن ما قدَّمه كلٌّ من القديس لوقا والقديس بولس يفتح أعيننا على حقيقة قيام الإفخارستيا كذبيحة إلهية تُقدَّم باسم يسوع أمام الله (حسب وصية المسيح: «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم ...» يو 23:16) ـ كما يفتح أعيننا على حضور المسيح الحقيقي في الإفخارستيا.

لذلك فنحن مدينون جداً لهذا الوضع المتمايز في الأناجيل، لأن القديس مرقس والقديس متى يحدِّدان لنا النص في حدوده القانونية الكافية جداً لإقامة السر. القديس لوقا يفتح أعيننا لمفهوم النص في أصله التقليدي الذبائحي القديم، فيرفع الإفخارستيا في إدراكنا وعقيدتنا إلى مستواها السري كذبيحة إلهية مقدَّمة باستمرار أمام الله، ويأتي القديس بولس الرسول بشرحه فيربط هذه الذبيحة الإلهية في وضعها الحاضر المستمر الكفاري بوضعها المستقبلي كذبيحة رجاء حي بالرب نعيش فيه إلى أن يأتي!!

(ب) كلمات الشرح التي قالها الرب على الكأس:

وهنا الوضع يختلف عن حالة الخبز من جهة الوضع الليتورجي للإفخارستيا، لأن هنا ختام الوليمة، وختام الوليمة يحمل معنى الشكر الكلي والنهائي على الوليمة، وهذا يعبِّر عنه كلٌّ من القديسين بولس الرسول ولوقا الإنجيلي بكلمة «بعد العشاء» حيث يمسك الرب كأس البركة بيده اليمنى ويرفعه مقدار شبر واحد فوق المائدة حسب الطقس **وعيناه على الكأس، بعكس حالة الخبز إذ تكون عيناه مرفوعتين نحو السماء**، وهذا واضح أيضاً في القداس الآن عند الكهنة ذوي الاستلام المتقن.

وبحسب الطقس التقليدي في زمن المسيح فإن رئيس المتكأ يقول البركة على الكأس بثلاث صلوات قصيرة!

الأُولى: بركة الله من أجل إطعامه الخليقة بالنعمة والرحمة.

الثانية: شكر الله من أجل ميراث أرض الموعد.

الثالثة: طلبة من أجل الرحمة للشعب ولأورشليم وصهيون وبيت الرب والمذبح.

ولا ندري ماذا قال الرب في هذه الصلوات الثلاث، ولا بد أنه غيَّرها تماماً وقال ما يتناسب مع ذبيحة نفسه وما يتناسب مع الخلاص ونعمة العهد الجديد وملكوت الله، كما سلَّمها للرسل وكما سلَّموها لنا.

وكل ما ورثته ليتورجيا الإفخارستيا في الكنيسة الآن من هذه البركات الثلاث أنها اعتبرتها ثلاثة أفعال متتالية تمت على كل من الخبز والخمر: الشكر، ثم البركة، ثم التقديس: «وشكر، وبارك، وقدَّس »(حسب الجدول التالي). وسيأتي الكلام عنها في موضعها من القداس. والحاضرون حينما يقولون « آمين» يكونون بدورهم قد اشتركوا في البركة!

1كو 11:25	**لو 22:20**	**مر 14: 23و24**	**مت 26: 27و28**
		فشربوا منها كلهم، وقال لهم،	قائلاً: **اشربوا** منها كلكم،
هذه الكأس	**هذه الكأس**	**هذا هو**	**لأن هذا هو**
هي العهد الجديد	**هي العهد الجديد**	**الذي للعهد** (**الجديد**)	**الذي للعهد** (**الجديد**)
بدمي	**بدمي**	**دمي**	**دمي**
	الذي يُسفك	**الذي يُسفك**	**الذي يُسفك**
	عنكم	**من أجل كثيرين.**	**من أجل كثيرين**
اصنعوا هذا			
كلما شربتم			
لذكري.			لمغفرة الخطايا[7].

التوافق كامل في النص الأساسي للإفخارستيا بخصوص أن الكأس أو الخمر الذي في الكأس هو بعد البركة، وفي وضعه الجديد في يد المسيح، هو دم المسيح الذي للعهد الجديد.

(7) يُلاحَظ أن القديس متى الرسول هو الوحيد الذي ينبِّه على أن الدم لمغفرة الخطايا، ولم يقل ذلك على الجسد لأن الذبيحة في الماضي (ذبيحة الفصح) كان دمها للتكفير عن الخطايا، وأكل لحمها للشركة.

1 ـ غير أنه في حين أن كلاً من القديسَيْن مرقس ومتى يشير مباشرةً إلى الكأس باعتبار أن ما فيها هو «دم» المسيح الذي للعهد الجديد («الجديد» غير موجودة في الأصل اليوناني في كل من إنجيل مرقس وإنجيل متى)، نجد أن كلاً من القديسَيْن بولس ولوقا يشير إلى الكأس أنها هي كأس العهد الجديد بالدم، دم المسيح الذي يُسفك من أجل كثيرين. وكلاهما يربط الإفخارستيا بالصليب ربطاً مباشراً بقوله: «يُسفك»

والحقيقة التي ينبغي أن نوجّه النظر إليها، أن الواضح هو أن ما كان يدور في ذهن هؤلاء الإنجيليين وهم يسجّلون هذه النصوص، هو أن دم المسيح في كأس الإفخارستيا هو هو دم المسيح المسفوك على الصليب، كما أحسوا ذلك من قول المسيح. فالعامل الزمني والإحساس التاريخي مرفوعان هنا من هذا الفعل الإلهي السري. فالمسيح يقدّم في الكأس دمه الذي يسفكه على الصليب. فكلمة «يُسفك عنكم »بالفعل المضارع وهو لا يزال بعيداً عن الصليب بمقدار يوم كامل تكشف عن هذا الإحساس الفائق للزمن الذي كان في فكر المسيح وفكر الإنجيليين على السواء.

ولكن النص الذي أورده كلٌّ من القديسَيْن بولس ولوقا فيه محاولة واضحة لإخفاء عملية «**شرب الدم**» التي تتوارد إلى الذهن عند سماع النص لأول وهلة، والواضحة في قراءة كلٍّ من القديسَيْن مرقس ومتى: «اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد»

وهنا نجد كلاً من القديس بولس والقديس لوقا ينقل لنا، بكل دقة وكل أمانة وعناية، نفس النص الإفخارستي ولكن في وضع لا يُفهم منه بوضوح أنه يوجد فيه عملية «شرب دم » «**هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي**»، وقد تجنّبا في البداية لفظة «اشربوا منها» حيث رحّلا كلمة الشرب إلى آخر النص «اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري»

أمّا النص الذي أورده كلٌّ من القديسَيْن مرقس ومتى فبقدر ما تحمَّلا عبء العثرة الشكلية وقتياً من ذكر شرب الدم علناً وبوضوح، بقدر ما حفظا للنص الأصيل إلى الأبد رهبته وجماله وقدسيته الفائقة**!!**

2 ـ كذلك نوجّه نظر القارىء إلى أن هناك فرقاً آخر بين النص الذي أورده القديس مرقس والذي أورده القديس متى فيما يختص بالشرب. فبينما نجد القديس مرقس الرسول يقول: «ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم "**فشربوا**" منها كلهم وقال لهم: هذا هو دمي...» نجد القديس متى الرسول يقول: « وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: "**اشربوا**" منها كلكم...» هذه المفارقة بينهما تظهر أنها طفيفة جـــداً، إذ أن مـــتى الرســـول ينقـــل الكـــلام إلى صـــيغة المخاطـــب مباشـــرة قبـــل كلمـــة

«شرب» فصارت «اشربوا» بدل «شربوا» ـ لأن الملاحَظ أن هذا هو أسلوب القديس متى في مواضع كثيرة من إنجيله[8]؛ ولكن بشيء من التدقيق نواجه حقيقة هامة: إذ نجد أن القديس مرقس يستخدم نفس أسلوب المخاطَب في حالة الخبز!! «خذوا كلوا...»

هنا في الواقع نعثر بواسطة تكرار الأمر للأكل والشرب في نص إنجيل متى الرسول، على أساس قاعدة في طقس ليتورجيا الإفخارستيا، هي قاعدة «**أسلوب التوزيع**» الذي يكون بمثابة أمر. والأمر هنا له صفة البركة، فهو أمر بركة أو أمر حياة: «اختر الحياة لكي تحيا» (تث 19:30).

إنها صفة هامة سرية من صفات ليتورجيا الإفخارستيا هي أن نقبل الحياة في الجسد والغفران في الدم كأمر. **الكلمة الإلهية هنا فعَّالة كأمر يسري مفعوله «مع» السر جنباً إلى جنب**. فالخلاص نأخذه هنا بالإيمان بطاعة الكلمة الواهبة الحياة الأبدية مع الجسد المحيي والدم الغافر.

نحن هنا مدينون للقديس متى الرسول الذي فتح أعيننا على «**سر التوزيع**» في ليتورجيا الإفخارستيا، الذي يدعِّم السر بسلطان الكلمة كأمر إلهي.

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية منتبهة إلى هذا السر، فهي تكرر الأمر على الخبز وعلى الكأس «**خذوا كلوا**»، «**خذوا اشربوا**»...

3 ـ العهد (الجديد) لمغفرة الخطايا:

يشترك الإنجيليون الثلاثة مع بولس الرسول في ربط الدم بـ «العهد» أي أن الدم الذي يُسفك عن كثيرين هو دم عهد.

ولكن يمتاز تقليد كلٍّ من القديسَيْن بولس ولوقا في تسجيل كلمة «**الجديد**» على «العهد» فيصير «**العهد الجديد**».

وهذه الكلمة بدورها تفتح أعيننا على أن تقليد كلٍّ من بولس الرسول ولوقا الإنجيلي يشير في الحال إلى حديث لابد قد أجراه الرب عند توزيع كأس البركة بخصوص هذا العهد. إذ أنه واضح جداً من تسجيل القديسَيْن بولس ولوقا لكلمة «**الجديد**»، ثم من امتياز تقليد متى الرسول في تسجيل «**لمغفرة الخطايا**»، هاتان الإضافتان توضِّحان أن الحديث الذي دار كان عن تحقيق نبوة إرميا، وهي النبوة الوحيدة التي يمكن أن تكون موضوع حديث هذه الساعة، لأنها نبوة هذه الساعة

(8) انظر مت 2:3؛ 10:12؛ 10:13؛ 15: 15و25؛ 22:16؛ 9:17؛ 1:18؛ 33:21؛ 26: 1و15و66.

لفظاً ومعنىً وروحاً. فهي تقارن بين العهد الذي أبرمه الله مع شعب إسرائيل، على دم **خروف الفصح في مصر**، **وبين عهد جديد** آخر يكون على أساس **غفران الخطايا!!!**

+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا "**عهداً جديداً**" ليس كالعهد الذي قطعْتُه مع آبائهم يوم **أمسكتهُم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر**، حين نقضوا عهدي، فرفضتهم يقول الرب. بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً، ولا يعلِّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب، **لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد**.» (إر 31: 31-34)

وهكذا يشترك كلٌّ من تقليد القديسَيْن لوقا وبولس مع تقليد القديس متى في جمع شتات التقليد الأول في نصٍّ إفخارستي متكامل، هو في الحقيقة نفس الحديث ونفس الشرح الذي قدَّمه المسيح وقت العشاء في نهاية الوليمة وقت توزيع الكأس الأخير الذي به فكَّ رموز نبوَّة إرميا العجيبة، فكان بالفعل بداية العهد الجديد لمغفرة الخطايا!!

إن الإنسان ليتعجَّب ويمجِّد الله جداً من أجل عمل الروح القدس في إلهام هؤلاء الإنجيليين، لكي يستقصوا ويجمعوا هذا التقليد كلاً بمفرده، حتى ينقلوه إلينا متكاملاً!!!

4 ـ القديس بولس الرسول يعود فيكرر «**اصنعوا هذا لذكري**» على الكأس بعد أن ذكرها على الخبز. التقليد الذي ينقله بولس الرسول من جهة هذا التكرار يحمي التركيب الليتورجي من العبث، إذ يجعل الجسد والدم على توازٍ متكامل من جهة الذبيحة الواحدة المرفوعة خبزاً وخمراً، جسداً ودماً، كلاً منهما مساوٍ للآخر ومكمِّل له. وقد عبَّرت عن ذلك إحدى القسم السريانية في قولها: [أؤمن أن هذا الجسد لهذا الدم، وهذا الدم لهذا الجسد].

فالتقليد التكراري الذي يقدِّمه بولس الرسول ليس من صنعه هو، بل إنه تقليد ليتورجي تسلَّمه، له قيمته التاريخية العظمى في حفظ التقليد الإفخارستي، ثم إنه يحمل صورة التدقيق في الطقس الذبائحي الذي يشير إلى قيمة كل حركة وكل كلمة، وهو لا يستثقل التكرار، وذلك لتوضيح المعنى والقوة السرية المختفية في الذبيحة: الجسد والدم كلٌّ بدوره، وكلٌّ بقوته، وكلٌّ بمعناه وسره!!

ثالثاً: الخصائص العبرانية في النص الإفخارستي
بحسب إنجيل القديس مرقس

لقد استرعى إنجيل القديس مرقس انتباه العلماء جميعاً في الأزمنة الأخيرة، وبالأخص علماء الإفخارستيا، إذ اعتُبر بعد فحوص علمية ولغوية في غاية الدقة شملت الجُمَل والكلمات والحروف، أن إنجيل مرقس يقدِّم أقرب صورة للتقليد الإفخارستي الأَول، أي لعشاء الرب.

ومن ضمن المميزات المدهشة لإنجيل مرقس تمسُّكه الشديد بترجمة النصوص والكلمات والحروف والاصطلاحات العبرانية والآرامية إلى اللغة اليونانية ترجمة حرفية في غاية الدقة، بحيث أن مجرد قراءة النص اليوناني في تركيبه الذي يقدِّمه القديس مرقس الرسول يجعل القارىء المتعلِّم أن يدرك في الحال أنه نصٌّ عبراني أو أرامي مترجَم بدقة.

وقد جمع العلماء المدققون ثلاثة وعشرين اصطلاحاً عبرانياً وأرامياً في النص الإفخارستي الذي سجَّله القديس مرقس في إنجيله.

وهذا الكشف العلمي البالغ الدقة والأهمية يوصِّلنا إلى حقيقة وهي: أن مرقس الرسول يسلِّمنا في إنجيله تقليداً بلغته العبرانية، أي بصورته الأُولى الحرفية كما تسلَّمه الرسل من الرب.

ونحن هنا سنحاول ـ على قدر الإمكان وبكل الجهد ـ أن نوضِّح للقارىء هذه الاصطلاحات العبرانية:

أ ـ فيما يختص بالكلام على الخبز

1 ـ مرقس 22:14:

مرقس الرسول يبدأ تسجيله بحرف ''واو'' العطف ...ka، مع أن التسجيل الإفخارستي مقالة قائمة بذاتها لا صلة لها بحديث سابق: «**وفيما هم يأكلون أخذ خبزاً وبارك**».

ولكن لا يقتصر استخدام مرقس الرسول للحرف ...ka في بداية الكلام بل وفي كل مقطع من

المقاطع وكل جملة من الجمل. وهذا في الواقع صفة من صميم صفات الإنشاء اللغوي العبري الفلسطيني على مدى التاريخ، فمن سفر التكوين حتى سفر المكابيين تبدأ كل بادئة كلام بحرف ...ka، أمَّا الإنشاء في اللغة اليونانية فمعروف أن البادئة تكون دائماً dš.

أمَّا القديس لوقا الإنجيلي فإننا نجده يحتفظ أحياناً بشكل الإنشاء العبري فيحتفظ بحرف ''الواو'' في البداية ...ka، بينما القديس متى الرسول يحوِّل الإنشاء العبري دائماً إلى إنشاء يوناني فيستخدم dš في البداية بدل ...ka[9].

2ـ كذلك نجد أن القديس مرقس الرسول يستخدم تركيباً عبرياً خاصاً في كل فعل من أفعال النصوص الإفخارستية، فإذا جمعناها معاً تظهر كالآتي:

22:14 ka^ ka^ ka^
œklasen œdwken e [
23:14 ka^ ka^
œdwken œpion
24:14 ka^
e [

وترجمتها كالآتي:

وكسر ... وأعطى وقال
وأعطى ... وشربوا
وقال

هذا التركيب الفعلي في الماضي البسيط، بإضافة حرف العطف، هو تركيب إنشائي عبري صميمي[10].

3 ـ (مر 22:14) «**وأخذ الخبز وبارك**»[11]: هذا اصطلاح عبراني يشير إلى حركة معينة يقوم بها رئيس المتكأ عند البركة، فالأخذ هنا عندما يكون للبركة له حركة تقليدية معينة، إذ يحمل الخبز على يده اليسرى ويردِّده ثم يبارك عليه باليمنى. الترديد هنا في حركة الرفع، أي أن كلمة «أخذ» هي

(9) J. Wellhausen, cited by J. Jeremias, *Euch. Words*, p. 174.

(10) M. Black, *An Aramaic Approach to the Gospels and Acts*, Oxford, 1954, p. 51.

(11) يُلاحَظ أن مرقس الرسول لم يذكر اسم يسوع (كما جاء في الأصل اليوناني بخلاف الإنجيل المترجم إلى اللغة العربية). ويُعتبر هذا دقة منه في نقل التركيب التقليدي كما هو، بدون أن يحسِّن فيه، وأن التركيب الذي نقله كان الفاعل فيه معروفاً ضمناً.

عبارة عن رفع وترديد معاً للتكريس أو التقديس[12].

(12) Goetz cited by J. Jeremias, *Euch. Words,* p. 174.

أي أن الأخذ هنا كلمة اصطلاحية تفيد عملية طقسية تدخل في صميم الليتورجيا (الخدمة العملية).

+ «تأخذه ... وتردِّده ترديداً أمام الرب فيكون لك نصيباً.» (خر 29:26)

+ «ويأخذ الكاهن ... ويردِّدها الكاهن ترديداً أمام الرب.» (عد 6: 19و20)

ويلاحَظ أن «الترديد» هو رفع الشيء وتقديمه لله، وهو يجوز على الأشخاص أيضاً، فيمكن ترديد الشخص أمام الله عند تقديمه للخدمة:

+ «ويردِّد هارون اللاويين ترديداً أمام الرب... فيكونون ليخدموا خدمة الرب.» (عد 8:11)

لذلك، فإن ما قدَّمه لنا مرقس الرسول بواسطة هذا الاصطلاح الليتورجي كما هو في وضعه الطقسي العبري الذبائحي والكهنوتي «**أخذ، وبارك**» إنما يؤكِّد لنا مقدار ما احتفظه لنا من الشكل الطقسي للتقليد الذي تسلَّمه.

والعجيب أن كنيستنا القبطية لا تزال تحتفظ بهذه الحركة الطقسية في تقليدها الليتورجي للإفخارستيا، فالكاهن قبل أن ينطق البركة المثلثة على القربانة يرفعها بيده اليمنى ويضعها على يده اليسرى، أي « يردِّدها» أمام الله.

4 ـ «**وبارك**» eÙlog»saj هذا الفعل في العبري Berak وبالأرامية Barek لا يأخذ مفعولاً به، ويستعمله مرقس الرسول بحسب الأصول العبرية بدون مفعول به. في حين أن القديس لوقا لم يستطع أن يسجِّله في إنجيله بدون مفعول به لأن ذلك كان يبدو غريباً جداً على مسامع اليونانيين.

لذلك قال في معجزة الخبزات الخمس والسمكتين «وباركهنَّ» ومعروف في العبرية أو الأرامية أنه إذا وقع الفعل Barek على مفعول به غير الله فإن هذا الشيء لا يكون فقط للبركة بل للتقديس إذ يصير الشيء مقدَّساً لله!

أمَّا في النصوص الإفخارستية فنجد أن كلاًّ من القديسَيْن بولس ولوقا يتخلَّصان من الصيغة العبرية للفعل «**وبارك**» eÙlog»saj ويترجمانها بترجمة جانبية «**وشكر**» eÙcarist»saj وهي يونانية خالصة.

5 ـ (مر 22:14) «**وكسر وأعطى**» œklasen ka^ œdwken:

هنا أيضاً كلمة «**كسر**» لغرض غير الأكل، «كسر» هنا للتوزيع، فهي مع كلمة «أعطى »(كسر وأعطى) تشكِّل اصطلاحاً طقسياً، حيث هنا التكسير له أصول دقيقة.

فالخبزة في وضعها الإفخارستي لا ينبغي أن تزيد استدارتها عن حجم راحة اليد، ولا يزيد سُمكها عن سُمك راحة اليد، يمسكها الرب باليد اليسرى ويكسر منها كل مرة قطعة لا تزيد عن حجم الزيتونة ويعطيها لكل واحد بدوره[13]، وأخيراً يأخذ هو لنفسه! والطقس القديم يحتِّم على كل واحد أن يظل محتفظاً بكسرته في يده إلى أن ينتهي الرب من التوزيع ويبدأ يأكل نصيبه، وحينئذ تكون هذه إشارة للجميع ليبدأوا يأكلون جميعاً معاً[14].

والمعروف في الطقس القديم في الكنيسة الأُولى أن طقس وليمة الأغابي كان يتبع فعلاً هذا النظام، أي يسلِّم لكل متناول في يده[15].

6 ـ كلمة «**كسر**» œklasen التي يقدِّمها لنا القديس مرقس الرسول من الأصل العبري basa والأصل الأرامي kasa (قصع)، هو اصطلاح طقسي خاص فقط بكسر الخبز للبركة قبل الأكل[16]. أمَّا في وضعه اليوناني المترجم بـ «كسر الخبز» فهو يُعتبر اصطلاحاً غريباً عن الحياة اليونانية عامةً[17].

وقد استخدم الآباء الكنسيون الأوائل كلمة «كلزما » kl£sma أي «مكسور» أو «مُكسَّر »للتعبير عن الخبز.

وينبغي على القارىء أن ينتبه إلى أهمية «كسر» الخبز التي يركِّز عليها النص، لأنها بحد ذاتها ركيزة هامة من ركائز التقديس، وسوف يرى في شرحنا للقداس كيف أن «كسر» الخبز يأخذ جزءاً هاماً في الليتورجيا ويسمَّى بـ «القسمة» الذي له أيضاً أصوله.

كما يُلاحَظ أن بولس الرسول حينما تكلَّم عن الخبز في الإفخارستيا شرح كيف «كَسَره»

---

(13) يُلاحَظ في هذه الأيام أن بعض الكهنة يكسرون الخبزة (الجسد) إلى كومة من الفتافيت قبل التوزيع، ثم يبدأون يوزعون منها، وهذا وضع شائن جداً بالنسبة للجسد، وغير طقسي بالمرة، ولا يتبع أي تسليم، وخطر أيضاً، إذ يمكن بحركة خاطئة أن تتناثر هذه القطع خارج الصينية. والوضع الطقسي حسب التسليم التقليدي أنه بعد تجميع القربانة (الجسد) بعد التقسيم لا يصح تفريقها مرة أخرى وإنما يؤخذ منها وهي في مكانها ويُعطَى منها للمتناولين جزءاً جزءاً.

(14) Dalman, *Jesus-Jeshua*, 139.

(15) قوانين الرسل الباب 35:

[إذا قسَّم الأسقف الخبز يذوقه أو يأكل مع الإخوة المؤمنين الذين معه، فيتناولون من يد الأسقف جزءاً جزءاً من الخبز، قبل أن يكسر كل واحد الخبز الذي أمامه. لأن هذا هو بركة (أولوجية) وليس هو قرباناً مثل جسد الرب].

(16) Dalman, *Jesus-Jeshua*, p. 136.

(17) T. Schermann, cited by J. Jeremias, *Euch. Words*, p. 176.

يعطي معنى الشركة أو سر الشركة: «الخبز الذي نكسره أَليس هو شركة جسد المسيح؟» (1كو 16:10)

7 ـ (مر 22:14) «**وأعطاهم**» ka^ œdwken aÙto‹j:

يلاحَظ هنا أن الفعل «بارك» ليس له مفعول به (بارك الله على الخبز)، أي أن الخبز ليس مفعولاً به لـ «بارك» ثم هنا الفعل «أعطاهم» وهو تابع لـ «بارك» بالعطف عليه، ليس له مفعول به مباشر بحسب التحليل اللغوي، لذلك هنا «أعطى » œdwken بمعنى «مرَّر عليهم» أو «وزَّع »بدون مفعول به مباشر، وهو تركيب عبري (انظر تك 6:3، قضاة 9:14).

ب ـ فيما يختص بالكلام على الكأس

8 ـ (مـر 23:14) «**وأخـذ الكـأس وشـكر**» labën pot»rion eÙcarist»saj:

هذه هي أيضاً كلها جملة اصطلاحية طقسية. فهنا «**أخذ**» labèn بالنسبة للكأس لها ترتيب خاص كما وجدنا عند دراستنا لكلمة «**أخذ**» بالنسبة للخبز. هنا «**أخذ**» تستلزم «رفع» الكأس بمقدار شبر عن المائدة، حيث هنا «الرفع» هو بمثابة ترديد الكأس أمام الله، وبذلك يتضح أن فعل «**أخذ**» يفيد عملية تكريس وتقديس بحد ذاته**!!** ويعدّ الكأس لمقولة البركة.

والعجيب أن هذه الحركة الطقسية تحتفظ بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية حتى الآن في التقليد الليتورجي للإفخارستيا، فالكاهن عند وقت تلاوة البركة المثلثة على الكأس يرفعه فعلاً بمقدار شبر فوق الكرسي (أو الصندوق الموضوع على المذبح)، ثم يردِّده الكاهن أمام الله على شكل صليب في اتجاه النواحي الأربع شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

9 ـ وشكر eÙcarist»saj:

لا تعرف اللغة العبرية ولا الأرامية إلاَّ صلاة واحدة باسم واحد تُقال قبل الوليمة وبعد الوليمة، وهي «بـارك» وتُنطق بالعبرية Berak بِراكْ، وبالأرامية Barek بـارِكْ، وتُـترجم بكلمة واحدة يونانية eÙloge‹n. ولكن استخدام كلمة eÙcarist»saj محتملة، وقد جازت كترجمة معنى أكثر منها ترجمة لفظ، باعتبار أن البركة الثانية التي تُقال على الكأس هي عبارة عن شكر الله.

ولكن الذي يسترعي انتباهنا هنا هو أن القديس مرقس يستخدم هذه الكلمة بدون مفعول به،

وهذا أيضاً تركيب عبراني[18].

10 ـ «**وشكر وأعطاهم**»:

هنا جملة ذات اصطلاح عبري كما سبق، ولكن الملاحَظ أن لا «شَكَر» ولا «أعطاهم» لها مفعول به مباشر، وهذا وضع عبراني أيضاً.

ج ـ كلمات الشرح على الخبز والكأس

11 ـ (مر 22:14) «**جسدي**» tõ sîm£ mou:

هنا كلمة sîma، هي الترجمة الأصلية للكلمة العبرية التي تفيد معنى «الجسد» أمَّا ما هي الكلمة العبرية التي تفيد تماماً معنى الجسد التي كان يقصدها المسيح، فقد اتفق العلماء على أنها bašar (العبرية) وهي بالأرامية bišra (بِشْرة)[19].

ولكن الذي يوضِّح بالأكثر أن الاصطلاح الذي يقدِّمه مرقس الرسول عبري كليةً، هو وضع الضمير بعد الاسم، لأن وضع الضمير قبل الاسم كما جاء في رسالة كورنثوس (24:11)، لا يُعرف إلاَّ في اليونانية فقط.

12 ـ (مر 24:14) «**دمي**» tõ aŒm£ mou:

هنا يجيء الدم بمفرده منفصلاً عن الجسد. هنا إشارة طقسية إلى عمل الدم الخصوصي، كما هو في التقليد القديم، وهذا وضع عبري صميم. كذلك أيضاً وجود الضمير بعد الاسم يؤكِّد أن الأصل عبري.

13 ـ (مر 24:14) «**الذي يُسفك**» ™kcunnÒmenon:

الفعل «يُسفك» هنا أصله العبري heerah (هعراه ـ إهراق؟؟) وهي كلمة لا تُستخدم إلاَّ في التعبير عن سفك دم الذبيحة: لا تُستخدم في القتل أو الذبح العادي. وموضعها الرمزي الوحيد الذي يشير إشارة مطلقة لهرق دم المسيح هو إشعياء (12:53): «أنه سكب للموت نفسه» والمسيح قالها وهو يشير إشارة خفية بإصبعه إلى نبوة إشعياء النبي. ثم ينظر بعين الرِضا إلى الصليب، لأن كلمة « يُسفك» تعني تماماً عند المسيح ما هو نوع الموت الذي سيجوزه والذي سيجعل الجسد

(18) Schürmann, *Paschamahlbericht*, p. 55; Schlatter, *Lukas*, p. 137.

(19) A. Wünsche, J. Bonsirven, cited by J. Jeremias, *The Eucharistic Words*, p. 199

وحده والدم وحده!

أمّا التركيب اللفظي للكلمة: «الذي يُسفك» كما جاء في اليونانية، فهو بحسب المعنى الحرفي في اللغة العبرية يُترجَم كالآتي: «دمي الذي سيُسفك سريعاً» [20]، حيث الإشارة هنا للصليب واضحة كل الوضوح. فالربط بين الإفخارستيا والصليب يتخلل الكلمات والاصطلاحات والمعاني القريبة والبعيدة على السواء!

والذي يؤكده العلماء أن الاصطلاح «الذي يُسفك» في وضعه اليوناني يشير إلى أصل عبري واضح.

14 ـ «**يُسفك**» «**عن = من أجل**» Øpšr:

اصطلاح «من أجل » Øpšrبوضعه الذي جاء به في إنجيل مرقس كاصطلاح إفخارستي مسلَّم هو ترجمة حرفية غير معروفة في القواعد اليونانية، فهو يشير إلى أصل عبري مسلَّم كما هو في هذا الوضع الخاص، في حين أن مرقس الرسول في مواضع أخرى غير تقليدية استخدم غير هذا الاصطلاح (انظر 45:10 ـ «فدية عن كثيرين» .

15 ـ «**كثيرين**» ...pollo، بالعبرية rabbim:

بينما كلمة «كثيرين» تشير في العربية كما في اليونانية إلى «الكثرة» ولكن ليس «الكل» نجد أن أصلها العبراني rabbim يحتمل معنى «المجموع» (الكل) الذي يحوي الكثيرين!! هذا الوضع الاحتوائي أو الشمولي للكلمة يعود إلى أن في كل من اللغة العبرية واللغة الأرامية كلمة «كل» لا تفيد معنى الكل الكلي الشامل الذي نعرفه في اللغة العربية أو اليونانية أو اللغات الأخرى. فـ«الكل» بالعبرية تُنطق kol وبالآرامية تُنطق kolla تفيد معنى «المجموع» ولكن ليس «الكل» لذلك فالكلمة توجد دائماً مفردة وليس لها جمع. فهي تعني «كل الجماعة» مثلاً و «جمهورٌ من الأمم»

لهذا فإن كلمة «كثيرينpollîn» مع Øpšr في معناها العبري الأصلي ينصبُّ على شمول كل الأفراد.

ولعل أوضح استخدام لهذه الكلمة هو ما جاء في رسالة رومية (15:5): «لأنه إن كان بخطية واحدٍ مات الكثيرون » ...of pollo هنا «الكثيرون» كلمة عاجزة في الترجمة بسبب أصلها العـــــاجز

(20) C. F. Burney, *The Aramaic Origin of The Fourth Gospel*, Oxford 1922, p.94; H. Odeberg, *Short Grammar of Galilaean Aramaic*, Lund-Leipzig, 1939, p. 101.

في العبري، إذ أنه كان من الواجب من جهة المقارنة ـ أن تكون «الكل» وليس «الكثيرين» « فالواحد» يُقارَن دائماً «بالكل» ومن جهة الواقع أيضاً لأن ليس الكثيرون ماتوا بخطية آدم بل الكل! وهذا ما تعنيه الكلمة فعلاً.

كذلك يظهر عجزها بعد ذلك في وضع آخر: «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد (آدم) جُعِل الكثيرون خطاةً...» (رو 5:19)، هنا معروف أنه بسبب خطية آدم شملت الخطية كل الناس وليس أكثرهم، لذلك كان من الواجب أن يكون الكلام «جُعل الكل خطاة» هنا عجزت الكلمة الأصلية pollîn ـ rabbim عن إفادة معنى الكل، وتُرجمت كما هي في العبرية «الكثيرين» غير أنها في المفهوم العبري تشمل في نفس الوقت معنى «كل واحد» من داخل منطوق «الكثرة»

لذلك فاستخدام مرقس الرسول لهذه الكلمة كما هي في العبرية، يشير إلى أنه ينقل إلينا اصطلاحاً تقليدياً عبرياً أصيلاً، أي يفيد الشمول «كل واحد من داخل منطوق الكثرة»

أمَّا مَنْ هم هؤلاء الـ «كثيرين» الذين يشير إليهم مرقس الرسول؟ فقد سبق الكلام عنه في فصل «**المعاني العميقة في كلمات الرب وقت العشاء**».

16 ـ «**يُسفك من أجل كثيرين**» Øp ™kcunnÒmenon pollîntÕ r:

هنا وضع شبه الجملة من حرف الجر والمجرور في نهاية التركيب للجملة لا يتبع الأصول اليونانية، فهو ترجمة حرفية من النص العبري الأصلي. وهذا الوضع لا يستخدمه إلاَّ مرقس الرسول، أمَّا الباقون كما جاء في إنجيل متى وإنجيل لوقا فإنهم متحررون من الوضع العبري.

د ـ كلمات الرب يسوع عن امتناعه عن الأكل والشرب
«الحق (آمين) أقول لكم: إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة
إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله.» (مر 14:25)

17 ـ «**آمين**» ¢m»n ـ متى الرسول (26:29) قلبها إلى ما يقابلها في اليونانية d، لوقا الرسول استغنى عنها نهائياً وأتى بكلمة أخرى محلها (22:18) = g£r.

وعلى العموم فإنه لا يبقى من الإنجيليين جميعاً مَنْ أبقى على كلمة «آمين» في كل مواضعها

بعنادٍ وإصرار إلاَّ مرقس الرسول، فهو هنا وفي كل موضع ينقلها كما وجدها وكما سمعها في نطقها الأصلي الذي استلمه، وقد استخدمها 13 مرة، وهنا هي المرة الثانية عشرة[21]. وهذا يفيد مقدار انطباق النص الإفخارستي على أصوله الأُولى العبرية حرفياً.

18 ـ (مر 25:14) **إني** «**لا**» **أشرب** «**بعد**»

:no more, by no means. oÙkšti oÙ m¾ p…w

هذا التركيب الذي تتزاحم فيه أدوات النفي لا يوجد ولا يُستخدم في اللغة اليونانية الأصلية، فهو يُعتبر لدى القارىء اليوناني المتعلِّم «لغة بربرية» [22]، أي أنها عبارة عن ترجمة حرفية لاصطلاح عبري. وهذا ما فعله مرقس الرسول لينقل نفس اللهجة ونفس النبرة والتعبير والحروف التي نطقها المسيح في هذا الموقف، لأنه كان ذا وقع خاص كعهدٍ قطعه على نفسه. وهذا يزيد من يقيننا أن مرقس الرسول كان ينقل لنا تقليداً حيًّا يتناقل كما هو حرفياً في أفواه الناس.

19 ـ (مر 25:14) «**من نتاج الكرمة**» ™k toà gen»matoj tÁj ¢mpšlou:

هذا الاصطلاح كله يعبِّر عن أصل عبري، فالحرف «من ™k» لا يُستخدم في اللغة اليونانية إلاَّ للشرب من الأواني. هنا يستخدمه مرقس الرسول في غير أصوله اليونانية ليعبِّر عن المفهوم العبري كما هو، فالحرف العبري تقريباً كما هو في العربي « mn من»

كذلك استخدام مرقس الرسول لكلمة «نتاج الكرمة» بدل كلمة «الخمر» هو تعبير ليتورجي عبراني محدد، يُستخدم وقت الصلاة على كأس الوليمة سواء قبل أو بعد العشاء!

20 ـ **حتى** «**ذلك**» **اليوم** ™ke…nhj ¹mšraj tÁj ›wj:

اسم الإشارة: «ذلك ™ke‹noj» لا يقع هنا موقعاً لازماً في الجملة اليونانية، فهو مترجم حرفياً من موضعه الأصلي العبري، وهو يُعتبر من الألفاظ العبرية المألوفة جداً، والتي كان المسيح يحب استخدامها (راجع مر 21:14).

21 ـ **في ملكوت الله** ™n tÍ basile…v toà Qeoà:

هنا كلمة «ملكوت الله» ليست في معناها اليوناني المعروف، فالملكوت تعبير مكاني محدد،

(21) J. Jeremias, *The Eucharistic Words of Jesus*, pp. 163,182.

(22) P. Benoit, cited by J. Jeremias in *The Eucharistic Words of Jesus*, p. 182.

ولكن جاءت في معناها العبري = استعلان حكم الله، كوضع روحي وكقوة عاملة.

وبالرغم من كل هذه الاصطلاحات العبرية التي التزم بها القديس مرقس في إنجيله والمتزاحمة في النص الإفخارستي أكثر من باقي إنجيله، نجده يستهلها بجملة يونانية صرف، وهي الجملة التي أضافها من عنده، بلهجته اليونانية الخالصة، لكي يبدأ بها تسجيل التقليد. هذه الجملة هي: «وفيما هم يأكلون» ولذلك جاءت في تركيبها غير منسجمة ـ لغوياً ـ مع التركيب العبري أو الأرامي السابق. وهذه المفارقة تزيد من يقيننا أنه التزم فيما يختص بالنص الإفخارستي بالتقليد الحرفي المسلَّم إليه، أمَّا فيما عدا ذلك فكان حرًّا في انتخاب الاصطلاحات اليونانية اللغوية، لأن مرقس الرسول كان متعلماً ومتضلعاً في اللغة اليونانية.

رابعاً: خلاصة المقارنة بين النصوص الإفخارستية في الأناجيل وعند بولس الرسول

أولاً: لقد وجدنا مما سبق أن المصدر الذي يستقي منه مرقس الرسول، بالرغم من أنه ليس هو المصدر الذي يستقي منه كل من بولس الرسول ولوقا الإنجيلي، إلاَّ أن التقليد الذي يظهر في الاثنين ليس فقط متشابهاً بل ومتطابقاً إلى حد يمكن اعتبارهما واحداً!! لدرجة أدهشت العلماء المدقِّقين. وإليك تصريح للعالِم الألماني الإفخارستي الذائع الصيت ''هانس ليتزمان'':

[إنه نتيجةً للبحوث التي قمنا بها، نحن نؤكد أن بولس يستخدم نفس التقليد الذي اتبعه مرقس من جهة العشاء الأخير للرب يسوع.](23)

وكذلك وبنفس التصريح يؤكِّد ذلك العالمان ''ديبليوس''(24) و ''فاينجان''(25).

إذاً، يتحقق لدينا أنه يوجد تقليد واحد للإفخارستيا استقى منه الإنجيليون جميعاً، وبولس الرسول، كل ما سجَّلوه في الأناجيل والرسائل. والذي يؤكِّد حقيقة وأصالة هذا التقليد الواحد أن كلاًّ من النصَّين، النص المرقسي في إنجيله المنفرد والنص الذي يشترك فيه كلٌّ من القديسَيْن بولس ولوقا المنفرد بذاته أيضاً، كلٌّ منهما حرٌّ من الآخر لم يأخذ منه ولا اطَّلع عليه(26).

أمَّا هذا التقليد الواحد الذي أخذ منه الجميع فهو (كما تحقَّقنا من خصائص النصوص الإفخارستية في إنجيل مرقس) ــ نصٌّ أصيل تُسُلِّم بالآرامية وبالعبرية.

ثانياً: أمَّا النص الذي قدَّمه بولس الرسول فقدَّمه بتعبيرات وتركيبات يونانية تتناسب مع الذين كانوا يستمعون إليه ويمارسون الإفخارستيا على يديه، فكل ما كان يلتبس على الأمم فهمه من الاصطلاحات العبرانية والآرامية كان القديس يقرِّبه إلى أذهان سامعيه في كلمات يونانية مفهومة. مثلاً «يُسفك عن (من أجل) كثيرين» صارت «لأجلكم» و «بارك» صارت و «شكر» «هذا دمي» صارت «هذه الكأس»

(23) Lietzmann, *Mass and Lord's Supper*, p. 185.

(24) Dibelius, *From Tradition to Gospel*, pp. 206, 211.

(25) Finegan, *,berlieferung*:p. 66 f.

(26) Lietzmann, *op. cit.*, Goossens, *Les Origines*, pp. 345-352.

ولكن من الأمور المؤكدة والمتيقنة لدى العلماء أن بولس الرسول لم يغيِّر ولم يُضِفْ شيئاً من عنده، بل الذي تحقَّق لدى العلماء بالفحص العلمي الدقيق أنه يتبع تقليداً جاهزاً استلمه كما هو من الرسل الذين سبقوه وسلَّمه كما هو[27]، كما يقول في رسالته: «لأنني تسلَّمت من الرب ما سلَّمتكم أيضاً» (1كو 11:23). ولكن الذي يجعل التقليد الذي استلمه بولس الرسول وسجَّله في الرسالة إلى كورنثوس ذا اعتبار هام وخاص، أنه أول ما تسجَّل عن «عشاء الرب» إذ أن بولس الرسول كتبه في ربيع عام 54م[28]. غير أن بولس الرسول كان قد سلَّمهم عملياً هذا التقليد الليتورجي في بداية رحلته التبشيرية إلى كورنثوس، وذلك كان في خريف عام 49م، ثم إشارته إلى أنه تسلَّمه من الرب، تفيد أنه استلمه في وقت سابق على هذا، ربما يكون أثناء وجوده في أنطاكية عام 45م[29].

ثالثاً: أمَّا النص الذي يقدِّمه القديس لوقا الإنجيلي، فهو يستقصي الدقائق التي وراء التقليد الذي استلمه بولس الرسول، فكل ما قاله وكتبه بولس الرسول كان في يديْ لوقا الإنجيلي، حينما كان يبحث وينقِّب ويستقصي من كل الأشخاص الذين كانوا معاينين للرب. فكان يضيف على ما قاله بولس الرسول ما يتأكَّد من صحته.

في حين أن مرقس الرسول يذهب إلى أبعد من لوقا الإنجيلي بسبب حصوله على نصٍّ يحمل نفس الألفاظ التي قيلت وقت العشاء.

لذلك يُعتبر نصُّ مرقس الرسول صورة لفظية وتعبيرية طبق الأصل للتقليد الأَول.

ويُعتبر نص لوقا الإنجيلي مكمِّلاً لتقليد بولس الرسول.

ويعتبر نصُّ بولس الرسول أمانة تسليم وتسلُّم من الرب عَبْر الرسل.

أمَّا نصُّ متى الرسول فهو صورة يونانية للنص الذي سجَّله مرقس الرسول.

أمَّا نصُّ يوحنا الرسول فيقف منفرداً بذاته إنما قريباً من بولس الرسول.

(27) Otto, *Kingdom of God & Son of Man* p. 326.

(28) F.J. Foakes & K. Lake, *The Beginnings of Christianity, I*, vol. 5, London, 1933, pp. 445-447.

(29) Schlatter, «*Lukas*», p. 421; Héring, *Le Royaume de Dieu et sa venue*, p. 227.

خامساً: ما هي اللغة التي قدَّس بها الرب على سرِّ العشاء الأخير؟ آرامية كانت أم عبرية؟

إن الكلمات التي وردت في الأناجيل تسمح لنا حتى في ترجمتها اليونانية أن نقرر، بحسب أبحاث العلماء المتخصصين، أن الرب كان يتكلَّم بالآرامية والعبرية.

فمثلاً: «أبانا الذي في السموات» التي علَّمها الرب للتلاميذ ترجع في أصولها إلى الآرامية وليست العبرية، لأن فيها يعبِّر عن الخطية بمفهوم «الدَّيْن» = حوبا Hoba في «اغفر لنا ما علينا» التي تُرجمت إلى اليونانية çfe…lhma وهو معنى آرامي وليس عبرياً (وهذا المعنى هو الذي أخذت به اللغة القبطية أيضاً في ترجمة «أبانا الذي» .

وقد قام العلاَّمة دالمان بترجمة كل النصوص الإفخارستية التي وردت في إنجيل مرقس وإنجيل لوقا ورسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس، إلى اللغة الآرامية. أي أعاد النصَّ الإفخارستي إلى أصله الآرامي، فبدت النصوص واضحة ومنسجمة[30]، ثم ألَّف كتاباً قيِّماً في الأجرومية الآرامية بحسب زمن المسيح شرح فيها كثيراً من هذه النصوص[31].

ولكن يعتقد دالمان نفسه أن البركة التي قالها الرب على الخبز والكأس يُحتمل أنها كانت بالعبرية باعتبارها أنها كانت «لغة الأسرار» أو اللغة المقدَّسة[32] Lingua Sacra. وتوجد اصطلاحات كثيرة لا يُشك أيضاً في أنها كانت عبرية، مثل:

1 ـ «شهوةً اشتهيت» هنا إضافة المصدر للفعل للتأكيد هو أسلوب عبري محض لا تعرفه اللغة الآرامية[33].

---

(30) G. Dalmann, *Jesus-Jeshua*, pp. 126, 129, 158, 182, 140 f., 145, 159, 160 f., 171, 181.

(31) G. Dalmann, *Grammatik des jüdisch-palästinischen Aramäisch*, Leipzig, 1905, reprint Darmstadt, 1960

(32) M. Black, *Aramaic Approach*, p. 268 f.

(33) *Ibid*, p. 269.

2 ـ «حتى ''يُكمل'' في ملكوت الله» هنا اصطلاح «يُكمل» هو عبراني محض وغير معروف في الآرامية، لأن الاصطلاح العبراني في هذا المعنى هو «ملءmille» ، أي التكميل، أو يُكمل حتى الملء (كما يُقال في الكتاب المقدَّس: «ملء الزمان» .

أمَّا الاصطلاح الآرامي في هذا المعنى فهو: «إتقيامit kayyam» أي (قيام الساعة) مِنْ «يقوم »على رجليه.

وهكذا فالمعتقد أن الأحاديث أو الألفاظ العادية قالها الرب بالآرامية، أي اللغة الدارجة، أمَّا التقديس ـ أي البركة، وشرح السرِّ، وكلمات العهد ـ فقد قالها بالعبرانية باعتبارها اللغة المقدَّسة.

أمَّا كلمتا «جسدي ودمي» فهما متقاربان في النطق في كل من العبرانية والآرامية على السواء:

فباللغة العبرانية تُنطق «هذا جسدي. وهذا دمي» هكذا:

زِه بيصاري زِه دامي sari, Zeh idmi.éZeh b

وباللغة الآرامية تُنطق هكذا:

دن بيصري دن إدمي Den bisri, Den dami

والنطق في الاثنين قريب من الكلمة العربية «البشرة» أي «الجسد» ومماثل في «الدم»

ويقدِّم لنا العالم يواكيم إرميا شهادة بعد أبحاثه الطويلة المضنية على كلمات الإفخارستيا في أصولها اليونانية والعبرانية والآرامية هكذا:

[نحن عندنا كل الأسباب لكي نقرر أن صميم التقليد الإفخارستي كما جاء في عشاء الرب بكل ما قاله الرب يسوع على العشاء الأخير، قد حُفظ كاملاً ووصل إلينا بشكل يُعتمد عليه اعتماداً جوهرياً!!](34)

(34) J. Jeremias, *Euch. W. of Jes.*, p. 203.

áÈÇÈ ÇáÑÇÈ

ÓÑ ÇáÚÔÜÜÇÁ æÇáÃÛÇÈ

الفصل الأول

المفهوم اللاهوتي لسر العشاء

وتسليمه كعمل إيمان وأساس عقيدة

حينما يسرد المؤرخون والكُتَّاب الكنسيون في العهد الجديد أخبار الكنيسة، نجد الإفخارستيا تحتل دائماً مكاناً هاماً في كل مدوَّناتهم. ولكن للأسف الشديد يحاول الكُتَّاب دائماً وخصوصاً في القرون الأُولى إضفاء السرِّية على ممارسة السر، عن قصد، حتى لا يُدرَك مفهومه إلاَّ عند المختصين به، كما سبق وقلنا.

ولكن من خلال هذا التاريخ ينكشف دائماً الاتجاه الفكري والإيماني الذي كان يعيش فيه ويؤمن به أصحاب كل حقبة زمنية يتعرَّض لها المؤرخ، مهما كان الشحُّ ومهما كانت السرية التي يُعالَج بها هذا السر. فالكاتب الكنسي كان دائماً أبداً يضع في اعتباره، بل ويحمل في وعيه اللاإرادي، أن يوصِّل الحق إلى الأجيال الآتية توصيلاً صحيحاً ونقياً كاملاً.

لقد كان سر الإفخارستيا منذ أول يوم تأسس فيه، خلال العشاء ليلة الخميس، معتبَراً أنه سر الأجيال القادمة كلها الذي سيضبط إيمانهم بالله وحياتهم في المسيح وسلوكهم في الحاضر ورجاءهم في المستقبل. هكذا رأى المسيح، وهكذا صمَّم ودبَّر وأسس هذا السر، لذلك وجدنا في الفصول السابقة كلها، وسنجد دائماً أبداً، أن كلمات الرب التي أسس بها سر الإفخارستيا متفقة تماماً مع أعماله التي عملها قبل ذلك وبعد ذلك **بانسجام يفوق الوصف**.

فحياة الرب لا يمكن فهمها إلاَّ بموته، وموته لا يمكن فهمه إلاَّ بحياته، وحياته وموته لا يمكن إعلانهما إلاَّ بالإفخارستيا.

وهو لم يكن بشراً عادياً حتى إن موته وحياته يحفظهما التاريخ بالإجلال والإكرام فحسب، بل إن المسيح إله عاش بالجسد على مستوى **إله** ومات بالجسد على مستوى **إله**. إذاً، لزم وتحتَّم أن هذا الجسد الإلهي «بدمه ولحمه» الإلهيين لابد أن يشهد **للاهوته** على مستوى الواقع ويعلنه**!!**

وهكذا كان، وهكذا يكون، جسد ودم على المذبح يشهدان بصورة دائمة للاهوت المسيح على مستوى الإيمان والقوة والحياة. فاللاهوت لن يستنفد الإفخارستيا شرحاً في يوم من الأيام، بل الإفخارستيا هي التي تُلقي النور والحق والحياة باستمرار في القلوب والعقول لفهم لاهوت المسيح على مدى العصور.

أمَّا الحوادث التي عبرها المسيح إذا نُظِرَت تاريخياً وحسب، مثل المحاكمة والصلب والموت وحتى أخبار القيامة، فإن فهم التلاميذ لها من جهة لاهوت المسيح ومضمون العهد الجديد فيها كان عسيراً ومتعثراً جداً. وهذا هو كلام المسيح بعد القيامة لتلميذين من التلاميذ:

+ «أيها الغبيَّان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب.» (لو 24: 25-27)

ولكن لأن الرب كان عالماً ببطء القلوب في الإيمان على مستوى الحوادث وثقل الآذان في السمع والفهم على مستوى الأخبار وشرحها، وضع في تدبيره هذا السر بعمقه الإلهي وأسسه لهم ليلة العشاء الأخير ليكون هو بذرة الإيمان الحيَّة الباقية لهم إلى نهاية الدهور، حتى وإن كانوا لم يفهموه آنئذٍ، إلاَّ أنهم على مدى الأيام استطاعوا من خلال هذا السر وممارساته أن يشرحوا كل الحوادث، بل كل الأقوال والأعمال التي قال وصنع! «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع، ولكنك ستفهم فيما بعد.» (يو 13:7)

وعلى نفس مائدة العشاء السري التي أكلوا عليها مع الرب الوليمة الأخيرة، وفي نفس العليَّة، جلس التلاميذ بعد القيامة وبعد الصعود مراراً وتذاكروا وتذكَّروا وفهموا كل شيء! نعم، فهموا كل شيء! لأن سر الإفخارستيا أضاء لهم فعلاً طريق الحياة والخلود، وخبز السماء فتح أعينهم ليدركوا الآتي من السماء مع كل أسرار السماء: «فلما اتكأ معهما أخذ خبزاً وبارك وكسَّر وناولهما. فانفتحت أعينهما.» (لو 24: 30و31)

فمن خلال الإفخارستيا وكلمات العشاء الأخير، أدركوا معنى الصليب وعمق الصليب ودم الصليب، ثم انعكس نور الجلجثة إلى الوراء على جلسة العشاء الأخير، فأضاء معاني الكلمات التي قالها الرب واستوضح سرها، فانكشف أمامهم سر الإفخارستيا، سر العهد الجديد بدم المسيح.

كذلك أيضاً فمن خلال الإفخارستيا والجسد المأكول أدركوا سر القيامة بالجسد التي قامها المسيح وأدركوا عدم الموت الذي أحسُّوه بإيمانهم، وذاقوا عمق الحياة الأبدية ومعناها.

وبالتالي فإن القيامة بالجسد التي قامها المسيح أمام عيونهم عادت فألقت نورها أكثر فأكثر على سر الإفخارستيا، فأدركوا في أكل الجسد الحي والمحيي قوة القيامة والحياة، وأدركوا في دم الإفخارستيا دواء عدم الموت، وأدركوا عمق الحياة الأبدية وصدَّقوا المجيء الثاني وترجَّوه.

لقد بدت أحاديث المسيح عن الموت وقت العشاء الأخير مساء الخميس غير مفهومة وثقيلة جداً جداً على قلوبهم التي كانت قد تعلَّقت بشخصه أشد التعلُّق، فهل الموت إذاً سيفصل بينهم وبين مَنْ أحبوه و «أحبهم إلى المنتهى»

كما بدت لهم أقوال الرب وأحاديثه عن القيامة والملكوت الآتي، في مساء الخميس أيضاً، أنها شيء يختص باليوم الأخير هناك في المستقبل البعيد كما قالت مريم أخت لعازر، لقد كانت أحاديث باهتة جداً زادت الإحساس بموت الرب ثقلاً على ثقل في هذه الليلة.

ولكن المسيح وهو عالم أن القيامة قائمة وعلى الأبواب، وأن الملكوت رهن الصعود، لم يكترث كثيراً لحزنهم وثقل قلوبهم:

+ «لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم؟ ... أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ... **لكنني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم** ولا ينزع أحد فرحكم منكم، **وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً**.» (يو 16: 6و20و22و23)

وفعلاً صارت اجتماعاتهم حول الإفخارستيا بعد صعود الرب وبحضور الروح القدس مصدر فرح لا يوصف بسبب إحساسهم بحضور الرب، وبسبب النور الذي أضاء قلوبهم وأذهانهم وأدركوا به كل شيء! لقد ذاقوا من خلال الإفخارستيا ليس فقط معاني الحياة والملكوت والخلود، بل «وذاقوا قوات الدهر الآتي» (عب 5:6)، ذاقوا المسيا بالروح والحق وعاشوا أيامه مجدَّداً إنما فوق الزمن والتاريخ.

ولكن لولا الإفخارستيا التي جمعتهم في المسيح وجعلت من اجتماعهم جسماً حيًّا متحداً بالروح القدس استُعلن فيه المسيح واستُعلن بواسطته، ما كانت كنيسة وما استُعلن شيء من أعمال الرب.

لذلك نستطيع أن نقول بيقين، إنه بعملين تمَّ استعلان المسيح للعالم: **بالإفخارستيا، وبوحدة التلاميذ الروحية في جسد المسيح السري**. فبالإفخارستيا استُعلن سر الجسد والدم! وبوحدة التلاميذ الروحية في الإفخارستيا استُعلن المسيح بالروح وحُفظت جميع أقواله وتعاليمه في قالب واحد، أي في الكنيسة التي بواسطتها استُعلنت كافة أعمال الرب وصفاته الإلهية برأي واحد وفكر واحد متحد كما رأيناه في الأناجيل والرسائل.

إذاً، يمكن أن نقول إن الإفخارستيا حققت وجود المسيح الحي، أمَّا وحدة التلاميذ بالروح في جسد المسيح فقد أمَّنت الكنيسة ضد الخلافات والآراء الفردية والنظريات والذاتيات بالنسبة

للكنيسة الأُولى الأم، أي كنيسة الرسل!!

لقد نجحت الكنيسة الأُولى، ومنذ أول اجتماع كرازي لها ـ أي منذ أول ممارسة لها لوصية الرب، أن «تُخبر بموته» ـ نجحت في الشهادة للمسيح على مستوى كل ما قاله المسيح ليلة العشاء، وذلك حينما وقف بطرس الرسول يقول: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحاً» (أع 36:2). هنا شهادة من عمق الإفخارستيا. الصليب هنا فهمه بطرس الرسول بصورته الإرادية كمشيئة الآب ومسرة المسيح. ألَمْ يسبق المسيح ويقدِّم لبطرس جسده مكسوراً ودمه مسفوكاً قبل الصليب في مساء الخميس على العشاء؟

إذاً، فالصليب رسالة وطريق لاستعلان ربوبيته وواسطة حتمية للإيمان بالمسيا!! كان لا يمكن بدون سر عشاء الرب وتقديم الجسد المكسور والدم المسفوك مُسْبَقاً وقبل الصليب أن يدرك بطرس هذا الإدراك العالي والإلهي والأُخروي لمفهوم الصليب الإرادي ورسالة الصليب الكرازية للإيمان بالمسيًّا!

هكذا خرجت الكنيسة الأُولى كارزة بمجد الصليب وبموت الرب الكفَّاري وعمل الدم للمغفرة والتطهير والمصالحة والفداء من وراء خلفية قوية صلبة ـ أي الإفخارستيا في عشاء الخميس التي كانت تشرح كل هذا بجرأة كجرأة النبي الذي يتكلَّم عن المستقبلات وعيناه تريان الحقيقة!!

لقد تم قول الرب الذي قاله على مائدة العشاء الرباني: «وقلتُ لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون» (يو 29:14). نعم، قد تحقق هذا على مستوى أكثر من الكلام، فدم الإفخارستيا الذي قدَّمه الرب لتلاميذه في الكأس قائلاً: «**هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا**» جعل التلاميذ يدركون قوة وفعل الدم الذي سُفك على الصليب (كان يستحيل فهم ذلك بدون الإفخارستيا):

+ «دم يسوع المسيح ابنه يطهِّرنا من كل خطية.» (1يو 7:1)،
+ «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة.» (1بط 24:2)،
+ «عاملاً الصلح بدم صليبه.» (كو 20:1)،
+ «متبررون الآن بدمه.» (رو 9:5)،
+ «لنا الفداء بدمه.» (أف 7:1)،
+ «غسلنا من خطايانا بدمه.» (رؤ 5:1)،
+ «اشتريتنا لله بدمك.» (رؤ 9:5)

إن هذه الرؤيا العالية والمبهجة لقوة الدم وفعله الذي سكبه المسيح على الصليب هي منظورة من خلال الإفخارستيا من شهادة المسيح والكأس في يديه وهو يقول: «هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا» لقد سَرَتْ فيهم فعلاً قوة وفعل دم المسيح الذي قدَّمه لهم مسفوكاً في سر كأس الإفخارستيا قبل الصليب!! فكان لهم قوة لرؤية الحوادث على مستوى النبوة التي لم يفهموها أولاً ولكن لما تحققت أمام أعينهم على الصليب صاروا لها شهوداً من علٍ، من فوق، من فوق الزمان وموقع الحوادث!

المسيح لم يشرح لتلاميذه الفداء والكفارة بالدم والخلاص بالصليب كنظرية فكرية أو كفلسفة لاهوتية، ولكنه قدَّم لهم الفداء والكفارة بالدم كسرٍّ وقوة روحية تسري فيهم من خلال الجسد المكسور الذي قدَّمه لهم في الخبز للاشتراك فيه **كحق يؤكل الآن ويُفهم غداً**، وبالدم المسفوك الذي قدَّمه لهم في كأس البركة ليشربوا منه كحق يُشرَب الآن ويُفهم غداً كذلك.

أي أنه بذبيحة نفسه الطوعية التي قدَّمها لهم في هذا السر الإلهي الرهيب ليلة الخميس، أي **الإفخارستيا**، ترك الرب لتلاميذه «**المنطق الإلهي السري**» الذي به يستطيعون أن يشرحوا نظرية الفداء والكفارة، والخلاص، ومجد الصليب، والكنيسة كجسد المسيح السري، وكل ملهمات العهد الجديد!!

هذا ما سلَّمه الرب لتلاميذه في العشاء الأخير، وهذا ما سلَّمه التلاميذ بالفعل للكنيسة، فكان ولا يزال سر الإفخارستيا المأكل الحق والمشرب الحق الذي يُستعلن من خلاله كل الحق وكل أسرار المسيح والكنيسة والدهر الآتي.

هذا يبدو واضحاً جداً في تعبيرات الآباء الرسوليين الذين استلموا هذا السر من الرسل بهذا المعنى تماماً حيث نقرأ للقديس إغناطيوس الأنطاكي الذي استُشهد حوالي عام 110م. تعليماً واضحاً بهذا الشأن:

[إن الكنيسة هي موضع الذبيحة.] (الرسالة إلى أفسس 2:5، تراليا 2:7، فيلادلفيا:4)

الفصل الثاني

علاقة وليمة الأغابي بسر الإفخارستيا

وكيف انفصلت عن الإفخارستيا واستقلت تماماً

لقد استلمت الكنيسة من الرسل طقس عشاء الرب كاملاً كوليمة محبة (أغابي) تبدأ وتنتهي بالسر المقدَّس (الإفخارستيا)، أي تبدأ بسرِّ كسر الخبز، وتنتهي بسرٍّ كأس البركة، ويتخللها عشاء أو غذاء عادي من جميع الأطعمة والأشربة يشترك فيه جميع الحاضرين.

ولكن لم يدُم هذا الطقس طويلاً، ففي بعض الكنائس كما في كورنثوس وغيرها من بلاد الغرب، انفصلت وليمة الأغابي كغذاء عادي عن سر الإفخارستيا مبكراً جداً ربما قبل سنة 70م (1كو 11: 20-22).

ونحن نقرأ عن وليمة أغابي قائمة بحد ذاتها، أي منفصلة عن سر الإفخارستيا في رسالة يهوذا (آية رقم 12): «**في ولائم المحبة التي لكم**» ™n ta‹j ¢g£paij Ømîn، وفي رسالة بطرس الرسول الثانية (2:13): «**ولائم معكم**». وهذه الرسائل مكتوبة فيما بين عام 60م وعام 80م.

وفي غير ذلك من الكنائس لم تدُم أكثر من القرن الأول، فلم يأتِ القرن الثاني[1]، إلاَّ وكل الكنائس كانت قد جعلت للأغابي طقس صلاة خاصاً وللإفخارستيا طقس صلاة آخر، ما عدا مصر فظلت وليمة الأغابي متصلة بالإفخارستيا حتى القرن الخامس. وقد جاء ذكرها في التاريخ الكنسي لكل من « سوزومين» (7:19)، و «سقراط» (5:22)، حيث ذُكر أن المصريين (الأقباط) كانوا حتى القرن الخامس لا يزالون يقيمون الأغابي في كثير من الكنائس مع الإفخارستيا في كل مصر، من الإسكندرية حتى طيبة، وكانوا لا يزالون محافظين على طقس العشاء كما استلموه من مار مرقس الرسول، فكانت الإفخارستيا تُقدم في المساء. كذلك كانوا لا يزالون محتفظين بالتقويم التقليدي اليهودي القديم معتبرين أن مساء السبت، أي السبت ليلاً وليس صباح الأحد هو بداية أول الأسبوع، أو مبدأ **يوم الرب** « كيرياكي»

[ولا يزال هذا التقويم معمولاً به في الكنيسة حتى اليوم، إذ أن رفع البخور في مساء السبت

(1) Greg. Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 77.

يُعتبر عشية لخدمة صلاة الأحد. وقد استُعيض عنه برفع البخور في العشية عن الإفخارستيا الليلية كبداية ليوم الرب، ونُقلت الإفخارستيا لتكون صباح الأحد وذلك بسبب تشدُّد الكنيسة بعد ذلك في الالتزام بالصوم تسع ساعات قبل التناول، الأمر الذي معه يمتنع ممارسته يوم السبت لأن الكنيسة بدأت تحرِّم الصوم أيام السبت].

أمَّا وضع الكنيسة القبطية في احتفاظها بالتقليد الرسولي القديم في الجمع بين الأغابي والإفخارستيا في مناسبات كثيرة، فقد اعتبره القديس أغسطينوس استثناءً خاصاً دون كافة الكنائس في العالم[2].

ولكن ليس معنى بقاء وليمة الأغابي مع الإفخارستيا في مصر، أنهما كانا مائدة واحدة بحسب طقس الرب في العشاء السري، ولكن كانت الإفخارستيا تُتمَّم أولاً وبالكامل، وبعد ذلك مباشرةً تبدأ وليمة الأغابي.

وسوف يتضح لنا تماماً الانفصال الذي تمَّ مبكراً جداً بين الأغابي والإفخارستيا، عند فحص « الديداخي» (تعليم الرسل الاثني عشر ـ عام 100م)، حيث نجد فيها أنه بعد أن يستنفذ الكاتب كل طقس وليمة الأغابي، يعود مرةً أخرى ويبدأ في وصف طقس آخر للإفخارستيا، وكل طقس منهما قائم بذاته.

ومن الوثائق الهامة جداً الوثيقة التي اكتُشفت حديثاً في مصر سنة 1919م باللغة القبطية[3]، وهي من مدوَّنات سنة 140م ـ سنة 170م، باسم «الرسالة الرسولية» وهي من الأبوكريفا، والمعتقد أنها مدوَّنة في مصر، حيث يصف الكاتب **الإفخارستيا قبل وليمة الأغابي**.

أمَّا في النص الأثيوبي لنفس الوثيقة[4]، فيذكر الكاتب **الإفخارستيا بعد وليمة الأغابي**.

والمعروف بحسب البحوث الدقيقة أن قيام وليمة الأغابي قبل الإفخارستيا هو الوضع الأسبق زمنياً حسب التقليد، والذي تطور بحكم اللياقة الكنسية وقداسة سر الإفخارستيا إلى أن تكون

(2) Augustine, *Epist ad. Jan.*, 1:5.

(3) *Epistula Apostolorum*, Coptic & Ethiopic texts with a German transl., by H. Duening, Bonn, 1925.

(4) *Epistula Apostolorum*, English tr. in G. Horner, *The Statutes of the Apostles*, London, 1904.

الإفخارستيا هي الأسبق(5).

فنحن لا ننسى النص الذي أورده بولس الرسول: «كذلك الكأس أيضاً **بعد ما تعشوا**»(1كو 11:25)، الذي يوضِّح أن تكميل سر الإفخارستيا (أي الشكر على الكأس) يجيء في ختام وليمة الأغابي.

وفي كتاب "التقليد الرسولي" لهيبوليتس *Apostolic Tradition of Hippolytus*، والمسمَّى في المخطوطات بـ "النظام الكنسي في مصر" والمعتبَر أساس معظم الليتورجيات، يبدأ الكاهن (أو الأسقف) بقوله: «**الرب مع جميعكم**»، ثم «**ارفعوا قلوبكم**»، ثم «**فلنشكر الرب**».

هنا تبدأ صلاة «**الإفخارستيا**» **بالشكر** أو بصلاة الشكر، وهذا يشير إلى أنه قبل ذلك كانت وليمة الأغابي، والتي لما انتهت بدأ الأسقف بصلاة الإفخارستيا (على الكأس).

وصلاة الشكر على الكأس (الإفخارستيا) لا تعني أن نقول «فلنشكر الله» فقط، ولكنها كانت تعني أصلاً أن نصلِّي صلاة للشكر (والأصل العبري «نبارك بركةNebarek Baruk»).

وقد أخذت جميع الليتورجيات بداية القداس هذه عن هيبوليتس، فصارت **قاعدة** «**أن تبدأ صلاة الإفخارستيا بالشكر**»، مع أن صلاة الشكر أصلاً كانت آخر ما يُقال في طقس العشاء كله.

ولذلك فإن الليتورجيات أعادت صياغة صلاة الشكر هذه التي كانت تُقال أصلاً على وليمة الأغابي والإفخارستيا معاً من أجل الطعام في النهاية، حتى تتناسب مع بداية الإفخارستيا أي (القداس)، وصار لكل ليتورجيا بداية شكر خاصة. ولكن عموماً صار مضمون الشكر من أجل الخليقة كلها والخلاص.

وعلى العموم فإن الإفخارستيا بالرغم من التحامها بالأغابي في كثير من كنائس مصر في القرون الخمسة الأُولى، إلاَّ أنها كانت ذات طقس محدد قائم بذاته وبداية محددة، ولا يحضرها إلى المؤمنون المعمَّدون الذين جرت توبتهم على يدي الأسقف أو الكاهن. وكانت إقامة الإفخارستيا بعد الأغابي تقتصر على مناسبات معينة، أمَّا في المناسبات الرسمية الأخرى فكانت الإفخارستيا تُقام وحدها بطقسها الرسمي الخاص، مثل رسامة الأسقف أو الكهنة، وفي أيام الآحاد.

(5) J. Jeremias, *Euch. W. of Jes.*, p. 116.

وانفصال الإفخارستيا طقسياً عن الأغابي من الأصل، سهَّل انفصالها بعد ذلك نهائياً من حيث الزمان والمكان والترتيبات. فلم تعد الأغابي إلاَّ ولائم محبة قائمة بذاتها لمناسبات وأعياد القديسين وموالد (أي تذكار يوم استشهاد) الشهداء، والمآتم أو الأفراح، أو تكريس الكنائس، أو بعد رسامة الأساقفة والكهنة، أو في كنائس القرى النائية حيث لا مفر من إطعام المسافرين.

وظلت ولائم الأغابي محتفظة بطقسها الأول الوقور، كما استلمتها الكنيسة من الرب نفسه، حيث لا يحل إقامتها إلاَّ بأمر الأسقف أو بحضوره أو حضور الكاهن، ولكن ليس داخل الكنيسة بأي حال من الأحوال، وذلك بمقتضى قوانين مجمع «لاودكيا» والمجمع الثالث بقرطاجنة في شمال أفريقيا عام 391م الذي فيه حُتِّم الصوم قبل التناول، ونُقل بالتالي ميعاد الإفخارستيا من المساء إلى الصباح (قانون 44و45). ولا يكون المصلِّي على الخبز والخمر في الأغابي إلاَّ الكاهن.

وقد انقطعت هذه الولائم من مصر من مدة طويلة، ولكن ظلت باقية في الأديرة بنظامها وميعادها أي بعد الإفخارستيا مباشرةً يوم السبت مساءً (قديماً)[6] حتى نهاية القرن الرابع، ثم استقرت بعد ذلك لتكون في يوم الأحد صباحاً حتى إلى زمن قريب.

وكان منوطاً برئيس الدير، أن يكون هو المصلِّي على الأغابي، ويكون هو القارىء لكتاب «بستان الرهبان» على المائدة ويكون هو القائل البركة (الشكر) أولاً وأخيراً.

(6) كتاب مار إسحق – الجزء الأول.

دراسات دقيقة لكلٍّ من العالِم ليتزمان وريتشاردسن تُلقي أضواء جديدة على الأغابي في كلٍّ من مصر والحبشة

يقول العالِم ليتزمان:

{المصدر الأساسي لوصف هذا العمل (الأغابي) هو النظام الكنسي (لكنيسة مصر) لهيبوليتس. وتقدمه النسخة اللاتينية في أقدم وضع له. ولكن النسخ الشرقية لها قيمتها البالغة لأنها تقدم إضافات أساسية متفقة مع الممارسات التي تمارسها كنائس الشرق.

الأغابي وتسمَّى "عشاء الرب"[7] kuriakÕn de‹pnon كانت لا تُقام أصلاً في الكنائس ولكن في البيوت[8]، أي في بيت شخص خاص كمُضيف يبعث دعوة للوليمة ويتحمل مصاريفها.

وعادةً يرأسها أسقف وفي غيابه كاهن أو شماس يؤدي عمله، ولكن يمكن أن يُقام الاحتفال بدون إكليروس، ولكن في هذه الحالة لا يكون لها طابع الليتورجيا وتُحتسب وليمة فقط.

يجلس المؤمنون (المعمَّدون فقط) على المائدة، أمَّا الموعوظون فيقفون.

+ وفي بداية الوليمة يأخذ الأسقف أو مَنْ يمثله (ليس علمانياً بأي حال) خبزة ويقول عليها الشكر[9]، وبعد ذلك يقسِّمها ويوزعها بين المؤمنين الذين يستلمونها من يده (في قانون 47 من قوانين هيبوليتس في النص الصعيدي يقول إنهم يستلمون من يد الأسقف جزء الخبز kl£sma قبل أن يكسر أحدٌ خبزه الذي أمامه.)[10]

---

(7) *Cena dominica*, Hauler p. 113.5; Cf. also the *Canons of Hippolytus*, can. 32 = Riedel, p. 221; Horner p. 321; Dix, p. 46.

(8) *Ut ingrediatur sub tecto eius*, Hauler, p. 113.8.

(9) انظر صلاة البركة التي تُقال على الأولوجية في الأغابي (ملزمة صور المخطوطات).

(10) The Sahidic text, Funk II, 112; see also Horner, p. 321 and G. Dix, *The Apostolic Tradition*, p. 45.

+ هذا الخبز يُسمَّى الأولوجية eÙlog…a بعد الصلاة عليه.

+ أمَّا الموعوظون فمحرَّم عليهم هذا الخبز، وبدلاً عنه يأخذون ''خبز الاستحلاف'' أي خبز يصلِّي عليه الأسقف خاصةً لهم ليكون بمثابة إعلان لجحد الشيطان.

وكل مشترك في الوليمة له كأس خاص به أمامه يقول عليه الشكر (النسخة الصعيدية توضِّح جداً أن الجميع ملتزمون أن يقولوا البركة كقانون 48 لهيبوليتس): ''وإنه محتَّم على الجميع قبل الشرب أن يأخذ كل واحد كأسه ويقول الشكر eÙcariste‹n عليه ويشربه ثم يأكل وبهذا **يطهِّرون أنفسهم**''.

وعليه قبل أن يشرب أو يأكل أن ''يذكر'' صاحب الوليمة بالشكر والتمنيات.

+ وهذه الصلوات "**تطهِّر**" الذي يصلِّي بها من الشيطان وأفكاره الشريرة ومن الخطايا الصغيرة، وهكذا يشترك في الاحتفال وهو بحال الطهارة أو "**قديس**" ¤gioj.

+ وفي أثناء الأكل، على "**الضيوف الحاضرين**" أن يسلكوا بلياقة وترتيب ولا يكون بينهم شوشرة أو نزاع أو عدم نظام. حتى إذا تكلَّم الأسقف يمكن أن يسمعه الجميع في صمت واحترام.

+ ولكن قد رأينا[11] أن في النظام الكنسي لهيبوليتس يوجد أيضاً احتفال أغابي من هذا النوع داخل الكنيسة.

+ وتوجد نسخ شرقية محفوظة حتى الآن في الكنائس الشرقية يعطي فيها "**قانون هيبوليتس**" ـ الذي هو استخراج قوانين من ''النظام الكنسي'' الأقدم منه ـ **يعطي مواصفات أخرى للأغابي بطريقة أخرى مختلفة تماماً**[12].

والاختلاف قائم بين نوعين: أغابي تسمَّى kuriakÕn de‹pnon ووليمة أخرى تُسمَّى أنامنيسيس ¢n£mnhsij من أجل الراحلين.

+ أمَّا وليمة عشاء الرب حسب قوانين هيبوليتس فهي تبدأ قبل المغرب في نفس الوقت الذي

(11) *Can*. 47, Funk II, 112.

(12) Text in K. Riedel, *Kirchenrechtsquellen*, pp. 220 ff., *Can*. 32-35, and Achelis, *TU* VI, 4, pp. 103 ff. (following Haneberg); also Duchesne, *Origines* (3rd edition), p. 536.

تنص عليه قوانين التقليد اليهودي القديم. وتستمر الوليمة حتى بداية دخول الظلمة.

+ وفي وقت إشعال النور (إيقاد المصباح)، الذي هو من وظيفة الشماس، يكون الأسقف موجود **حتماً**. والانصراف يكون قبل دخول الظلام الكامل.

+ وفي بداية الأغابي (التي ''لعشاء الرب'') ويوجد مَن يترجمها ''وفي بداية الأسرار'' يُعطَى كل المشتركين ''الإفخارستيا''.

+ يصلِّي الأسقف من أجل ''الضيوف الحاضرين'' ومن أجل المضيف صاحب الوليمة.

+ وينتهي الاحتفال بالتسبيح بالمزامير.

+ أمَّا وليمة التذكار فهي لها نفس الملامح ولكن لا تُقام يوم الأحد (أو السبت)[13].

+ وفي البداية يتناول المشتركون الإفخارستيا وهم وقوف، وطبعاً من كلا السرَّين (دائماً يُقال: ''من الأسرار''، وهنا الترجمة خاطئة لأن المقصود هو سر الخبز وسر الخمر أي السرَّان وليس الأسرار، ولكن ليس في اللغة اليونانية ولا القبطية المستخدمة في الكنيسة مثنًّى. فكلمة ''الأسرار'' التي تُطلَق على الإفخارستيا خاطئة وتصحيحها: من ''السرَّين'').

+ بعد توزيع الإفخارستيا على المؤمنين، يبارك الأسقف على خبز خاص آخر ويوزِّعه على الموعوظين ويُسمَّى ''خبز الاستحلاف''.

+ وكل واحد من المؤمنين بعد ذلك يجلس وتبدأ الوليمة ويتحتَّم أن تكون بسلوك موقَّر ونظام.

وكل التعليمات هنا تتطابق مع ما جاء في نظام الكنيسة لهيبوليتس.

37 أمَّا في الترجمة الأَثيوبية من النظام الكنسي لهيبوليتس، فبعد التوجيهات اللاحقة لقانون 37 والمطابقة للنص اللاتيني تبدأ مباشرةً إضافات أخرى تتقارب في نقاط كثيرة مع قوانين هيبوليتس، ولكنها تقدِّم شكلاً آخر جديداً للأغابي، فيها تظهر ملامح مصرية صميمة تشهد بقدمها وأصالتها.

+ نحو المساء يبدأ الاحتفال.

---

(13) وهذا هو أصل وجوب عدم صلاة الترحيم يومي السبت والأحد.

عند وصول الأسقف يستحضر الشماس مصباحاً ويوقده.

الأسقف مع الشعب يتلون الحوار: ‘‘الرب مع جميعكم’’ ـ ‘‘ومع روحك أيضاً’’ ـ ‘‘فلنشكر الرب’’ ـ ‘‘مستحق وعادل’’.

ولكنه يخلو من ‘‘ارفعوا قلوبكم’’ المحفوظة فقط للإفخارستيا.

والأسقف يقدِّم الشكر من أجل موهبة النور إلى المساء، كلا النورين: النور للعين والنور للعقل.

+ وتبدأ الوليمة العادية، وفي نهايتها يقف كل واحد من مقعده حيث يبدأ الأطفال من البنات وأولاداً بتلاوة صلوات المزامير استعداداً للنهاية الأخيرة للوليمة.

+ يأخذ كل من الشماس والكاهن "**كأس الذبيحة**" في أيديهما على التوالي وكل منهما يتلو مزموراً من مزامير ‘‘الهلِّلويا’’ حيث يرد المشتركون بهلِّلويا.

+ ثم يبدأ الأسقف أيضاً بعد أن يقدِّم الكأس كالواجب، يقول الشكر على الخبز ويقسِّمه ويوزِّعه. وبهذا تنتهي الوليمة.

وبجوار هذه النصوص الواردة في النظام الكنسي لهيبوليتس، نقدِّم ما سجَّله ترتليان في دفاعه رقم 16/39، الذي به ينفي الادَّعاءات عن اجتماع المسيحيين:

+ تختص الوليمة بالأكثر ـ وتسمَّى وليمة المحبة أيضاً ـ بالفقراء من المؤمنين.

+ تبدأ الوليمة بصلاة تُقال والجميع وقوف.

+ ثم يجلس الجميع ليأكلوا ويشربوا باعتدال. ويتحادثون فيما يخص الوليمة.

+ في نهاية الأكل يدورون بالماء ـ كالعادة ـ لغسل الأيدي[14].

+ تُضاء الشموع.

+ يتسابق الحضور في تقديم الأعمال الروحية.

+ يتقدم القادر لقراءة الأسفار ويرنِّم المزامير ويقدِّم المجد لله بكلمات خاصة من عنده أو بأشعار (ترانيم) يؤلِّفها هو.

---

(14) هنا واضح أن غسل الأيدي يعني انتهاء العشاء لبدء العمل السري. وينبغي أن يكون هذا هو مفهوم غسل الأيدي في الإفخارستيا من جهة «أصل» الطقس.

+ تنتهي الوليمة بعظة ثم الصلاة.

وهكذا حينما نفحص جميع هذه التقارير بدقة نجدها تتلخص جميعها في «**غذاء جماعي**» **يرافقه طقس خاص لكسر الخبز والأكل من رغيف واحد تقدَّس بالصلاة. وذلك كنواة أساسية في جميع هذه الطقوس**.

ولكن يمكن تمييز طقسين:

الأول: من هذه النصوص: **طقس يختص "بنظام الكنيسة لهيبوليتس" و"قوانين هيبوليتس"**، وفيه يتم ''كسر الخبز'' قبل الأكل.

والثاني: طقس آخر هو طقس الحبشة (أثيوبيا)، وفيه يتم ''كسر الخبز'' بعد الأكل من الوليمة.

وللأسف فإن ترتليان لا يعطينا أية معلومات عن هذه النقطة. كذلك فإننا نرى أن طقس **قوانين هيبوليتس** هو في الحقيقة تطور عن طقس "**النظام الكنسي**" لهيبوليتس حيث:

(1) أصبح "**كسر الخبز**" = **اشتراك في الإفخارستيا!**

(2) وصلاة الشكر من أجل المضيف التي كان يقولها كل واحد بمفرده أصبح يقولها الأسقف عن الجميع.

لذلك فإن ''قوانين هيبوليتس'' لم تعد تُحسب كأصل الأغابي.

أمَّا الاحتفال اليهودي الذي كان يحدِّد الدخول إلى يوم ''السبت''، فإنه يتصل اتصالاً وثيقاً بهذه الأشكال المتعددة للأغابي. ونحن سنكتسب معرفة أعمق إذا ما فحصنا المقارنة بين هذه النصوص.

أمَّا طقس الصلاة الاحتفالية الخاصة ''بتحديد الدخول في يوم السبت'' المسمَّاه ''قدوش السبت'': Sabbath Kiddush والتي تُقام مساء الجمعة (بعد السادسة مساءً والمعتبرة أنها هي الساعات الأُولى ليوم السبت) فهي بحسب كتب الصلوات اليهودية كالآتي:

تعليمات بخصوص البركة على الخمر في الاجتماع المقدَّس، والتحذير من أجل عدم تناول أي شيء قبل أن يباركها المتناول منها:

بصوت منخفض: وكان مساء وكان صباح.

بصوت مرتفع: اليوم السادس (الجمعة)

واكتملت السماء والأرض وكل جندها،

وفي اليوم السابع أكمل الله كل عمله الذي عمل،

واستراح في اليوم السابع من كل عمله الذي عمل،

وبارك الله اليوم السابع وقدَّسه، لأنه استراح فيه من كل أعماله التي عملها الله وخلقها.

هذا هو إيمان معلمينا وكل الربيين وكل السلطات.

على الكأس: مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الدهور الذي خلق ثمر الكرم.

مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الدهور يا مَنْ قدَّستنا بوصاياك وأنعمت علينا، وبمحبتك ونعمتك ورَّثتنا سبتك هذا المقدَّس، **كذكر الخليقة** التي كانت منذ البدء. **لأن هذا اليوم هو بدء "الاجتماعات المقدَّسة"**، ذكر الخروج من مصر، لأنك أنت **اخترتنا وقدَّستنا** فوق جميع الشعوب وجعلتنا بمحبتك ونعمتك وارثين لسبتك المقدَّس.

مبارك أنت يا رب الذي قدَّست السبت.

على الخبز: (وبعد هذا القدوش، تقال البركة على "**رغيفين خبز**").

وعند كسر الرغيف الأسفل: مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الدهور الذي أخرجت الخبز من الأرض.

وبعد الأكل يقول:

«عندما رد الرب سبي صهيون، حينئذ امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً» [15]. ويقولون البركة على الكأس ويسبحون التسابيح.

وعندما قام البحَّاثة ج. إلبوجين[16] بتتبع تطور قداس السبت في عصر التلمود، أي في

(15) نفس الكلمات التي لا تزال تُقال في الطقس القبطي في نهاية الإفخارستيا كلها، مما يكشف عن عمق تجذر الطقس القبطي في التقليد العبري القديم.

(16) *Festschrift zu Israel Lewy's 70. Gerburtstag*, publ. by M. Brann and J. Elbogen (1911) pp 179ff.

القرنين الأول والثاني المسيحي، وجد أن الوليمة كانت تبدأ بعد الظهر في وقت متأخر يوم الجمعة، حتى إنه أثناء الوليمة ينتشر حجاب الظلمة ويبتدىء يوم السبت (بعد الساعة السادسة مساء) وحينئذ يتحتم تحية السبت (بالبركة على الكأس). وتكون الوليمة في البيت والمشتركون يجمعهم طقس أخوي ''حبوراه''.

وينص تلمود بابل[17] أن رابي عوص بن قلفطا (حوالي 150م) يقول:
[إنه من المعتاد أن يُشترك في الوليمة حتى تدخل الظلمة وحينئذ يُملأ الكأس الأول وتقال عليه البركة، بركة الطعام، وعلى كأس آخر تُقال ''بركة اليوم''].

ثم يكتب ملاحظة يقول فيها (إن هذا القانون الخاص برابي عوص هو خاص بأيام السبوت وأيام الأعياد ولكن ليس الفصح).

وتقول **مدرسة شماي إن "بركة اليوم"** تقال ثم تقال بعدها بركة الخمر (الطعام) أمَّا مدرسة هلليل فتقول إن بركة الخمر تقال أولاً وبعدها تقال ''بركة اليوم''.

وقد تغلبت مدرسة هلليل وصارت هي القانون السائد.

ومن هذا النقاش الحاد يتبين كيف كانت تتوقف الوليمة في حالة بدء الدخول في ساعات يوم السبت الأُولى لكي تُقال (صلاة الشكر) مردات بركات يوم السبت[18]، **ونرى من ذلك أن بركة السبت لم تكن تقال في أي حال في بداية الوليمة** بل في بعض الحالات كانت تُرْجَأ حتى نهاية الوليمة.

وقد أوضح العالم ''إلبوجين'' أن هذا الاحتفال الخاص بقداس السبت، الذي كان في أصله شعبياً خالصاً، **كيف انقلب وصار أثناء سبي بابل خدمة داخل المجمع**، ثم كيف أنه إزاء الاحتجاج الذي قام للدفاع عن ضرورة جعل تلاوة ''القداس'' في المكان الذي تقام فيه الوليمة، أن اضطر إلى إقامة **حجرة مجاورة للمجمع يقدم فيها الطعام**، حيث تطور هذا الوضع وصار يقال القداس في المجمع (254 ق.م) على الأكل أيضاً بالنسبة للمسافرين.

(17) *Pesachim* 102 a (Cf. *Tos. Ber.* VI. 2).

(18) يلاحظ أن صلاة الشكر في تقديم الحمل لا تقال في بدء الخدمة بعكس جميع طقوس الكنيسة القبطية مما يكشف عن صلتها الوثيقة بالطقس العبري القديم.

وعلى أي حال فمن هذه الأبحاث يظهر أن شكل هذا الطقس المسمَّى بقداس السبت Sabbath Kiddush بكل لغته في وضعه القديم أيام السبي قبل الميلاد ظل يمارس كما هو عند اليهود حتى الآن. حيث يظهر بوضوح أن بركة الخبز تأتي دائماً في البداية:

ويقول التقليد اليهودي:

[في السبت (مساء الجمعة) يلزم أن يُبارَك على رغيفين خبز ـ لأي سبب؟ لأنه مكتوب في خر 2:16: ''ثم كان في اليوم السادس أنهم التقطوا خبزاً مضاعفاً'' (من المن الذي كان ينزل من السماء). ولكن نحن رأينا رابي ''هابانا'' قد أخذ خبزتين ولكن كسر الواحدة ''السفلى'' فقط].

وهكذا فإن التميز الخاص لوليمة السبت في مباركة الخبز هو أنه يتم على رغيفين.

وفي المدراش اليهودي في شرح تأملي أخروي على ما جاء في التكوين 8:21 عندما فُطم إسحق وهو صغير:

[إن ''المبارك'' ـ التسبيح لاسمه ـ (نبوة عن المسيح) سوف يعد وليمة الأسرار في اليوم الذي فيه سيعلن رحمته لذرية إسحق: فبعد أن يكونوا قد أكلوا وشربوا، سيقدمون ''كأس البركة'' لأبينا إبراهيم لكي يقول عليه البركة ولكنه سيرد عليهم: لا أستطيع أن أقول البركة لأنه مني خرجت ذرية إسماعيل ـ ومن بعده (أُعطيت الكأس إلى) إسحق ثم يعقوب ثم موسى ثم يشوع، الكل استعفى. كذلك وأخيراً أعطى الكأس لداود فهذا أخذه وقال هذه الكلمات: سأنطق البركة وإنه ليليق بي أن أفعل هذا فقد قيل «كأس الخلاص آخذ وباسم الرب أدعو» (مز 13:116)].

وهكذا فالوليمة الأرضية التي كانت مستخدمة قديماً تعكس بالضرورة صورة هذه الوليمة السمائية، التي فيها تأتي البركة على الكأس ''كأس البركة'' في آخر الوليمة حيث تقال عن جميع الجالسين على المائدة. وكان الكأس حسب مدونات الآثار العبرية ورسومها يُصنع من الزجاج[19].

والآن علينا أن نقارن بين صورة الوليمة كما رأيناها في طقسها اليهودي القديم في التلمود

(19) لقد عثرنا أثناء قيامنا بحفريات دير القديس أنبا مقار تحت إشراف العالم الأثري جروسمان (رئيس بعثة الآثار الألمانية) والعالم عبد الرحمن عبد التواب (مدير الآثار الإسلامية والقبطية – مصلحة الآثار المصرية)، تحت أرضية الهيكل، على كأس زجاجية سليمة وكاملة – وصينية من الزجاج الثقيل – بها نقوش بارزة تدل على أنها غارقة في القدم (راجع الصورة في ملزمة الصور).

وبين الوصف الذي تمدنا به مخطوطة النظام الكنسي لهيبوليتس عن الأغابي في العصر المسيحي.

وفي الحقيقة نجد في الحال أن الملامح الأساسية المميزة هي واحدة في الاثنين:

في بدء الوليمة تتم البركة على الخبز. ويُكسر رغيف. وتُوزَّع الكسر على الحاضرين على المائدة. ولكن كل واحد يقول البركة لنفسه على الكأس. وبعد ذلك تبدأ الوليمة.

وحتى ما جاء في النسخة اليوناني والقبطي الصعيدي (قانون 47) بخصوص أن الأسقف يلتزم أن يذوق الخبز الذي باركه وقسَّمه[20]، نجد أن التلمود نظيره تماماً: [إن مَنْ يقول البركة عليه أن يذوق].

ولكن في هيبوليتس لا نجد «كأس البركة» في نهاية الوليمة. أفلا يُعتبر هذا اختلافاً أساسياً عن الطقس اليهودي؟}

انتهى كلام العالِم ليتزمان عن الأغابي

Lietzmann, *Mass and Lord's Supper*, pp. 161-171.

(الرد من عندي: لقد رفع التقليد الرسولي بحسب هيبوليتس كأس البركة من طقس الأغابي نهائياً وأضافها إلى سر الإفخارستيا بعد العشاء بعد أن قدَّسها المسيح وجعلها كأس دم العهد الجديد ـ هذه بديهية، وأنا منذهل كيف تفوت على رجل عظيم مثل هذا!)

ويعود العالِم ريتشاردسن معقِّباً:

[لقد لفتَ انتباهنا العالِم K. G. Kuhn لاصطلاح هام ورد في طقس مائدة النسَّاك في وادي القمران: بخصوص كلمة ''راشيت'' reshit، وهي تعني أول لقمة ''ملء الفم'' من الخبز والخمر معاً التي يأخذها الكاهن المترئس على المائدة في طقس جماعة القمران وهي تشير في العهد القديم إلى ''الجزء المختار المختص'' أو ''النصيب الأول'' من الذبيحة الذي كان يوضع على جانب حتى يأتي الوقت ليأكلها الكاهن[21].][22]

وفي شرحه للأغابي في طقس وادي القمران يقول نفس العالِم:

---

(20) *A.C.*, ed. Funk II p. 112. (Horner 321, Dix 45). kl£saj d p£ntwj geÚetai.

(21) يُلاحَظ علاقة هذا الطقس، بالسباذيكون (ذسبوتيكن) في الطقس القبطي، وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل.

(22) R.D. Richardson, *Supplementary Essay* in H. Lietzmann, *Mass and Lord`s Supper*, Leiden, 1953-1974, p. 351.

[وعند بحث الأدراج التي اكتُشفت قدَّم لنا العالِم K. G. Kuhn هذه الرسالة باعتبارها قيِّمة للغاية بالنسبة لأصول الإفخارستيا المسيحية. وقد أعطانا ترجمة دقيقة لإحدى صفحات هذه المخطوطات الخاصة بالقمران وهي المسمَّاة: «دليل التلمذة» *Manual of Discipline*الذي يصوِّر مسيًّا إسرائيل وكأنه حاضر:

«وعندما يتلاقون جميعاً على مائدة الشركة ''Communal table'' ليشربوا الخمر، وحينما تصير مائدة الجماعة معدَّة والخمر ممزوجاً للشرب، ليس مسموحاً لأحد أن يمدَّ يده نحو النصيب الأَول من الخبز أو الخمر قبل الكاهن، لأنه هو الذي يقول البركة على الجزء الأَول من الخبز والخمر ويمد يده أولاً للخبز.

ولكن سيكون فيما بعد أن مسيح إسرائيل هو الذي سيمد يده إلى الخبز، وبعد ذلك يقول كل أعضاء الجماعة البركة **كل واحد بحسب رتبته (بالترتيب)**.» [23]

وهذا القانون يسري على كل وليمة لا يقل الحضور فيها عن عشرة رجال. ويعلِّق على ذلك العالِم K. G. Kuhn قائلاً:

«والآن يتبين لنا في هذا الطقس أن بركة الكاهن على الخبز والخمر تحدث في بداية الوليمة ويأتي الخمر بعد الخبز مباشرةً. وهذا يشكِّل أمامنا "**طقساً خاصاً**" يتبع التعليم السرِّي عندهم Disciplina arcani الذي لا يُعرف إلاَّ عند أعضاء الجماعة الداخلة في النظام، ولا يجوز أن يُكشَف للخارجين»][24]

ويعلِّق ريتشاردسن قائلاً:

[إن مسألة "**مد اليد**" بالنسبة للكاهن في الأَول أو بالنسبة لأعضاء الجماعة ليست هي مسألة تناول الطعام بل ''لعمل البركة'' على الخبز والخمر. ولكن أي سرِّية في هذا الطقس أو في هذا الترتيب؟][25]

أمَّا تعليقنا على اعتراض ريتشاردسن فهو:

(23) لاحِظ العلاقة بين هذا التعبير وبين نداء الشماس في نهاية تقديم الحمل «تقدَّموا تقدَّموا **حسب الترتيب** kat¦ trÒpon». إذاً فهو نداء تقليدي عريق في القِدَمْ.

(24) K. G. Kuhn, *op. cit.*, p. 71 f.

(25) R.D. Richardson, *op. cit.*, pp. 353, 354.

الواقع أن السرية هي فيما كان يُقال وفيما كان يُعتقد، وخصوصاً بالنسبة لربط هذه المائدة بالمسيا. أي أن الحضور والاشتراك في هذه المائدة كان يحمل بينهم سر مجيء المسيَّا، وهذا كان سر الأسرار عندهم الذي من أجله «بالجهد كانوا يعبدون الليل والنهار.» (أع 7:26)

ولكن من حيث الطقس نفسه فهو ليس منطبقاً على العشاء الأخير إلاَّ في مضمونه الروحي وفي عمقه الرؤيوي وحسب.

أمَّا الفارق الجوهري بين مائدة الأسينيين ومائدة الرب، أن في الأولى الرب غائب، وأمَّا في الثانية فهي مائدة الذين كانوا ينتظرونه.

مائدة الأسينيين رمز ونبوة وظلال في الأقوال وفي الأكل والشرب، ومائدة الرب تحقيق وحضور ومأكلٌ حقٌّ ومشربٌ حقٌّ.

مائدة الأسينيين خبز الدموع والتوسُّل والشقاء وخمر المرارة من طول الجفاء والانتظار، أمَّا مائدة الرب فخبز الحياة النازل من السماء وخمر العهد دم المسيا المسكوب على الصليب لخلاص العالم.

المسيح لم يأخذ النظام القديم بطقوسه ليطعِّمه بشيء جديد أو بقول جديد، ولكنه أخذ النظام القديم ومن خلاله ألغى كل النظام القديم!!! وبفصحه أُلغي الفصح.

العشاء الأخير بعد استعلان المسيح فيه من خلال نفس الخبز ونفس الخمر، أصبح لا يمتُّ بأي صلة إلى موائد الأسينيين أو اليهود أو أي شيعة مهما تطابقت الأوصاف والأقوال ونوع الخبز والخمر وترتيبهما. لأن في العشاء الأخير لم يَعُد خبز ولم يَعُد خمر ولم تَعُد البركة بمفهومها القديم ولا عادت كل المطلوبات في كل الصلوات القديمة، بل صار جسد ودم وبركة حياة لا تزول وطلب شركة في السماء وصلوات لكي تلتحم أعضاء الجسد وتأتي النعمة ويزول العالم!!

حينما كان المسيح يكلِّمهم عن الملكوت بصيغة الحاضر كان يصفه كما يراه ماثلاً فيه هو نفسه، وحينما كان يتحدث عن الملكوت بصيغة المستقبل كان يصفه كما سيراه المؤمنون عندما ينفتحون عليه.

عِظم قيمة وليمة الأغابي
وبقايا هذا الطقس ممثَّلة في «لقمة البركة»

ويهمنا أن ندرك قيمة الأغابي كوليمة محبة بين المؤمنين، فهي كانت تخدم بحد ذاتها روح المحبة، كعنصر أساسي في سرِّ الإفخارستيا، لكونها تربط فعلاً بين القلوب والأشخاص والطبقات، لذلك كانت ذات نفع عظيم في الكنيسة لتقارب المؤمنين وتكميل وحدانية الروح في الجسد السري للمسيح بالإفخارستيا، وخصوصاً بين المتناقضات: الفقراء والأغنياء، الأسياد والخَدَم، الخصوم والأصدقاء. فالأغابي، كلقمة محبة وبركة وفرصة للتعليم وشرح الكتب والوعظ، كانت جزءاً هاماً في الإفخارستيا، بل وفي العبادة المسيحية عموماً.

ولا تزال الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تحتفظ ببقايا طقس الأغابي كجزء حي من صميم جسم الإفخارستيا. فلقمة البركة، التي تُسمَّى لقمة "القسمة" خطأ وصحتها لقمة "الإسمه" حيث "الإسمة" هي "الإسمو" Cuor أي "البركة"، وهي نفسها باليوناني أيضاً تسمَّى "الأولوجية"، هذه اللقمة هي بقايا طقس وليمة الأغابي. يحرص الكاهن حالياً على أن يوزعها بيديه لتصل إلى كل بيت، وخصوصاً للمرضى والضعفاء والذين تعذَّر حضورهم للتناول من الإفخارستيا.

وبقايا هذا الطقس القائم الآن في توزيع لقمة البركة هو جزء أساسي في طقس ليتورجيا الإفخارستيا، إشارةً إلى وحدة وليمة الأغابي مع الإفخارستيا قديماً وتكميلاً لمفهوم الوحدة بين المؤمنين بالجسد والروح، ويتحتَّم توزيعها بعد التناول تماماً، لأن الأغابي موضعها أصلاً بعد الإفخارستيا، حيث كانت كل البكورات والقرابين وعطايا الشكر (الإفخارستيات) تُجمع حيث تُعمل منها هذه الوليمة.

كذلك فتوزيع لقمة البركة محدد ميعاده في صميم الطقس بوقت تلاوة البركة (الأولوجيا) الأخيرة بعد القداس، فهي لقمة بركة بسبب هذه البركة التي يتلوها الكاهن عليها في نهاية القداس.

ومن المناسب بل ومن الضروري أن يحمل الشماس الطبق الذي فيه خبز البركة على يديه أمام الكاهن وهو يتلو هذه البركة الأخيرة، لكي تحمل اللقمة هذه البركة إلى أصحابها وفي منازلهم.

وفي شرح قانونية خروج لقمة البركة من الكنيسة لتوصيلها إلى منازل المرضى والمتغيبين الذين تغيَّبوا عن ضرورة، نجد بعض القوانين تحرمها وبعض القوانين لا تمنعها. ولكن هذا الخلط ناشىء من أن **الإفخارستيا نفسها كان يأخذها المؤمنون إلى بيوتهم**، وذلك عندما كان الطقس في توزيع الإفخارستيا يسهِّل ذلك، لأنه كان يُعطَى لكل متناول جزء الجسد في يده وهو بحريته يضعه في فمه، من هنا كان المؤمنون يحتفظون بجزء من الجسد في أيديهم ويأخذونه معهم إلى بيوتهم. فلما حرَّمت الكنيسة هذا الوضع بقوانين مشدَّدة (سوف نعرض لها في موضوع الإفخارستيا)، جاء في سياق هذه القوانين أنه ممنوع أخذ الأولوجية خارج الكنيسة، حيث يُقصد بالأولوجية الإفخارستيا نفسها لأنه كان لا يوجد أي فارق في الكلمة ومضمونها آنئذٍ.

من هنا التبس الأمر على الشرَّاح الذين أتوا في وقت متأخر وظنوا أن الأولوجيا المقصودة هي لقمة البركة العادية التي توزَّع في نهاية القداس، في حين أن الأولوجيا الحالية تمثِّل بقايا عطايا الشعب من قرابين وهدايا وإفخارستيات (أي نذور شكر على استجابة الله لهم في ضيقاتهم)، وهي كانت توزَّع غالباً على الفقراء وتُرسل لهم إلى بيوتهم.

ونحن ننقل للقارىء هنا نص القانون الذي وضعه البابا ثاؤفيلس بطريرك الإسكندرية الثالث والعشرون (في عداد باباوات الإسكندرية)، والذي يتضح منه أن بعد كمال التناول كان يتبقَّى عطايا الشعب وبكورهم ونذورهم وخمرهم التي قدَّموها، والتي صارت من أجلها "أوشية القرابين"، والتي أُخذ منها الخبز والخمر اللائقين للذبيحة:

[وعلى الكهنة والشعب (المتناولين) أن يقسِّموا فيما بينهم كل قرابين الإفخارستيا Eucharist of Oblations بعد أن يكونوا قد تناولوا. ولكن لا يُسمح لأي موعوظ أن يأكل أو يشرب منها.][26]

وواضح أن الأولوجية الحالية تقوم الآن موضع الإفخارستيا قديماً، التي يحملها الشعب معه إلى منازله، وهي تؤُخذ على أنها خبز مقدَّس.

(26) Theophilus bishop of Alexandria, cited by Bingham V, p. 472.

الفصل الثالث

المراحل الكنسية التي عبرت عليها وليمة الأغابي

أولاً: في "الديداخي" أو تعليم الرسل الاثني عشر

يُعتبر كتاب ''الديداخي'' «didac الآن أقدم الوثائق التي وصلت إلى أيدينا ويحمل نصوصاً إفخارستية من القرن الأول. وكان لاكتشاف العالِم ''برابنيوس Bryennios''[(1)] لهذه الوثيقة البدائية جداً ضجة في الوسط العلمي، فقد غيَّرت كثيراً جداً من الاتجاهات العلمية من نحو التقدير العلمي لوثيقة أخرى مناظرة لها، وهي ''تعاليم الرسل وقوانينهم''، والتي تحمل نصوصاً إفخارستية كثيرة.

وقد بدأت هاتان الوثيقتان تحظيان باهتمام بالغ من علماء الإفخارستيا في العالم كله.

وقد لاحَظ العلماء أن لغة هذه الوثيقة هي لغة الرسل أنفسهم أو الآباء الرسوليين على وجه أدق[(2)].

كما يُلاحَظ أن رسالة ''برنابا'' وكتاب ''الراعي لهرماس''، وهما من مدوَّنات أوائل القرن الثاني سنة 125م ذات صلة بهذه ''الديداخي''.

ولكن أيهما أخذ من الآخر؟ في يقيننا أن ''الديداخي'' أقدم من رسائل ''برنابا'' و''هرماس''[(3)]، لأنها تستخدم اصطلاحات أكثر انحداراً إلى اليهودية، وكاتبها يُعتقد أنه من رجال الكنيسة الأوائل الذين صاروا مسيحيين من بعد يهودية[(4)]، فهو ينقل لنا اصطلاحات ليتورجية نصفها من المستخدم في صلوات المجامع اليهودية ونصفها من أنفاس العهد الجديد. فهي بهذا تنقل لنا التقليد الرسولي البدائي للأغابي ولليتورجيا الإفخارستيا.

و''الديداخي'' ذات صلة قوية بالكتاب السابع من ''كتب الرسل وتعاليمهم'' بيد كليمندس

---

(1) هو العالِم ''فيلوثيئوس برابنيوس'' مدير الكلية الإكليريكية اليونانية في القسطنطينية. وقد صار فيما بعد مطران نيقوميديا. وقد اكتشف هذه الوثيقة ضمن مجموعة وثائق هامة في دير أورشليم بالقسطنطينية سنة 1873م. وهي مخطوطة بيد ''الخاطيء ليون''، وعليها التاريخ بحسب خلقة العالم سنة 6564 الموافق 1056م.

(2) M.B. Riddle., *ANF* vol. VII, p. 373.

(3) Ibid. p. 374.

(4) Ibid. p. 375.

وبكتاب هيبوليتس في ''نظام الكنيسة'' أيضاً. وقد استشهد بها القديس أثناسيوس الرسولي في رسالته الفصحية رقم 39، والمؤرخ روفينوس أيضاً يتكلَّم عن ''الديداخي'' وسمَّاها بـ''الطريقين''، وسمَّاها أيضاً ''أحكام بطرس''. وكذلك استخدم كلٌّ من العلاَّمة كليمندس الإسكندري الذي تنيح سنة 215م، والقديس إيرينيئوس الذي استشهد سنة 202م؛ كلٌّ منهما استخدم الاصطلاحات الواردة بالديداخي مما يفيد أن كلاًّ منهما كان ذا معرفة بـ''الديداخي''[5]. كما أشار إليها صراحةً القديس أثناسيوس الرسولي باعتبارها كتاباً من الكتب ''غير القانونية'' ولكن النافعة للتعليم.

وإن استخدام الكتاب السابع من تعاليم وقوانين الرسل لكليمندس لنفس تعاليم الديداخي وإيراده صفحات كاملة منها إنما يدل على أقدمية وأصالة الديداخي بالنسبة لكتاب «تعاليم الرسل» بيد كليمندس، من حيث التأليف. ومعروف أن كتب كلمندس ولو أنها من مدوَّنات ما بعد سنة 300م[6]، إلاَّ أنها تحوي تعاليم وتقليداً رسولياً من القرن الأول.

ويقرِّر العالم «ردل» المختص بفحص ''الديداخي'' ضمن مجموعة كتب الباترولوجيا، أن تاريخ "**تدوين**" الديداخي لا يمكن أن يكون إلاَّ في حدود سنة 120م ولكنه يعود ويقرر أن مادة الديداخي تشير إلى تاريخ أسبق!

وبساطة الديداخي تقف سدًّا منيعاً ضد أي محاولة للإدِّعاء بأن الوثيقة نتيجة الاختراع أو التزوير، فلغة ''الديداخي'' هي لغة أهل الكنيسة الأتقياء جداً والأوائل جداً الذين يمكن تحديد زمانهم بالعصر ما بعد الرسولي مباشرة[7]. وهي تخلو خلواً تاماً من أي انحراف عقيدي أو أي هرطقة أو أي تخريج من التعليم الإنجيلي الأَول، فهي تُعبِّر عن الحياة المسيحية أكثر مما تعبِّر عن التعليم، وهذا طابع العصر بعد الرسولي مباشرةً، أو حتى الرسولي نفسه في أواخره.

و''الديداخي'' توصي ـ ضمن ما توصي ـ بقبول الأنبياء المعلِّمين المتنقلين، وهذا يمثِّل نشاطاً كنسياً محدوداً كان هو طابع الكنيسة في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ثم انقطع نهائياً منذ منتصف القرن الثاني.

وقد قام مؤخراً جماعة من العلماء الإنجليز والأمريكان يرجِّحون أن ''الديداخي'' من مدوَّنات

(5) Ibid. p. 374.
(6) Ibid. p. 374.
(7) Ibid. p. 375.

سنة 80م[8]، بل ويعتقد العالِم الألماني شيرمان أنها من مدوَّنات سنة 40م[9] (نقلاً عن كتاب ''الآباء الرسوليون'' ـ ترجمة البطريرك إلياس معوض ـ منشورات النور ـ لبنان). وهذا يكشف لنا عن مدى أهمية هذه الوثيقة الكنسية الممتازة.

ويرجِّح بعض العلماء أن ''الديداخي'' مدوَّنة في مصر[10] (ربما في الإسكندرية)، وهنا ينتفي الاعتراض بخصوص معرفة الكاتب بخصائص أرض مصر عندما قال إن القمح يُزرع على التلال، لأن هذه هي طبيعة الأراضي المتاخمة للإسكندرية والتي كان يعيش فيها ''الأسينيون''. وهذا بدوره نرجِّحه نحن أكثر، لأن ''الديداخي'' ذات صلة كبرى بالطقس والتقليد الكنسي في مصر مثل نظيرتها ''كتب الرسل الثمانية'' لكليمندس وكتاب هيبوليتس. وهذا أيضاً يرجِّحه العالِم الألماني ليتزمان في كتابه عن الإفخارستيا حيث يقول:

[وإن ليتورجية سيرابيون (صديق أنطونيوس وأسقف تمي الأمديد بمصر) تستخدم نفس عبارة الصلاة (الأوشية) من أجل وحدة الكنيسة كما جاءت في الديداخي ... **وهذا يؤكِّد لنا علاقة ثابتة بين الليتورجيا القديمة في مصر وليتورجية الديداخي!** وفي اعتقادنا أن خروج الليتورجية القبطية عن الحدود التي وضعها هيبوليتس تماماً ـ وهذا الخروج صار إحدى مميزات الليتورجية القبطية ـ مأخوذ من الديداخي (كمصدر أقدم).][11]

(8) Ibid. p. 375.
(9) Schermann, *Die allgemeine Kirchenordnung*, Paderborn, 1915.
(10) M.B. Riddle., *ANF* vol. VII, p. 375.
(11) Hans Lietzmann, *Mass and Lord`s Supper.*, Fase 4., p. 194.

النصوص الخاصة
بالحدود بين الأغابي والإفخارستيا
كما وردت في "الديداخي"

فصل 9:

[1ـ أمَّا بخصوص الإفخارستيا فاشكروا هكذا:

2ـ أولاً على الكأس: ''نشكرك يا أبانا من أجل **كرمة عبدك داود**[12] **المقدَّسة**، التي أعلنتها لنا بواسطة **يسوع** «**فتاك**». لك المجد إلى دهر الدهور''.

3ـ أمَّا بخصوص "**المكسور**" (أي الخبز المكسور) kl£sma فهكذا: ''نشكرك يا أبانا من أجل الحياة والمعرفة التي أعلنتها لنا بواسطة **يسوع** «**فتاك**». لك المجد إلى دهر الدهور''.

4ـ ''وكما كان هذا «**المكسور**» (أي الخبز المكسور) مبعثراً فوق التلال ثم جُمع معاً وصار واحداً، هكذا اجعل كنيستك أن **تجتمع معاً من أقاصي الأرض إلى ملكوتك**[13] لأن لك المجد والقوة بالمسيح يسوع إلى دهر الدهور''.

5ـ ولكن لا تجعلوا أحداً "**يأكل**" **أو** "**يشرب من إفخارستيتكم**" إلاَّ الذين **اعتمدوا** باسم الرب، لأن بهذا الخصوص قد قال الرب أيضاً: لا تعطوا القدس للكلاب.

فصل 10:

6ـ فإذا امتلأتم (أي شبعتم) اعطوا شكراً هكذا (1:10):

(أ) ''نحن نشكرك أيها **الآب القدوس**[14] من أجل **اسمك القدوس الذي جعلته يسكن**[15] (يصنع لنفسه خيمة) **في قلوبنا**، ومن أجل المعرفة والإيمان، ومن أجل **عدم الموت**، هذه التي أعلنتها لنا بواسطة **يسوع** «**فتاك**»، لك المجد إلى دهر الدهور'' (2:10).

---

(12) كرمة داود شرحها كليمندس الإسكندري كما سيأتي.

(13) وردت بهذا المعنى في إنجيل يوحنا: «يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد.» (يو 52:11)

(14) هذه الجملة لم تأتِ قط في جميع أسفار العهد الجديد إلاَّ في إنجيل يوحنا (11:17).

(15) هذا التعبير وارد في نبوة إرميا: «موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي.» (إر 12:7)

7- (ب) ‘‘أنت السيد المقتدر الذي خلقت كل شيء من أجل اسمك، وأنت الذي تُعطي "**الطعام والشراب**" للإنسان للمسرة حتى يقدِّموا لك الشكر، أمَّا لنا فقد أعطيتنا مجاناً "**طعاماً روحياً وشراباً**" وحياة أبدية **بواسطة يسوع** «**فتاك**»’’ (3:10).

8- ‘‘ونحن، **قبل كل شيء**، نشكرك لأنك مقتدر. ولك المجد إلى دهر الدهور’’ (4:10).

9- (ج) ‘‘اذكر يا رب كنيستك. نجِّها من كل شر واجعلها كاملة في محبتك واجمع شملها من الرياح الأربع لتكون مقدَّسة، **لملكوتك الذي أعددته لها**، لأن لك القوة والمجد إلى دهر الدهور’’ (5:10).

10- ‘‘ليت النعمة تأتي، وليت العالم ينتهي’’.

11- ‘‘أوصنَّا لإله داود’’.

12- كل مَنْ هو طاهر فليتقدَّم، والذي ليس طاهراً فليتُبْ. ماران أثا (أي تعالَ يا ربنا)[16]. آمين (مرد الشعب) (6:10).

13- ولكن اسمحوا للأنبياء أن يقدِّموا صلوات شكر بقدر ما يشاءون! (7:10)]

فصل 14: **بدء حدود سر الإفخارستيا**:

[1- Kur…oukat¦ kuriak¾n d وترجمتها بحسب المعنى ‘‘وكل يوم (أحد) الذي للرب’’...

2- **اجتمعوا معاً** “**واكسروا الخبز**”، وصلُّوا “**الإفخارستيا**” **بعد أن تعترفوا** بخطاياكم حتى تكون **ذبيحتكم طاهرة**.

3- ولكن لا تسمحوا لأحد أن يكون في خلاف مع أخيه أن يجتمع معكم حتى يتصالحا معاً، **لئلاَّ تتنجس ذبيحتكم**.

4- لأن هذه هي الذبيحة التي قال عنها الرب: «لأن في كل مكان وفي كل وقت **قدِّموا لي** ذبيحة طاهرة لأني ملك كبير، يقول الرب، واسمي عجيب بين الأمم.» (ملا 1: 11و14)

فصل 16:

1- أقيموا لأنفسكم أساقفة وشمامسة يكونون لائقين بالرب، أناساً ودعاء، غير محبين

(16) هذا النداء وارد في سفر الرؤيا: «تعالَ أيها الرب يسوع» (رؤ 20:22) وذلك مع المرد المقابل، أي «آمين».

للمال، مؤتمنين ومختبرين، **لكي يقيموا هم أيضاً لكم خدمة الأنبياء والمعلِّمين**.

2ـ ولا تحتقروهم، بل ليكونوا مكرَّمين مثل الأنبياء والمعلِّمين أيضاً ...].

ملاحظة:

(هنا بدء عصر الانتقال من خدمة الليتورجيا والإفخارستيا في الكنيسة من رجال ملهمين بالروح مختارين ومعيَّنين من قِبَل الله بواسطة المواهب والنِعَم التي تزكِّيهم، إلى خدَّام رسميين يختارهم الشعب بعد تزكية واختبار وفحص وتدقيق ـ أساقفة وشمامسة).

هذه النصوص بوضعها هذا تكشف لنا طقس وليمة الأغابي في الفصلين التاسع والعاشر، أي على مدى الأرقام من 1ـ13 وهو طقس عشاء على ما يبدو داخل البيوت ينتهي بإفخارستيا.

أمَّا الفصل الرابع عشر ببنوده الأربعة والفصل السادس عشر ببنديه الأَول والثاني، فهما يختصان بوضوح بسر الإفخارستيا داخل الكنيسة وفي اليوم المحدد له "**يوم الرب**"، حيث يقوم بالخدمة الأسقف مع الكهنة والشمامسة.

وهنا يشدِّد الكاتب على أن التقدمة هي ذبيحة، ويذكر ذلك ثلاث مرات مؤكِّداً كلامه بآية ملاخي النبي التي استشهد بها القديس يوستينوس أيضاً للدلالة على أن الإفخارستيا ذبيحة طاهرة (حوار 116).

كما يشدِّد الكاتب على ضرورة الاعتراف قبل التناول، ثم المصالحة الكاملة لكي تكون وحدة الكنيسة وطهارة المؤمنين سبباً لقبول الإفخارستيا كذبيحة طاهرة.

وإن كانت قد حصلت منازعة علمية قديمة بين علماء الإفخارستيا فيما إذا كانت النصوص الواردة في الفصلين 9و10 تشير أيضاً إلى الإفخارستيا، وقد انحازت أولاً المدرسة الألمانية وعلى رأسها العالم الألماني ''ليتزمان'' إلى القول إنها تشير إلى الإفخارستيا فعلاً بسبب الاصطلاحات المستخدمة مثل كلمة "**الإفخارستيا**" ومثل شرط **عدم اشتراك غير المعمَّدين**، ومثل قوله عن الخبز والكأس أنه **طعام روحي وشراب روحي**؛ إلاَّ أن علماء الإفخارستيا الكاثوليك وعلى رأسهم ''باتيفول'' و''دوشين''، وكذلك بعض الألمان السابقين مثل ''هارناك''، وشاركهم ''جريجوري دكس''[(17)] العالم الأنجليكاني، قالوا بأن نصوص ''الديداخي'' في الفصلين التاسع والعاشر هي عن وليمة أغابي منفردة.

(17) Greg. Dix., *op. cit.*, p. 91, citing Duchesne, Batiffol, Harnack.

وأخيراً قام العالم الألماني ''دبليوس''[18] الدقيق والمشهور في أبحاثه عن الإفخارستيا حديثاً وقرر مع علماء آخرين[19] أن نصوص الديداخي تشير إلى أغابي مرتبطة بإفخارستيا بعدها، وهذا طبعاً واضح من البند رقم 12 من هذه النصوص. وقد حبَّذ هذا الرأي العالِم يواكيم إرميا والعالِم المشهور لايتفوت Lightfoot. وهذا ما نوافق عليه نحن ونحبِّذه أيضاً.

أمَّا سبب الخطأ الذي وقع فيه الألمان القائلون بأن هذه إفخارستيا وليست أغابي، فهو كالآتي:

أولاً: **عدم أخذهم بقِدَم الوثيقة**، فالممارسات التي تسردها الوثيقة هي من القرن الأَول، وربما في الربع الأخير من القرن الأول، حيث كانت الأغابي أيضاً لها نفس الصبغة السرية الخالصة التي للإفخارستيا بحكم التقليد اليهودي المتوارث، والصلوات والكلمات والأفعال التي كانت تستخدم فيها منقولة من صلوات الإفخارستيا نفسها، أو بعبارة أدق هي نفس الصلوات والكلمات التي كانت تُستخدم في الموائد الرسمية الطقسية حسب التقليد اليهودي القديم[20]. وهذا واضح أشد الوضوح في صلاة الشكر على الكأس حيث تسجِّل لنا الديداخي نفس الاصطلاح المستخدم في الطقس اليهودي القديم "**كرمة داود**" و"**عبدك (فتاك) المسيا**".

ثانياً: أمَّا بخصوص **كرمة داود**، فعندما وصفها الكاتب بكلمة "**المقدسة**" رفعها في الحال من اصطلاح يهودي لا يصلح إلاَّ للعهد القديم إلى اصطلاح مسيحي سرِّي للغاية. فهو هنا يشير **إلى المسيح رأساً وربما تخصيصاً لدمه**[21]. والإشارة هنا إلى قول الرب عن نفسه في الإنجيل: «**أنا هو الكرمة** الحقيقية وأبي الكرَّام.» (يو 15:1)

فالكأس هنا تشير إلى المسيح وإلى المحبة الكائنة في مفهوم وليمة الأغابي **التي تربط المؤمنين بالمسيح**.

ثالثاً: **وأمَّا عن استخدام كلمة «الإفخارستيا»**، فينبغي أن نشير إلى أنها مجرد ترجمة لكلمة ''بركة'' العبرية القديمة، التي كانت تُترجم هي نفسها إلى ''أولوجيا'' أو إلى ''إفخارستيا'' بنفس المعنى. فوليمة الأغابي أو المحبة هي وليمة بركة، وهي نفسها إفخارستيا لأنها شكر. **وقد تأتي بهذا المعنى**

(18) M. Dibelius, "Die Mahlgebete der Didache", *ZNW* 37 (1938), pp. 32-41.

(19) T. Zahn. (1884), Quasten, Bultmann, Audet, cited by J. Jeremias, *op. cit.*, p. 118.

(20) Greg. Dix., *op. cit.*, pp. 90-93.

(21) إن الإفخارستيا عند العلاَّمة كليمندس الإسكندري هي هكذا: [إن كرمة داود معناها السري دم المسيح].

أو ذاك ولا يفرِّق الاثنين إلاَّ نوع الصلوات، أي التقديس والاستدعاء.

ويُلاحَظ أيضاً أن بولس الرسول كان يستخدم كلمة ''**يشكر**'' باليونانية "**إفخارستين**" كفعل على الطعام العادي الذي يُشترى من السوق، وفي نفس الوقت يستخدم كلمة "**أولوجيا**" في سر الجسد والدم. أمَّا أصل الكلمتين في الليتورجيا العبرية **فهي** كلمة واحدة فقط ''Berak'' أي ''يبارك''.

وسوف نرى في تقليد هيبوليتس الليتورجي المأخوذ والمسلَّم من تعليم الرسل كيف يضع في مائدة الأغابي الكلمتين كلاًّ موضع الأخرى بدون تمييز واضح: [فإذا لم يوجد أسقف أو كاهن ليبارك ''إفلوجين eÙloge‹n'' الخبز فكل واحد من الشعب الجالس يشكر ''إفخارستين eÙcariste‹n'' لنفسه][22] (هنا يُلاحَظ أن درجة ''يبارك ـ إفلوجين'' أعلى من درجة ''يشكر ـ إفخارستين'' وهذا بحسب الطقس القديم).

وحتى أيام القديس يوستين نجد أن الكلمتين تتبادلان الاستعمال بين الطعام العادي وبين سر الإفخارستيا، فهو يستخدم كلمة ''إفخارستيا'' للتعبير عن مائدة الأغابي، ثم يستخدمها أيضاً في سر الشكر. ففي الأغابي يقول بوضوح: [وإن المسيحيين يعبدون الله بصلوات وشكر ''إفخارستيا'' على كل الأطعمة][23].ثم يعود ويستخدم نفس الكلمات عند وصف سر الإفخارستيا ''الشكر''[24].

رابعاً: وَضْع الكأس المذكور في ''الديداخي'' فصل 2:9 هو قبل العشاء وقبل كسر الخبز، وهذا هو وضع الأغابي في الطقس بحسب التقليد القديم والذي ظل قائماً باستمرار. فوليمة الأغابي تبدأ دائماً أبداً بكأس[25] وليس بكسر خبز (يلاحَظ أن الكأس الأُولى التي ذكرها القديس لوقا الإنجيلي في النص الإفخارستي في إنجيله عن ليلة العشاء هي أيضاً كانت كأس المحبة قبل العشاء، وقد استثناها الرب ولم يَذُقْ منها، ولم يجعلها تحمل سر الدم، بل أبقى تأسيس السر للكأس **الأخير بعد العشاء**).

ويقرر العالِم جريجوري ديكس أنه يستحيل بحسب الطقس والتقليد وبحسب واقع تاريخ الإفخارستيا كله في جميع مراحله، أن تأتي كأس الإفخارستيا قبل خبز الإفخارستيا[26].

خامساً: يُلاحَظ أن الشكر على الكأس وعلى الخبز في الديداخي (فصل 9: 2و3) لم يكن شكراً

(22) Hippolytus, *Apost. Trad.*, XXVI, 13.
(23) Justin, *Apol.*, I, 13.
(24) *Ibid.*, I, 66.
(25) Louis Bouyer, *Eucharist*, p. 80.
(26) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 88.

أو بركة للكأس أو للخبز كمفعول به (كما يحدث في تقديس الخبز والخمر في القداس)، أي لم يُبَارَك الكأس ولم يبارك الخبز، بل كان الشكر موجَّهاً لله. (وهذا الأسلوب ــ أي تقديم الشكر لله وليس على الأشياء ــ هو حدود بركة الأشياء فقط وليس تقديسها). إذاً، ما ذُكر هنا في الديداخي هو بخلاف ما يحدث بحسب التقليد الذي أخذت به الكنيسة في تقديس الإفخارستيا منذ البدء، فإن البركة تكون موجَّهة لمادة السر «كأس البركة التي نباركها» (1كو 16:10). وهذا كان في التقليد اليهودي القديم ذا اعتبار كبير جداً، لأن الفرق بينهما كبير للغاية. فكل إنسان يستطيع أن **يبارك الله على الأشياء**، وهنا تصير الأشياء مُبارَكة فتؤكل أو تُشرب أو تُستخدم كأنها بركة مأخوذة من يد الله، أمَّا **الذي يبارِك الأشياء ذاتها فهو** لا يمكن إلاَّ أن يكون كاهناً، والأشياء تتقدَّس وتصير إلهية (أي قُدْساً)، والذي يأكلها أو يشرب منها فهو إنما يأكل القُدْس أو يأكل الإلهيات. فإذا كانت أدوات أو ملابس فيستحيل بعد بركتها، أي بعد تقديسها، أن يستخدمها الإنسان في حياته الخاصة بل يقصر استخدامها على ما يخصُّ الله فقط، أي في كنيسته ولا تخرج عن الكنيسة.

لذلك فإن النص الوارد في ''الديداخي'' كشكر لله على الكأس وعلى الخبز قبل الكسر هو طقس أغابي بالدرجة الأُولى، وهو يكشف في الواقع عن دراية وحذق في معرفة الطقس وأصول الليتورجيا في أعماقها الأُولى، مما يكشف عن أصالة وقِدَم الطقس، وفي نفس الوقت يكشف عن هوية شخصية الكاتب أنها ذات صبغة يهودية ــ مسيحية بآن واحد.

سادساً: الشكر الذي يُختم به في الوليمة، هو في الحقيقة يجمع كل مقومات الشكر التقليدي القديم لولائم الأغابي (المحبة) في زمن المسيح، وإن كان لا يتبع ترتيبها أو نص كلماتها، ولكن ما يهمنا جداً أنه لا يشير إلى جسد المسيح ودمه أو إلى آلامه وموته، لا بتصريح ولا بتلميح. أمَّا الشكر من أجل ''الطعام الروحي والشراب الروحي'' (فصل 3:10 أي الفقرة رقم 7 أعلاه) الذي خصَّ به المسيحيين في الأكل والشرب من مائدة الأغابي فهذا هو طابع وروح العهد الجديد عموماً، الذي عبَّر عنه القديس بولس الرسول: «**أطعمة قد خلقها الله لتُتناول "بالشكر" من المؤمنين وعارفي الحق**، لأن كل خليقة الله جيدة ولا يُرفض شيء **إذا أُخذ مع "الشكر" لأنه يتقدَّس بكلمة الله والصلاة**» (1تي 4: 3و4)، حيث هنا «الشكر» لا يعني أن يقولها الإنسان ككلمة، بل كصلاة، والمفروض أن تكون صلاة طقسية أيضاً وهي على الطعام العام.

وقد جمعت ''الديداخي'' مقوِّمات الشكر على الأغابي هكذا:

(أ) الشكر من أجل طعام الأرض الذي لكافة الناس.

(ب) الشكر من أجل الطعام الروحي والشراب الروحي الذي صار للمسيحيين (بالصلاة).
(ج) الصلاة من أجل الكنيسة.

ولكن خلوَّ الشكر الأخير من ذكر الجسد والدم **وموت الرب كتذكار** (وهو أساسي في مفهوم عشاء الرب السري) ومن وجود كأس الإفخارستيا الأخير، هذا كله يحتِّم بوضع هذه النصوص تحت طقس الأغابي وليس الإفخارستيا.

وهذا الشكر (الإفخارستين) لا يخرج في مضمونه الروحي أو السرائري عن أي شكر على أي شيء باسم المسيح. فهو مثلاً لا يفترق عن الشكر من أجل نور المساء كما جاء في مقدمة الليتورجيا التي يقدِّمها الأسقف في الطقس الأثيوبي، في طقس البركة على المصباح هكذا:

قانون:

[نشكرُك يا الله، بابنك يسوع المسيح ربِّنا، لأنك قد أضأتَ علينا باستعلان النورِ غير الزائل.][27]

ملاحظة:

أمَّا أصل هذا القانون فهو في كتاب ''قوانين الرسل'' الثالث بيد كليمندس، ضمن المخطوطة المشهورة المعروفة باسم ''النوموكانون''، وهي المحفوظة في مكتبة باريس الأهلية، في الورقة 284B.
ونص هذا القانون:

[**لأجل تقريب السُرُج**: ليقدِّم الشماس سراجاً في عشية الأحد والأسقف حاضر، ويقف الأسقف وسط المؤمنين الحاضرين ويشكر قائلاً: الرب معنا. وليقل الحاضرون: ومع روحك؛ ارفعوا قلوبكم، هي عند الرب، **نشكر الرب، وليقل الحاضرون: مستحق وعادل**. **لأن ذلك يُقال على القربان وعلى غير هذا**، ثم يقول: **نشكرك اللهم، بفتاك يسوع المسيح ربنا، لأنك أنرتنا وأَسْكَنْتَ فينا نورك الخالد**، ها قد أكملنا النهار وأتينا إلى مبدأ الليل (مودِّعين) النور النهاري الذي خَلَقْتَ لنعمتنا، والآن (نستقبل) نوراً مسائياً لأجل نعمتك. نسبِّحك بفتاك يسوع المسيح ربنا الذي له معك المجد والعز والكرامة مع الروح القدس الآن وإلى دهر الدهور آمين. يقول الشعب: آمين].

وأخيراً، كيف يمكن اعتبار وليمة أنها إفخارستيا وصلواتها تخلو نهائياً من ذكر موت الرب وقيامته؟ ومن ذكر جسد المسيح ودمه؟

(27) K. Völker, *Mysterium und Agape*, p. 135.

سابعاً: بخصوص النهي عن شركة غير المعمَّدين في وليمة الأغابي التي تنص عليها الديداخي في (5:9)، فنحن نعلم من قوانين الرسل بحسب ''هيبوليتس'' أن الموعوظين وكافة غير المعمَّدين لا يكون لهم شركة في كل من الأغابي التي تقيمها الكنيسة وفي الإفخارستيا على السواء، باعتبار أن "**خبز الأغابي**" قد جرى عليه بركة وصلاة باسم الرب فصار **خبزاً مقدَّساً** «لأن كل خليقة الله جيدة ولا يُرفض منها شيء إذا أُخذ ''مع الشكر'' **لأنه يتقدَّس بكلمة الله والصلاة**.» (1تي 4: 3و4)

ولكن خبز **الأغابي المقدَّس** شيء، وخبز الإفخارستيا الذي صار "**قُدساً**" شيء آخر، فالأَول خبز والثاني جسد إلهي.

من أجل هذا تستعير ''الديداخي'' قول الرب: «لا تعطوا القدس للكلاب» (مت 6:7) باعتبار أن **خبز الأغابي قد تقدَّس بالكلمة والصلاة والشكر**. أمَّا قول الرب: «**للكلاب**» **فهو ينصبُّ على** «**غير المختونين**»، أي الأمم بحسب الاصطلاح اليهودي، الذين لم يدخلوا في عهد الله ويصيروا من شعبه، أي «الذين بلا إله» وهذا قد انتقل في التقليد المسيحي لينصبَّ على غير المعمَّدين الذين لم يدخلوا في عهد المسيح ولم يصيروا من شعب الله، أي أعضاء في الكنيسة: «ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان (أي المتنصِّرون من اليهود) قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوي غُلْفَةٍ **وأكلت معهم** (**أغابي**)» (أع 11: 2و3)، وهنا ابتدأ بطرس يحامي عن نفسه أنهم صحيح رجال ذوو غلفة هؤلاء الذين أكلتُ معهم، ولكنهم اعتمدوا وحلَّ الروح القدس عليهم**!!** وهكذا ألغت المعمودية صفة الغُلْفَة وحلَّت محل الختان**!**

والقارىء الباحث المدقِّق إذا رجع لأصول ''الديداخي'' باليونانية يجد أن في النص كلمة وُضعت ليس جزافاً ولكن لتدل على شيء ضمني إذ تقول: [لأن بهذا الخصوص قال الرب "**أيضاً**" لا تعطوا القدس للكلاب (مت 6:7)]. فهنا كلمة "**أيضاً**" تشير إلى وضع آخر - غير خبز الأغابي - في ذهن كاتب ''الديداخي'' أكثر اعتباراً وأسبق في الأهمية، وهو الإفخارستيا، فكما أن في الإفخارستيا لا يُعطَى القدس للكلاب، هكذا بهذا الخصوص **أيضاً**، يسري قول الرب على خبز الأغابي**!**

ثامناً: بخصوص (7:10 أي الفقرة رقم 13) السماح للأنبياء بأن يقدِّموا صلوات شكر على المائدة في (الأغابي) بقدر ما يشاءون.

هنا في الواقع ينبِّهنا كاتب ''الديداخي'' أن هذه الوصايا وخصوصاً الواردة في الفصلين التاسع والعاشر هي خاصة بممارسات الشعب أي العلمانيين وليس للكهنة، لأنه عندما يجيء بعد ذلك إلى

ذكر ليتورجيا الإفخارستيا التي هي خاصة بالأسقف أو الكاهن يتوقف مرة واحدة عن ذكر أي نصوص خاصة بممارسة صميم السر، على حين أنه فيما يختص بكل ترتيبات الأغابي التي تدخل في صميم واجبات العلمانيين، فهو يذكرها بتدقيق وتفصيل وبنفس كلمات الصلاة التي ينبغي أن يقولها رئيس المتكأ في وليمة الأغابي محددة تحديداً، أي نفس الكلمات التي ينبغي أن يقولها الشعب على الوليمة.

وينبغي أن نُلاحِظ من خلال هذا الترتيب أن ''الديداخي'' تقدِّم لنا صورة لأقدم طقس للأغابي، إذ نراه يُتمَّم **قبل** سر الإفخارستيا حيث في نهاية "**الأكل حتى الشبع**" والشكر على العشاء ينادي الشماس [مَنْ كان طاهراً فليتقدَّم، والذي ليس طاهراً فليتُب]. وهذا تمهيد للدخول في طقس التناول "**من الجسد والدم**" بعد الأغابي.

الملاحَظ أن هذا هو نفس الترتيب عينه الذي يكشفه لنا القديس بولس الرسول في رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس، حيث يقول للشعب الذي اعتاد أن يجلب معه خمراً كثيراً وأطعمة فاخرة للتباهي بها ويأكلها وحده ويسكر في الكنيسة قبل التقدُّم لسر الإفخارستيا هكذا:

+ «فحين تجتمعون (في الكنيسة) معاً ليس هو لأكل عشاء الرب لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل ... إذاً يا إخوتي حينما تجتمعون للأكل انتظروا بعضكم بعضاً، **إن كان أحد يجوع فليأكل في البيت كي لا تجتمعوا للدينونة**، وأمَّا الأمور الباقية فعندما أجيء أُرتبها.» (1كو 11: 20و21و33و34)

ولقد أمدَّنا العالِم ريتشاردسن بأبحاث حديثة عن الديداخي رأينا أن نلخِّصها هنا لأهمية هذا البحث:

عنوان المخطوطة التي وجدها برابينيوس هي كالآتي:

Didac¾ Kur…ou di¦ tîn dèdeka ¢postÒlwn to‹j œqnesin

وترجمتها: تعليم الرب بواسطة الاثني عشر رسولاً للأمم.

وهذا العنوان له صلة بحقيقة أخرى وإن كانت تختلف عن مضمون العنوان، ولكن عند التحقُّق منها نجد أنها تضع مع هذا العنوان توضيحاً قاطعاً لمركز الديداخي. هذه الحقيقة هي التأثير المباشر للصلاة الربانية: أبانا الذي في السموات، التي علَّمها الرب للتلاميذ: «يا رب علِّمنا أن نصلِّي» (لو 1:11) على فصل 9و10 في الديداخي، وقد وجد آخرون أنه لا يزال يوجد في هذين الفصلين آثار للصلاة الربانية[28].

(28) Notably R.M. Woolley, in the *Liturgy of the Primitive Church*, p. 51 f.

ولنأخذ الكلمات في الفصل العاشر من الديداخي (10:1-6 أي الفقرات 6 إلى 11 أعلاه ''صفحة 319و320'') وبفحصها نجد أنها عبارة عن مقابل للصلاة الربانية: وهكذا تبتديء الديداخي:

*1- «**أبانا الذي في السموات**» (بداية الصلاة الربانية) = "**أيها الآب القدوس**" P£ter ¤gie (بداية صلاة الديداخي): نفس التعبير الذي كان يقوله المسيح ''يا أبَّا''، أو كما بدأ المسيح صلاته للآب بعد الإفخارستيا وفي صميم موضوعها في إنجيل يوحنا 17: «أيها الآب» (1:17)، «أيها الآب القدوس» (11:17). **وإضافة كلمة "القدوس" للآب هو وضع ليتورجي** (البركة الثالثة في مجموعة الثمانية عشر بركة في الليتورجيا اليهودية).

*2- «**ليتقدَّس اسمك**» = ''نشكرك من أجل **اسمك القدوس** الذي جعلته يسكن قلوبنا''. وهي أول استجابة تمت للمسيحيين بصلاة المسيح في يو 17: «**أنا أظهرت اسمك**»، «احفظهم في اسمك» «أنا **عرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهُم**»

*3- «**ليأتِ ملكوتك**» = ''ومن أجل **المعرفة والإيمان** ومن أجل **عدم الموت**'' = وهي امتداد ونتيجة مباشرة لمعرفة وتقديس اسم الله: «وهذه هي الحياة الأبدية أن **يعرفوك**» «والآن **علموا وآمنوا**» «أريد أن هؤلاء **يكونون معي حيث أكون أنا**»

*4- «**لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض**» = ''أنت أيها السيد المقتدر **خلقت كل شيء من أجل اسمك**، وأنت الذي تعطي الطعام والشراب للإنسان للمسرة **حتى يقدِّموا لك الشكر**''.

*5- «**خبزنا الذي للغد** (للسبت) **أعطنا اليوم**» = ''أمَّا لنا فقد أعطيتنا مجاناً **طعاماً روحياً وشراباً روحياً وحياة أبدية بواسطة يسوع فتاك**''. علماً بأن الطلبة تنصبُّ هنا على طلب خبز السبت (خبز الغد)، علماً بأن خبز السبت أفضل جداً من خبز اليوم، لأن خبز اليوم هو خبز الشقاء. أمَّا خبز السبت فهو ''خبز الراحة''، أو «الخبز الحي النازل من السماء» للتقديس، جسد يسوع المسيح السري (طعام روحي وحياة أبدية بواسطة يسوع).

*6- «**واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا**» = ''... بعد أن **تعترفوا بخطاياكم**، ولا تسمحوا لأحد أن يكون **في خلاف** مع أخيه أن يجتمع معكم حتى **يتصالحا** معاً حتى

(*) الآيات هي ما بين القوسين: « »، والنص الذي من الديداخي هو ما بين القوسين المزوجين: '' ''، وأما ما هو خلاف هذه الأقواس فهو الشرح المقدَّم من عندي.

لا تتنجَّس ذبيحتكم''.

*7- «**ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير**» = ''أذكر يا رب كنيستك **نجِّها من كل شر**''.

*8- «**لأن لك المُلْك والقوة والمجد**» = ''ونحن قبل كل شيء نشكرك **لأنك مقتدر ولك المجد إلى دهر الدهور**''. ''اجمع شمل كنيستك من الرياح الأربع لتكون مقدَّسة **لملكوتك الذي أعددته لها**''؛ "**لتأتِ نعمتك ولينتهِ هذا العالم**"، وهذا شرح لمعنى «ليأتِ ملكوتك»[29].

*9- [«**بالمسيح يسوع**» = ''خلِّصنا يا إله داود'': (ابن داود هو رب داود بحسب تفسير المسيح: مر 12:35)، هتاف واقعي لمجيء المسيح في ملكوته باعتبار أن الملكوت أيضاً حاضر معنا بالإفخارستيا.][30]

[ولكن من الأشياء التي توجب الالتفات أن كلمات الفصل العاشر من الديداخي، لو أُخذت بمفردها تعطينا طقس «طعام ـ شراب» أي «كسر خبز ـ كأس»][31]

كما يُلاحَظ أن لغة الديداخي في وصف البركة على الكأس تميل إلى الاتجاه السرائري الخفي باستعمالها تعبير ''كرمة داود''. وهذا يعطينا انتباهاً إلى أن الكاتب يوجِّه النظر إلى "**استعلان" حقيقة كرمة داود**، أي حقيقة **ما يرمز إليه الكأس، فالخمر** هنا ليس خمراً بل **استعلان المسيح** المرادف **لاستعلان الحياة والمعرفة!!** وهنا يكشف لنا العلاَّمة كليمندس الإسكندري ما تقصده الديداخي من هذا عندما شرحه قائلاً: "**فالخمر هو دم كرمة داود**". وهكذا يشير كليمندس إلى الموهبة الجوهرية التي تحتويها هذه الكأس**!**

ولكن إشارة مؤلف الديداخي إلى ''الإفخارستيا'' لا تُظهر كأنه أول مَنْ يضع لها كلاماً، بل كمَنْ يعرِّف ويكمِّل ترتيباً آخر سابقاً أو طقساً آخر سابقاً ''**أمَّا بخصوص الإفخارستيا** فاشكروا هكذا...''.

وفي العهد القديم تُفسَّر «الكرمة» دائماً بإسرائيل[32] وبالأخص من جملة أصولها الحقيقية.

وفي كتاب ''صعود إشعياء'' وهو أبوكريفا من القرن الأول فُسِّرت الكرمة أنها ''الزرع الذي زرعه رسل المحبوب الاثنا عشر.'' (3:13 ـ 14:21)

(29) للقديس بطرس البابا خاتم الشهداء قول يصف فيه يوم الرب «**الأحد**» بأنه يوم مجيء الرب وأنه يُحسب أنه نهاية العالم، انظر *ANF* VI, p. 281، والبابا ألكسندروس يكرر نفس الصيغة وكأن الديداخي أمام عينيه. انظر *Ibid.*, p. 298.

(30) Richardson, *op. cit.*, pp. 368-374.

(31) *Ibid.*, p. 375.

(32) إش 5، إر 21:2، حز 6:17، مز 8:80. راجع: H.J. Gibbins, *JTS* XXXVI, p. 375.

أمَّا اصطلاح "**كرمة داود**" فهو أصلاً اصطلاح رمزي استُخدم للتعبير عن "**ملكوت المسيَّا**". وعندما استخدمه اليهود المسيحيون الأَوائل، فإنهم كانوا حتماً يقصدون بذلك "**إسرائيل الحقيقي**"، أي إسرائيل المسيح يسوع، أي شعب الله ''شجرة أهل بيت الله''، حيث استُعلنت طبيعة الكرمة بالمسيح الثمرة التي توَّجت كل معنى ومفهوم الكرمة (في العهد القديم)، والشرب من الكأس أصبح يحمل أعلى معنى للتطلُّعات الأُخروية كالتي عبَّر عنها المسيح في إنجيل لوقا 18:22.

هنا فإن دخول الكأس في البداية له صلة ''بكأس القدوش'' حيث به يُفتتح العشاء الرسمي لبداية الأسبوع المسيحي[33].

والديداخي بشكلها الحالي على أي حال ـ تمتد بالقيمة الهامة لهذه الكأس (**كأس ـ القدوش**) من الوجهة السرائرية مع القيمة الفعلية المماثلة للخبز ليكوِّنا معاً «**طعام الروح**».

أمَّا فيما يختص بالعشاء الذي يتوسط بين فصل 9 وفصل 10 من الديداخي، فهو أصلاً لكي يفي بحاجة الجسد وينتهي بالاصطلاح: ''ومتى امتلأتم'' = أي شبعتم met¦ tÕ ™mplhsqÁnai ـ وهي بهذا تتصل اتصالاً وثيقاً بالتقليد اليهودي القديم «فمتى أكلتَ **وشبعتَ**، تُباركُ الرب إلهك لأجل الأرض الجيدة التي أعطاك » (تث 10:8). كذلك تتصل أيضاً بما يماثل ذلك في العهد الجديد في إنجيل يوحنا في بداية الحديث عن الإفخارستيا «فلما **شبعوا** قال لتلاميذه اجمعوا الكِسَر» (يو 12:6)

ولكن هنا في الديداخي يستخدم المؤلف هذا الاصطلاح ''وشبعتم'' على المستوى الرمزي (أي مشيراً للنص في العهد القديم والعهد الجديد). وأيضاً تعود قوانين الرسل في الكتاب السابع فترفع المعنى المادي من الكلمة عندما تغيِّر الكلمة ''متى شبعتم'' وتجعلها ''متى اشتركتم'' met£lhyij[34].

أمَّا من جهة زمان تأليف الديداخي فيقول العلماء:

---

(33) يُلاحَظ أن المقطع الآتي في صلاة الديداخي فصل 9: «نشكرك يا أبانا من أجل كرمة عبدك داود المقدَّسة التي أعلنتها لنا» هو جزء هام من صلاة ''قدوش السبت أو أي عيد'' – التي تُقال على الكأس. وهي التي على أساسها قال الرب في إنجيل لوقا: «**لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله**». لأن الصلاة على هذه الكأس كانت «صلاة اليوم»، ولم يكن باقياً أمام الرب إلاَّ أيام. لأن قبل أن تغرب شمس هذا اليوم الجمعة كان قد صُلب بالفعل، فكيف يبارك هذا اليوم الذي قال عنه «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة»؟ إذاً، فقد حوَّل عن عمْد وعن معرفة البركة من على «كأس اليوم» الكأس الأَول في إنجيل لوقا إلى صلاة من أجل انتظار مجيئه في ملكوته ولم يشأ أن يشرب منها، هذا من جهة نفسه، أمَّا من جهة تلاميذه فقال لهم أن يشربوا منها، لأن يومهم –كما قال لهم هو – حاضر: «لست أطلب أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير... هؤلاء هم في العالم ... أمَّا أنا لست بعد في العالم ... وأنا آتي إليك.» (يو 17: 15و11و13)

(34) Richardson, *op. cit.*, pp. 376-377.

[يقرر العالم J.P. Audet أن الديداخي من مكتوبات حوالي سنة 50 ـ 70م.
أمَّا العالم B.H. Streeter فيرى أن الديداخي من مكتوبات حوالي سنة 100م.
ومعلوم أن الدسقولية ـ وهي من مكتوبات عام 300م ـ أخذت عن الديداخي].

[وبذلك نقول إمَّا أن تكون الديداخي هي المنبع البدائي للتقليد العام المشترك الذي أخذت عنه أسفار العهد الجديد كلها[35]، أو أن تكون ـ وهذا هو الأكثر احتمالاً ـ متأخرة عن الأسفار كلها وأخذت منها جميعاً!

ولكن بعد تحقيقات العالِم F.E. Vokes يكون التاريخ المعتَمد لدينا هو القرن الثاني وبالتحديد قبل الربع الأخير منه.][36]

[وبوضعنا الديداخي في محيط القرن الثاني، وهو قرن تعدد الأنواع واختلافها سواء من جهة النصوص أو الطقوس، نسأل هل هناك عوامل أخرى تحبِّذ كونها ليتورجية أصيلة؟

للرد على ذلك نقول: إنه يوجد على الأقل ليتورجيتان من القرن الرابع: التي لسيرابيون والتي لقوانين الرسل ـ الكتاب السابع، وكل منهما تستخدم عناصر من الديداخي. ولهذا السبب صار هناك اعتقاد سائد أنها إفخارستيا.

وكون سيرابيون يستخدم عبارات من الديداخي واضحة ومشهورة (4:9) في روايته عن العشاء الأخير فإنه بهذا التصرف يكون قد أضعف سلطان ليتورجيته إذا لم تكن الديداخي إفخارستيا أصيلة.

وبالمثل يسأل العالِم Streeter[37]: لماذا عمد مؤلِّف القوانين الرسولية إلى إدخال كل صلوات الديداخي تقريباً فصل 9و10 إذا لم تكن فصول الديداخي هذه معتَبرة ذات سلطان تستمده من أقدم الممارسات؟]

[على أن رواية العشاء الأخير التي يقدِّمها سيرابيون بحسب تحقيقات ليتزمان مأخوذة عن أصل سابق أقدم[38].

(35) Rendel Harris, *The Teaching of The Apostles* (London, 1887).

(36) Richardson, *op. cit.*, pp. 378-379.

(37) Streeter, *The Primitive Church*, p. 285.

(38) Lietzmann, *op. cit.*, pp. 159, 193 f; also pp. 29 ff., 47,62 f, 125,153 ff.

فإذا كان هذا هو الطابع العام لليتورجية سيرابيون فتكون الجُمل التي استعارها من الديداخي ذات أهمية أكبر، لأن هذا يُلقي ضوءاً على صفات الليتورجيا فيما قبل سيرابيون.][39]

[وفي وسط تزاحم الاصطلاحات التي قدَّمها لنا كليمندس الإسكندري التي تُعتبر عالية القيمة من الجهة الليتورجية وهامة للغاية لأن ترتيبها يطابق بشدة **نفس ترتيب يوستين** المعتبَر قاعدة للطقس الليتورجي في القرن الثاني، وهذا ما كنَّا نتوقعه تماماً، حيث يقول كلميندس الإسكندري:

''**حيث يعطي الإنسان الشكر لله** على كل حال، (صلاة الشكر الأُولى) **بالاستماع للبر،**
والقراءة الإلهية، والبحث عن الحق (الوعظ)،
وبالصعيدة المقدَّسة (تقديم الذبيحة)،
والصلاة المباركة (صلاة التقديس)،
والتسبيح (ختام الإفخارستيا)،
وإعطاء البركة (التناول)''[40].

لا نُعدم من وسط هذه التشبيهات والتعليقات الكثيرة المتناثرة التي لكليمندس ما يمكن أن نقتبسه لكي يتضح أمامنا ما جاء في الديداخي بخصوص كأس البركة المعروف. كذلك فإن كليمندس، وهو العالِم الرائد لنصوص الكتاب المقدَّس، لم يخفق في أن يعتبر الخبز والخمر جسداً ودماً للمسيح، غير أنه لم ينتهِ إلى وجهة النظر ''الذبائحية'' للإفخارستيا. فالإفخارستيا عند كليمندس الإسكندري في الأصل عشاء مقدَّس يُغَذِّي بالإيمان والمحبة والمعرفة وعدم الموت النفوس التي بلغت بالمعمودية إلى الطهارة ومغفرة الخطايا. وهذه الاتجاهات الإفخارستية ذات الصلة الأكيدة بالديداخي وبإفخارستية يوستين هي في الواقع رائعة وعظيمة للغاية.][41]

[أمَّا في سوريا فعندنا الدسقولية التي من القرن الثالث ولو أنها تتلامس مع الإفخارستيا بصعوبة ولكن باهتمام، وتبدو **مدينة أيضاً للديداخي في نواحٍ عدة**.

وأمَّا الأقطار الأخرى غير مصر وسوريا فإن الطقوس الضائعة لكل من أنطاكية وأفسس وقيصرية، والصور الأُولى البدائية لليتورجية أداي وماري في فارس فقد **كانت على نمط**

(39) Richardson, *op. cit.*, p. 379.
(40) Clement of Alex., *Stromata*, VI, 14; ANF II, 506.
(41) Richardson, *op. cit.*, p. 380.

الديداخي.][42]

[كذلك نستطيع أن نلمح من ليتورجية هيبوليتس تطابقاً مع أفكار الديداخي أيضاً خصوصاً في نصفها الثاني: فبدل أن كان "**اسم الله**" في الديداخي هو الذي يسكن في المؤمنين، صار في هيبوليتس "**روح الله**" بسبب الأكل من ''الطعام السمائي'' بدل "**الطعام الروحي**" وأن الجميع في هيبوليتس يصيرون "**متحدين**" بدل أن كانوا في الديداخي "**يجتمعون ويصيرون واحداً**" **بسبب** المشاركة في هذا الطعام.

كذلك نلمح في تقليد هيبوليتس في الإفخارستية الخاصة بالمعمَّدين اصطلاح «كسر الخبز »أو المكسور، وهو واضح أنه تقليد الديداخي.

على أن صلوات الديداخي باستخدامها اصطلاحات إنجيل يوحنا وإغناطيوس الشهيد الخاصة بالإفخارستيا مثل: ''الحياة الأبدية zw¾ a„ènioj، المعرفة gnîsij، عدم الموت ¢qanas…a '' إنما تعطي انطباعاً إفخارستياً لمضمونها الكلي خصوصاً وأن عنوان الفصلين 10و11 هو ''أمَّا من جهة الإفخارستيا'' per^ d\e tÁj eÙcarist…aj.

وإن كانت هذه البراهين التي تثبت أن الديداخي إفخارستيا أصيلة وأنها من مؤلفات الشرق في أصولها ومتركزة بالدرجة الأُولى على «الخبز» المسمَّى فيها «المكسور» إلاَّ أن الغرب أيضاً اقتبس من الديداخي ولكن مؤخراً وليس من الفصول الخاصة بالإفخارستيا 10و11و14، ولكن مِنْ الفصول التعليمية الأُولى الخاصة ''بالطريقين''، وهذا ما كنَّا نتوقعه في بحثنا، لأنه عندما أخذت الديداخي طريقها إلى الغرب، كان الغرب قد انتهى من تطوير[43] **إفخارستيته حول كلمات التأسيس التقديسية** وخاصة بالنسبة للكأس.][44]

[فإذا تقدمنا قليلاً ــ في الزمن ــ نجد أثناسيوس وهو المعاصر لسيرابيون يقرِّر في خطابه الفصحي 39 أن الديداخي هي من الكتب القانونية وإن كانت غير داخلة في أسفار الكتاب المقدَّس.][45]

(42) *Ibid.*, p. 380, 381.

(43) لقد أخطأ ريتشاردسن في زعمه أن هذا تطور وتغيير لأن هذا في الحقيقة تمسُّك شديد بالقديم دون أي تطور أو تغيير.

(44) *Ibid.*, p. 381.

(45) *Ibid.*, p. 382.

[ويؤكِّد العالِم F.E. Vokes[46] بشدة أن من صميم قصد وعمل مؤلف الديداخي هو أن يغيِّر منابع (صلوات هذا الطقس) وأن يقتبس منابع أخرى ويبحث وراء اصطلاحات بدل الكلمات العادية. فمثلاً كما كان **إطعام الجموع** في الأناجيل هو ''أغابي''، وقد استخدم إنجيل يوحنا اصطلاح إفخارستيا «وشكر» (يو 6:11) على بركة المسيح الأُولى على الخبز، كذلك استخدم كاتب الديداخي كلمة ''الإفخارستيا'' أي ''الشكر'' بحرية في الفصلين 9و10 ليغيِّر ما كان معروفاً باسم ''الأغابي'' (إلى طقس كنسي باسم ''إفخارستيا'').

على أن الديداخي تشير إلى الإفخارستيا الأصلية في فصل 14 باسم الطقس الأصيل ''كسر الخبز.''][47]

وقد وجدنا أيضاً أن قداس مرقس الرسول أخذ من الديداخي:

	الديداخي	قدَّاس القديس مرقس
+	اجعل كنيستك تجتمع معاً من أقاصي الأرض	من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها
+	من أجل اسمك القدوس الذي جعلته (يسكن)	اسمك القدوس هو الذي نقوله
+	تعطي الطعام والشراب للمسرة حتى يقدِّموا لك الشكر	تعطيهم طعامهم في حينه الحسن، إملأ قلوبنا فرحاً ونعيماً
+	اذكر يا رب كنيستك	الأواشي
+	ملكوتك الذي أعددته لها	ما أعددته يا رب
+	أوصنَّا	سوتيس (خلِّصنا)
+	كل مَنْ كان طاهراً فليتقدَّم	

وهنا يعلِّق ريتشاردسن متهكِّماً على شرح العالِم Vokes بقوله:

[هذا يمكن أن يكون صحيحاً إذا كان مؤلف الديداخي يقصد من عمله هذا ـ وهذا يكون من الغرابة إلى حد الجنون ـ أن يكتب محتجاً ضد تطور يهدف إلى إنشاء طقسين في حين أنه كان لا يوجد سابقاً إلاَّ طقس واحد].

(46) F.E. Vokes, *The Riddle of the Didache, pp. 115, 197.*
(47) Richardson, *op. cit.*, p. 384.

ونرد نحن على ريتشاردسن أن ما اعتبره جنوناً ليس هو في الحقيقة إلاَّ صميم الواقع، فقد نشأ بالفعل في القرن الأَول ومنذ البدء بسبب تحوُّل العشاء إلى خدمة جمهورية صباحية، طقسان للإفخارستيا، وهنا في الديداخي محاولة لتنظيم الطقسين: **ليكون الطقس الأَول** وهو الأصل ملتحماً بالأغابي. **وليكون الطقس الثاني** وهو المتطور عن الأَول: بدون أغابي أي ليس فيه عشاء بل يكون على أثر اجتماع ومصالحة واعتراف بالخطايا لتقديم ذبيحة طاهرة لله.

ويستطرد العالِم ريتشاردسن:

[وللعالِم J.P. Audet بحث قدَّمه حديثاً يشرح به بصورة جديدة رأياً هو لا شك صحيح من جهة اعتباره الأغابي "**ليتورجية شركة**" أخذت صورتها هذه كتطور متأخر نوعاً ما... وإن كلمات التأسيس الواردة في أسفار العهد الجديد تشير إلى الطقس الأساسي حيث تجيء فيه كلمات التأسيس لتبرهن على ذلك. وعليه، ينبغي أن يسمَّى هذا الطقس "**الإفخارستيا الكبرى**" Eucharistie Majeure (يُلاحَظ أن القديس أثناسيوس يسمِّي صلاة الإفخارستيا بهذا الاسم)(48)، وأن هذا الطقس الكبير أو هذه الإفخارستيا الكبرى كان يسبقها في القرن الأول "**عشاء عام**" يشهد به ما ورد في 1كو 11 وما جاء أيضاً في الديداخي.

ولكن بينما يبرز هنا تعبير «كل واحد» (1كو 21:11) فإنه لا بد أنه كان يوجد سابقاً طقس مصغَّر أو ''إفخارستيا صغيرة''، وهو ما تصفه الديداخي في فصلي 9و10.](49)

يقول العالِم ريتشاردسن:

[ونحن نلحظ كيف أن كلمة eÙcariste‹n ''يشكر'' حلَّت تدريجياً محل ''يبارك'' eÙloge‹n. كذلك فإن فعل الشكر eÙcariste‹n أصبح يحمل مضمون التقديم الذي هو غير موجود في مفهوم كلمة: eÙloge‹n. وهكذا فإن «**تقديم الشكر**» كان هو بداية الفكر المسيحي بخصوص الذبيحة. وبهذا لم يكن ممكناً أن يوقف تيار الفكر المسيحي بخصوص العشاء باعتباره مركز العبادة المسيحية متخذاً الاسم اليوناني eÙcarist…a المتطور عن فعل البركة العبري eÙlog…a لتشبُّعه بالمضمون التقديسي والذبائحي والسرائري بآنٍ واحد.

---

(48) ''الصلاة الكبرى'' في عظة له للمعمَّدين الجدد

PG 26, 1325, cited by Srawley, *The Early History of the Liturgy*, p. 49.

(49) Richardson, *op. cit.*, pp. 385.

أمَّـا في الديـداخي فصـل 9و10 فـإن كلمـة: إفخارسـتومين eÙcaristoàmen (نشكر) تأتي بمعني افلوجومين eÙlogoàmen (نبارك)، وأن طقس الديداخي هو عبارة عن تلاوة بركات، وهذا يعني أن الديداخي منبثقة حتماً من طقس كنيسة القرن الأَول التي بدأت لتوِّها تتخلَّى عن حظيرة اليهود.](50)

ورداً على قول بعض العلماء إن كلمة ''مَنْ كان طاهراً فليتقدَّم'' تفيد المعمَّدين فقط. يقول ريتشاردسن:

[وما جاء في الديداخي في القول ''إن كان أحد e‡ tij **طاهراً** فليتقدَّم'' تعني شيئاً أكثر من العماد. فبالرغم من أن الأطهار (القديسين) هم بالتأكيد معمَّدون وأعضاء في الكنيسة، ولكن من المهم واللائق أن يُذكَّروا بالحاجة إلى ما يجب أن تكون عليه النفس حتى تتقدَّم للإفخارستيا، ولحثِّهم على «تجديدهم للتوبة» (عب 6) حتى يشتركوا في العبادة بهذا الطقس الذي هو شركة في استعلان مجيء الرب ونهاية الدهور(51). أمَّا «ماران أَثا» أي «تعالَ أيها الرب يسوع» ثم «آمين» فهي تكشف عن خطورة الدعوة للإستعداد.

علماً بأن العامل الوحيد والجديد في الفصل 14 عما جاء في الفصلين 9و10 من الديداخي هو التعليمات بخصوص ''اجتمعوا معاً في يوم الرب''. أمَّا الكلمات ''اكسروا الخبز'' و''قدِّموا الشكر'' فهي متصلة تماماً بما جاء في فصلي 9و10 كعمل إفخارستي. لذلك فإن طقس فصل 14 هو في الحقيقة نفس ما جاء في فصلي 9و10 ... ومن الخطأ أن نظن أنه بما أن الديداخي تنص على إفخارستيا موضوعها حفظ يوم الرب، فهذا يعني أن تكون الإفخارستيا السابقة ليست إفخارستيا بل تكون أغابي لأنه من غير المعقول أن يذكر المؤلف الإفخارستيا مرتين.

ولكن الحقيقة هي أن الديداخي لم تذكر طقس الإفخارستيا مرتين، لأن في فصل 14 لا يكرر إلاَّ ذكر الإفخارستيا ولكن لا يُعطي تعليمات بخصوص صلواتها، ولكنه يهتم فقط بمناسبة يوم

(50) *Ibid.*, p. 389.

(51) ويُلاحَظ في خطابات القديس أثناسيوس الرسولي الفصحية أنه يذكر دائماً في نهاية الرسالة: أن احفظوا العيد في أول يوم من الأسبوع (**الأحد**)**كمثال للدهر الآتي**.

الرب والاجتماع فيه زيادة عمَّا ذكره في فصلي 9و10.][52]

[يدافع العالِم F.E. Vokes عن الاعتقاد السائد بين العلماء أن الديداخي موطنها الأصلي هو مصر، (معترضاً على اعتماد العلماء على الجملة الخاصة بالقمح الذي ينبت **على الجبال مع خلو مصر من الجبال المنزرعة**)، وهو يتمسَّك بأن هذا التشبيه هو مجرد تشبيه رمزي[53] مأخوذ من إنجيل متى 2:18 حيث الخروف الضال بالنسبة للكنيسة كان تائهاً على الجبال،

---

(52) Richardson, *op. cit.*, pp. 393-394.

والرد على ذلك من عندي هو أن هذين هما بالفعل طقسان متميزان جداً جداً، وأن الديداخي تريد أن تحدِّد طقسين واضحين: **الأول** بدون ليتورجيا وبعد أكل وامتلاء وعشاء، **والثاني** بليتورجيا (أي خدمة قراءة وتسبيح ووعظ) بعد اجتماع واعتراف ومصالحة وتطهير. **الأول** مسائي **والثاني** صباحي. **الأول** في أي يوم **والثاني** في يوم الأحد.

على أن كاتب الديداخي يعلم تمام العلم أن تقديم الخبز والكأس هما على مستوى العشاء الرباني تماماً أي جسد ودم، وأنهما يشكِّلان مفهوم الذبيحة. والهدف الوحيد من ذلك هو الخلاص وغفران الخطايا والحياة الأبدية. ولكن الذي منع مؤلف الديداخي من ذكر كل هذه ا الحقائق اللاهوتية هو أن التقليد الإفخارستي كان ضيقاً ومن العسير الامتداد به أكثر مما تعوَّدوا عليه. **ولم يكن العشاء (الرباني) موضع تعليم لاهوتي أبداً**، كذلك من المعروف أن الذي جعل الفصل بين نصوص الأغابي ونصوص الإفخارستيا شاقاً ومُربكاً للعقل عند العلماء هو اختلاط الاصطلاحات والتعبيرات بين الأغابي والإفخارستيا في العصور الأُولى.

فكلمة «**إفخارستيا**» كانت تُطلق على كلا الاثنين وكذلك كلمة «**طعام روحي**» و«**شراب روحي**»، كذلك اعتبار الأغابي والإفخارستيا معاً ذبيحة مقدَّمة لله من باكورات الخليقة على مستوى الذبائح غير الدموية وخبز الوجوه. =

= وعُذْر المؤلف واضح ولا يمكن تجاهله لأن الأغابي كانت جزءاً أصيلاً من عشاء الرب السري وأن في أثنائها يتم «كسر الخبز» وهو الجزء الرئيسي في الإفخارستيا. فلما انفصلت الأغابي أخذت معها الاصطلاحات والتعبيرات والشروحات والصلوات التي للإفخارستيا.

إذاً، أصبح الذي يفرِّق بين الأغابي والإفخارستيا ليس مجرد الاصطلاحات أو الصلوات ولكن **القصد الأساسي في التقديم، والأشخاص المقدِّمين، ومكان التقديم، والاستعداد للتقديم، وحالة التقديم، ومادة التقديم، ونظام التقديم**:

الأغابي	الإفخارستيا
Ÿ طعام كثير وأطباق.	خبز وخمر ممزوج فقط.
Ÿ وليمة غذائية محدودة لأشخاص محدودين.	وليمة روحية للشعب جميعه.
Ÿ يمكن أن يرأسها شماس أو رب الأسرة.	لا يرأسها إلاَّ رسول أو نبي أو أسقف أو كاهن.
Ÿ مكان خاص.	مكان عام.
Ÿ لا يُشترط في المتقدِّمين إلاَّ العماد.	يُشترط العماد والصلح والاعتراف.
Ÿ لا يسبقها أي ليتورجية (خدمة روحية)	يسبقها ليتورجية مطوَّلة وصلوات.
Ÿ مقدَّمة بدافع المحبة لتغذية الأحباء أو لترابط المحبين أو لتذكار أحباء.	مقدَّمة لله كذبيحة وعن الشعب للخلاص.

(53) اعتقادي أن كاتب الديداخي يتأمل في القول الذي جاء في مزمور (16:72): «تكون حفنة **بُرٍّ (قمح) في الأرض في رؤوس الجبال** تتمايل ثمرتها مثل لبنان».

ـ وبالرغم من أن الديداخي تشير إلى ''الخبز (القمح) الذي كان مبعثراً فوق التلال ثم جُمع معاً وصار واحداً''، نجد أن قوانين الرسل (الكتاب السابع) وهي المكتوبة في سوريا بلاد القمح المبعثر على الجبال والتلال ـ تَحذِف هذه الجملة من النص المأخوذ عن الديداخي. وفي نفس الوقت نجد أن سيرابيون يحتفظ بهذه الجملة بدون أي صعوبة في شرحها مما يزيدنا يقيناً أن الاتجاه الرمزي هو السائد في الديداخي وهو مصري في أصوله وإلهامه.

ويؤكِّد F.E. Vokes اعتقاده بمصرية الديداخي على أساس استخدامها لجملة التمجيد الأخيرة وهي مطابقة تماماً لما جاء في النص الصعيدي لإنجيل متى في الصلاة الربانية التي أخذتها الديداخي كمنهج فكري لوضع الإفخارستيا فيها.][54]

[ولكن يأتي عالِم آخر وهو C.F.D. Moule ويجد أن رمز حبات الحنطة المبعثرة على الجبال أمر صعب التصوُّر لأن الحبوب تُزرع ثم تنمو ثم تُجمع ثم تُذرَّى ثم تُطحن وأخيراً يُصنع منها الرغيف، وهو يرى أن فكر مؤلف الديداخي بخصوص وحدة الكنيسة يقوم أساساً على الصورة التي يعطيها الإنجيل وخصوصاً إنجيل يوحنا بخصوص ''جمع الكِسَر المتبقية من إطعام الجموع'' (*JTS* Oct. 1955, pp. 240 ff). هذا يتوافق أكثر مع فكرة "**الكِسَر**" التي تستخدمها الديداخي "**وكانت هذه الكِسَر مبعثرة فوق التلال ثم جُمعت معاً وصارت واحداً**" فصل 4:9. ويعزز هذا الفكر ما جاء في الديداخي أيضاً فصل 5:10: ''**اجمع شملها** من الرياح الأربع لتكون مقدَّسة لملكوتك''.][55]

[تركِّز الديداخي طقسها على شكر الرب فوق ''الخبز'' دون أن تعطي فكرة أو دليلاً أو إشارة نحو بداية اتجاه كلمات التأسيس، فكيف يكون هذا؟ وفي كنيسة تعرف كل أسفار العهد الجديد؟

''إن هذا يكون أمراً غريباً وعجيباً للغاية'' يقول هذا E.F. Vokes، إذا كان أمام مؤلف

(54) Richardson, *op. cit.*, pp. 398 n.4.

(55) Richardson, *op. cit.*, pp. 399.

في اعتقادي الشخصي أن الشرح الذي قدَّمه هؤلاء العلماء معكوس. فالديداخي هي أعمق من هذا بكثير، فهي تبتدئ من الرغيف الواحد إلى الكِسَر إلى الرغيف الواحد، وهي توحي إلينا أن بهذه الإفخارستيا التي تنتشر على الأرض كلها بصورة «كِسَر» هي في الحقيقة «خبزة واحدة» **غير منكسرة أصلاً**. وهنا إشارة مبدعة إلى جسد المسيح الواحد. هذه الكِسَر بالرغم من أنها توزَّعت وستُوزَّع في رياح الأرض الأربعة إلاَّ أنها منجمعة بسر الإفخارستيا بسرِّ الرغيف الواحد بسرِّ الجسد الواحد: **هكذا يستطيع الله بالإفخارستيا أو بالكِسَر السرية** أن يجمع الكنيسة ويوحِّدها ويقدِّسها بسر وحدة الجسد. هذا على غرار الكِسَر التي جُمعت **بعد إطعام الجموع** فصارت اثنتي عشرة قفة رمزاً لوحدة شعب المسيح «إسرائيل الجديد» الاثني عشر سبطاً جديداً الذين سيحكم عليهم الاثنا عشر رسولاً.

الديداخي أسفار العهد الجديد، وبالرغم من ذلك يصنِّف إفخارستية وفيها هذان الفصلان 9و10 التي تَمتُّ بصلة أكثر إلى المؤلفات الربانية اليهودية!!]

[وأيضاً نفس السؤال يُطرح ولا يُجاب عليه بالنسبة ليوستين، والكنيسة التي كان ينتمي إليها. فمع درايته بتعاليم يوحنا الرسول بصورة كاملة ودقيقة إلاَّ أنه لا يذكر العشاء الأخير، ولا يعتمد في التأسيس على صيغة إنجيل مرقس ورسالة كورنثوس، علماً بأنه يقول إن ميامر الرسل (الأناجيل) كانت تُقرأ في الكنيسة.][56]

وكأنه يقول: إن كانت الديداخي لا تأخذ مباشرة من الأناجيل فكذلك يوستين!! وهذا حق!!

[لذلك فإن هذه الليتورجية (الديداخي)، يمكن فقط تعليل قيامها على أنها امتداد لممارسة العشاء الذي تُسُلِّم منذ بدء قيام المسيحية، أو بمعنى آخر فإن كاتب الديداخي يتمسك بأمانة بتقليد إفخارستي نشأ قبل أن تصل الأناجيل المكتوبة إلى تداولها العام.

وبهذا يكون اعتبار ''العشاء الأخير'' في تقليد الديداخي ـ أو على الأقل في زمن قيام الديداخي ـ لا كأنه طقس للإعادة كعشاء يتكرر قانونياً ولكن ''كتأسيس عهد'' خُتم بعد ذلك بدم المسيح، وأنه أسبغ على كل الذين دخلوا فيه حالة جديدة بالنسبة للخطية والمغفرة ـ وذلك من واقع صلوات الديداخي التي شملت كل آيات صلاة «أبانا الذي في السموات» ما عدا «**اغفر لنا ذنوبنا**».][57]

[والديداخي شديدة الصلة بإنجيل متى المحسوب أنه يحوي أول نواة لقيام النظام الكنسي، كما يلمِّح بذلك العالِم الإنجيلي B.W. Bacon لذلك فإن الديداخي توضع عادةً كأول عمل أو هي الإرهاصة الأُولى للمؤلَّف الضخم المعروف باسم «نظام الكنيسة لهيبوليتس» فالديداخي تمثِّل إحدى الصور المبكرة للتطور التأسيسي الذي بدأه إنجيل متى بعمق وقوة والذي بدأ داخل ذلك الإنجيل نفسه.][58]

[وبالنسبة لصلوات "**الإفخارستيا**" أي صلوات "**الشكر**"، فإن بداية النمو أو التطور لهذه الصلوات تظهر في الديداخي متعلقة أساساً **ربالشكر**" الذي قدَّمه المسيح على الكأس.

---

(56) *Ibid*., p. 399 n. 2.
(57) *Ibid*., p. 400.
(58) *Ibid*., p. 403.

وبالرغم من أن تلاوة كلمات كثيرة على الخبز والخمر بصفة صيغة للتأسيس بدأت تطمس معالم "**الشكر**" في حد ذاته، إلاَّ أن مفهوم "**الشكر**" كان من القوة الكافية في القرن الثاني حتى صبغ كل الطقس على اسمه: ‘‘الإفخارستيا’’.]

[وينبغي أن نوضح أن بقايا صلوات الشكر المقحَمة داخل الاستدعاء وإن كانت قد زحمتها عبارات طلب تقديس الخبز والخمر إلاَّ أنها تشير إلى أنها بقايا طقس مختصر قديم.

ولذلك فإن فَصْلَي 9و10 في الديداخي يلزم أن يفوزا باهتمام ولا يُنكر عليهما موضعٌ رسمي مع الطقوس الأخرى البدائية التي كانت في خلاصتها عبارة عن تشكُّرات ولم تتضمن إشارة إلى العشاء الأخير.][59]

[ويتأسف العالِم J.P. Audet[60] بسبب عدم انتباه العلماء إلاَّ فيما ندر وبأقل اهتمام إلى «**الشكر**» الذي قدَّمه المسيح على الخبز والخمر، وذلك إذا قورن بالجهود الضخمة التي بُذلت وكُرِّست من العلماء للشرح والتعليق على الثلاث جمل القصيرة «هذا جسدي» «هذا دمي» «اصنعوا هذا لذكري» ونحن لن نعرف قط حتى الخط الفكري الذي اتَّسمت به صلوات المسيح نفسه، ولكن هذا الجهل المؤسف بهذه الحقيقة هو الذي حدا بكاتب الديداخي وبرَّر له تركيب عيِّنة من عنده للبركة أي للشكر الذي ينبغي أن يُقال.

أمَّا في حالة إفخارستيا يوستين فواضح أن رئيس المائدة والخبز والخمر موضوعان أمامه، قد أُعطي هذا التصريح ليقول، ارتجالاً من عنده: ‘‘التسبيح والمجد لآب الكون’’.][61]

[والآن إذا عُدنا بالنظر إلى فصل 10 في الديداخي على أساس أنه مؤلَّف على «أبانا الذي في السموات» فإن خطاب غريغوريوس الكبير أسقف روما بخصوص العلاقة بين الإفخارستيا وأبانا الذي في السموات، يصبح أمامنا الآن ذا معنى عملي عندما قال: «**إن الرسل كانوا يقدِّسون مادة الصعيدة بواسطة صلاة "أبانا الذي في السموات" وحدها!!**» هنا الإشارة قوية وبليغة بالنسبة للديداخي.

(59) *Ibid*., p. 403.

(60) في رسالته المعنونة: ’’ÈÙcarist…a ‘‘ *in the 1st century* للمؤتمر العالمي عن «الأناجيل الأربعة» سنة 1957م، والمطبوعة في: *Studia Evangelica*, Akademie-Verlag, Berlin, 1959, p. 652 ff.

(61) Richardson, *op. cit.*, pp. 304-404.

وإن أعاظم العلماء من كاثوليك وبروتستانت وخصوصاً في الأبحاث الحديثة وحتى في العصور الوسطى، شعروا أن هذا الذي يقوله غريغوريوس الكبير حق وطبيعي، وفي هذا يكتب يوحنا وردزورث J. Wordsworth[62] : ''إذا حررنا الفكر من كل صورة معينة وُضعت للكلمات اللازمة للتقديس فإنه يكون من الواضح أن صلاة «ابانا الذي» ... «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم »(الوضع القبطي أعظم: «خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم» تكون الأكثر مناسبة لتقديس سر الجسد''.][63]

[ويبدو أن الصلاة التي علَّمها الرب لتلاميذه «أبانا الذي في السموات» علَّمها هي وغيرها أثناء إقامته العشاء (الذي اعتادوا عليه في السنين الأُولى). **وهكذا كانت هي أول ما التجأ إليه الرسل ليصنعوا منها وعلى أساسها تقليداً طقسياً خاصاً لليتورجيا**.

وهنا يأتي كلام العلاَّمة ترتليان: ''**إن الصلاة الربانية يتحتَّم أن تُحفظ** كأساس وأن أي بناء إضافي من صلوات أخرى يلزم أن يوضع وفقاً لها.'' (de Orat. X)

وواضح أن هذا البناء الإضافي الذي يتكلَّم عنه ترتليان هو هو الديداخي فصل 10: 2ـ5. غير أنه لا يتأكَّد لنا بالبرهان أنه كان مستخدماً يوماً ما كإفخارستيا بحد ذاته. غير أن الممارسات الإفخارستية الأُولى جداً تعكسها الديداخي في فصل 10 أكثر من كونها تلاوة بسيطة للصلاة الربانية.

أمَّا فصل 9 في الديداخي فهو من ناحية أخرى يقدِّم لنا عينة من البركات (التقديسات أو صلوات البركة) التي يقصد بها أن تكون تقديسية، فهي صيغ طقسية بواسطتها يصبح الكأس والخبز المكسور معونة روحية وطريقاً للحياة والمعرفة والإيمان وعدم الموت.

لذلك فإن تاريخ هذا الفصل رقم 9 في الديداخي يمثِّل في الحقيقة تاريخ الجزء العملي في إفخارستيا الديداخي.][64]

---

(62) أسقف سالزبوري (1843–1911) من أعاظم علماء اللاتين، وهو الذي قام بتصحيح وتنقيح الفولجاتا (العهد الجديد).

(63) Richardson, *op. cit.*, pp. 404-405.

(64) *Ibid*.

ثانياً: صورة الأغابي في «تعاليم الرسل وقوانينهم»

تقدَّم لنا قوانين الرسل، التي تشمل تعاليمهم وقوانينهم معاً، في ثمانية كتب أُرسلت بيد كليمندس. وهي، وإن قال العلماء أنها من مدوَّنات سنة 300م، إلاَّ أن الأصول التي قامت عليها موادها رسولية وتاريخ بعضها لا يتعدَّى القرن الأول.

وهي تشمل في جملتها حسب التقليد القبطي 127 باباً أو فصلاً أو «قانوناً» موزَّعة على كتابين: الأول 71 قانوناً، والثاني 56 قانوناً ـ وآخر ليس داخلاً في التقليد القبطي (حتى الآن) وهو عبارة عن رؤوس مواضيع من 30 قانوناً يسمَّى « التِطِلْسَات » وهي تعريب لكلمة يونانية أصيلة t…tloj أي «عنوان» أو «رأس موضوع» وفي لغة المخطوطات يسمَّى هذا الجزء بكتاب «الرؤوس»

«الأغابي» في قوانين الرسل:

وقد ورد في كل من الأبواب (القوانين) الخامس والثلاثين والسادس والثلاثين والسابع والثلاثين من الكتاب الأول هكذا:

الخامس والثلاثون:

[ولا يمكن للأسقف أن يصوم إلاَّ اليوم الذي يصوم فيه كل الشعب، (لأنه قد يحدث أن) يكون إذا أراد واحد أن يأتي بشيء (طعام للأغابي) إلى الكنيسة (فإن الأسقف) لا يقدر أن يجحد (عمل المحبة، أي يمتنع عن الاشتراك في الأغابي بحجة الصوم)، فإذا قسَّم الخبز (فعليه أن) يذوقه (و) يأكل مع الإخوة المؤمنين الذين معه فيتناولون من يد الأسقف جزءاً من الخبز، قبل أن يكسر كل واحد الخبز الذي (وُضع) قدَّامه، لأن هذا هو بركة (أولوجية) وليس هو قرباناً مثل جسد الرب].

السادس والثلاثون:

1ـ ولا يجب للموعوظين الأكل مع المؤمنين (في الأغابي).

2ـ كل واحد قبل أن يشربوا يجب عليهم أن يأخذوا كأساً ويشكروا عليه ويشربوا.

(وقد وُجدت في قوانين الرسل الكتاب الثالث بيد كليمندس في مخطوطة «النوموكانون» ورقة رقم 283 *B* قراءة أخرى لهذا البند يقول فيها الأسقف: [ولأجل المتكئين معاً والأكل قبل أن يشربوا امنحهم كأس شكر. وينبغي للحاضرين أن يذوقوا هكذا منه]. وقد وجدنا نسخة أخرى

باللغة الأثيوبية يأتي فيها هذا البند في نفس المكان والمعنى، إنما بوضوح وزيادة إذ يقول: [وبعد ذلك يقدِّم الأسقف الكأس كما هو مُرتَّب بخصوص الكأس وهو يقول مزمور هلليلويا. وجميع الحاضرين بعد أن ينتهي الأسقف من تلاوة المزمور يقولون أيضاً: «هلليلويا نسبِّح الرب في الأعالي، ممجَّد ومُسبَّحٌ مَنْ أقام المسكونة بكلمته» وبعد أن يفرغوا من المزمور يبدأ الأسقف يشكر على الخبز ويعطي أجزاءً منه للمؤمنين].(65)

3- ويأكلون وهم أطهار.

4- هكذا الموعوظون يُعْطَون خبز بركة (الأصح خبز إكسورسيزموس "جحد الشيطان") وكأساً، لأجل أنه لا يجب للموعوظين أن يأكلوا مع المؤمنين.

5- لا يجلس الموعوظون في «وليمة الرب» (الأغابي) مع المؤمنين.

6- ويجب على الذي يأكل أن يذكر الذي دعاه في كل وقت يأكل فيه - فلأجل هذا سألهم أن يدخلوا تحت سقفه.

7- لأجل أن يأكلوا بعفاف وكفاف ولا يسكروا:

(يلزم) أن تأكلوا وتشربوا بترتيب، ولا تشربوا (حتى) تسكروا لئلا يهزأ بكم الناس ويندم الذي دعاكم على اضمحلالكم (أغلالكم)، بل أن يصلِّي (غير نادم) أن يدخل القديسون (دائماً) إلى بيته (لأن الرب) قال إنكم ملح الأرض.

8- إذا دفع لكم أجزاءً كلكم معاً، فإنك تأخذ نصيبك وحدك.

وإذا دعوكم للأكل يجب أن تأكلوا بعفاف لا غير. ولكن الذي يفضل عنكم يرسله الذي دعاك إلى مَنْ أراد. أي أنها (باعتبارها) فضلات القديسين ويفرح الذي دخلتم إليه.

والذي يأكل عليه أن يذكر الذي دعاه كل وقت (يأتي فيه) ليأكل، لأجل هذا سأل أن يدخلوا تحت سقف بيته.

9- والمدعوون يجب أن يأكلوا بوحدة (قلب) بلا حزن.

10- بل إذا وَنِس (أنِسَ) الأسقف (إلى) واحد أن يسأل عن كلمة (يستطيع إذا كان هناك "سكون" أن) يخاطبه.

(65) Gregory Dix, *The Apostolic Tradition*, XXVI, 30-32 (ethiopic version), p. 52.

السابع والثلاثون:

11- وإذا تكلَّم الأسقف فليسكت كل واحد.

12- وإن كان الأسقف غير حاضر، لتؤخذ البركة من قسيس أو شماس.

قال إذا تكلَّم الأسقف فليسكت كل واحد إلى أن يسألهم، وإذا لم يكن أسقف حاضراً بل هم مؤمنون لا غير في الوليمة فليأخذوا الأُولوجية أي البركة من يد قسيس إذا كان حاضراً، وإذا لم يكن حاضراً قسيس فمن يد الشماس.

13- والعلماني لا يجب له أن يصنع أولوجية (أي يبارك على الخبز).

14- والموعوظون أيضاً يأخذون خبز «الأكسورسيزموس» (أي خبز يصلِّي عليه الأسقف أو الكاهن ويجحد منه قوة وفعل الشيطان باعتبار أن ا لموعوظ لم يجحد الشيطان بعد لأنه لم يعتمد بعد).

هنا وليمة الأغابي بحسب قوانين الرسل، ومنها يتضح الآتي:

أولاً: تبدأ بكأس يشكر عليها الأسقف ويعطيها لجميع الحاضرين ليذوقوا منها.

ثانياً: الخبز يكسره الأسقف أو الكاهن أو الشماس ويوزِّعه باعتباره أولوجية وليس جسد الرب، وينتظر كل واحد حتى يتم توزيع الأُولوجية كلها قبل أن يبدأ بكسر خبزه الذي أمامه.

ثالثاً: يشترط الرسل أن الذي يشترك في وليمة الأغابي يجب أن يكون طاهراً.

رابعاً: يشترط الرسل أن تكون وليمة الأغابي بوحدة قلب وليس فيها حزن، فهي وليمة فرح ومحبة. وبناءً عليه فقد دعاها الأقباط «**إفراشي**» بدل «**أغابي**»، أي وليمة «فرح» بدل وليمة « محبة»

خامساً: يعتبر الرسل أن وليمة الأغابي فرصة للأسقف أولاً أن يتآنس بالمدعوين ويسألهم ويرد عليهم، وثانياً أن يعلِّمهم ويثقِّفهم أثناء الأكل على المائدة.

سادساً: يسمح الرسل للموعوظين أن يحضروا في مكان جانبي وليس مع المؤمنين (أصبح بعد ذلك لهم خورس خاص في الكنيسة)، ليأكلوا ويشربوا بأنفسهم من خبزٍ يصلِّي عليه الأسقف صلاة جحد الشيطان.

سابعاً: يمنع الرسل أي علماني أن يقوم بالبركة أو الشكر على الخبز أو على الكأس. ففي غياب الشماس تتوقف وليمة المحبة عن أن تكون «أولوجية» أي لا تكون مائدة

بركة أو وليمة الرب.

ثامنــاً: ما يفضل عن الوليمة يُسلَّم لصاحب الوليمة لكي يوزِّعها بمعرفته باعتبار أنها فضلات القديسين (2كو 14:8) أي بركة (أولوجية).

تاسعاً: يشدِّد الرسل أن تكون وليمة الأغابي مثال العفة والرزانة والتعقُّل والترتيب في الأكل والشرب حتى لا تُلام أعمال المسيحيين في الخارج.

عاشراً: حدَّد الرسل على المدعوين في ولائم الأغابي أن يصلُّوا من أجل الذي دعاهم، فهي وليمة للذكرى الحسنة.

وهكذا يُلاحِظ القارىء أن الرسل يعتبرون الخبز المكسور أولوجية، أي خبز بركة، **وهذا يعطي مفهوم الطعام الروحي** وهو لا يُعطَى إلاَّ للأطهار، ولكنه لا يرتقي إلى مفهوم القربان أي الجسد المقدَّس.

والكأس يتحتَّم أن تُتلى عليها صلاة الشكر قبل الشرب، لينتفي عنها صفة الخمر التي للسُكر بل تأخذ صفة كأس فرح للشكر أي للتسبيح، فهي بذلك شراب روحي، ولكنها لا ترتقي إلى كأس الرب أي دم المسيح. (وهنا توجد مخطوطات لنفس المرجع تذكر أن الأسقف هو الذي يدفع هذه الكأس بعد أن يشكر عليها، حتى يذوق منها الكل).

ثم تشديد الرسل أن لا يقرب أحد وليمة الأغابي إلاَّ إذا كان طاهراً، يكشف عن المستوى الروحي العام الذي وضعه التقليد الرسولي لوليمة المحبة.

وبهذا نجد التقابل واضحاً وشديداً بين وليمة الأغابي في «الديداخي» ووليمة الأغابي في «قوانين الرسل».

ثالثاً: صورة أخرى للأغابي في تقليد «هيبوليتس» المدعو بـ«تقليد الرسل»

ملاحظة هامة:

نحن نهتم كثيراً بتقديم هذه النماذج المتوالية لوليمة الأغابي لأنه يستحيل علينا أن نفهم حدود **الإفخارستيا وسمو مقدارها** منذ العصر الرسولي إلاَّ إذا فرَّقنا تماماً بينها وبين **وليمة الأغابي** التي كثيراً ما أخطأ العلماء في اعتبارها إفخارستيا، فظنوا أن الإفخارستيا ـ هكذا ـ كانت في عصر الرسل شيئاً وفي عصرنا شيئاً آخر. وأنها كانت مبسَّطة ومجرد قراءة أو قراءتين على الخبز والكأس، في حين أنَّ الإفخارستيا التي نمارسها الآن هي صورة حقيقية طبق الأصل من إفخارستية العصور الأُولى.

أمَّا الذي ظنوه كذلك وبهذه البساطة فهي ولائم المحبة. أمَّا الإفخارستيا فلم تكن منذ أول يوم أُقيمت فيه وفي أيام الرسل بدون ليتورجيا مطوَّلة، أي بقراءات من العتيقة والحديثة (العهد القديم والعهد الجديد). وتسبيح بالمزامير، وكلمة وعظ، ثم خدمة كاملة إلهية يترأسها رسول أو نبي أو أسقف مع كهنة وشمامسة بصلوات وتشكُّرات وطلبات وتذكارات. وبعد ذلك تأخذ الإفخارستيا المراحل الأربع بكل تؤدة ورزانة ووقار وخوف مع رعدة:

المرحلة الأُولى: **تقديم الحمل**،

والثانية: **التقديس على الخبز والخمر واستدعاء الروح القدس**،

والثالثة: **القسمة**،

والرابعة: **الاشتراك**. وبعد ذلك يكون التسبيح ثم الانصراف.

وتقليد هيبوليتس وإن كان يأتي مطابقاً تماماً لتقليد الرسل في القرن الأَول، إلاَّ أن أهميته ترجع إلى أنه كان معمولاً به أيام هيبوليتس سنة 215م.

وليمة الأغابي كما يصفها هيبوليتس:

وهنا نورد النص كما جاء في المخطوطة القبطية المعروفة باسم «النوموكانون»

النص المخطوط:

القانون الثاني والثلاثون من قوانين هيبوليتس:

[الأسقف لا يرتبط بصوم إلاَّ مع الإكليروس، لأجل (أنه يضطر أن يشارِك في) وليمة أو عشاء يصلح للفقراء][66] .

ويورد هنا العلاَّمة جريجوري ديكس أيضاً نصاً آخر لهيبوليتس يقول فيه:

[الأسقف لا يصوم إلاَّ إذا كان الشعب كله صائماً، لأنه قد يأتي وقت يَطلُبُ فيه أحد أفراد الشعب أن يقدِّم وليمة للكنيسة، وهذا لا يمكن أن يُرفض. ولأن الأسقف إذا كسر الخبز فعليه بالضرورة وعلى أي حال أن يذوق منه ويأكل مع المؤمنين الحاضرين.][67]

ويستمر القانون 32 لهيبوليتس قائلاً:

[فإذا أراد أحد أن يصنع وليمة عشاء للفقراء وهي التي تُدعى «كيرياكن» ـ أي عشاء الرب ـ ويكون الأسقف حاضراً وقت وقيد السراج، يقوم الشماس ليوقده، ويصلِّي الأسقف عليهم وعلى الذين **دعاهم محب الفقراء (فيصلِّي) الإفخارستية التي في أول القداس** (الرب مع جميعكم ـ ومع روحك أيضاً ـ ارفعوا قلوبكم ـ هي عند الرب ـ **اشكروا** الرب ـ مستحق وعادل). ويصرفهم (بعد الأكل) ليتفرَّقوا قبل أن يكون الظلام، **ويصنعوا** (أي يرتلوا) مزامير من قَبل انصرافهم].

القانون الثالث والثلاثون:

لأجل أنامنيسيس (تذكار) يصنعونه عن الذين ماتوا، **ولا يكون ذلك يوم الأحد**. وإن كانت أنامنيسيس يصنعونها عن الذين ماتوا، **يتناولوا أولاً من السرائر** من قبل أن يجلسوا، ولا يجلس معهم أحد من الموعوظين في «**الكيرياكن**»، ويأكلوا ويشربوا بكفاف وليس بسكر، بل بسَكينةٍ لمجد الله.

القانون الرابع والثلاثون:

في أن لا يتكلَّم أحد كثيراً ولا يصيح (وقت) دخول القديسين إلى منازل المؤمنين لئلاَّ يُهزأ بكم، ولئلاَّ تكونوا عثرة للناس فيُشتم مَنْ دعاكم، لأجل أنكم على غير الطقس. بل (ينبغي أنه بمثل هذه) الدعوة ينال ثباتاً وكل بيته ويرى عفاف كل واحد منا وينال رتبة عظيمة بالمثال الذي يراه علينا

(66) مخطوط النوموكانون الذي جمعه مقاره الراهب من دير القديس يوحنا القصير وهو مخطوط رقم 251 بالمكتبة الأهلية بباريس، ورقة 172 وجه. انظر أيضاً قوانين هيبوليتس في: P.O. XXXI, 403

(67) Hippolytus, *The Apostolic Tradition*, XXV,2 - XXVI,2 cited by Gregory Dix, The Shape of the Liturgy, p. 82..

ويصلِّي أن يدخل القسيس تحت سقفه لأن مخلِّصنا يقول: أنتم ملح الأرض.

وإذا قال الأسقف كلاماً وهو جالس يربحون به وهو يربح. وإن كان الأسقف ليس حاضراً والقسيس حاضراً فليلتفتوا إليه كلهم، فإنه أرفع منهم بالله، ويكرِّموه الكرامة التي يكرَّم بها الأسقف ولا يجسروا أن يقاوموه.

القانون الخامس والثلاثون:

فإذا كان الشماس حاضراً في وليمة وليس قسيس حاضراً، يكون عوضاً عنه في الصلاة وكسر الخبز للبركة وليس الجسد. يكسر الخبز ويدفعه للمدعوين.

أمَّا العلماني فلا يُدفع له أن يرشم الخبز، بل يكسره لا غير. وإذا لم يكن هناك إكليروس فليأكل كل واحد ما يأكل بشكر، لكي يروا الأمم سيرتكم ويحسدوكم (يغيرون منكم).

وإذا أراد أحد أن يُطعم الأرامل فليُطعمهم ويصرفهم من قَبل أن تغرب الشمس، فإن كانوا كثيرين فلئلاَّ يتبلبلن لأنهن لا يلحقن أن ينصرفن قبل العِشاء، فيُدفع لكل واحدة منهن كفافها ما تأكله وما تشربه وتمضي قبل أن يغشى الليل.

ويلاحِظ القارىء أن في قوانين الرسل المذكورة هنا (بواسطة هيبوليتس) ثلاثة أنواع من ولائم الأغابي:

النوع الأول: يُعمل في العِشاء **ويُسمَّى بـ«عَشاء الرب»** (**كيرياكن**) = KuriakÒn وله طقس مثل طقس أول القداس.

النوع الثاني: يُعمل كتذكار للمنتقلين ويُسمَّى «أنامنيسيس ¢n£mnhsij» ولا يُعمل في يوم الأحد. ويلزم أن يكون بعد القداس الخصوصي، وتُسمَّى «وليمة الرب» (ولا تُعمل في العِشاء).

النوع الثالث: يُعمل خاصةً للأرامل ويلزم أن يكون قبل غروب الشمس. ويمكن أن توزَّع الأطعمة والمشروب عليهن ويصرفهن مباشرةً إذا كان عددهن كبيراً.

وفي موضع آخر من القوانين يتضح أنه يلزم أن يكون الأسقف أيضاً (أو الكاهن أو الشماس) حاضراً ويقوم بالصلاة والبركة وتقسيم الخبز ثم إعطاء كأس خمر.

كذلك نلاحِظ في هذه الأنواع الثلاثة من ولائم المحبة ما يلي:

أ ـ أنها تسمَّى كيرياكن KuriakÒn أي وليمة الرب، فإن كانت في العِشاء تُسمَّى «عشاء

الرب» وإن كانت تذكاراً ¢n£mnhsij تُسمَّى «تذكاراً للرب» حيث تُعمل بعد القداس. فهنا الأغابي تكوِّن صورة متكاملة مع الإفخارستيا وتنقل لنا جزءاً من ملامح العشاء السرِّي الذي أسسه الرب بجماله ووقاره كيف كان وليمة محبة ارتقت بتقديس الرب إلى مستوى السرِّ الإلهي!

ب ـ يُلاحَظ في وليمة العشاء المذكورة في القانون الثاني والثلاثين أنها وليمة كنسية بالدرجة الأُولى، فهي تبدأ بليتورجيا كنسية طقسية حيث يدعو الأسقف للصلاة ويطلب حضور الرب ويأمر برفع القلب، ويبدأ يصلِّي صلاة الشكر على المائدة والنور يُوقَد في ميعادٍ طقسي مثل بداية قداس الإفخارستيا تماماً لأن هذا محتَّم بسبب اجتماع المؤمنين رسمياً في حضرة الرب، حيث يقول قانون الرسل:

[ويقف الأسقف وسط المؤمنين الحاضرين ويشكر قائلاً: الرب مع جميعكم، (فيقول الحاضرون:) ومع روحك أيضاً ـ ارفعوا قلوبكم، هي عند الرب ـ فلنشكر الرب، مستحق وعادل. **لأن ذلك يُقال على القربان وعلى غير هذا**، ثم يقول الأسقف: نشكرك اللهم...].

كما نجد صورة أخرى لهذا القانون في النسخ الأثيوبية.

ج ـ يُلاحَظ أيضاً أن « وليمة عشاء الرب » **تنتهي بتسبيح المزامير، فهي تنتهي بليتورجيا كنسية** كما أنهى الرب العشاء السرِّي يوم الخميس مع تلاميذه، **فسبَّحوا وخرجوا**. وهنا كلمة «**وخرجوا**» هي التي تُسمَّى في الكنيسة الآن بالانصراف، ولها اسم كنسي طقسي "missa" ولها منطوق صلاة للبركة محدَّد لا يمكن أن يتجاوزه الكاهن بأن يزيد عليه أو يُنقص منه: «**امضوا بسلام، سلام الرب مع جميعكم**»، يقولها الأسقف أو الكاهن سواء في الأغابي أو القداس، لأن الاجتماع في الاثنين محسوبٌ أنه قائمٌ رسمياً أمام الرب وبحضوره، فلا يجرؤ أحد أن يغادر الاجتماع إلاَّ بعد أمر الانصراف.

د ـ ولكن وإن كانت هذه الولائم تعطينا صورة قريبة وتكميلية لوليمة العشاء السري التي صنعها الرب يوم الخميس التي كانت تجمع بين الأغابي والإفخارستيا معاً، إلاَّ أن وليمة الأغابي هي في الواقع وليمة عشاء الرب مرفوع منها الجزء السري الخاص بتقديس الخبز والخمر وتحوُّلهما إلى جسد الرب ودمه. وهذه الأغابي ليست في الحقيقة وليمة الشعب بالمعنى الكنسي الكامل، لأن المجتمعين ليسوا هم الكنيسة بكامل مَنْ يمثِّلها، بل هم حسب ما يقول القانون الثاني والثلاثون: [إذا أراد أحد (من الأغنياء) أن يصنع وليمة عشاء **للفقراء**...]. إذاً، فهي ولائم محبة «**خاصة**» وليست عامة. وبهذه الصورة تكون فاقدة لكثير من معنى «**المحبة**»، بل هي أقرب إلى وليمة «رحمة» كذلك فإنه ربما لا يحضرها إلاَّ المدعوون بالاسم!!

وينص القانون على أن [الذي يأكل يذكر الذي دعاه كل وقت يأكل، لأجل هذا سأل أن يدخلوا تحت سقف بيته]. هنا المحبة أو حتى الرحمة ليست بلا عِوَض، فمطلوب من الآكلين أن يصلُّوا من أجل الذي دعاهم، لأنه من أجل هذا دعاهم!!

لذلك، بدأ بعض الآباء والقديسين في التقليل من قيمة الأغابي روحياً مثل العلاَّمة كلمندس الإسكندري(68)، والقديس أغسطينوس(69).

هـ ـ ولكن الاسم «كيرياكن» الذي أعطاه القانون لهذه الولائم لم يزل يستمد صِدْقه وحقيقته من أن صانع الوليمة هو في الواقع «**مقدِّم القرابين**» يطلب «**توزيعها باسم الرب**»، لذلك لزم هنا بحكم ضرورة الطقس أن يكون مَنْ يمثِّل الله موجوداً؛ سواء كان الأسقف بنفسه أو كاهناً أو على الأقل شماساً، وإلاَّ ينتفي نهائياً اسم «كيرياكن» من وليمة المحبة! بل ولا يكسب المدعوون أنفسهم إلاَّ مجرد الامتلاء والشبع، لأن الوليمة لم تعد بركة، أي لا يعود الطعام والشراب بعد طعاماً روحياً وشراباً روحياً مأكولاً ومشروباً من يد الرب [لأن الأسقف ـ أو الكاهن أو الشماس ـ يمثِّل يد الرب حيث يتحتَّم أن لا يأكل ولا يشرب أحد من الوليمة إلاَّ بعد أن يأخذ لقمة بركة من يد الأسقف ويذوق ذوقاً من كأس يكون قد بارك عليها الأسقف].

لذلك نسمع من القديس إغناطيوس الأنطاكي (؟ ـ سنة 110م أي قبل «هيبوليتس» بقرن كامل من الزمان)، كيف كان يتحتَّم أن لا تكون أغابي بدون أسقف: [لا تأتوا عملاً يخص الكنيسة بدون الأسقف. أمَّا الإفخارستيا الحقيقية والشرعية وحدها فهي التي تتم بحضور الأسقف أو مَنْ ينتدبه الأسقف لذلك ... لا يجوز أن يُمنح العماد ولا الأغابي بدون الأسقف](70)، مما يوضِّح ضمناً وبكل تأكيد أن الأغابي أيام إغناطيوس الشهيد كانت وليمة خاصة منفصلة عن سر الإفخارستيا، ولكنها كانت وليمة كنسية بمعنى الكلمة وطقسية إلى أقصى حد على مستوى طقس العماد أو الإفخارستيا نفسها، لأنه لا يحل إقامتها بدون حضور الأسقف إذا أراد صاحبها أن تكون وليمة الرب أو تكون وليمة الكنيسة. وهو يضع الأغابي في موازاة الإفخارستيا هكذا باختصار [بدون أسقف لا يحل إقامة إفخارستيا أو أغابي].

(68) Clement of Alex. *The Instructor*, I, 1- 4, ANF II, 238-249.

(69) Augustine, *C. Faust.* XX. 20.

(70) Ignatius, *Smyrna*, VIII. 2.

رابعاً: تقليد «الأغابيي» » عند العلاَّمة كليمندس الإسكندري (153 – 217م)

نجد في أيام كليمندس الإسكندري أن الأغابي العامة التي كان يحضرها جميع أفراد الشعب وخصوصاً الأغنياء، أو التي كان يقيمها الأغنياء باسمهم أو في بيوتهم أو ربما في بعض الكنائس، بدأت تأخذ صورة دنيوية ويدبُّ فيها الإنحلال، لذلك أفرد لها فصلاً خاصاً في كتابه «المعلِّم» موبِّخاً هذا السلوك ولكن دون أن يسيء إلى مفهوم وليمة الأغابي بحد ذاتها، فهو عن الأغابي يقول:

[ولكن ''الأغابي'' هي في الحقيقة طعام سماوي، وليمة تعقُّل وحكمة «وطوبى لمَنْ يأكل خبزاً في ملكوت الله» (لو 14:15) ... وكل مَنْ يأكل من هذه الوليمة فهو قبل كل شيء يلتصق بملكوت السموات، لأنه يرتبط فعلاً بالجماعة المجتمعة بالمحبة، المعتَبرة أنها كنيسة سماوية.

ولكن المحبة ''الأغابي'' ليست عشاءً، ولكن العشاء هو الذي يُعمل ويقوم على أساس المحبة، لأن المحبة شيء طاهر ومستحقة أن تكون دائماً إلهية وعملها الأساسي هو للشركة. فوليمة المحبة مُكرَّسة للمحبة، وليست هي صحوناً متعددة وفاتحات للشهية ولذائد أطعمة...

نحن مدعوون أن نسود ونضبط أنفسنا فوق الأطعمة، لا أن نكون عبيداً لها. إنه لائق وكريم لنا أن نرفع أعيننا إلى فوق، إلى ما هو حق، حتى يكون اعتمادنا على الطعام الإلهي في الأعالي، ونُشبع أنفسنا بالتأمُّل إلى ما هو بالحقيقة قائم بالحق.

... أمَّا الطعام الحقيقي فهو الشكر ''الإفخارستيا...'' و«إن كنَّا نأكل أو نشرب نصنع الكل لمجد الله» (راجع 1كو 10:31)...][71]

وقد حصل العالِم ''بثيون بيكر'' على إيضاحات أكثر لكليمندس عن الأغابي مع الإفخارستيا في أجزاء من كتابه المعروف باسم ''المعلِّم'' لم تنشرها مجموعة الباترولوجي إذ أشارت إليها أنها ناقصة، وهي في غاية الأهمية لأنها توضح أن الأغابي كانت بعد الإفخارستيا:

[وكانت الأغابي العائلية في البيوت تتقدَّس بقراءة الأسفار والتضرُّعات والمزامير والتسابيح

(71) Clement of Alex., *The Instructor*, II, 1, *ANF*, vol. II, p. 238-240.

كصلوات عائلية، وهي التي كانت تجعل الطعام للشكر ''إفخارستيا'']،

[**وفي حالة الأغابي العامة** (التي كانت تُقام في الكنائس) كان الشمامسة يقومون أولاً بتوزيع الخبز المقدَّس والخمر المقدَّس (الإفخارستيا) **ثم بعد ذلك العشاء (الأغابي) أيضاً كذلك**. أي أن العشاء في هذه الحالة كان في مجمله "**إفخارستيا ثم أغابي**"... ''فالذي كان يأكل، كان يأكل للرب صانعاً إفخارستيا مع الرب ... لأن الطعام الذي يؤكل بتقوى هو إفخارستيا''.][72]

ويقول بثيون بيكر في كتابه عن ''تاريخ العقيدة'' إن كليمندس يفرِّق بوضوح، في اصطلاحاته التي يستخدمها، بين ''الإفخارستيا'' و''الأغابي''، كما يفرِّق بين ''الأغابي'' كعشاء الرب عندما يُعمل في الكنيسة وبين الأغابي الخاصة في البيوت، وكان يقارِن بينهما باعتبار أن الإفخارستيا المقامة مع الأغابي في الكنيسة ينبغي أن يكون لها وقارها الفائق كطقس أعلى، (انظر كتابه)[73].

خامساً: تقليد الأغابي وكيف يعبِّر عنه القديس أثناسيوس الرسولي

(**آخر مرحلة حية للأغابي في النصوص الكنسية**):

لقد عثرنا في كتابات القديس أثناسيوس على صورتين للأغابي، إنما كل واحدة منهما في وضع خاص وحدود معينة، فهما ليستا وليمة أغابي شعبية عامة. الأُولى منهما خاصة بالكهنة مع أسقفهم، والثانية خاصة بالعذارى الراهبات في مائدتهم اليومية. ولكن بالرغم من هذا التخصُّص نجد أن كلاً منهما له صورة وملامح الأغابي بكل معناها وطقسها:

أولاً: أغابي الكهنة:

نص القوانين كما وُجدت في المخطوطة ''قوانين الكنيسة التي رتبها أبونا القديس أنبا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية'' ـ مخطوطة النوموكانون 351، المكتبة الأهلية بباريس. وترتيب المخطوطة التي للقديس أثناسيوس مكتوب في نهايتها أنها بيد ميخائيل أسقف تنيس:

(72) J.F. Bethune-Baker, *Early Hist. of Christ. Doct.*, p. 407.

(73) Ibid.

القانون السادس والستون:

ليأكل الأسقف مع الكهنة دُفعاتٍ كثيرة في الكنيسة حتى يبصر ترتيبهم إن كانوا يأكلون بهدوء وخوف من الله، ويقف يخدمهم، وإن كانوا ضعفاء **فليغسل أرجلهم بيديه**، وإن كان لا يقدر فلْيَدْعُ رأس القسوس أو الذي بعده يغسل أرجلهم. **ووصية المخلِّص لا تتركوها عنكم** لأنكم تُعطون (الكلام هنا للأساقفة) الجواب عن هؤلاء جميعهم، لكي يروا هم أيضاً تواضع المخلِّص فيكم، لا يكسل الأسقف عن هذا جميعه ثلاث دفعاتٍ في السنة: في عيد الفصح وعيد البنتيقسطي وعيد الغطاس الحادي عشر من طوبة (يُلاحَظ هنا أنه لم يذكر عيد الميلاد لأنه كان يدخل ضمناً وبدون تركيز مع عيد الغطاس، ولكن عيد الغطاس كان هو الأكثر ظهوراً وأهمية).

ولا يحضر في وسط مجمعهم كاهن غير مؤمن أو واحد من الغرباء من قبيلة أخرى إلاَّ كاهن فقط.

القانون السابع والستون:

لا يتكلَّم واحد منهم وهم يأكلون ولا يرفعوا وجوههم في وجه بعضهم البعض وهم يأكلون. وإذا تكلَّم الأسقف فليتأملوا جميعاً.

القانون الثامن والستون:

جميع الكهنة الذين في القرى من أعمال المدينة ليجتمعوا بالأسقف في يوم واحد ثلاث دفعاتٍ في السنة. (أمَّا هو) فيقرأ عليهم هذه الوصايا وهذه الأحكام ليكتبوها عندهم ويضعوها في كل مدينة وفي كل قرية، لكي تستريح عليهم (أحشاء) تحنن القديسين كما استراحت على فليمون تلميذ بولس، كما هو مكتوب أن قديسيك بالفرح يفرحون من أجل داود عبدك. ويقولون هم أيضاً هوذا الكهنة أولاد الكنيسة يسعون في مرضاة الله بكل حال.

ملاحظات:

وإن كان القديس أثناسيوس في ترتيبه لوليمة الأغابي بالنسبة للأسقف والكهنة لم يذكر ما ينبغي أن يصلُّوا به وما ينبغي أن يبدأوا به أو يختموا به، فهذا أمر طبيعي لأنهم إكليروس وهم عارفون بالطقس، وإنما يشدِّد على تدبير طقسي وروحي آخر في غاية الأهمية بالنسبة لمضمونات جديدة في وليمة الأغابي:

1ـ إذ يُلزم الأسقف أن يأكل الأغابي مع الكهنة كقانون كنسي يضع الأغابي في موضع الطقس الكنسي كضرورة يحتِّمها الروح القدس من أجل صلاح وسلامة جسد المسيح، أي الكنيسة. إذ يعتبر القديس أثناسيوس ـ في نفس هذه القوانين ـ أن طغمة الإكليروس في الكنيسة هم بمثابة سبعة أرواح الله وسبعة عيون الله التي تفحص وتدبِّر الكنيسة أي جسد المسيح.

لذلك فهو يطلب وحدة هذه العيون الإلهية السبعة وتَصَالُحها وسلامة سيرها وتدبيرها تحت رعاية الأسقف ''حتى يبصر ترتيبهم...''.

وهنا جلوس الأسقف في مجمع الكهنة الذين له هو شكل رسمي ''لعشاء الرب'' يماثل مجلس المسيح مع تلاميذه. فهنا الأغابي تأخذ صورتها المقدَّسة الأُولى، والغاية منها هي أن تنسكب المحبة الإلهية في وليمة المحبة وفي لقمة المحبة، ثم تسري هذه المحبة بالروح القدس إلى بقية أعضاء الجسد الذين هم شعب الأسقف.

2ـ مطالبة الأسقف بأن يقف في وليمة الأغابي ويخدم الكهنة الذين تحت تدبيره هو نقلة كبيرة وعظيمة في مفهوم وليمة الأغابي، فالمحبة لا تُطلب ولا تُستعلن فقط بالأكل وتقديم أنواع الأطعمة، بل مطلوب أن تكون فرصة لكي تُمارَس فيها الخدمة والتواضع. حيث يجب على مَنْ أراد أن يكون سيداً أن يصير خادماً للجميع في إطار المحبة ومن خلال لقمة الأغابي.

هنا القديس أثناسيوس يشير مباشرةً إلى موقف المسيح وتعليمه لتلاميذه من خلال طقس العشاء الأخير الذي جعله فرصة لإعلان قانون الخدمة في العهد الجديد!! «**الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدِّم كالخادم، لأن مَنْ هو الأكبر: الذي يتكيء أم الذي يخدم؟ أليس الذي يتكيء؟ ولكني أنا بينكم كالذي يخدم**» (لو 22: 26و27). هنا يحاول القديس أثناسيوس أن يطبِّق أسرار العشاء الأخير بحسب التدبير الذي أعلنه الرب وعلَّم به، **فينتفع الأسقف إذ يمارس سر اتضاع رئاسته** على مستوى السيد في العهد الجديد **وينتفع الكهنة إذ يتعلَّمون من سيدهم كيف يمارسون سر اتضاع الخدمة مع بعضهم البعض على مستوى الأسقف والمسيح!!**

3ـ ''ويغسل أرجلهم بيديه''. هنا لا يأتي القديس أثناسيوس بشيء جديد غير ما عمله المسيح في ''عشاء الخميس''. ولكن القديس أثناسيوس هنا يُحيي الأغابي الأُولى، يُحيي روح اتضاع الرب في الكنيسة، يُحيي مفهوم غسل الأرجل الذي أصبح طقساً لا يمتُّ للإتضاع بصلة.

القديس أثناسيوس هنا يلملم أسرار ''العشاء الأخير'' التي توزَّعت على صفحات الكتب الطقسية والممارسات السنوية. القديس أثناسيوس يجمع شتات الإفخارستيا التي استبدَّت بها روتينية الطقوس والرسوم.

إن وصية الرب ليست ثقلاً على الكنيسة أو على الأسقف، بل إن وراء وصية الرب قوة ونعمة، والروح واقف مستعد ليتمم كل ما وعد به المسيح لكل مَنْ يكمل ترتيب الرب. القديس أثناسيوس

يُلزم الأسقف أن يتحمَّل وحده مسئولية وصية الرب هنا ”لأنكم تعطون الجواب عن هؤلاء جميعهم لكي يروا هم أيضاً تواضع المخلِّص فيكم“. الأسقف مسئول أن يسلِّم كهنته اتضاع المسيح تسليماً عملياً من خلال المحبة ولقمة المحبة.

4ـ ”لا يتكلَّم أحد منهم، ولا يرفعوا وجوههم في وجه بعض وهم يأكلون“. هنا يتدخل القديس أثناسيوس ليؤمِّن وليمة الأغابي ضد الانحلال بالكلام والسمر والضحك والمسرَّات البشرية.

فالأغابي أصلاً فرصة ليس لتبادل المحبة البشرية الرخيصة، بل فرصة إلهية لانسكاب المحبة الإلهية بالروح القدس في قلوب المجتمعين باسم المحبة وباسم المسيح، كوعد الرب**!** هنا ليس اثنان أو ثلاثة فقط مجتمعين باسم الرب، بل الإكليروس الذي يرى القديس أثناسيوس الرسولي أنهم سبعة أرواح الله الخادمة وسبعة عيون الله الجائلة في وسط شعبه تصنع كلمته ومرضاته.

إذاً، فالأغابي يراها القديس أثناسيوس فرصة صمت وهدوء وصلاة ليجمع الروح القدس بين أرواح الكهنة ويكشف لعيونهم جلال الكنيسة ومعناها السري كحضرة الله في مجمع آلهة. الكلام ممنوع ليتكلَّم الروح القدس في القلوب مباشرةً وعلى فم الأسقف للبنيان. رفع العين في وجوه الآخرين ممنوع حتى يرفع الروح القدس عين الكاهن لترى ما لا يُرى من وجه الله في حضرة الله**!!!**

إذاً، فنحن نرى في "**أغابي الأسقف مع الكهنة**" التي يقدِّمها لنا القديس أثناسيوس الرسولي في قوانينه نقلة كبيرة وعظيمة، تُحضِرنا مباشرةً وسط أغابي الرب بكل رزانتها ووقارها، هل هذا ممكن؟؟ إن القديس أثناسيوس بهذه القوانين قد أعطى للكنيسة فرصة أن تحيا في ملء **أسرار** «**عشاء المسيح**» وحبه الحقيقي واتضاعه الإلهي لو تشاء.

ثانياً: أغابي العذارى الراهبات:

وهنا يقدِّم القديس أثناسيوس قوانين لأغابي لها صبغة خاصة ومحدودة أيضاً، ”أغابي العذارى الراهبات“، اللواتي يعشن في بيوت خاصة لهن. وقد كتبها في أوائل القرن الرابع في مدوَّنة خاصة بالعذارى(74). والمخطوطة المنقولة منها الترجمة الإنجليزية تقول إن ملامح اللغة اليونانية تدل على أنها مأخوذة عن أصل قبطي.

---

(74) Athanasius, *De Virginitate*, 12-13, cited by Greg. Dix, *op. cit.*, p. 94.

نص القوانين:

[1- إذا لم يكن أحد (من الإكليروس يقود الصلاة)، فبعد أن تأخذن طعامكن قدِّمن الشكر لله على المائدة بهذه الكلمات (أي أنها صلاة شكر ختامية):

+ «مباركٌ أنت يا الله الذي تتعطَّف علينا وتعطينا ما نغتذي به منذ صبانا، **يا معطياً طعاماً لكل ذي جسد. املأ قلوبنا فرحاً ونعيماً حتى إذا نلنا كفافنا في كل شيء في كل حين نزداد في كل عمل صالح بالمسيح يسوع ربنا الذي يليق بك معه ومع الروح القدس المجد والقوة والكرامة والسجود إلى دهر الدهور - آمين**»

2- وحينما تجلسن معاً على المائدة ويأتي وقت «**كسر الخبز**» ارشمن ذواتكن بعلامة الصليب وقلن هكذا بالشكر (أو شاكراتٍ):

+ «نقدِّم لك الشكر (''إفخاريستومين''، وهي لفظة طقسية) يا أبانا من أجل القيامة التي أعلنتها لنا بواسطة يسوع المسيح فتاك. وكما كان هذا الخبز **الموضوع** على المائدة مبعثراً وصار مجتمعاً معاً حتى صار واحداً، هكذا اجعل كنيستك تجتمع معاً من أطراف الأرض إلى ملكوتك. لأن لله القوة والمجد إلى الدهر الذي بلا نهاية. آمين»

3- وهذه الصلاة التي لكسر الخبز يلزم أن تَقُلْنَها قبل أن تأكلن. ولكن بعدما تُهيِّئْنَ المائدة وقبل أن تجلسن مباشرةً قُلْنَ صلاة: «يا أبانا الذي في السموات»

وأمَّا الصلاة الأُولى التي قُلْتُنَّ والتي في أولها ''مبارك أنت يا الله'' فَقُلْنَها عندما تنتهين من الأكل وتَقِفْنَ على المائدة. (ويُلاحَظ أنها كانت أصلاً صلاة شكر على الكأس الذي يُشرب في أول الأغابي، ولهذا السبب كتبه ''أو أملاه على الناسخ'' في بداية الطقس ولكن عاد فرفعه إلى آخر الأغابي).

4- وإذا حضرت معكن اثنتان أو ثلاث عذارى، فهن يشكرن على الخبز الذي يكون أمامهن ويقدِّمن الصلاة معكن. ولكن إذا حضرت امرأة موعوظة معكن، فلا تَدَعْنَها تصلِّي مع المؤمنات ولا تأكل خبزاً معكن بالجملة. وحتى أي امرأة لا ينبغي أن تجلس معكن بدون ضرورة. لأنكن مقدَّسات للرب وطعامكن وشرابكن قد "**تقدَّس**"، لأن بالصلاة والكلمة "**يتقدَّس**"].

ملاحظات:

1ـ واضح جداً أن هذه الصلوات لم يؤلِّفها القديس أثناسيوس من عنده بل إنها كانت محفوظة أو منقولة من مخطوطات أمامه. فصلاة الإفخارستيا أي الشكر التي يختتم بها القديس أثناسيوس مائدة الأغابي قديمة العهد جداً ومطلعها هو بنفس كلمات التقليد الأَول المستلَم من الرب والتلاميذ والذي كان جارياً استخدامه في صلوات المائدة زمن المسيح: ''مباركٌ أنت يا رب''، ''الذي يعطينا طعاماً''. ثم الكلمات التي تلي ذلك التي أولها ''يا معطياً طعاماً لكل ذي جسد...'' وهي واردة بالقداس في أوشية الثمار التي تُقال بعد الإنجيل. وهنا ننبِّه ذهن القارىء إلى أنها صلاة قديمة العهد جداً تتبع التقليد اليهودي الأَول حيث كان موضوعها هو أيضاً على صلوات المائدة(75).

وقد وجدنا هذه الصلاة بكلماتها في ''تعاليم الرسل ـ الكتاب السابع ـ الأصل اليوناني'' (وهذا الكتاب السابع هو الذي يقتبس كل صلواته وإرشاداته من مخطوطة أقدم منه التي تُسمَّى ''الديداخي'')، وهذه هي ترجمة لنص هذه الصلاة:

[**صلاة على المائدة:**

مباركٌ أنت يا رب الذي أطعمتني منذ صباي، يا معطياً طعاماً لكل ذي جسد، املأ قلوبنا فرحاً ونعيماً حتى إذ يكون لنا الكفاف في كل شيء نزداد في كل عمل صالح بالمسيح يسوع ربنا الذي لك به المجد والكرامة والقوة إلى الأبد آمين.](76)

ومن عنوان هذه الصلاة "**صلاة على المائدة**" يظهر بوضوح أن الصلاة التي تُقال في طقس وليمة الأغابي قديماً صارت مجرد صلاة على المائدة بدون طقس. وهذا يرجع إلى أن كتب تعاليم الرسل الثمانية التي دُوِّنت في إقليم سوريا حوالي سنة 325م فقدت كثيراً من طابعها الرسولي الأَول، حيث امحى من ذهن الكنيسة آنذاك في هذا الإقليم مفهوم وليمة الأغابي جملةً وتفصيلاً. ففي كل قوانين وفصول وأبواب الكتب الثمانية لتعاليم الرسل التي من أصل يوناني، لا توجد إشارة واحدة للأغابي.

وحتى تفاصيل وليمة الأغابي الواردة في كتاب ''الديداخي'' أخذها مؤلف الكتب الثمانية وسجَّلها في الكتاب السابع من كتبه، ولكن على أنها ''إفخارستيا''، بعد أن أضاف عليها الاصطلاحات والإشارات الخاصة بسرِّ الإفخارستيا.

(75) Greg. Dix., *op. cit.*, p. 94.

(76) *Apost. Constit.* VII, XLIX; ANF vol. VII, p. 478.

2ـ فالصلاة التي يقدِّمها القديس أثناسيوس لـ"**كسر الخبز**" هي مأخوذة من صلوات الديداخي. فالصلة بين الديداخي وقوانين أثناسيوس هنا لا جدال فيها. إذاً، فصلوات القديس أثناسيوس في وليمة الأغابي امتداد طبق الأصل للأغابي الواردة في الديداخي، وهو امتداد لا بمجرد اقتباس ألفاظ وجُمَل، بل امتداد تقليدي بالدرجة الأُولى، هذا التقليد الذي امتدَّ حتى إلى ما بعد القديس أثناسيوس في مصر.

وبإيراد القديس أثناسيوس لطقس الأغابي واضحاً بهذه الصورة، لا يعود هناك أي مجال للشك في أن الصلاة الواردة في الديداخي ليست إفخارستيا كما ظن خطأ العالِم "ليتزمان" وكثيرون غيره، ولكنها أغابي. وها قد كشف عن سرها تماماً القديس أثناسيوس هنا!

3ـ نلاحِظ أن قانون عدم السماح لغير المؤمنين بالاشتراك في مائدة المحبة لا يزال ساري المفعول، وأن منع الموعوظين من الأكل أو الصلاة على مائدة المحبة لا يزال ينفَّذ بحرفيته مثل الإفخارستيا تماماً، أي أن وليمة الأغابي في زمن القديس أثناسيوس كانت لا تزال في أَوَج وضعها الطقسي الكنسي الصرف، فهي مائدة طقسية، و"عشاء الرب" خبزها وخمرها مقدَّس وماؤها مقدَّس!! أي، طعام روحي وشراب روحي، وهذا أيضاً يرفع أي لَبْسٍ في مفهوم الصلاة الواردة في الديداخي أنها أغابي وليست إفخارستيا.

4ـ لا يوجد كأس خمر، لأنه ممنوع على العذارى الراهبات والرهبان ـ بحسب قوانين القديس أثناسيوس ـ أن يشربوا خمراً:

> [لا تأكلْ واحدة من العذارى كل يوم حتى تغيب الشمس. وإذا كان يوم الأحد فبعدما يأخذن جسد المسيح ودمه يَحْلُلْن الصوم ولا يأكلن بشبع في يوم الأحد والسبت. والذي يريد أن يحفظ بتوليته فلا يملأ بطنه خبزاً لأنه لا يقدر أن يحفظ الطهارة بغير صوم دائم. ولا يدع (لا يتعاطى) أحد من البتوليين شيئاً سوى طعام محتقر ولُباساً محدود (الشكل واللون)، وهذا الرسم الواحد ـ (أي هذه القوانين) ـ كائن للذكور والإناث هؤلاء الذين يريدون أن يكونوا بتوليين. لا تشرب واحدة من العذارى خمراً بالجملة ولا أحد من الرهبان الذين يتمسكون بالطهارة. وإذا سقط الناسك في مرض فيشرب قليل خمر. ولا يأكل أحد من الذين يحبون البتولية شيئاً يخرج منه دم حتى السمك.]
>
> القانون رقم 92، مخطوطة رقم 251، المكتبة الأهلية بباريس

5ـ كما يُلاحَظ أنه لا يوجد في هذا الطقس توزيع خبز بعد البركة والتكسير، لأن المائدة تخلو

من كاهن. فهنا الطقس مخصَّص في حدود المائدة التي بلا كاهن. وهذا الطقس هو بحرفيته كما وجدناه في تقليد الرسل لهيبوليتس سنة 215م. أي منذ قرن كامل سابق لأثناسيوس الرسولي.

6ـ الذي يسترعي انتباهنا جداً هو استخدام القديس أثناسيوس لاصطلاحات القداس والإفخارستيا في وليمة ‘‘أغابي العذارى’’، فهو يذكر "**الشكر**" **على الخبز** بنفس الاصطلاح الإفخارستي = "**إفخاريستومين**" و"**تقديس**" **الخبز** = **هاجيازومين، و"مباركٌ" أنت يا الله** = "**إفلوجيمينوس**"، و ‘‘**الخبز الموضوع** على المائدة’’ وهي نفس الجملة المستخدمة بواسطة الكاهن من جهة قربان الإفخارستيا، فكلمة "**موضوع**" = "**بروكيمينون**" طقسية خالصة، علماً بأنها مائدة عادية في بيت لجماعة من العذارى.

وهذا يكشف لنا عن مدى أهمية وقداسة الأغابي لدى الأقباط في القرن الرابع!!! وفي اعتبار القديس أثناسيوس أشد آباء الكنيسة دقةً وحذراً ويقظة فيما يختص باللاهوت والأسرار.

وهنا ينبغي للباحث المدقِّق أن يعرف أن هذه الاصطلاحات التي تُستخدم في وليمة الأغابي ليست مستعارة أبداً وبأي حال من الأحوال من طقس الإفخارستيا، بل هي اصطلاحات أصيلة ورثتها الأغابي مباشرةً من العشاء السري يوم الخميس، وبلا توسُّط زماني أو إنساني بأي نوع، بعدما استخلصت الكنيسة كل ما يختص بالإفخارستيا وأسرارها منها وجعلتها طقساً آخر قائماً بذاته، فبقيت الأغابي محتفظة هي الأخرى بهيبتها وألفاظها كجزء أصيل من عشاء الرب، وكأن الرب حاضر أيضاً فيها.

الأغابي في الأديرة:

لقد استمرت وليمة الأغابي في الأديرة، التي تُقدَّم كمائدة بعد قداس الأحد الصباحي، حتى إلى عصر قريب جداً (ولكنها انقطعت نهائياً في الحاضر)، حيث كان يجتمع الآباء، ويُقدَّم كأس خمر واحد للبركة في أول الأغابي وخبز وسليقة (خضار مسلوق أو بقول مسلوقة). وتُقال صلاة بركة (على كسر الخبز) قبل الأكل وصلاة شكر بعد الأكل.

ولكن برجوعنا إلى نصوص الصلوات قديمها وحديثها لم نجد نصوصاً ذات صبغة ليتورجية لكسر الخبز أو الصلاة على الكأس كما في الديداخي مثلاً أو كما في قوانين أثناسيوس الرسولي. فالرئيس يصلِّي في صمت ويقرأ في سكون، والجماعة لا تشترك في الصلوات إلاَّ بما يُتاح للفرد العادي أن يتلوه من الصلوات الفردية مثل «أبانا الذي في السموات» فحتى «آمين» الجماعية لا وجود لها.

وكل ما تتميَّز به هذه الأغابي الديرية هو القراءة بفم الرئيس أو الكاهن المصلِّي (وهو الرئيس عادةً) من أخبار الآباء وبستان الرهبان التي تستغرق كل وقت الأغابي من البركة الأُولى حتى الشكر الأخير.

الأغابي الليلية التي تتبع إفخارستية عشاء الأحد في الأديرة:

يعطينا مار إسحق في كتاباته النسكية وصفاً مختصراً، ولكنه جاء واضحاً ومحدَّداً لنوع من الأغابي ونوع أيضاً من الإفخارستيا كانا يمارَسان بين الرهبان في القرن الرابع في زمن القديس أنبا مقار الكبير، بل ويقول مار إسحق إن هذا الطقس هو بحد ذاته تدبير رهباني من الدرجة الأُولى قد سجَّله القديس أنبا مقار بنفسه في كتابه:

[لأننا نعلم من الكتاب الذي وضعه القديس مقاريوس أن بالكلية لا يخرج الأخ المبتدىء من قلايته في وسط الأسبوع، وأحد لا يزور أخاه أيضاً بل **في يوم السبت يخرجون من قلاليهم وقت العشاء ويأتون إلى المجمع وهم صيام!!** لأن طول السنة **صيفاً وشتاءً كانوا يتقرَّبون عشية السبت**. ولما كان يخرج الآباء والإخوة ويأتون إلى المجمع ليسمعوا القراءة، كان الذي يتهاون ولا يحضر يقطعون عليه بحكمٍ صعب.

ومن بعد أن يتقرَّبوا يدخلون إلى المائدة.

ومن بعد الأكل يقفون للصلاة ليلة الأحد ساهرين بلا نوم من العشية إلى باكر بخدمة المزامير والتسابيح والقراءة في الكتب وتفاسيرها ومسائل الإخوة وأجوبة الشيوخ الذين يترتبون للوعظ...] ميار مار إسحق الكتاب الأول ـ الفصل الأَول

ومن هنا يتضح الآتي:

1ـ أن الصوم قبل التناول كان طقساً مُلزِماً.

2ـ أن التقرُّب (التناول من الجسد والدم) كان يُمارَس مرتين: مرة في السبت مساءً ومرة أخرى في الأحد صباحاً بعد سهرة ليلة الأحد (كما جاء في كل كتابات الآباء ـ انظر ''كاسيان'').

3ـ أن الأغابي كانت تُقام مرة بعد قداس الليل ومرة أخرى بعد قداس الصباح. أمَّا التي كانت في المساء فكانت مع الإفخارستيا تسمَّى "**عشاء الرب**".

كذلك نستقرىء من ذلك الآتي:

1ـ أن خدمة الإفخارستيا في **عشية الأحد** (أي السبت مساءً حسب اصطلاح الكنيسة الآن) كانت

بطبيعة الحال مختصرة للغاية، وهي بعينها الإفخارستية التي كانت متداولة في مصر كلها باسم «عشاء الرب» أي الإفخارستية المرتبطة طقسياً وروحياً وتاريخياً بالعشاء السري في مساء الخميس الأخير للرب، والتي كانت تُقام **دائماً** في المساء **وقت إشعال النور**، وهي حتماً ذات **طقس معين** يتناسب مع مناسبتها. **وهي التي سوف نكشف عن وجودها نصاً وطقساً وروحاً في الكنيسة القبطية حتى هذا اليوم**. وهي المعروفة باسم قوانين تقديم الحمل الذي دخل في صلاة القداس كبادئة(77).

2ـ أن الأغابي اللاحقة لإفخارستية المساء عشية الأحد كانت هي بدورها مختصرة تتناسب مع ما سيتبعها من سهر وتسابيح وصلاة طول الليل.

وهكذا نجد أنَّه:

حينما بدأ الإنجيليون يكتبون الأناجيل كانت الكنائس قد استقرت فيها الإفخارستيا كطقس قائم بذاته. فإنجيل مرقس وإنجيل القديس متى (65 ـ 80م) لا يذكران في النصوص الإفخارستية شيئاً إطلاقاً عن الأغابي، إذ يضم النص الإفخارستي كسر الخبز مع تقديم الكأس مباشرةً بدون أي ذكر لشيء بينهما، مع أن في عشاء الرب كانت الأغابي تُقام بين الاثنين وكانت هي العشاء نفسه.

هذا يوضِّح لنا أن فصل الإفخارستيا عن الأغابي نشأ مبكراً جداً في الكنيسة لمواجهة متطلبات وخِصال الأمم.

أمَّا القديس بولس الرسول في رسائله، وهي دُوِّنت في زمن أسبق من زمن كتابة إنجيليْ القديسَيْن مرقس ومتى، فيعرض علينا في رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس المراحل المبكرة لانفصال الإفخارستيا عن الأغابي، أو على وجه أدق، المشاكل التي واجهها أيضاً بعد الانفصال حيث أصبحت الأغابي في الكنيسة فرصة للإنحلال بسبب عادات الشعب القديمة.

هكذا تأتي وثيقة «الديداخي» حوالي سنة 100م لتعطينا أول صورة لطقس الأغابي في أواخر القرن الأول ـ قائماً بذاته منفصلاً بصلواته عن الإفخارستيا. وبدراسته بدقة نكتشف فيه البذرة الأُولى أو المصدر الأساسي الذي أخذ عنه كل ترتيب وصلوات وطقوس الأغابي في مصر بصورة خاصة. ولكنها تعطي فيه للأنبياء والمعلمين المتجولين حق إقامة الأغابي والإفخارستيا أيضاً وذلك بسبب عدم وجود أساقفة في الكنيسة آنئذٍ.

(77) سوف تُنشر في كتيب منفصل.

ثم يأتي القديس إغناطيوس الأنطاكي الشهيد سنة 110م، ويمنع بصورة ملزِمة أن تُقام أغابي أو إفخارستيا بدون أسقف! وهذا يكشف لنا أن انفصال الأغابي عن الإفخارستيا قد دخل مرحلته التاريخية، كما دخلت الأغابي في صميم الطقس الكنسي لتقف كعمل يخص الكنيسة ويدخل تحت مسئولية الأسقف، لأنه عمل يخص المسيح، لأن الأغابي حُسبت ''كيرياكي''، أي ''عشاء الرب''، وبلغة الروح يعني ضمناً حضور الرب وتقديسه للطعام والشراب.

وهكذا يشهد القديس إغناطيوس بدخول الأغابي في القرن الثاني طقساً كنسياً كاملاً له كل حقوقه وواجباته وآثاره الكنسية.

ثم يأتي القديس هيبوليتس أسقف ''بورتس رومانوس'' (مرفأ عدن بجزيرة العرب) سنة 215م وينقل لنا التقليد الكنسي الذي تعلَّمه واستقاه من تعاليم الرسل. وإذ يقدِّمه هيبوليتس لشعب الإسكندرية (هيبوليتس من مواطني الإسكندرية أصلاً) كتقليد كنسي معمول به ومتَّبع بكل توقير واحترام، يمتد بالأغابي أو تُمدُّ الأغابي بواسطة تقواه وسلطانه الكنسي لتعبر إلى القرن الثالث بنفس الوضع الرسولي الأَول مضافاً إليه القوة والأصالة الكنسية التي عضدَّها بها القديس إغناطيوس الشهيد، إن لم يكن في روما والغرب، ففي مصر موطن التقليد والتعاليم الرسولية.

ثم يأتي القديس أثناسيوس الرسولي بابا الإسكندرية العشرون سنة 328م ويدفع الأغابي بتقواه أيضاً وسلطانه الكنسي، إنما في حدوده الخاصة والضيقة لتعبر إلى القرن الرابع في مصر وحدها دون كافة بلاد العالم، إنما بنفس الأصالة الكنسية وبنفس ''روح عشاء الرب''، بكل فهم روحي وتسليم رسولي. فكان آخر مَنْ استودع الكنيسة هذه الدُرَّة الغالية التي احتفظت بها الكنيسة في قلبها هذه القرون كلها.

ولكن ما أن أتى القرن الخامس إلاَّ والأغابي، كطقس كنسي، قد فقدت كل أصالتها الكنسية الأُولى كليتورجيا شعبية أو حتى كهنوتية على طقس ترتيب القديس أثناسيوس، وانزوت في الأديرة كمائدة طعام ذات صبغة جماعية تَقَوِيَّة نسكية، أو بقيت كعمل رحمة للفقراء أو في المآتم.

❋ ✞ ❋

ملخص تاريخ الأغابي والمراحل التي عبرت عليها

1 ـ بنهاية القرن الأَول توقفت الأغابي عن أن تكون إفخارستيا، والإفخارستيا عن أن تكون أغابي. أي لم يُمارَس طقس العشاء السري بوضعه الذي أكمله المسيح في معظم كنائس العالم، وفي بعضها بدأ مبكراً جداً، كما في كورنثوس سنة 70م.

2 ـ منذ أول إفخارستيا أقامها الرسل وسط الشعب، والأغابي تأخذ وضعاً منفصلاً في نفس الوليمة، إما في البداية أو في النهاية (أغابي ـ إفخارستيا). أمَّا في مصر فقد استوطنت (إفخارستيا ـ أغابي) بعد فترة طويلة كانت فيها الأغابي تُقام أولاً: (أغابي ـ إفخارستيا).

3 ـ بنهاية القرن الثاني سنة 200م كانت كلمة ''أغابي'' قد أصبحت اصطلاحاً كنسياً يعبِّر عن وليمة "**عشاء الرب**" منفصلاً تماماً عن سر الإفخارستيا. وظهر هذا في كتابات ترتليان في الغرب وكليمندس الإسكندري في الشرق. كما أخذت كلمة ''الإفخارستيا'' وضعها الكنسي كاصطلاح طقسي ليتورجي يحمل معنى ومضمون العهد الجديد بجسد ودم الرب تقيمه الكنيسة منفصلاً عن "**عشاء الرب**".

4 ـ أول ذكر ''للإفخارستيا'' كطقس كنسي منفرد بذاته جاء في كتابات القديس إغناطيوس الذي استشهد سنة 110م حينما أوصى أهل سميرنا (أزمير الآن) بتحديد قانوني [أن لا إفخارستيا ولا أغابي تُقام بدون الأسقف]. وبذلك حدَّد وجود طقسين متماثلين منفصلين في الكنيسة حيث تظهر « الأغابي» كما قلنا سابقاً، طقساً كنسياً هاماً ليس أقل في أهميته الطقسية من الإفخارستيا من حيث التدبير الكنسي على الأقل.

ولكن لا يمكن أن يكون القديس إغناطيوس هو الذي حدَّد وقطع في هذا الأمر، فالطقس يبدو من كلام إغناطيوس الأنطاكي أنه كان مستقراً على هذا الوضع منذ زمن بعيد، أي أن الأغابي كانت طقساً قائماً بذاته قبل سنة 100م.

5 ـ أول صورة لمحاولة فصل الأغابي عن الإفخارستيا تظهر في رسالة بولس الرسول الأُولى إلى أهل كورنثوس سنة 54م، وغالباً كان نجاح هذه المحاولة هو الذي شجَّع الكنيسة كلها بعد ذلك لوضع حدٍّ فاصل بين الاثنين.

6 ـ أول تاريخ لانفصال الإفخارستيا عن الأغابي انفصالاً كاملاً، يُعتبر هو نفسه أول تاريخ لتحديد

شكل الإفخارستيا واسمها، حيث تُختصر الليتورجيا إلى الأفعال الأَربعة الرئيسية التي سبق أن وصفناها.

وهذا التاريخ يبدأ باهتاً منذ رسالة كورنثوس الأُولى أي من منتصف القرن الأَول، ثم يستمر في الظهور والتحديد، حتى يبدو قويًّا واضحاً في نهاية القرن الثاني.

7 ـ انفصال الإفخارستيا عن الأغابي بدا عملاً لازماً وحتمياً بين الأمم، وخصوصاً بلاد اليونان، منذ أول يوم سنة 40ـ60م بسبب العادات الوثنية التي كانت تشمل موائد مشابهة وكانت تُجرى فيها أعمال إنحلالية. بعكس اليهود الذين كانوا قد نشأوا على اعتبار أن كل أكل وكل شرب هو عمل مقدَّس ينبغي أن لا يُقترب إليه إلاَّ بأيدٍ مغسولة! كنايةً عن التطهير. ولا يبدأ الأكل أو الشرب إلاَّ بصلوات كثيرة ولا يُختم إلاَّ بالشكر.

8 ـ عملية فصل الإفخارستيا عن الأغابي كانت عملية حساسة جداً ودقيقة للغاية بسبب ضرورة جمع التقليد السرائري وحده منفصلاً عن بقية العشاء غير السرائري، وهذا كان لا يحتاج إلى مهارة وحذق في الطقس اليهودي فوق العادة. لأن الإفخارستيا تبدأ بجزء مشترك نوعاً ما مع الأغابي أيضاً وهو كسر الخبز، ثم تنتهي بالشكر على الكأس، حيث الشكر يشمل الشكر على الوليمة كلها، فهو شكر على الطعام وعلى الأمور الروحية معاً.

لذلك لزم فصل شكر الإفخارستيا عن شكر الأغابي. هذا العمل الطقسي السرائري الذي صار أساساً لسر الإفخارستيا التزم أن يقوم به الرسل أنفسهم مع بولس الرسول في بداية كرازتهم، أي لا يمكن أن يكون قد تأخر عن سنة 70م.

9 ـ أمَّا تحديد شكل الإفخارستيا بالأفعال الأربعة الرئيسية، فقُبِل قبولاً شاملاً بلا أي معارضة أو خلل أو نشاز في كافة الكنائس في كافة بقاع الأرض، مما يدل على أنه تم جماعياً بسلطان الرسل وقوانينهم التي نقرأ عنها في التعاليم والقوانين المعروفة باسمهم. حيث تبدأ ليتورجية الإفخارستيا بدعوة رئيس الإفخارستيا للجماعة لإعطاء البركة لله (فلنشكر الرب ـ حيث كلمة «نشكر» هي في الأصل العبري ''فلنبارك''). وهي نفس الصلاة التي كانت تُقال على المائدة بعد العشاء، أي بعد الأغابي، والرب ماسك كأس البركة (كأس الشكر الآن أو كأس الإفخارستيا) في يده، يقول البركة (الشكر) والتلاميذ يردون عليه.

هنا بداية الإفخارستيا الأصلية، أي بداية الشكر، فالذي كان يُقال في نهاية وليمة العشاء أصلاً ''وهكذا بعد العشاء أخذ كأساً وشكر''، صار في الوضع الجديد للإفخارستيا بعد انفصالها عن

الأغابي **هو الذي يُقال كبداية الإفخارستيا** = "**فلنشكر الرب**". ومن هنا جاءت التسمية "**سر الشكر**" أو ''الإفخارستيا''.

أمَّا كسر الخبز فرُفع من وضعه الذي كان قبل العشاء، أي قبل الأغابي، وانضم للإفخارستيا، فدخل في صميم سر الشكر، واحتفظت الأغابي لنفسها بنوع من "**كسر الخبز**" إنما ليس في وضعه السرِّي، أي ليس على مستوى «**كسر الخبز**» الذي يحمل سر جسد الرب كالإفخارستيا.

10 ـ عندما بدأ القديس مرقس الرسول والقديس متى الرسول يكتبان، كلٌّ منهما، إنجيله (65ـ80م) كانت الأغابي قد انفصلت عن الإفخارستيا في ممارسة الكنيسة حسب الطقس الكنسي المستقر وقتها. لذلك اكتفى كل منهما بتسجيل ما تم وقت عشاء الرب في حدود سر الإفخارستيا فقط: « **وفيما هم يأكلون** أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم...» هنا قوله: «وفيما هم يأكلون» إشارة عابرة للأغابي لم يُذكر شئٌ عنها أو كيف بدأت.

كذلك حينما بدأ القديس لوقا يكتب إنجيله، ذَكَر ضمناً أيضاً كأس **الأغابي** الذي يؤخذ قبل كسر الخبز، ولكنه أوضح أنه ليس هو كأس البركة (أو كأس الشكر = الإفخارستيا)، إذ عاد فذكر كسر الخبز بعد ذلك ثم كأس البركة التي أدخلها الرب في دائرة السر الإلهي بأن جعلها كأس العهد الجديد بدمه.

فإذا ضممنا بداية كلٍّ من تسجيل القديس مرقس الرسول مع بداية تسجيل القديس لوقا الإنجيلي، اتَّضح لنا معالم وليمة الأغابي هكذا: «**ثم تناول كأساً وشكر** (''بارك'' حسب أصول بداية وليمة الأغابي) **وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم**[78] ... وفيما هم يأكلون» هذه هي الأغابي في تسجيلات العشاء السري وقد وُضعت جانباً دون أي تركيز من الإنجيليين عليها.

11 ـ أول ذِكر لكلمة "**إفخارستيا**" مع تحديد واضح لطقس ليتورجيتها وترتيبها ونظامها يأتينا من القديس كليمندس الروماني (92ـ101م) كممثِّل لكنيسة روما (ثالث أسقف عليها). وهو المعروف أنه رأى الرسل القديسين وتشاور معهم، وهو يقول في رسالته إلى كورنثوس:

[ليت كل واحد منكم، أيها الإخوة، يقدِّم الإفخارستيا لله كلٌّ في طقسه.][79]

---

(78) سوف يجد القارىء في قوانين الرسل وتقليد الكنيسة لهيبوليتس أن طقس الأغابي يحتِّم على الأسقف أن يبارك على كأس الأغابي، ويذوق منها، ويجعل كل واحد من الحاضرين أن يذوق منها.

(79) Clement, I, *Corinth*., I. 40.

صورة توضيحية للمراحل التي عبرت عليها الإفخارستيا حتى استقلَّت تماماً عن الأغابي

المرحلة الأُولى:

ونأخذ مثالاً لها **العشاء السري** الذي أكمله الرب مع تلاميذه **الأخصاء، ليلة الخميس**.

ونلاحظ في هذا الطقس الأول أنه لم يكن فيه أي نداء أو تنبيه، ولكن لم يخلُ من خدمة شمَّاسية ربما قام بها القديس يوحنا الرسول، بحسب الطقس اليهودي، لأنه كان أصغر الجماعة سناً، حينما قدَّم إبريق الماء وطست الغسيل والمنشفة للرب.

وهذا العشاء، تم فيه ومن خلاله «**سر الشكر الإلهي**»، أي بجوار العشاء العادي، ومن خلاله قدَّس الرب بيديه وكلماته خبزة واحدة من الخبز الموضوع وكأساً من الخمر، الخبز في أول العشاء والخمر في آخر العشاء. حيث صيَّر الخبز جسداً له بالسر وأكل منه التلاميذ جميعاً، ثم استكملوا عشاءهم من كل أنواع الأطعمة، وبعد العشاء من هذه الأطعمة قام الرب وغسل أرجل تلاميذه، وجلس مرة أخرى على المائدة وأخذ الكأس، وتُسمَّى «كأس البركة» أو «كأس الشكر» وصلَّى عليها صلاة الشكر، أي صلاة الإفخارستيا، وذاق وأعطاها لتلاميذه. فشربوا منها جميعاً ـ ثم سبَّحوا كثيراً وخرجوا (انظر الجدول في الصفحة التالية).

ونلاحظ هنا أمرين:

الأول، أنه في بداية العشاء العادي وقبل تقديس الخبز تبتديء وليمة العشاء بكأس خمر عادية لم تدخل ضمن السر الإلهي، لأن الرب قدَّس الكأس الأخير فقط المسمَّى «**كأس البركة**».

أمَّا الأمر **الثاني**، فهو حينما يُقال أن الرب «**بارك**» أو أن الرب «**شكر**»، معنى ذلك أنه تلا صلاة بل ربما صلوات للبركة أو الشكر.

(1) كأس الأغابي	(2) سر كسر الخبز	(3) العشاء	(4) التطهير	(5)	(6) الشكر على كأس البركة	(7) التسبيح
عادي بصلاة خاصة يذوق منه الرئيس ويعطي كل واحد ليذوق منه. ذكره: لوقا الإنجيلي	**جزء أساسي من السر النصف الأول من الذبيحة =** (**الجسد**) وداخل في العشاء «**وفيما هم يأكلون** أخذ خبزاً وبارك وكسر»: التناول من الجسد.	عادي من كل الأطعمة	«**قام عن العشاء**» (داخل في صميم السر) «غسل أرجلهم» تحول إلى غسل يدي الكاهن تعبيراً عن الاستعداد	خروج يهوذا = منع غير المستعدين	**= صلاة الإفخارستيا** والكأس في يد الرئيس: (أ) فلنشكر الرب: مستحق وعادل (ب) **كافة الطلبات** (ج) **التذكارات** (زكَّارون بالعبري) (د) التناول من الكأس (الدم)	يبدأ عندما يحمل الرئيس الكأس في يديه. أي أن التسبيح كجزء أساسي في الذبيحة = **ذبيحة التسبيح** مكمل لصلاة **الإفخارستيا** ويسير معها.

ملاحظات:

أولاً: طقس مسائي ـ كان للأخصاء من التلاميذ ـ يحوي عشاءً كاملاً «عشاء الرب»

ثانياً: الأجزاء السرية هي: (أ) كسر الخبز، (ب) التطهير، (ج) صلاة الإفخارستيا على الكاس مع الطلبات والتذكارات، (د) التسبيح أثناء وبعد التناول.

المرحلة الثانية:

ونأخذ مثالاً لها ما جاء في الديداخي مبدئياً:

1ـ هنا تنفصل الأغابي برمَّتها وتصير عشاءً مستقلاً تماماً، ولكنها تبقى متلازمة مع سر الإفخارستيا من حيث المكان (في البيوت) والزمان (في المساء فقط)، وذلك ليبقى هذا الترابط معاً على مفهوم وروح «**العشاء**» «**السري**» كعشاء محبة وسر مقدَّس.

2ـ هنا طقس الأغابي يأتي كله معاً في البداية، ثم يطرأ فاصل زمني يقف فيه الشماس وينادي «من أجل التطهير» حتى «**يتقدَّم**» المتطهرون أو الأطهار (وهنا معنى الطهارة يبدأ ينصبُّ على المجال الروحي الداخلي الذي كان أصلاً غسل الأرجل أو الأيدي إشارةً وتضميناً معنوياً له، حيث يستطرد الشماس ويقول: ''ومن لم يكن طاهراً **فلْيَتُبْ**''. ولكن يبقى هذا الفاصل الزمني فرصة أيضاً لغسل الأيدي).

3ـ انفصال الأغابي لتكون عشاءً خاصاً لم يُفقدها صفاتها الأصيلة كوليمة روحية تؤكل للملء والشبع، ولكن في حضرة الرب، حيث الطعام كله يُحسب **طعاماً روحياً** بجوار أنه جسدي وكذلك الخمر، وذلك بسبب الصلاة على الأكل ثم الشكر عليها. غير أن الخبز والخمر في الأغابي لا يرتقيان إلى وضع التقديس، بمعنى أنهما لا يصيران جسد ودم المسيح.

4ـ انفصال الأغابي بمفردها واقتصار بعض الحاضرين على الأكل منها حتى النهاية بدون الاشتراك في سر الإفخارستيا اللاحق عليها، اضطر الطقس إلى أن يستحدث فيه:

(أ) «**صلاة**» لكسر الخبز خاصة غير صلاة التقديس السري الأصلية التي انتقلت إلى الإفخارستيا.

(ب) صلاة شكر خاصة تتناسب مع وليمة الأغابي عوض صلاة الإفخارستيا الرسمية السرية التي كانت تُقال على العشاء السري كله في النهاية.

(ج) كذلك فإن انفصال الإفخارستيا عن الأغابي، اضطر الطقس أن ينقل صلاة **كسر الخبز السري التي كانت في بداية الأغابي ويضمها منفردة إلى الإفخارستيا**. وهنا حدث أمر جديد وخطير، حيث انتقل كسر الخبز إلى ما «**بعد**» صلاة الإفخارستيا التي تُقال على الكأس، أي أصبح كسر الخبز يأتي بعد الصلاة على الكأس**!!**

(د) هكذا أصبح عشاء الرب السري مكوَّناً من فترتين زمنيتين كل واحدة بطعامها وطقسها: الأُولى عادية بكل ما فيها ولكن لم تُعدَم أن تكون روحية، والثانية سرية وعلى أعلى ما تكون السرية. في الأُولى نأكل ونشرب بالمحبة في حضرة الرب، وفي الثانية نأكل ونشرب بالسر من جسده المقدَّس ودمه الكريم. (انظر الجدول في الصفحة التالية).

ملاحظات:

أ ـ استقل سر الإفخارستيا تماماً وابتدأ يأخذ وقتاً أطول.

ب ـ ظهرت تكرارات حتمية أَوْجَبَتْها اعتبارات طقسية وتقليدية لم يمكن تفاديها بسبب الآتي:

وليمة أغابي + **سر الإفخارستيا (الشكر)**

1 كأس الأغابي	2 كسر خبز الأغابي	3 العشاء	4 شكر الأغابي		نداء الشماس	1 صلاة الإفخارستية	2 صلاة الإفخارستية	3 كسر خبز	4 التسبيح
كما هي بصلاة لا يُذكر فيها دم المسيح	خاص بالأغابي بصلاة لا يُذكر فيها جسد المسيح	من كل الأطعمة	بصلاة خاصة تتناسب مع ظروف الوليمة	**فاصل زمني لغسل الأيدي**	بخروج غير المستعدين: مَنْ كان طاهراً "**فليتقدم**" وغير الطاهر **فَلْيَتُبْ**	بالبركة والشكر: + "فلنشكر الرب" + "مستحق وعادل"	بالبركة والشكر: (أ) **على الخبز** (ب) **على الكأس** (ج) **الطِلبات** (د) **التذكارات**	الإفخارستيا 1.(القسمة) بصلاة خاصة هي أصلاً صلاة كسر الخبز 2.التناول من الجسد والدم معاً	أثناء وبعد التناول
يحضر الأسقف أو القسيس أو الشماس إلزاماً					**كان الأسقف وحده هو المسئول عن الإفخارستيا مع الشمامسة، في البدء**				

أولاً: طقس «**كسر الخبز**» الذي كان يأتي في البدء في أول الأغابي انتقل وجاء بعد طقس صلاة الإفخارستيا الذي كان يأتي في النهاية على الكأس، وهو الخاص بالشكر العام على الوليمة كلها، هذا ترتب عليه عدة تعديلات سيأتي ذكرها فيما بعد.

ثانياً: لم يمكن زحزحة صلاة الإفخارستيا (التي كانت تُقال أصلاً والرئيس ماسك الكأس بيده اليمنى) عن موضعها الأصلي بعد التطهير أو بعد المناداة للأطهار أن يتقدموا، فاضطر الطقس لكي يتفادى مجيء صلاة الشكر على **الكأس** قبل صلاة البركة على **الخبز** ـ حيث أن هذا لا يجوز قطعاً ـ (كما رأينا في العشاء السري، لأن الرب أخذ «**أولاً الخبز**» وبارك **ثم في النهاية** «**أخذ الكأس**» وشكر)، لهذا احتفظ الطقس بصلاة الإفخارستيا بعد التطهير في البداية كما هي (فلنشكر الرب، مستحق وعادل)، **ولكن دون أن يمسك الرئيس الكأس**.

ثم بعد صلاة الإفخارستيا، وبعد الصلاة على الخبز استطاع أن يمسك الكأس

«**ويقول**» عليها مرة أخرى «**وشكر**» فقط **دون أن** «**يتلو**» **صلوات** الشكر الأصلية ـ أي الإفخارستيا ـ على الكأس وهي في يده مرة أخرى لأنه سبق وقالها في البداية.

ج ـ انفصال الأغابي عن الإفخارستيا تماماً هيَّأ الفرصة لتخلُّص الإفخارستيا من وضعها المسائي. فبدأت تُمارَس في النهار كطقس صباحي يبدأ في الفجر. أمَّا الأغابي، وهي أصلاً عشاء محبة، فلم تفقد التزامها بزمنها الأصلي، أي المساء لأنها بقيت أيضاً محتفظة باسم «**عشاء**».

áÈÇÈ ÇáÎÇã

ÜÇá ÇáÑÈ æÇáÃÓÝÇÑ Çá

شكل الإفخارستيا الأساسي واصطلاحاتها
كما وردت في الأسفار الأخرى غير الأناجيل

أولاً: الأفعال الأربعة الأساسية في الإفخارستيا:

لكي نستطيع أن نتتبع الإفخارستيا في النصوص الأُولى التي وردت فيها، ينبغي قبل الخوض في هذه الأبحاث أن نعرف تماماً **ما هي الأفعال الأساسية التي تحدِّد شكل الإفخارستيا** عموماً الواردة في كافة المراجع الأساسية، حتى نستطيع أن نفرِّق بينها وبين وليمة الأغابي التي تُذكر دائماً معها، خصوصاً في النصوص الأُولى المختصرة.

الحدود الأساسية التي تحدِّد شكل الإفخارستيا:

حينما نتتبع الإفخارستيا كما وردت في الأناجيل وفي رسالة القديس بولس الرسول الأُولى إلى أهل كورنثوس، نجد أن الرب أكملها في سبعة أفعال متتالية، يفصل العشاء (أي الأغابي) ما بين الأربعة الأُولى والثلاثة الأخيرة. فإذا أخرجنا الأغابي (أي العشاء) نواجه الإفخارستيا في سبعة أفعال متتالية هكذا:

«**أخذ** خبزاً، **وبارك**، **وكسر**، **وأعطى**، وقال» ... ثم بعد العشاء «**أخذ** كأساً **وبارك** (شكر) **وأعطى**، وقال» ..

«ثم سبَّحوا وخرجوا»

فلما انفصلت الأغابي عن الإفخارستيا في الكنيسة ـ وهذا بدأ يحدث كما رأينا منذ بداية سفر الأعمال، أي منذ الإفخارستيا الأُولى بعد العشاء السري الأخير ـ انضمت أفعال البركة على الخبز وعلى الكأس معاً. وكذلك انضم أخذ الخبز مع أخذ الكأس معاً في تقديم واحد متتالٍ. فصارت الإفخارستيا بعد تحرُّرها نهائياً من الأغابي تشتمل على أربعة أفعال أساسية واضحة جداً ومختصرة:

1ـ **التقديم** (تقديم الحمل) = (**أخذ** خبزاً، **أخذ** كأساً).

2ـ **الصلوات** والشكر على الخبز والخمر (التقديس) = (**بارك، وشكر**).

3ـ **القسمة** = (**وكسر**).

4ـ **الاشتراك** = (**وأعطى**).

هذه الأفعال الأربعة الرئيسية في الإفخارستيا حتمية، وهي تشكِّل الحدود الرئيسية لكل

إفخارستيا عُرِفت حتى الآن في جميع أنحاء العالم ومنذ البدء. وكل مَنْ حاول أن يغيِّر فيها أو يختزل منها حرمته الكنيسة.

وينبغي أن نعرف أن فصل الأغابي عن الإفخارستيا هو الذي ألزم تحديد الإفخارستيا بأربعة أفعال بدل الأفعال السبعة التي أكمل بها الرب السر في ليلة الخميس.

كما ينبغي أن نعرف أن دمج البركة على الخبز مع البركة على الكأس معاً بعد رفع الأغابي من الوسط، ألزم الكنيسة أن تؤجِّل **قسمة الجسد** (الخبز الإفخارستي) **إلى ما بعد البركة على الكأس!!** في حين أن الرب كسر الخبز بعد البركة على الخبز مباشرةً «**فبارك وكسر وأعطى**»؛ وذلك قبل أن يأخذ الكأس بمدة طويلة.

ولكن بإلهام خاص تنبهت الكنيسة القبطية إلى هذا وعملت عملاً لكي تتفادى هذا التخطِّي، فلكي تحافظ على ترتيب الرب في جعل قسمة الخبز الإفخارستي تأتي بعد البركة التي تُتلى عليه مباشرةً، قامت بتقسيم جزئي للقربانة (الجسد) بعد البركة على الخبز مباشرة حيث يقول الكاهن على الخبز «**وقسَّمه**» وذلك قبل البدء في البركة على الكأس.

ويقول العالِم "جريجوري دكس" إن هذا الإجراء مستحدث في الكنيسة القبطية منذ القرن الرابع عشر فقط، ولكن برجوعنا إلى ترتيب القداس كما سجله العالِم "ابن كبر" في كتابه "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" ـ وهو متنيح سنة 1375م، أي أنه عاش وخدم منذ بداية القرن الرابع عشر ـ فقد وجدناه يذكر هذا التقسيم بهذا الترتيب الذي ذكرناه. ويستحيل أن يستحدث قسيس لكنيسة المعلَّقة طقساً للكنيسة القبطية، فهو يسجِّل تقليداً أصيلاً مستلَماً ومتوارثاً منذ مئات السنين.

ولكن المعروف أن الكنيسة الأنجليكانية، وهي كنيسة هذا العالِم الإفخارستي «جريجوري دكس» هي التي أخذت عن الكنيسة القبطية هذا التقليد وأدخلته على طقسها في القرن الرابع عشر[1].

ثانياً: النصوص الإفخارستية التي سجَّلها سفر أعمال الرسل:

ولو أن هناك نصوصاً كثيرة في سفر الأعمال بخصوص الإفخارستيا وردت تحت الاصطلاح «كسر الخبز» والاجتماع في «اليوم الأول» من كل أسبوع الذي يشير إلى طقس الإفخارستيا دائماً، إلاَّ أنه يوجد نص واحد متكامل جدير بأن نفحصه بكل عناية، **أولاً** بسبب كونه أول نص

(1) Greg. Dix., *The Shape of the Liturgy*, p. 49, n. 2.

إفخارستي يصلنا بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، **وثانياً** لأنه يختص بأول جماعة مؤمنة اعتمدت وقبلت الإيمان إثر خطاب القديس بطرس الرسول، أمَّا **ثالثاً** فلكونه يقوم على أساس ليتورجيا كاملة، **مما** يفتح ذهننا لنفهم أن الإفخارستيا بدأت أول ما بدأت كاملة بطقس ليتورجي كامل وليس كما ظن كثير من العلماء أن الإفخارستيا الأُولى كانت مجرد صلاة قصيرة على الخبز والكأس يعقبها تناول وتهليل**!**

نص إفخارستية سفر الأعمال (42:2)

+ «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل ـ والشركة ـ وكسر الخبز ـ والصلوات، وصار خوفٌ في كل نفس.» «**يواظبون**»:

يُلاحَظ أن مفتاح فهم هذا النص يوجد في الكلمة الأُولى «**يواظبون**» فأصلها اليوناني proskarteroàntej يفيد معنى «**يكرِّسون أنفسهم لعمل ما**». وقد وُجدت هذه الكلمة منقوشة على مبنى أثري لمجمع في آسيا الصغرى على البحر الأسود يرجع زمنه إلى سنة 80م وهي تفيد في ترجمتها معنى الانتظام في الحضور إلى المجمع للعبادة[2]، ولكن ليس مجرد انتظام بل إن الكلمة في تحليلها اللغوي توحي بمعنى **الالتصاق بأمانة وإخلاص إلى درجة الإصرار والعناد حتى العبودية**[3].

وهذا في الواقع ما يتضمنه وما يشير إليه دائماً سفر الأعمال في استخدام هذه الكلمة «**وكانوا يواظبون "بنفس واحدة"** على الصلاة والطلبة» (أع 1 : 14)، «وكانوا "**كل يوم**" **يواظبون في الهيكل بنفس واحدة**» (أع 2 : 46)، «"**وأما نحن**" **فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة**.» (أع 6 : 4)

فالمواظبة هنا يدعمها **أولاً**: **تكريس جماعي على مستوى التعهد** «**بنفس واحدة**»، ويدعمها **ثانياً**: **الإصرار في الانتظام** «وكانوا **كل يوم** يواظبون» **وثالثاً**: يدعمها **التخصص مدى الحياة ومن دون الناس جميعاً**، وهنا معنى التكريس الحقيقي «**وأمَّا نحن**». ثم نجد أن المواظبة تشمل هنا الصلاة والطلبة وحضور الهيكل وخدمة الكلمة، فهي مواظبة للعبادة بكل معنى وشمول.

---

(2) Moulton & Millegan, *Vocabulary*, p. 548.

(3) Liddell and Scott. *Greek-English Lexicon.*

وهكذا إذ نعود إلى النص الإفخارستي: «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات» (أع 42:2)، نجد في كلمة «المواظبة» هنا أول جزء من التسجيل الإفخارستي الذي ينبهنا إلى تصوُّر **مكان اجتماع عام للصلاة وجماعة متفقة** بل متعاهدة معاً على الحضور بإصرار في **ميعاد مقرر بدقة باستعداد كامل للاشتراك في خدمة** دينية.

وهنا يلزمنا جداً أن نقف قليلاً لنسأل: هل يمكن أن توجد عبادة جمهورية حقة بدون هذه المواظبة الصادقة الأمينة؟ ألا نرى هنا أن المواظبة هي هي روح العبادة للجماعة وهي برهان تكريس القلب والحياة للرب؟!

والآن لا يصعب علينا أن نكمل الصورة، ففي نفس الأصحاح وفي العدد السابق مباشرةً لهذا النص الإفخارستي، أي في (أع 41:2)، نقرأ عن ثلاثة آلاف نفس قبلوا البشارة من فم القديس بطرس الرسول، قبلوها بفرح واعتمدوا وانضموا إلى الكنيسة! إذاً، فهؤلاء الثلاثة آلاف نفس هم الذين تعاهدوا وواظبوا. هذه هي أول كنيسة في العهد الجديد، وهذه هي صورتها الحارة الأمينة المخلصة في العبادة والصلاة وإقامة الإفخارستيا!

وهنا جديرٌ جداً بالقارىء أن ينتبه لقيمة الإفخارستيا **كمركز أساسي يلتئم حوله المؤمنون، وتدور حوله العبادة**، **ويتم بواسطته التحام الجماعة**، كما يُعتبر أيضاً بمثابة **باب مفتوح لدخول الراغبين في الإيمان**. والآن يمكننا أن نقسِّم هذا النص الإفخارستي الوارد في سفر الأعمال هكذا:

1– «**يواظبون على تعليم الرسل**»:

هذا في الواقع هو الجزء الأول والأساسي في ليتورجية الإفخارستيا، إذ يستحيل أن تقوم ليتورجيا بدون خدمة الكلمة!! هذا هو ما نسميه الآن «ليتورجية الكلمة» أو ما نسميه تجاوزاً «قداس الموعوظين» والحقيقة التي ينبغي أن نعرفها تماماً أن هذا ليس قداساً للموعوظين بل هو القداس الذي يُصرَّح للموعوظين أن يحضروا فيه. ولكنه أصلاً وبالأساس هو للمؤمنين، وهو قداس الكلمة «ليتورجية الكلمة» والإنجيل الذي ينبغي أن يسبق قداس الإفخارستيا أو ليتورجية الإفخارستيا، لأن الكلمة هنا أساسية بالنسبة للإفخارستيا لأنها تعدُّ المؤمنين لسر الجسد والدم لأنها تطهرهم «**أنتم** أطهار بسبب الكلام الذي كلمتكم به» (يو 3:15). وينبغي أن نلاحظ جيداً أن هذه الآية قالها الرب لتلاميذه **على الإفخارستيا** ليلة الخميس.

أمَّا حتمية بدء الإفخارستيا بليتورجية الكلمة وشرحها، فهذا يؤكده سفر الأعمال نفسه في

موضع آخر: «وفي أول الأسبوع إذ كان التلاميذ **مجتمعين ليكسروا الخبز، خاطبهم بولس** وهو مزمع أن يمضي في الغد وأطال الكلام إلى نصف الليل!» (أع 7:20). كذلك يؤكد ذلك شهادة القديس يوستينوس (سنة 150م) في احتجاجه الأَول[4]. كذلك هناك إشارة سرية في معظم الرسائل التي للقديس بولس الرسول والقديس بطرس، تفيد أن الرسائل التي كان الرسل يرسلونها للكنائس، كانت تُحفظ بدون قراءة حتى تُقرأ على الكنائس في اجتماعهم الأسبوعي قبل الإفخارستيا مباشرةً باعتبارها حضوراً رسولياً بالتعليم والكلمة والشهادة التي ينبغي أن تسبق الإفخارستيا. أمَّا هذه الإشارة السرية التي على مستوى الشفرة فهي «قبِّلوا بعضُكم بعضاً بقبلة مقدَّسة» فعندما يتلوها الأسقف أو الكاهن (أو النبي أو المعلِّم في بداية العصر الرسولي) تكون هي بمثابة الإشارة لبدء الإفخارستيا بعد أن يقبِّلوا بعضُهم بعضاً (رو 16:16، 1كو 20:16، 2كو 12:13، 1تس 26:5، 1بط 14:5).

أمَّا هذه الرسائل فهي التي يشير إليها النص الإفخارستي الذي نحن بصدده، بقوله «وكانوا يواظبون على **تعليم الرسل**» حيث كانت تعاليم الرسل في البدء كلها إما شفاهية بحضور الرسل أنفسهم أو بواسطة رسائلهم.

2– «**وعلى الشَرِكَة**» koinwn…a:

هنا لفظة «الشَرِكَة» تأتي طقسية في سياق الطقس، وتفيد الشركة الروحية عامةً أو شركة الحياة معاً. ولكن على التخصيص، تفيد هنا أيضاً «**شركة المائدة**» أو الاشتراك معاً في مائدة واحدة. وهذا هو المعنى الذي يناسب زمان استخدامها، فقد جاءت في نفس الزمان تقريباً في سفر حكمة يشوع بن سيراخ بمعنى واضح **كشريك مائدة** koinwnÕj trapezîn (10:6). وجاءت أيضاً في سفر طوبيا (طو 2:2 بحسب النسخة السينائية) «**ليأكل معي في شركة**» f£getai koinîj met' ™moà. وقد استخدمها القديس بولس الرسول في رسالته الأُولى إلى كورنثوس بهذا المعنى أيضاً حينما قال: «**الذين يأكلون** الذبائح هم **شركاء** koinwno… المذبح.» (1كو 18:10)

وهكذا نجد أن المواظبة على الشركة هنا تأتي في هذا النص الإفخارستي بمعنى المواظبة على وليمة الأغابي، حيث تأتي وليمة الأغابي قبل الإفخارستيا، حسب التقليد القديم، أو بحسب وضعها الأول في عشاء الخميس. ولكن في وقت لاحق، نجد أن كلمة «الشركة» (كينونيا) امتدت بعد ذلك لتشمل الإفخارستيا باعتبارها شركة في مائدة الرب، ثم تخصصت كليةً للإفخارستيا بعد ذلك.

(4) Justin Martyr, *Apology* I, 67. 4.

3ـ «وعلى كسر الخبز»:

ـ لماذا أُطلق على الإفخارستيا في البداية اصطلاح «كسر الخبز»؟:

بحسب التقليد اليهودي القديم يسمَّى كل سفر بأول كلمة فيه أو أول عمل فيه، وكذلك كافة الطقوس والصلوات، ولا يزال هذا متوارثاً في الكنيسة القبطية حتى الآن، فنجد مثلاً عند توزيع المزامير، يعيَّن المزمور بأول كلمة فيه.

وهنا «كسر الخبز» هو في حقيقته أصلاً الطقس السري الذي كانت **تبدأ به** «الأغابي والإفخارستيا معاً» ولكن لأن الأغابي تقدَّمت على الإفخارستيا منذ البدء منذ يوم العشاء السري لذلك رفع الرسل كسر الخبز وضمُّوه بصفته السرية إلى الإفخارستيا، كما هو وارد أيضاً في إنجيل القديس مرقس وإنجيل القديس متى، **فسُمِّيت الإفخارستيا** «**كسر الخبز**». وهذا يوضحه بولس الرسول بصورةٍ قاطعة في قوله: «الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟» (1كو 16:11)

هذا الوضع يتضح لنا أكثر من انتهار بولس لأهل كورنثوس الذين أساءوا إلى كرامة السر المقدَّس وكرامة الكنيسة بسبب انحلالهم في ممارسة وليمة الأغابي قبل الإفخارستيا، مما جعله ينصحهم أن يأكلوا في بيوتهم الأغابي أولاً ثم يأتوا ليكمِّلوا سر العشاء في الكنيسة ـ أي الإفخارستيا ـ التي ينبغي أن تبدأ حينئذ بـ «كسر الخبز» بل إن هذا الوضع يزداد يقيناً ووضوحاً حينما نعود إلى كلٍّ من إنجيل القديس مرقس وإنجيل القديس متى لنقرأ عن ظروف النص الإفخارستي الأول هكذا: «**وفيما هم يأكلون** أخذ يسوع **خبزاً وبارك وكسر** وأعطاهم وقال خذوا **كلوا**...» (مر 22:14)

إذاً، فوليمة الأغابي التي أقامها الرب كانت سابقة لسر الإفخارستيا مباشرة، بحسب الترتيب والطقس والزمن، لأن القديس مرقس يقول إنه «**وفيما هم يأكلون**» (الأكل العادي للأغابي)، «**أخذ يسوع خبزاً، وبارك وكسر وأعطاهم وقال لهم خذوا كلوا**».

فإذا عدنا الآن إلى النص الإفخارستي لسفر الأعمال: «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل **والشركة وكسر الخبز**» ندرك كيف ولماذا يجيء «**كسر الخبز**»، أي الإفخارستيا بعد «**الشركة**» **التي تفيد الأغابي**، فهنا وضع تطبيقي أصيل لسر عشاء الرب بالكامل، لأن الإفخارستيا التي كانت تبدأ بكسر الخبز أخذت وضعاً محدداً منفصلاً تماماً عن الأغابي الأُولى!!

4 ـ «والصلوات»:

الصلوات وتشمل الشكر والتسبيح بالمزامير، كانت عملاً طقسياً وطبيعياً بآن واحد، لأن الفرح

والمسرة وبهجة القلب وعمل النعمة في المؤمنين بعد التناول كانت تدفعهم لتكميل ترتيب السر الذي يتحتم أن ينتهي بالتسبيح قبل الانصراف كما في عشاء الخميس. فالنعمة والتسبيح لا يمكن فصلهما، كما يُثبت ذلك سفر الأعمال نفسه: «وإذا هم يكسرون الخبز في البيوت، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبِّحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب.» (أع 2: 46و47)

وبهذا نجد أن سفر الأعمال يقدِّم لنا إفخارستيا قائمة بذاتها من بعد الأغابي في طقس كامل يشمل «**ليتورجية الكلمة**» ثم «**الإفخارستيا**» ثم «**ليتورجية الصلاة والتسبيح**» في الختام.

5- «وصار خوف في كل نفس» g…neto d\e fÒboj ™:

هنا لا نستطيع أن نعبُر على هذه الإشارة دون تنبيه ذهن القارىء إلى أهميتها، لأنها تدخل في صميم ليتورجية الإفخارستيا.

فبالرغم من أن الأثر المباشر لولائم المحبة واجتماع المؤمنين معاً وتسبيحهم وشكرهم ظهر على هيئة « ابتهاج» كما تقول الآية (46:2)، ولكن، بآن واحد، صار «**خوف في كل نفس**». هنا أثر الإفخارستيا كحضور للرب هو الذي أنشأ هذا الخوف المقدَّس أو المخافة الإلهية.

إذاً، مسرة الأكل والشرب وفرح الأُلفة بين المؤمنين روحياً شيء، والخوف المتولد من الشعور بحضور الرب والشركة في جسده ودمه كاعتراف وشهادة وذكر إيماني لموته شيء آخر.

ليتورجية الإفخارستيا هي في الحقيقة تواجد حقيقي في حضرة الرب مع ملائكته، وهو في أوج سلطانه ومجده، حيث يكون أثره المباشر في النفس الرهبة العظيمة التي تملأ القلب. أمَّا كسر الخبز ذاته، أي التناول من الجسد والدم، ففيه استعلان مباشر للرب المصلوب الميت والمقام، حيث يكون أثره المباشر شركة في الذبيحة ذاتها في الجسد المكسور المتألم والمحيي والدم المسفوك للفداء والتكفير.

الخوف الذي ملأ نفوس الثلاثة آلاف الذين اعتمدوا وواظبوا على تعاليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات هو في الحقيقة شهادة حية ناطقة بأمانة عبادة وصلاة هؤلاء المؤمنين الجدد، وبرهان صادق على استجابة الله لعبادتهم وصلواتهم، **لأن هذا الخوف لم ينشأ في قلوبهم من ذاته بل بسبب حضور الرب وإحساسهم ويقينهم بحضوره**.

وهنا يلزمنا أن ننبه القارىء إلى أن هذه الإشارة الواردة هنا في هذه الآية: «وصار خوف في كل نفس» هي أصل ومنشأ مناداة الشماس اليوم على طول القداس قائلاً بصوت عالٍ: «**قفوا بخوف**

الله»! «انصتوا بخوف الله»! «اسجدوا لله بخوفٍ ورعدةٍ»!!

أمَّا السبب في هذه المناداة الطقسية، **فهو أنه ثابت من التقليد الرسولي والطقسي المسلَّم منذ البدء مع شهادات القديسين أنه في هذه اللحظات يكون الرب حاضراً.**

ومن أهم **الطقوس والاصطلاحات التي لها علاقة بالإفخارستيا** والتي تسلَّمت الكنيسة أصولها منذ سفر الأعمال والرسائل ما يأتي:

1ـ تقدمات وعطايا وهبات الشعب من الأطعمة التي كانوا يُحضرونها للكنيسة لعمل الأغابي والإفخارستيا، ظلت جزءاً لا يتجزأ من سر الإفخارستيا حتى بعد انفصال الأغابي، وظلت تُسمَّى بـ«**عطايا الشكر**» أو «عطايا الصعيدة» وكانت تحوي ضمناً «الخبز والخمر» وهذه كان يُنتخب منها ما يلزم من خبز الإفخارستيا وخمر الإفخارستيا. أمَّا الباقي فكان يتم توزيعه بعد انتهاء التناول.

وقد جاء ذكر هذه التقدمات في أقوال كلمندس العلاَّمة، والقديس يوستين الشهيد، والقديس إيرينيئوس.

2ـ ذِكْر القبلة المقدَّسة التي في نهاية الرسائل حينما كانت تُتلى في الاجتماعات في أول الأسبوع (يوم الأحد)، وإقبال الشعب عليها كطاعة للرسول قبل البدء في التناول، بدأت تأخذ وضعها كطقس عام بعد قراءة الأسفار حتى ولو لم يكن فيها ذكر لهذه القبلة.

3ـ تقديم الأموال عند اجتماع الشعب في أول كل أسبوع لخدمة الفقراء (1كو 1:16؛ 2كو 9،8؛ رو 13:12؛ عب 16:13؛ أع 7:20)، دخلت هذه العادة كجزء لا يتجزأ من طقس ليتورجية الإفخارستيا يوم الأحد. وقد ظلت قائمة بدون انقطاع. فنقرأ عنها في أيام القديس يوستين الشهيد (في منتصف القرن الثاني) حيث كان يبدأ توزيعها بعد التناول مباشرةً، وهي لا تزال أيضاً قائمة حتى اليوم.

أمَّا الاصطلاحات الطقسية، فقد تسلَّمتها الكنيسة كما هي منذ أيام الرسل، والأمثلة على ذلك هي:

1ـ الكاهن الخديم للذبيحة: وهذه جاءت على لسان القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية (16:15) leitourgÕn ƒerourgoànta = يخدم ذبيحة.

2ـ قربان (صعيدة): prosfor£ بروسفورا ـ أمَّا كلمة «بروسفورا» في تركيبها اللغوي اليوناني، فهي تفيد «إصعاد» أو «تقديم» أو «رفع» **وأصلها في العبرية من الفعل "قَرِبَ" "يَقْرَبُ" "قُرباناً"**، مثل ''قرأ'' ''يقرأ'' ''قرآناً''. **فالقربان هو ما يُقرَّب إلى الله**، مثل ''الصعيدة'' وهي ما نصعده أمام الله.

أمَّا كلمة «أنافورا¢nafor£» فهي تفيد عملية التقديم أو الإصعاد بكاملها أو باستمرارها، وهكذا تنصبُّ كلمة «أنافورا» على ليتورجية أو خدمة إصعاد الصعيدة.

وأول تسجيل في كتابات الآباء لكلمة «أنافورا¢nafor£» والفعل منها ¢nafšrein جاءت في كتابات العلاَّمة أوريجانوس في شرحه لإنجيل يوحنا (6: 33و34)، ثم في قوانين الرسل: الكتاب الثاني فصل ـ 4:59 والكتاب الثامن ـ فصل 3:47 بمعنى «ليتورجيا» وانتهى تحديد الكلمة على أساس أن «البروسفورا» هي الصعيدة أو التقديم أو القربان، و «الأنافورا» هي خدمة صلاة تقديم الصعيدة.

3ـ قربان مقبول: prosfor¦ eÙprÒsdektoj (رو 16:15).

4ـ قربان مقدَّس بالروح القدس: ¹giasmšnh ™n pneÚmati ¡g…J (رو 16:15).

5ـ ذبيحة حية مقدَّسة: qus…an zîsan ¡g…an (رو 1:12).

6ـ خدمة (ليتورجية) الكلمة أو ليتورجية عقلية: logik¾n latre…an (رو 1:12).

7ـ ذبيحة وليتورجية (خدمة) إيمانية: qus…v ka^ leitourg…v tÁj p…stewj (في 17:2).

8ـ كهنوت مقدَّس: ƒer£teuma ¡g…ou (1بط 5:2).

9ـ ذبائح روحانية: pneumatik¦j qus…aj (1بط 5:2).

10ـ لنا مذبح (مسيحي) لا سلطان للذين يخدمون المسكن (خيمة الشهادة = كهنة الهيكل القديم) أن يأكلوا منه qusiast»rion (عب 10:13).

11ـ «ذبيحة التسبيح»: qus…an a„nšsewj (عب 15:13).

وهي ترجمة حرفية لما جاء في اللغة العبرية القديمة بخصوص الاصطلاح الطقسي الذبائحي القديم = ذبيحة السلامة أو ذبيحة الشكر، في سفر اللاويين (7: 11ـ 13): «**ذبيحة السلامة** التي يقربها للرب ... **لأجل الشكر** ... مع أقراص خبز خمير ... قربان مرفوع للرب»

وتُكمَّل هنا هذه الاصطلاحات الإفخارستية مما ورد أيضاً في **سفر الرؤيا**:

12ـ مذبح سمائي، ومبخرة من ذهب مملوءة جمر نار، وبخوراً كثيراً مقدَّماً مع صلوات (رؤ 3:8).

أمَّا «**المذبح السمائي**» فهو يُذكر في القداس عند رفع البخور دائماً. و«**المبخرة الذهب**» لها لحن

خاص عند بدء تقديم البخور.

و«**البخور المرفوع مع الصلوات**» أساسيٌّ عند تقديم الصلوات في كل الأواشي.

13– «**اسماء مكتوبة في سفر حياة الخروف الذي ذُبح**» (رؤ 13:8). «ولن أمحو **اسمه من سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته**.» (رؤ 5:3)

وهذا هو أساس طقس تسجيل الشمامسة للأسماء في سجل خاص قبل تقديم الحمل، وفيه أسماء الذين قدَّموا القرابين والعطايا والضحايا والنذور والبكور والزيت والبخور والستور وكتب القراءة وأدوات المذبح وأسماء الذين تنيحوا والمرضى والمسخَّرين في المناجم (المسمَّاه المطابق في أوشية المرضى) والذين في النفي والسبي والسجون، حيث كانت تُتلى هذه الأسماء بنظام وترتيب خاص على المذبح أثناء صلوات القداس وسيأتي الكلام عنها.

14– «متسربلاً بثوبٍ إلى الرجلين **ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب**» (رؤ 13:1). «من يغلب فذاك سيلبس ثياباً بيضاً.» (رؤ 5:3)

وهذا في الواقع هو أساس ملابس الأسقف حيث المنطقة الذهبية التي على الثديين هي الآن « البالين» الموشَّى «**بالذهب**»، حيث مفهوم المنطقة التي تكون على حقوي الفخذين لا وجود لها الآن في الخدمة السمائية لأنها كانت تشير إلى شد الوسط وخدمة الجهد والعافية الجسدية، أمَّا خدمة التقديس السمائي فهي تقوم على رفع القلب «متمنطقاً عند ثدييه» أي فوق القلب**!!**

15– «**إكليل الحياة**» (رؤ 10:2)، «وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً ـ ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين "**بثيابٍ بيض**" وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب.» (رؤ 4:4)

وهو أساس التاج الذي يلبسه الأسقف أو رئيس الأساقفة باعتبار أنه صار الراعي الصالح الذي تعهد أن يكون أميناً حتى الموت واضعاً نفسه عن الخراف الناطقة. وبذلك يصبح إكليل الأسقف أو البطريرك ليس تمجيداً أو كرامة له، ولكن تمجيداً للجالس على العرش الذي يتم حضوره في الجسد والدم على المذبح.

16– «مَنْ يغلب فسأُعطيه أن يأكل من **المن المخفي وأعطيه حصاةً بيضاء** وعلى الحصاة اسم جديد مكتوب لا يعرفه أحد غير الذي يأخذ.» (رؤ 17:2)

وقد أخذت الكنيسة هذا معتبرةً أن خبز الإفخارستيا هو المن المخفى ووضعت لحن التوزيع **ⲡⲓⲱⲓⲕ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲱⲛϩ** = ''خبز الحياة'' على أساس هذا المعنى.

أمَّا الحصاة (أي الجوهرة) البيضاء التي عليها الاسم الجديد، فهي جزء الجسد الذي يتناوله المؤمنون باعتبار أنه هو الحصاة أو الجوهرة التي عليها الاسم الجديد، أي العربون السرِّي الذي يمكن أن يقدمه الإنسان ليدخل به ملكوت الله.

17– «سأُعطي كل واحد منكم بحسب أعماله.» (رؤ 23:2)

ويُلاحَظ أن القديس كلمندس الروماني يوردها أيضاً في رسالته إلى كورنثوس مقتبساً إياها من سفر الرؤيا ومن سفر إشعياء. وإشعياء النبي يذكرها بمناسبة مجيء الرب.

وهذه هي المناسبة الأساسية التي من أجلها تُذكر هذه الآية في صلوات الإفخارستيا، ذلك باعتبار أن الرب يُعتبر حاضراً في الذبيحة (قد أتى). وبذلك تصبح هنا الآية شديدة الحبك «هوذا الرب **يأتي** ومجازاته أمامه **ليعطي كل واحد حسب أعماله**» (إش 11:62 – الترجمة السبعينية). حيث يهتف الشعب في هذه اللحظة: (كرحمتك يا رب ولا كخطايانا).

18– «وإنما الذي عندكم تمسَّكوا به **إلى أن أجيء**» (رؤ 25:2). أخذت الكنيسة هذه الوصية ووضعتها على فم المسيح وهو يبارك على الخبز والخمر. ولو أن بولس الرسول قدَّمها لأهل كورنثوس وكأنها وصية من نحو المسيح بضمير الغائب «**إلى أن يجيء**»، ولكن يقدِّمها لنا هنا يوحنا الرائي بفم المسيح نفسه «**إلى أن أجيء**» وقد استخدمها القداس بفم المتكلِّم كما جاءت هكذا في سفر الرؤيا**!!**

ثالثاً: موقف أسفار العهد الجديد من طقوس الليتورجيا:

كل ما تَسَجَّل عن الإفخارستيا في سفر الأعمال أو في رسائل القديس بولس الرسول أو غيرها من الرسائل لا يتطرَّق أبداً إلى كيفية خدمة الإفخارستيا، أي الليتورجيا بحد ذاتها، ولا إلى أي توجيه من جهة الطقوس الخاصة بهذا السر. فكل نصوص العهد الجديد عن الإفخارستيا لا تتعدَّى الإشارة المختصرة والشحيحة والعابرة عن إقامة الإفخارستيا فقط.

أمَّا كل ما اعتنت به النصوص الواردة عن الإفخارستيا، فهو توضيحٌ إمَّا لمعناها أو كشفٌ عن أسرارها اللاهوتية العميقة أو توجيه النفس إلى توقير هذا السر الرهيب والاحتراس في الاقتراب إليه، وذلك بالكشف عن آثاره في النفس والجسد والروح، كما فعل القديس بولس الرسول في رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس.

أمَّا بخصوص كيفية إقامة الإفخارستيا وترتيب ليتورجيتها وأصولها المسلَّمة من الرسل، فهذا ما

احتُفظ به دائماً للمختصين والمؤهَّلين، وذلك أيضاً عن طريق «التعليم السريDisciplina arcani» .

وقد أشار إلى ذلك القديس بولس الرسول نفسه بعد حديثه عن الجسد والدم والشركة فيهما وكرامة هذا السر بقوله: «وأمَّا الأمور الباقية فعندما أجيء أُرتِّبها» (1كو 34:11). ويلاحظ أن كلمة «أُرتِّبها» هنا مبهمة ولا تمثل الترجمة الصحيحة للكلمة الأصلية كما جاءت باليونانية diat£xomai التي تُترجم «أُطقِّسها» أو «**أضع طقوسها**».

أمَّا هذه الأمور الباقية التي يشير إليها فهي ما استجدَّ من الاحتياجات الإقليمية على الطقوس المعمول بها. لأنه لا يفوتنا أن كل الأناجيل والرسائل كُتِبَت بينما طقس الإفخارستيا كان قد تأسس بل وتأصَّل في صميم العبادة، وسرى في الكنيسة كلها منذ عشرين سنة على الأقل فما فوق.

هذا من جهة كتابتها، أي كتابة الأناجيل والرسائل، أمَّا من حيث انتشارها في الكنيسة كلها ككتب قانونية يمكن الرجوع إليها وقراءتها بجوار أسفار العهد القديم فهذا لم يتم إلاَّ بعد مائة سنة على الأقل.

ففي هذه الفترة الطويلة عاشت الكنيسة على الإفخارستيا كمصدر عبادة وتقديس وتطهير وغفران وتجديد وانطلاق إلى السماء. فألوف من القديسين والشهداء ومئات الألوف من الأتقياء عاشوا وماتوا وكل إيمانهم وتعلُّقاتهم بالرب كان من خلال الإفخارستيا مع القراءات والتعاليم التي كانوا يسمعونها في الكنيسة قبل تقديم الإفخارستيا، وهم لا يملكون وثيقة أو رسالة أو إنجيلاً أو خولاجياً. أمَّا كل ما كانوا يملكونه فكان المسيح نفسه، الذي يتلاقون معه في أول كل أسبوع ليغتذوا بجسده ودمه، وكلمته وسره وحضوره.

واضح جداً، إذاً، أمام القارىء أن الأناجيل وكل أسفار العهد الجديد لم تكن في البدء مصدراً لترتيب أو تأسيس الأسرار عموماً، ومن بينها سر الإفخارستيا. فسرُّ الإفخارستيا في الكنيسة سابق في تأسيسه والعمل به على كل الأناجيل والرسائل، فهو تقليد قائم بذاته، قديم أقدم من كل أسفار العهد الجديد، فهو لم يستمد أبداً أصوله أو ممارساته أو قوانينه من أسفار العهد الجديد، بل كان يستمد دائماً سلطانه وترتيباته وقوانينه بالتسليم والعادة الجارية في الكنيسة. وهذه كلها كوَّنت بحد ذاتها سلطاناً قوياً منفرداً، دون أي مصدر آخر، لأنها كانت مسلَّمة من الرب نفسه بحسب أصول وترتيبات العشاء السري الذي تأسس فيه هذا السر.

ولكن يهمنا أيضاً أن نعرف أن الكنائس كلها عادت بعد القرن الأول إلى الأناجيل مرة أخرى

لتعدِّل على نورها ما رأته مناسباً لتكميل الإفخارستيا[5].

ولكن بظهور الأناجيل والرسائل وبقية أسفار العهد الجديد، تأيَّد جداً سلطان التقليد الإفخارستي في الكنيسة، لأن الأسفار صدَّقت على كل ما كانت الكنيسة تمارسه في هذا السر بل وزادته وضوحاً ويقيناً وشرحاً وكرامةً وخوفاً.

ويكفي للقارىء أن يراجع ما سجَّله العهد الجديد بخصوص هذا السر:

1ـ في رساله القديس بولس الرسول إلى أهل كورنثوس الأصحاح الحادي عشر، وفيها يدرك قيمة هذا السر في عُرْف الكنيسة والرسل والرب نفسه!!

2ـ ثم إذا ذهبنا إلى سفر الرؤيا نسمع الرب نفسه يتكلَّم بالسر المخفى عن حضوره الشخصي العجيب في هذا السر المدعو بسر "**العشاء**": «ها أنذا واقف على الباب (القلب) وأقرع (بالكلمة)، إن سمع أحد صوتي (التوبة) وفتح الباب (الإيمان والرجاء) أدخل إليه (في سر الكنيسة) "**وأتعشَّى**" معه (شركة في آلامنا) **وهو معي** (شركة في آلامه بالأكل من الجسد والدم للحياة الأبدية).» (رؤ 20:3)

هكذا يصوِّر سفر الرؤيا حضور الرب ولطفه وشركته معنا في سر الإفخارستيا. ويلاحظ القارىء كلمة «أتعشَّى معه» فهي تشير إشارةً سرِّية إلى «**عشاء الرب السرِّي**» الذي أخذته الكنيسة القبطية. فكلمة «عشاء الرب» الذي استخدمته الكنيسة القبطية في العصور الأُولى وجعلته طقساً ليلياً تُقام فيه الأغابي مع الإفخارستيا هو في الواقع تطبيق رؤيوي كانت تعيش فيه الكنيسة على مستوى سفر الرؤيا باعتبار مجيء الرب الحادث بالروح حسب وعده وكإمتداد لعشاء الخميس معاً بحرية مذهلة أذهلت العلماء حتى اليوم، لأن هذا الطقس ظل سارياً حتى في أقصى صعيد مصر حتى القرن الخامس عندما بدأت المجامع والتحديدات والقيود والحرومات المرعبة.

3ـ ولكن يعود سفر الرؤيا ويتكلَّم بالسر المخفى لأولاد السرِّ عن لقمة الإفخارستيا (جزء الجسد) التي يتناولونها، من على مائدة الرب وكيف أنها تحمل لنا شهادة التطهير (بيضاء)، وخِتْم الخلاص الذي يُعبَّر عنه بالاسم الجديد الذي يؤهِّلنا للعبور إلى ملكوته: «مَنْ يغلب فسأعطيه أن "**يأكل**" من **المن** "**المخفى**"، وأعطيه حصاة y»foj = جوهرة ذات قوة إلهية[6] **بيضاء**، وعلى الحصاة **اسم جديد** مكتوب لا يعرفه أحد غير الذي يأخذ.» (رؤ 17:2)

(5) Lietzmann, *Mass and Lord's Supper*, p. XIII.

(6) Liddell & Scott., *Greek English Lexicon*, 1968.

وقد أدرك هذا المعنى الآباء القديسون الملهمون منذ البدء، إذ يقول كتاب تعاليم الرسل، القانون الثالث والثلاثون:

لأجل مَن يتعمَّد:

[ولا تُعلِّموا غير مؤمن بهذا إلاَّ بعد أن يتناول أولاً هذه البركة (الأولوجية = الإفخارستيا) المقدَّسة التي قال عنها يوحنا الرسول إنه مكتوب عليها اسم جديد لا يعرفه أحد إلاَّ الذي يقبل التزكية.]
(مخطوطة ''النوموكانون'' ـ 251 المكتبة الأهلية بباريس)

ولأجل هذا أيضاً يشدِّد الآباء على أن يكون خبز القربانة أبيض حتى يتم فيه القول حصاة «**بيضاء**».

4ـ وحينما يقدِّم القديس يوحنا الرسول في إنجيله الحوار التاريخي (هذا الحوار المؤسف الذي لا يزال للأسف جارياً حتى الآن عند الذين رفضوا السرّ المسلَّم بالتقليد) بخصوص سر الإفخارستيا وحقيقة الجسد: «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً (يقابل ذلك الآن البروتستانت والكنائس التقليدية) قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟» (يو 52:6)، فإن هذا الحوار لم يعد له وجود عند الذين قبلوا السرَّ، لأن بالسرِّ نفسه أُعلن لهم كيف يأكلون الجسد!! وكيف يقدر المسيح فعلاً أن يعطينا جسده لنأكله!!!

5ـ ثم يأتي القديس بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين ويقطع خط الرجعة على كل الذين أشفقوا وأبقوا على عبادتهم اليهودية وتمسُّكهم بالذبائح القديمة من أن يشتركوا في هذه الذبيحة الإلهية باعتبارها السرّ الذي يحوي جميع معاني الذبائح ويُلغيها «''**لنا مذبح**'' (مائدة الرب) لا سلطان للذين يخدمون المسكن (كل الكهنة وكل اللاويين الذين يخدمون الهيكل القديم) أن يأكلوا منه» (عب 10:13). وعلى القارىء أن يتصوَّر مدى الاعتزاز ومدى الثقة ومدى الاكتفاء الذي يشعر به الإنسان اليهودي الذي تنصَّر وتعمَّد وقَبِل المسيح ربًّا وإلهاً، عندما يقرأ هذه الآية من نحو ''المذبح'' الجديد، و''الذبيحة'' الجديدة. وهكذا شدَّدت الأسفار في العهد الجديد من ''سلطان'' المذبح الجديد وسلطان الإفخارستيا باعتبارها الذبيحة الكاملة التي ألغت الذبائح وأنهت على كل خدمات الهيكل القديم، وكهنوته بالتالي.

6ـ ويعود القديس بولس الرسول ويُنهي على تقليد الفصح القديم (عيد الأعياد عند اليهود)، ويوقفه وقفة الأبد في «إفخارستيا» الفصح الجديد الذي قُدِّم مرة واحدة على الصليب عن حياة العالم كله لفكِّ عبودية الإنسان، والذي يُقدَّم على المذبح كل يوم لنجاة وتجديد كل يوم على قدر

سقوط الإنسان كل يوم! «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا "**الإفخارستيا**"، إذاً، لنعيِّد (الأغابي كل يوم) ليس بخميرة عتيقة (خبز الشهوة أي خبز العبودية)، ولا بخمير الشر والخبث (أي خبز الضلال)، بل بفطير (خالي من الشر) الإخلاص والحق (أي خبز **الأغابي** الذي يتقدَّس بالصلاة). »(1كو 5: 7و8)

هذه الآية تعطي كل مَنْ يتناول من الإفخارستيا كل يوم، لو شاء، نفس الإحساس الكبير والمركَّز الذي كان يشعر به الرجل العبراني ليلة الفصح في كل سنة! ولكن عوض أرض كنعان ملكوت السموات.

الإفخارستيا، بهذا الشرح الرسولي، صارت عيد الفصح اليومي وبهجة الخلاص الدائم والمتجدد من العبودية المرَّة. وبهذا أعطى العهد الجديد تزكية لتقليد الإفخارستيا ليكون فيها كل اكتفاء للإنسان المسيحي عوض كل تذكارات العهد القديم المبهجة، بحيث أصبح «ذكر موت الرب» من داخل الإفخارستيا وبواسطتها «كفصح مذبوح لأجلنا» فكاكاً دائماً لنا ومصدر بهجة.

7ـ حتى الخوف الذي أحاط به القديس بولس الرسول سرَّ الإفخارستيا عندما كشف عن حقيقته كمصدر دينونة وعقاب وتأديب لكل مَنْ يتقدَّم إليه بدون استحقاق (أي في حالة لا تتناسب مع ما يجب أن يكون عليه عضو في جسد الرب)، هذه الدينونة المخيفة حوَّلها بولس الرسول إلى تزكية جميلة وفريدة من نوعها، لا نملك إزاءها إلاَّ أن نخضع للإفخارستيا كمجلس قضاء ينتهي بالتأديب ثم بالبراءة!! «لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير **مميِّز** جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء، ومرضى، وكثيرون يرقدون، لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا (التوبة وقوانينها) لما حُكم علينا. **ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدَّب من الرب لكي لا نُدان مع العالم.**» (1كو 11: 29ـ32)

أي أن التأديب الحاصل بسبب خطأ التقدُّم بدون استحقاق (أحياناً بسبب الجهل أو عدم المعرفة أو عدم التعليم الصحيح)، فإن هذا التأديب يتحول في النهاية إلى عدم دينونة هناك.

8ـ ويعود القديس بولس الرسول أيضاً ويصف الاشتراك في الإفخارستيا أنه ذَوْقٌ للمواهب السماوية!! وذوق لقوات الدهر الآتي، وبهذا يفتح المجال أمام الإفخارستيا باعتبارها مصدر مواهب سماوية ومصدر قوة الحياة الأبدية: «لأن الذين **استنيروا مرةً** (معمودية واحدة) **وذاقوا الموهبة** السماوية (الأكل من الإفخارستيا الخبز الحي النازل من السماء)، وصاروا **شركاء** الروح القدس

(باعتبارهم يتناولون الجسد المقدَّس ويشربون الدم بالروح القدس من مائدة الرب = شركاء مائدة الرب الحالّ عليها الروح القدس) وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي.» (عب 6: 4و5)

فالإفخارستيا هنا مصدر إثمار روحي للإنسان كالأرض الطيبة التي تشرب المطر السمائي المبكِّر والمتأخر معاً، فهي حتماً تثمر. لأن المطر المبكِّر يجعل النمو مبكِّراً وسريعاً، والمطر المتأخر يكمِّل النمو حتى الإثمار.

فالإفخارستيا، بهذا المعنى، طعام وشراب الحياة من بدايتها حتى نهايتها، الذي حتماً يثمر للحياة الأبدية ــ مواهب وقوة روحانية.

9ــ ويعود القديس بولس الرسول أيضاً ويعطينا في الإفخارستيا الرجاء المنظور والمحسوس لمجيء الرب الذي تنتظره كل الأجيال حتى والتي عبرت أيضاً، فكل عين في السماء وعلى الأرض تتطلع لمجيئه، ولكن لنا في الإفخارستيا صلة حية بهذا المجيء وربطٌ محسوس وثيقٌ يربطنا بذلك اليوم السعيد الآتي حتماً، وعهدٌ متَّفق عليه ومختومٌ بختم دم إلهي بروح أزلي نغمس فيه إصبع إيماننا القلبي مع شفاهنا كل يوم إلى أن يجيء: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تُخبرون بموت الرب **إلى أن يجيء**.» (1كو 26:11)

فالإفخارستيا لا تشكِّل فقط عهداً جديداً بل وعهداً متجدداً أيضاً إلى أن يجيء. نعم آمين تعالَ دائماً أيها الرب يسوع!!

10ــ ثم إن القديس بولس الرسول يفتح ذهننا أيضاً إلى حقيقة سرية، وهي **أننا نستقي الروح القدس من على مائدة الرب**. الإفخارستيا مصدر عطاء الروح القدس كشرابٍ جماعي خاص بالأعضاء الثابتين في جسد المسيح «لأننا جميعنا بروحٍ واحدٍ أيضاً اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ (المعمودية) وجميعنا سُقينا روحاً واحداً ... وأمَّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً.» (1كو 12: 13و27)

11ــ ويعود القديس يوحنا الرسول ويكشف أكثر فأكثر للكنيسة بعد مضي خمسين سنة على ممارساتها لسرِّ الإفخارستيا عن مركز هذا السر في حياتنا: «فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أُقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق. مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه.» (يو 6: 53ـ56)

هذه الآيات ليست جديدة على القارىء، ولكن الجديد هو أن يعرف القارىء أن هذه الآيات كُتبت والكنيسة تقيم الإفخارستيا، وتعطي الجسد والدم على المذبح كل يوم أو كل أسبوع على مدى أكثر من خمسين سنة**!!** لأن القديس يوحنا الرسول كتب إنجيله في نهاية القرن الأول سنة 95م تقريباً.

والقديس يوحنا الرسول الذي كتب هذا، كان يقف على المذبح ويقدِّم الإفخارستيا ويُناول الشعب من الجسد والدم. ومعروف أن هذا الرسول المبارك هو أول مَنْ استخدم ملابس كهنوتية بيضاء للخدمة وتاجاً على رأسه (لاحظ أن القديس يوحنا الرسول كان شديد التأثر بالملابس البيضاء وتأويلها الروحي ـ انظر سفر الرؤيا).

والأمر الذي يشدِّد من إيماننا جداً هو أن القديس يوحنا الرسول الذي كتب هذا كان يرى أيضاً في الإفخارستيا تحقيقاً لما كُتب، وكان يمارس الإفخارستيا بنفسه، وأوصى في رسائله أن «دم المسيح يطهرنا من كل خطية».

12ـ وأخيراً يشدِّد القديس بولس الرسول من إيمان الكنيسة ومن مفهومها للإفخارستيا كمصدر سرِّي فعَّال لوحدة المؤمنين معاً في جسد واحد سرِّي للمسيح: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح. الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد» (1كو 10: 15ـ17). هكذا استخدم القديس بولس الرسول **الإفخارستيا كمصدر شرح وإلهام لاهوتي**.

أترى معي أيها القارىء كيف تأتي كل شهادات العهد الجديد لتثبت للمؤمنين الممارسين لسر الإفخارستيا **أن الإفخارستيا هي خلاصة الإنجيل قبل أن يُكتب الإنجيل!!** وكيف كانت الإفخارستيا، ولا زالت، مصدر شرح وإلهام لاهوتي؟!

هذا المفهوم لازم لنا جداً لندرك أن ليتورجية الإفخارستيا لم تأخذ مادتها وترتيبها وطقسها وصلواتها من الإنجيل أو أسفار العهد الجديد، ولم تكن النصوص الإنجيلية هي الحدود الضابطة لشكل الإفخارستيا الأُولى في الكنيسة، ولكن جاءت أسفار العهد الجديد عند كتابتها شاهدة لصحة التقليد الأول وضابطة وحافظة له ومُبرهِنَة على صدق وأصالة كل الحدود الموضوعة، كما أعطت أسفار العهد الجديد الشرح اللاهوتي المطابق لفاعلية السر، وأنارت ذهن الكنيسة لفهم عظم قيمة هذا السر من جهة أثره ومن جهة واجباته اللازم اتباعها حتى تناله بدون دينونة.

áÈÇÈ ÇáÓÇ

ÇáÅÝÎÇÑÓÊíÇ æáíÊæÑÌíÊåÇ

القرن الأول والقرن الثاني في الكنيسة عامة

مقدِّمة

إن كان يتحتم علينا الآن أن نبحث عن تسجيلات للإفخارستيا الأُولى خارج أسفار العهد الجديد، فعلينا أن نواجه أولاً السؤال الهام في هذا البحث:

- **هل كانت توجد ليتورجيا خارج الإنجيل لخدمة الإفخارستيا محدودة ومسجَّلة بألفاظها في الكنيسة الأُولى أيام الرسل يتبعها كافة الرسل ويلتزم بها كل مَنْ أقاموهم رؤساء في الكنائس في أيامهم ومن بعدهم؟**

للإجابة على هذا السؤال يلزم أن نضع بعض النصوص أمام القارئ ليستقرئ منها الجواب:

1– من «الديداخي» (سنة 100م) ـ (مدوَّن في نهاية القرن الأول ومادته تشمل عصراً أسبق):

[اسمحوا للأنبياء أن يقدِّموا صلوات شكر (في الأغابي والإفخارستيا) بقدر ما يشاءون][(1)].

2– من خدمة يوم الأحد للشهيد يوستين (سنة 150م):

[وبعد أن نفرغ من صلواتنا، يُقدَّم الخبز والخمر والماء، والمترئِّس يقدِّم صلوات وشكراً (إفخارستيا) **على قدر ما يستطيع**، والشعب يعبِّر عن موافقته بقوله آمين][(2)].

3– من تعاليم الرسل في قدَّاس رسامة الأسقف: (مدوَّن سنة 325م ومادته من القرن الثالث):

[وهكذا فليصلِّ مقدِّم الكهنة على الذبيحة ويبتهل أن ينزل الروح القدس عليهم وعلى الخبز ليصير جسد المسيح والكأس ليصيِّره دماً للمسيح. **وإذا كملت الصلوات التي يجب أن يقولها**، ليتقرَّب الأسقف][(3)].

ويُلاحَظ هنا أنه لم يحدِّد الصلوات بل تركها للأسقف أن يقول ما يجب أن يقوله في هذه الحالة.

4– من هيبوليتس (تقليد الرسل) **سنة 215م**:

[والأسقف يقدِّم صلاة الشكر على حسب النموذج السابق، ولكن **ليس الأمر إلزاماً عليه أن يتلو نفس الكلمات التي قلناها، كأنه يلزمه أن يحفظها حتى يستطيع أن يقولها غيباً عن ظهر قلب في تقديمه الإفخارستيا لله، ولكن على كل واحد أن يصلِّي بقدر استعداده، فإذا كان قادراً أن يصلِّي كما يليق صلاة منطلقة وقوية فهذا حسنٌ**، ولكن إذا كان يصلِّي

(1) *Didache*, 10.7.

(2) Justin Martyr, *Apolog.*, I, 67.

(3) مخطوطة النوموكانون، رقم 251 المكتبة الأهلية بباريس – الكتاب الخامس لكليمندس ورقة 288، المقابل للقانون الثاني والخمسين من الكتاب الأول من قوانين الرسل (الذي به 71 قانوناً).

مردِّداً صلاة حسب نموذج ثابت، فلا مانع له من أحد. فقط ينبغي أن تكون صلاته صحيحة، وحسب التقليد](4).

وهكذا نستطيع الآن أن نقول إنه بالرغم من أن "**أفعال**" الإفخارستيا الأربعة كانت محددة ومستقرة منذ أيام الرسل ومنذ أول يوم أُقيمت فيه الإفخارستيا حتى اليوم، حيث لا يجرؤ أحد على أن يغيِّر في وضعها أو ترتيبها أو يزيد أو ينقص منها، وقد سبق أن ذكرناها، وهي ''أخذ'' و''بارك'' و''كسر'' و''أعطى'' التي هي تقديم (الحمل)، وصلوات الشكر على الخبز والخمر، والقسمة، والاشتراك؛ إلاَّ أن نفس الصلوات والكلمات التي **يجب أن تُقال** على كل فعل من هذه الأفعال الأربعة كانت متروكة لإلهام كل مَنْ يترأس خدمة الإفخارستيا في الليتورجيا، بل وكانت موضع إظهار مقدار النعمة التي وهبها الله **للرسول** في البداية ثم **النبي** ثم **الأسقف** أخيراً.

ولكن بالرغم من تنوُّع الصلوات التي وُجِدَت في النصوص حتى منتصف القرن الثاني وقبل ذلك أيضاً، إلاَّ أن الحدود العامة التي تكوِّن شكل الليتورجيا (ليس فقط من جهة الأفعال الأربعة المحددة بل أيضاً ومن جهة الصلوات التي تُقال من حيث مضمونها الإنشائي) وُجِدَت متشابهة في جميع الليتورجيات في مواطنها الأصلية المتفرِّقة، بالرغم من الاختلافات المميِّزة لكل ليتورجيا.

وليس ذلك فقط، بل بالبحث والتدقيق ـ كما سيرى القارىء ـ وُجِدَ أن كل الليتورجيات ليست فقط متفقة في شكلها العام ومتشابهة في مضمونها العام منذ منتصف القرن الثاني بحسب النصوص التي بين أيدينا، بل وإن هذا الشكل والمضمون العام هو أصيل ويتبع تقليداً رسولياً بلا أي شك، كما يقول العلاَّمة هيبوليتس: ''أن تكون صلاته صحيحة **وحسب التقليد**''.

ولكن هذا دفع بعض العلماء منذ القديم (منذ القرن السابع عشر)، كما يقول العالِم جريجوري دكس، للاعتقاد بأنه يوجد نص كتابي لليتورجيا رسولية واحدة أصلية مفقودة، أخذت عنها الكنائس بدون التزام، فظهرت بعض هذه الاختلافات المميِّزة ... ولكن الحقيقة غير ذلك.

فإن التشابه الحادث في الشكل والمضمون لحدود الإفخارستيا عامة، هو ناتج عن أن الآباء الرسل عندما صلُّوا وقدَّموا الإفخارستيا، حدَّدوا بالفعل المضمون العام الذي ينبغي أن تدور حوله كلمات الصلاة ويدور حوله الشكر في كل فعل من أفعال الإفخارستيا الأربعة. ومن هنا ظهرت خصائص الليتورجيات متحدة في المعنى ولكن مختلفة في التعبير واللفظ اختلافاً كبيراً، ولكنه اختلاف مميَّز على كل حال.

(4) Hippolytus *The Apostolic Tradition*, *9*, *cited by* J. Quasten, *Patrology* II, p. 189.

ولكن قد يُغري البعض أن يجروا وراء نص معيَّن يكون قد جعلوه نموذجاً ثمَّ يظنون أنه غير موجود أصلاً. بل موجود واكتشفناه بإلهام من الله وهو المسجَّل تحت العنوان ''تقديم الحمل'' والاسم نفسه يكشف حقيقته! فالاختلافات المميِّزة بين الليتورجيات الأُولى في تتبعها في كل فترة ما قبل مجمع نيقية، أي ما قبل سنة 325م، أمر ثابت ومقطوع به. أمَّا هذا الاختلاف المميَّز للإفخارستيا في كل زمان ما قبل نيقية، فهو راجعٌ أساساً إلى حرية رؤساء الكنائس والأساقفة في التعبير عن معتقداتهم، لأن الكنيسة لم تكن قد حدَّدت أو قنَّنت إيمانها ومعتقداتها وأسفارها القانونية، ولم تكن قد دخلت بعد في الحوار اللاهوتي العميق الذي انجلى بعد المجامع عن نصوص واصطلاحات وتعبيرات وقوانين غايةً في الدِّقة والحساسية، التزمت بها الصلوات في الإفخارستيا في كل مكان، فبدت متجانسة ومتحدة أكثر مما كانت أولاً.

ولكن هذا أيضاً لا يُغرينا أن نقول إن الكنيسة قبل نيقية كانت غير متحدة في الفكر أو الصلاة بأي نوع، ولكن الاتحاد الإيماني والوحدانية الروحية والفكرية لم يكونا محدَّدين بقانون أو ألفاظ معينة.

فكل رسول أول ما كرز بالبشرى والخلاص في الموطن الذي انطلق إليه، خدم الإفخارستيا «كعشاء سري للرب» فالإفخارستيا في كل قطر هي ختم الرسولية الأول، على أساس المسيح حجر الزاوية، والبذرة الأُولى التي انطلق منها الإيمان والخلاص والشركة مع المسيح. وكل كنيسة لما استلمت الإفخارستيا من الرسول الذي بَشَّرها، استلمتها كما من الرب بكل ألفاظها ومعانيها ولاهوتها كتقليد رسولي، فصار ذخيرتها التي تعتز وتتمسَّك بها، كما حدث للقديس بولس الرسول: «لقد تسلَّمت من الرب ما سلَّمتُكم» ولكن الرب لم يضع طقساً ولا ليتورجيا مطوَّلة بل سلَّم جسداً مكسوراً ودماً مسفوكاً، وقال لهم: «اصنعوا هذا لذكري»

لقد تبارت كل كنيسة لكي تبلغ في صلواتها إلى الأعماق التي فهمتها من هذه الذبيحة، ولكن في حدود ما قاله وما عمله المسيح. وهنا بدأت عوامل كثيرة تتدخَّل لإعطاء كل ليتورجيا في موطنها لونها الخاص ولاهوتها الخاص بحسب مزاج كل قطر روحياً ولاهوتياً، مع احتفاظ الليتورجيات بالشكل العام والمضمون والأفعال في مجموعها الكلي. أمَّا هذه العوامل فنلخِّصها كالآتي:

أولاً: الإفخارستيا كانت صلواتها مفتوحة لكل أسقف يعبِّر فيها، في حدود التقليد، بقدر إلهام الروح والتأمل والدراسة الشخصية.

ثانياً: مدى أو مقدار التحفُّظ، وكذلك مقدار التدقيق في استلام وتسليم التقليد الرسولي الذي

انحدر إلى الرسل من التقليد اليهودي السابق في زمن المسيح وما قبله، من جهة التعبيرات والترتيبات، وهو واضح جداً في رسالة القديس إكليمندس أسقف روما، بل وفي قوانين القديس أثناسيوس الرسولي بخصوص خدمة المذبح التي سيأتي الكلام عنها عند شرح قوانينه.

ثالثاً: الاقتباسات التي أخذتها الكنائس بعضها من بعض وأضافتها على تقليدها. روما أخذت من مصر، وسوريا أخذت من مصر، ومصر أخذت من سوريا.

رابعاً: التقدُّم السريع في الحوار اللاهوتي على مستوى مسكوني، أثَّر في التراكيب المستخدمة في الإفخارستيا. فمثلاً نجد في الإفخارستيا التي يقدِّمها هيبوليتس اصطلاحات لاهوتية عن الثالوث، لم تأخذ بها الكنائس الأخرى مع أنها اقتبست من ليتورجية هيبوليتس في مواضع أخرى[5].

ولكن بمجيء القرن الرابع، وبالتحديد سنة 325م ـ 360م، أي ما بين مجمع نيقية المسكوني ومجمع اللاذقية المكاني، **بدأت الليتورجيات تلتزم حدوداً ثابتة لا تتعدَّاها،** ولكن بقيت بعض صلوات (حتى إلى الآن مثل صلوات الصلح والقسمة وغيرها) مفتوحة للتغيير، إنما في حدود ضيقة.

ومن الأسباب المباشرة التي جعلت الليتورجيا تلتزم حدوداً لا تتعدَّاها مسألة تحديد الإيمان والعقيدة بنصوص لاهوتية مَجْمَعية لا يمكن التحوير فيها، وكذلك وعي الشعب الذي بدأ يزداد ويكون رقيباً على حرية الأسقف أو الإكليروس بوجه عام في الصلوات. ومعروف أن حساسية الشعب أقوى من القانون على حفظ التقليد**!!**

كذلك من الأسباب القوية التي جمَّدت أشكال الصلوات في الليتورجيا شدة تعلُّق الشعب بصلوات القديسين القدامى الذين كانت حياتهم مضيئة وأثرهم شديداً على تقوى الشعب، فألزموا القائمين على الصلاة سواء كانوا أساقفة أو كهنة بالاحتفاظ بصلواتهم في الليتورجيا. هذا بالإضافة إلى ضعف القائمين بالصلاة في الكنائس مما اضطرهم في النهاية إلى حفظ الصلوات عن ظهر قلب، كما يقول العلاَّمة هيبوليتس، وتسليمها فماً لفم. ولكن هذا كله حدث بعد أن استقرت كل ليتورجيا في مواطنها، حسب مميزاتها الخاصة تقريباً.

والآن نأتي إلى النصوص الخاصة بالإفخارستيا التي وصلتنا من بعد الأسفار المقدَّسة في القرنين الأَول والثاني، والتي تُعتبر النواة الأُولى والأساسية لليتورجيا المسيحية بوجه عام. مع التنبيه دائماً إلى أن خصائص الإفخارستيا كانت منذ البدء متأثرة إلى حد كبير بموطن نشوئها.

(5) Greg. Dix., *The Shape of the Liturgy*, p. 7. n. 1.

الفصل الأول

نصوص وترتيبات إفخارستية من القرنين الأول والثاني

أولاً: صورة الإفخارستيا في "الديداخي"

سنة 80–100م

خدمة يوم الأحد بحسب طقس الديداخي (**سنة 80–100م**)
(**وهي تمثل فكر الكنيسة العام في نهاية القرن الأول**):

وهو ما وصلنا مسجَّلاً في الوثيقة الكنسية الهامة المعروفة باسم "**الديداخي**" أو ''تعليم الرسل الاثني عشر''.

فبعد أن يذكر الكاتب في الفصلين 9و10 ترتيب طقس الأغابي، وقد أوردناه بكامله سابقاً، يعود في الفصلين 14و15 ويذكر ترتيبات الإفخارستيا مع التمسُّك بعدم الإفصاح عن مضمون صلواتها وترتيبها باعتبار أنها من الأسرار الممنوع إذاعتها كتابةً.

ونحن هنا نستثني من الطقس الإفخارستي الوارد في ''الديداخي'' ما جاء باسم «الإفخارستيا» في الفصول السابقة لذلك، وبالتحديد في فصلي 9و10، باعتبار أن الترتيب الذي جاء في هذين الفصلين يُفصح غالباً عن طقس الأغابي.

ونحن نورد هنا ما جاء فقط في الفصل 14 باعتبار أنه هو وحده المختص بالإفخارستيا.

وقد اعتمدنا في تقريرنا هذا، بعد بحث طويل مُضنٍ للغاية، على رأي العالِم Dom Connolly[1] وكذلك العالِم Kattenbusch والعالِم Gregory Dix (راجع أيضاً بحث الأغابي).

فصل 14:

[أمَّا يوم الرب (الأحد) فهو **ما للرب خاصةً** (كِيرياكِنْ) **اجتمعوا** فيه، **لتكسروا الخبز، وتصلُّوا الإفخارستيا**، بعد أن **تعترفوا بخطاياكم** لتكون **ذبيحتكم طاهرة**،

وليكفّ عن الاجتماع معكم كل مَنْ كان في خلاف مع أخيه حتى يتصالحا معاً **لكي لا**

---

(1) *Downside Review*, 1937, LV, p. 477ff, cited by Srawley, *The Early History of the Liturgy*, p. 22.

تتنجَّس ذبيحتكم،

لأن **هذه الذبيحة هي الذبيحة** التي قال عنها الرب: «لأن في كل مكان وكل وقت قدِّموا لي **ذبيحة طاهرة** لأني ملك كبير، يقول الرب، واسمي عجيب بين الأمم» (ملا 1: 11و14).]

فصل 15:

[**أقيموا لأنفسكم** أساقفة وشمامسة يكونون لائقين بالرب، أُناساً ودعاء غير محبين للمال، مؤتمنين ومختبرين،

لكي يقيموا لكم هم أيضاً هذه الخدمة التي **يقوم بها الأنبياء والمعلمون**.

ولا تحتقروهم (بسبب عدم وجود المواهب الظاهرة فيهم مثل الأنبياء)، بل فليكونوا مكرَّمين **مثل الأنبياء والمعلمين أيضاً**].

ملاحظات:

في الفصلين 9و10 أعطت الديداخي تحديداً للصلوات اللازمة على كأس الأغابي وخبز الأغابي والشكر الواجب بعد الشبع من وليمة الأغابي. أمَّا هنا فلا تُعطَى أي صلاة. لماذا؟ لأن الأغابي يصلِّي فيها الشعب بنفسه (في غياب المسئول)، أمَّا هنا ـ أي الإفخارستيا ـ فلا يصلِّي الشعب بل الأساقفة والشمامسة، والشعب يقول ''آمين'' فقط.

والديداخي مكتوبة لتكون كتاباً لإرشاد الشعب خاصةً، وذلك عن كيفية العبادة وما يلتزم أن يقوم به. ولكن لا يوجَّه فيه تعليمات للإكليروس أو المسئولين عن الصلوات. لذلك تكتفي الديداخي، في ترتيب طقس الإفخارستيا، بإعطاء الإرشادات التي من اختصاص الشعب فقط، ونلخِّصها كالآتي:

1ـ ارتباط الإفخارستيا بيوم الرب.

2ـ ارتباط الإفخارستيا بالاجتماع العام (كنيسة sunacqšntej).

3ـ الاعتراف بالخطايا.

4ـ مصالحة كاملة قبل التناول.

أمَّا طقس الديداخي من جهة شرحها للإفخارستيا فهو كالآتي: تنبه ذهن الشعب إلى أن:

1ـ الذبيحة طاهرة (كررت ذلك ثلاث مرات) ولكن للأطهار فقط (الذين يعترفون بخطاياهم ويكونون في مصالحة مع جميع الناس).

2ـ تُقام يوم الرب، والذي دُعي يوم الرب خاصةً بسبب هذه الإفخارستيا ''كيرياكين كيرِيُّو''.

3ـ الاعتراف قبل الإفخارستيا حتمي، حتى تصبح الذبيحة طاهرة بالنسبة للمتناولين منها.

4ـ الصلح قبل إقامة الإفخارستيا أمر حتمي ويقع تحت مسئولية مباشرة من الكنيسة كلها.

5ـ كسر الخبز قبل كأس الإفخارستيا، وهذا عكس ما وَرَد في فصلي 9و10 عن الأغابي. فهنا إفخارستية واضحة، ومجيء كسر الخبز قبل كأس الشكر يوضح اختلاف ما ورد هنا عما ورد في فصلي 9و10 تماماً.

حدود الإفخارستيا في "الديداخي":

أولاً: أمَّا الحدود الفاصلة بين وليمة الأغابي وطقس الإفخارستيا، في حالة تتابعهما معاً في نفس المكان والزمان، فهي مذكورة بكل عناية ووضوح. إذ في نهاية وليمة الأغابي، وبحسب ما تقول الديداخي، حينما **يمتلىء الآكلون ويشبعون**، يقدِّمون صلاة شكر على الأكل الذي أكلوه. وهنا الحدود النهائية للأغابي.

ثم تعود الديداخي وتقول في فصل (6:10) تحت رقم 12: [كل مَنْ هو طاهر فليتقدَّم والذي ليس طاهراً فليتُب]. هنا وبعد الامتلاء والشبع يبدأ طقس آخر تماماً هو طقس الإفخارستيا. وهنا يدعو الشماس الطاهرين فقط، أي المستعدين بالتوبة والاعتراف، للاشتراك فيه حيث ينعزل غير المستعدين للاشتراك في سر الإفخارستيا أولئك الذين تعتبرهم الديداخي لا يزالون محتاجين إلى توبة أي لم يمارسوا الاعتراف بعد.

ويُلاحَظ في طقس الإفخارستيا هذا الذي تسبقه وليمة الأغابي، أنه لا يكون بالضرورة داخل الكنيسة، كذلك فإن له مناسباته الاجتماعية الخاصة التي تناسب الأكل والشرب. وهو طبق الأصل مما يُجرَى الآن في الكنيسة تحت اسم إقامة قداس خصوصي يحضره أشخاص أحصاء معيَّنون تحت دافع خصوصي ويتكفَّلون بكل لوازم الإفخارستيا، أمَّا الفارق الوحيد بين ما جاء في الديداخي في هذا الشأن وبين القداس الخصوصي الجاري الآن فهو أنه في زمن الديداخي كان يُجرى في البيوت حيث يُستدعى الأسقف أو الكاهن لذلك. وغالباً كان الطقس يُجرى مبسَّطاً للغاية.

ثانياً: وهنا تعطينا الديداخي أيضاً ترتيباً آخر لإفخارستيا بدون أغابي، تحددها زماناً ومكاناً عن وليمة الأغابي. فهي تحدِّد لها يوم الأحد، وتُمعِن في تحديد يوم الأحد أن لا يكون مجرد اسم فقط ـ لأن يوم الأحد اسمه ''كيرياكي'' أي يوم الرب ـ إذ تقول ''كل يوم الرب''، «يوم (الأحد) الذي

"**للرب خاصةً**"» أي أنه مخصص للعبادة في الكنيسة ولإقامة الإفخارستيا.

هنا تكون الإفخارستيا ليست لأجل أكل وشرب وامتلاء أو ظروف خاصة لشخص ما، بل تقديم ذبيحة طاهرة، حيث تشدِّد الديداخي وتكرر ثلاث مرات أن الإفخارستيا هنا ذبيحة طاهرة.

ثالثاً: كذلك هنا تحتِّم الديداخي بضرورة الاعتراف بالخطايا قبل إقامة الإفخارستيا، الأمر الذي أغفلته نهائياً في حالة وليمة الأغابي في الفصلين 9و10.

وهنا تنبهنا الديداخي إلى أمرٍ هام وخطير، وهو أن ذبيحة الإفخارستيا طاهرة للأطهار فقط، وهذا ما سوف نسمعه في القداس بعد ذلك ''القُدْسات للقديسين''. أي أن كل مَنْ اعترف بخطاياه وغُفرت له وتطهَّر ضميره، تصبح الإفخارستيا له طاهرة، أي للتقديس والتطهير. أمَّا كل مَنْ لم يعترف بخطاياه ولم يُقلع عنها لتُغفر له وكان ضميره غير طاهر أمام الله، فإن الإفخارستيا لا تكون له ذبيحة للتطهير ولا تُقبل شركته فيها للطهارة أو للتطهير بل تكون للدينونة والضعف والمرض بل والموت، كقول القديس بولس الرسول.

بل وتزيد الديداخي في مسئولية الداخلين في شركة الإفخارستيا أن **يكونوا رُقَباء على بعضهم**، فلا يسمحوا لأحد يعرفون أنه في خطيئة أو في خصومة مع آخر أن يتقدَّم للشركة معهم، لأن شركة غير الطاهر تلوث أيضاً الباقين: «**لئلاَّ تتنجَّس ذبيحتكم!!**». وهذا أمر خطير للغاية، فوجود المتهاونين والمستبيحين والنجسين داخل القدَّاس واشتراكهم في الذبيحة يتسبب في ضرر يعمُّ الجميع!!! ومن هنا دخلت ضرورة القُبلة الجماعية أو المصالحة العامة كمقابل حتمي للاعتراف العام الذي كان يُجرَى علناً في العصور الأُولى[2].

رابعاً: الديداخي هنا تطالب الكنائس التي لم يُرسَم فيها أساقفة وشمامسة بعد بضرورة أن يقوموا بهذا الإجراء بعد التيقن من استحقاق المتقدمين لهذه الخدمة. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو هذا: فمن ذا الذي كان يُقيم الإفخارستيا في هذه الكنائس قبل رسامة الأساقفة والشمامسة؟

هنا يظهر بوضوح زمن الديداخي بالتحديد أنها كانت في العصر الأخير من أيام الرسل وبداية العصر بعد الرسولي، وذلك قبل نهاية القرن الأول، لأن ببداية القرن الثاني كانت جميع الكنائس يرأسها أساقفة. إذاً، الديداخي كُتبت حينما كان الأنبياء والمعلِّمون يقومون بهذه الخدمة باعتبارهم

(2) Origen, *In Ps. hom.* 37, 2, 5, cited by Quasten, *Patrology* II, p. 84.

معيَّنين من الله باختيار وتزكية الروح القدس، ببرهان الآيات التي كانت تُجرى على أيديهم والمواهب التي كانت منسكبة عليهم.

وهنا، كما سبق وقلنا ـ بداية عصر الانتقال من خدمة الليتورجيا والإفخارستيا وبقية الخدمات الإلهية في الكنيسة على يد رجالٍ ملهَمين بالروح القدس مختارين ومعيَّنين من قِبَل الله بشهادة مواهبهم، إلى خدام رسميين يختارهم الشعب بعد تزكية وصلاة وصوم وفحص وتدقيق. ويُلاحظ أنه يحدِّد ‘‘أساقفة وشمامسة’’ بدون قسوس!! لأن المعروف بحسب قانون الكنيسة الأول الذي عرفناه من القديس إغناطيوس الأنطاكي أن الإفخارستيا لا يقيمها إلاَّ أسقف، وقد أفرد لهذا الموضوع الكاتب الروسي ‘‘نيقولاي أثناسييف’’ كتاباً خاصاً أسماه ‘‘مائدة الرب’’ (مترجمة إلى العربية ـ منشورات النور ـ لبنان).

والقارىء للديداخي يستطيع أن يدرك حقيقة هذا الكلام بكل يقين، ونحن نقدم له بعض مقتطفات من كلام الديداخي الذي قدمته في الفصول ما بين وصف وليمة الأغابي في فصلي 9و10 وبين وصف سر الإفخارستيا في فصلي 14و15.

ففي الفصل الحادي عشر تقول الديداخي:

[رحِّبوا بكل مَنْ يأتيكم ليعلِّمكم كل الأشياء المذكورة قبلاً. غير أنه إذا حاد المعلِّم عن التعليم إلى ما يناقضه، فلا تُصغوا إليه (الكلام هنا يتضح منه أنه لا يوجد أسقف في الكنيسة ولا كاهن ولا شماس بالمرة، حيث يُطلب من الشعب أن يسهر على نفسه، بمقتضى الأناجيل والرسائل والتقليد التي بين أيديهم فقط).]

[فليرحَّب بكل رسول (لا يقصد الرسل الاثني عشر بل المبشرين الجائلين) يزوركم ترحيبكم بالرب، على أن يُقيم عندكم يوماً واحداً لا غير.]

[لا تمتحنوا نبياً ولا تحكموا في أمره وهو يتكلَّم بالروح (حالة الغيبوبة)، لأن كل خطيئة تُغفر، وأمَّا هذه فلا تُغفر.]

[كل نبي يأمر بالمائدة (أي يطلب أن تُقام وليمة أغابي) وهو يتكلَّم بالروح لا يأكل منها، وإلاَّ فهو نبي كاذب. (معروف أن الأغابي لا تُقام إلاَّ بأمر الأسقف، وذلك بحسب ترتيب القديس إغناطيوس الأنطاكي (استشهد سنة 110م)، إذاً، فالديداخي تمثل عصراً قبل عصر القديس إغناطيوس، أو هي تغطِّي المرحلة بين بولس الرسول والقديس إغناطيوس.]

[كل نبي ثبت صِدْقهُ (أي صِدْقُ تعاليمه) وهو يُقيم سر الكنيسة (الإفخارستيا) ويعيش عالمياً غير أنه لا يعلِّم الآخرين، أن يعملوا ما يعمله هو، لا تحكموا فيه بينكم لأن دينونته هي مع الله (لقد تحيَّر العلماء جميعاً في ترجمة هذه الجملة، ولكن استطعنا بروح التقليد الذي استلمناه من الكنيسة أن نترجم هذه الجملة، وهي واضحة، وقد ذكرها الرب في تعاليمه حينما قال: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا» – مت 23: 2و3).]

وفي الفصل الثالث عشر تقول الديداخي:

[كل نبي حقيقي يرغب في الإقامة بينكم فهو مستحق طعامه، وكذلك المعلِّم الحقيقي.

ومن ثم، تأخذ كل بواكير نتاج المعصرة والبيدر والبقر والغنم وتعطيها للأنبياء، لأنهم بين ظهرانيكم رؤساء كهنة (ومعروف أن هذا هو ما يُقدَّم للأسقف والكاهن. وهذا دليل آخر قوي على أن الكنائس التي تخاطبها الديداخي لم يكن قد رُسم عليها بعد أساقفة أو كهنة أو شمامسة).]

ثم تعود الديداخي بعد ذلك وتقول (في الفصل 15 كما هو مدون سابقاً):

[أقيموا لكم أساقفة وشمامسة جديرين بالرب، رجالاً ودعاء غير محبين للمال صادقين ومختبرين، فهم يخدمون لكم خدمة الأنبياء والمعلمين (أي إقامة الأسرار والإفخارستيا).]

وهكذا نلخِّص ما قلناه: إن الديداخي تقدِّم لنا أقدم صورة للأغابي في وضعها الرسولي، موضحةً للشعب كل ترتيبها وصلواتها حرفياً، ولكنها تفصلها عن الإفخارستيا الملازمة واللاحقة لها، بحسب نفس الترتيب الذي كشفه القديس بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس، ثم تعطينا صورة أخرى رسولية لإقامة الإفخارستيا، حرَّة من الأغابي، أي منفصلة عنها تماماً، في يوم الأحد خاصةً، للشعب عامةً وليست للأخصاء، ولكن دون أي إفصاح عن مضمون النصوص والممارسات السرية في كيفية التقديس، لأنها لا تتبع الشعب فهي ممارسات كهنوتية محضة.

ثانياً: صورة للإفخارستيا سنة 96م

الاصطلاحات الإفخارستية الواردة في رسالة القديس كليمندس الروماني وذلك من واقع رسالته إلى أهل كورنثوس التي كُتبت في خريف سنة 96م في نهاية اضطهاد الإمبراطور دوميتيان، أي أواخر القرن الأول

في الفصلين 40و:41

1- [وإنه ليليق بنا أن نعمل كل شيء حسب الترتيب المعيَّن له، كما أوصى الرب بذلك. فالرب حدَّد أوقاتاً معينة بخصوص تقدمة الصعائد وتأدية الخدمة الخاصة به، وليس كأنها بدون اهتمام أو نظام، ولكن في حدودها المعيَّنة وساعاتها المحددة. كما أوصى بمن يقوم بمثل هذه، واين تُقام، فإنه هو بنفسه قام بتحديدها بإرادته الأعظم، حتى إذا تمت تأدية هذه الأمور بتقوى وبحسب مسرته الصالحة تكون مقبولة أمامه. وكذلك الذين يقدمون قرابينهم في أوقاتها المعينة يصيرون مباركين ومقبولين، فطالما هم يتبعون وصايا الرب لا يخطئون.

لأن (الرب) أوصى بخدمته الخاصة (ترؤس الليتورجية) لتكون من نصيب كبير الكهنة (الأسقف)، وللقسوس عيَّن لهم مواضعهم، وعلى (اللاويين) الشمامسة ألقى (دياكونية) خدمات خاصة بهم. أمَّا العلماني (الذي من الشعب) فيتبع القانون الموضوع للعلمانيين (الشعب).

وعلى كل واحد منكم، أيها الإخوة، كلٌّ بحسب ترتيبه (**طَغْمَته**) **أن يؤدِّي الإفخارستيا** eÙcariste…tw (يشترك في تقديم صلوات الشكر) لله بضمير صالح، **ولا يتعدَّى حدود قانون خدمته** (ليتورجيته) = leitourg…aj.][3]

هنا إشارة واضحة إلى قدم وأصالة نظام الخدمة داخل الكنيسة ودقة ترتيب الرتب الكنسية وأصول الخدمة ذاتها باعتبار أنها تسليم من الرب يسوع نفسه، فيما يختص بإقامة الإفخارستيا

(3) Clement of Rome, *Ep. to Corinth.*, c. 40, 41.

وليتورجيتها. وهذا في الواقع هو علة الوقار الخاص الذي نراه حتى الآن بكل هيبته الأُولى.

وتليق هنا الإشارة إلى النص الوارد في إفخارستيا الشهيد يوستين، والمشابه في معناه لما جاء هنا على لسان القديس كليمندس الروماني، حيث يقول القديس يوستين الشهيد:

[وعندما يفرغ الرئيس من تقديم صلوات الشكر (الإفخارستيا) **وكذلك الشعب من التعبير عن تقديم موافقتهم (آمين)** يبدأ من ندعوهم شمامسة يوزعون ... إلخ.][4]

2– [لذلك ونحن نُتَّهَم بخطيئة ليست بصغيرة إذا كنا نرفض (أو نطرد) أشخاصاً أتقياء **سبق أن قدَّموا الصعائد المختصة** بخدمة الأسقف...][5]

هنا يؤكد العلاَّمة Lightfoot أن هذه إشارة إلى تقدمة القرابين في الإفخارستيا باعتبار أن مَنْ يشترك في تقدمة القرابين يتقدَّس ضمناً، فما بالك إذا كان هو مقدِّمها.

3– [وينبغي أن نلتفت إلى كل جماعة ملائكية كيف يقفون باستعداد خدمة مشيئته، كما يقول الكتاب: ''ألوف ألوف قيام حوله وربوات ربواتٍ يقدِّمون له الخدمة. يصرخون قائلين قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، الخليقة كلها ممتلئة من مجده'' وهكذا ليتنا نجتمع معاً بانتباه قلبي وباتفاق الأصوات **ولجاجة** نصرخ نحوه باشتياق **بفم واحد** حتى نؤهَّل لشركة مواعيده العظمى والثمينة.]

يُلاحَظ هنا أن كليمندس الروماني يبدو أنه يقتبس من سفر دانيال (10:7) وسفر إشعياء (3:6) معاً عن خدمة تقديس الملائكة في التسبحة الشاروبيمية. ولكن في الحقيقة وهو يردد جزءاً من صميم خدمة الليتورجية في زمانه المسماه Sanctus أي الثلاث تقديسات، وهي بنفسها التي وردت بعد ذلك تواتراً في إفخارستيات لاحقة، وبالأخص في الليتورجيات القبطية.

ومن الملاحظات الهامة جداً اكتشاف بعض الاصطلاحات هنا ذات المدلول الغني في التعبيرات الليتورجية المستخدَمة في أقوال القديس كليمندس الروماني لأول مرة، والتي دخلت في استعمال الكنيسة بصفة عامة ورسمية بعد ذلك، مثل:

(أ) SÚnaxij سيناكسيس، أي "**اجتماع**" المؤمنين لأداء الليتورجيا.

---

(4) Justin Martyr, *First Apology*, LXV.

(5) Clement of Rome, *op. cit.*, c. 44.

(ب) ™ktenîj وتعني ‘‘بغيرة’’، ‘‘بحرارة’’، ‘‘بلجاجة’’. وقد وردت عدة مرات في قداس القديس يعقوب الرسول (وهو أصل القدَّاس المدوَّن في الكتاب الثامن من قوانين الرسل) وذلك بمعنى ‘‘اللجاجة’’ (فيما يختص بالصلاة أو التسبيح وخاصة في الثلاث التقديسات).

(ج) ™x ˜nÕj stÒmatoj = من فم واحد (تعني الهارموني في التسبيح للتشبُّه بالملائكة). وقد وردت عدة مرات في قداس القديس باسيليوس الطقس البيزنطي.

4ـ تعبيرات أخرى ليتورجية مستخدمة الآن، وقد جاءت في صلاة كليمندس (فصل 61:38):

[حصن الذين في المخاطر، خلاص الذين في اليأس ... لأنك أنت يا رب معين لنا وناصر، خلِّص الذين في الشدائد، المنسحقين أشفق عليهم، أقم الساقطين، الذين في بؤس الحاجة ساعدهم، المرضى اشفهم، رُدّ الضالين من شعبك، أشبع الجياع، حلّ المأسورين، أقم الضعفاء، عزِّ صغيري القلوب.]

[افتح عيون قلوبنا ...، ميناء الذين في العاصف ...، يُتعجَّب منك بالمجد، ... رؤوف رحيم.]

وهنا يبدو واضحاً أن القديس كليمندس الروماني يردِّد مع كلماته بعض الصلوات المحفوظة من صلوات الخدمة.

وقد وردت هذه الطلبات بعينها في القدَّاسات المصرية منذ القرون الأولى (انظر ليتورجية دير البلايزا التي سيأتي ذكرها).

5ـ وفي نهاية صلواته يقول القديس كليمندس في الفصل 64:

[كل نفس دُعي عليها اسمك العظيم القدوس.]

هنا يشير القديس كليمندس إلى **الدعاء باسم الله (الثالوث) على الإنسان المعمَّد**. ونحن نستخدم هذا الاصطلاح كثيراً في القداس القبطي، وخاصةً في مرد الكاهن المساعد على الكاهن الخديم بعد قراءة المجمع في قداس القديس مرقس الرسول:

[كن غافراً لآثامنا لأجل طلباتهم المقدَّسة ولأجل اسمك المبارك الذي دُعي علينا.]

ثالثاً: صورة للإفخارستيا قبل سنة 107م

الاصطلاحات والترتيبات الإفخارستية

الواردة في رسائل القديس إغناطيوس الشهيد سنة 30ـ107م.

[إن بقي أحد خارج حدود المذبح، فإنه لا ينال من الخبز الإلهي.](6)

[اجتهدوا أن تجتمعوا معاً كثيراً وباستمرار **لتقديم الإفخارستيا وتمجيد الله**.](7)

[اجتمعوا واشتركوا معاً كلٌّ في دوره (طقسه) ... لتكسروا الخبز الواحد الذي هو **دواء الخلود وترياق عدم الموت**، لكي نحيا إلى الأبد في المسيح يسوع.](8)

[اسمحوا لكي أنسكب سكيباً ذبيحة لله طالما يوجد الآن مذبح قائم مستعد، حتى يكون لكم وأنتم في خوروس محبتكم **تسبحة** (من جهتي) **للآب في المسيح يسوع**.](9)

[إني أشتهي خبز الله الذي هو جسد المسيح الذي كان من نسل داود، كما أشتهي دمه شراباً الذي هو هو الحب غير الفاسد.](10)

[اهتموا إذاً لكي تحفظوا إفخارستية واحدة لأن لربنا يسوع المسيح جسداً واحداً، وكأساً واحداً للشركة في دمه، ويوجد مذبح واحد، كما يوجد أسقف واحد مع القسوس والشمامسة رفاقي في الخدمة.](11)

رسائل القديس إغناطيوس (30ـ107م) تحوي أيضاً بعض نصوص واصطلاحات إفخارستية، وهي تعطينا صورة لممارسة الإفخارستيا في أوائل القرن الثاني:

(1) نلاحظ أن القديس إغناطيوس هو أول مَنْ أشار إلى عشاء الرب السرِّي بكلمة

(6) *Eph*. V.
(7) *Ibid*. XIII.
(8) *Ibid*. XX.
(9) Rom. II.
(10) Rom. VII.
(11) Philad., IV.

«**إفخارستيا**»[12] ذات كأس للشركة في الدم بصورة واضحة محددة ومستمرة. وقد أوضح أنها هي المعروفة بـ«**كسر الخبز**»[13].

وهنا يقطع القديس إغناطيوس خط الرجعة على العلماء الذين طالما تشككوا في أن اصطلاح « كسر الخبز» كان يعني ممارسة سر العشاء بدون خمر، ولكن نقول ونكرر القول إن ‘‘السر’’ كان يُسمَّى ‘‘كسر الخبز’’ عندما كان يبتدىء بـ‘‘كسر الخبز’’، فلما انتقل كسر الخبز بعد صلاة الإفخارستيا على الكأس وتصدَّرت الإفخارستيا السر صار يسمَّى سر الإفخارستيا.

(2) كذلك فإن القديس إغناطيوس هو أول مَنْ أكد بشدة على حتمية "**الإفخارستيا الواحدة**"[14]، أي لا تُكرَّر (في يوم تقديمها) بالنسبة لمقدِّمها وهو الأسقف، أو بالنسبة للمتناولين منها، وذلك إشارة إلى **وحدة الجسد** (الخبزة الواحدة والكأس الواحد) **والمسيح الواحد** (الذي يمثله الأسقف) **والمذبح الواحد** (المؤمنين).

(3) الإفخارستيا لا يمكن أن يقيمها أحد إلاَّ الأسقف أو من يعيِّنه الأسقف[15].

(4) الإفخارستيا هي خدمة عامة يشترك فيها كل الشعب، وفيها تُصلِّي الكنيسة بأكملها[16].

(5) المؤمنون المجتمعون مع الأسقف في الإفخارستيا **يكوِّنون** «**مذبحاً**» = qusiast»rion **مقدساً روحياً**[17].

(6) إن كل الذبائح الروحانية في الكنيسة تتمركز في الإفخارستيا، والإفخارستيا هي وليمة عيد بالشركة في جسد المسيح ودمه[18]!

(12) *Philad*. 4; *Smyrn*. 6; *Eph*. 13.
(13) *Eph*. 20.
(14) *Philad*. 4, *Smyrn*. 8.
(15) *Smyrn*. 8.
(16) *Eph*. 5, 13; *Magn*. 7; *Smyrn*. 6.
(17) *Eph.* 5; *Trall.* 7; *Philad.* 4; *Magn.* 7.
(18) *Philad.* 4; *Smyrn.* 6; cp. *Eph* 5, 20; *Rom.* 7.

رابعاً: صورة للإفخارستيا سنة 112م

التعبيرات والممارسات الإفخارستية كما جاءت في خطاب والي "بيثنية" بليني سنة 112م. إلى الإمبراطور تراجان[19]

ومضمون تقرير هذا المؤرِّخ الذي قدَّمه للإمبراطور بخصوص المسيحيين هو:

[لقد أعلنوا لي أنهم قد **اعتادوا أن يجتمعوا في يوم محدد في الفجر قبل بزوغ النور**؛ ومن بين عبادتهم ما يرتلونه فيما بينهم بالدور تسبحة للمسيح كإله، وكذلك فإنهم يرتبطون **بعهدٍ سرِّي** ***sacramento*** ليمتنعوا عن جرائم معينة، ثم في اجتماع آخر يلتئمون مرة أخرى من أجل وليمة عامة ليس فيها أي ضرر، وهذه توقَّفوا عنها بعد منشور الإمبراطور الذي يحرِّم قيام اجتماعات في النوادي.]

وقد قام العالِم الآبائي Lightfoot[20] بدراسة محتويات تقرير بليني. وهو يعتقد أنه يعطي الدليل على انفصال الأغابي عن الإفخارستيا في هذا الزمن **حيث الاجتماع الذي يُعقد في الفجر قبل بزوغ النور (الساعة الثالثة صباحاً كما يذكر كاسيان)**[21]**، هو لإقامة خدمة الإفخارستيا بتسابيحها**. أمَّا الاجتماع الآخر الذي يُعتقد أنه كان في المساء، فهو عشاء الأغابي.

والمعروف أن منشور الإمبراطور كان بخصوص منع الاجتماعات الليلية.

والمعروف على وجه التأكيد أن اليوم المحدد للإفخارستيا كان هو يوم الأحد بحسب ما يقرره سفر الأعمال ورسائل القديس إغناطيوس الأنطاكي وبرناباس.

أمَّا بخصوص التسبيح الذي كان يقوم به المسيحيون قبل الفجر **فيما بينهم بالدور**، فهو إشارة إلى طريقة "الأنتيفونا" (طريقة المرابعة: ربع بحري وربع قبلي على كل من المنجليتين). ويقرر العالِم

(19) Pliny, *Epist*. X, 96 (97).

(20) J. B. Lightfoot, *The Apostolic Fathers*, Part II, vol. 1, p. 52.

(21) يُلاحَظ أن في الأديرة النشيطة لا يزال ميعاد بدء التسبحة التي هي أصلاً بدء القداس الإلهي الساعة الثالثة صباحاً والظلام باقٍ.

"لايتفوت" أن هذه الطريقة مأخوذة عن العبادة داخل المجامع اليهودية[22].

ولكن يعترض على هذا التفسير العالِم "دوم كونوللي" ويشايعه العالِم "سراولي"، إذ يعتقدان أن «**هذا التسبيح فيما بينهم بالدور**» يشير إلى الصلوات التي يقدِّمها المسئول نحو المسيح ومردات الشعب على ذلك.

أمَّا العهد الذي يقطعونه على أنفسهم للإمتناع عن بعض الجرائم، فهو إشارة إلى تعهدات المعمودية التي كانت تُمارَس بكثرة وربما قبل كل إفخارستيا بالنسبة للمعمَّدين الجدد.

(22) Lightfoot, *op. cit.*, 1, p. 31.

خامساً: صورة للإفخارستيا سنة 150م

أولاً: خدمة يوم الأحد بحسب القديس يوستين الشهيد سنة 150م

(يمثل فكر الكنيسة من وجهة نظر الشعب)

ثانياً: خدمة الإفخارستيا التي تُقام للمعمَّدين

أولاً: خدمة يوم الأحد بحسب القديس يوستين:

[- في اليوم الذي يُقال له ''الأحد'' لنا اجتماع عام يحضره المواطنون سواء كانوا في المدينة أو في قرية.

- تُقرأ ميامر الرسل (وهي الأناجيل بحسب توضيح يوستينوس الشهيد في احتجاجه الأول فصل 61)، أو كتابات الأنبياء بقدر ما يتسع الوقت (يُلاحَظ في أع 7:20 أن بولس الرسول بدأ القراءة والوعظ من العشية وأطال حتى منتصف الليل). وعندما ينتهي القارىء:
- يقوم الرئيس بالوعظ داعياً إلى اقتفاء أثر هذه الأمثلة التي اتبعت الحق. وبعد ذلك،
- نقوم جميعنا واقفين ونقدِّم صلوات. وبعد أن ننتهي من صلواتنا،
- يُقدَّم (للرئيس) الخبز والخمر والماء،
- والذي يترأس الجماعة يقدِّم أيضاً صلوات طلبات وصلوات شكر على قدر استطاعته Ósh dÚnamij aÙtù.
- الشعب يعبِّر عن موافقته بكلمة ''آمين''.
- توزَّع الإفخارستيا (''خبز الإفخارستيا'' و''خمر الإفخارستيا'') ويشترك فيها كل الحاضرين.
- الغائبون يُرسَل لهم نصيبهم (من الإفخارستيا) بواسطة الشمامسة (انقطع هذا الطقس وحُرِّم بواسطة المجامع).
- يتبرع الأغنياء بما يريدون، حسب رغبتهم.
- يُحفظ ما يُجمع في حوزة الرئيس.][23]

(23) Justin Martyr, *Apology* I, 67, ANF I, p. 186.

ملاحظات:

1ـ ارتباط الإفخارستيا **بيوم الأحد**.

2ـ ارتباط الإفخارستيا "**باجتماع عام**" هو المعروف بلغة الليتورجيا باسم SÚnaxij سيناكسيس Synaxis، وأول مَنْ ذكر هذا الاسم هو القديس كليمندس الروماني.

3ـ **ليتورجيا الكلمة**: فصول من العهد الجديد والعهد القديم.

4ـ عظة على الفصول المقروءة.

5ـ **صلوات المؤمنين** (طلبات)، (الأواشي)، صلوات (مثل صلاة الصلح وبقية الصلوات حتى كلمة ''أخذ خبزاً على يديه'').

6ـ تقديم (الخبز والخمر): Offertory (على المذبح)، وليس قدام الهيكل كما هو حاصل الآن.

7ـ **صلوات الشكر للرئيس** (الأسقف) **على الخبز والخمر** (صلوات البركة وما يتبعها).

8ـ **الاشتراك في تناول الإفخارستيا**.

9ـ **جمع تبرعات** (الأسبوع) **الأحد**.

(انتهى ترتيب ليتورجية يوستين الشهيد)

ثانياً: خدمة الإفخارستيا للمعمَّدين في أيام يوستين الشهيد:

[1ـ أمَّا بخصوصنا نحن، فعندما نعمِّد الشخص الذي يكون قد آمن نضمُّه إلينا، ثم نقوده إلى المكان الذي تكون فيه الجماعة التي تسمَّى ''الإخوة'' مجتمعين.

2ـ ثم نصلِّي بلجاجة معاً من أجل نفوسنا، ومن أجل المعمَّد، ومن أجل كل الآخرين في كل مكان، لكي نستحق معرفة الحق لكي بعمل الصلاح وبحفظ الوصايا نحصل على خلاصنا الأبدي.

3ـ وبعد هذه الصلوات نعطي بعضنا بعضاً قبلة السلام.

4ـ ثم يُحضر الخبز وكأس الخمر الممزوج بالماء إلى رئيس جماعة الإخوة.

5ـ فيأخذها ويعطي التسبيح والمجد لأب الخليقة باسم الابن والروح القدس.

6ـ ويقدِّم صلاة شكر طويلة من أجل البركات التي تفضَّل الله ومنحها لنا.

7ـ وعندما ينتهي من الصلوات وصلاة الشكر، يوافق كل الشعب الحاضر بقولهم ''آمين''. وكلمة ''آمين'' هي عبرية تعني ''هكذا يكون''.

8ـ فعندما يشكر الرئيس ويجاوب الشعب ''آمين''، يقوم الذين ندعوهم شمامسة بتوزيع

جزءٍ من كُلٍّ من الخبز والخمر الإفخارستي الممزوج بالماء على كل الحاضرين، ويحملون ذلك أيضاً إلى الذين تغيَّبوا.](24)

(أ) الاصطلاحات الإفخارستية في دفاع القديس يوستين الشهيد، وحواره الأول ضد تريفو اليهودي:

ولكي نعطي تسلسلاً واضحاً للتقليد الإفخارستي، يلزمنا أن نستخلص كل العبارات والاصطلاحات التي استخدمها يوستين الشهيد في دفاعه عن الإيمان وفي حواره الأول مع تريفو، لأنها تكمِّل لنا الصورة التي قدَّمها هذا الشهيد المبارك عن طقس إقامة الإفخارستيا ـ طبعاً بدون أن يذكر ما هي الصلوات أو العبارات التي كانت تُستخدم في إقامة الإفخارستيا.

فهنا في دفاعه وحواره نستطيع أن نجمع الشيء الكثير والمهم جداً من تقليد الإفخارستيا وصلواتها واصطلاحاتها وشرحها، الذي كان يحفظه هذا الشهيد في قلبه كميراثٍ إيماني ولاهوتي.

فهذا الميراث الإفخارستي المتوارث عند الشهيد يوستين سنة 150م، نجده ينتقل بجُمَله وكلماته ونفس تركيبه ليصبح بعد ذلك جزءاً في الليتورجية التي قدَّمها لنا هيبوليتس سنة 215م. فإذا أدركنا أن يوستينوس ورث هذا المفهوم الإفخارستي عمن قبله، أدركنا في الحال أن ما قدَّمه هيبوليتس هو امتداد يقيني لما سلَّمه الرسل.

(ب) لغة الإفخارستيا في دفاع وحوار القديس يوستين الشهيد:

1ـ [الرئيس يرسل إلى فوق التسبيح والمجد (لله) لأب الخليقة باسم الابن والروح القدس.](25)

2ـ [(إننا بعملنا الإفخارستيا) هو لكي نقدِّم الشكر لله، في نفس الوقت، من أجل خلقة العالم وكل ما فيه، ومن أجل الإنسان، ولأنه خلَّصنا من الشر (آلام الخطية التي وُلِدنا فيها)، ولأنه حلَّ (رباط) القوات والسلاطين ـ سحقهم سحقاً كاملاً بكونه خضع للآلام بإرادته وحده.](26)

(24) Justin, *Apol*. I. 65. 1-5 ANF I, p. 185.
(25) Justin., *Apol*. 1. 65, ANF I, p. 185.
(26) Justin, *Dialogue* 41, ANF I, p. 215.

(خاص بالكاتب: هذا النص وارد بنفس كلماته في قدَّاس التقليد الرسولي لهيبوليتس.)[27]

3ـ [لأنه كما أن بكلمة الله قد صار يسوع المسيح مخلِّصنا جسداً، وأخذ جسداً ودماً من أجل خلاصنا، هكذا تسلَّمنا (علَّمونا) أن هذا الطعام (خبز وخمر الإفخارستيا) الذي قُدِّم عليه الشكر بواسطة ''صلاة الكلمة'' التي انحدرت إلينا منه (من الرب) ... هو جسد ودم يسوع الذي صار جسداً. لأن الرسل في كلماتهم أو في ميامرهم التي كتبوها، التي تُدعى الأناجيل، سجَّلوا أنه هكذا قد أُمروا أن يعملوا هذا أن يسوع أخذ خبزاً وشكر وقال: اصنعوا هذا لذكري، هذا هو جسدي، وهكذا أيضاً أخذ الكأس وشكر وقال: هذا هو دمي.][28]

4ـ [إن تقدمة الدقيق بحسب أمر العهد القديم من أجل الذين يتطهرون من البرص كانت مثالاً لخبز الإفخارستيا الذي أمر يسوع المسيح ربنا أن نصنعه (أو نقدِّسه) لذكر آلامه التي تحمَّلها من أجل البشر الذي به تتطهَّر نفوسهم (أرواحهم) من كل إثم. حتى وبسبب ذلك نعطي الله الشكر أيضاً كونه خلق العالم وكل ما فيه من أجل الإنسان، ولأنه خلَّصنا من الشقاء الذي كنا فيه، وحلَّ رباط السلاطين والقوات وحطَّمهم تماماً بآلامه التي قبلها بإرادته وحده.][29]

5- [إن الذبائح التي نقدِّمها لله نحن الأمم في كل مكان، التي هي خبز الإفخارستيا والكأس الذي للإفخارستيا أيضاً.][30]

6- [(إن الأساقفة) يرفعون هذه الإفخارستيا لأننا صرنا مستحقين لهذا أمامه.][31]

7- [إن رئيس الكهنة الأعظم صُلب عنا نحن المسيحيين جنس الكهنوت الأعظم لله بالحق... لذلك فإن الله لا يقبل الذبائح من أي أحد إلاَّ من أيدي كهنته.][32]

ويُلاحَظ هنا أن كل ما جاء في دفاع وحوار القديس يوستين هو من صميم لغة الليتورجيا، وهذا

(27) *Apostolic Tradition*, X, cited by Lucien Deiss, *Early Sources of the Liturgy*, p. 39.
(28) Justin, *Apolog*. 1. 66, ANF I, p. 185.
(29) Justin, *Dialogue* 41, ANF I, p. 215.
(30) *Ibid*., 41.
(31) Justin, *Apology*. I. 65, ANF I, p. 185.
(32) *Dialogue* 116, ANF I, p. 257.

يوضِّح لنا كيف كانت الليتورجيا مصدر معرفة وإلهام وشرح لكل اللاهوت.

(ج) ملاحظات هامة على الليتورجيا والإفخارستيا في زمن القديس يوستين الشهيد، ومقدار تطابقها الشديد على ما هو قائم اليوم في الكنيسة:

يُلاحَظ أنه يوجد تمييز واضح جداً بين خدمتين أساسيتين في إقامة الإفخارستيا، سواء في وضعها العام يوم الأحد أو في وضعها الخاص بمناسبة وجود معمَّدين. هاتان الخدمتان هما خدمة ليتورجية (قداس) الكلمة بالقراءة والوعظ، وخدمة تقديم الصعيدة بالخبز والخمر. ولكل من الخدمتين صلوات خاصة وترتيب معين:

أولاً: خدمة (قداس الكلمة) والمسمَّى الآن بقداس الموعوظين:

(أ) يشتمل أولاً على القراءة من الأناجيل والرسائل التي يسميها القديس يوستين الشهيد ''ميامر الرسل''، وكذلك قراءة من العهد القديم التي يسميها ''الأنبياء''.

(ب) مدة القراءة غير محدَّدة وبالتالي كميات القراءة.

(ج) الوعظ ينصبُّ على موضوع القراءات.

(د) بعد القراءة نقدِّم صلوات (طلبات) بحرارة:

1ـ من أجل مقدِّمي القرابين (من أجل أنفسنا).
2ـ من أجل المعمَّدين (والموعوظين).
3ـ من **أجل كل الآخرين في كل مكان.**

(هـ) بعد كل الطلبات (والأواشي) نعطي بعضنا البعض قبلة السلام. هنا تنتهي خدمة أو ليتورجية القراءة والوعظ بحضور الموعوظين.

ثانياً: خدمة أو ليتورجية (قداس) تقديم الصعيدة:

(أ) يُقدَّم الخبز والخمر (تقديم الحمل وهذا هو وضعه الصحيح الأول).

(ب) **يأخذه** (رئيس الجماعة) ويعطي "**التسبيح والمجد**" للآب والابن والروح القدس. (التي يقابلها الآن ما يقوله الكاهن وقت تقديم الحمل ''مجداً وإكراماً. إكراماً ومجداً للثالوث الكلِّي القُدْس الآب والابن والروح القدس'').

(ج) الصلوات الطويلة التي تسبق التناول (وتشمل الآن: من صلاة الصلح وحتى التوزيع):

1ـ صلاة شكر طويلة من أجل خلقة العالم ـ والبركات التي تفضَّل الله ومنحها لنا.

2ـ الشكر من أجل خلاص الإنسان.

3ـ الشكر من أجل حلِّ رباط الشيطان وسحق قوته، وذلك بالصليب.

4ـ صلاة الرب التي قالها على الخبز والخمر بكلماتها المحددة المسلَّمة كأمر صادر من الرب نفسه: «اصنعوا هذا لذكري»

5ـ تقديس الخبز ـ (لذكر آلام الرب التي تحمَّلها) ـ الذي به تتطهر النفوس من كل خطية.

6ـ يوافق الشعب بعد نهاية الصلوات بكلمة ''آمين'' التي تعبِّر عن شركة واتحاد في الذبيحة والإيمان.

7ـ توزيع الخبز والخمر (الجسد والدم) على الحاضرين والغائبين.

سادساً: صورة للإفخارستيا سنة 180م

الإفخارستيا في كتابات القديس إيرينيئوس
وبالأخص في محاجاته ضد الهراطقة سنة 180م

1ـ الأسماء التي أطلقها على الإفخارستيا:
[(أ) ‘‘الإفخارستيا’’ [33].
(ب) ‘‘صعيدة الكنيسة’’[34].
(ج) ‘‘الصعيدة الجديدة التي للعهد الجديد’’[35].
(د) ‘‘الذبيحة الطاهرة’’.
(هـ) تقديم ‘‘باكورة الخلائق’’ من أجل ‘‘تقديس الخليقة’’]!!

2ـ خطورة تقديم الذبيحة بدون استعداد داخلي ومصالحة كاملة مع الآخرين:
[لأنه إذا كان إنسان يجتهد في تقديم ذبيحة بحسب أصول مظاهرها فقط، فمهما كان من أمر مراعاة نظامها وتطبيق واجباتها، بينما يكون في داخل نفسه غير متوافق مع قريبه من جهة حقوق الزمالة وأصولها، ولا هو تحت مخافة الله، فمثل هذا الذي يحتفظ بخطيئته سراً لا يظن أن بإمكانه أن يخدع الله بتقديمه هذه الذبيحة تقديماً صحيحاً بحسب الظاهر، فهذه الصعيدة لن تفيده شيئاً، إلاَّ إذا رفع الشر الذي حَبِل به في بطنه، وإلاَّ فإن هذه الخطيئة ستتسبب بالأكثر، بسبب الرياء، في قتله نفسه.][36]

3ـ [وهكذا إذا قدَّمت الكنيسة ذبيحتها بفكرٍ واحدٍ متحد، فإن تقدمتها تُحسَب بحق أنها طاهرة أمام الله][37].

(33) Irenaeus, *Adv. Haer*., V, 2, 2-3; ANF vol I, p. 528.
(34) *Adv. Haer*. IV, 18, 1; ANF I, 484.
(35) *Adv. Haer*. IV, 17, 5; ANF I, p. 484; *Fragment* XXXVII, ANF vol. I, p. 574.
(36) *Adv. Haer*. IV, 18, 3; ANF I, p. 485.
(37) *Adv. Haer*. IV, 18, 4; ANF I, p. 485.

4ـ **أثر التناول على جسد الإنسان في القيامة، وعقيدة "الاستدعاء" و"التحوُّل"**:

[كيف يقولون إن جسم الإنسان بعدما يتغَّذى بجسد الرب ودمه يؤول إلى الفساد ولا يكون له شركة في الحياة؟ (إيرينيئوس يخاطب الذين لا يؤمنون بقيامة الأجساد)].

5ـ [وأمَّا فكرنا نحن فهو مطابق للإفخارستيا، والإفخارستيا بالتالي هي التي تؤسِّس فكرنا، لأننا نقول إننا نقدِّم لله **من الذي هو له**، ونعلن هذا بشركتنا واتحادنا معترفين بقيامة الجسد والروح.

لأنه كما أن الخبز الذي يخرج من الأرض حينما يقبل استدعاء الله ™p…klhsin (الدعاء باسم الله) فهو لا يعود مجرد خبز ساذج، ولكن يصير إفخارستيا مكوناً من حقيقتين سماوية وأرضية، هكذا أيضاً أجسادنا حينما نتناول الإفخارستيا لا تعود للفساد بل يكون لها رجاء القيامة للحياة الأبدية.][38]

[لأن الخبز الذي **تُعمل الإفخارستيا** عليه هو جسد الرب.][39]

يُلاحَظ هنا أن القديس إيرينيئوس يستخدم هنا كلمة «عمل الإفخارستيا» بدل «الاستدعاء»

6ـ **إقامة الإفخارستية، المذبح السمائي، الخدمة باستمرار بلا انقطاع**:

[هكذا أعطى اللوغس ''الكلمة'' للإنسان نفس هذا المفهوم لتقديم التقدمات له، فبالرغم من أنه ليس هو بذاته في حاجة إليها، ولكن لكي يتعلَّموا كيف يخدمون الله.

وهذا هو الأمر من جهة مشيئته من نحونا **لكي نقدِّم القرابين على مذبحه، باستمرار وبلا انقطاع... أمَّا المذبح فهو في السماء** ـ لأنه نحو هذا المكان نحن نوجِّه كل صلواتنا وتقدماتنا، والهيكل أيضاً ـ هناك ـ كما يقول القديس يوحنا الرائي في سفر الرؤيا: «وانفتح هيكل الله ... هوذا مسكن الله **مع الناس وهو سيسكن معهم**» (رؤ 19:11 و3:21).][40]

7ـ **خلاص الأجساد وتجديدها لعدم الفساد وقيامتها في الحياة الأبدية**:

[فإذا كانت أجسادنا لن تبلغ الخلاص حقاً، فإنه لا يكون الرب قد فدانا بدمه، ولا تكون

(38) *Ibid*., IV, 18, 5; ANF I, p. 486.
(39) *Ibid*., IV, 18, 4; ANF I, p. 486.
(40) *Ibid*., IV, 18, 6; ANF I, p. 486.

"**كأس الإفخارستيا**" هي شركة دمه، ولا يكون الخبز الذي نكسره شركة جسده ... إنه أكَّد أن الكأس هي دمه الخاص الذي به يغذِّي دماءنا، وأن الخبز أسسه جسداً له خاصاً الذي به ينمِّي أجسادنا: وأن كلاً من **الكأس** "**الممزوج**" والخبز المخبوز عندما يتقبَّل "**كلمة (لوغوس) الله**"، فتصير الإفخارستيا دم وجسد المسيح التي منها تنمو أجسادنا وتتقوم، كيف بعد ذلك يقولون إن جسدنا لا يكون قابلاً للحصول على نعمة الله التي هي الحياة الأبدية.[(41)

8ـ **الإفخارستيا خدمة روحية، استدعاء الروح القدس، إظهار الخبز جسداً والكأس دماً**:

[إن تقدمة (صعيدة) الإفخارستيا ليست جسدية ولكنها روحية، ولهذا الاعتبار هي طاهرة. لأننا نحن نقدِّم الصعيدة لله من الخبز ومن كأس البركة مقدِّمين الشكر له كونه أمر الأرض أن تُخرِجَ هذه الثمار من أجل إطعامنا. **وعندما نستكمل تقديم الصعيدة**، نستدعي ™pikaloàmen (من ™p…klhsij) الروح القدس حتى **يظهر** (يُستعلن) = ¢pof»nV هذه الذبيحة qus…an: الخبز جسداً للمسيح، والكأس دماً للمسيح؛ حتى لكي يحصل المتناولون منها على مغفرة الخطايا والحياة الأبدية.

أمَّا هؤلاء الذين يكملون هذه الصعائد (كل المشتركين فيها) ذِكراً (أو تذكاراً) للرب... فإنما يكمِّلون خدمة بحسب الروح، وهم يُدعَوْنَ أبناء الحكمة.[(42)

(41) *Ibid*., V, 2, 2-3; ANF I, p. 528.

(42) *Fragm*. XXXVII; ANF I, p. 574.

الفصل الثاني

الصورة العامة للإفخارستيا في القرنين الأول والثاني

بحسب كتابات الآباء الرسوليين

1- الإفخارستيا والطغمات الكنسية:

أ ـ يعطينا القديس كليمندس الروماني (سنة 95م) أول صورة للعلاقة الجوهرية بين الإفخارستيا والرتب الكنسية المنوط بها إقامة الليتورجيا، حيث ينص بتحديدٍ قاطع على مسئولية الأساقفة والشمامسة في إقامة الإفخارستيا ™p…skopoi kaˆ di£konoi حيث يدعوهم معاً في مواضع من رسالته (بالقسوس أو الشيوخ) = presbÚteroi، وذلك في 5:44، 1:57. ويشير إلى أن أهم وظيفة لهم في الكنيسة هي إقامة الإفخارستيا (4:44).

ب ـ كما يعطينا القديس كليمندس الروماني أيضاً أول صورة للتحديد القاطع بين الرئاسات الكنسية وطغمة العلمانيين أو الشعب، وذلك بصورة عملية أثناء الليتورجيا في إقامة الإفخارستيا. فبعد أن يحدِّد مسئوليات الرئاسات الكنسية ومواقعها في الخدمة، يعود في النهاية ويُبرز دور العلمانيين الأساسي في إقامة الليتورجيا (القداس)، أي خدمة الإفخارستيا، حيث يوضح أن للشعب وظيفة أساسية ودوراً قانونياً في الخدمة هكذا:

[وأمَّا العلماني فهو مرتبط بالقوانين الموضوعة للعلمانيين.] (5:40)

ثم يعود في موضع آخر ويُشدِّد على هذه الحقيقة:

[لا يتعدى أحد قانون ليتورجيته.] (1:41)

ج ـ ويأتي القديس إغناطيوس (سنة 110م)، ويرفع جداً من مستوى الرئاسات الكنسية ويربطها بالإفخارستيا، ويربط الإفخارستيا بها في وضع إلهي، إلى درجة تجعل الأسقف وسط شعبه ''كالله الآب''، والقسوس بمثابة الرسل، والشمامسة مثل خدام المسيح (الرسالة إلى مغنيسيا 1:3). وحينما يقف الأسقف ليقدِّم الإفخارستيا، فهو "**الكاهن الأعظم**"، "**خادم سرائر الله**"، فلا الإفخارستيا ولا المعمودية ولا الأغابي يصح أن تقوم بدونه (سميرنا 2:8).

2ـ ميعاد اجتماعات الشعب للإفخارستيا:

أمَّا الاجتماع للخدمة فقد أسماه كليمندس ولأول مرة SÚnaxij (سيناكسس)[1]. ونلاحِظ أن الإفخارستيا تحدَّد لها منذ البدء يوم رسمي، هو أول الأسبوع ''كيرياكي''، أي يوم الرب. نقرأه في سفر الرؤيا (سنة 95م)، وفي الديداخي (سنة 100م)، ويشير إليه بليني (سنة 112م)، ويوستين الشهيد (سنة 150م).

كما يتضح لنا بعد ذلك ومن تسجيلات بليني أن الميعاد الذي كانت تجتمع فيه الكنيسة يوم الأحد هو الفجر والظلام باقٍ، أي قبل بزوغ النور!

فاليوم والميعاد كانا أمرين ثابتين Statu quo منذ البدء، وبانتظام شديد وصارم كعهد قاطع تأخذه كل نفس على ذاتها.

هذا بخلاف أوقات أخرى كانت تُقام فيها الإفخارستيا **مع الأغابي** في المساء، لتأخذ صورة ''عشاء الرب'' حرفياً، كما في الديداخي. ومثل هذه الاجتماعات كانت لا حدود لها:

[اجتهدوا أن تجتمعوا معاً كثيراً وباستمرار لتقديم الإفخارستيا (الشكر) وتمجيد الله ... اجتمعوا واشتركوا معاً كلٌّ بدوره ... لتكسروا الخبز الواحد.] (القديس أغناطيوس إلى أفسس 8:5)

ولكن بسبب الضجة الكبيرة التي كانت تُحدثها هذه الاجتماعات الكثيرة أثناء الليل وما يلازمها من صلوات وتسابيح علنية، صدر أمر في زمن الإمبراطور تراجان سنة 112م بإبطال هذه الاجتماعات الليلية، فكانت تؤدَّى بعد ذلك سرًّا.

3ـ ليتورجية القراءات قبل الإفخارستيا (المسمَّاة بعدئذ بقداس الموعوظين):

قرأنا عند قداس الكلمة أو خدمة القراءات أنها بدأت في سفر الأعمال مبكراً جداً، فالقراءة والوعظ المباشر على فصول القراءة المختارة هو في الواقع أمر تقليدي قديم منذ زمن المسيح وما قبله بقرون عديدة. ولكن الجديد في العهد الجديد هو ارتباط خدمة القراءة بخدمة الإفخارستيا كطقسٍ ثابت، بدأ واضحاً في سفر الأعمال ثم أوضحه يوستين الشهيد بصورة محدَّدة جداً حيث ذكر أنواع القراءات التي تُقرأ: **من الأناجيل** (وهنا أسماها يوستين **ميامر الرسل** حيث تشمل الأناجيل والرسائل معاً، ويوافق على هذا الرأي العلاَّمة أوريجانوس)، وكذلك من أسفار العهد القديم ويسميها **كتابات الأنبياء**.

والجدير بالذكر هنا أن في أيام يوستين لم يكن وقت القراءة محدَّداً بمدة معينة، بل يبدو أن تحديد

(1) وقد صار هذا هو اسم القداس في الكتب الطقسية القبطية. انظر مثلاً كتاب القطمارس القبطي.

القراءات ومدتها كان يُجرى مسبقاً ليتوافق مع المناسبات والظروف والمواسم. كذلك الوعظ أيضاً لم يكن محدداً بل كان يتوقف كثيراً على الأشخاص الملهمين (المعلِّمين)، وكانوا أولاً من الأنبياء، ثم صاروا من الأساقفة (انظر الديداخي).

ولكن يتضح من تسجيلات القرن الأول والقرن الثاني أن موضوع القراءة والوعظ والتعليم كان ذا علاقة أساسية جداً بالإفخارستيا، فنقرأ في صلوات الديداخي كلمات توضح مقدار الأثر الذي انطبع على الإفخارستيا من القراءة والتعليم هكذا: [نشكرك أيها الآب القدوس من أجل اسمك القدوس الذي جعلته يسكن في قلوبنا ومن أجل المعرفة والإيمان ومن أجل عدم الموت التي أعلنتها لنا بواسطة فتاك يسوع]. ونقرأ في تسجيلات القديس كليمندس الروماني صلاة مختصرة تختص مباشرة بفهم القراءة، وقد صارت اصطلاحاً ليتورجياً ثابتاً في أواشي الليتورجيا: [افتح عيون قلوبنا].

ولكن يضيف القديس إيرينيئوس إلى ما يخص القراءة وأهميتها عاملاً جديداً بالنسبة لذبيحة الإفخارستيا يجعل طقس القراءة والوعظ والتعليم قبل تقديم الإفخارستيا أمراً جوهرياً بالدرجة الأُولى:

[وهكذا إذا قدَّمت الكنيسة ذبيحتها **بفكرٍ واحدٍ متحد،** فإن تقدماتها تُحسب بحق **أنها طاهرة** أمام الله.] (ضد الهراطقة 4:18)

وهذه العقيدة إنما تأخذ أصولها وأسبابها مباشرةً من قول الرب لتلاميذه قبل التناول من العشاء السري الأخير مباشرةً: «أنتم الآن **أطهار من أجل الكلام** الذي كلَّمتكم به.» (يو 3:15)

4ـ الصلوات التي تقدِّمها الكنيسة (إكليروس وشعب)

بعد القراءة والوعظ وقبل القبلة المقدَّسة:

يحدِّد القديس يوستين الشهيد في وصفه لخدمة الإفخارستيا مرحلة ما بعد القراءة والوعظ بأنها مخصَّصة للصلاة والطلبة: [نقوم جميعنا **واقفين** ونقدِّم الصلوات].

وفي موضع آخر يوضح القديس يوستين شيئاً كثيراً عن هذه الصلاة:

[نصلِّي **بلجاجة،** معاً من أجل نفوسنا، ومن أجل المعمَّدين، ومن أجل كل الآخرين في كل مكان، لكي نستحق معرفة الحق، لكي بعمل الصلاح وحفظ الوصايا نحصل على خلاصنا الأبدي.] (يوستين الشهيد ـ دفاع 65:1: 1ـ5).

وهنا نستطيع أن نلمح معظم الأواشي التي نقولها اليوم من خلال وصف القديس يوستين الذي يقدِّمه سنة 150م.

أولاً: يوضِّح لنا أن صلوات ''الأواشي'' بعد القراءة والوعظ تبدأ بالمناداة **للوقوف**.

ثانياً: الصلاة **بلجاجة**، **معاً**، وهذا اصطلاح كنسي تقليدي، أول مَنْ أورده هو القديس كليمندس الروماني ktenîj™ بمعنى أن التوسُّل يتم على جميع مستويات الكنيسة: الكاهن والشماس والشعب، كُلٌ بدوره وكلٌ بتوسله من أجل الموضوع الواحد.

ولكن لكي ننتبه جيداً إلى صدق هذه الكلمة عملياً، أي أن المؤمنين يصلُّون بلجاجة، ينبغي هنا أن نورد ما جاء على لسان القديس يوستين الشهيد بخصوص الصوم الذي كان المؤمنون يفرضونه على أنفسهم من أجل المؤمنين الجدد المعمَّدين: [ونحن نصلِّي صائمين معم.](2)

ثالثاً: من أجل نفوسنا (وهي المعروفة الآن بأوشية الاجتماعات).

رابعاً: من أجل المعمَّدين (وهي المعروفة الآن بأوشية الموعوظين المزِّكين للمعمودية).

خامساً: ومن أجل كل الآخرين في كل مكان (وهي تشمل بقية الأواشي).

ونلاحظ في هذه الصلوات أن القديس يوستين يوضِّح ارتباط هذه الصلوات بالقراءات السابقة حين يقول: [لكي نستحق **معرفة** الحق]، ثم ارتباطها أيضاً بالوعظ السابق: [لكي **بعمل** الصلاح **وحفظ الوصايا** نحصل على خلاصنا الأبدي].

سادساً: ويعطينا القديس بوليكاربوس الشهيد ''منطوق'' **أوشية الملك** في زمانه (أوائل القرن الثاني)، وذلك في رسالته إلى أهل فيلبي: **[صلُّوا من أجل الملك والقوات (الجيش) والحكام وحتى كل الذين يضطهدونكم ويبغضونكم، وكل أعداء الصليب، حتى يصير ثمركم ظاهراً للجميع وتكونوا كاملين بالله.]** (3:12)(3)

سابعاً: ونقرأ في رسالة القديس كليمندس الروماني إلى أهل كورنثوس سنة 96م "**نص كلمات**" أوشية الملك والرؤساء هكذا:

> [أيها السيد الرب أنت الذي منحتهم قوة التملُّك بسلطانك الفائق غير الموصوف. وها نحن بسبب الكرامة والمجد اللذين منحتهما لهم من لدنك **نخضع لهم غير مقاومين إرادتك في أي شيء كان مهما كان صغيراً**.

(2) Justin, *Apology*, I, 61.
(3) Quasten, *Patrol.*, Vol. I, p. 81.

امنحهم أنت يا رب العافية والسلام والاتفاق والحزم، حتى يستطيعوا أن يتمموا قيادتهم العليا بلا عائق بحسب ما تعطيهم، لأنك أنت أيها الرب الملك السمائي لكل الدهور الذي تمنح بني الإنسان المجد والكرامة والسلطان للسيادة على كل ما هو فوق الأرض.

فدبِّر أنت مشورتهم بحسب صلاحك وكمسرَّتك كما يليق أمامك، حتى يستخدموا سلطانهم الذي منحتهم كنعمتك بالرفق والتقوى والسلام.](4)

ثامناً: وتوجد إشارة جاءت عابرة، في وصف القديس يوستين لخدمة الليتورجيا عن الاهتمام بالأرامل والأيتام والمحتاجين والمرضى والمسافرين والمسجونين:

[وتوضع كل العطايا طرف الرئيس (الأسقف) الذي يقوم بالاعتناء بأمر الأرامل والأيتام وكل المحتاجين بسبب المرض أو ظروف أخرى والذين في السجون، والغرباء المسافرين.](5)

وهذه تشير ضمناً إلى أن هناك صلوات قُدِّمت بالضرورة عن مثل هؤلاء.

5ـ القبلة المقدَّسة:

وموضعها بعد الصلوات الجماعية وبعد الاعتراف بالخطايا التي ربما تكون قبل الاجتماع [بعدما تعترفون بخطاياكم لكي تكون ذبيحتكم طاهرة]، وقبل تقديم الصعيدة مباشرةً.

وقد ذُكرت في سفر الأعمال ومعظم الرسائل، وأخذت وضعها التقليدي الطقسي في الإفخارستيا بوضوح في القرنين الأول والثاني، وكانت برهان المصالحة، وعربون الاستحقاق للدخول في شركة الجسد الإلهي، وضماناً لطهارة الذبيحة "حتى لا تتنجَّس ذبيحتكم". لذلك كان على الكنيسة أن تمنع أيَّ من كان على خلافٍ مع أخيه.

وكانت القبلة إيذاناً بخروج الموعوظين خارج الكنيسة واقتراب المؤمنين من المذبح (الهيكل) للتناول، [إن بقي أحد خارج حدود المذبح فإنه لا ينال من الخبز (الإلهي)].

6ـ تقديم الصعيدة ـ الخبز والخمر ـ (الحَمَل):

وكان موضعه التقليدي منذ القرن الأول بعد القبلة المقدَّسة مباشرةً، ولكن الآن نجد الحَمَل يُقدَّم قبل "قداس الموعوظين" أي قبل خدمة القراءات وسوف نأتي فيما بعد على الأسباب التي أدت إلى ذلك.

(4) Clement of Rome, *Ep. to Corinth*. 61:1-2.
(5) Justin, *Apol.*, I, 67.

وقد تبيَّن لنا أن طقس تقديم الحمل هو نفسه طقس عشاء الرب، وهو قدَّاس كامل بذاته وضع ضمن قدَّاس القديس باسيليوس حفظاً له من الضياع.

7ـ صلاة الإفخارستيا، ثم التقديس على الخبز والخمر:

صلاة الإفخارستيا يقدِّمها القديس يوستين باختصار هكذا:

[ثم يُحضَر الخبز وكأس الخمر الممزوج بالماء إلى رئيس جماعة الإخوة فيأخذها **ويعطي التسبيح** والمجد لآب الخليقة **باسم الابن والروح القدس**. ويقدِّم **صلاة شكر طويلة** من **أجل البركات التي تفضَّل الله ومنحها لنا**، وعندما ينتهي من الصلوات والشكر، **يوافق كل الشعب الحاضر بقولهم آمين**.]

ثم يعود القديس يوستين في موضع آخر يوضِّح ويفسِّر أكثر موضوع هذه الصلوات:

أ ـ [نقدِّم الشكر من أجل خلقة العالم وكل ما فيه ومن أجل الإنسان]،

ب ـ [ولأنه خلَّصنا من آلام الخطية التي وُلدنا فيها]،

ج ـ [ولأنه حلَّ رباط القوات والسلاطين وسحقهم سحقاً كاملاً، لأنه خضع للآلام بإرادته وحده].

كما تقدِّم لنا الديداخي صلاة تُقال للشكر ـ على الأغابي ـ وربما على كأس البركة الأخيرة في نهاية ''عشاء الرب'' الذي يتضمن داخله سر الإفخارستيا هكذا:

[فإذا امتلأتم (شبعتم) اعطوا الشكر (الإفخارستيا) هكذا: نشكرك أيها الآب القدوس من أجل اسمك القدوس الذي جعلته يسكن في قلوبنا، ومن أجل المعرفة والإيمان، ومن أجل عدم الموت، هذه التي أعلنتها لنا بواسطة فتاك يسوع. لك المجد إلى دهر الدهور.

أنت السيد المقتدر الذي خلقت كل شيء من أجل اسمك، وأنت الذي تعطي الطعام والشراب للإنسان للمسرَّة، حتى يقدِّموا لك الشكر. أمَّا لنا فقد أعطيتنا مجاناً طعاماً روحياً وشراباً روحياً وحياةً روحية أبدية بواسطة يسوع فتاك.

ونحن قبل كل شيء نشكرك لأنك مُقتَدِر ولك المجد إلى دهر الدهور.

أذكر يا رب كنيستك، نجِّها من كل شر، واجعلها كاملة في محبتك، واجمع شملها من الرياح الأربعة لتكون مقدَّسة لملكوتك الذي أعددته لها لأن لك القوة والمجد إلى دهر الدهور.

ليت النعمة تأتي وليت العالم ينتهي

أوصنا لإله داود.]

وبعد هذه الصلاة يبدأ التناول فوراً.

8ـ التقديس على الخبز والخمر:

(1) يوضِّح القديس يوستين نوع الكلمات التي يتم التقديس بها على الخبز والخمر:

أ ـ [هكذا تسلَّمنا (أي: علَّمونا) أن هذا الطعام (الخبز والخمر) بواسطة "**شكل معين من الصلاة**" "**انحدرت إلينا من الرب**"، يصير جسد ودم يسوع].

ب ـ [لأن الرسل في كلماتهم (الميامر) التي كتبوها التي تُدعى الأناجيل قالوا إنهم قد أُمروا أن يعلِّموا هكذا أن يسوع أخذ خبزاً وشكر وقال اصنعوا هذا لذكري، هذا هو جسدي. وهكذا أيضاً أخذ الكاس وشكر وقال هذا دمي].

ج ـ [''خبز الإفخارستيا'' الذي أمر يسوع المسيح ربنا أن نصنعه (نقدِّسه) **لذكر آلامه** التي تحمَّلها من أجل البشر **الذي به تتطهَّر نفوسهم من كل إثم** ...]

(2) ثم يأتي القديس إيرينيئوس سنة 180م ويوضح أكثر فأكثر ماذا كان يُقال وماذا كان يتم على القرابين:

أ ـ [الإفخارستيا، صعيدة الكنيسة، الصعيدة الجديدة التي للعهد الجديد، الذبيحة الطاهرة، نقدِّم فيها باكورة الخلائق من أجل تقديس الخليقة].

[نقدِّم لله مما هو له].

[وهذا هو الأمر من جهة مشيئته من نحونا لكي نقدِّم القرابين على مذبحه باستمرار وبلا انقطاع، أمَّا المذبح فهو في السماء لأن نحو هذا المكان نحن نوجه كل صلواتنا وتقدماتنا].

ب ـ [وإن كُلاًّ من الكأس الممزوج والخبز المخبوز **عندما يتقبَّل "استدعاء كلمة الله"**، تصير الإفخارستيا دم وجسد المسيح].

هنا إشارة إلى **كلمات** المسيح على الخبز والخمر.

ج ـ [إن تقدمة الإفخارستيا ليست جسدية بل روحية، ولهذا هي طاهرة، لأننا نحن نقدِّم الصعيدة، لله من الخبز ومن كأس البركة مقدِّمين الشكر له كونه أمر الأرض أن تُخرج هذه الثمار من أجل إطعامنا].

(لاحظ هنا أن القديس إيرينيئوس يردِّد نفس كلمات ا لبركة في التقليد اليهودي).

9ـ استدعاء الروح القدس بعد التقديس على الخبز والخمر:

وهنا ينفرد القديس إيرينيئوس بذكر نص إفخارستي يُعتَبَر فريداً في القرن الثاني وذا قيمة عالية جداً في تاريخ ''الاستدعاء'' بعد التقديس:

[وعندما **نستكمل تقديم الصعيدة، نستدعي الروح القدس، لكي يُظهر (يُعلن) هذه الذبيحة**: الخبز جسداً للمسيح، والكأس دماً للمسيح، حتى يحصل المتناولون منهما على مغفرة الخطايا والحياة الأبدية].

وهنا يبدو واضحاً جداً أن عمل الروح القدس هو **إظهار** أو إعلان سر الجسد وسر الدم الذي حدث وكمل بالتقديس.

10ـ التوزيع والتناول:

من إفخارستية يوستين الشهيد يتضح أن الشمامسة كان منوطاً بهم تقديم الإفخارستيا، أجزاء من الإفخارستيا الجسد والكأس لكلٍّ من المؤمنين في مكانه، بل ويحتفظون بأجزاء من الإفخارستيا للغائبين أيضاً:

[فعندما يشكر الرئيس (يصلِّي الإفخارستيا بأكملها)، ويجاوب الشعب ''آمين''، يقوم الذين ندعوهم شمامسة "**بتوزيع**" جزءٍ من كلٍّ من الخبز والخمر الإفخارستي الممزوج بالماء، على كل من الحاضرين ويحملون ذلك أيضاً للذين تغيَّبوا].

ومن الأمور العجيبة حقاً أنه بالرغم من التغيير الذي حدث في كيفية التناول الآن، إذ لم يعد يتم على شكل توزيع الجسد والدم ولكن الأكل صار من مكان واحد وهو الصينية والشرب من الكأس وهي في مكانها، إلاَّ أن الكنيسة لا تزال حتى الآن تسمِّي هذه الفترة ـ أي فترة التناول ـ "**بالتوزيع**" محتفظةً لنا بالاصطلاح التقليدي القديم.

áÈÇÈ ÇáÓÇ

Þáíï ÇáÅÝÎÇÑÓÊí æÃÕÇáÊå Ýí

مقدِّمة

الإفخارستيا، كما سبق وقلنا، دخلت مع الرسل والمبشِّرين في كافة البلاد التي ذهبوا إليها، قبل أن تُكتب الأناجيل والرسائل جميعاً، ما عدا بعض أحكام وقوانين الرسل وأسفار العهد القديم. لذلك كانت الإفخارستيا في البداية كأساس وحيد للعبادة والصلاة والشركة الجماعية. فإذا تصورنا أن رسولاً ما دخل أي بلد، فهو يبشِّر أولاً بأخبار الرب السارة بالفداء والخلاص والحياة الأبدية، وفي الحال ينشأ إيمان، وكان الإيمان يتبعه المعمودية، وبعد المعمودية تجتمع الجماعة لإقامة الإفخارستيا. وفي خدمة الإفخارستيا تُقام **الصلوات، والقراءة** (في أسفار العهد القديم وما وُجد من أسفار العهد الجديد أولاً بأول)، **والوعظ، والتوبة والاعتراف، والمصالحة، والشكر، والشركة!**

هكذا كانت ولا تزال الإفخارستيا حتى اليوم هي مركز الخدمة الإلهية وسببها وقوتها وغايتها.

ولكن فوق ذلك كله كانت الإفخارستيا مصدراً روحياً عميقاً للحياة مع المسيح شخصياً، سواء في حضوره الدائم أو في موته أو قيامته أو في رجاء مجيئه، كما كانت أيضاً الإفخارستيا وخدمتها مصدر إشعاع لاهوتي للفهم وللإيمان بالفداء والخلاص على أساس الممارسة الفعلية.

أي أن الإفخارستيا كانت منذ البدء أساس عبادة الله، وأساس شركة مع الرب (اتحاد)، وأساس عقيدة!

لذلك رأى العلماء منذ بداية القرن التاسع عشر، كما يقول العالِم الكبير ''جون ماسون نيل''، أنه ينبغي أن تُبذل الجهود على أعلى ما يمكن من الدقة والأمانة والإخلاص للوصول إلى الصور الأُولى للإفخارستيا وليتورجيتها عسى أن يكون ذلك، بحسب تعبير ج.م. نيل، «سبباً في أن ينتشر بيننا الإيمان الأول كما كان عن طريق الإفخارستيا» وفعلاً قضى هذا العالِم الفاضل معظم حياته لدراسة الليتورجيات، هو وغيره عشرات من العلماء، وكانوا مخلصين أقصى ما يمكن الإخلاص. ونذكر منهم على سبيل المثال: د. هانز ليتزمان أستاذ التاريخ الكنسي في جامعة برلين الذي قام بمجهود يفوق الطاقة البشرية في دراسة شاملة لكافة الليتورجيات في العالم، دراسة لا نقول كلمة كلمة ولكن دون مبالغة حرفاً حرفاً!! كان تعليق العالِم الإفخارستي روبرت دوجلاس رتشاردسن عنها ـ وهو تلميذه الذي يشيد دائماً بفضله ـ هكذا:

[إن أبحاث ليتزمان الدقيقة جداً التي استغرقت أكثر من نصف كتابه جعلت الذي يريد أن يتابعها يقتنع في النهاية بقراءة النتائج فقط].

ولكن هذا لم يزعجنا عندما بدأنا ندرس أعمال هذا الرجل العظيم[1]، **ولأنه ركَّز بأهمية قصوى على الطقس القبطي** فإن هذا شجعنا أيَّما تشجيع على دراستها معه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً! وسيجدها القارئ في مواضعها من هذا الكتاب، إنما بتبسيط يجعلها سهلة ومقبولة، أليست هي كلمات الرب يسوع وروحه؟

ولكن ماذا وجد ليتزمان في التقليد الإفخارستي عامةً وفي التقليد القبطي خاصةً؟

يقول ليتزمان، كخلاصة لأبحاثه، إن هناك تقليدين أصليين للإفخارستيا وُجدا في الشرق، أي هما شرقيان معاً:

الأول: تقليد إفخارستية هيبوليتس،

الثاني: تقليد إفخارستية سيرابيون القبطي أسقف تمي.

وهما أيضاً على درجة كبيرة من التشابه والتآلف.

أمَّا تقليد هيبوليتس، فبالرغم من أنه شرقي إلاَّ أنه لا يُعرف موطنه بالضبط ـ وإن كان يمتُّ إلى الإسكندرية أكثر من أي مكان آخر في العالم، بحسب رأي ليتزمان وكافة العلماء ـ فإنه ينتقل بسرعة إلى الغرب (روما) وإلى سوريا في نفس الوقت، حيث جرى له في الغرب تحوير وتعديل أخفى معالمه تقريباً، وإن كان لا يزال قانون الأسرار في روما يحمل سماته. **أمَّا في سوريا فقد حدثت له تحسينات وإضافات وتخريجات كثيرة للغاية بلغت في القرن الرابع نهايتها، كما هو واضح في الكتاب الثامن لقوانين الرسل** Apostolic Constitutions المسمَّى بليتورجية كليمندس (الروماني). لأن "ليتزمان" أثبت أن تقليد هيبوليتس هو الأساس الذي بُني عليه الكتاب الثامن والثاني في قوانين الرسل، وبالتالي كافة الليتورجيات السريانية والبيزنطية (ليتورجية القديس باسيليوس وليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم).

وهذا نص تقرير ليتزمان:

[إن أصالة القِدَم التي اعتبرناها من خصائص ليتورجية هيبوليتس بالإضافة إلى مميزاتها القانونية والرسمية (كوثيقة محقَّقة ومحدَّدة المعالم) ومن حيث تركيبها، وأيضاً من حيث لغتها

(1) لما بدأنا دراسة الإفخارستيا لإخراج هذا الكتاب الذي بين يديك، لم تكن أعمال ليتزمان قد ترجمت من الألمانية، ولكن بعد أن بدأت الدراسة بدأت الملازم الأُولى المترجمة إلى اللغة الإنجليزية تظهر تباعاً، ولما أكملت دراستي التي قامت أساساً على ليتزمان كانت قد تُرجمت كل أعماله.

(الليتورجية) هي واضحة معلَنة على مدى التاريخ بسبب تأثيرها الحاد الذي انتشر عنها في كل الجهات. فليتورجية هيبوليتس هي النموذج لكل الليتورجيات الأخرى المعروفة لدينا حتى اليوم. إذ أنه على أساسها تركبت **كل الليتورجيات الأنطاكية** في القرن الرابع حيث توجد نصوصها جميعاً موجودة في الكتاب الثامن والكتاب الثاني للقوانين الرسولية (الذي هو مبني أصلاً على ليتورجية هيبوليتس). ومن التركيب الأنطاكي تكوَّنت الليتورجيا البيزنطية المستخدمة حتى اليوم في شكلها الموجود في ليتورجية القديس باسيليوس، وهي الأقدم، وكذلك في ليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم، وهي متأخرة عنها نوعاً.

ومن التركيب الأنطاكي أيضاً خرجت ليتورجية يعقوب الرسول، وقد كانت هي الوثيقة المعتمَدة لبطريركية أورشليم والتي استقت منها الليتوروجيات السريانية تركيباتها المحلية بحسب تقليدها المكاني. وكذلك فإن الليتورجية النسطورية وإن كانت ذات صلة بتقليد أقدم، إلاَّ أن صلتها بليتورجية هيبوليتس أمر لا يُناقَش ...][2]

أمَّا بخصوص تقليد الليتورجيا في مصر، فيقول عنه ليتزمان في نهاية كتابه هكذا:

[أمَّا الطابع القديم لليتورجية أورشليم الأُولى (الرسل) على قدر ما نعلم، فلا وجود له وجوداً ممتداً وذا قيمة **إلاَّ في مصر**. وهذا الطابع كان هو السائد في مصر وذو القيمة الرسمية، وذلك بالنسبة للمفهومات الإفخارستية وطبيعة تكوينها التي وصلت إلينا من أعمال كليمندس وأوريجانس.

وفي ليتورجية سيرابيون، وبالرغم من ظهور زيادات فيها مثل الثلاثة التقديسات (في التسبحة الشاروبيمية) فإن وراء صلواتها ذات الطابع الميستيكي (أي الروحي التصوُّفي) توجد آثار إفخارستية أخرى أقدم، ذات صلة وثيقة بالديداخي (صلوات الأغابي والإفخارستيا الموجودة في كتاب تعاليم الرسل الاثنى عشر المكتَشَف حديثاً). وفي نفس الوقت، فإن ليتورجية سيرابيون تحمل من المواصفات القدر الذي يتيح لنا متابعة المراحل التي عبرت عليها الليتورجيا المصرية، أي فيما يختص بتسرُّب الطقس البيزنطي السوري الذي ظهرت معالمه داخل الطقس القبطي وبدأت تسود عليه أكثر فأكثر، كما هو الحال في ليتورجية القديس مرقس الرسول ومتفرعاتها (ليتورجيتي القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس) إلى أن بلغت في

(2) Lietzmann, *op. cit*, pp. 212,213.

النهاية من الكثافة التي غطت الأصل ولم تترك منه إلاَّ بقايا غايةً في الضآلة.][3]

وجاء من بعده العالم ر.د. ريتشاردسن سنة 1953م. وصادق على هذه الخلاصة العلمية الدقيقة لتاريخ وموطن التقليد الإفخارستي والليتورجي في العالم، وأضاف إليه مبررات علمية غايةً في الدقة هي الأخرى، لأنه أثبت **أن وجود التقليد الإفخارستي والليتورجي الأول، أي الأُورشليمي بحسب تسليم الرب نفسه وبحسب ممارسة تلاميذه له بعد صعود الرب ـ في مصر وحدها دون بقية دول العالم لم يكن صدفة،** ولكن عن أصالة فكرية وواقع كتابي بسبب تقدُّم مصر في الدراسة الإنجيلية وحوزتها لأدق النسخ الكتابية لأسفار الكتاب المقدَّس وخاصةً التي للعهد الجديد**!!** وهذا هو تحقيق ريتشاردسن:

[إن نظرية ليتزمان لأصل الليتورجيا وانتشارها تدعونا مباشرةً إلى مقارنة ما وصل إليه هذا العالِم الإفخارستي مع ما وصل إليه العالِمان وستكوت Westcott وهورت Hort المتخصصان في دراسة أصول الأسفار المقدَّسة[4] وعلى الأخص في مجال الأصول اليونانية لأسفار العهد الجديد، لأن ما وصل إليه هذان العالِمان كخلاصة لأبحاثهما هو أنهما أعلنا أن ما وصل العالم من أصول العهد الجديد هو ما كان موجوداً في أنطاكية في **القرن الرابع**، على أنه وراء هذا النص الأنطاكي أي السرياني ـ البيزنطي ومن خلاله اكتشف هذان العالِمان وجود نصَّين للأسفار يعودان إلى عهد أقدم:

1ـ نص غير متأثر، نقي على وجه العموم، **كان محفوظاً في مصر وحدها**[5]**!** وذلك في نهاية القرن الثاني.

2ـ والنص الثاني غربي غير منتظم أقدم قليلاً ولكنه غير دقيق على وجه العموم.

أمَّا التحقيق النهائي لهذين العالِمين فهو **أن النص المصري النقي غير المتأثر إذا ما** نقَّيناه من الأخطاء الواضحة القليلة جداً التي فيه، فإننا نصل تواً إلى صورة العهد

---

(3) *Ibid.*

(4) وستكوت اسمه الكامل Brooke Foss Westcott (1825ـ1901) وهو أسقف دورهام والعالِم في الكتاب المقدَّس الذي حقَّق مع العالِم F.J.A. Hort الطبعة اليونانية المعتمدة للكتاب المقدَّس (العهد الجديد) وطبعها سنة 1881م بعد أن قام بمراجعة جميع المخطوطات اليونانية القديمة الموجودة في العالم كله.

(5) نفس التقرير الذي وصل إليه العالمان وستكوت وهورت بخصوص نص أسفار العهد الجديد الذي كان محفوظاً نقياً في مصر أكثر من أي بلد آخر، توقَّعه العالمان ليتزمان وريتشاردسون بخصوص الشكل البدائي الأصيل لإفخارستيا أُورشليم، فقد توقَّعا أن يكون محفوظاً في مصر، دون أن يعثرا عليه. ولكننا قد اكتشفناه وهو المدوَّن تحت عنوان "**تقديم الحمل**".

الجديد بحروفه عينها المكتوبة بأيدي أصحابها! في حين أن النسخ الغربية الأخرى لا يمكن الاعتماد عليها.

وعلى نفس المنوال، حقق ليتزمان ـ في مجال الليتورجيا ـ أن الليتورجيات البيزنطية الكبيرة هي تركيب متطور نتيجة مراجعة تمت في مناطق أنطاكية وفي القرن الرابع بالذات! وإن وراء تركيبها المتطور الذي انتهى إلى الشكل المقنَّن الحالي قد اكتُشف من خلاله نصَّان أو نوعان أكثر قِدماً: **واحد محفوظ في مصر** والآخر استوطن في الغرب بعد أن انتشر في **الشرق**. **أمَّا النص المصري (القبطي) فكان أصلاً طقساً طابعه الشركة يتركز حول كسر** الخبز. وأمَّا الثاني (الغربي) فهو أصلاً طقس كفَّاري يتركز أساساً حول تذكار صلب المسيح.

وفي الختام **يثبت ليتزمان أن الطقس المصري إذا أخليت منه الأشياء الدخيلة ـ وتحديدها أمر سهل ـ فإنه يكون قد حفظ لنا طقس ممارسة العشاء الذي أكمله الرب يسوع مع تلاميذه في أورشليم بوجه عام**. أمَّا الطقس الآخر (الشرقي أصلاً والمنتقل إلى الغرب، والممثَّل في استلام القديس بولس الرسول) فهو وُضع لكي يعطي فقط شرحاً ذبائحياً للعشاء الأخير.][(6)]

(انتهى نص ريتشاردسن)

ويُلاحَظ أن ما وصل إليه العالِم ليتزمان في خلاصة أبحاثه عن الإفخارستيا بخصوص أصالته في مصر، جاء منفصلاً تماماً عمَّا وصل إليه العالِمان الكتابيان "وستكوت" و"هورت" عن الأسفار المقدَّسة وأصالتها في مصر، وهذا مما يثير الدهشة خصوصاً أن كلاً من الفريقين: فريق ليتورجية الإفخارستيا وفريق الأسفار المقدَّسة، استخلص نتائجه بعد أبحاث علمية غاية في الدقة والأمانة استناداً على أصول وبراهين قاطعة.

لذلك يعتبر ريتشاردسن أن التطابق بين هاتين الخلاصتين من أوثق البراهين على أن ارتباط أصول الليتورجيا في الكنيسة بأصول الأسفار المقدَّسة له صلة أساسية مباشرة **بموطن** ـ أو بلد ـ كل من الليتورجيا والأسفار.

كذلك فإن القرن الرابع يُعتبر بداية لمراجعة شديدة ودقيقة للغاية خصوصاً بالنسبة لليتورجيا حيث بدأ كل بلد في جعل ليتورجيته تستوعب أكثر ما يمكن من أشكال الليتورجيات المحلية في

(6) R.D. Richardson, *Supplementary*. Essay to *Mass and Lord's Supper*, p. 222.

البلاد الأخرى، هذا مما جعل بعض الليتورجيات المحلية تفقد أصالتها وقانونيتها وتتوقف عن الممارسة كما حدث (للأسف الشديد) في ليتورجية سيرابيون الشهيرة (وذلك بسبب توقُّفها عن التطور وعدم تمشيِّها آنذاك مع الشكل العام لليتورجيات الأخرى).

ويعود ريتشاردسن معتمداً على أبحاث كل من ليتزمان (الإفخارستي) ووستكوت وهورت (في الأسفار المقدَّسة) إلى إثبات أن النصوص الإفخارستية والليتورجية (أي فيما يخص سر الشكر **بالكتابة وبالممارسة معاً) بقيت على درجة من النقاء والأصالة في مصر حتى نهاية القرن الثاني**(7) **وذلك بالنسبة لغيرها من البلاد**. لقد اكتشفنا إفخارستية عشاء الرب نقية مقدَّمة بفم رسول محفوظة سرًّا في الخولاجي تحت عنوان ''تقديم الحمل''.

(7) *Ibid.*, p. 223.

الإفخارستيا والليتورجيا في مصر

إن ما استعرضناه حتى الآن من شكل الإفخارستيا و «ليتورجيتها» أي كيفية الخدمة الإلهية لتكميل سر الشكر سواء ما جاء في الديداخي أو في تعاليم القديس يوستينوس الشهيد، أو قوانين الرسل لهيبوليتس، **يُعتبر تقليداً للإفخارستيا وليتورجيتها بالنسبة للكنيسة عامةً** حتى نهاية القرن الثاني. أمَّا مصر، فنجد ملامح خاصة للإفخارستيا ونظام خدمتها تبتدئ منذ القرن الثاني أيضاً:

1- وهي تبدأ بظهور **العلاَّمة كليمندس الإسكندري** وتتأيد بنصوص وصلت إلينا من تعاليمه تُفيد بأن ليتورجية قبطية ذات مميزات خاصة كانت قائمة في أيامه (سنة 150- سنة 215م).

2- ثم يأتي **العلاَّمة أوريجانُس** ويعطينا بيانات أكثر عن الليتورجيا القبطية التي كانت في أيامه (سنة 185 - سنة 253م).

3- ثم يأتي **القديس ديونيسيوس الكبير** بابا الإسكندرية ويعطينا لمحات عن الإفخارستيا وليتورجيتها في مصر (سنة 247 - سنة 265م).

4- ثم يأتي **القديس أثناسيوس الكبير** ويغمرنا بتعاليم ووصايا وقوانين وتفاسير خاصة بالليتورجيا، في كتابه القوانين الذي كان ولا يزال متداولاً في مصر كمرجع قانوني هام من مراجع القوانين الكنسية، ومعظمه يدور حول الخدمة والمذبح باهتمام ودقة بالغة. وهذا يعطينا صورة غاية في الوضوح عن خدمة المذبح ومفهوم الذبيحة كما كانت سائدة في أيامه (سنة 295 - سنة 373م).

5- ويأتي **القديس كيرلس الكبير** ويغمرنا هو الآخر بتعاليم لاهوتية غاية في السمو عن الإفخارستيا - وليس عن الليتورجيا - لأنه يتكلَّم من وجهة لاهوتية عن الإفخارستيا وصورها في العهد القديم ومفهوم السر ومفاعيله السمائية، وذلك بقدر ما تركزت وتبلورت عنده كل تعاليم الآباء السابقين. وهو بذلك يعطينا آخر صورة لاهوتية جاهزة ومكمِّلة عن سر الإفخارستيا في مصر (سنة 412 - سنة 444م). وقد استخدم قلمه في المرور على ليتورجية مرقس الرسول فأعطاها شكلها الذي يتناسب وليتورجيات العصر، كما يؤكد لنا ذلك العالِم ابن كَبَر.

والآن قبل أن نستعرض الإفخارستيا وليتورجيتها في مصر على مستوى النصوص، أي على

مستوى القداديس المعمول بها، ينبغي أولاً أن نضع أمام القارئ صورة كاملة لمفهوم الإفخارستيا وليتورجيتها عند هؤلاء الآباء جميعاً، حتى نبني معرفتنا ودراستنا على أساس التقليد الذي تسلَّموه لأن مثل هذا العرض الطقسي لتعليم الآباء سيكون بلا شك خلفية قوية نستوضح من خلالها مفهوم الصلوات وتقليدها وترتيبها وشرحها بحسب معناه القريب والبعيد، كما نستوضح منها كل حركة وكل زيادة حدثت في الليتورجيا على مدى السنين والتغييرات التي حدثت في مواضع الصلوات، هذا بالإضافة إلى الاستنارة التي سنحصل عليها من تعاليمهم في مفهوم السر وروحانيته وفي مستوى المخافة والوقار والتقوى المحيطة "بهذه الخدمة المملوءة سراً"!

ولكن يتبقَّى أن نعرف أن التقليد القبطي للإفخارستيا وليتورجيتها المنحدر إلينا من آباء الإسكندرية الأوائل هو امتداد رسولي لكل ما سبق أن سجلناه من نصوص وتعاليم للقديسين الذين استعرضنا أقوالهم وتعاليمهم عن الإفخارستيا وليتورجيتها.

أولاً: الإفخارستيا في مصر
(سنة 190 – سنة 200م)

الإفخارستيا وليتورجيتها في أيام العلاَّمة كليمندس الإسكندري

مدير مدرسة الإسكندرية بعد العلاَّمة بنتينوس (ولد سنة 153 وتنيَّح سنة 217م) وكانت فترة رئاسته ونشاطه الكنسي مُركَّزة ما بين سنة 190م – سنة 200م.

إن أهم ما يلزم القارئ معرفته عن شخصية كليمندس الإسكندري بالنسبة لموضوعنا العام، أي الليتورجيا والإفخارستيا، هو أن كلمندس كان يعيش في أحرج فترة مسيحية عرفتها الكنيسة، وهي مرحلة الانتقال من التقليد الشفاهي إلى التقليد المكتوب، أي تسجيل التقليد علناً وبصورة دفاعية مرة واحدة. فهو مضطر أن يشرح التقليد ويدافع عنه في وقت واحد ويضع له اصطلاحاته ويحدِّد معانيها.

وكليمندس يكرر مرات عديدة أثناء تعرُّضه للأسرار وشرحها أنه إنما يحاول صياغة التقليد الشفاهي الذي سمعه ورآه وتعلَّمه ويعيش به! ويؤكد أن هذا التقليد هو مسلَّم من فم الرب نفسه أولاً لبطرس ويوحنا ويعقوب، ثم للقديس بولس بصفة خاصة. وتَسَلَّم إلينا، أَباً إلى ابن، حتى وصل إلينا، وها نحن نسجِّله بالكتابة بعد أن كان محفوظاً بالكلمة[8].

ولكنه يقول إن هذا التقليد الذي ننقله إليكم مكتوباً، ليس هو مصدراً جديداً أو منفرداً للعقيدة، ولكنه يقود إلى فهم ومعرفة العقيدة. وهو ليس قائماً بذاته ليتساوى مع الأسفار ولكنه يشرحها[9].

ونحن هنا نقدم مقتطفات من أقواله وتعاليمه تحمل لنا صورة للحياة الكنسية، والخدمة والخدام ودرجة الخدمة، مع ملاحظة أن الأقواس ( ) والأرقام ليست هي من أصل الكلام، وإنما وُضعت من عندنا للتوضيح.

مقتطفات من أقوال العلاَّمة كليمندس الإسكندري:

1- [وبحسب رأيي أن «**الدرجات في الكنيسة التي للأساقفة والقسوس والشمامسة» هي**

---

(8) *Stromata* I, 1; ANF, II, pp. 300-301; (يوسابيوس في التاريخ الكنسي يحقق ذلك في 2: 2:9)

(9) *Stromata* VI, 7; *Quis dives salvetur?* 5; ANF, II, pp. 494, 592.

اقتداء بالأمجاد السماوية وبالتدبير الذي يقول عنه الكتاب إنه ينتظر أولئك الذين يتبعون خطوات الرسل الذين عاشوا في كمال البر بحسب الإنجيل[10]، فإنهم سيخدمون أولاً شمامسة وحينئذٍ يُحسبون أهلاً أن يكونوا قسوساً بتغيُّرهم من مجدٍ إلى مجد حتى يبلغوا إلى « إنسان كامل»

وإن الضمير الصالح يحتفظ دائماً بتقديس الله والبر تجاه الناس، حافظاً النفس طاهرة بأفكار لائقة وكلمات نقية وأعمال فاضلة، وهكذا ينال الإنسان قوة من الله، **فتجتهد النفس لتكون حسب الله حيث لا يكون لديها شيء نجس إلاَّ الجهالة والعمل ضد الحق. معطيةً «الشكر لله في كل حال»**[11] «**بالاستماع للبر، والقراءة الإلهية**»[12]، «**وبالدراسة** الصادقة» [13] «وبالصعيدة المقدَّسة» [14]، «وبصلاة البركة «» بالتسبيح «» والترتيل» «**والبركة**» «**والحمد**»[15]، **مثل هذه النفس لا يمكن في أي وقت أن تنفصل عن الله**][16].

ملاحظات:

(أ) يصف كليمندس الإسكندري بوضوح درجات الكهنوت الثلاثة «أساقفة،، قسوس، شمامسة » ويعطي تفسيراً للدرجات أنها أولاً على غرار الطغمات الممجَّدة السماوية.

(ب) يعطي كليمندس صورة دقيقة سرية mystical لليتورجيا داخل الكنيسة لا يلمحها القارئ العادي إلاَّ بمنتهى الصعوبة فهو يذكر:

1. صلاة الشكر،
2. نداء الكاهن (الشماس حالياً) بالاستماع للإنجيل المقدَّس،
3. قراءة الكتب الإلهية،

(10) (حينما يُختطفون في الهواء ليكونوا مع المسيح).

(11) ¢e˜ d eÙcaristoàsa ™p˜ p©si tù Qeù

(12) di' ¢koÁj dika…aj ka˜ ¢nagnèsewj qe…aj

(13) di¦ zht»sewj ¢lhqoàj

(14) di¦ prosfor©j ¡g…aj

(15) di' eÙcÁj makar…aj a„noàsa, eÙlogoàsa, y£llousa

(16) oÙ dior…zeta… pote toà Qeoà kat' oÙdšna kairÕn ¹ toi£de yuc»

Clement, *Stromata* VI, 14, ANF, II, p. 506, cited by Richardson, *op. cit.*, p. 380 n. 1.

4. خدمة الوعظ،
5. ثم تقديم الصعيدة المقدَّسة على المذبح،
6. صلاة البركة التي تشمل معها التسبيح لله،
7. الترتيل له،
8. مباركته،
9. وحمده،
10. وأخيراً الشركة مع المسيح التي تجعله لا ينفصل عن الله.

لاحِظ أيها القارئ السعيد أن هذه صورة واضحة ـ ولكن في وضع سرِّي غامض ـ لقداس في القرن الثاني! ودقِّق تجد ترتيب أجزاء القداس جزءاً جزءاً بترتيب الصلوات في القداس:

2ـ **[هذه كنيسة الأبكار ذات الأولاد الكثيرة. هؤلاء الأبكار المكتوبة أسماؤهم في السماء، الذين يعيِّدون مع ربوات الملائكة.]**(17)

ويُلاحَظ هنا العقيدة باشتراك المؤمنين (أبكار المسيح) مع الملائكة في التعييد لله! هنا يصف كليمندس بدء اجتماع الكنيسة معاً.

3ـ **[حينما يتحد الكثيرون ويصيرون واحداً حيث أصنافهم وأصواتهم المتعددة يخرج منها بالانسجام الإلهي** سيمفونية واحدة يقودها قائد الخورس والمعلِّم، **فتبلغ**: «**الكلمة**» **غايتها ويرتاح الحق فيها، فينطق أولاد الله بالحق: يا أبَّا الآب،** ويتقبلها الله بسرور ونعمة كباكورات أثمار يتقبلها منهم.](18)

يُلاحَظ هنا أنه يصف خورس المسبحين في الكنيسة.

4ـ **[ونحن نشرب دم المسيح لكي نكون شركاء في عدم الموت الذي للرب، وكما أن الروح هو الفعَّال بالنسبة للكلمة كذلك الدم بالنسبة للجسد** (يو 63:6) ... **وكما يُمزَج الخمر بالماء كذلك يكون "الروح" في الإنسان، ومزيج الخمر والماء يغذِّي الإيمان وأمَّا الروح فإنه يقود إلى عدم الموت. والاثنان الماء والكلمة** (أي دم ابن الله الكلمة) **هما "الإفخارستيا"**

(17) *Exhortation to the Heathen*, 9, ANF, II, p. 195.
(18) *Ibid*, ANF II, p. 197.

النعمة الفائقة المجيدة، الذي كل من يأكل منه بإيمان يتقدَّس بالجسد والروح.][19]

يلاحَظ قول كليمندس بخصوص شرب دم المسيح "لكي نكون شركاء في عدم الموت الذي للرب".

5- [**وفي الخدمة الإلهية (الليتورجيا) يسبِّحون:**

سبحوه بصوت البوق:	لأن بصوت البوق سوف يدعو الراقدين إلى القيامة.
سبحوه بالمزمار:	أي اللسان الذي هو مزمار الرب.
سبحوه بالقيثارة:	وهي الفم حينما يحرِّكه الروح القدس كالوتر.
سبحوه بطبول ورقص:	يشير إلى الكنيسة التي تتأمل القيامة من الأموات من خلال وقع الضرب على الجلد (الميت).
سبحوه بالأوتار والأرغن:	الأرغن هو الجسد وأعصابه هي الأوتار التي حينما تتقبَّل الانتعاش بانسجام من الروح القدس يوقِّع عليها الأصوات البشرية!
سبحوه بصنوج حسنة الصوت:	فهو يشير إلى الشفتين في الفم حينما يوقِّع عليهما النغمات.
كل نسمة فلْتُسبِّح اسم الرب:	هنا يدعو البشرية كلها أن تسبِّح لأنه يعتني بكل مخلوق يتنفس والإنسان هو حقاً آلة السلام!!]**[20]

[ولكن لأن الأجناس كل جنس يستخدم آلة من هذه الآلات لإعلان الحرب، ولا توجد إلاَّ آلة واحدة للسلام وهي "الكلمة" التي بها نكرِّم الله ونمجِّده، فلذلك لا نستخدم إلاَّ "الكلمة"[21] وحدها. فنحن لا نستخدم البوق أو المزمار أو الطبل أو الصفارة التي يستخدمها المختصون في الحروب، ... وفي حفلاتهم ...][22]

(19) *The Instructor*, ANF II, p. 242.

(20) *The Instructor*, II, 4, ANF II, p. 248.

(21) أي لا توجد آلات للتسبيح في الكنيسة. تعبير بليغ عن السؤال لماذا تمتنع الكنيسة القبطية عن استخدام آلات الموسيقى في الكنيسة!

(22) *Ibid.*

[أليست القيثارة ذات العشرة أوتار هي إشارة لكلمة ''يسوع''.][23]

[وكما أنه لائق أن نبارك الخالق قبل أن نتناول ''الطعام'' كذلك وعند ''الشرب'' مناسب أن نشكره ونسبِّحه لأننا نتناول من ''خليقته''. **والمزمور هو الواسطة الرزينة والحسنة النغم لتقديم البركة (لله)**. لذلك يسميه الرسول ''أغاني روحية''.][24]

6ـ [وإن كنَّا نقول (في الكنيسة) **إن الرب كرئيس كهنة أعظم يقدِّم إلى الله بخوراً ذا رائحة زكية**، فلا نتصور أن ذلك يعني ذبيحة وبخوراً زكي الرائحة، ولكن ينبغي أن **نفهم أنها تعني أن الرب يصنع ذبيحة المحبة المقبولة كرائحة "روحية" عطرة على المذبح**.][25]

يُلاحَظ هنا أن الإشارة واضحة جداً إلى صلاة الكاهن في القداس. ربما هي الآن في رفع البخور في المساء «هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب من أجل خلاص جنسنا "**فاشتمَّه**" أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة» وهنا لا يمكن أن نتجاهل أن هذه إشارة إلى وجود بخور في الصلاة. وهو في موضع آخر يقتبس من سفر حكمة يشوع بن سيراخ ويقول: «اسمعوا لي وانموا كوردة مغروسة على مجاري المياه تفوح رائحتها الزكية كالبخور. وباركوا الرب على جميع أعماله» (يشوع بن سيراخ 39: 13و14)

وهذا في الواقع يكشف عن بداية استخدام كلمة ''البخور'' كطقس صلاة بدون البخور ذاته كمادة، الذي آل بعد ذلك إلى استخدام البخور نفسه.

7ـ [ولكن يوجد آخرون لا عمل لهم إلاَّ أن يجعلوا الكنيسة يتردد في أصدائها صوت ''القُبلة'' وهم ليس فيهم المحبة ذاتها، لذلك صار استخدام القُبلة شيئاً مخجلاً (في الكنيسة) مع أنها ينبغي أن تُفهم على مستوى سري mystic ـ فالرسول يدعو القُبلة ''مقدَّسة''.][26]

8ـ [**النساء والرجال عليهم أن يذهبوا إلى "الكنيسة" بهدوء ونظام وسكون** وفيهم محبة صادقة، **أطهاراً بالجسد وأطهاراً بالقلب لكي يكونوا لائقين للصلاة أمام الله**.

وعلى النساء بوجه خصوصي أن يلتفتوا إلى ذلك بالأكثر، ولتكن المرأة كلها مغطاة لأن

(23) كلمة ''يسوع'' تبتدئ في اللغة اليونانية بحرف ''يوتا'' وهو يمثل الرقم 10.

(24) *Ibid*., p. 249.

(25) *The Instructor*, II, 8, ANF II, p. 255.

(26) *The Instructor*, III, 12, ANF II, p. 291.

ملبسها أمر خطير ويحميها من نظرات الناس، والتي تضع التواضع أمامها لا تسقط أبداً ...، وهكذا كل مَنْ كرَّس نفسه للمسيح عليه أن يسلك خارج الكنيسة بنفس السلوك الذي كان عليه داخلها.][27]

9- [وإن كان البعض يحدِّد ساعات للصلاة كالثالثة والسادسة والتاسعة، إلاَّ أن الإنسان الحكيم يصلِّي على الدوام مدى الحياة. لكي باجتهاده الدائم في الصلاة يكون في شركة دائمة مع الله...]

ولكن تقسيم الساعات إلى ثلاثة أقسام (على مثال الثالوث) هي موضع احترام وتكريم كالصلوات الكثيرة، لأنها رمز الثالوث المبارك.

[يرفع رأسه ويبسط يديه نحو السماء واقفاً على أصابع رجليه ليشترك في ختام الصلاة وكأنه يتلهَّف أن ينطلق بروحه إلى العالم الآخر غير المدرَك.][28]

10- [(الإنسان الروحي) يُدرك **سر صيام اليومين: الأربعاء والجمعة ... ويحفظ يوم الرب ممجِّداً قيامة الرب في قلبه ... طاهراً دائماً باستعداد الصلاة، يصلِّي مع جوقة الملائكة لأنه قد صار في رتبتهم ودائماً محفوظ بعنايتهم ... وعندما يصلِّي بمفرده لا يكون وحده، وإنما تكون صفوف القديسين واقفين معه ... صلاته تكون شكراً على ما فات وشكراً على الحاضر وشكراً على الآتي ... مقدِّماً الشكر لله دائماً أبداً على مثال ما قاله إشعياء بخصوص تسبيح الحيوانات.**][29]

يُلاحَظ هنا أن كليمندس الإسكندري هو أول مَنْ ذكر صوم الأربعاء والجمعة من الآباء عموماً، ومن بعده أوريجانوس[30].

11- [نحن لا نرتبط قط بشيء يجعلنا نتعدَّى **قوانين "الكنيسة"**.][31]

12- [لذلك فإن **الكنيسة القديمة الكاثوليكية** (أي الجامعة) هي وحدها التي جمعت في وحدة

(27) *Ibid*., p. 290.

(28) *Stromata* VII, 7; ANF II, p. 534.

(29) *Ibid*., VII, 12; ANF II, p. 544-546.

(30) Bingham, *op. cit.*, IV, p, 525.

(31) Stromata, VII, 15; ANF II, p. 549.

الإيمان الواحد هؤلاء الذين تمت رسامتهم كما سبق الله فعيَّنهم، عالِماً ومن قبل إنشاء العالم أنهم سيكونون أبراراً في جوهر وفكر واستعلان واحد كحصيلة العهدين بل حصيلة العهد الواحد في الأزمان المتعاقبة بإرادة الله وبالرب الواحد.](32)

13- [إن إشعياء النبي تطهَّر لسانه بجمرة النار حتى يستطيع أن ينطق بالرؤيا، وكذلك نحن يلزم أن نتطهَّر لا من جهة اللسان فقط بل والآذان أيضاً، **إذا أردنا أن نكون شركاء في معرفة الحق**.](33)

يُلاحَظ أن هذه القطعة موجودة بمعناها هذا في قسمة قداس مرقس الرسول.

14- [**وقد تحتَّم في قسمة وتوزيع الإفخارستيا أن كل واحد من الشعب** يأخذ نصيبه لنفسه حسب التقليد (العادة) kat¦ trÒpon.](34)

هنا إشارة واضحة لقوانين كنسية موضوعة، وهنا كلمة ''حسب التقليد'' أو ''العادة'' تعني الأساقفة أولاً ثم القسوس ثم الشمامسة ثم النسَّاك ثم الشعب.

15- [وفي حالة الأغابي العامة (الإفخارستيا مع الأغابي في الكنيسة) **يوزَّع الخبز المقدَّس والخمر المقدَّس الإفخارستيا أولاً وذلك بواسطة الشمامسة وبعد ذلك يوزَّع العشاء**.](35)

16- [**لقد بارك المسيح الخمر قائلاً: خذوا اشربوا هذا دمي**، هذه إشارة أيضاً إلى الكلمة ''اللوغس'' التي انسكبت للكثيرين لمغفرة الخطايا نهراً مقدَّساً للبهجة.](36)

(لاحِظ أن العلاَّمة أوريجانوس سوف يتبنَّى أيضاً هذا الشرح فيما بعد، ولكن ليس بالنسبة للدم فقط بل والجسد أيضاً).

17- [**حينما يتقدَّس الخبز بقوة "الإسم"** Invocation **فهو ليس كما كان ولكنه يتغيَّر بالقوة**

(32) *Ibid*., VII, 17; ANF II, p. 555.

(33) *Stromata* I, 14, ANF II, p. 312.

(34) *Stromata* I, 1, ANF II, p. 300.

(35) Cited by J. F. Bethune-Baker, *Introduction to the Early History of Christian Doctrine*, p. 407.

(36) *The Instructor*, II, 2, ANF, II, 246.

إلى قوة روحانية.][37]

يُلاحَظ هنا أن كلمة ''قوة الاسم'' هي اصطلاح تقليدي معروف ''الدعاء باسم الله''. وفي الإفخارستيا هو ''الاستدعاء'' Invocation.

18- [«أمَّا أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي» **أمَّا كوننا جنساً مختاراً بواسطة الله، فهذا واضح، أمَّا قوله "ملوكي" فلأننا سنملك مع المسيح فيما له، "وأمَّا كوننا "كهنة" فبسبب الصعيدة (الذبيحة) التي نقيمها بالصلوات بحسب التعليمات" والتي بها نربح نفوساً نقدِّمها إلى الله.**][38]

لاحِظ هنا الإشارة المهمة إلى وجود تعليمات أو قوانين خاصة بإقامة الإفخارستيا، ثم لاحِظ الارتباط بين الكهنوت والإفخارستيا باعتبار أن الثانية سبب للأُولى!

19- [«لأن **ملائكة** مُخْضَعَة له» هذه هي المرتبة الأُولى، **و**«**الرئاسات**» مُخْضَعَة أيضاً له، هذه هي الرتبة الثانية، **و**«**قوات**» مخضعة له أيضاً، هذه هي الرتبة الثالثة.][39]

20- [هؤلاء الهراطقة **الذين هجروا الكنيسة** الأُولى يستخدمون الخبز والماء في «**الصعيدة**» **وليس حسب قانون الكنيسة** لأنهم يقيمون الإفخارستيا بماء فقط.][40]

لاحِظ هنا الإشارة الواضحة بوجود قانون كنسي ينص على أن الخمر مادة إفخارستية محتَّمة!

21- [ملكي صادق ملك ساليم كاهن الله العلي الذي قدَّم خبزاً وخمراً مقدَّساً طعاماً، مثالاً للإفخارستيا!][41]

22- [وهكذا أيضاً فإن "**الأسرار**" تُقام في أغلب الأوقات ليلاً، إشارة إلى مناسبة انطلاق النفس من الجسد التي تحدث ليلاً.][42]

هنا كليمندس ينفي أي سبب آخر لإقامة الإفخارستيا في المساء مثل الخوف من الوثنيين أو الحكام أو خلافه.

(37) *Excerpta ex Thedoto*, 82, cited by Bethune Baker, *op. cit.*, p. 408.
(38) *Fragment* 1, ANF II, p. 572.
(39) *Ibid*.
(40) *Stromata* I, 19, ANF II, p. 322.
(41) *Stromata* IV, 25, ANF II, p. 439.
(42) *Stromata* IV, 22, ANF II, p. 435.

23ـ **[وقيل لنا أنه يتحتَّم علينا أن لا نتقدَّم إلى "الذبيحة" أو الصلوات إلاَّ ونحن مغتسلون وفي نضارةٍ وبهاء.]**(43)

هذه إشارة إلى قانون خاص بالخدمة الكنسية.

24ـ [المذبح الذي معنا ههنا على الأرض يتكون من جماعة الذين **يتكرَّسون للصلوات** ويعطون أصواتهم بانسجام كما من فم واحد.](44)

25ـ [يصلُّون في اتجاه الشرق، لأن الشرق هو رمز لميلادنا (النور يولد من هناك) لأن منه يخرج النور مشرقاً من الظلمة، وكذلك يوم المعرفة الحقيقية يشرق مثل الشمس على المدفونين في الجهالة.](45)

أمَّا رأي القديس أثناسيوس الرسولي فسوف يأتي في مكانه.

كليمندس يخاطب النفس بلسان المسيح:

26ـ [أنا الذي أُغذِّيك، أعطي نفسي طعاماً لك، **والذي يذوقني لا يذوق الموت بعد، وأعطي نفسي لك شراباً كل يوم كدواء لعدم الموت.**](46)

27ـ [إن دم كرمة داود aŒma tÁj ¢mpšlou Dau…d معناه السري دم المسيح.](47)

هنا كليمندس يشير إلى إفخارستيا الديداخي.

📖✞📖

فإذا استخلصنا من هذه الأقوال نموذجاً لليتورجية التي كانت تقف خلف هذه الإشارات والتوجيهات والتوضيحات في أيام كليمندس الإسكندري (سنة 153ـ 217م)، تكون كالآتي:

أ ــ الكنيسة والخدمة داخلها:

1ـ المسيحي يحفظ يوم الرب على الدوام، ممجِّداً قيامة الرب في قلبه.

2ـ وهو يكون طاهراً دائماً باستعداد الصلاة.

(43) *Ibid*.

(44) *Stromata* VII, 6, ANF II, p. 531.

(45) *Stromata* VII, 7, ANF II, p. 535.

(46) *Quis dives salvetur?* 23, ANF II, p. 598.

(47) *Quis dives salvetur?* 29, ANF II, p. 599; cited by Lietzmann, *op. cit*, p. 190.

3- طهارة بالجسد وطهارة بالقلب ليكون لائقاً للصلاة أمام الله.

4- والنساء والرجال يذهبون إلى «**الكنيسة**» بهدوء ونظام ولا يتكلَّمون في الطريق.

5- وعندما يصلِّي فهو لا يكون وحده، إنما تكون صفوف القديسين واقفين تجاهه.

6- ودرجات الكهنوت في الكنيسة هي: **أساقفة وقسوس وشمامسة**، وهي درجات تماثل نظام وتدبير الأمجاد السماوية.

7- هؤلاء الذين تمت رسامتهم بمقتضى سبق تعيين الله وعلمه، مختارون من قبل إنشاء العالم كونهم أبراراً.

8- وقد جمعتهم الكنيسة الواحدة الكاثوليكية (أي الجامعة) القديمة في وحدة الإيمان الواحد في جوهر وفكر واستعلان واحد بحسب مجموع العهدين بل العهد الواحد في الأزمان المتعاقبة بإرادة الله وبالرب الواحد.

ب – بدء الصلاة وقداس الكلمة (الموعوظين):

9 - وحينما يقف ليصلِّي يعطي الشكر لله في كل حال ومن أجل كل حال (صلاة الشكر).

10- ويعطي أذناً صاغية للاستماع للبر.

11- وإن كان إشعياء النبي لزم أن يتطهَّر لسانه بجمرة النار حتى يستطيع أن ينطق بالرؤيا، كذلك يلزم أن نتطهَّر لا من جهة اللسان فقط بل والآذان أيضاً، إذا أردنا أن نكون شركاء في معرفة الحق (الصلاة من أجل استحقاق سماع الإنجيل).

12- وللقراءات الإلهية (قراءة الأسفار المقدَّسة).

13- وللدراسة الصادقة (الوعظ).

14- فتجتهد النفس لتكون حسب الله حيث لا يكون عندها شيءٌ نجساً إلاَّ الجهالة والعمل ضد الحق، محتفظاً بضمير صالح، **بتقديس الله، والبر تجاه الناس**، حافظاً النفس طاهرة بأفكار لائقة وكلمات نقية (الصلح).

15- ويتردد في الكنيسة صوت القُبلة "**المقدَّسة**" وإلى الشرق انظروا.

ج – تقديم الذبيحة وصلاة الإفخارستيا:

16- وإن كنَّا نقول إن الرب كرئيس كهنة أعظم يقدِّم إلى الله بخوراً ذا رائحة زكية،

17- فينبغي أن نفهم أن ذلك يعني أن الرب يضع ذبيحة المحبة المقبولة كرائحة ''روحية'' عطرة على المذبح.

18ـ ثم ''الصعيدة المقدَّسة''.

19ـ وقيل لنا (في قوانين الرسل) إنه يتحتَّم علينا أن لا نتقدَّم إلى "**الذبيحة**" والصلوات إلاَّ ونحن مغتسلون وفي نضارة وبهاء.

20ـ ثم صلاة البركة (الإفخارستيا) بالتسبيح لله والترتيل والبركة والحمد (ربما على طقس الديداخي).

21ـ شكراً على ما فات، وشكراً على الحاضر، وشكراً على ما هو آتٍ (مضمون صلاة الإفخارستيا).

د ـ التسبحة الشاروبيمية:

22ـ يصلِّي مع جوقة الملائكة لأنه قد صار من رتبتهم.

23ـ لأن هذه هي كنيسة الأبكار ذات الأولاد الكثيرة، هؤلاء الأبكار المكتوبة أسماؤهم في السماء، الذين يعيِّدون مع عشرات ألوف (= ربوات) الملائكة.

24ـ الرتبة الأُولى ملائكة، والثانية رئاسات، والثالثة قوات.

25ـ مقدِّماً الشكر والتسبيح لله على الدوام على مثال الحيوانات (غير المتجسِّدة) التي تكلَّم عنها إشعياء النبي.

هـ ـ تقديس الخبز والخمر بكلمات الرب:

26ـ **وكما يُمزج الخمر بالماء**، كذلك يتحد الروح بالإنسان،

27ـ والهراطقة يستخدمون الماء فقط في الصعيدة ليس **حسب قانون الكنيسة**.

28ـ والمسيح **بارك** الخمر قائلاً **خذوا اشربوا هذا دمي لمغفرة الخطايا**.

29ـ وحينما يتقدَّس الخبز **بقوة "الاسم"**، فهو يصبح غير ما كان **لأنه يتغيَّر بالقوة إلى قوة روحانية**.

30ـ **ونحن كهنة بسبب الصعيدة** (الذبيحة) التي **نقيمها بالصلوات بحسب التعليمات**، التي بها نربح نفوساً نقدِّمها إلى الله.

و ـ القسمة والتوزيع:

31ـ ويوزَّع الخبز المقدَّس (جسد المسيح) والخمر المقدَّس (دم المسيح) **بواسطة الشمامسة**.

32ـ ويتحتَّم في قسمة **وتوزيع الإفخارستيا** أن كل واحد من الشعب يأخذ نصيبه لنفسه حسب **العادة** (أي بالترتيب kat¦ trÒpon).

33ـ ونحن نشرب "**دم المسيح**" لكي نكون شركاء "**في عدم الموت**" الذي للرب.

34- وكما أن **الروح** هو الفعَّال في **الكلمة**، كذلك **الدم بالنسبة للجسد** (يو 63:6).
35- ومزيج الخمر والماء **يغذِّي الإيمان** وأمَّا **الروح فيقود إلى عدم الموت**.
36- والاثنان هما "**الإفخارستيا" وهي النعمة الفائقة المجيدة**.
37- وكل مَنْ **يأكل منها بإيمان يتقدَّس بالجسد والروح**.
38- ومثل هذه النفوس **لا يمكن أن تنفصل عن الله في أي وقت** (هذا هو الاتحاد بالله).

ز - التسبيح أثناء التوزيع:

39- وأثناء "**الخدمة الإلهية**" يسبِّحون (باستخدام المزمور المائة والخمسين كما هو الحال الآن تماماً!!).
40- سبِّحوه بصوت البوق، سبِّحوه بالمزمار والقيثار، سبِّحوه بطبول ورقص، سبِّحوه بأوتار وأُرغن، سبِّحوه بصنوج حسنة الإيقاع، كل نسمة فلتسبِّح اسم الرب.
41- لأن المزمور (أي بدون آلات) هو الواسطة الرزينة والحسنة النغم لتقديم البركة لله الذي يسمِّيه الرسول «أغاني روحية»
42- لأنه حينما يتحد الكثيرون ويصيرون واحداً تخرج من أصواتهم المتعددة والمختلفة سيمفونية واحدة بانسجام إلهي، **يقودها قائد الخورس والمعلِّم** (خورس المرتلين والمعلِّم القائد).
43- فتبلغ الكلمة غايتها ويرتاح الحق فيها وينطق أولاد الله بالحق:
44- يا أبَّا الآب (أبانا الذي في السموات). (لاحِظ أن «أبانا الذي في السموات» تأتي كفعل روحاني داخلي).
45- وأخيراً يرفع المسيحي رأسه إلى فوق ويبسط يديه نحو السماء "**ويقف على أطراف أصابع رجليه**" مشتركاً في ختام الصلاة وكأنه يتلهَّف أن ينطلق بروحه إلى العالم الآخر غير المدرَك.



ملاحظات:

1- ينبغي أن نلاحِظ هنا أن سبب عدم استرسال كليمندس الإسكندري في شرح دقائق الصلاة والخدمة هو بسبب أنه قد سبق وألَّف كتاباً خاصاً جمع فيه كل قوانين الكنيسة من جهة الصلاة، وأسماه "القوانين الكنسية". وينبغي أن نلاحِظ أن كلمة "قانون" في التعبير الكنسي الآبائي تعني "دستور أو تعليم". ولكن للأسف ويا للخسارة العظيمة فإن هذا الكتاب فُقد ولم يُعثر عليه حتى

الآن. كذلك أيضاً سبق وألَّف كتاباً عن خدمة الأساقفة والكهنة والشمامسة والأرامل (الشمَّاسات)، وهذا أيضاً فُقد ولم يُعثر عليه حتى الآن.

لذلك بصعوبة كثيرة استطعنا أن نجمع هذه الأقوال من كتاباته القليلة المتبقية.

2ـ بالرغم من قلة واختصار الأقوال التي وردت في تعاليم كليمندس الإسكندري عن الليتورجيا التي كان يسميها ''الخدمة الإلهية''، فهي تعطينا بلا شك صورة مشرقة عن القدَّاس في منتصف القرن الثاني وأواخره، كما رآه واشترك فيه كرئيس لمدرسة الإسكندرية. وبالأخص من جهة المفهومات الروحية العميقة للخدمة وللإفخارستيا.

3ـ نلفت النظر إلى الاصطلاحات الكنسية والطقسية والصلوات التي وردت في أقواله، وهي على قدر ما استطعنا جمعه من وسط آلاف السطور كالآتي:

ـ كلمة "**كنيسة**" kklhs…a™.

ـ كلمة كنيسة "**كاثوليكية**" (جامعة) ـ **واحدة**.

ـ كلمة **درجات الكهنوت**: وتحديدها بوضوح: **أساقفة وكهنة وشمامسة**، ثم شرحها روحياً**!!** وهو يشرحها على أساس أن الترقِّي فيها هو من **مجد** إلى **مجد**، حتى يبلغوا إلى إنسانٍ كامل = الأسقف.

ـ مضمون **صلاة الشكر** في كل حال وعلى كل حال، يوضِّح قِدَم صلاة الشكر التي تُقال في **افتتاح كل صلاة**، وهي ليست صلاة شكر ''الإفخارستيا'' التي تُقال بعد "**ارفعوا قلوبكم**" التي يكون مضمونها الشكر على الماضي والحاضر والمستقبل، ويضمها أيضاً **التسبيح والترتيل والبركة والحمد**.

ـ يُلاحَظ تشديده على ضرورة الاستعداد لسماع كلمة الله، وهنا إشارة إلى صلاة الكاهن التي يقولها قبل قراءة الإنجيل.

ـ كلامه عن "**القُبلة المقدَّسة**" هو في الواقع انتقاد شديد على استخدام القُبلة بمعناها الجسدي، أي قبلة فم لفم، وهو يلحُّ بشدة أن تبطل هذه العادة ويحل محلها مصافحة اليد، لذلك يُعتبر زمان كليمندس هو بدء اختفاء القُبلة من الكنيسة وإحلال المصافحة محلها.

ـ كلامه في رقم 16 عن أننا نسمع في الصلاة عن المسيح كرئيس كهنة يقدِّم عنَّا لله بخوراً ذا رائحة زكية، هو في الواقع مضمون صلاة داخل الليتورجيا. ثم محاولته نفي مفهوم البخور أنه ذبيحة بحد ذاته يدل على أن البخور كان قد بدأ استخدامه في الكنيسة بصورةٍ ما، وإذا تذكرنا أن

كليمندس كان وثنياً وتنصَّر، نُدرك سبب عدم تشديده على استخدام البخور، ولكن سوف نسمع من القديس أثناسيوس بعد ذلك عن ضرورة رفع البخور في باكر وعشية ووقت إصعاد الذبيحة وبالذات وقت قراءة الإنجيل!

ـ وعندما يقول: [قد قيل لنا إنه يتحتَّم أن لا نتقدم إلى "**الذبيحة**" والصلوات إلاَّ ونحن مغتسلون وفي نضارة وبهاء]، إشارة هامة إلى مفهوم الإفخارستيا أنها ''ذبيحة'' من زمن سابق عليه. وهو يشير دائماً إلى قانون كنسي موجود ينظِّم كل هذا.

ـ يُلاحَظ أيضاً أنه يشير إلى تسبحة الشاروبيم بصفتها الواردة في إشعياء، وهي مضمون التسبحة في التقليد القبطي التي وردت في قدَّاس القديس مرقس الرسول وسيرابيون: رَبْوات الملائكة ورُتَبهم والرئاسات والقوات والأحياء غير المتجسِّدين (الشاروبيم والساروفيم).

ـ يُلاحَظ أنه يشير إلى مزج الخمر بالماء: كقانون كنسي، ويشرحه روحياً.

ـ كذلك من المهم جداً أن نلاحِظ أنه يذكر الدعاء ''بالاسم'' الذي هو الاستدعاء أو صلاة الحلول. وهنا ''الاسم'' تركه بلا إضافة كلمة ''الله''، فهو ''اسم الله''. واعتبر أن الدعاء باسم الله "**قوة**"، وهو قادر على تغيير الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح.

ـ كذلك من المبدع جداً أن يشرح سبب كهنوتنا ويُرجعه أصلاً إلى الإفخارستيا باعتبارها ذبيحة، أي لأنه يستحيل أن يقدِّم الذبيحة إلاَّ كاهن، لذلك أعطانا كهنوتاً. وهذا إشارة إلى أصل مفهوم الصلاة التي يقولها الكاهن: ''أعطيتني هذه الخدمة المملوءة سرًّا''.

ـ يشير كليمندس بوضوح إلى أن إقامة الإفخارستيا وصلواتها **هي أنها بحسب تعليمات وقوانين**.

ـ كما يشير إشارةً مبدعة إلى مفهوم الإفخارستيا أنها ذبيحة، **لأن الكنيسة تقدِّم بواسطتها نفوساً إلى الله!**

ـ لاحِظ أن توزيع الإفخارستيا ـ أي الجسد والدم ـ كان من عمل الشمامسة أيام كليمندس (لأن المتناولين كانوا بالآلاف). وقد انحصر دور الشمامسة بعد ذلك في توزيع الدم فقط.

ـ يُلاحَظ أن كل واحد من الشعب كان يستلم نصيبه بنفسه (في يده) ولكن بالترتيب. لذلك كان يُعتَنَى جداً أن تكون خارج الكنيسة مرحضة لغسل اليدين.

ـ يُلاحَظ أنه يصف الدم بـ''عدم الموت'' ـ أي الحياة الأبدية.

ـ يسمِّي الإفخارستيا ''النعمة الفائقة المجيدة''، ويسميها ''الأسرار''، **وأنها تقدِّس الجسد**

والروح، وتكمِّل **الاتحاد مع الله**.

ـ لاحِظ أنه يوضِّح أن الإفخارستيا كانت تُقام في معظم الحالات **أثناء الليل حفظاً للتقليد الإلهي أنها "عشاء الرب"**. وكانت في هذه الحالة فقط، أي عندما تكون أثناء الليل، تُقام مع وليمة الأغابي. ولكن كانت الإفخارستيا تُكمَّل أولاً وبعدها الأغابي.

ـ ومن الأمور العجيبة حقاً أن المزمور المائة والخمسين الذي يُستخدم اليوم كان هو بذاته المستخدَم في القداس في القرن الثاني**!!** وبدون آلات**!**

ـ يشير إلى خورس للمرتلين، وقائد الخورس والمعلِّم، وهذا يكشف عن منتهى النظام والدقة في الكنيسة ودرجاتها.

ـ يشير إلى صلاة ''أبانا الذي'' وإلى ختام الصلوات باعتبارها أعلى نقطة روحانية يبلغها المسيحي، حيث يقف على أطراف أصابعه لينطق ختام الصلاة، وكأنه يرسل روحه مع كلماته إلى السماء**!**

ثانياً: الإفخارستيا في مصر

(بين سنة 200 – سنة 254م)

مقتطفات من كتابات العلاَّمة أوريجانوس تشير إلى الإفخارستيا والليتورجيا:

1- [الإنسان يعيِّد بالحق إذا كان أميناً على ما هو واجب عليه (روحياً) مصلِّياً على الدوام، مقدِّماً على الدوام «**ذبائح غير دموية**» في الصلاة لله. ونحن حسب العادة نحتفظ بأيام محدَّدة كيوم الرب ويوم (الاستعداد) ويوم الفصح ويوم البنطيقستي][48].

2- [والذين احتسبوا حقاً أن ''المسيح **فصحنا** قد ذُبح لأجلنا'' أصبح عليهم أن يحتفظوا بهذا العيد **بأكل جسد "الكلمة"** مقيمين الفصح بذلك على الدوام. ولأن الفصح معناه العبور فعليهم إذاً أن يَعْبُروا بأفكارهم، وكلماتهم وأعمالهم باستمرار من أمور هذا العالم إلى الله، مسرعين نحو مدينة الله.][49]

هنا تعبير واضح عن عقيدة الكنيسة فيما يخص خبز الإفخارستيا المتحوِّل إلى جسد حقيقي.

3- [ونحن علينا أن نجتهد بقدر استطاعتنا أن **نشترك على الدوام في مائدة الرب**][50]

هنا تعبير واضح عن عقيدة الكنيسة فيما يخص الانتظام في التناول.

4- [وعلى ذلك، فنحن نعبد بكل قوتنا الله الواحد وابنه الوحيد الكلمة صورة الله، وذلك **بالصلوات والتضرعات**، مقدِّمين **توسلاتنا** لله **خالق العالم بواسطة ابنه الوحيد**[51]. نقدِّمها أولاً للابن متضرعين إليه بصفته كفَّارةً لخطايانا "**وككاهن أعظم لكي يقدِّم اشتياقاتنا وذبائحنا**" وصلواتنا إلى الله العليِّ][52]

[ونحن نتمسك باعتقادنا أن ليست "**ثمار الأرض**" فقط، بل "**مجاري الأنهار**" و"**الهواء**"

(48) Origen, *Against Celsus*, VIII, 21, 22, ANF, IV, 647.

(49) *Ibid.*

(50) *Ibid.*, VIII, 24, ANF IV, 648.

(51) لاحِظ أنها الجملة المستخدمة في القدَّاس "**هذا الذي خَلَقْتَ الكل به**".

(52) *Against Celsus*, VIII, 13, ANF IV, 644.

و"**ينابيع المياه التي تفرِّح الأرض" بمجاري الأنهار، والهواء يحتفظ بنقاوته (مزاجه الحسن)**. ولكن ذلك يكون فقط بواسطة وبرعاية وضبط الخلائق المخصصة لذلك، وهم ما نسميهم الوكلاء "**والحرَّاس**" (الملائكة) غير المنظورين(53).والذين يتناولون من هذه سواء كانت قمحاً أو خمراً أو ثمار الأشجار أو مياهاً أو هواءً، إنما يعيِّدون مع الملائكة السمائيين المعينين لذلك. **والذين يُستدعَوْن ليكونوا شركاء على مائدة الأتقياء من بني الإنسان** الذين يطيعون القول القائل: «فإذا أكلتم أو شربتم أو عملتم أي عمل آخر فاعملوا الكل لمجد الله» (1كو 31:10)، «واصنعوا كل شيء باسم الله» (كو 17:3).](54)

لاحِظ هنا بوضوح أوشية الثمار وأوشية المياه وأوشية الهواء واشتراك الملائكة في خدمة القداس.

[ونحن نقدِّم صلوات شكر إلى خالق الجميع، مع تقديم الإفخارستيا والصلوات من أجل البركات التي نلناها، نأكل أيضاً الخبز المقدَّم لنا، **الخبز الذي يصير بواسطة الشكر والصلوات جسداً مقدَّساً الذي يقدِّس الذين يتناولون منه بقلب طاهر**.](55)

لاحِظ هنا أن التقديس يتم بواسطة صلاة الإفخارستيا والصلوات.

[ونحن نقدم **الباكورات لله** الذي قال: «لتُخرج الأرض عشباً يصنع بذراً والشجر المثمر يصنع ثمراً كجنسه» (تك 11:1). والله الذي نقدِّم له **باكورات الأثمار**، له نقدِّم أيضاً الصلوات «إذ لنا رئيس كهنة أعظم قد عبر السموات يسوع ابن الله» «متمسكين بهذا الاعتراف» (عب 14:4) طالما نحن أحياء، لأننا نرى الله وابنه الوحيد الذي ظهر لنا يسوع منعماً ورحوماً لنا.](56)

قارن هنا مع أوشية القرابين، وحضور المسيح كرئيس كهنة أعظم يقدِّم معنا القرابين.

[فإذا أردنا أن **يكون "معنا": إلى جوارنا عدد كبير من الكائنات (السمائية)** التي تثبت على الدوام صداقتها لنا، فنحن قد تعلَّمنا أن «ألوف ألوف وقوف قدامه وربوات ربوات يقدِّمون له الخدمة» (دا 10:7). هؤلاء ينظرون إلى الذين يقتدون بهم في تقواهم إلى الله ويصنعون

(53) لاحِظ هنا الجملة الموازية في القداس "بواسطة خدمة ملائكتك ورؤساء ملائكتك" (أوشية القرابين).

(54) *Against Celsus*, VIII, 31-32, ANF IV, 651.

(55) *Ibid.*, VIII, 33, ANF IV, 651-652.

(56) *Ibid.*, VIII, 34, ANF IV, 652.

معهم علائق ود وصداقة.

وحينما يصلُّون إلى الله بحرارة يؤازرونهم من أجل خلاصهم ويظهرون لهم باعتبار أن ذلك يدخل في نطاق عملهم وواجبهم لكي يباشروهم ويعتنوا بهم. ومعروف أنه، وكأنه باتفاق عام، من الواجب عليهم (أي على هذه الكائنات السماوية) أن يفتقدوا كل الذين يصلُّون إلى الله بكل وسائل اللطف لإنقاذهم، بل ويصلُّون أيضاً من أجلهم لأنهم «أرواح خادمة مُرسَلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب 14:1). لأن النبي يقول: «ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه لينجيهم.» (مز 7:34)

و «الملائكة التي ترى وجه أبي في السماء على الدوام» (مت 10:28) **يقدِّمون صلواتهم** إلى الله ، **بواسطة الوحيد رئيس الكهنة الأعظم، ويضمون صلواتهم إلى صلوات أولئك المنوط بهم حراستهم** ... الموضوعين تحت عناية الله ... لأن الله يرسل ملائكته الأخصاء ليكونوا دائماً فوق خدامه الأتقياء الذين استودعوا أنفسهم له، حتى لا تؤذيهم الملائكة الأشرار ولا حتى المدعو «رئيس هذا العالم»][57]

[وكل إنسان يصلِّي ويرتِّل لله بتسابيح على قدر ما يستطيع بلغته التي يعرفها. والرب الذي هو إله كل لسان على الأرض يسمع كل الذين يصلُّون إليه كُلاًّ بلسانه الخاص، **وكان الجميع لهم صوت واحد بصلاة واحدة**، إنما بلهجات هذا عددها.][58]

أهمية أوشية الراقدين!! بالنسبة للكنيسة والمؤمنين:

[وعندما تنطلق نفوس المؤمنين بالمسيح الذين يموتون من أجل الإيمان بمجدٍ عظيم، فإنها (أي الصلاة على الأموات) تحطِّم قوة الشيطان وتوقف كل خططه التي يدبرها ضد البشر.][59]

لاحِظ هنا لهجة إفخارستية سيرابيون.

[ونحن بالأكثر جداً مسئولون لئلاَّ نكون غير شكورين لله الذي حمَّلنا أحمالاً من خيراته، ونحن قبل كل شيء صنعة يديه، وهو الذي يعتني بنا في كل حال، والذي أعطانا الرجاء بالأمور التي تتجاوز الحياة الحاضرة، لذلك لنا في خبز "الإفخارستيا" مثال الشكر الذي نقدِّمه

(57) *Against Celsus*, VIII, 34-36, ANF IV, 652, 653.
(58) *Ibid.*, VIII, 37, ANF IV, 653.
(59) *Ibid.*, VIII, 44, ANF IV 655.

لله ... حينما نشترك في هذه الخليقة.][60]

[ونحن نعلم أن كل الذين يحوزون على رضى الله، فإن الملائكة لا تكون فقط عند استعداد المعونة لهم، بل إنها أيضاً تشترك معهم في جهادهم حسب مسرَّة الله وتتمم كل نعم الله عليهم، يشتركون معهم في الصلاة والتضرعات بصلواتهم وتضرعاتهم من أجلهم.

فإن كل الذين قد جعلوا كل أملهم في الأمور الصالحة، حينما يصلُّون إلى الله، يجدون عشرات الألوف من القوات المقدَّسة بجوارهم، حتى وبدون أن يُطلب منهم نجدهم يصلُّون معهم وكأنهم دروع لهم، لأنهم يكونون في اتفاق شديد مع جنسنا المائت هذا، وذلك لأنهم يبصرون الشياطين وهم يتناحرون في حربهم ضد خلاص الذين كرَّسوا أنفسهم لله، وبالأكثر حينما يكتشفون مدى وحشية الحقد والكراهية التي تحملها الشياطين ضد الإنسان.][61]

أوشية الملك:

[نحن نقدِّم أكبر معونة للملك، التي يمكن أن نسميها معونة إلهية ... فبواسطة صلواتنا التي نقدِّمها نستطيع أن نبطل بها عمل الشياطين التي تثير الحروب والتي تنقض المواثيق وتقلق السلام، ونحن بالصلاة نكون أكثر معونة له من الذين يدخلون معه المعارك للحروب...

فنحن نحارب من أجله بواسطة جيش خاص، بالتقوى وتقديم الصلوات.][62]

وهنا ينقل لنا أوريجانوس وصية مكتوبة يقولها المسئول (الأسقف) للذي يريد أن يحضر قداس الموعوظين:

[إن الذي قد أصبحت نفسه عازفة عن كل شر لمدة طويلة وخاصة بالنسبة للذين يسمعون الكلمة، فمسموح لهؤلاء أن يحضروا ليسمعوا تعاليم الرب يسوع لتلاميذه التي كان يقولها لهم خاصة وعلى انفراد.][63] (قداس الموعوظين)

[وحينما يظهر الذين قد سعوا وراء الحق أنهم في تقدُّم حقاً وأنهم قد ''تطهَّروا بالكلمة'' («أنتم أنقياء بسبب الكلام الذي كلَّمتكم به» = إشارةً إلى قداس الموعوظين والوعظ فيه)،

(60) *Ibid.*, VIII, 57, ANF IV, 661.
(61) *Ibid.*, VIII, 64, ANF IV, 664.
(62) *Ibid.*, VIII, 73, ANF IV, 668.
(63) *Ibid.*, III, 60, ANF IV, 488.

وقد ساروا في حياة أفضل، فعندئذ ـ وليس قبل ذلك ـ ندعوهم لكي يشتركوا معنا في الأسرار.][64] (قدَّاس المؤمنين)

[وبواسطة الصلاة والوسائل الأخرى التي تعلَّمناها من الأسفار المقدَّسة نستطيع أن نطرد الشياطين من نفوس البشر ومن الأماكن التي تسكن فيها، وحتى من أجساد الحيوانات التي قد تلجأ للاختباء فيها.][65]

[أمَّا كل الذين تطهَّروا ليس فقط من النجاسة بل وأيضاً من التعديات المحسوبة أنها صغيرة، فهم مدعوون لكي يتقدَّموا لأسرار المسيح بكل شجاعة، لأنها موضوعة ومعلنة فقط للأطهار والقديسين[66] ... هناك فرق بين أن ندعو الأشرار ليبرأوا[67]، وأن ندعو الذين قد انفتحت بصيرتهم وتطهَّروا للاشتراك في الأسرار المقدَّسة.][68]

[ليس إلى الاشتراك في الأسرار والانضمام إلى الحكمة المخفية في سر التي أسسها الله قبل العالم لمجد قديسيه، نحن ندعو الأشرار واللصوص ... ولكن ندعوهم إلى التطبيب والشفاء بالكلمة أولاً، لأن في الكلمة الإلهية معونة لشفاء هؤلاء المرضى بحسب الكلمة القائلة: «إن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى» (مت 12:9). أمَّا الآخرون الأطهار نفساً وجسداً فيليق لهم « إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية ولكن أُظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية» (رو 25:16و26).][69]

يُلاحَظ أن أوريجانوس يحاول دائماً أن يصبغ المعاني بالصبغة الرمزية. فالاشتراك في الأسرار أي التناول يشير إلى الانضمام للحكمة أي الاتحاد بالمسيح.

[المسيحي يدعو اللصوص إلى دعوة أخرى، يدعوهم ليعصب جراحاتهم بكلمة الرب، ويعالج النفس التي تقيَّحت بالشرور، وذلك بالأدوية المستخلصة من الكلمة.][70]

---

(64) *Ibid.*, III, 59, ANF IV, 488.

(65) *Ibid.*, VII, 67, ANF IV, 638.

(66) قارن مع قول الكاهن في القداس الإلهي ''القُدْسات للقديسين''.

(67) أي بالتعليم.

(68) *Ibid.*, III, 60, ANF IV, 488.

(69) *Ibid.*, III, 61, ANF IV, 488.

(70) Ibid.

لاحِظ هنا أن المديحة التي تُقال في الصوم المقدَّس باللغة العربية عن التوبة مأخوذة بنصها وحروفها من هذا التعليم.

[الله الكلمة، أُرسل إلى العالم بالحقيقة طبيباً للخطاة ومعلِّماً للأسرار السماوية للذين يتطهرون ولا يعودون يخطئون.][71]

[نحن لابد دائماً أن نسأله، لأنه هو وحده القادر أن يمدَّنا بكل احتياجاتنا الجسدية][72]
قارن مع: ''بيوتهم ومخازنهم املأها من كل الخيرات.'' (أوشية القرابين)

[إن الساروفَيْن اللذين يذكرهما إشعياء، موصوفان أن لهما ستة أجنحة ويصيحان الواحد قُبالة الآخر قائلَيْن: «قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت» (إش 3:6).][73]

[إن الأسماء ليس هي مسألة اختراعات جزافية، فإن الله العلي لا ينبغي قط أن يُدعى بأي اسم غير الأسماء التي استعملها موسى والأنبياء ومخلصنا الرب نفسه مثل «رب الصباؤوت» «أدوناي» «شدَّاي» وأيضاً «إله إبراهيم وإسحق ويعقوب» لأن هذه يقول (الرب) «أسماء أبدية وتذكار إلى جيل الأجيال» (خر 15:3).][74]

[وتسبحة حبقوق النبي: «يا رب سمعتُ خبرك فجزعت، وتبصَّرت أعمالك فدُهشت ''إنك تُعرف بين حيوانين''[75] وتُدرك في مجيء السنين» (حب 2:3 ترجمة سبعينية)] [76] = ''حيواناك الكريمان جداً'' (قداس القديس مرقس الرسول)

[كل الذين سبق تقديسهم بالروح القدس يصيرون مؤهَّلين للاشتراك في قبول المسيح، باعتبار أن المسيح هو بر الله][77]
أي أن مسحة المعمودية بالروح القدس تؤهِّل للإفخارستيا.

(71) *Ibid.*, III, 62, ANF IV, 488- 489.
(72) *Ibid.*, III, 64, ANF IV, 488- 490.
(73) *De Principiis*, I, III, 4, ANF IV, 253.
(74) *Exhortation to Martyrdom*, 46 ACW 19, 189.
(75) مقتبسة في قداس القديس مرقس الرسول.
(76) *De Principiis*, I, III, 4, ANF IV, 253.
(77) *De Principiis*, I, III, 8, ANF IV, 255.

[الرب هو فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً ... فالآن نحن نتبنَّى النظرة القائلة أن الملائكة المقدَّسين والقوات المقدَّسة والعروش (الكراسي) المباركة والسيادات الممجَّدة، هي ذات قوة وكرامة ومجد باستحقاق طبيعتها...][78]

لاحِظ أن نفس الجُمل والكلمات واردة في صميم القداس في مواضعها.

[الفرق بين الصلاة "الأوشية" «eÙc والصلاة "الإبروسة" «proseuc

"الأوشية" يصاحبها نذر، كصلاة يعقوب إلى الله ليصاحبه في رحلته إلى ما بين النهرين، أو كصلاة موسى من أجل فرعون عندما نذر أن يطلقهم لو صلُّوا ورفع الله عنه ضربة الضفادع.

أمَّا "الإبروسة" فهي مثل صلاة حنَّة (أُم صموئيل) بمرارة النفس (بانسحاق وتذلُّل) ... فحنَّة توسَّلت بالصلاة "الإبروسة" ونذرت بصلاة "الأوشية"...

ونحن ليس بلا سبب نفرِّق بين النوعين **من الصلاة** من واقع الأسفار، بل لأن هاتين الكلمتين مستخدمتان بصورة عامة وبحسب العادة (التقليد).][79]

لاحِظ أن في صلوات القداس، كل ما يصليه الكاهن هو "أوشية" وكل ما يصليه الشعب هو "إبروسة"، لأن الكاهن يصلِّي وأمامه الذبيحة، فهو يستمد منها معنى النذر، أي بمقتضى دالة الذبيحة هو يصلِّي. وأمَّا صلاة الشعب فلا تُحسب أنها مستمدَّة من ذبيحة بل بمقتضى الانسحاق والتذلُّل.

[أُطلبوا الأمور الكبيرة، أمَّا الأمور الصغيرة فتُمنح لكم وتُزاد، أُطلبوا السمائيات، والأرضيات تُزاد لكم ...

+ «فأطلبُ أول كل شيء أن تُقام طلبات وصلوات وتشفعات (ابتهالات) وتشكرات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك ...» (1تي 2:1)

فالطلبات dšhsij هي سؤال من أجل احتياجات.

أمَّا الصلاة «proseuc فهي التي تُقدَّم على مستوى التكريم مع تسبيح بواسطة الإنسان من أجل أمور هامة.

(78) *De Principiis*, I, V, 1-3, ANF IV, 256-357.
(79) *On Prayer*, 3-4; ACW 19,22-25; BEP 10, 237-239.

أمَّا التشفعات (الابتهالات) œnteuxij فهي ترجِّي الله بواسطة آخر، عنده مزيد من الثقة في الله!(80)

أمَّا التشكرات eÙcarist…a فهي مديح وصلاة من أجل بركات حصلنا عليها من الله، ونحن نعترف بها بتقديم المديح اللائق بعظم هذه البركات.

- زكريا الكاهن ''طلب'' وأعلمه الملاك جبرائيل أن طلباته استُجيبت.
- عزارياس ''صلَّى'' «proseuc وسط النار وفتح فاه قائلاً...
- حبقوق النبي ''صلَّى'' مُسبِّحاً «يا رب قد سمعت خبرك فجزعت. يا رب عملك في وسط السنين أَحْيِهِ. في وسط السنين عرِّف. في الغضب أذكر الرحمة.» (حب 2:3)
- أمَّا التشفعات فلأنها فوق طاقتنا، فإن الروح القدس هو الذي يقدِّمها: «الروح (القدس) نفسه يشفع فينا بأنَّاتٍ لا يُنطق بها ... لأنه يشفع في القديسين» (رو 26:8و27)
- أمَّا الشكر فهو يُقدَّم للمسيح، لأنه قدَّم لنا كل ما ينفعنا حسب إرادة الله.](81)

شفاعة الملائكة في تقليد الكنيسة سنة 200م:

[إن الملائكة في السماء «الذين يفرحون بخاطئ واحد يتوب» يقدِّمون الصلوات مع الذين يصلُّون بإخلاص، وكذلك أيضاً أرواح القديسين. وهذا يتضح من الشهادات الآتية:

فالملاك روفائيل قدَّم صلاة (ذبيحة معقولة) لله ferourg…an عن كل من طوبيا وسارة بينما كانا هما يصليان معاً!! «والآن لما كنت تصلِّي أنت وسارة كَنَّتُكَ أنا قدَّمتُ ''ذكر'' صلواتكما أمام القدوس (الرب)، وحينما كنت تدفن الموتى أنا كنتُ مرافقاً لك، ولأنك مقبول أمام الله كانت هذه التجربة تمتحنك، وإذ كنتَ لم تنسَ الله ولم تفتر عن عمل الصدقات كنتُ معك. والآن أرسلني الرب حتى أشفيك أنت وسارة كَنَّتَكَ.» (طو 12:12-15)

«أنا هو روفائيل الملاك أحد السبعة الوقوف أمام الله الذين يقدِّمون صلوات القديسين ويجوزون عابرين أمام مجد القدوس (الرب)» (طو 15:12).](82)

(80) واضح جداً من هذا التقليد الكنسي قيمة الشفاعة ومعناها ومفهومها في الكنيسة منذ البدء.

(81) *On Prayer*, 14, 2; ACW 19,53-54; BEP 10, 256.

(82) *On Prayer*, 11, 1; ACW 19,43; BEP 10, 249-250.

شفاعة القديسين في تقليد الكنيسة سنة 200م:

[أمَّا عن أرواح القديسين وصلواتهم، فيقول سفر المكابيين:

«أن حونيا الذي صار كاهناً عظيماً (رئيس كهنة) وكان رجلاً صالحاً ... رأى رؤيا وقد ظهر له رجل في عمر مهيب ومجد فائق حتى أنه كان محاطاً بهيبة وجلال ... وإذا واحد من القديسين الذين رقدوا يشير إليه ويشهد قائلاً: هذا هو إرميا نبي الله الذي يصلِّي كثيراً عن الشعب وعن المدينة المقدَّسة...» (2مك 15: 13و14).][83]

وهنا مفهوم الشفاعة بأرواح القديسين واضحة كعقيدة كتابية في الكنيسة في زمن أوريجانوس.

[ليس بالنسبة لهذا العمر فقط تُطبَّق الكلمات «إذ كان عضو واحد يتألَّم فكل الأعضاء تتألم معه، وكل عضو يُكرَّم فكل الأعضاء تفرح معه» .. فإن هذا الكلام وغيره يسري أيضاً على الذين هم الآن خارج هذا العمر: «الاهتمام بالكنائس «» مَنْ يضعف وأنا لا أضعف» «مَنْ يعثر وأنا لا ألتهب» وحتى المسيح أيضاً يقول فيما يخص كل قديس أنه إذا مرض فهو أيضاً يصير مريضاً بالمثل، وكذلك بالنسبة للمسجونين والعرايا والجياع والعطاش، وهكذا يلحظ قارئ الكتاب المقدَّس أن المسيح ينسب إلى نفسه كل ما يحدث للمؤمنين معتبراً أن آلامهم هي آلامه.][84]

أي المشاركة العضوية الحية الفعَّالة في جسد المسيح.

[يوجد مكان لائق للصلاة له روعته وبهاؤه، ''الموضع'' الذي يجتمع فيه المؤمنون (أي الكنيسة) حيث تقف القوات الملائكية مع المجتمعين، مع قوة الرب المخلِّص وكل الأرواح القديسة أرواح الذين رقدوا وأيضاً الذين لا يزالون أحياء، أمَّا كيف يتم ذلك فهذا ما يصعب الإجابة عليه، ... حيث تحضر أعداد من الملائكة المقدَّسين لتسبيح المسيح، حيث ينضم إليهم ملاك كل واحد من الملائكة الملازمين لخائفي الرب. فيخيمون جميعاً معاً، وهكذا عندما يجتمع القديسون يصبح هناك ''كنيستان'' ''كنيسة'' البشر مع ''كنيسة'' الملائكة.

أمَّا كون المسيح يكون حاضراً أيضاً، فهذا معلوم من قول بولس الرسول: «أنتم المجتمعون معاً (في كنيسة كورنثوس) وروحي مع قوة ربنا يسوع.» (1كو 4:5)

فإذا كان بولس وهو لا يزال لابساً هذا الجسد يشهد أنه كان حاضراً بالروح مع كنيسة

(83) *Ibid.*

(84) *On Prayer*, 11, 2; ACW 19,44; BEP 10, 250..

كورنثوس، فلا نفقد الإيمان أنه هكذا يكون الأمر مع أرواح القديسين المباركة الذين انتقلوا إذ تحضر بأسرع من الذي هو لا يزال بالجسد (أي بولس) لتشترك مع الجماعات في الكنيسة.

فلا نحتقر إذاً، الصلوات التي تُقام في الكنيسة ... لأن الملائكة تقف لحراستها ... فبخصوص مكان الصلاة فيا لمجد المكان ويا لسموّه فوق كل مكان آخر حينما يجتمع القديسون معاً بالتقوى في كنيسة!](85)

[الشرق هو الاتجاه الملائم الذي نتجه إليه عند الصلاة، حيث تتطلَّع النفس بالرمز إلى ''النور الحقيقي'' من حيث يشرق النور.](86)

[وكما بدأنا الصلاة بتمجيد الله، فمن المناسب أن نختمها بتمجيد وبتسبيح: ''نمجِّد الآب بالمسيح يسوع في الروح القدس''.](87)

يُلاحَظ هنا تلميح أوريجانوس لبداية القداس: ''مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس''. ثم إلى ختام الصلاة المعروفة ''هلليلويا ذوكصا باتري إلخ.''

يُلاحَظ أن هذا هو أصل ''الذكصا'' كما كشفها وشرحها لنا القديس كيرلس عمود الدين والقديس باسيليوس في كتابه عن الروح القدس.

[يوجد مَنْ ينكر أصلاً كل الأمور الحسية، فلا يستخدم المعمودية ولا الإفخارستيا، وبافتراء يعتبرون أن الكتاب المقدَّس يعتبر الصلاة لموضوع آخر.](88)

[يوجد دَيْن مستحق على الشماس وآخر على الكاهن، ولكن الدَيْن المستحق على الأسقف هو أثقلهم، وهذا الدَين يطالب به مخلِّص الكنيسة كلها، والمجازاة مستعدة.](89)

[يوجد كهنة هم بالحق كهنة للكاهن الأعظم، هؤلاء تقبَّلوا معرفة الشفاء الذي ينحدر من الله، وتعلَّموا من الروح القدس عمَّا يختص بالخطايا التي ينبغي أن يرفعوا عنها ذبيحة، ومتى يكون ذلك وبأي كيفية. كما تعلَّموا أي الخطايا التي لا ينبغي أن يصنعوا لها هكذا. ولكن

(85) *Ibid*., 31, 5; ACW 19, 133-134; BEP 10, 304-305.
(86) *Ibid*., 32; ACW 19, 136; BEP 10, 305-306.
(87) *Ibid*., 33, 6; ACW 19, 139; BEP 10, 307.
(88) *Ibid*., 33, 6; ACW 19, 27; BEP 10, 240.
(89) *Ibid*., 28, 4; ACW 19, 108; BEP 10, 289.

يوجد آخرون لا أعلم كيف ادَّعوا لأنفسهم بغير وجه حق قدرة شخصية على الحِلّ أكثر من سلطانهم الكنسي الذي بحسب الطقس، ربما لعدم تمكنهم من معرفة حدود اختصاص الكهنوت الذي لهم، فافتخروا أنهم قادرون أن يغفروا خطايا مثل عبادة الأوثان أو الزنا أو النجاسة، على أساس أنه بواسطة صلواتهم عليهم يحلُّونهم منها، حتى ولو كانت «خطاياهم للموت» (1يو 16:5، 2بط 2:20ـ22)]

ونورد هنا خُلاصات للمواضيع التي تعرَّض لها أوريجانوس بالشرح في كتاباته الأخرى والتي تمتُّ بصلة إلى موضوع الخدمة الإلهية (ليتورجيا) والإفخارستيا، مع ذكر مواضعها:

1ـ ليتورجية الموعوظين تسبق ليتورجية المؤمنين، والموعوظون يحضرون العظة[90].

2ـ القراءات تشمل فصولاً من العهد القديم والجديد يتبعها عرض دراسي مفصَّل ثم عظة على موضوع القراءات[91].

3ـ يتبع العظة مباشرةً مجموعة صلوات ينهض فيها كل الشعب وقوفاً[92]. وبعد الصلوات تُقدَّم القرابين[93] t¦ ¢parc¦j ¢pod…domen ثمَّ تكون قبلة السلام[94].

يقدِّم لنا أوريجانوس نص صلاة تُقدَّم لله:

[لكي نكون مستحقين أن نقدِّم لله القرابين لكي يقبلها الله ويردَّها لنا ويمنحنا بواسطة يسوع المسيح السمائيات عوض الأرضيات.][95]

وهذه الصلاة نجدها قريبة من أوشية القرابين الواردة في ليتورجية القديس مرقس، فأوريجانوس ينقل لنا من الذاكرة كلمات هذه الليتورجيا.

وأيضا ينقل لنا أوريجانوس صلاة أخرى قريبة من ليتورجيا القديس مرقس الرسول:

[وأعطنا يا الله ضابط الكل نصيباً مع أنبيائك، وأعطنا أيضاً نصيباً مع رسل مسيحك.][96]

---

(90) *in Luc. Hom vii*, cited by Srawley, *The Early History of the Liturgy*, p. 42-43.

(91) *in Exod. hom.* xiii. I; *c. Cels.* iii. 50, cited by Srawley, *op. cit.*, p. 43.

(92) *in Num. hom.* xx. 5.

(93) *in Luc. hom.* xxxix; c. Cels. viii. 34.

(94) *in Rom.* x. 33.

(95) *in Luc. hom.* xxxix.

(96) هذه الصلاة موجودة في الصلوات السرية التي يقولها الكاهن قبل التناول *in Jer.* xiv. 14

وأوريجانوس في عظة له على سفر اللاويين يذكر كيف نقيم ذكر ‘‘آلام’’ الرب في الإفخارستيا بحسب وصية الرب: «اصنعوا هذا لذكري» وذلك حتى نجعل الله يتعطَّف علينا. ويستعرض المقارنة القائمة بين تقديم خبز الوجوه قديماً عند اليهود وتقديم الإفخارستيا عند المسيحيين(97).

[الخبز يتقدَّس "**بكلمة الله**" والصلاة.](98)

[والخبز المقدَّس يصير "**نافعاً**" بمقتضى الصلاة التي قيلت عليه.](99)

[وخبز الإفخارستيا هو الذي فوقه يُدعى **باسم الله والمسيح والروح القدس**.](100)

تقديم الصعيدة:

[يلزم أن تكون الصعيدة باسم يسوع، ولكن لا تُقدَّم له مباشرة(101)](102)

[إن التقدمة (تقديم الصعيدة) ينبغي أن تكون على وجه العموم باسم الله ضابط الكل بواسطة يسوع المسيح، وذلك على قدر ما إن المسيح هو مساوٍ للآب في الألوهة. وبذلك لا تكون هناك تقدمة مزدوجة بل تقدمة واحدة لله بواسطة الله!](103)

[فإن كان الشخص قديماً لا يُسمح له بأن يأكل من خبز الوجوه إلاَّ إذا كان متعفِّفاً عن النساء (1صم 4:21)، فماذا إن كان سيتناول من الخبز الذي هو أعظم من خبز الوجوه، ذلك الذي استُدعي عليه اسم الله والمسيح وبالروح القدس؟ ألا ينبغي أن يكون هذا الإنسان أكثر طهارةً؟ حتى يتناول بالحق من الخبز للخلاص وليس للدينونة.](104)

[وتقديم الصعيدة يكون بخبز وخمر.](105)

(97) *in Lev. hom*. xiii. 3.

(98) *in Matt*. xi. 14.

(99) *Ibid*.,

(100) in 1Cor. vii. 5 ويُلاحظ هنا الدعاء باسم الثالوث على خبز الإفخارستيا، الأمر الذي يتم في قدَّاس تقديم الحمل

(101) إذاً، يكون قداس القديس غريغوريوس غير متفق مع حسب التقليد القبطي الأصيل، لأنه يوجِّه الصعيدة والصلوات إلى الابن!!

(102) *De orat*. XV, cited by Oesterley, *Jewish Background of Ch. Lit*., p. 103.

(103) *in Luc., hom*. xxxix.

(104) *Hom. on* 1Cor. VII. 5. ed. by Jenkins in JTS, p. 502 (1908), cited by Oesterley *op. cit*., p. 212.

(105) *Ibid*.

عن الاعتراف بالخطايا:

[ولكن دقِّق باهتمام عند مَنْ تعترف بخطاياك، عليك أولاً أن تضع الطبيب تحت الاختبار حتى تعرف إن كان قادراً أن يكون ضعيفاً مع الضعفاء وباكياً مع الباكين، وانظر إن كان يعتقد أن وجعك (خطيتك) هي من النوع الذي ينبغي أن يُعرف ويُشفَى في حضرة الجماعة المجتمعة (الاعتراف العلني في الكنيسة)، فاتبع المشورة إن كان الطبيب متمرساً ومختبراً.](106)

[وأنتم الذين أُعطي لكم أن تساعدوا في إقامة الأسرار الإلهية، احرصوا وأنتم تحملون **جسد الرب** أن تكونوا في انتباه شديد لئلاَّ يقع جزء منه على الأرض أو أن تضيع منكم أجزاء من القرابين المقدَّسة عن نظركم، احسبوا هذا جريمة، وهي كذلك بالحق إن كان عن إهمال يسقط منكم شيء.](107)

[فانظروا كيف أن **المذابح** لم تَعُدْ بعد يُرشُّ عليها دم عجول، **ولكنها تقدَّست بدم المسيح الثمين**.](108)

[إن الأصوام التي نلتزم بها هي الأربعين المقدَّسة والأربعاء والجمعة.](109)

[يوجد أشخاص اعتادوا أن ينحنوا برؤوسهم للكهنة، ويهتمون بتقديم العطايا لتزيين المذابح في الكنيسة.](110)

[لقد بطُلت عند الغالبية **عادة غسل الأرجل قبل إقامة الأسرار**.](111)

[وكي تصبح توبة الخاطئ كاملة يتحتَّم الاعتراف على "كاهن الله".](112)

[**وإن الاعتراف العلني بالخطايا** xomolÒghsij™ (على الكنيسة المجتمعة) **من الوسائل الناجعة والمؤثرة**](113) (بَطُلت من الكنيسة بأوامر مشدَّدة).

---

(106) *In Ps., hom*. 37, 2,5 cited by Quasten, *Patrology* II, p. 84.
(107) *In Ex., hom*. 13, 3, cited by Quasten, *Patrology* II p. 86.
(108) *In Jesu Nave* 2,1, cited by Quasten, *Patrology* II p. 86.
(109) *Hom. in Lev*. x. 2.
(110) *Hom. in Jos.* x. 3.
(111) *In Joh*. XXXII, ch. 7; *hom. in Isa*. VI, ch. 3.
(112) *Hom. in Lev*. (II, ch. 4).
(113) *Hom. 1 in Ps*. XXXVI, ch. 5.

استخدام الخولاجيات وكتب للصلوات:

يرد أوريجانوس على ادعاءات كلسوس بخصوص أنه رأى في أيدي الكهنة كتباً فيها أسماء الشياطين وتعاويذ خاصة بها:

[**إن هذه الكتب تحوي الصلوات التي يستخدمونها في الصلاة بحسب الأوامر المرسومة والأنظمة المحدَّدة**. وهذه الصلوات هي التي تجعلهم محصَّنين ولا يُقهرون قط أمام الشياطين وكل قوى السحر.][114]

[وإن عادة الكنيسة منذ القدم (نحن هنا في سنة 203م) **استخدام سفر أيوب دائماً في الأربعين (الصوم) وعلى وجه الخصوص في أسبوع الآلام، لأنه هو أيضاً مناسب بالأكثر لهذه الأيام**.][115]

[والخبز الذي خصصه الله "الكلمة" (اللوغوس ـ أي المسيح) ليكون جسده، هو "**الكلمة**" الذي يغذِّي النفس، **هو كلمة من الله الكلمة، وخبز من الخبز السمائي موضوعاً على المائدة**، والشراب الذي في الكأس الذي خصَّصه الله "الكلمة" (اللوغوس أي المسيح) ليكون **دمه هو الكلمة الذي يُسكر القلب ويُشبعه. الخبز المنظور ... يحمل سر الجسد المكسور، والشراب المنظور يحمل سر الدم المسفوك**.][116]

[لأن دم المسيح يمكن أن نشربه على حالين، أي شرباً سرائرياً في الطقس السرائري، وحينما نقبل كلماته المحيية.][117]

يُلاحظ هنا أن أوريجانوس يستخدم نفس المفهوم التفسيري التأملي الذي قال به كليمندس الإسكندري.

[وإنهم **يصنعون تذكاراً بخشوع للقديسين الذين رقدوا في الإيمان** لكي ينالوا عزاءً وسروراً، طالبين أن **يكون لهم معهم أيضاً كمالٌ في الإيمان**.][118]

[ويعتقدون أنه **من اللائق أن يذكروا القديسين في صلواتهم ويعزُّوا أنفسهم بذكراهم**.][119]

(114) *Contra Cels*. I. 6, cited by Bingham, *op. cit*. IV, p. 394.
(115) *Hom. in Job*. I. i, cited by Bingham, *op. cit*. IV, 394.
(116) *Hom. in Matt., Serm*. 85, cited by Quasten, II, p. 86.
(117) *In Num.*, hom 16,9.
(118) *Hom. in Job*. I. 3, cited by Bingham, *op. cit*. 5, 310.
(119) *In Rom. 12*.

إعادة ترتيب أقوال أوريجانوس عن الليتورجيا
مرتَّبة حسب حدوثها داخل القداس

الكنيسة والخدمة في داخلها:

ونحن حسب العادة (التقليد) نحتفظ بأيام محدَّدة (للعبادة وإقامة الليتورجيا): يوم الرب، ويوم السبت (الاستعداد) ويوم الفصح ويوم البنتيقسطي.

(والمسيحي يوجد فيه) معيِّداً بالحق إذا كان أميناً فيما هو واجب عليه مُصلِّياً على الدوام.

ويُوجد مكانٌ لائقٌ للصلاة له روعته وبهاؤه، وهو "**الموضع**" الذي يجتمع فيه المؤمنون، حيث تقف القوات الملائكية مع المجتمعين مع قوة الرب المخلِّص وكل أرواح القديسين، أرواح الذين رقدوا وأرواح الذي لا يزالون أحياء، حيث تحضر أعداد من الملائكة القديسين لتسبيح المسيح. ينضم إليهم ملاك كل واحد من الملائكة الملازمين لخائفي الرب، يجتمعون جميعاً معاً.

وهكذا حينما يجتمع المؤمنون يصير هناك كنيستان، كنيسة البشر مع كنيسة الملائكة.

فبخصوص مكان الصلاة، فيا لسموِّه ويا لمجده فوق كل مكان آخر حيثما يجتمع القديسون بالتقوى جميعاً في الكنيسة.

والشرق هو الاتجاه الملائم الذي نتجه إليه عند الصلاة، حيث تتطلَّع النفس بالرمز إلى ''النور الحقيقي'' من حيث يشرق النور (الطبيعي).

وكل إنسان يصلِّي ويرتل لله بتسابيح على قدر ما يستطيع.
وكأن الجميع لهم صوت واحد وصلاة واحدة.

ومسئولية الكهنة كبيرة، يوجد دَيْن مستحق على الشماس وآخر على الكاهن ولكن المستحق على الأسقف أثقلهم.
وتبدأ الصلاة بتمجيد الله.

ليتورجية الموعوظين (خدمة الكلمة):

ليتورجية الموعوظين تسبق ليتورجية المؤمنين،

والموعوظون الذين تصبح نفوسهم عازفة عن الشر لمدة طويلة، وخاصة الذين يسمعون للكلمة، نسمح لهم أن يحضروا تعاليم الرب يسوع لتلاميذه التي كان يقولها لهم خاصةً وعلى انفراد.

ليس للاشتراك في الأسرار ندعو الأشرار واللصوص، ولكن هؤلاء ندعوهم للتطبيب والشفاء بالكلمة أولاً، لأن في الكلمة الإلهية معونة لشفاء هؤلاء المرضى بحسب الكلمة القائلة: «إن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى» ندعوهم لنعصب جراحاتهم بكلمة الرب، ونعالج النفس التي تقيَّحت بالشرور بواسطة الأدوية المستخلَصة من الكلمة.

والقراءات تشمل فصولاً من العهد القديم والعهد الجديد، يليها عرض دراسي مفصَّل.

وقد **اعتادت** الكنيسة أن تقرأ سفر أيوب في أيام الأربعين المقدَّسة وبالأخص في أسبوع الآلام.

ثم عظة على موضوع القراءات.

صلوات نهاية قداس الموعوظين:

ويتبع العظة مباشرة مجموعة صلوات ينهض لها الشعب كله وقوفاً.

وبواسطة الصلاة نستطيع أن نطرد الشياطين من نفوس البشر (الصلاة على الذين بهم أرواح نجسة).

فالله الكلمة أُرسل إلى العالم بالحقيقة طبيباً للخطاة.

والكتب (التي يحملها الكهنة = الخولاجيات) تحوي الصلوات التي يستخدمونها في الصلاة بحسب الأوامر المرسومة والأنظمة المحددة، وهذه الصلوات تجعلهم محصَّنين لا يُقهرون قط أمام الشياطين وكل قوى السحر.

صلوات المؤمنين "الأواشي":

وبعد ذلك نحن نعبد الله الواحد بكل قوتنا مع ابنه الوحيد الكلمة صورة الله، وذلك بالصلوات والتضرعات مقدِّمين توسلاتنا لله خالق العالم بواسطة ابنه الوحيد، ونحن لا بد دائماً أن نسأله، لأنه هو وحده القادر أن يمدَّنا بكل احتياجاتنا الجسدية.

اطلبوا الأمور الكبيرة، والأمور الصغيرة تُزاد لكم.
اطلبوا السمائيات، والأرضيات تُزاد لكم.
فالطلبة هي سؤال من أجل احتياجات.
والصلاة هي تكريم وتسبيح بسبب الأمور الهامة.

والتشفعات هي ترجِّي الله بواسطة آخر عنده مزيد من الثقة في الله.

والفرق بين الأوشية والإبروسة أن الأُولى تُقدَّم بنذر والثانية بمرارة قلب.

ونحن نتمسك باعتقادنا أن ليست "**ثمار الأرض**" فقط بل و"**الأنهار**" و"**الينابيع التي تفرِّح الأرض**" والهواء واعتداله ونقاوته (مزاج حسن)، كل ذلك يُحفظ برعاية وضبط بواسطة الخلائق المخصَّصة لذلك، وهم الذين نسميهم بالوكلاء ''والحرَّاس'' (الملائكة) غير المنظورين.

والذين يتناولون من هذه (بعد الصلاة عليها وبعد التناول حسب الطقس القديم) سواء كانت قمحاً أو خمراً أو ثمار فاكهة أو مياهاً أو هواءً، إنما يعيِّدون مع الملائكة السمائيين المعيَّنين لذلك، والذين يُستدعون ليكونوا شركاء على مائدة الأتقياء من بني الإنسان الذين يطيعون القول القائل: «فكل ما أكلتم أو شربتم أو عملتم أي عمل آخر فاعملوا الكل لمجد الله» (1كو 31:10)، و «اصنعوا كل شيء باسم الله.» (كو 17:3)

ونحن نقدِّم الباكورات لله الذي قال: «لتُخرج الأرض عشباً يصنع بذراً والشجر يثمر كجنسه.»(تك 11:1)

والله الذي تُقدَّم له الباكورات، له أيضاً تُقدَّم الصلوات. إذ لنا رئيس كهنة أعظم قد عبر السموات يسوع ابن الله ''صلُّوا لكي نكون مستحقين أن نقدِّم لله القرابين! لكي يقبلها الله ويردَّها لنا ويمنحنا بواسطة ربنا يسوع المسيح السمائيات عوض الأرضيات.'' (أوشية للشماس)

الصلاة من أجل الراقدين:

يصنعون تذكاراً بخشوع للقديسين الذين رقدوا في الإيمان لكي ينالوا عزاءً وسروراً، طالبين أن يكون لنا معهم أيضاً كمالٌ في الإيمان.

ويعتقدون أنه من اللائق أن يذكروا القديسين في صلواتهم ويعزُّوا أنفسهم بذكراهم.

الصلاة من أجل الرؤساء:

نحن نقدِّم أكبر معونة للملك، التي يمكن أن نسميها معونة إلهية ... بواسطة صلواتنا التي نقدِّمها لله والتي نستطيع أن نُبطل بها عمل الشياطين التي تثير الحروب والتي تنقض المواثيق وتقلق السلام ... ونحن بالصلاة نكون أكثر معونة له من الذين يدخلون معه المعارك في الحرب ... فنحن نحارب من أجله بواسطة جيش خاص بالتقوى والصلوات.

الاعتراف:

ولكي تصبح توبة الخاطئ كاملة يتحتَّم الاعتراف على ''كاهن الله''.

ولكن دقِّق باهتمام في مَنْ تعترف عنده بخطاياك. عليك أولاً أن تضع الطبيب تحت الاختبار حتى تعرف إن كان قادراً أن يكون ضعيفاً مع الضعفاء وباكياً مع الباكين. وانظر إن كان يعتقد أن وجعك (خطيتك) هو من النوع الذي ينبغي أن يُعرف ويُشفَى في حضرة الجماعة المجتمعة (الاعتراف العلني في داخل الكنيسة، وكان موضعه بعد الأواشي وقبل صلاة الصلح)، فاتبع المشورة إن كان الطبيب متمرساً ومختبراً.

وإن الاعتراف العلني بالخطايا xomolÒghsij™ (داخل الكنيسة) من الوسائل الناجعة والمؤثرة.

يوجد كهنة هم بالحق كهنة الكاهن الأعظم، هؤلاء تقبَّلوا معرفة الشفاء الذي يأتي من الله، وتعلَّموا من الروح القدس عمَّا يختص بالخطايا التي ينبغي أن يرفعوا عنها ذبيحة، ومتى يكون ذلك، وبأية كيفية. كما تعلَّموا أيضاً أي الخطايا التي لا يصح أن يُصنع لها هذا.

ولكن يوجد آخرون لا أعلم كيف ادَّعوا لأنفسهم بغير وجه حقٍّ قدرةً على الحِلّ فوق سلطانهم الكنسي حسب الطقس، ربما لعدم معرفتهم بحدود الكهنوت واختصاصهم، فافتخروا أنهم قادرون أن يغفروا خطايا مثل عبادة الأوثان والزنا والنجاسة (يشير إلى زفرينيوس بابا روما وكالليستوس خَلَفِه) على أساس أنه بواسطة صلاتهم عليهم تُغفر لهم، حتى ولو كانت ''خطاياهم للموت''!

قُبلة السلام:

وبعد الصلوات **تكون قبلة السلام، وذلك عند بدء إعطاء الأسرار**.

وكل الذين تطهَّروا ليس فقط من النجاسة بل وأيضاً من التعديّات المحسوبة أنها صغيرة، فهم مدعوون لكي يتقدَّموا إلى أسرار المسيح بكل شجاعة، لأنها موضوعة ومعلنة فقط للأطهار والقديسين، لأن هناك فرقاً بين أن ندعو الأشرار ليُشفَوْا بالتعليم، وأن ندعو الذين قد انفتحت بصيرتهم (تعمَّدوا) وتطهروا إلى الاشتراك في الأسرار المقدَّسة.

لقد بطلت عادة غسل الأرجل (قبل الدخول لبدء الإفخارستيا) عند الغالبية قبل إقامة الأسرار.

تقديم الصعيدة:

تقديم الصعيدة يكون بخبز وخمر.

يوجد أشخاص يهتمون بتزيين المذابح.

والتقديم ينبغي أن يكون على العموم باسم الله ضابط الكل وبواسطة يسوع المسيح، ذلك على قدر ما أن المسيح هو مساوٍ للآب في الألوهة. وبذلك لا تكون هناك تقدمة مزدوجة بل تقدمة واحدة لله بواسطة الله!

ونحن نقدِّم صلوات شكر لله خالق الجميع، وذلك مع تقديم الإفخارستيا من أجل البركات التي نلناها.

ونحن بالأكثر مسئولون جداً لئلا نكون غير شكورين لله الذي حمَّلنا أحمالاً من خيراته، هذا ونحن قبل كل شيء صنعة يديه الذي يعتني بنا في كل حال، والذي أعطانا الرجاء بالأمور التي تتجاوز هذه الحياة الحاضرة، لذلك لنا في خبز الإفخارستيا مثال الشكر الذي نقدِّمه لله. فإن كل الذين جعلوا كل أملهم في الأمور الصالحة، حينما يصلُّون إلى الله يجدون عشرات الأُلوف من القوات المقدَّسة بجوارهم، حتى وبدون أن يُطلب منهم نجدهم يصلُّون معنا.

التسبحة الشاروبيمية:

إن الملائكة في السماء «الذين يفرحون بخاطئ واحد يتوب» يقدِّمون الصلوات مع الذين يصلُّون بإخلاص، ألوف ألوف وقوف قدامه وربوات ربوات يقدمون له الخدمة، وحبقوق النبي يصرخ: «إنك تُعرَف بين كائنين حيَّين» (حب 2:3 حسب السبعينية) الذي هو فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم ليس في هذا الدهر فقط بل وفي المستقبل أيضاً.

فالآن نحن نتبنَّى النظرة القائلة أن الملائكة المقدَّسين والقوات المقدَّسة والعروش المباركة والسيادات الممجَّدة، هي ذات قوة وكرامة ومجد ليس باستحقاق طبيعتها (ولكن بسبب الذي أعطاها).

والساروفان اللذان يذكرهما إشعياء، موصوفان أن لكل منهما ستة أجنحة، وأنهما يصيحان الواحد قبالة الآخر قائلين: «قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت»

التقديس:

متوسلين لله خالق العالم بواسطة ابنه الوحيد ككاهن أعظم، لكي يقدِّم ذبائحنا وصلواتنا إلى الله العلى.

فالخبز الذي خصَّصه الله ''الكلمة'' (المسيح) ليكون جسده هو الكلمة الذي يغذِّي النفس. كلمة

من كلمة وخبز من خبز سمائي موضوع على المائدة...

والشراب الذي في الكأس الذي خصَّصه الله الكلمة (المسيح) ليكون دمه هو الكلمة الذي يُسكر القلب ويُشبعه.

فالخبز المنظور يحمل سر الجسد المكسور، والشراب المنظور يحمل سر الدم المسفوك.

الاستدعاء:

وخبز الإفخارستيا هو الذي يُدعى فوقه باسم الله والمسيح والروح القدس.

وخبز الإفخارستيا يتقدَّس "**بكلمة**" الله والصلاة.

فالخبز يصير "**نافعاً**" بمقتضى الصلاة التي قيلت عليه.

ودم المسيح نشربه على حالين: نشربه سرائرياً بالطقس (أي في سر الإفخارستيا) ونشربه حينما نقبل كلماته المحيية.

فانظروا كيف أن المذابح لم تعد بعد يُرشَّ عليها دم عجول، ولكنها تقدَّست بدم المسيح "**الثمين**".

والخبز الذي (عليها) يصير بواسطة الصلاة جسداً مقدَّساً الذي يقدِّس الذين يتناولون منه بإخلاص.

القسمة، والتناول:

أنتم الذين أُعطي لكم أن تساعدوا في إقامة الأسرار الإلهية، احترسوا وأنتم تحملون جسد الرب أن تكونوا بانتباه شديد لئلا يقع جزء منه على الأرض، أو أن تضيع منكم أجزاء من الصعيدة المقدَّسة، احسبوا هذا جريمة، وهي كذلك بالحق إذا كان عن إهمال يسقط منكم شيء.

نأكل أيضاً الخبز المقدَّم لنا، الخبز الذي صار بواسطة الصلاة جسداً مقدَّساً، الذي يقدِّس الذين يتناولون منه بإخلاص.

صلاة:

"واعطنا يا الله ضابط الكل نصيباً وميراثاً مع أنبيائك، مع رسل مسيحك وتفضَّل أن نكون عند أقدام ابنك الوحيد".

وكما بدأنا الصلاة بتمجيد الله، فمن المناسب أن نختمها بالتمجيد والتسبيح: «نمجِّد الآب بالمسيح يسوع **في الروح القدس**»

ثالثاً: الإفخارستيا في مصر
(بين سنة 246 ـ سنة 265م)

القديس ديونيسيوس الكبير ـ بابا الإسكندرية (246–265م):

[إن في أمور أخرى (غير عقيدة الألف سنة الزمانية التي كان يؤمن بها نيبوس أسقف الفيوم "أرسينوي") أُرحِّب بأعماله وأحبه بسبب أمانته وجهاده ودراسته العميقة والصبورة للأسفار المقدَّسة "**وجهاده الكبير في عمل الأبصلمودية**"(120) التي أصبح يستخدمها الكثيرون بابتهاج...](121)

من الرسالة إلى باسيليدس أسقف بنتابوليس، ليبيا، بخصوص ميعاد إقامة قداس الفصح والإفطار، وقد اعتبرت الكنيسة الجامعة رد ديونيسيوس قانوناً كنسياً في الكنيسة عامةً بعد ذلك:

قانون رقم 1:

[فالذين يتسرَّعون بلهفة وينهون صيامهم **قبل منتصف الليل، فهؤلاء قد أخطأوا ويستحقون التوبيخ**، لأنهم غير أَعِفَّاء وقد كسروا منهجهم التَقَوي بسبب تسرُّعهم. أمَّا الذين يمسكون أنفسهم ويتجلَّدون وقتاً أطول **مداومين حتى الهزيع الرابع (قبل بزوغ الفجر)** الذي هو أيضاً الوقت الذي ظهر فيه الرب لتلاميذه ـ ماشياً على المياه ـ الذين كانوا في العمق، **فنحن نرحب بهؤلاء كتلاميذ للمسيح مجاهدين**. وأمَّا الذين يتوقفون عن المسيرة ويدلِّلون أنفسهم وهم قادرون، فهؤلاء لن نتشدَّد بخصوصهم. لأن ليس الجميع يحفظون الستة أيام (أسبوع الآلام) صوماً بالتساوي، **فالبعض يصومونها جميعاً بدون أن يذوقوا الطعام، والبعض يكتفي بيومين**، والبعض **ثلاثة أيام** فقط، والبعض **أربعة أيام**.

---

(120) يظهر من هذا القول أن الأبصلمودية المقدَّسة أول مَنْ جمعها ورتَّبها في مصر هو نيبوس أسقف أرسينوي. وأمَّا أول مَنْ جمعها ورتَّبها في الغرب فهو القديس ديونيسيوس الكبير بابا روما 246ـ265م.

(121) Dionysius the Great, Patri. of Alexa., ANF, VI, p. 81.

وآخرون ولا حتى **يوماً واحداً** ... وآخرون لا يصومون الأربعة أيام الأُولى وعندما يأتون إلى اليومين الأخيرين **أي الجمعة والسبت يصومون بشدة فيهما فقط** معتقدين أنهم إنما يعملون عملاً كبيراً ورائعاً صائمين حتى الفجر، **ولكن مثل هؤلاء لا يكونون في مساواة الذين صاموا الأيام كلها بتعقُّل**.](122)

قانون رقم 2:

[بخصوص السؤال فيما يختص بالنساء في فترة الامتناع (الحيض)، فهذا السؤال غير ذي معنى، لأني أعتقد **أنهن لو كنَّ مؤمنات وتقيَّات فإنهن سيجدن أنفسهن في ذلك الوقت جزعات من أن يقتربن من المائدة المقدَّسة أو يلمسن جسد ودم الرب (قدس الأقداس)**. والحقيقة أن المرأة نازفة الدم لم تلمس الرب نفسه، ولكن لمست فقط هُدْب ثوبه، لأنها كانت ترى في ذلك كفاية لشفائها!! **لأن الإنسان أيًّا كان إذا لم يكن طاهراً تماماً بالنفس وبالجسد، فإنه يُمنع – بالأمر – من أن يقترب إلى قدس الأقداس (الجسد والدم)**.](123)

قانون رقم 3:

[وفيما يختص بالمجاهدين الذين بلغوا سناً متقدمة، فعليهم أن يحكموا من أنفسهم في هذه الأمور، **لأنه جيد أن يمتنعوا عن بعضهم البعض باتفاق حتى يكونوا أحراراً لفترة يكرِّسون أنفسهم فيها للصلوات**، وبعد ذلك يجتمعون، كما سمعوا من بولس الرسول.](124)

قانون رقم 4:

[**وبخصوص الذين يحصل لهم فيض (استحلام) ليلي بدون إرادتهم، فعليهم أن يتبعوا شهادة الضمير. فالذي يتشكَّك كما في أمر أكل اللحم، فإنه يُدان إذا أكل**، لذلك في مثل هذه الأمور، كل واحد يريد أن يقترب من الله يلزم أن يكون بضمير طاهر وثقة حسنة على قدر ما يحكم هو نفسه.](125)

* بخصوص إنسان تعمَّد من الهراطقة ودخل الكنيسة الجامعة ودون أن يدري اشترك في جسد

(122) *Ibid*., pp. 95,96.
(123) *Ibid*., p. 96.
(124) *Ibid*., p. 96.
(125) *Ibid*., p. 96.

الرب ودمه لسنواتٍ طويلة جداً، ثم سمع بخبر الإيمان الصحيح وما يُقال في المعمودية الصحيحة فتألمت نفسه جداً وذهب إلى البابا ديونيسيوس:

[... وقال لي إن نفسه طُعنت بإحساس مرير وألم حتى إنه لم يستطع أن يرفع عينيه إلى الله لأنه قَبِلَ معمودية الهراطقة ونطق فيها بكلمات شريرة، وكان يرجو ويتوسَّل أن ينال المعمودية الطاهرة لكي يحصل على التبني والنعمة، ولكني لم أجرؤ أن أصنع له هذا، ولكني قلت له إن مداومة الاشتراك أي التناول فيه الكفاية لهذا الأمر، لأني لم أجرؤ أن أجدِّد من جديد إنساناً قد سبق وأن "**سمع صلاة الإفخارستيا**" واستجاب مع الجميع بكلمة "**آمين**"، "**ووقف بجوار المائدة المقدَّسة**"، "**ومدَّ يده واستلم الطعام المقدَّس**" و"**تناوله**" وظل مدة طويلة (منذ ما قبل رسامة البطريرك السابق هيراكلاس) **وهو "يشترك في جسد ودم ربنا يسوع المسيح"**.

فأمرته أن يتشجَّع ويتقدَّم إلى القرابين المقدَّسة بإيمان ثابت وضمير حسن ويشترك فيهما، ولكنه لم يكفّ عن النحيب وخاف أن يتقدَّم إلى المائدة، وبصعوبة كان يقتنع أن يحضر الصلوات.][126]

إشارة إلى أوشية الملك التي تصلِّيها الكنيسة من أجل الملوك والولاة:

[نحن نعبد الله الواحد الذي خلق كل شيء، وهو الإله الذي أعطى السلطان ليدي صاحِبَيْ الجلالة فاليريان وجاللينوس، فهذا هو الله الذي نكرمه ونعبده كلانا **والذي نصلِّي إليه بصورة دائمة من أجل سلطان هؤلاء الرؤساء حتى يدوموا بثبات**.][127]

الوالي إمليانوس يحاكم البابا ديونيسيوس ويقبض عليه ويرسله أسيراً إلى سفرو بليبيا:

[إني سأمنعكم ولن أعطيكم أي حق **أن تعقدوا اجتماعات أو "تدخلوا الأماكن التي تسمَّى المقابر"**].

في وقت الاضطهاد كانت الكنيسة تطالب بشدة كل أسقف أن يجمع شعبه بغاية السرعة لكي يعمِّد جميع الأطفال والموعوظين ويقيم إفخارستيا عامة ويناول فيها جميع الشعب حتى يعدَّهم للشهادة وهم معمَّدون ومتناولون، والبابا ديونيسيوس يقدِّم هنا الدليل على أنه لم يتمكن من أن

(126) *Epist. IX to Sixtus* II, p. 103.
(127) *Ibid*., p. 105.

يجمع الشعب لأن الاضطهاد قام فجأة، وأُخذ هو في الأسر بدون أن يستطيع أن يقيم الإفخارستيا. ويُلاحَظ هنا أن الاجتماعات العامة كانت تُعقَد في المقابر حيث تُقام الإفخارستيا سرًّا.

[ولكننا في سفرو (ليبيا) استطعنا أن نعقد "**اجتماعاتنا المقدَّسة**" على نطاق أوسع].

[**وكل موضع شهد آلامنا التي وقعت علينا أصبح مقراً "لاجتماعاتنا المقدَّسة**" سواء كان حقلاً أو صحراء أو مركباً أو فندقاً أو سجناً على حدٍ سواء! وأمَّا أعظم عيد بلغ السرور فيه أَوَجَهُ، فهو الذي أقامه الشهداء منا الذين كملوا وذهبوا وجلسوا في عيد السماء.][128]

[وكان الاتصال بالرسائل محالاً، مع أنه كان في غاية الضرورة بالنسبة لي، **لأنهم أحشائي وأقرب ما أملك إلى نفسي، إخوتي المتحدون بنفسي أعضاء الكنيسة الواحدة.**][129]

[كان معنا رجل مؤمن متقدِّم في الأيام يُدعى ''سيرابيون''، قضى عمره الطويل بلا لوم، ولكنه في زمن التجربة سقط بسبب الاضطهاد (أي قدَّم الذبيحة للأوثان). وعبثاً حاول هذا الإنسان بصلاة وتوسُّل دائم أن ينال الحِلّ ولكن أحداً قط لم يلتفت إليه باعتبار أنه ذبح للأوثان! وأخيراً وقع مريضاً وظل إلى ثلاثة أيام وهو في حالة إغماء لا يسمع ولا يحس. وفي اليوم الرابع انتعش قليلاً فاستدعى ابن بنته وقال له: ''يا ابني إلى متى تمنعونني؟ أتوسَّل إليك أسرع واحصل لي على الحِلّ واستدعي لي أحد الكهنة''. وإذ قال ذلك ذهب في غيبوبة طويلة مرة أخرى، فجرى الولد إلى أحد الكهنة، ولكن كان الوقت مساءً وكان الكاهن مريضاً فلم يستطع الحضور معه. ولكن **لأني كنتُ قد أصدرتُ وصيةً أن الأشخاص الذين يبلغون حالة الموت، إذا طلبوا الحِلّ وخصوصاً إذا كانوا قد أَلحُّوا في ذلك مخلصين، يلزم إعطاؤهم الحِلّ حتى ينطلقوا من الحياة في رجاءٍ بفرح ... أعطاه الكاهن جزءاً صغيراً من الإفخارستيا**[130] **وأوصاه أن ينقع هذا الجزء في الماء ويُسقطه في فم الرجل، فعاد الولد حاملاً** ''الجزء''. ولما اقترب الولد وهو لم يدخل بعد المنزل أفاق سيرابيون مرةً أخرى وقال (وهو لم يَرَ الولد بعد): ''ها قد حضرت يا ابني والكاهن لم يحضر ... أسرع يا بني واصنع ما أوصاك به ودعني أنطلق!!''. أمَّا الولد فنقع ''الجزء'' في ماء وأسقطه في فم الرجل فبلعه

(128) *Ibid.*, p. 109.

(129) *Ibid.*, p. 108.

(130) جزء من الجسد مغموس بالدم محفوظ في بيت الكاهن للطوارئ.

للحال، وللحال أسلم الروح. **أليس من الواضح جداً أن هذا الإنسان ظل محفوظاً (بالنعمة) وأنه لم يصرَّح له بمغادرة الحياة حتى نال الحِلّ!! وأنه انتظر حتى تُمسح خطاياه حتى تُزكَّى أعماله الصالحة السابقة؟**](131)

[لا أحد يستطيع أن يشترك "**في المائدة الروحانية**" إلاَّ الإنسان الذي دعاه الله والذي استمع إلى ''الحكمة'': «خذوا كلوا»](132)

يُلاحَظ أن ديونيسيوس يحاول أن يطبق مائدة الإفخارستيا على ما جاء في سفر الأمثال (5:9) بخصوص الحكمة التي «بَنَتْ بيتها ونحتت أعمدتها السبعة وذبحت ذَبْحَها ومزجت خمرها ورتبت مائدتها وأرسلت جواريها لتنادي **هلموا كلوا** من طعامي» وهكذا يأتي القديس أثناسيوس الرسولي ويكمِّل التطبيق بوضوح وجرأة ونعمة.

✝

وهكذا بهذه الأقوال يكشف لنا القديس ديونيسيوس الكبير بابا الإسكندرية صورة لمفهوم وأوضاع الإفخارستيا في منتصف القرن الثالث (سنة 246 ـ سنة 265م) أي مدة رئاسته.

ونستطيع أن نجمع الصورة الآتية من الأقوال المتفرقة التي بقيت لنا من كتاباته:

- الكنيسة كانت تلتف حول أسقفها بمحبة وتكريم فائق، وكان الأسقف يعتبر رعيته كجسده وكأحشائه وأعضائه المتحدين بنفسه.

- إن الاجتماعات التي كانت تقيمها الكنيسة أيام الاضطهاد لم تكفّ، وكانت الإفخارستيا تقام في المقابر خلسةً. **فكان التئام الجماعة في أي مكان بحضور الأسقف يُعتبر اجتماعاً مقدَّسا. وتُقام الإفخارستيا** سواء كان في السجن أو في فندق أو في حقل أو صحراء أو في مركب.

- كان التدقيق على أشده بالرغم من كل هذه الظروف الصعبة، **فكان لا يُصرَّح لأحد أن يقترب إلى المائدة المقدَّسة إلاَّ إذا كان طاهراً جسداً ونفساً**. والنساء يمتنع عليهن التناول في أيام دورتهن الشهرية.

- الصوم قبل التناول يوضحه التدقيق في صوم أسبوع الآلام وخصوصاً ليلة الفصح حتى قبل الفجر.

(131) *Ibid*., 101.
(132) *Ibid*., p. 114.

- مجرد أن يحضر الإنسان **القدَّاس ويسمع صلاة الإفخارستيا ويجاوب بكلمة "آمين"**، هذا يُحسب **ممارسة فعلية لحالة تجديد. وكلمة "آمين" في القداس معناها شركة وإيمان** في كل مضمون الصلاة التي قيلت ودخلت آذان الإنسان وقلبه**!**
- كان المؤمنون يقفون بجوار المائدة المقدَّسة ليأخذوا نصيبهم في الإفخارستيا.
- كان التناول يتم على مرحلتين: الأُولى يستلم فيها المؤمن نصيبه من الجسد المقدَّس في يده، وبعد ذلك يتناوله هو بنفسه.
- كان التقدُّم إلى المائدة المقدَّسة وهي المائدة الروحانية أمراً تجزع منه النفس وترتعب إذا أحست أنها غير مؤهَّلة. لأن الشعور كان يحتسبها أنها قدس أقداس: أي حضرة إلهية بكل تأكيد. لذلك كان المؤمنون يحتاجون التائبون إلى تشجيع لكي يتقدَّموا.
- "الاشتراك في جسد ودم ربنا يسوع المسيح" كان عمل الأتقياء الذي يداومون عليه بنشاط.
- كانت أوشية الملك تُقال في القداس على الدوام.
- كانت أجزاء من الإفخارستيا تُحفظ في بيت الكاهن لحالات الطوارئ.
- من أقوال القديس ديونيسيوس يتضح إيمان الكنيسة الواضح أن "**الحِلّ الذي يناله التائب من الكاهن**"، ثم "**تناوله من الجسد والدم**"، هما معاً "**يمسحان الخطية**". وأيضاً يُحسبان **ضرورة حتمية لتزكية الأعمال الصالحة السابقة.**
- كذلك يتضح من أقوال القديس ديونيسيوس أن **نوال الحِلّ من الخطايا والتناول** لازمان جداً جداً قبل الموت.
- واضح أيضاً من الأقوال السابقة أن "**نيبوس" أسقف أرسينوي (الفيوم) ألَّف أبصلمودية للتسابيح داخل الكنيسة** وانتشرت ألحانه وحُفظت وكانت محل موافقة وتقدير ومديح من ديونيسيوس الكبير بابا الإسكندرية. وذلك كان قبل أيام رئاسة ديونيسيوس التي بدأت سنة 246م.

وهكذا تكشف لنا سيرة ديونيسيوس الكبير عن تاريخ بدء ترتيب الألحان الكنسية داخل القداس **ووضعها في كتاب خاص.**

من سيرة القديس البابا بطرس خاتم الشهداء
(301 - 311م)

في تشييع جسده:

[وحملوا سعف النخيل كعلامة للنصرة، ومشاعل (الوقت كان ليلاً) وبتسابيح حلوة، "**وبخور عطر الرائحة**" خرجوا محتفلين بانتصاره السمائي، واستودعوا جسده في المقبرة التي كان قد أقامها هو بنفسه والتي صارت منها عجائب لم تكفَّ ...][133]

[الرب الابن الوحيد، خالق ما يُرى وما لا يُرى، الكلمة المساوي للآب في الجوهر والروح القدس، ربنا وإلهنا يسوع المسيح الذي **في آخر الدهور** وُلد بحسب الجسد من سيدتنا العذراء على الدوام القديسة والممجَّدة والدة الإله مريم التي هي بالحقيقة والدة الإله، ورُئي على الأرض كإنسان متحدثاً حديثاً حقيقياً مع الناس...

في ذلك اليوم الذي فيه كان اليهود على وشك أن يأكلوا الفصح في المساء صُلب ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، فصار بذلك الضحية **بالنسبة للعتيدين أن يشتركوا بالإيمان في السر الخاص به (سر الإفخارستيا)** بحسب ما قاله بولس الرسول: «لأن المسيح أيضاً فصحنا قد ذُبح لأجلنا» وليس كما يقول البعض المساقون بالجهل مؤكِّدين كأنهم واثقون أن المسيح بعد أن أكل الفصح أُسلم! **الأمر الذي لم نتعلَّمه من الإنجيليين الأطهار ولا أحد من الرسل المباركين سلَّمه لأحد منا! بل إنه في الوقت الذي تألم فيه ربنا من أجلنا بحسب الجسد لم يأكل من الفصح الشكلي، ولكن كما سبق وقلت، إنه هو نفسه كحمل حقيقي ذُبح من أجلنا في العيد** الذي هو الفصح القانوني الذي كان في يوم الجمعة (الاستعداد) الرابع عشر من الشهر القمري الأول. ومن أجل ذلك أبطل الفصح الشكلي، لأن الفصح الحقيقي قائم « المسيح فصحنا ذُبح من أجلنا» كما قال وعلَّم بولس الرسول الإناء المختار.][134]

وهكذا بكل وضوح **تتحقق العقيدة الأرثوذكسية القائلة بأن عشاء الخميس السري لم يكن**

(133) *Genuine Acts of Peter of Alexandria*, ANF, VI, p. 268.
(134) *Ibid*., p. 282.

فصحاً، وأن المسيح بارك فيه خبزاً عادياً مختمراً الذي صار هو خبز الإفخارستيا.

[نحن نحتفظ بيوم الرب (الأحد) كيومٍ للفرح، لأن فيه قام الرب من الأموات، وتقليدنا يمنع إحناء الركب في ذلك اليوم.][135]

ويُلاحَظ أن مجمع نيقية أخذ بكلام القديس بطرس خاتم الشهداء وجعله قانوناً عاماً للمسكونة كلها تحت رقم (20).

ﮩ 📖 ﮩ

(135) Nicene Canon 20, cited by Bingham, *op. cit.*, 4, p. 500.

رابعاً: الإفخارستيا في مصر
(سنة 318 - 373م)
القديس أثناسيوس الرسولي

رسالة إلى سيرابيون بخصوص الجسد والدم في الإفخارستيا:

1- [وهنا أيضاً يستعمل الرب الإصطلاحين فيما يخص نفسه. **الجسد والروح**، وهو يميز الروح مما للجسد حتى يؤمنوا ليس فقط بما هو منظور منه بل وأيضاً لكي يؤمنوا بما هو ليس بمنظور. وهكذا يفهمون أن ما يقوله ليس جسدياً بل روحياً، وإلاَّ فالجسد[136] إذا أُخذ على أنه طعام فكم يكفي من الناس؟ وإن صار طعاماً فهل يكفي العالم كله؟ ولكن لهذا السبب عينه يذكر الرب صعود ابن الإنسان إلى السماء، وذلك لكي يجذب أفكارهم بعيداً عن مستوى الجسديات، ومن هنا يستطيعون أن يفهموا **أن الجسد الذي يذكره هو سمائي، من فوق، وأنه طعام روحاني يُعطَى على يديه،** لأن «الكلام الذي قلته لكم هو روح وحياة» وهذا يمكن أن يُقال هكذا: أن ما استُعلن لكم (مني) وما سيُعطى من أجل خلاص العالم **هو جسدي الذي أنا لابسُه، وهذا الجسد والدم الذي منه،** سوف يُعطَى لكم روحياً على يديَّ **كطعام حتى ينتقل إلى كل واحد روحياً** ويصير للجميع حافظاً للقيامة التي للحياة الأبدية][137]

هنا واضح في كلام القديس أثناسيوس أن الجسد والدم في الإفخارستيا هما جسده الحقيقي ودمه الحقيقي يمنحان الإنسان انتقالاً روحياً ويهبان الإنسان قوة القيامة العتيدة.

من خطاب إلى مكسيموس (سنة 371م):

2- [ونحن نتألَّه باشتراكنا ليس في جسد إنسان **بل بتناولنا من جسد "الكلمة" نفسه.**][138]

3- [انظر أيها الشماس لئلاَّ تعطي جوهرة الجسد الذي بلا خطيئة لغير المستحقين.][139]

(136) إن كان يُفهم جسدياً فقط.

(137) *Ad. Serap.*, IV. 19.

(138) *Letter 61, 2, to Maximus,* NPNF, 2nd ser., vol. IV, p. 578.

(139) *Comment. on Matt.* VII. 6, cited by NPNF, 2nd Series, vol IV, p. lxxix.

هنا يتعامل القديس أثناسيوس مع خبز الإفخارستيا المتحوِّل كتعامله مع جسد المسيح الحي تماماً.

4- [إن هياكلنا الآن، وكما كانت دائماً، **طاهرة ومكرَّمة ومزيَّنة بدم المسيح** وبعبادته بالتقوى.][(140)]

5- وصف لهجوم الوثنيين على الكنيسة في الإسكندرية:

[وأخذوا **المقاعد، و "الثرونوس"**[(141)] **والمائدة التي كانت مصنوعة من الخشب، وستائر الكنيسة** [(142)]، وكل ما استطاعوا أخذه أخذوه وحملوا الكل خارجاً وحرقوه أمام الأبواب في الشارع الكبير وألقوا بالبخور في النار.][(143)].

لاحِظ أن البخور موجود من قبل عصر البابا أثناسيوس بالضرورة، ومذكور في وصف جنازة البابا بطرس خاتم الشهداء. إذاً، فهو موجود وله طقسه وصلواته.

6- خطاب الاحتجاج المقدَّم من شعب الإسكندرية إلى الإمبراطور قسطنطيوس على أعمال الأريوسيين الوحشية:

[من شعب كنيسة الإسكندرية الكاثوليكية (الجامعة) الخاضعة لتدبير الكُلِّي الاحترام الأسقف أثناسيوس، يقدِّمون هذا الاحتجاج العام:

إنه في اليوم التاسع من شهر فبراير الموافق للرابع عشر من شهر أمشير بينما كنَّا **نقيم السهر في "بيت الرب"، ومهتمين بالصلوات، لأنه كان مزمعاً إقامة تناول (اشتراك) في يوم الاستعداد (السبت)** . **وفجأة في منتصف الليل** هجم علينا وعلى الكنيسة الدوق العظيم الشرف سيريانوس بمجموعات كبيرة من عساكره مسلَّحين بسيوف شاهرة وسهام وحراب وعصي ولابسين خوذات على رؤوسهم، هذا ونحن كنا بالحقيقة نصلِّي **وكانت الفصول تُقرأ**، وإذ بهم يكسرون الأبواب، ... **ودخلوا حتى إلى الأماكن التي لا يُسمح بالدخول فيها لأي مسيحي** ...**]**[(144)]

7- القديس أثناسيوس يروي القصة بنفسه، في دفاعه لدى الإمبراطور قسطنطيوس:

(140) *Defence against the Arians*, 5, NPNF, 2nd series, IV, p. 102.

(141) كرسي البطريرك.

(142) التي كانت تفصل الهيكل عن الخوارس الخارجية، وربما كانت أيضاً تفصل أماكن السيدات عن الرجال.

(143) *Hist. of the Arians*, 56, NPNF, 2nd Series, IV, pp. 290, 291.

(144) *Hist. of the Arians*, 81, NPNF, 2nd Series, IV, pp. 301-302.

أ ـ [لقد هجم سيريانوس على الكنيسة بعساكره بينما كنَّا مشغولين في الخدمة ...، إذ **كان سهرٌ تحضيراً للشركة في الغد** ...][145]

هنا يُلاحَظ أن السهر كان الجمعة مساءً والتناول سيكون السبت صباحاً.

ب ـ في دفاعه عن سبب هربه:

[وأحاط سيريانوس وأوقف عساكره على أهبة الاستعداد حتى لا يفرَّ أحد من الكنيسة ... **أمَّا أنا فجلست على الثرونوس**[146]، وأشرت إلى **الشماس ليقرأ مزموراً** والشعب يجاوبه: «لأن إلى الأبد رحمته» حتى يخرج[147] الشعب ويذهب كلٌّ إلى بيته، ولكن الجنرال هجم بعنف ودخل الكنيسة **وأحاط الجند "بالهيكل"**[148] Sanctuary **ليتعرَّفوا علينا**، والكهنة وبقية العلمانيين الموجودين صرخوا علينا لكي ننسحب ... أمَّا أنا فوقفت **وأمرت بالصلاة**، وبعد ذلك **رجوتهم في الخروج** ... ولما كان الجزء الأكبر قد خرج خارجاً وكان الباقي يتبعونهم، وإذا بالرهبان الذين كانوا معنا وبعض الإكليروس **صعدوا إلينا**[149] وجرُّونا خارجاً. وهكذا ـ والحق شاهد علينا ـ بينما كان العسكر واقفين أمام الهيكل والآخرون كانوا يجوبون الكنيسة مررنا بينهم تحت قيادة الله وعنايته، وانسحبنا دون أن يلحظنا أحد ...][150]

يُلاحَظ في الأصل اليوناني أنه يذكر أن الثرونوس موجود في مكان اسمه ϊerateιon ـ أي الهيكل، وهو المكان المخصَّص للإكليروس[151].

8ـ [وواحد من شبان الآريوسيين المنحلِّين دخل الكنيسة وتجرَّأ وجلس فوق "**الثرونوس**" وأخذ يُخرج أصواتاً بذيئة، وقام وأراد أن يجرَّ الثرونوس ليقلبه ولم يَدرِ أنه يجرُّ على نفسه غضب الله، كما تجرَّأ قديماً أهل قرية أزوتس (أشدود) ومسكوا "**التابوت**" الذي لم يكن يَحِلّ لهم حتى ولا أن ينظروه، فكان جزاؤهم أنهم ضُربوا بالبواسير ضربةً شديدة، هكذا حصل لهذا الشاب،

(145) *Defence before Constant.*, 25, NPNF, 2nd Series, IV, p. 247.

(146) الكرسي البطريركي.

(147) الانصراف طقس كنسي هام ويُدعى dismissal.

(148) القديس أثناسيوس هنا على كرسيه داخل الهيكل.

(149) هنا إشارة واضحة جداً أن الهيكل كان أعلى في مستواه الأرضي عن باقي الكنيسة.

(150) *Defence of His Flight*, 24, NPNF, 2nd ser., IV, pp. 263-264.

(151) PG XXV, 676.

فحينما جرَّ الثرونوس مُريداً أن يحمله وقع عليه وضربه في أحشائه وقضى على حياته.](152)

وهنا نلاحِظ أن القديس أثناسيوس يعطي لكرسي البطريرك تقييماً مهيباً ويرفعه إلى مستوى قداسة الأدوات التي كانت داخل قدس أقداس بيت الله قديماً. كما نلاحِظ أن الثرونوس كان من الخشب العادي، وكان يمكن حمله وجرّه، ولأنه كان على درجة أعلى من مستوى الأرض، لذلك كانت أية محاولة لجرِّه كفيلة بأن تجعله ينكفئ ويقع هكذا.

9ـ ويصف القديس أثناسيوس الإفخارستيا في إحدى مقالاته هكذا:

[هذه هي الذبيحة غير الدموية التي للشفاعة.](153)

10ـ وفي وصف القديس أثناسيوس لأعمال أحد أتباع آريوس العلمانيين واسمه استيريوس، وكان قد ذبح للأوثان أيام الاضطهاد، يأتي القديس أثناسيوس ضمناً على ذكر المكان المخصَّص للكهنة في الكنيسة (الهيكل):

[ومن جرأة هذا الرجل كان يحشر نفسه في **الأماكن الممنوعة على العلمانيين، فكان يجلس في مكان الإكليروس**.](154)

11ـ **[وهكذا بواسطة الاعتراف المصحوب بالتوبة على يدي كاهن، فإنه ينال المغفرة بنعمة المسيح.]**(155)

واضح هنا أن الاعتراف والتوبة لمغفرة الخطايا على يد كاهن هما عقيدة كنسية ثابتة في زمن القديس أثناسيوس.

12ـ **دفاع القديس أثناسيوس لدى الإمبراطور قسطنطيوس:**

بخصوص التهمة التي وجهها الآريوسيون إلى القديس أثناسيوس أنه أرسل كاهناً يُدعى مكاريوس إلى مريوط فدخل إلى كنيسة للآريوسيين وحطَّم كأس الإفخارستيا.

[وبخصوص **الكأس الخاصة بالأسرار**، ماذا كانت هذه الكأس وأين كُسرت بواسطة

(152) *History of the Arians*, 57, NPNF, 2nd Series IV, p.291.
(153) *Oratio de defunctis*, PG XXVI, 1259, cited by NPNF, 2nd Series vol IV, p. lxxix.
(154) *De symodis*, 18, NPNF, 2nd Series, IV, p. 459, PG XXVI, 713.
(155) *Catena on Jerem.*, cited in NPNF, p. lxxix; Bingham VIII, ch. 6, p. 79.

مكاريوس؟ ... ألا يخجلون **من عرض الأسرار المقدَّسة أمام الموعوظين**؟ وما هو أردأ أيضاً أمام الوثنيين؟ أما كان يجدر بهم أن يستمعوا إلى ما هو مكتوب: «إنه جيدٌّ أن نحتفظ بسر الملك »(طوبيا 7:22)؟ أو كما أوصانا الرب: «لا تُعطوا القدس للكلاب ولا ترموا درركم أمام الخنازير» (مت 6:7)؟ **أما كان يجب علينا أن لا نستعرض ونشهِّر بالأسرار المقدَّسة أمام غير المعمَّدين حتى لا يسخر منها الوثنيون ولا نُعثر الموعوظين**؟ فالمكان الذي يقولون أن الكأس كُسرت فيه **لم يكن كنيسة، ولم يكن هناك كاهن يرعى المكان**، واليوم الذي قالوا إن مكاريوس عمل فيه هذا الأمر **لم يكن يوم الرب، إذاً، فلم تكن هناك كنيسة** إذ لم يكن موجوداً مَنْ يتمم الخدمة المقدَّسة ولا كان هذا اليوم يحتاج إلى كأس، فكيف تكون هذه كأس أسرار؟ وأين وكيف كُسرت؟ توجد كؤوس كثيرة في البيوت الخاصة والأسواق، وإذا كسر إنسان كأساً مثل هذه فلا يُقال عنه أنه ''بلا تقوى''. **أمَّا الكأس التي تخدم الأسرار فهذه وحدها إذا كُسرت وكُسرت عن عَمْدٍ، فكاسرها يُدعى "بلا تقوى". ومثل هذه الكأس يلزم أن تكون موجودة في حيازة أشخاص قانونيين، وهؤلاء يكونون قد استلموها بمقتضى القانون الكنسي،**[156] **بحيث تكون في حيازة مَنْ يرأس الكنيسة الكاثوليكية** (الجامعة) **لأن لهم وحدهم يحق أن يوزِّعوا دم المسيح وليس آخر معهم**.

وكيف يكون على (كسر) "**كأس**" مَنْ يَسْعَون لقتل الأسقف[157] الذي يقيم الإفخارستيا بواسطته؟

وكيف يكون على فقد **ثرونوس مغطًّى بغطاء أسقفي**[158] مَنْ يسعون إلى قتل الأسقف الذي يجلس عليه، حتى يبلغوا قصدهم أن يبقى الثرونوس بدون أسقف، ويبقى الشعب بدون التعليم الإلهي الصحيح؟][159]

13ـ **[وبجوار الثرونوس عن يمين ويسار مقاعد الكهنة.]**[160]

14ـ [يقول الرب "**تقدماتي هي عطاياي**" (عد 2:28 ـ ترجمة سبعينية)[161]، أي أن الذي

(156) قانون الرسل 65.

(157) أي القديس أثناسيوس.

(158) منجَّد بحرير أو قطيفة حمراء.

(159) *Defence Against the Arians*, 11-17, NPNF, 2nd Series, IV, pp. 106-109.

(160) Athanas., *Ad Solit.*, cited by Bingham VIII, p. 88.

(161) في الترجمة البيروتية «قرباني طعامي».

تقدمونه لي هو أصلاً عطيتي لكم، فلنقدم له كل فضيلة وقداسة التي هي فيه. وفي التقوى **نحفظ العيد**[162] **له بالأشياء التي قدَّسها لنا...**

فلتكونوا أرفع من الوثنيين في حفظ العيد بإخلاص النفس وطهارة الجسد، وأرفع من اليهود، **لأنكم لستم بعد تتناولون المثال والظل بل كأناس استنرتم بالمجد بنور الحق في بيت واحد في الكنيسة الجامعة لنأكل فصح الرب**[163] **الذي وقد أسس قانونه المقدَّس**[164] **قادنا إلى الحق، وأعطانا** مشورة التعفُّف والإمساك في هذا العيد، لأن الفصح هو بالحقيقة إمساك عن الشر لنتمرَّن على الفضيلة ... لأنهم قديماً جاهدوا ليعبروا مصر حتى يبلغوا أورشليم، **أمَّا نحن (فبفصح الرب) نعبر من الموت إلى الحياة**، هم انتقلوا من سلطان فرعون إلى موسى ونحن **ننتقل من الشيطان إلى المخلِّص**. وكانوا قديماً يقيمون تذكار هذا الخلاص كل سنة، هكذا نحن الآن نذكر خلاصنا ... **علينا أن نصلِّي حتى لا نأكل الفصح بغير استحقاق، لئلا نتعرَّض للخطر لأن الفصح بالنسبة للذين يحفظون العيد بطهارة يكون طعاماً سماوياً**، أمَّا كونهم يمارسونه بنجاسة أو استصغار فهذا يكون خطراً وتوبيخاً لأنه مكتوب: «**كل مَنْ يأكل ويشرب بدون استحقاق يجرم في موت الرب**».

لذلك ينبغي أن لا "**نقيم طقوس العيد**" كيفما اتفق، ولكن علينا أن "**نستعد لكي نقترب من الحَمَل السمائي**" وأن "**نلمس الطعام السمائي**"، **فلنغسل أيدينا**[165]، **ونطهِّر أجسامنا** ونحفظ العقل من أي شر ... حتى **إذا كنا كلنا أطهاراً نستحق أن "نتناول من الكلمة"**][166]

15- [والآن يريد الرب أن يُقام الفصح (الإفخارستيا) في كل مكان «**لأن في كل مكان يُقدَّم لي بخور وذبيحة**»[167] ... والمسيح المخلِّص **بينما هو يغيِّر ما كان "مثالاً"، إلى ما هو "روحاني"**

---

(162) أي عيد الفصح.

(163) لاحِظ أن القديس أثناسيوس يفرِّق بين فصح اليهود وفصح الرب.

(164) لاحِظ أن تأسيس القانون أو العهد إشارة دائماً إلى الإفخارستيا.

(165) يُلاحظ قول القديس أثناسيوس: ''لكي نلمس الطعام السمائي فلنغسل أيدينا'' يكشف عن أن الكاهن كان يضع جزء الجسد المقدَّس في يد المتناول وليس في فمه كما هو حادث الآن. لذلك كان يتحتَّم غسل الأيدي قبل التناول مباشرةً وكانت توضع مرحضة خارج الكنيسة لهذا السبب.

(166) *Festal Letter* V, 4-5 NPNF, 2nd Series, vol. IV, pp. 518, 519.

(167) (مل 11:1). لاحظ تكرار هذه الآية في معظم الليتورجيات المصرية القديمة.

وعدهم أنهم لن يأكلوا بعد لحم خروف **وإنما لحمه هو** قائلاً: «**خذوا كلوا واشربوا هذا جسدي ودمي**» فحينما **نغتذي نحن بهما** نكون يا أحبائي قد **حفظنا عيد الفصح**.](168)

16- [أمَّا هم فكانوا يحفظون العيد بأن يمتلئوا بلحم الخروف **الأخرس** ويمسحوا قائمتي الباب والعتبة بالدم ملتمسين المعونة ضد المهلك، أمَّا الآن فنأكل من "**كلمة الآب" خاتمين عتبة القلب بدم العهد الجديد**.](169)

17- (سنة 339م):

[عظيمةٌ هي **جماعة ملكوت السموات، لأن ألوف ألوف وربوات ربوات يخدمون الرب هناك**.](170)

18- (سنة 339م):

[و"**الذبيحة**" لا تُقدَّم في مكان واحد، ولكن «في كل أُمة يُقدَّم بخور وذبيحة طاهرة لله» (171)، وكذلك من الكل وفي كل مكان يرتفع تسبيح وصلاة للآب الصالح والمنعِم عندما تقيم الكنيسة الجامعة الموجودة في كل مكان معاً، نفس الخدمة لله ببهجة وسرور عندما يشترك كل الناس في إرسال ترنيمة التسبيح ويقولون "آمين" ... **حينئذ تسقط أسوار كل قوة شريرة مثل أسوار أريحا، وحينئذ تنسكب عطية الروح القدس بغنى على كل الناس**.

... لأنه هو رب المخلوقات "**وهو أيضاً موضوع هذا العيد**"(172) غير المائت.

لأن **المسيح فصحنا قد ذُبح لأجلنا، لذلك إذ قد ذُبح، فعلى كل واحد منا أن يغتذي به، وبغيرة ونشاط نتناول منه كمعين**. لأنه يُعطى للجميع بلا حدٍّ، وهو في كل واحد «ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية»

ونعطي المجد لله قائلين: هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ونبتهج فيه...](173)

(168) *Festal Letter* IV, 4, NPNF, 2nd Series vol. IV, pp. 516, 517.

(169) *Ibid*., 3, NPNF, p. 516.

(170) *Festal Letter* XI, 1, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 532.

(171) (مل 11:1) لاحظ هنا أيضاً تكرار هذه العبارة الواردة في قداس مرقس الرسول.

(172) جاء بنفس هذا المعنى في الرسالة الفصحية (2:10): [الرب هو معطي هذا العيد والذي "**هو نفسه عيدنا**" وهو أيضاً معطي الروح].

(173) *Festal Letter* XI, 11-15; pp. 537-538.

هنا يتجه فكر القديس أثناسيوس إلى مفهوم ذبيحة الفصح أنها ذات أثر خلاصي فعَّال بالأكل منها! بجوار أثرها الفعَّال للخلاص كذبيحة مقدَّمة للآب بدم الابن.

19 ـ يسمَّى عيد الفصح "العيد المخلِّص"[174] (عيد الفصح الذي للخلاص).

20 ـ [ونحن نغتذي بكلمات الحق ونشترك في تعاليمه الحية، حتى نستطيع بعد ذلك أن نتقبَّل أفراح السماء، لأنه كما دُعي تلاميذه إلى العِلِّية **هكذا يدعونا "الكلمة" معهم إلى الوليمة السمائية غير الفاسدة**][175]

21ـ [لأن الفردوس أُغلق منذ أن طُرد آدم من أفراحه، وعُيِّن الشاروبيم بسيف لهيب نار متقلِّب ليحرس طريق شجرة الحياة، أمَّا **الآن فقد فُتح واسعاً. لأن الجالس على الشاروبيم ظهر بفرح عظيم** ورحمة وأخذ اللص الذي اعترف ودخل السماوات كسابق من أجلنا فاتحاً الأبواب للجميع ... «ولكن قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحيِّ أورشليم السمائية، وإلى ربوات بلا عدد هم محفل ملائكة، وإلى جماعة عظيمة وكنيسة أبكار مكتوبة أسماؤهم في السماء» **فمن ذا الذي لا يشاء أن يشترك في هذه الشركة العالية التي لهؤلاء؟...]**[176]

من أجل الاستحلام الليلي، خطاب إلى القديس آمون رئيس نتريا:

22ـ [لأنه بالنسبة للموضوع الذي سبق وأن تكلَّمت عنه الذي يشتِّت أفكار النسَّاك من تأملاتهم السلامية اليومية حتى ظهر وكأنه قد غلبهم، فالعدو يثير مثل هذه الأفكار المرِبكة مع أنها بلا أية قيمة من جهة الحياة، ويضع أمامهم أسئلة بلا أي معنى ونزاعات ينبغي أن يتركها الإنسان ويهملها، لأنه هل تخبرني أيها الصديق التقي المحبوب ما هي الخطيئة أو ما هي النجاسة في الإفرازات الليلية؟ إنه فقط يمكن أن نقول: إذا كنا نقترف خطية فإن هذه نجاسة، ولكن **إذا حدث إفراز جسدي بدون إرادة الإنسان، فنحن نعتبر ذلك أنه حاجة الطبيعة.]**[177]

(174) *Festal Letter* XIII, 1, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 539.
(175) *Festal Letter* XXVIII, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 550.
(176) *Festal Letter* XLIII, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 553.
(177) *Letter XLVIII, to Amun,* NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 556.

23- [ونحن نعلم أنك بمقتضى اعتراف إيمانك ترغب أن **تمسك بالتقليد** الرسولي وتعيش بحسب **وصايا الناموس الإلهي**، حتى نُوجَد نحن معك أيضاً في الجماعة التي هي الآن تضم **البطاركة والأنبياء والرسل والشهداء** في الابتهاج ... وقد استلمنا الكتب التي هي من عمل حكمتك العالية ونفسك التقية والتي فيها رأينا صورة رسول وثقة نبي وتعليم الحق، تعليم الإيمان الحقيقي، طريق السماء، ومجد الشهادة والظفر على الآريوسية وتقليد الآباء بلا أدنى نقص، **والقانون الصحيح لنظام الكنيسة** ...][178]

24- [وأنا أعلم وأؤمن أن الرب نفسه **سيعوضك بالعِوَض الذي في ملكوت السموات** ...

ونحن نسأل الرب في الصلاة لكي برحمته يتراءف وينظر من عُلُوِّه إلى الكنيسة الجامعة وينجِّي **خدَّامه** من أيدي المضطهدين، ولكي يقوم كل **الذين سقطوا** بسبب الخوف الوقتي، ويعودوا **إلى طريق التقوى**، ويردهم **من طريق الضلالة**.][179]

25- [وعندما سمع بذلك الأسقف أَلِكْسَنْدر[180] حزن حزناً عظيماً، ودخل الكنيسة رافعاً يديه إلى الله معطياً الويل لنفسه، وسقط على وجهه **داخل الهيكل** وصلَّى وهو واقع **على الرصيف**[181].][182]

26- القديس أثناسيوس يشير إلى أن تسبحة الشاروبيم كانت قد انتشرت في أيامه في كل كنائس الشرق والغرب[183] ويُسمى: الساروفيمان "الحيوانان الكريمان"[184]. وهذا الوصف نجده وارداً في قداس القديس مرقس الرسول. والعلاَّمة الإسكندري ديديموس الضرير يقول عنهما « يسبِّحون بأفواه لا تسكت وأصوات لا تهدأ» [185] ويقول عنهما

(178) *Letter LI, to Lucifer*, NPNF, 2nd Ser., IV, pp. 561-562.

(179) *Ibid*.

(180) أسقف القسطنطينية، عندما سمع أن آريوس سيُقبل في شركة الكنيسة.

(181) المحيط بالمذبح، وقد كُشف عن هذا الرصيف بوضعه التقليدي القديم عند رفع الأتربة من هيكل القديس أنبا مقار مقدار 75 سم فظهر الرصيف محيطاً بالمذبح من كافة الجهات.

(182) *Letter LIV, to Serapion on the death of Arius*, 3, NPNF, 2nd Series, IV, p. 565.

(183) *De Trin. et Spir. S.*, 16, cited by Srawley, *op. cit.*, p. 48.

(184) *On Luke X, 22*, 6, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 90.

(185) Didymus, *de Trin.* ii. 6.

القديس إيسيذوروس البيلزيومي: «الممتلئون أعيناً.» [186]

ويُلاحَظ أن هذه الأوصاف جميعاً ترديد لما هو وارد في قداس القديس مرقس الرسول.

يوم الخميس 13 يونية سنة 356م.

27ـ [واجتمع الشعب في الكنيسة الكبيرة[187] **لأنه كان يوم الأربعاء** ... وفي اليوم التالي دخل القائد هيراكليوس ومعه والي البلاد وجماعة غوغاء من عابدي الأوثان وهجموا على الكنيسة ... وكان **وقت الانصراف** dismissal **قد حان**][188]

كان طقس الإسكندرية يحتِّم على الشعب حضور الكنيسة يومي الأربعاء والجمعة لسماع القراءة والوعظ والانصراف بدون قداس.

القديس أثناسيوس يكتب عن أهمية الوعظ بعد الإنجيل في القداس، موبِّخاً الأسقف دراكونتيوس لأنه أراد أن يتخلَّى عن وظيفته:

28ـ [والآن وقد **صِرْتَ أسقفاً والشعب ينتظر أن يتغذَّى على يديك وحدك من تعاليم الكتب المقدَّسة**، فأي عذر يكون لك عندما يأتي الرب يسوع ويجد خرافه تعاني المجاعة بسبب عدم التغذية.][189]

ويقول سوزومين المؤرِّخ:

29ـ [منذ أيام آريوس مُنع الكهنة من الوعظ في مدينة الإسكندرية، وصار **الأساقفة وحدهم هم المسئولين عن الوعظ**].

وكان في هذا الوقت بالذات أيام القديس أثناسيوس الرسولي لا يوجد وعظ على الإطلاق في روما لا بواسطة أساقفة أو كهنة، حسب شهادة سوزومين، حتى إلى أيام البابا لاون، أي أوائل القرن الخامس[190].

(186) *Ep.* I. 151.

(187) كنيسة البابا ثيئوناس.

(188) *History of the Arians*, 55, NPNF, 2nd Series vol. IV, p. 290.

(189) *Letter XLIX, to Dracontius*, 2, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 558.

(190) Sozomen, *H.E.* VII, 19, NPNF, 2nd Ser. vol. II, p. 390.

30- يمتدح القديس غريغوريوس النزينزي بثناءٍ كثير القديس أثناسيوس الرسولي، لأنه حينما كان يعظ كان يراعي أن يتوافق دائماً مع مستوى سامعيه(191).

31- وكان التقليد لدى الإسكندرية منذ أيام ما قبل كليمندس وأوريجانوس وحتى أثناسيوس ومَنْ بعده، أن يختموا العظة بالذوكصا للثالوث الأقدس، وذلك بحسب تحقيق القديس باسيليوس(192).

32- وكان القديس أثناسيوس وكل الأساقفة في مصر يعظون وهم جالسون وفي النهاية يقفون للذوكصا والصلاة ويقف معهم الشعب بأجمعه(193).

من خطاب إلى أرسيزيوس رئيس أديرة باخوم في نياحة ثيؤذوروس:

33- **[أطلب إليكم جميعاً أن تصلُّوا معاً لكي يمنح الرب سلاماً للكنيسة.]**(194)

34- [ويوجد أسفار أخرى بجوار هذه (الأسفار القانونية)، وقد عيَّنها الآباء لكي يقرأها الذين ينضمون حديثاً إلينا والذين يريدون معرفة بكلمة الحق: حكمة سليمان وحكمة سيراخ وأستير ويهوديت وطوبيت وتلك التي تُدعى "**تعاليم الرسل**" (الديداخي) والراعي.](195)

القديس أثناسيوس يثبت بطلان التهمة القائمة ضد الكاهن مكاريوس أنه اقتحم الكنيسة وكسر كأس الإفخارستيا:

35- [وكيف يمكن تقديم الصعيدة والموعوظون موجودون؟ يتحقق من هذا أنه لم يكن وقت تقديم الصعيدة لأن الموعوظين كانوا موجودين.](196)

وفي دفاعه أيضاً ضد نفس الإدعاء معتمداً على أن علمانياً لا يمكن أن يقيم ذبيحة:

36- [أن قوانين الرسل لا ينبغي أن تُطرح هكذا جانباً.](197)

(191) Gregory Nazianzen, *Orat.* 21, 31, 36; NPNF, 2nd ser., VII, p. 278, 280.
(192) Basil., *On the Spirit*, 29, NPNF, 2nd Ser., vol. VIII, p. 45.
(193) Athanasius, *Hom. de Semente*, PG XXVIII, 144-168, cited in Bingham, vol. 5, p. 164.
(194) *Letter LVIII, to Orsisius*, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 570.
(195) *Festal Letter XXXIX*, 7, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 552.
(196) *Defence against the Arians*, 28, NPNF 2nd Series, vol IV, p. 115.
(197) *Ibid.*, 30, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 116.

37- [هذا ليس قانوناً كنسياً ولا هو تقليداً انتقل إلينا من الآباء قط، أولئك الذين استلموه بدورهم **من الرسول العظيم بطرس المطوَّب**.][198]

38- [لقد **أشعلوا النار في المعمودية المقدسة** وفي أجزاء من الكنيسة ... وقبائح أجروها فوق المائدة المقدَّسة ... واقتحموا **مخازن الأباركة والزيت** وقلعوا **قضبان الهيكل**[199] **والشمعدانات المثبتة في الحوائط** ... وعرّوا العذارى ... وكان بينهن عذراء **تحتفظ بكتاب الأبصلمودية في يديها** فتمزَّق الكتاب في يديها بينما هم يضربونها.][200]

39- يقول المؤرِّخ سوزومين إنه سمع أن رئيس الشمامسة في طقس الإسكندرية كان له الحق وحده أن يقرأ الإنجيل، **وأثناء قراءة الإنجيل لا يقوم الأسقف عن كرسيه بخلاف كل عوائد الكنائس الأخرى**[201].

40- وأمَّا القديس إيسيذوروس البليوزيومي سنة 450م (بالوظة - أي الفرمة - بجوار بورسعيد الآن)، فيقول: إن **وقت قراءة الإنجيل يقوم الأسقف عن كرسيه ويخلع الأموفوريون احتراماً للإنجيل**[202].

41- [وإن المزمور الخمسين (الذي هو الواحد والخمسون في تقسيمنا الآن) - هو مزمور اعتراف ™xomolog»sewj.][203]

إلى المعمَّدين الجدد:

42- [**كما سترون اللاويين (الشمامسة) يُحضرون أرغفة الخبز وكأس الخمر ويصعدونهما على المائدة**. وطالما لم تبتدئ التوسلات والصلوات فالموجود هو مجرد خبز وخمر. **ولكن بعد الصلاة الكبيرة يصير الخبز جسد ربنا يسوع المسيح والخمر يصير دمه**.

ولنأتِ الآن إلى صلوات تكميل الأسرار، فطالما أن الصلوات والتوسلات لم تبدأ، فهذا

(198) *Hist. of Arian*, 36, NPNF 2nd Series, vol. IV, p. 282.

(199) كان الحجاب الذي يفصل الكنيسة عن الهيكل من قضبان عليها ستائر.

(200) *Circular Letter* 3-4, NPNF 2nd Series, vol. IV, p. 94.

(201) Sozomen. *H.E.* VII, 19, NPNF 2nd Ser., vol II, p. 390.

(202) Isidor., *Ep*. I. 136., cited by Srawley, *Early Hist. of Litur*., p. 46.

(203) *ad Marcellinum*, 20, PG XXVII, 32; BEP p. 32, 22.

الخبز وهذا الخمر هما ساذجان ـ أي مجرد خبز وخمر ـ ولكن بعد أن تُتلى الصلوات الكبيرة والتوسلات المقدَّسة **ينزل "الكلمة" في الخبز والخمر فيكون جسد الكلمة**.][204]

[إذا سُئل المسيحي لماذا **نصلِّي ناحية الشرق؟** فيكون الجواب بالنسبة له كالآتي: لأننا ننظر **ناحية الفردوس** متوسلين إلى الله أن يردَّنا إلى وطننا الأول الذي خرجنا منه.

أمَّا إذا كان السائل رجلاً وثنياً فيكون الجواب بالنسبة له كالآتي: لأن الله هو النور الحقيقي. لذلك فحينما نتَّجه **ناحية مصدر النور** المخلوق نعبد خالق هذا النور.

أمَّا إذا كان السائل رجلاً يهودياً فيكون الجواب بالنسبة له كالآتي: لأن الروح القدس قال بواسطة داود (مز 7:132) «اسجدوا **ناحية موطئ قدميه!** أي ناحية ميلاد الرب المكان الذي عاش فيه وصُلب وقُبر وقام ثانية وصعد إلى السموات، ناحية المشارق» (مز 34:68 حسب السبعينية).][205]

(204) *ad nuper baptizatos*, PG XXVI, 1325.

(205) *Quaestiones ad Antiochum*, 37; PG XXVIII, 620; BEP p. 35,110.

أقوال القديس أثناسيوس الرسولي عن الإفخارستيا وليتورجيتها
(مع إعادة ترتيبها حسب وضعها في القداس)

أولاً: الكنيسة والخدمة فيها:

(أ) الكنيسة، (ب) خدَّامها، (ج) شعبها.

(أ) **الكنيسة:**

[إن البيت الذي أؤتمنتَ عليه أيها الأسقف هو "**بيت السماء**" الكنيسة التي على الأرض التي قال عنها يعقوب: إن هذا هو «**بيت الله**»، وهذا هو «**باب السماء**».

لأن جميع الملائكة الذين يأتون من عند الله يتقدمون أولاً إلى الكنيسة "**ويمجِّدون**" **بيت الله** «**الذي على الأرض**».](206)

والتسبحة السنوية تقول: [السلام للكنيسة بيت الملائكة] وهو تحمل من المعنى.

[اسمع لأُعرِّفك كيف ينبغي أن تمجِّد الكنيسة بكل مخافة، **لأنها مبنية في السموات**. فإن كان الجبل الذي وقف عليه الرب (في سيناء) دفعة واحدة عندما أعطى الناموس للشعب قد «**انتقل**» إلى حالٍ آخر أفضل بالطهر، إذ صار الموضع الذي تحت قدميه مثل عقيق وأسمانجوني مثل السماء في قدسه، **فكم بالحري الموضع**(207) **الذي يقف عليه كل يوم**.](208)

[لأن موسى قال: **أنا خائف ومرتعد، لأن هذا هو الموضع الذي يقوم فيه الرب**، وداود أيضاً يعرف هذا إذ قال: **أنت مخوف يا الله، مَنْ الذي يستطيع أن يقف أمامك ... لذلك لا يقترب إلى المذبح إلاَّ الذي اختاره الرب لهذه الخدمة**، وهذا يخدم **بخوف ورعدة**.](209)

[لأن **افتخار المدينة هي الكنيسة**، واسمها قد ملأ كل الأرض والسماء أيضاً، لأنها صارت في مرضاة عريسها المسيح، هذه، التي لم يشفق هو على ذاته من أجلها، ولكن

(206) القانون السادس من قوانين القديس أثناسيوس.

(207) أي المذبح.

(208) القانون السابع.

(209) القانون الأول.

بذل نفسه عن خرافها.](210)

[لأن بسبب (الكنيسة)، السماء تفرح معنا **وكل كنيسة الأبكار المكتوبة في السموات تفرح معها.**](211)

(ب) خدَّام الكنيسة:

[كل مَنْ كان تحت ظل المذبح الذين هم الأساقفة، الكهنة، الشمامسة، النصف شمامسة، الأغنسطسيون، المرتلون، البوابون. **لأنه بسبعة أعمدة دعَّمت الحكمة بيتها، وسبعة أرواح الله الكاملون ... هؤلاء الذين دعاهم زكريا النبي سبعة أعين الله ... هؤلاء السبع طغمات هم سبع عيون البيعة،**

فالآن أيها الأسقف، اعلم أن البيعة ليست ثابتة عليك وحدك بل بالست رتب الأخرى التي في البيعة(212)، فلا ترفضوهم ولا تحتقروهم، بل كرِّموهم لأنهم شركاؤكم والخدام معكم ... **فهل علمتَ أيها الكاهن أن أعضاءك هم البيعة**(213)؟ **فاهتم بها كاهتمامك بجسدك** ... فأنتم سبعة أعين الله، فاخدموا خدمة الله جيداً كل واحد في رتبته من الأسقف إلى البواب عالمين أن موهبة الله هي التي أدركتكم، إذ لا يجسر أحد أن يلمسكم **كقول زكريا النبي أن مَنْ يمسُّكم هو كمن يُمسُّ حدقة "عينه". أنتم "أعين" البيعة،** فماذا تقول أيها الكاهن من أجل الاسم الذي استُودِعته **وشكل الله الذي أنت لابسه؟** وإذا لم يخدم الأسقف المذبح كاستحقاق **مجده** (ومجد المذبح من كرامة خدَّامه)، ولكن **يحتقر** القسوس، والقسوس يحتقرون الشمامسة، والشمامسة يحتقرون الشعب، ويكسل كل واحد عن عمله، فماذا تقول؟ هل الله يسكت إلى الأبد؟](214)

---

(210) القانون الثمانون.

(211) *Festal Letter VI*, NPNF 2nd Series, vol. IV, p. 522.

(212) لكي تفهم نظرية القديس أثناسيوس في جمع هؤلاء الخدَّام في سبع طغمات موحدة ارجع لسفر عزرا 7: 11- 25، حيث نجد أن طغمات خدَّام الهيكل، لو أضفنا إليهم رئيس الكهنة يكونون سبعة، وكانت لهم حقوق متساوية ومدينة واحدة. فالقديس أثناسيوس لم ينظر إلى طقس وضع اليد الذي يُستثنى منه الأغنسطس والمرتل والبواب حالياً، بل نظر لاستحقاق وواجبات الخدمة المشتركة.

(213) ارجع لأقوال البابا ديونيسيوس الكبير صفحة 472 حاشية رقم 10.

(214) القانون العاشر.

[الأساقفة لأنهم لا يُقامون بشيء (رشوة)، من أجل هذا ينبغي أن يكونوا بكل كرامة الله، فلتُضاعَف لهم الكرامة وبخاصةً الذين يتعبون في **الكلام والتعليم**](215)

[فالآن **الهيكل والمذبح المقدَّس لا يجب لأحد أن يقترب إليهما إلاَّ الذين يتطهَّرون كما يليق "بالموضع المقدَّس"** ⲧⲟⲡⲟⲥ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ من أجل هذا أيها الكاهن، قد أُعطي لك أن تتسلَّط على هذا جميعه، لذلك يريدك الله أن تكون بغير خطية، فابتعد من الأخذ والعطاء لأن بهذه تأتي الخطايا، تفرَّغوا واعلموا أني أنا الله.](216)

[لأن مَنْ تقدَّم قط إلى المذبح بدون خوف ونجا؟ «عزَّة» مد يده بغير طقس ومسك تابوت عهد الرب ولذلك أهلكه الرب ومات للوقت قدام الرب، وقورح وداثان وأبيرام ابتلعتهم الأرض هم ورجالهم بسبب أنهم اشتهوا مجد الكهنوت. فالله يريد بهذا أن يعلِّمنا المخافة الكائنة في المذبح والمخافة الكائنة في أواني(217) المذبح، كما قيل إن الرب كلَّم موسى وأليعازار قائلاً: خذ النحاس الذي قدَّموه قدام الرب (المجامر) من وسط الرجال المحترقين(218)، لأنهم ظهروا(219) بنفس خاطئة وقدَّموها قدام الرب.](220)

[إنما **الكهنة قد اختيروا ليكونوا أطهاراً أكثر من الشعب**، وأن تُعطَى لهم القرابين ليكونوا **أطهاراً مصلِّين عن الشعب**، طالبين عن خطاياهم، فإذا أخطأ الكاهن مثل الشعب فمَنْ الذي يصلِّي عن الشعب، **لأن شعباً كهنته أنجاس لا تكون له صلاة تصعد إلى الله كما قيل إن الرب لا يسمع صلاة الخاطئ**، لأن عشرات المرات أتى غضب الله على الشعب في البرية وكان قريباً أن يستأصلهم، ولكن موسى صلَّى عليهم والرب صرف غضبه عنهم. **وهكذا أشفق الله على الشعب الخاطئ من أجل إنسان واحد صدِّيق لم يُحزن قلب الله.**](221)

[فإن كنت ساهراً عن الشعب ومُصلِّياً عليهم، فبالحقيقة أنت ستُحاسَب (يقصد: "تُكافأ")

(215) مقدمة القوانين.

(216) القانون الثاني.

(217) أدوات.

(218) اهتمام الرب بنحاس المجامر الذي احترق معهم لأنه مقدَّس وخاص بالمذبح.

(219) أمام الله.

(220) القانون الأول.

(221) القانون الثالث.

عن أنفسهم، هؤلاء الذين أكلت قرابينهم. وإن لم يكن لك هذا وتكاسلت، فكيف وبأي نوع تُحاسَب عنهم، **وإذا كنتَ لم توجد شفيعاً لهم في أتعابهم فلا يحل لك أن تأكل قرابينهم ... فإن كنت لا تقدر على مثل هذا، فلماذا حملتَ هذه الدينونة العظيمة عليك، هل من أجل ربح مُهان؟**

لهذا يقول الرب: فليتطهَّر الكهنة القريبون من الله لئلاَّ يُهلك الرب قوماً منهم.

ولماذا تنظر إلى المذبح **والبخور** بعين غير محتشمة؟ ... ما أرهب الوقوع في يدي الله الحي ... فالآن الذي يريد أن يلتصق "**بالمذبح بخوف**"، فلْيَسْعَ كاستحقاق الموضع المقدَّس.

وقد قلتُ مرة أخرى إنه ليس أحد من الناس خدم المذبح بنجاسة ومات موتاً حسناً[222].
كل مَنْ ازدرى بالمذبح مات موتاً ردياً؛ **هو المذبح أي ذبَّاح، فهو محل الأفراح لمَنْ يُمسك بنواميسه، ولكنه هلاك لمَنْ يتوانى بسبب الخوف الكائن فيه**. فإن كانت لك القدرة **أن تمشي بحسب قوانين الرسل فسوف تنال الكرامة معهم**، وإن كان ليست لك القدرة فاهرب بعيداً.]

[انظر أيها الشماس لئلاَّ تُعطي جوهر الجسد الذي بلا خطيئة لغير المستحقين.][223]

[ثياب الكهنة التي يقدِّسون بها تكون بيضاء مغسولة، وتوضع في خزائن[224] في الموضع المقدَّس إلى الوقت الذي يتقدَّمون فيه إلى المذبح فيجدونها في الموضع المقدَّس في الخزانة التي تُحفظ فيها الأواني، كما أُمِرَ حزقيال النبي.][225]

[الكهنة يجلسون في مكان الإكليروس fer£teion[226] ومقاعد الكهنة بجوار الثرونوس (أي كرسي الأسقف) عن يمين ويسار.][227]

[الثرونوس يكون مغطًّى بغطاء أسقفي (أي له شكل ورسم ولون (أحمر) خاص؟).][228]

(222) هنا يذكر قصة عالي الكاهن وبنيه وما أصابهم، ويذكر مدينة "نوب" مدينة الكهنة التي أهلكها بكل ما فيها.
(223) مقولة رقم 3.
(224) أي دواليب.
(225) القانون الثامن والعشرون.
(226) أي الهيكل.
(227) مقولة رقم 10و13.
(228) مقولة رقم 12.

[البوابون فليقيموا على الأبواب الخارجية يحرسونها، وأمَّا الشمامسة فيحرسون أبواب المكان المقدَّس جيداً، وإذا دخل واحد بغير حشمة بغير معرفة البوابين، يعزله الشمامسة المتفرغون لهذا الأمر، ويجعلونه مع الموعوظين.](229)

[البوابون أيضاً، فليُقيموا على الأبواب كل يوم هؤلاء الذين يحفظون أبواب موضع الدخول ويحرسون أبواب الموضع المقدَّس (من الخارج)، هؤلاء الذين تعطيهم الكلمة «**طوبى للذين يحفظون عتبات موضع الدخول**»(230) ويحرسون الموضع المقدَّس في الليل، **ولا يدعون المصباح ينطفيء طول الليل**، وهل الله يحتاج إلى نور سراج؟ لا، لأنه نور العالم ونور الأنوار، **وليعلم البواب أنه مثل العين في الرأس وهو السراج السابع في عدد السُرُج المقدَّسة التي للمنارة**، إذ قد رآها زكريا النبي وقال: إني رأيت **منارة ذهب جميعها، التي هي الكنيسة، وعليها مصباح الذي هو المسيح**.](231)

[والشمامسة فليتفرقوا على الشعب طائفتين يساعدون بعضهم البعض، والبوَّابون يحرسون الباب الخارجي وعند الباب الثاني، لكي لا يكون اختباط في الباب الخارجي، والشمامسة يساعدون الأمنوتين أي البوابين ... اصنعوا هذا جميعه لتتمجَّد كلمة الله، والشعب يسمع بهدوء، ويكون صمت في البيعة كلها **حتى يكمِّلوا كلمة الله بالبركة**.](232)

(ج) شعبها:

[لا يكسل أحد من المسيحيين عن **القداسات في السبت والأحد**.](233)

[ونحن نجتمع يوم السبت لا كأننا متأثرون بالسبت اليهودي، ولكن لكي نعبد يسوع رب السبت.](234)

[وكذلك أيضاً في صوم الأربعاء والجمعة **يجب على الذين في المدينة** أن يأتوا إلى البيعة في

(229) القانون الخامس والعشرون.

(230) كان داود الملك يشتهي أن يقوم بهذه الخدمة، لذلك كثير من العبَّاد الأتقياء يقبِّلون عتبة بيت الله.

(231) القانون الثالث عشر.

(232) القانون السابع والخمسون.

(233) القانون الثالث والتسعون.

(234) Athanasius, *Hom. de Semente*, PG XXVIII, 144, cited by Bingham 4., p. 527.

كل يوم.](235)

[وفي أعياد الشهداء، لتكن **باحتفاظ عظيم وترتيب عظيم**، ولتُعْمَلْ لهم ''اجتماعات'' ويُقيموا **الليل كله ساهرين في التزمير والصلوات والقراءة الطاهرة.**](236)

[إن شعب كنيسة الإسكندرية الكاثوليكية (الجامعة) الخاضعة لتدبير الكلي الاحترام الأسقف أثناسيوس يقدِّمون هذا الاحتجاج العام: إنه في اليوم التاسع من شهر فبراير (الشتاء) الموافق للرابع عشر من شهر أمشير، **بينما كنَّا نقيم السهر في بيت الرب ومهتمين بالصلوات، لأنه كان مزمعاً إقامة تناول (الاشتراك) في يوم الاستعداد (السبت)**. **وفجأة وفي نصف الليل ... وكانت الفصول تُقرأ** (قداس الموعوظين قد ابتدأ) وإذا بهم يكسرون الأبواب...](237)

[لأنه كان **سهر تحضير للشركة** في الغد (السبت)].

انظر أيها القارئ كيف كانت الكنيسة في منتصف القرن الرابع تحضِّر للشركة بالسهر طول الليل**!!** لقداسي السبت والأحد؟

[واجتمع الشعب في الكنيسة الكبيرة (كنيسة البابا ثيئوناس) **لأنه كان يوم الأربعاء.**](238)

[وكان بينهن **عذراء تحتفظ بكتاب الأبصلمودية** في يديها فتمزَّق الكتاب في يديها بينما هم يضربونها.](239)

انظر أيها القارئ اهتمام الشعب **باقتناء الأبصلمودية في القرن الرابع**.

[ولكن علينا أن **نستعد** لكي نقترب "**من الحَمَل السمائي**" أن نؤهَّل **لنلمس الطعام السمائي**، فلنغسل أيدينا(240) ونطهِّر الجسم ونحفظ العقل من أي شر حتى إذا كنَّا كلنا أطهاراً نستحق **أن نتناول من الكلمة.**](241)

---

(235) القانون التاسع والأربعون.
(236) القانون الحادي والتسعون.
(237) المقولة رقم 6.
(238) المقولة السادسة والعشرون.
(239) المقولة السابعة والثلاثون.
(240) كان التناول يسلَّم في اليد.
(241) المقولة رقم 14.

أمَّا الفرق الوحيد بين يوم السبت ويوم الأحد عموماً فقد حدده مجمع اللاذقية في أن المسيحيين ليسوا مُجْبَرين على الراحة وتوقيف الأعمال يوم السبت كما هو الحال يوم الأحد.[242]

ثانياً: بدء الخدمة:

[يجب على الكهنة أن **يخدموا المذبح بالطهر وبالبخور الطاهر النقي الذي يبخره القسيس حول المذبح وحول نفسه ببهاء الروح القدس**، ... ليست (أدوات المذبح) بعد فضة أو ذهباً أو حجارة أو خشباً، **أليست هي روحانية لأن الرب قائم على المذبح؟ كذلك المذبح نفسه وإن كان من خشب أو حجارة أو فضة أو ذهب فإنه ليس ميتاً كطبعه الأول بل حي، هو روح لأن الله الحي قائم عليه!! والملائكة محيطون بالمذبح!** ... لهذا على القسوس أن يتطهَّروا بكل طهارة عند اقترابهم **من المذبح الذي قُسِّم عليه الجسد المقدَّس والدم المحيي، ولأنه لا يمكن أن يبقى المذبح بلا ملاك في وقت** من الأوقات ولا إلى لحظة يسيرة.][243]

[لا يقلق أي لا يستعجل أحد الكهنة عندما يريد أن يقدِّس قبل أن يجتمع الشعب ويسمعوا **هلليلويا**[244]**!!** ولكن طوِّل روحك أيها الكاهن حتى يجتمع الشعب.][245]

[إذا تأخر أحد الكهنة وجاء **بعد قراءة المزمور**، لا يُعطَى له من خبز الأنصبة بل يأكل فقط[246]، أمَّا إذا كان بقية الكهنة والشمامسة "**قد وقفوا على الهيكل**"[247] قبل أن يأتي، فلا يمضي بالمرة إلى موضع الأكل معهم.][248]

واضح هنا أن بداية الصلاة تبدأ بكلمة ''هلليويا'' وهي التي لا يزال حتى اليوم معمولاً بها، ثم يبتدئ خورس المرتلين مع القائد تسبحة خدمة القداس وهي تسبحة رفع البخور، إمَّا عشية أو باكر، لأن القداس كان يُقام بعد سهر.

[وقد عدَّل القديس أثناسيوس في طريقة الألحان وأدخل طريقة التسبيح باللحن المعتدل، إذ

(242) Laodic., c. 29.

(243) القانون السابع.

(244) بداية الصلاة.

(245) القانون الأربعون.

(246) يأكل بقايا الصعيدة.

(247) بعد التسبحة القصيرة التي في البداية.

(248) القانون التاسع والأربعون.

أعطى أمراً لقراء المزامير أن ينطقوا الكلمات بأقل ما يمكن من الهزات وبدون تغيير في الطبقة، حتى تُسمع بوضوح كأنها قراءة منغمة أكثر منها ألحاناً مطولة.](249)

ولا تزال هذه الطريقة سارية حتى اليوم في ألحان رفع البخور وبقية التسبحة.

القراءات:

وفي أيام كاسيان (سنة 360 ـ سنة 435م) وهي لاحقة للقديس أثناسيوس الرسولي (سنة 296 ـ سنة 373م) كان نظام الأقباط (المصريين) يكمِّلون قراءة العهد الجديد كله على مدار السنة في القداس.

وبين الأقباط عامةً (المصريين) **خدمة ليتورجية السبت وخدمة ليتورجية الأحد متساويتان تماماً في كل شيء، حيث نقرأ في هذين اليومين الفصول كلها من العهد الجديد فقط**، فصلاً واحداً من الإنجيل وفصلاً آخر إمَّا من الرسائل وإمَّا من سفر الأعمال. أمَّا في باقي أيام الأسبوع فتنقسم القراءة إلى قسمين قسم للعهد القديم وقسم للعهد الجديد. (250)

ويقول كاسيان أيضاً:

[وفي عموم أديرة مصر وكل الوجه القبلي **لا توجد اجتماعات للكنيسة خلاف السبت والأحد، وعشية وباكر لجميع الأيام. وفي يوم السبت ويوم الأحد يجتمعون الساعة الثالثة من النهار** (أي الساعة التاسعة صباحاً) **لإقامة القداس.**](251)

ويقول البابا تيموثاوس (سنة 382 ـ سنة 388م) وهو البابا الثاني بعد القديس أثناسيوس الرسولي:

[يوم السبت ويوم الأحد هما اليومان الوحيدان اللذان تُقدَّم فيهما الذبيحة الروحانية للرب t¾n pneumatik¾n qus…an ¢nafšresqai tù Kur…J.](252)

وسقراط المؤرِّخ الكنسي يقول:

[إن المصريين في المناطق المجاورة للإسكندرية وفي كل صعيد مصر (طيبة) يقيمون اجتماعاتهم في يوم السبت ويشتركون في الأسرار ولكن بطريقة تختلف عمَّا يتبعه سائر المسيحيين. لأنهم بعدما يأكلون ويشبعون يقدِّمون القرابين في المساء ويشتركون في

(249) St. Augustin, *Confessions*, I. 10, c. 33, cited by Bingham, 4., p. 406.
(250) Cassian, *The Institutes*, II, 6, NPNF, 2nd Ser., vol. XI, p. 207.
(251) Cassian, *Institutes*, III, 2, NPNF, 2nd Ser., vol. XI, p. 213.
(252) Timotheus, Alex., *Responsa canonica*, 13, PG XXXIII, 1305.

الأسرار.](253)

ويقول سقراط أيضاً:

[إن طقس الإسكندرية في يومي الأربعاء والجمعة من أسبوع الآلام يمتاز بالتطويل الكثير في القراءات والتسبيح والوعظ حتى يغطوا مدة الاجتماع (ربما للساعة الثالثة بعد الظهر؟؟)، **ولكن بدون إقامة ذبيحة أو تناول.]**(254)

أمَّا في أيام السهر فتظل الكنيسة ساهرة طول الليل بالقراءات والتسابيح حتى مطلع الفجر حيث تُقام الذبيحة ويُصرَف الشعب في مطلع النور، وذلك بالنسبة ليومي السبت والأحد، كما ذُكر سابقاً في وصف القديس أثناسيوس لسهر الجمعة الذي كان إعداداً لذبيحة السبت.

وفي قوانين مجمع اللاذقية (عُقد ما بين سنة 343 وسنة 381م) وهو معاصر للقديس أثناسيوس، يحدِّد القانون 51:

[إنه لا تُقام أعياد للشهداء في الأربعين المقدَّسة، ولكن تُذكر سيرة الشهداء في خدمة السبت والأحد.](255)

وهذه إشارة إلى قراءة السنكسار في الكنيسة ضمن القراءات في الخدمة اليومية وفي خدمة السبت والأحد في باقي أيام السنة.

ومعروف أن كافة البلاد أخذت عن مصر طريقة السهر الليلي وهو أصلاً كان من صناعة الرهبان. والقديس باسيليوس يذكر ذلك بوضوح، وأمَّا القديس يوحنا ذهبي الفم (سنة 377 ـ سنة 407م) فيصف السهر الذي استلموه من مصر كالآتي (وهو زمن القديس أثناسيوس الرسولي):

[اذهبوا إلى الكنيسة وانظروا إلى الفقراء وهم ساهرون من منتصف الليل حتى الفجر، اذهبوا وانظروا السهارى كيف يضمون الليل إلى النهار، انظروا شعب المسيح كيف لا ينامون الليل، لا يهابون النوم ولا العوز ... يتشبهون بيقظة الملائكة حينما يقدِّمون الأبصلمودية والألحان بلا توقف إلى الخالق، يا لمواهب المسيح العجيبة، فالملائكة فوق يسبِّحون لمجد الله، والمسيحيون على

(253) Socrates, *H.E.* V, 22, NPNF, 2nd Ser., vol. II, p. 132.

(254) *Ibid*.

(255) *Laodic*. c. 51.

الأرض يداومون السهر مع الخوارس يسبِّحون بنفس التمجيد على طقس الملائكة. الشاروبيم فوق يصرخون قدوس قدوس قدوس في تسبحة القدوسات الثلاثة ومجمع البشر في الكنيسة على الأرض يقدِّمون نفس التسبحة، وهكذا تكمل شركة الاجتماع العام بين سكان السماء وسكان الأرض معاً. شكرهم واحد وتمجيدهم واحد وخورس الفرح الساهر واحد على الدوام.](256)

[والقارئ عليه أن لا يقرأ شيئاً إلاَّ من الكتب الجامعة (الكاثوليكية) لئلا يستهزئ الشعب بالكتب. ولا يقرأ من الكتب العالمية التي هي ليست من أنفاس الله.](257)

[الأسقف يفحص القارئ والمرتلين مرات كثيرة حتى لا يقرأوا شيئاً من الكتب إلاَّ من الكتب الجامعة التي يتعلَّم منها الشعب عمل الله العظيم المتحنن.](258)

[**الذين يقرأون يلزم أن يعرفوا ما يقولونه**. والذين يريديون أن يعرفوا منهم يعلِّمونهم ويفهِّمونهم بغير حسد، لكن بالأكثر بنشاط لأنه جيد أن يسألوا عن الأمر.](259)

[لا يرتبط القراء بخدمة الإيبوذياكونيين، ولكن عليهم أن يتفرغوا لكتبهم].

[وينبغي أن يُكرَّم القارئ، لأن الكلام المقدَّس يخرج من فمه.](260)

كيفية القراءة:

[وفي نصف الليل ... وكانت الفصول تُقرأ.](261)

[أمَّا أنا فجلست على الثرونوس وأشرت إلى الشماس أن يقرأ المزمور.](262)

[ورئيس الشمامسة في طقس الإسكندرية كان له الحق وحده أن يقرأ الإنجيل، وأثناء القراءة لا يقوم الأسقف عن كرسيه بخلاف كل عوائد الكنائس الأخرى.]

هذا في القرن الرابع ولكن في أوائل القرن الخامس نسمع أن الأسقف وقت قراءة الإنجيل يقوم

(256) John Chrysostom, *In illud: Vidi Dominum (IS. 6.1)*, Hom. 4, 1, PG LVI, 120.

(257) من قوانين أثناسيوس الرسولي.

(258) القانون الثامن عشر.

(259) القانون الثامن والخمسون.

(260) القانون الخامس والثلاثون.

(261) المقولة رقم 6.

(262) المقولة رقم 7.

عن كرسيه ويخلع الأموفوريون احتراماً للإنجيل (المقولة رقم 38و39).

رفع البخور أثناء القراءة:

[يُرفع البخور ... ولاسيما قبل الإنجيل، يأخذ رئيس الشمامسة مجمرة بيده ويملأها جمراً ويقف قدَّام المذبح أمام الإنجيل، ويرفعون له فيها البخور ويُصعده حتى يقرأ الإنجيل، ثم يمشي بالمجمرة قدَّام الإنجيل إلى داخل الموضع المقدَّس.][263]

[وكان أثناسيوس وكل الأساقفة في مصر يعظون وهم جالسون.][264]

[ومنذ أيام آريوس منع أثناسيوس الكهنة من الوعظ، وصار الأساقفة وحدهم هم المسئولين عن الوعظ.][265]

[وكان أثناسيوس الرسولي حينما يعظ يُراعي مستوى سامعيه ويتوافق معهم.][266]

[والتقليد حتى إلى ما قبل أيام كليمندس الإسكندري كان أن تُختم العظة بالذوكصا للثالوث الأقدس.][267](مقولة رقم 30)

[وفي نهاية العظة يقف الأسقف للذوكصا والصلاة ويقف معه جميع الشعب.][268]

[**لا يُقام أسقف لا يحفظ الإنجيل عن ظَهْرِ قلب**، وإذا لم يحفظه فهو لم يؤمن بعد بالثالوث الأقدس.][269]

[أسقف يُبطل الخدمة الإلهية اليومية (أي بخور باكر وعشية) **بدون سبب مرض، يموت بالحزن.]**[270]

(263) القانون رقم 106. هذا في القرن الرابع أيام أنبا أثناسيوس الرسولي، وهي دورة الإنجيل كما هي الآن تماماً. ولكن كان يقوم بها رئيس الشمامسة والمجمرة في يده!!

(264) مقولة رقم 32.

(265) مقولة رقم 29.

(266) مقولة رقم 30.

(267) مقولة رقم 31.

(268) مقولة رقم 32.

(269) القانون الرابع عشر.

(270) القانون الرابع عشر.

علاقة قداس الكلمة بقداس الذبيحة:

[ونحن نغتذي بكلمات الحق، ونشترك في تعاليمه الحية حتى نستطيع بعد ذلك أن نتقبَّل أفراح السماء، لأنه كما دعا تلاميذه إلى العلية، هكذا يدعونا ''الكلمة'' معهم إلى الوليمة السمائية غير الفاسدة.](271)

[والآن وقد صرتَ أسقفاً، فالشعب ينتظر أن يغتذي على يديك من تعاليم الكتب المقدَّسة. فإن كان وهو بهذا الانتظار يستمر جائعاً ويعاني من العوز وأنت تُطعم نفسك وحدك، فأي عذر يكون لك عندما يأتي الرب يسوع ويجد خرافه تعاني المجاعة بسبب عدم التغذية؟](272)

[فما هو صلاح الكاهن إذا لم يكن شاهداً لآلام المسيح، وهو يشهد للشعب كله بالآلام التي قبلها عنا السيد المسيح حتى خلَّصنا من الموت بموته، ويشهد للشعب كله بالمجد المعلَن من السماء الذي يحلّ على أبناء الله؟ ولا يعلِّم بالإرهاب كأرباب الرهبة بل كالأب، لأن بطرس يعلِّم ويقول إنكم أساقفة الشعب! وكل واحد ينظرهم وينظر تواضعهم كرجال الله وليس كالمسلَّطين على الرعية التي تحت أيديهم بالكبرياء.](273)

المناداة لخروج الموعوظين:

[وكيف يمكن تقديم الصعيدة والموعوظون موجودون؟ ...](274)

[إن قوانين الرسل لا ينبغي أن تُطرح جانباً.](275)

الصلوات التي تسبق تقديم الذبيحة:

الصلوات يقولها الكاهن وهو واقف في "موضع الغفران" أي المذبح:

[إني نظرت الربَّ واقفاً على المذبح ... والخَدَم محيطين بموضع الغفران يقولون الطلبة في الموضع الذي تُغفر فيه الخطايا ... يصلِّي الكاهن على الشعب ... والشعب يصلِّي على

(271) مقولة رقم 18.
(272) مقولة رقم 28.
(273) القانون العاشر.
(274) مقولة رقم 35.
(275) مقولة رقم 36.

الكاهن كما هو مكتوب: «أعطِ قوةً لهذا الذي أعددت لنا[276]، لكيلا توجد فيه خطية»][277]

[وإذا كنتَ أيها الكاهن لا توجَد شفيعاً لهم في أتعابهم[278]، فلا يحلَّ لك أن تأكل قرابينهم...][279]

[لماذا أيها الكاهن تنظر إلى المذبح والبخور بعين غير محتشمة[280] (باستهانة)؟][281]

[إنما الكهنة اختيروا ليكونوا أطهاراً أكثر من الشعب، وأن تُعطَى لهم القرابين ليكونوا أطهاراً **مصلِّين** عن الشعب **طالبين** عن خطاياهم ... فالشعب يعطيك **البكور من كل شيء**، يعطونك القرابين **عن الموتى والأحياء**، لأنه هكذا يشفق الله على شعب خاطئ من أجل إنسان واحد صدِّيق لم يُحزن قلب الله.][282]

أوشية السلام:

[أطلب إليكم أن تصلوا لكي يمنح الرب سلاماً للكنيسة.][283]

أوشية الملك:

[وحينما يقول الكاهن (أو الأسقف) **صلُّوا من أجل سلامة الإمبراطور الكلي التقوى قسطنطيوس يردّ الشعب في الحال بصوت واحد مجيبين، المسيح يحفظ قسطنطيوس**.][284]

يُلاحَظ هنا أن نشيد الإنجليز الآن من أجل الملك: God Save the King هو أصلاً مرد الأوشية التي تُقال في الكنيسة.

أوشية الخدَّام:

[ونحن نسأل الرب في الصلوات (الأواشي) لكي برحمته يتراءف من عُلوِّه وينظر إلى الكنيسة

(276) أثناء رسامة الأسقف.

(277) القانون الخامس.

(278) يهرب من صلوات الأواشي ويحذفها. ويهرب من افتقادهم في البيوت.

(279) القانون الخامس.

(280) هنا إشارة إلى رفع البخور أثناء صلوات الأواشي.

(281) القانون الخامس.

(282) القانون الثالث.

(283) مقولة رقم 33.

(284) *Defence before Constantius*, 10, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 242.

الجامعة وينجِّي خدَّامه من أيدي المضطهدين.

وكل الذين سقطوا بسبب الخوف الوقتي[285] أن يقوموا ليعودوا إلى طريق التقوى ويردَّهم من طريق الضلال.][286]

يُلاحَظ هنا أنه يدمج أوشية سلامة الكنيسة مع أوشية الأساقفة والكهنة والشمامسة، ثم أوشية من أجل الذين سقطوا في ضلال الإيمان. وهذه الأوشية انتقلت الآن من الأوشية إلى الطلبة. والمعروف أنه في زمن القديس أثناسيوس كانت الأواشي تقال كلها معاً بدون مرد الشماس،، وفي نهايتها كلها يرد الشعب ''آمين''.

أوشية المرضى:

[من أجل المرضى في الموضع المقدَّس[287]، لأن الله يسأل عنهم أكثر من الأواني المقدَّسة، لأنهم صورته ومثاله، وقد صار إنساناً وتجسَّد من أجل هؤلاء لكي يخلِّصهم وينجِّيهم، ولاسيما وأنهم سكان معه في بيته حتى يشفيهم. من أجل هذا صارت الكنيسة هي افتخار المدينة.]

يُلاحَظ أن التجاء المرضى إلى الكنيسة جاء نتيجة حتمية للإيمان بقوة الشفاء في الجسد والدم باعتبارهما أنهما المسيح نفسه.

أوشية القرابين:

[الرب ليس محتاجاً إلى قرابين، ولكنه يعطينا فرصة لنطلبه، وهو لا يتعلَّق بالأشياء ولكنه متعلِّق بنا، فماذا نصنع بما لنا إذا لم نُشْرِك الله فيما هو لنا، حتى ولو كان الإنسان فقيراً مثل الأرملة التي أعالت إيليا، أو حتى المقعد الذي كان يتصدَّق لنفسه يجب عليه أن يكون له ما يقدِّمه لله نفسه، حتى ولو كان الذي يعطيه قليلاً، ليكون له تذكاراً[288]. لأن ليس الذي يعطي الذهب للهيكل هو الذي يُذكر فقط، بل والذي يُعطي كوز فخار أو خبزاً أو قليلاً من

(285) وأنكروا إيمانهم.
(286) المقولة رقم 24.
(287) كان المرضى يلتجئون إلى الكنيسة ويرقدون فيها للشفاء.
(288) أي ليذكره الكاهن والشماس في الكنيسة أثناء القداس – هنا واضح جداً ما تقوله الأوشية: «أصحاب الكثير وأصحاب القليل».

الأباركة أو وعاءً للماء **أو حتى الذي يملأ حوض الماء "للتغطية"**[289]. فإن الله يذكره مثل الذي يعطي مالاً كثيراً.][290]

أوشية الراقدين وتقديم القرابين عنهم:

[لأنه قد يكون غني مات ولده وأن الأب يعطي عنه مالاً كثيراً **ويعطي أيضاً نذوراً للرب كثيرة من أجل خلاص نفس ابنه، بالحقيقة إن الله يقبلها منه ويخلِّصه من خطاياه بسبب تحننه على المساكين**، لأن سليمان يقول إن خلاص نفس الإنسان من غناه**!!**

هذه الأمور قلناها باعتبار أن الحي يستطيع أن يخلِّص خطايا الذين ماتوا، كما يقول بولس الرسول، إن كان الموتى لا يقومون فلماذا يعتمدون عنهم، فإن كانوا يعتمدون عن الموتى لأجل خلاص أجسادهم! فيعطون أيضاً عنهم لأجل خلاص نفوسهم! فإن كنت أنت فقيراً[291] وتريد أن تخلِّص نفس الذي مات، اتَّخذ لك فكراً صالحاً وأنت تخلِّص نفسك ونفس الميت ... فإن كنت لا تقدر أن تقيت المساكين لكنك تقدر أن تحفظ قداسات الكنيسة وتطلب عن نفسك وعن ابنك إن كنت تحبه. أمَّا الغني فإنه أعطى هذا جميعه عن ابنه لأنه كان يحبه، وأمَّا أنت فقدِّم لله طلبتك عن ابنك فإنك تقدر بالحقيقة أن تخلِّص نفسه حية.][292]

التوبة والاعتراف والحل:

[وهكذا **بواسطة الاعتراف المصحوب بالتوبة على يدي كاهن ينال المغفرة بنعمة المسيح.**][293]

[لأن موسى قام وصار رأساً مِنْ قِبَلِ الله، وقيل له ما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السموات[294]، لأن الله قد أعطى كهنة الشعب أن يغفروا خطايا التائبين.][295]

(289) إشارة إلى حوض الماء الذي يشرب منه المؤمنون وهم خارجون من الكنيسة لتغطية الجسد والدم.

(290) القانون الثالث والثمانون..

(291) وليس لك ما تعطيه عن الذي مات لك.

(292) قانون رقم 84و85و86.

(293) مقولة رقم 11.

(294) هذا السلطان تسلَّم للأساقفة لإعطاء الحل، وتستخدمه الكنيسة حتى اليوم بهذا المعنى قبل المناولة، وكان يُتلَى قديماً قبل تقديم الصعيدة.

(295) قانون رقم 84و85و86.

[وأنت أيها الكاهن قد أخذت رتبة ابن الله على الأرض[296]. فتأمل مَنْ منهم الذي تُمسك خطاياهم عليهم ومَنْ الذي تُغفر لهم. لأنك تقدِّم قرابينهم لله[297]. ولولا أنهم يعرفون أنهم يصلُّون لله لما أعطوها لك. **ولكن الله جعلك وسيطاً بينه وبين الناس** (في تقديم المغفرة وقبول ورفع القرابين والنذور لله).][298]

تقديم الصعيدة على المذبح:

[**لا يُرفع قربان قد فضل من أمس ولا شيء مشقوق** في إحدى الكنائس بل خبزٌ ساخنٌ طَرِيٌّ.][299]

[الخمر الذي **يُرفع** قرباناً لا يذوق أحد منه شيئاً حتى تكمل الصعيدة ... وليكن الذي **يُصعده** قدام الرب **خمراً زكياً وخبزاً ساخناً نقياً**، لأنه مكتوب هكذا إني أعطي نذوري لله وأيضاً أقدم لك صعيدة دسمة ومحرقات مختارة وقرابين طاهرة الذي هو جسد ودم ربنا يسوع المسيح، هذا هو الإله بالحقيقة.][300]

القديس أثناسيوس يتكلَّم إلى المعمَّدين الجدد:

[وسترون اللاويين (الشمامسة) يحضرون أرغفة الخبز وكأس الخمر ويضعونها على المائدة، وطالما لم يبتدئ (الكاهن) بالتوسلات والصلوات فالموجود هما مجرد خبز وخمر، ولكن بعد الصلاة الكبرى العجيبة (صلاة الإفخارستيا)، يصير الخبز جسد ربنا يسوع المسيح والخمر يصير دمه.][301]

[أواني المذبح أليست هي محسوبة من الأشياء الروحانية وليست بعد فضة أو ذهباً أو حجارة

(296) هنا ينفي القديس أثناسيوس نفياً قاطعاً أن السلطان الذي أخذه بطرس الرسول أخذه لنفسه، ولكنه سلَّمه للأساقفة، فصاروا ليس مثله أو خلفاء له بل مثل ابن الله نفسه!!

(297) هنا يربط القديس أثناسيوس بين قبول الحل وتقديم نذر أو قربان وبين تقديم قربان عن التائبين وطلب المغفرة لهم!! فالقرابين بهذا المعنى هي نذور لطلب الغفران.

(298) القانون الثامن والثمانون.

(299) القانون رقم 64.

(300) القانون المائة والسابع.

(301) المقولة رقم 42.

أو أخشاباً، لأن الرب قائم على المذبح.][302]

[كذلك المذبح، وإن كان من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة، فإنه ليس بطبعه الأول ... لأن الله الحي قائم عليه ... لهذا فليتطهَّر القسوس بكل طهارة عند اقترابهم من المذبح، لاسيما أنه قد قُسِّم عليه الجسد المقدَّس والدم المحيي ... الموضع الذي يقف عليه كل يوم، الموضع الذي ظهرت قدماه عليه! ... لا يمكن أن يبقى المذبح بدون ملاك في وقت من الأوقات ولا إلى لحظة واحدة، لذلك يجب (على الكهنة) أن يخدموا بالطهر والبخور الطاهر النقي الذي يبخره القسيس حول المذبح ببهاء الروح القدس لأن **المذبح المنصوب قدَّام الرب في السماء هو روح ناطق ومتكلِّم** يعرف مَنْ هو مجتهد له على الأرض[303]، لأن موضعاً يكون فيه جسد المسيح يجب أن يكون جميع خدامه بغير خطية كالنسور.][304]

غسل الأيدي:

القديس أثناسيوس الرسولي يتكلَّم عن إفخارستيا عيد الفصح:

[علينا أن نصلِّي حتى لا نأكل ''الفصح'' بغير استحقاق لئلاَّ نتعرَّض للخطر، لأنه بالنسبة للذين يحفظون الفصح بطهارة يكون الفصح ''طعاماً سماوياً''، أمَّا الذين يمارسونه بنجاسة أو استصغار فهو يكون خطراً وتوبيخاً، لأنه مكتوب: «إن كل مَنْ يأكل ويشرب بدون استحقاق يجرم في **موت الرب**»!! لذلك ينبغي أن لا نقيم طقوس الفصح كيفما اتفق، ولكن **علينا أن نستعد لكي نقترب من الحمل السمائي وأن نلمس الطعام السمائي، لذلك فلنغسل أيدينا**[305] ونطهر الجسم ونحفظ العقل من أي شر...][306]

مناداة الشماس: "تقدَّموا تقدَّموا. وقفوا بخوف":

[المذبح محل الأفراح لمن يمسك بنواميسه، ولكنه هلاك لمن يتوانى بسبب الخوف الكائن فيه، فإذا لم تكن لكم قدرة أن تكونوا ودعاء، فابتعدوا **لئلاَّ تحترقوا**، لأن الذي على المذبح **نار لا تُطفأ، كما قال الرب إن نار المذبح لا تُطفأ** (كناية وإشارة للنار الإلهية

(302) القانون السابع.

(303) أي المذبح الناطق السمائي والمذبح في الكنيسة على الأرض هما واحد.

(304) القانون السابع.

(305) كان المتناولون يأخذون الجسد على أيديهم ثم يأكلونه.

(306) المقولة رقم 14.

غير المنظورة المستقرة عليه.).][307]

[**الاقتراب إلى الموضع المقدَّس مخوف جداً**، مكتوب أن إلهنا نار آكلة ليس مثل نار هذا العالم، ولكن الروح القدس علمنا أن الخطاة الذين يلتصقون (بخدمة الله) وهم مقيمون ومداومون في خطاياهم يهلكون مثل القش الذي تحرقه النار.][308]

[الله أراد أن يعلِّمنا **المخافة الكائنة في المذبح والمخافة الكائنة في جميع الأواني الخاصة بالمذبح** ... لأنه مَنْ تقدَّم قط إلى المذبح بدون خوف ونجا؟][309]

ما قبل صلاة الإفخارستيا:

[يقول القديس كيرلس الكبير (البطريرك 24) إن التقليد الجاري في الكنيسة منذ البدء يستخدم في بداية كل الخدمات والأسرار نداء "**السلام لجميعكم**" ويُردُّ عليه "**ولروحك أيضاً**". وإن المسيح إذ كان يقولها لتلاميذه على الدوام جعلها بذلك قانوناً للكنيسة كلها.][310]

[هذا هو اليوم الذي صنعه الرب فلنفرح ونبتهج فيه.][311]

ارفعوا قلوبكم:

هذه المناداة كما يقول القديس أغسطينوس هي عامة في جميع كنائس العالم شرقاً وغرباً.

صلاة الإفخارستيا:

وتُسمَّى إما فقط ''بالإفخارستيا'' أو ''صلاة الإفخارستيا''، أو كما يسميها القديس أثناسيوس الرسولي "**الصلاة الكبرى**". وهي تُعتبر جزءاً من صلوات التقديس بحسب عقيدة الكنيسة الأُولى، وأيضاً بحسب تعليم القديس أثناسيوس إذ يقول:

[ولنأتِ الآن إلى صلوات تكميل الأسرار، فطالما أن الصلوات والتوسلات لم تبدأ، فهذا الخبز وهذا الخمر هما ساذجان، أي مجرد خبز وخمر. ولكن بعد أن تُتلى الصلاة الكبرى

(307) القانون الخامس.
(308) القانون السادس والسبعون.
(309) القانون الأول.
(310) Cyril of Alex., *on John.* 20. 21, cited by Bingham 5, p. 276.
(311) مقولة رقم 18.

والتوسلات المقدَّسة ينزل ‘‘الكلمة’’ اللوغوس في الخبز والخمر فيصيران جسد الكلمة.][312]

وهنا تتضح العقيدة في الكنيسة القبطية حتى إلى أيام القديس أثناسيوس فيما يختص بالتقديس أو بالتغيير أو "**الانتقال**" (أو التحوُّل) الذي يحدث للخبز والخمر عندما يصيران جسداً ودماً للمسيح. فهذا أولاً **يحدث بواسطة الصلاة الكبرى أي "صلوات الإفخارستيا"** التي تُقال بعد «ارفعوا قلوبكم » **وثانياً بواسطة التوسلات** لكي يحل أو ينزل ‘‘الكلمة’’ في الخبز والخمر ويجعلها جسداً ودماً له.

وهذا يفيد أن عقيدة استدعاء الروح القدس على الخبز والخمر لتحويلهما إلى جسد ودم، لم تكن بعد قد دخلت ـ في زمن القديس أثناسيوس ـ في طقس الإفخارستيا في مصر بمعناه كحلول للتحول ـ لأن عقيدة حلول الروح القدس على الخبز والخمر دخلت التقليد القبطي بعد القديس أثناسيوس مباشرةً في أيام البابا بطرس بطريرك الإسكندرية الواحد والعشرين[313]، وذلك تدعيماً للاهوت الروح القدس الذي كان قد بدأت المنازعة اللاهوتية عليه في ذلك الوقت.

وقد تسجَّل عن القديس بطرس بابا الإسكندرية الواحد والعشرين القول بهذه العقيدة كالآتي:

[المذبح المقدَّس الذي نستدعي عليه الروح القدس للحلول.][314]

ولكن لم تتبلور عقيدة التقديس بواسطة حلول الروح القدس لتصير قانوناً إفخارستيا في مصر إلاَّ على لسان البابا ثاوفيلس البطريرك 23، حيث يقول:

[إن تقديس الخبز والخمر يتم بواسطة استدعاء وحلول الروح القدس عليهما.][315]

فإذا عدنا مرة أخرى لزمان القديس أثناسيوس الرسولي، نجد أن عقيدة تقديس الخبز والخمر كانت محصورة في صلوات الإفخارستيا والتوسلات. ويُلاحَظ أن القديس أثناسيوس يصف هذه الصلوات **بأنها الصلوات العجيبة**[316] **أو الصلاة الكبرى، فهو يركز على أهميتها جداً وعلى قدرتها العجائبية في التحويل**، فصلاة الإفخارستيا كانت طويلة وتشمل كل مستلزمات الشكر الإفخارستي من خلق وفداء وخلاص، ثم التسبحة الشاروبيمية، ثم الدخول في كلمات الرب يسوع ضمناً.

---

(312) مقولة رقم 42.

(313) Srawley, *The Earl. Hist. of Lit.*, p. 49.

(314) Peter II of Alexandria, according to Theodoret, *H.E.*, VI, 19..

(315) *Lib. paschal.* I (in Jerome, *Ep.* XC VIII. 13).

(316) أي صانعة المعجزة.

ولكن القديس أثناسيوس يذكر بوضوح حلول الروح القدس أثناء الصلاة والتسبيح على كل الناس عند إقامة الخدمة الإلهية في الذبيحة.

التسبحة الشاروبيمية:

[عظيمة هي جماعة ملكوت السموات، لأن ألوف ألوف وربوات ربوات يخدمون الرب هناك.][317]

[الجالس على الشاروبيم ظهر بفرح عظيم ... فمَنْ ذا الذي لا يشاء أن يشترك في هذه الشركة العالية التي لهؤلاء ...][318]

والقديس أثناسيوس يقول إن تسبحة الشاروبيم قد انتشرت في كل الكنائس شرقاً وغرباً.

وقد ورد في مقالة للقديس أثناسيوس عن الثالوث والروح القدس ما يفيد أن النص الذي صار معمولاً به لهذه التسبحة هو نفس النص الوارد في ليتورجية سيرابيون: «**قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك، السماء مملوءة، والأرض أيضاً مملوءة من مجدك الفائق**».[319]

والعلاَّمة ديديموس الضرير وهو معاصر للقديس أثناسيوس يقول:

[يسبِّحون بأفواه لا تسكت وأصوات لا تهدأ.][320]

[... إني أَظهر لك في ذلك الموضع بين أجنحة الشاروبيم وأخاطبك ... لذلك لا ينبغي بالجملة أن يقترب جميع الناس إلى المذبح، إلاَّ الذي يختاره الرب لهذا العمل، وهذا **يخدم بخوف ورعدة!**] (القانون الأول)

[ولكن الآن لا تُقدَّم الذبيحة في مكان واحد بل «في كل مكان يُقدَّم بخور وذبيحة طاهرة لله» وكذلك من **الكل وفي كل مكان** يرتفع تسبيح الصلاة للآب الصالح المنعِم عندما تقيم الكنيسة الجامعة الموجودة في كل مكان معاً نفس الخدمة الإلهية (ليتورجيا) ببهجة وسرور، عندما يشترك كل الناس في إرسال ترنيمة التسبيح ويقولون "آمين": حينئذ تسقط أسوار كل

(317) مقولة رقم 17.

(318) المقولة رقم 21.

(319) Athanasius, *De Trinitate et Spiritu*, 16 (PG XXVI, 1208), cited by Eric Werner, The Sacred Bridge, p. 284.

(320) مقولة رقم 26.

قوة شريرة مثل أسوار أريحا.](321)

التقديس والاستدعاء:

[والمسيح المخلِّص بينما هو يغير ما كان مثالاً إلى ما هو روحاني، وعدهم **أنهم لن يأكلوا لحم خروف فيما بعد بل لحمه هو قائلاً**: «**خذوا كلوا واشربوا هذا جسدي ودمي**».](322)

[تقدماتي هي عطاياي، أي أن الذي تقدِّمونه لي هو أصلاً عطيتي لكم، فلنقدِّم له .. الأشياء **التي قدَّسها لنا** ... لنأكل فصح الرب **الذي قد** «**أسس قانونه المقدَّس بنفسه**»(323).](324)

[إن ما استُعلن لكم مني وما سيُعطى من أجل خلاص العالم هو جسدي الذي أنا لابسه، وهذا الجسد والدم الذي منه سوف يُعطَى لكم روحياً على يدي كطعام **حتى ينتقل إلى كل واحد روحياً ويصير للجميع حافظاً للقيامة التي للحياة الأبدية**.](325)

الاستدعاء والتحوُّل:

[وبعد أن تُتلى الصلوات الكبيرة **والاستدعاءات المقدَّسة**، ينزل ''الكلمة'' في الخبز والخمر فيصيران جسد الكلمة.](326)

هنا واضح عقيدة حلول ''الكلمة'' في الخبز والخمر لتقديسهما ولصيرورتهما جسداً للمسيح الكلمة، أي جسداً حقيقياً ودماً حقيقياً، كما سنراه واضحاً في قداس سيرابيون.

وهذه العقيدة، كما سنبحثها في موضعها، هي التقليد الكنسي منذ البدء لا في مصر وحدها بل وفي كنائس أخرى من العالم حتى إلى بداية القرن الرابع: عند القديس إيرينيئوس وغريغوريوس

(321) المقولة رقم 18.

(322) المقولة رقم 15.

(323) كلمة ''أسس قانونه المقدَّس'' اصطلاح يعبِّر عن كل ما قاله وعمله ليلة العشاء الأخير لتأسيس قانون سر الإفخارستيا. ويوجد اصطلاح كنسي قديم عند الآباء ينبغي مراعاته جداً وهو أن كل ما قاله وعمله الرب ليلة العشاء الأخير هو تأسيس سر أو تأسيس قانون العهد الجديد، لذلك فكل الكلام الذي يقوله الكاهن في الإفخارستيا من أول «لأنه في الليلة التي أسلم فيها ذاته أخذ خبزاً على يديه» وحتى نهاية ''اصنعوا هذا لذكري ... وتنتظرونني إلى أن أجيء'' يُسمَّى ''التأسيس'' Institution كاصلاح إفخارستي عالمي.

(324) المقولة رقم 14.

(325) المقولة رقم 1.

(326) المقولة رقم 42.

النيسي والعلاَّمة أوريجانوس والقديس أثناسيوس.

ولكن لا ننسى أن القديس أثناسيوس قال إن الروح القدس يحل على المؤمنين الحاضرين الصلاة:

[وحينئذ تنسكب عطية الروح القدس بغنى على كل الناس.](327)

ثم يصف القديس أثناسيوس فاعلية الذبيحة بعد التحوُّل هكذا:

[والمسيح المخلِّص، بينما هو يغير **ما كان** مثالاً إلى ما هو روحاني ... وعدهم أنهم يأكلون **لحمه هو** قائلاً: خذوا (كلوا) واشربوا هذا جسدي (وهذا) دمي ...](328)

هذا التحوُّل السري واضح ضمناً، فالخبز والخمر صارا جسد المسيح ودمه، لحمه هو كحمل فصح للخلاص الجديد:

[علينا أن نستعد لكي نقترب من الحمل السمائي وأن نلمس الطعام السمائي.](329)

واضح هنا أن الإفخارستيا ـ أي الخبز والخمر المتحوِّلان سرًّا ـ هما "المسيح المذبوح"، الحمل السمائي، وهما غذاؤنا الموعود لحفظ القيامة فينا ولنوال الحياة الأبدية:

[سوف يُعطَى لكم على يدي كطعام، حتى ينتقل (جسدي) إلى كل واحد منكم روحياً ويصير للجميع حافظاً للقيامة التي للحياة الأبدية.](330)

[ونحن **نتألَّه باشتراكنا** ليس في جسد إنسان بل بتناولنا **من جسد الكلمة "نفسه"**.](331)

هنا وفي عقيدة القديس أثناسيوس الرسولي واضح أن الإفخارستيا هي واسطة للاتحاد بالله والشركة في الطبيعة الإلهية:

[هذه الذبيحة غير الدموية **التي للشفاعة**.](332)

هنا الإفخارستيا واضحة في عقيدة أثناسيوس أنها واسطة لمغفرة الخطايا، لأن شفاعة المسيح لدى الآب بدمه الذي نشربه هو مسح خطايا وغفران وتطهير.

(327) المقولة رقم 18.
(328) المقولة رقم 15.
(329) مقولة رقم 14.
(330) المقولة رقم 1.
(331) مقولة رقم 2.
(332) مقولة رقم 9.

[أمَّا نحن فبالفصح (الإفخارستيا) نعبُر من الموت إلى الحياة، ومن الشيطان إلى المخلِّص ... الآن نحن نذكر خلاصنا.][333]

القسمة والتحليل والتوزيع والتناول:

القسمة:

[هكذا فليتطهر القسوس بكل طهارة عند اقترابهم من المذبح، لا سيما أنه قد قُسِّم عليه الجسد المقدَّس والدم المحيي.][334]

[يداوم الشمامسة الترويح بالمراوح حتى يقسِّموا الجسد وهم ملازمون الصلاة. وإذا فرغوا من القسمة يبقى واحد يروِّح بـ"البوميس" الذي هو لابسه من البداية حتى كمال الصعيدة.][335]

التحليل:

[قيل لبطرس: «ما ربطته على الأرض يكون مربوطاً في السموات» وإن الله قد أعطى كهنة الشعب أن يغفروا خطايا التائبين، ولكنهم هم أنفسهم أيضاً أُناس لابسون جسداً ويجب عليهم أن يقدِّموا القرابين عن خطاياهم، لأنه يقول في إشعياء: «إذا قدَّمتم عن خطاياكم سترى أنفسكم ذُرِّية طويلة الأعمار في الدهر الذي ليس له انقضاء» كما قال لهرون: «أعطِ تقدمتك أولاً وارفع قربانك عن نفسك وأهل بيتك، وبعد ذلك ارفع قرابين تقدمتك عن الشعب وعن خطاياهم.»][336]

التوزيع والتناول:

[من أجل هذا خافوا من المذبح ومجِّدوه، ولا تتقدَّموا إليه بدون حشمة، بل بكل طهارة وخوف، لأن المذبح هو روح ـ كما سبقت وقلت لكم ـ فكل النفوس التي تتقدَّم إليه وهي في نجاستها يسألون ويتضرعون من أجل طهارتهم، **فهذا المذبح هو طهارتهم!!**][337]

[علينا أن نصلِّي حتى لا نأكل بغير استحقاق لئلاَّ نتعرَّض للخطر، لأن كل مَنْ يحفظ الفصح

(333) المقولة رقم 14.

(334) القانون السابع.

(335) القانون التاسع والثلاثون.

(336) القانون رقم 85و86.

(337) القانون السابع والسبعون.

بطهارة[338] يكون الفصح طعاماً سماوياً. أمَّا الذين يمارسونه بنجاسة أو استصغار فهو يكون خطراً وتوبيخاً، لأنه مكتوب: «كل من يأكل ويشرب بدون استحقاق يجرم في موت الرب!» لذلك لا ينبغي أن نقيم الطقوس كيفما اتفق، ولكن **علينا أن نستعد لكي نقترب من الحَمَل السمائي وأن نلمس الطعام السمائي**[339]، فلنغسل أيدينا، ونطهِّر أجسامنا ونحفظ العقل من أي شر حتى إذا كنَّا أطهاراً نستحق أن نتناول من ''الكلمة''.][340]

[في نفس الوقت الذي يبدأ فيه التناول يبدأ الترتيل خارجاً.][341]

[هذا الجسد والدم الذي منه، **سوف يُعطَى لكم روحياً على يدي كطعام حتى ينتقل إلى كل واحد روحياً.**][342]

[وكأس الأسرار يكون في حيازة مَنْ يرأس الكنيسة الجامعة، لأن لهم وحدهم يحق أن يوزِّعوا دم المسيح، وليس آخر معهم (أي للكهنة القانونيين)**.]**[343]

[خذوا كلوا واشربوا هذا هو **جسدي** (وهذا هو) **ودمي، فحينما نغتذي نحن بهما نكون قد حفظنا الفصح.**][344]

[أمَّا الآن فنأكل من ''كلمة'' **الآب خاتمين عتبة القلب بدم العهد.**][345]

[لأنه كما دعا تلاميذه إلى العلِّية **هكذا يدعونا "الكلمة" معهم** إلى الوليمة السمائية غير الفاسدة.][346]

ملاحظة:

واضح جداً من أقوال القديس أثناسيوس الرسولي أن المسيح يحضر بنفسه تقديم الصعيدة،

(338) يحترس قبل وبعد التناول.
(339) كان الجسد يُسلَّم للمتناول في يده.
(340) مقولة رقم 14.
(341) القانون العاشر.
(342) المقولة رقم 1.
(343) القانون السابع والثلاثون.
(344) مقولة رقم 15.
(345) المقولة رقم 16.
(346) المقولة رقم 20.

وكذلك جماعة تلاميذه، وأنه يوزع جسده ودمه بيديه غير المنظورتين، وأن الاستعداد للتناول هو في الحقيقة استعداد لملاقاة الرب والاقتراب إليه ولمس جسده ودمه، ثم أكل وشرب لحمه ودمه، لأن القديس أثناسيوس يقول إن اشتراكنا في جسده ودمه هو اشتراك في لاهوته، وأن الدم وإن كنَّا نشربه بالفم ولكنه يختم القلب بعهد الله الجديد، فلا يكون للشيطان المهلك نصيب فيه ولا قدرة على دخوله، وبالتالي لا يدخله الموت. ومن هذا، فالدم هو ''عدم الموت''.

التراتيل أثناء التناول:

[وما دامت السرائر على المذبح قبل أن تُرفع (أي قبل أن ينتهي التوزيع) لا تسكت القراءة والتراتيل قدامه(347)، يرتلون بكلام الله أو يقولون المزامير، لأنه مكتوب إني رتبت حرَّاساً على أسوار أورشليم الليل والنهار، هؤلاء لا يسكتون كل حين من ذكر الرب، ولأنهما جسده ودمه فلا يُفْتر من تسبحته إلى الوقت الذي يخلو فيه الموضع تماماً.](348)

[لا يرتل المرتلون بالكتب التي للميليتيين(349). هؤلاء الذين يرتلون بغير حكمة، ليس مثل داود (بالمزامير) ولا بالروح القدس، بل مثل أغاني الأمم. هؤلاء الذين يجب أن تُسدَّ أفواههم. فإن كانوا لا يرتلون بالروح القدس(350)، فلا يرتلوا. مكتوب لا تزيدوا عليهم ولا تنقصوا منهم.](351)

[من أجل السرائر المقدَّسة جسد المسيح ودمه لا تفضلوا منهما شيئاً من المساء إلى باكر، **ولكن كلما أرادوا يصنعونه (يعملونه) فها المذبح المقدَّس مستعد.**](352)

الانصراف:

[وأمَّا أنا فوقفت وأمرت بالصلاة وبعد ذلك رجوتهم في الخروج.](353)

[وكان وقت الانصراف Dismissal قد حان ...](354)

---

(347) أي قدام المسيح الكائن على المذبح.

(348) القانون الثامن والسبعون.

(349) شيعة انحرفت وألَّفت تراتيل للصلاة غير التقليدية.

(350) أي من كلام الوحي الذي في المزامير.

(351) القانون الثاني عشر.

(352) القانون الثامن والسبعون.

(353) مقولة رقم 7.

(354) مقولة رقم 27.

خامساً: الإفخارستيا وعمقها اللاهوتي
عند القديس كيرلس الكبير

وإذ كان الرب عالماً ببطء القلوب في الإيمان على مستوى الحوادث، وثقل الآذان في السمع والفهم على مستوى الأخبار وشرحها، وضع في تدبيره هذا السر بعمقه الإلهي وأسسه لهم يوم الخميس ليلة العشاء الأخير ليكون هو بذرة الإيمان الحية الباقية لهم إلى نهاية الدهور حتى وإن كانوا لم يفهموا آنئذ، إلاَّ أنهم على مدى الأيام استطاعوا من خلال هذا السر وممارساته أن يشرحوا كل الحوادث، بل كل الأقوال والأعمال التي قال وصنع:

+ «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد!» (يو 13:7)

وعلى نفس مائدة العشاء السري التي أكلوا عليها مع الرب الوليمة الأخيرة، وفي نفس العلية جلس التلاميذ بعد القيامة وبعد الصعود مراراً وتذاكروا وفهموا كل شيء! نعم فهموا كل شيء! لأن سر الإفخارستيا أضاء لهم فعلاً طريق الحياة والخلود، وخبز السماء فتح أعينهم ليدركوا الآتي من السماء مع كل أسرار السماء.

فمن خلال الإفخارستيا وكلمات العشاء الأخير أدركوا معنى الصليب وعمق الصليب ودم الصليب، ثم انعكس نور الجلجثة مرة أخرى على جلسة العشاء الأخير فأضاء معاني الكلمات واستوضح سرَّها سرُّ الإفخارستيا، سرُّ العهد الجديد بدم المسيح!!

كذلك أيضاً فمن خلال الإفخارستيا والجسد المأكول أدركوا سر القيامة بالجسد التي قامها المسيح وأدركوا عدم الموت الذي أحسوه بإيمانهم، وذاقوا عمق الحياة الأبدية ومعناها أكثر فأكثر!! وبالتالي فإن القيامة التي قامها المسيح بالجسد أمام عيونهم عادت فألقت نورها على سر الإفخارستيا فأدركوا في أكل الجسد الحي والمحيي قوة القيامة والحياة، وأدركوا أن في دم الإفخارستيا دواء عدم الموت وأدركوا عمق الحياة الأبدية وصدَّقوا المجيء الثاني وترجوه!

لقد بدت أحاديث المسيح عن الموت وقت العشاء الأخير مساء الخميس غير مفهومة وثقيلة جداً جداً على قلوبهم التي تعلَّقت به أشد التعلُّق، فهل الموت إذاً سيفصل بينهم وبين مَنْ أحبوه: « ... أحبَّهم إلى المنتهى؟» (يو 13:1)، كما بدت لهم أقوال الرب وأحاديثه عن القيامة والملكوت

الآتي في مساء الخميس أيضاً أنها شيء يختص باليوم الأخير كما قالت مريم أخت لعازر. لقد كانت أحاديث باهتة جداً زادت الإحساس بموت الرب ثقلاً على ثقل في هذه الليلة. ولكن المسيح وهو عالم أن القيامة قائمة وعلى الأبواب وأن الملكوت رهن الصعود، لم يكترث كثيراً لحزنهم وثُقل قلوبهم: «لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم؟ ... أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ... لكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم ... في ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً» (يو 16: 6و20و22و23). وفعلاً صارت اجتماعاتهم حول الإفخارستيا بعد صعود الرب وبحضور الروح القدس مصدر فرح لا يوصف بسبب إحساسهم بحضور الرب، وبسبب النور الذي أضاء قلوبهم وأذهانهم فأدركوا به كل شيء! لقد ذاقوا من خلال الإفخارستيا ليس فقط كل معاني الحياة والملكوت والخلود بل «وذاقوا قوات الدهر الآتي» (عب 5:6)، ذاقوا المسيَّا بالروح والحق وعاشوا أيامه مُجدَّداً إنما فوق الزمان والتاريخ.

ولكن لولا الإفخارستيا التي جمعتهم في المسيح وجعلت من اجتماعهم جسماً حيًّا متحداً بالروح القدس استُعلن فيه المسيح واستُعلن بواسطته، ما كانت كنيسة وما كان قد استُعلن شيء من أعمال الرب.

لذلك نستطيع أن نقول بيقين أنه بعملين تم استعلان المسيح للعالم: بالإفخارستيا، وبوحدة التلاميذ الروحية في جسد المسيح السري. فبالإفخارستيا استُعلن الجسد والدم! وبوحدة التلاميذ الروحية في الإفخارستيا استُعلن المسيح بالروح وحُفظت أقواله وتعاليمه في قالب واحد أي في الكنيسة التي بواسطتها استُعلنت كافة أعمال الرب وصفاته الإلهية برأي واحد وفكر واحد متحد كما رأيناه في الأناجيل والرسائل. إذاً، يمكن أن نقول إن الإفخارستيا حققت وجود المسيح الحي. أمَّا وحدة التلاميذ بالروح في جسد المسيح فقد أمَّنت الكنيسة ضد الخلافات والآراء الفردية والنظريات والذاتيات بالنسبة للكنيسة الأُولى الأُم أي كنيسة الرسل!!

لقد نجحت الكنيسة الأُولى ومنذ أول اجتماع كرازي لها ــ أي منذ أول ممارسة لها لوصية الرب أن « تخبر بموته» ــ نجحت في الشهادة للمسيح على مستوى كل ما قاله المسيح ليلة العشاء، وذلك حينما وقف بطرس الرسول يقول: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحاً.» (أع 36:2)

هنا شهادة من عمق سر الإفخارستيا، الصليب هنا فهمه بطرس الرسول بصورته الإرادية

كمشيئة الآب ومسرة المسيح، ألم يسبق المسيح وقدَّم لبطرس جسده مكسوراً ودمه مسفوكاً قبل الصليب في مساء الخميس على العشاء؟ إذاً، فالصليب رسالة وطريق لاستعلان ربوبيته وواسطة حتمية للإيمان بالمسيا! كان لا يمكن بدون سر عشاء الرب وتقديم الجسد مكسوراً والدم مسفوكاً مسبقاً وقبل الصليب أن يدرك بطرس هذا الإدراك العالي والإلهي والأُخروي لمفهوم الصليب الإرادي ورسالة الصليب الكرازية للإيمان بالمسيَّا!

هكذا خرجت الكنيسة الأُولى كارزةً بمجد الصليب وبموت الرب الكفَّاري وعمل الدم للمغفرة والتطهير والمصالحة والفداء من وراء خلفية قوية صلبة، أي الإفخارستيا التي تشرح كل هذا بجرأة كجرأة النبي الذي يتكلَّم عن المستقبلات وعيناه تريان الحقيقة!

ونحن نقدِّم هنا صورة حيَّة للمفهوم الأرثوذكسي عند كنيسة القرن الخامس:

أقوال القديس كيرلس عن الإفخارستيا

+ [فلنبحث بكل طاقتنا معنى سر الإفخارستيا:
لقد خلق الله كل شيء للخلود ...
ولكن الموت دخل إلى العالم بحسد إبليس.
فقد دفع المجرِّب الإنسان الأول للخطية والعصيان وأوقعه تحت لعنة الله
فكيف يمكن للإنسان الذي صار تحت سلطان الموت أن يستعيد الخلود؟
كان لابد من أن يدخل جسده الميت في شركة القوة المحيية لله.
أمَّا قوة الله المحيية فهي الكلمة (اللوغوس) ...
لذلك فقد صار اللوغوس إنساناً ...
واتحد بجسدٍ قابل للموت وأعطاه مناعة ضد الفساد وجعله جسداً محيياً.
لكن كان ينبغي أن يحل فينا إلهياً qeoprepîj بواسطة الروح القدس،
وأن يمتزج بطريقة ما بأجسادنا بواسطة جسده المقدَّس ودمه الكريم.
وهذا هو ما نناله في ''الأولوجية المحيية'' (= الإفخارستيا) كما بخبز وخمر.][355]

(355) تفسير إنجيل لوقا (19:22) PG LXXII, 908C - 912A.

+ [أعطانا شركة "الأُولوجية المحيية" التي بجسده ودمه المقدسين.][356]

+ [شركة المسيح هي حياة وقداسة.][357]

+ [يشير سيدنا إلى نفسه قائلاً لليهود: أنا هو خبز الحياة.
ليعلِّمهم أنهم إذا أرادوا أن يتحصَّنوا ضد الفساد والموت، فعليهم أن يشاركوا ذاك الذي له القدرة على الإحياء وعلى إبطال الفساد والموت ...
فالذين يتناولون خبز الحياة، جزاءهم الخلود.
فإنهم يرتفعون بعيداً عن الفساد وكافة الأوجاع إلى الأجواء العليا الأبدية التي للحياة بحسب المسيح.][358]

+ [الذين يأخذون المسيح في التناول
قد يذوقون موت الجسد بحسب طبيعتهم؛
ولكن هذا لا يُحزنهم
فإنهم يخضعون لهذا الانتهاء العام مثل بقية الناس،
ولكنهم بحسب تعبير القديس بولس هم «أحياء لله إلى الأبد»][359]

+ [إذا صُهرت الفضة غير النقية مع الرصاص فإنها تتطهَّر به تماماً، لأن الرصاص يمتص كل شوائب المعدن المنصهر،
وبنفس هذه الطريقة يعمل فينا المسيح.
فبينما كنَّا غير طاهرين، امتزج هو بنا جسدياً وروحياً،
وأبطل بذلك النجاسات التي كانت فينا.
فهو يرفع خطايانا حتى أننا به وبواسطته نصير أنقياء مصقولين.][360]

+ [كان ينبغي، نعم كان ينبغي، ليس فقط أن النفس تتجدَّد في جدة الحياة بالروح القدس؛ بل أن هذا الجسد أيضاً الكثيف الأرضي يتقدَّس بتناول جسد مناسب لطبيعته حتى ينال هو

(356) العبادة بالروح والحق PG LXVIII, 501B.
(357) جلافير PG LXIX, 428A
(358) تفسير إنجيل يوحنا (6:48-50) PG LXXIII, 560D, 561D.
(359) *Ibid*. 561D.
(360) العبادة بالروح والحق PG LXVIII, 297D.

أيضاً عدم الفساد.][361]

+ [«وأنا أقيمه في اليوم الأخير»

هو لا يقول ''جسدي سيقيم من يأكل منه'' بل «أنا أُقيمه» ليُظهر جيداً أنه هو وجسده واحد، فهو (أي المسيح) يقول: «إني أنا (أي المسيح)» الذي أكون فيه بجسدي أُقيمه في اليوم الأخير،

فمن المستحيل أن ذاك الذي هو الحياة بطبيعته لا ينتصر على الفساد ولا يُبطل الموت.

لذلك فمع أن الموت يُخضع الجسد البشري للفساد، إلاَّ أنه بسبب أن المسيح فينا بجسده فإننا نقوم بالضرورة.

فإن شظِيَّة مشتعلة مخفية في كوم من القش تحتفظ بأصل النار.

وهكذا يُخفي سيدنا حياته فينا بجسده ويحفظها فينا **كبذرة خلود**.][362]

+ [ولكن قد يسأل سائل: هل الذين لم يقبلوا الإيمان بالمسيح ولم يشتركوا في جسده لا يحيون في زمن القيامة؟ فماذا إذاً؟ ألا تعود كل خليقة إلى الحياة؟

ـ طبعاً، كل خليقة ستقوم ... جميع الناس سيقومون على مثال ذلك الذي قام من أجلنا وكان يحمل في نفسه جميع الناس ... الجميع سيقومون، الذين فعلوا البر إلى قيامة الحياة كما هو مكتوب، والذين فعلوا الشر إلى قيامة الدينونة. والقيامة للعقاب أي العودة إلى الحياة من أجل العذاب تبدو لي أفظع من الموت. فالحياة الحقيقية في المسيح هي حياة القداسة والسعادة والفرح بلا نهاية ... وهذه هي الحياة الموعودة للذين اشتركوا في الجسد المحيي.][363]

+ [أولئك الذين لم يقبلوا الابن بواسطة ''سر الأولوجية'' (الإفخارستيا) يبقون بدون أية مشاركة على الإطلاق ولا أي تذوُّق لحياة القداسة والسعادة.][364]

+ [ياليتهم يفهمون ذلك، أولئك المؤمنون المعتمدون الذين ذاقوا النعمة الإلهية، فإنهم بإهمالهم

---

(361) تفسير إنجيل يوحنا (53:6) PG LXXIII, 580A.

(362) تفسير إنجيل يوحنا (54:6) PG LXXIII, 581BC

(363) تفسير إنجيل يوحنا (51:6) PG LXXIII, 565D-568B

(364) تفسير إنجيل يوحنا (53:6) PG LXXIII, 577B

للمجيء إلى الكنائس وبتسويفهم في التقرُّب من ''أولوجية المسيح'' (الإفخارستيا) وعلى الرغم من الأعذار التقوية المغلوطة التي يقدمونها لكي لا يتناولوا؛ فإنهم بذلك يعزلون أنفسهم عن الحياة الأبدية ويرفضون فعل الإحياء. وهذا الامتناع – على الرغم من مظهره التقوي – يؤول إلى بؤسهم وهلاكهم.

فكان ينبغي بالأحرى أن يُنهضوا عزيمتهم وكل طاقة نفوسهم ليتطهروا من خطاياهم، وأن يبذلوا جهدهم ليعيشوا حياة صالحة فيتقدموا حينئذ بثقة إلى التناول المحيي.](365)

+ [إن كان لنا اشتياق شديد للحياة الأبدية وإن كنَّا نريد أن نستقبل داخلنا ذاك الذي يعطي الخلود فلا نتمثلنَّ بإهمال أولئك الذين يرفضون أن يتناولوا ''الأولوجيا'' (أي الإفخارستيا) ولا ننخدعنَّ بأعذار التقوى الغاشة التي يخترعها إبليس بمكر من أجل هلاكنا.

ولكنك تقول: مكتوب أن مَنْ يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه، لقد امتحنتُ نفسي فوجدت نفسي غير مستحق.

وأنا أجيب مَنْ يقول مثلك قائلاً: ومتى توجد مستحقاً؟ ومتى تتقرَّب من المسيح؟

إذا كانت سقطاتك تمنعك من أن تتقرَّب وإذا كان لا يمكنك أن تكفَّ عن السقوط فأنت إذاً ستبقى على الدوام بدون أن تشترك في هذا التقديس الذي يُحيي إلى الأبد؟

هيا بك، تعهد بأن تحيا حياة أفضل واشترك في ''الأُولوجية'' (الإفخارستيا) واثقاً أنك تجد فيها علاجاً ليس فقط للموت بل لكافة أمراضك أيضاً.](366)

يقول القديس كيرلس في تفسير إنجيل يوحنا ما معناه عن تلخيص العالِم éMah:

[هذا التحوُّل الفائق لكل كياننا لا يُرى ولا يُحس، فهو سر غير مادي ولا هو محسوس ولكنه حقيقة بكل تأكيد. إنه ركن أساسي لإيماننا باعتراف التقليد كله، وينبغي أن نؤمن به بشكر بدون أن نفحص كيفيته كما فعل اليهود قائلين: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟ »أليس الله حرًّا في عطاياه؟ والذي خلق الإنسان في البدء خالداً ألا يستطيع أن يعيد له

(365) تفسير إنجيل يوحنا (35:6) PG LXXIII, 521AB

(366) تفسير إنجيل يوحنا (56:6) PG LXXIII, 584D

الخلود؟ الذي هو الحياة بطبعه أيمكن أن يتَّحد ويمتزج بنا بدون أن يعطينا الحياة؟]

+ [إن الماء بارد بطبعه، ولكنه إذا سُكب في إناء وقُرِّب من النار فكأني به ينسى صفاته الخاصة ويكتسب صفات النار.

وهكذا نحن أيضاً الفاسدون بحسب طبيعة جسدنا،

فإننا نترك ضعفاتنا حينما نمتزج بالحياة الحقيقية ونقبل صفات الحياة.](367)

وبخصوص هذا الاتحاد بين المسيح والإنسان المتناول، كتب القديس كيرلس صفحات بديعة لا تُجارَى في جمالها. فمثلاً بخصوص تفسير يوحنا 57:6: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» يقول:

+ [إذا مزجنا معاً قطعتين من الشمع فإن كلاً منهما تبدو مسبوكة تماماً في الأخرى، وهكذا في رأيي مَنْ يقبل جسد المسيح مخلِّصنا ويشرب دمه الكريم يصير واحداً معه كما يقول الرب نفسه. فإنه يصير مسبوكاً وممتزجاً معه بالتناول حتى أنه يكون في المسيح والمسيح يكون فيه. وهذا ما يعلمنَّا إياه الرب في إنجيل القديس متى حينما يقول: يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ... والقديس بولس يقول إن خميرة قليلة تخمِّر العجين كله.

وهكذا فإن أقل جزء من ''الأولوجيا'' (= الإفخارستيا) ينتشر في جسدنا كله ويملأه بطاقته الخاصة، وهكذا يصير المسيح فينا ونحن فيه.](368)

+ [صحيح حقاً أننا متحدون بالمسيح **روحياً** بالمحبة الكاملة والإيمان البسيط المستقيم والنية الصالحة النقية.

هذا هو اعتقادنا ونحن لا ننكره ...

ولكن إن تجاسر أحد وقال إن ليس لنا معه أية علاقة بحسب الجسد sunafe…aj tÁj kat¦ s£rka فهو يقع في مخالفة صريحة لأقوال الكتب الملهمة. فمن الواضح بدون أدنى شك أنه بسبب هذا الاتحاد بحسب الجسد قيل أن المسيح هو الكرمة ونحن الأغصان وأننا منه

(367) تفسير إنجيل يوحنا (53:6) PG LXXIII, 580A

(368) تفسير إنجيل يوحنا (56:6) PG LXXIII, 584B

وبه نستمد الحياة داخلنا ...

فلماذا إذاً تدخل ''الأولوجية السرية'' (الإفخارستيا) داخلنا؟

أليس لكي تجعل المسيح يسكن فينا **جسدياً** بالتناول وبشركة جسده المقدَّس؟](369)

+ [فإن المخلِّص نفسه يقول: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه»

ومن الجدير أن نلاحِظ بتدقيق أن المسيح لا يقول أنه سيكون فينا **بعلاقة وجدانية فقط بل بالشركة في الطبيعة** «kat¦ mšqexin fusik»n.](370)

+ [لا يقُل أحد بعدم إيمان: إذا كان الكلمة الذي هو الحياة بطبعه يسكن فينا ألا يصير بذلك جسد كل منَّا مُحيياً؟

ـ لا، فإن هناك فرقاً كبيراً بين الشركة النسبية «mšqexij scetik التي بها يحلُّ الابن فينا، وبين الاتحاد الذي به جعل خاصّةً له الجسدَ المولودَ من القديسة العذراء عندما تجسَّد. فالكلمة حينما يحل فينا لا يتأنَّس (من جديد) فإنه لم يتجسَّد إلاَّ مرة واحدة.](371)

يقول القديس كيرلس في تفسيره لصلاة المسيح: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا»

+ [إن سيدنا يطلب من أجل المؤمنين أن يكون بينهم رباط المحبة والوفاق والسلام ليكونوا جميعاً متحدين **بوحدة روحية** على مثال الوحدة الطبيعية الجوهرية الكائنة بين الآب والابن ... هذا حق، ولكن إذا تأملنا هذا النص بتدقيق أكثر: «كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا» فإننا نجد أنه على مثال المساواة في الجوهر الموجودة في الثالوث هكذا ينبغي أن تكون الوحدة التي تربطنا بعضنا ببعض ومع الله وحدة في الطبيعة fusik¾n t¾n ˜nÒthta.](372)

ولكن كيف تتحقَّق هذه الوحدة في الطبيعة (الإلهية) بين كل تلاميذ المسيح على الرغم من تمايزهم في الأجساد والنفوس؟

(369) تفسير إنجيل يوحنا (1:15) PG LXXIV, 341AB

(370) تفسير إنجيل يوحنا (1:15) PG LXXIV, 341C

(371) تفسير إنجيل لوقا (19:22) PG LXXII, 909CD

(372) تفسير إنجيل يوحنا (20:17ـ21) PG LXXIV, 556 A, 557C

+ [إن الابن الوحيد الذي هو حكمة الآب ومشورته لما أراد أن يُقيم هذه الوحدة بين بعضنا البعض ومع الله وأن يمزجنا بعضنا ببعض بنوع ما على الرغم من اختلافنا في الأجسام والأرواح، ابتكر لذلك وسيلة عجيبة: فقد أعطى المؤمنين به جسده ليأكلوه في ''الأولوجية السرية'' (الإفخارستيا).

وبذلك جعلهم متحدي الجسد معه وبين بعضهم البعض.

فمن ذا يستطيع أن يفرِّق ويفصل هذه الوحدة التي في الطبيعة fusikÁj ˜nësewj أولئك الذين ارتبطوا ببعض بوحدة المسيح بواسطة الاشتراك في جسده المقدَّس؟ إن كنا جميعاً نشترك في خبز واحد فنحن جميعاً جسد واحد لأن المسيح لا يمكن أن ينقسم.](373)

لقد قال المسيح في العشاء الأخير: «هذا هو جسدي» و «هذا هو دمي» والقديس كيرلس يريدنا أن نقبل شهادة المعلِّم الإلهي بدون أدنى تردد، لأنه هو الحق ولا يستطيع أن يكذب، فطالما هو يؤكِّد لنا أن هذا هو جسده ودمه ينبغي أن نصدِّقه بلا فحص(374).

ويقول القديس كيرلس أيضاً بخصوص هذه الكلمات التأسيسية في تفسيره لإنجيل القديس متى:

+ [بعد خروج يهوذا سلَّم الرب الأحد عشر سر الخلاص ...

وإذ كان عتيداً أن يصعد لأبيه بجسده ..

أعطانا جسده الخاص ودمه حتى لا نُحرم من حضور ذاك الذي يخلِّصنا.](375)

+ [لقد شكر الرب على الكأس، وبذلك اتصل بأبيه بواسطة الصلاة لكي يشتركا معاً في إعطائنا ''الأولوجية المحيية'' (الإفخارستيا)، وبذلك أيضاً علَّمنا بمثاله أنه ينبغي أن نشكر قبل أن نكسر الخبز ونوزعه. ولذلك حينما نضع القرابين (الخبز والخمر) أمام الله نصلِّي بلجاجة لكي يتحولا لنا إلى ''أولوجية روحية''، حتى أننا إذ نتناول منهما نتقدَّس في أجسادنا وأرواحنا. ثم يقول (الكاهن) مشيراً إلى القرابين: «هذا هو جسدي «» هذا هو دمي» لكي لا تظن أن ما يظهر أمامك هو مجرد رمز، بل لكي تعرف جيداً أنه بفعل الله الضابط الكل الفائق لكل وصف قد تحوَّلت القرابين بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه.](376)

(373) تفسير إنجيل يوحنا (20:17ـ21) PG LXXIV, 560B

(374) تفسير إنجيل لوقا (20:22) PG LXXII, 912B

(375) تفسير إنجيل متى (26:26) PG LXXII, 452B

(376) *Ibid.*

إن كلام القديس كيرلس هنا في منتهى الصراحة والوضوح بخصوص حقيقة تحوُّل القرابين: فالخبز والخمر المقدَّسان ليسا مجرد رمز ولكنهما تحوَّلا بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه.

ولكن أسقف الإسكندرية لا يسترسل في برهنة ذلك، فإن فكره يميل كما رأينا إلى اتجاهٍ آخر.

إن حقيقة التحوُّل في الإفخارستيا تتبرهن لديه من قدرة الإفخارستيا على الإحياء.

+ إذا كان سر الأولوجية (الإفخارستيا) يقدِّسنا بمثل هذه القوة،

وإذا كانت ـ الإفخارستيا ـ توحِّدنا بالمسيح بمثل هذا الاتحاد الوثيق، فلا بد أن تكون بالحقيقة هي الجسد المحيي والدم الكريم اللذين للكلمة المتجسِّد!

فأي صورة أو رمز، سواء كان المنُّ أو الماء الخارج من الصخرة أو خروف الفصح، يكون لها مثل هذا الأثر التقديسي الفعَّال؟ ولكن أسرار العهد الجديد تفوق بلا حدود طقوس العهد القديم من جهة الكرامة والأثر الفعَّال. ففي القديم كان ظل الأشياء وأمَّا الآن فالحقيقة.(377)

+ [آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا ... كان اليهود يعظِّمون موسى لأنه أعطى آباءهم المن في البرية، ولكن المن لم يكن سوى رمز لسر الأولوجية (الإفخارستيا)، لذلك نرى ربنا يسوع المسيح يقلِّل من أهمية الرمز بحكمة كبيرة لكي يجعلهم يدركون عظمة الحقيقة (المرموز إليها). لم يكن المن هو خبز الحياة بل «أنا هو خبز الحياة» أنا الذي نزلت من السماء لأُحيي مَنْ يأكلني بأن أدخل فيه بجسدي الخاص ... إن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق.](378)

+ [العبرانيون شربوا الماء من الصخرة، ولكن هذا الماء لم يكن هو المشروب الحق. المشرب الحق هو الدم الكريم الذي للمسيح الذي يُبطل فينا تماماً الفساد والموت.](379)

+ [إن تلاميذ المسيح لا يتقدَّسون بعد بحملٍ مختار من الحظيرة، ولكنه المسيح نفسه الذي يُقدَّم كذبيحة في ''سر الأولوجية'' (الإفخارستيا) هو الذي يصير لنا ينبوع بركة وحياة. فقد جعل نفسه خبزاً حيًّا ليعطي حياةً للعالم.](380)

---

(377) راجع ضد نسطور (4:4 PG LXXVI, 196C

(378) ضد نسطور (5:4 PG LXXVI, 196D-197A

(379) تفسير إنجيل يوحنا (55:6 PG LXXIII, 584A

(380) تفسير إنجيل لوقا (14:22 PG LXXII, 905C

+ [إن طبيعة الجسد بحد ذاتها ليست محيية. كل الأشياء المخلوقة ليست محيية بل على العكس تحتاج أن تستمد الحياة من آخر.][381]
+ [ونحن حينما نشترك في ''سر الأولوجية'' (الإفخارستيا) ونتناول الجسد المقدَّس الذي للمسيح مخلِّصنا، لا نتناوله بصفته جسداً عادياً ـ حفظنا الله من مثل هذا التجديف! ـ ولا بصفته جسد إنسان تقدَّس واقترن باللوغوس باتحاد معنوي ... فإن الرب يقول: الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة في أنفسكم ... فلا تحسبنَّ جسد ابن الإنسان هذا مجرد جسد إنسان مثلنا! (فكيف يكون جسد إنسان محيياً؟!) بل إنه الجسد الخاص لذلك الذي صار ودُعي ابن الإنسان من أجلنا.]
+ [ينبغي أن نكرر ذلك القول: الجسد بحد ذاته بطبيعته الخاصة لا ينفع شيئاً من جهة تقديس وإحياء الذين يتناولون منه. ولكن إذا اعتبرنا وإذا آمنَّا أن ـ الجسد هو ـ هيكل الكلمة (اللوغوس)، فإننا ندرك أنه قادر أن يمنح القداسة والحياة ليس من ذاته بل بسبب اللوغوس المتحد به.][382]
+ [إذا تأملنا سر التجسُّد وإذا أدركنا مَنْ هو الحالُّ في هذا الجسد، فإننا لا نجد أية صعوبة في تصديق قدرة هذا الجسد على الإحياء، مع أن الجسد من نفسه لا ينفع شيئاً.][383]
+ ولكن إذا أضعفنا معنى التجسُّد ومغزاه، وصرنا لا نعتبر الجسد المولود من العذراء سوى جسد عادي مقترن بالكلمة الإلهي باتحاد معنوي، فإن هذا يجعل من الإفخارستيا طقساً بلا منفعة ومجرد تذكار عابر لموت الرب[384].

وهذا من الأسباب التي جعلت القديس كيرلس يجاهد بمثل هذه الشدة ضد تعاليم نسطور. لأن إنكار الاتحاد الجوهري الطبيعي القائم بين الكلمة وناسوته إنما ينقض أساس فاعلية جسد الرب في الإفخارستيا. فالاتحاد الأقنومي هو أساس هذه الفاعلية، فإن الكلمة لما وحَّد بنفسه الجسد المولود من العذراء مريم وجعله خاصةً له، فقد أحياه بذلك بالحياة الإلهية وجعله مُحيياً[385].

+ [إذا وضعتم حديداً في النار، فإنه يمتلئ كذلك بقوة النار ... وهكذا الكلمة المحيي لما وحَّد

(381) تفسير إنجيل يوحنا (63:6) PG LXXIII, 601C
(382) تفسير إنجيل يوحنا (13:17) PG LXXIV, 582C
(383) تفسير إنجيل يوحنا (63:6) PG LXXIII, 601C
(384) ضد نسطور (6:4) PG LXXVI, 197D, 200C
(385) راجع تفسير إنجيل لوقا (19:22) PG LXXII, 909B

جسده بنفسه ـ بالكيفية التي هو وحده يعلمها ـ جعل هذا الجسد محيياً.](386)

+ [إذا كانت النار المادية تستطيع أن تمنح خواصها للماء البارد بطبعه، أفلا نصدِّق أن كلمة الله الآب الذي هو الحياة بطبعه يستطيع أن يجعل الجسد محيياً هذا الذي وحَّده بنفسه وجعله خاص اله؟](387)

+ [فمن غير المعقول حقاً أن نعترف أن العسل حينما يمتزج بالأشياء المرَّة يمنحها حلاوتها وفي نفس الوقت نرفض أن نؤمن بأن الكلمة المحيي قادر أن يمنح حياته للجسد الذي يسكن فيه.](388)

وعلى الرغم من كل هذه التشبيهات فإن قدرة جسد المسيح على التقديس والإحياء تبقى على مستوى السر الذي لا يمكن فهمه أو تعليله:

+ [بأية كيفية يصير جسد الرب محيياً؟
هذا سر لا يستطيع فكر الإنسان أن يَسْبُرَ غَوْره،
ولا أي لسان أن يعبِّر عنه.
ولكنه جدير بأن يُعبَد في صمت وإيمان.](389)

+ [حقاً إن كل أثر (روحي) فعَّال ينبغي أن يُنسب للاهوت،

فحتى جسد الرب نفسه قد تقدَّس بفعل اللاهوت (الكلمة) المتحد به، ولكنه صار (بدوره) فعَّالاً، حتى إنه في "الأولوجية" (الإفخارستيا) يمنحنا قداسته الخاصة.](390)

إن دقة هذا التعبير وقوته جديران بالملاحظة. فالذي يقدِّسنا في الإفخارستيا هو جسد الكلمة، ولكنه ليس الجسد في حد ذاته إذا كان منفصلاً عن الكلمة، لأنه بذلك لا ينفع شيئاً، ولكنه الجسد المتحد أقنومياً بالكلمة حتى صار محيياً بسبب هذا الاتحاد. وهو لا يملك هذه القوة المحيية من ذاته ولكنه يكتسبها بكونه جسد الكلمة. غير أنه يمتلكها بالحقيقة، فهو حقاً الذي يحيينا، وبفعله نحن نتغيَّر.

+ ولكي يقنعنا الرب أن جسده فعَّال، استخدمه في عمل المعجزات. لذلك شفى المرضى وأقام

---

(386) تفسير إنجيل لوقا (19:22) PG LXXII, 909B
(387) ضد نسطور (5:4) PG LXXVI, 189D-192A
(388) تفسير إنجيل يوحنا (63:6) PG LXXIII, 601D
(389) تفسير إنجيل يوحنا (63:6) PG LXXIII, 604D
(390) تفسير إنجيل يوحنا (13:17) PG LXXIV, 528B

الموتى بلمسهم بيديه [391].

+ [في إقامة الموتى لا يكتفي المخلِّص بأن ينطق بكلمات وأوامر كما كان يليق به بصفته إلهاً، ولكن يستعين أيضاً بجسده المقدَّس لكي يُظهر لنا قدرة جسده على الإحياء ... فمثلاً عند إقامته لإبنة رئيس المجمع يقول لها «يا ابنة قومي» وفي نفس الوقت يمسك يدها. فهو يحييها بأمره بصفته إلهاً، وفي نفس الوقت أيضاً يُحييها بلمس جسده المقدَّس.][392]

+ [فإن كان قد أحيا ما قد فسد بمجرد لمس جسده فما أوفر المنافع الروحية التي ننالها في (الإفخارستيا) التي بها لا نلمس فقط هذا الجسد بل ونأكله أيضاً.][393]

فالجسد الذي نأخذه في التناول هو الجسد المولود من العذراء الذي تألم ومات وقام، أو بمعنى آخر هو جسد المسيح التاريخي. فالجسد الإفخارستي هو هو الجسد التاريخي في فكر القديس كيرلس. وهذا واضح على الخصوص في جداله مع نسطور حيث ينتقل باستمرار من أحدهم للآخر معتبراً أنهما واحد: فإليك مثلاً نص الحرم الحادي عشر:

+ [إن رفض أحد أن يعترف أن جسد الرب محيي وأنه هو الجسد الخاص لكلمة الله الآب بل ادعى أنه جسد إنسان آخر متميز عنه ومتحد به فقط اتحاداً معنوياً، أي أنه جسد إنسان مجرد يسكن فيه اللاهوت بدلاً من أن يعترف أنه محيي ـ كما قلت ـ لأنه الجسد الخاص للكلمة القادر أن يحيي كل شيء، فليكن أناثيما.][394]

+ [كان ينبغي أن المسيح يحل فينا روحياً بالروح القدس ويمتزج بطريقة ما بأجسادنا بواسطة جسده المقدَّس ودمه الكريم.

وهذا هو ما نلناه في ''الأولوجية المحيية'' كأنه بخبز وخمر.

ولكن إن رأينا لحماً ودماً معروضين على الموائد المقدَّسة في كنائسنا لكنا نجزع، ولذلك فالله إذ يشفق على ضعفنا يمنح القرابين قوة حياة، ويحولها إلى قوة جسده الخاص لتكون لنا شركة محيية، وليكون جسد الحياة فينا كبذرة محيية.

(391) تفسير إنجيل لوقا (38:4) PG LXXII, 549D
(392) تفسير إنجيل يوحنا (53:6) PG LXXIII, 577C
(393) تفسير إنجيل يوحنا (53:6) PG LXXIII, 577D
(394) الحرم الحادي عشر PG LXXVII, 121D

اثبتوا في هذا الإيمان فهو الحقيقة. فإن الرب قال بوضوح: «هذا هو جسدي» و «هذا هو دمي» فاقبلوا كلام المخلِّص بإيمان لأنه هو الحق وهو لا يكذب!][395]

+ [نؤمن أن كلمة الله الآب الذي هو الحياة بطبعه اتحد بجسد ذي نفس عاقلة مولود من القديسة العذراء، وجعله محيياً بهذا الاتحاد السري الفائق الوصف، حتى أنه إذ يجعلنا نشترك فيه روحياً وجسدياً يرفعنا فوق الفساد ويُبطل ناموس الخطية المالك على أعضاء جسدنا.][396]

+ [حيث أن جسد المخلِّص صار محيياً بسبب اتحاده بذلك الذي هو الحياة بطبعه، أي بكلمة الله، لذلك فحينما نأكل هذا الجسد، فنحن ننال فيه الحياة داخلنا لأننا نتحد به بمثل ما هو متحد بالكلمة الساكن فيه.][397]

+ [ولذلك فحينما نتناول من هذا الجسد، فهو يحوِّلنا إلى حالته الممتازة أي إلى خلود ... وإلى حياة.][398]

+ [نحن جميعاً بحسب الطبيعة منحصرون في شخصياتنا،
ولكن من جهة أخرى نحن جميعاً متحدون،
فعلى الرغم من كوننا منقسمين إلى شخصيات متميزة بعضها عن بعض بحيث أن أحدنا يكون بطرس والآخر يوحنا أو توما أو متى،
لكننا جميعاً ننصهر في جسد واحد في المسيح إذ نأكل جسداً واحداً،
والروح الواحد يشكِّل وحدتنا.
وكما أن المسيح واحد وغير قابل للإنقسام،
هكذا نحن أيضاً نكون واحداً فيه،
ولذلك طلب من أبيه السماوي «ليكونوا (المؤمنين) واحداً كما أننا نحن (الآب والابن) واحد»][399]

+ [لما أراد ابن الله الوحيد أن يُدخلنا في الوحدة مع الله ومع بعضنا البعض، ويصيِّرنا ممتزجين

---

(395) تفسير إنجيل لوقا (20:22) PG LXXII, 912A
(396) ضد نسطور (5:4) PG LXXVI, 197BC
(397) تفسير إنجيل يوحنا (53:6) PG LXXIII, 577BC
(398) تفسير إنجيل يوحنا (53:6) PG LXXIII, 579D-580A
(399) في الثالوث (1) PG LXXV, 697

بعضنا ببعض على الرغم من كوننا مختلفين ومفترقين بالأجسام والأرواح بسبب الكيان الذاتي لكل واحد منا، ابتكر لذلك وسيلة هي ثمرة حكمته ومشورة الآب. فقد بارك المؤمنين به بواسطة التناول السري من جسد واحد وهو جسده الخاص وجعلهم بذلك جسداً واحداً معه بالكمال ومع بعضهم البعض.

فمن ذا يستطيع أن يفرِّق ويفصل من هذا الاتحاد الطبيعي أولئك الذين اتحدوا بوحدة المسيح بواسطة هذا الجسد المقدَّس الوحيد؟

فالمسيح لا يمكن أن ينقسم، لذلك تُدعى الكنيسة جسد المسيح ونحن أعضاء بحسب فكر القديس بولس (1كو 27:12).

وحيث أننا جميعاً متحدون بالمسيح الواحد بواسطة جسده المقدَّس، إذ نتناوله في أجسادنا وهو واحد وغير منقسم، فنحن بذلك نكون أعضاء المسيح، وأعضاؤنا تصير له أكثر مما هي لنا. فإذ نحن جميعاً متحدون بالجسد sÚsswmoi (أف 6:3) بعضنا ببعض في المسيح، وليس فقط بعضنا ببعض بل ومعه أيضاً إذ أنه يحل فينا بجسده الخاص، فكيف لا تُستعلن منذ الآن بطريقة منظورة وحدتنا بعضنا ببعض وفي المسيح؟ فالمسيح هو بالفعل رباط الوحدة Ð tÁj nÒthtoj sÚndesmoj˜ لأنه هو هو نفسه في كيان واحد إله وإنسان!][400]

+ [الذي نأخذه في سر الأولوجية ليس هو مجرد طعام مثل بقية الأطعمة ولا هو جسد قديس، ولكنه الجسد المحيي ذاته الذي لله الكلمة.][401]

+ [الخالق نفسه يعطي ذاته مأكلاالخليقته.
الحياة نفسها تعطي ذاتها مأكلاً ومشرباً للإنسان المائت.][402]

---

(400) تفسير إنجيل يوحنا (20:17و21) PG LXXIV, 560

(401) رسالة 17 إلى نسطور PG LXXVII, 113CD

(402) عظات مختلفة (10) PG LXXVII, 1017D

الباب الثامن

طقس الإفخارستيا والليتورجية (القداس) في مصر

ليتورجية القديس مرقس الرسول

يضع بعض العلماء ليتورجية القديس سيرابيون (أسقف تمي مركز السنبلاوين محافظة الدقهلية) كأول وثيقة تحمل نصاً إفخارستياً وصلت إلى العالم من مصر. وسيرابيون ظهر في التاريخ كأسقف قبل سنة 340م، وهي السنة التي أرسل فيها القديس أثناسيوس الرسولي رسالة فصحية إليه ويلقِّبه فيها "إلى الأخ المحبوب والخادم الشريك معنا". ثم اختفى اسمه بعد سنة 362م. ولا يُعرف بالضبط متى رُسم أسقفاً ومتى تنيح[1].

ولكن يرى كثير من العلماء أن ليتورجية القديس مرقس الرسول هي في الواقع الوثيقة التي منها يمكن استقراء أول إفخارستيا رسولية ظهرت في مصر[2]، وظلت قائمة منذ القرون الأُولى حتى الآن إنما اعترتها بعض التعديلات التي يصعب معرفتها وحصرها.

غير أن التحديد الإسمي لليتورجيات لم يكن بهذه الصورة أو بهذا التحديد في القرن الأول، إذ أن كل ليتورجيا أخذت من الأخرى بلا أي تحيز أو حرج باعتبار أن التقليد كله واحد ومنحدر من أصل واحد (وهو بحسب ما اكتشفناه قدَّاس الرسل أي تقديم الحمل).

زمن كتابة أو تدوين ليتورجية القديس مرقس الرسول:

(أ) يقول العالِم وليم بالمر[3] في كتابه أصل الليتورجيات:

[ولو أن زمن كتابة الليتورجيات عموماً غير مؤكد وسبب حوار كثير، إلاَّ أن علماء الطقوس المشهورين مثل موراتوري وغيره يؤكدون أن نص ليتورجية تعاليم الرسل (لهيبوليتس) هو من مدوَّنات القرن الثالث، وكذلك وبنفس التأكيد ـ أي دون حاجة إلى الشك في الليتورجيات الأخرى (أي ليتورجيات القديس مرقس الرسول وليتورجية القديس يعقوب الرسول) التي هي من نفس الزمن ...]

(ب) أمَّا العالِم والمؤرخ الطقسي "ماسون نيل"[4] الذي قضى حياته في البحث في تاريخ وأصول الليتورجيات، فإنه انتهى من بحثه إلى هذه النتيجة:

---

(1) Quasten, vol. III, p. 80.

(2) والحقيقة الثابتة الآن أن إفخارستية قدَّاس الرسل الذي هو "تقديم الحمل" المستتر في بداية كل إفخارستية هو الحامل لصورة عشاء الرب بلا نزاع.

(3) Rev. William Palmer, "*Origines Liturgicae*", Oxford, 1832.

(4) Rev. J. Mason Neale, *General Introduction to the History of the Holy Eastern Church*, p. 319.

1ـ إن هذه الليتورجيات (ليتورجية تعاليم الرسل لهيبوليتس، وليتورجية القديس مرقس، وليتورجية القديس يعقوب الرسول، وليتورجية كليمندس (وهي واردة في تعاليم الرسل ـ الكتاب الثامن)، هذه الليتورجيات ولو أنها ليست من مؤلفات نفس الرسل الذين تحمل أسماءهم، إلاَّ أنها امتداد (تطوير) "**شرعي**" وقانوني لتقليد هؤلاء الرسل الشفاهي غير المكتوب بخصوص الذبيحة المسيحية، بحيث أننا يمكن أن نقول إنه في أغلب الأجزاء المهمة يُحتمل أن تكون هي بنفس كلمات الرسول. ولكن في كل الأجزاء عموماً نجد نفس الإنشاء والأسلوب المنحدر من الرسول بدون أي تغيير.

2ـ وإن تاريخ ليتورجية القديس يعقوب من حيث تركيبها العام هو من زمن سابق على سنة 200م.

3ـ وإن زمن ليتورجية القديس مرقس الرسول هو من نفس زمن ليتورجية القديس يعقوب سنة 200م. هذا وإن الإضافات الواضحة التي دخلت على أصل كل ليتورجية لا يمكن بأي حال أن تغيِّر من حقيقة أصالة كل ليتورجيا بوجه عام.

4ـ وإن زمن الليتورجية المنسوبة لاكليمندس الروماني (تعاليم الرسل ـ الكتاب الثامن ـ الأصل اليوناني) لا يتعدَّى سنة 260م.

(ج) وتوجد أيضاً أبحاث قام بها جماعة العلماء الذين اضطلعوا بتسجيل هذه الليتورجيات وترجمتها في مجموعة الباترولوجيا في طبعة إدنبره، حيث جمعوا آراء العلماء وليم بالمر، وبرت، وترولوب، ونيل، والسمعاني الذين اتفقوا على أن ليتورجية القديس يعقوب وليتورجية القديس مرقس هما من تركيب الرسولين إذا استثنينا بعض الإضافات[5].

(د) هذا ويوجد علماء آخرون يرون أنه حتى هذه الإضافات التي يعتبرها العلماء السابقون دخيلة على ليتورجية القديس يعقوب وليتورجية القديس مرقس، هي ليست دخيلة بل أصيلة ومن نفس عمل الرسولين، من أمثال هؤلاء العلماء: بونا، بيلارمين، وبارونيوس، وليو الألاثيوسي[6].

(هـ) ولكن هذا لا يمنع وجود اعتراضات من علماء آخرين لهم وزنهم العلمي يرون أن هذه الليتورجيات ليست من أصل رسولي ولا من زمن رسولي وأنها من عصور متأخرة نوعاً، أمثال:

---

(5) Assemani, Zaccaria, Dr. Brett, Palmer, Trollope, Neale.

(6) Leo Allatius, Bona, Bellarmine, Baronius, all cited in Intr. of ANF, vol. VII, pp. 533, 534.

كيف وفابريكيوس، ودوبين، وباسناج وتيمون[7]. غير أن الكشوف الحديثة والبرديات والمخطوطات التي عُثر عليها مؤخراً بتدبير من الله لا تأتي في صف هؤلاء العلماء المعترضين، بل وتلغي تماماً كل شك أثاروه تجاه أصالة قِدَم ليتورجية القديس مرقس الرسول، وتُنهي نهائياً على أي اعتراض آخر من هذا النوع، لأن منها نصوصاً من القرن الثالث دخلت المجال العلمي ونالت تحقيقاً وموافقة إجماعية وألقت أضواءً جد رائعة على نصوص إفخارستية القديس مرقس.

الليتورجيات التي تفرَّعت من ليتورجية القديس مرقس الرسول:

لقد استرعت ليتورجية القديس مرقس الرسول انتباه كثير من العلماء واعتبروها الأصل الذي انحدرت منه ليتورجية القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس بوضعهما الحالي في الطقس القبطي[8]. أمَّا الليتورجية المسمَّاه بليتورجية القديس كيرلس فهي طبعاً نفس ليتورجية القديس مرقس الرسول، وفي الواقع يرجع الفضل في وصول ليتورجية القديس مرقس لأيدينا الآن إلى البابا كيرلس الكبير الملقب بعمود الدين (تنيح سنة 444م)، لأنه هو الذي نقلها إلينا مع إضافات يقول عنها العالِم القبطي أبو البركات المعروف بابن كبر قسيس كنيسة المعلَّقة (القرن الثالث عشر) في كتابه: "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة":

[وجرت العادة عند المصريين أن يقدِّسوا بقداس القديس الشهيد مار مرقس الرسول الإنجيلي كاروز الديار المصرية، **الذي أكمله** الأب القديس كيرلس الأول البطريك الرابع والعشرون].

وهذا يعني أن القديس كيرلس الكبير أضاف إليه بعض الأواشي أي الصلوات التي كانت تبدو في القرن الخامس أنها ناقصة في النسخة الأصلية التي للقديس مرقس الرسول وأنها لازمة وملحَّة لاعتبارات لاهوتية. ولكن من المؤكد أنه حافظ على كل ما جاء في أصل الليتورجيا من جهة صلواتها وكلماتها وأسلوبها وروحها العام كأثر رسولي جدير بالتقديس[9].

ويقول أبو البركات في كتابه "مصباح الظلمة"، في حاشية من عنده، أن القديس كيرلس الكبير وضع الأواشي فقط، ولكن سوف يتأكد لدى القارئ أن الأواشي قديمة قِدَم أول إفخارستيا وأنها كانت جزءاً هاماً في الإفخارستيا وبنفس ترتيبها ومضمونها الموجودة به الآن. وهذه الإشارة تؤكد

(7) Cave, Fabricius, Dupin, Le Nourry, Basnage, Tillemont; all cited in Intr. of A.N.F., vol. VII, pp. 533, 534.

(8) J.M. Neale, *General Introduction*, p. 324, cited by A.N.F., VII, p. 534.

(9) J.M. Neale, *op cit.*

لنا أن قداس القديس مرقس الرسول كان موجوداً في الكنيسة ومعمولاً به في القرن الرابع.

كذلك من الليتورجيات التي تفرَّعت من ليتورجية مرقس الرسول، القداس المسمَّى بالقانون الأثيوبي أو ليتورجية جميع الرسل.

المخطوطات والأصول الأُولى لليتورجية القديس مرقس الرسول:

ينبغي أولاً أن نشير في بداية هذا البحث إلى أنه يوجد أصلان لليتورجية القديس مرقس الرسول: **أصل يوناني** صِرْف كانت تصلِّي به الكنيسة اليونانية (الروم) في مصر إلى وقت قريب، **وأصل قبطي** مأخوذ عن أصل يوناني أيضاً ومترجم للعربية تصلِّي به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر، وتوجد منه نسخ باللغة اليونانية وباللغة القبطية وباللغة العربية. والفرق بين الليتورجيتين هو في الإضافات، ولكن ظهر من البحث العلمي أن **ليتورجية الأقباط أكثر أصالة**. وسنحاول حصرها جميعاً وتسجيلها هنا.

أولاً: ليتورجية القديس مرقس الرسول اليونانية التي تصلِّي بها الكنيسة اليونانية:

ويوجد منها خمس مخطوطات: ثلاث منها دخلت في عصر الطباعة:

(أ) الأُولى في مكتبة مسينا بجامعة مسينا تحت رقم 117، من القرن الثاني عشر. وقد طبعها سوانسون في كتابه[10].

(ب) النسخة الثانية في مكتبة الفاتيكان بروما تحت رقم 1970 (يوناني) من القرن الثالث عشر. وقد طبعها سوانسون أيضاً في كتابه المذكور بالهامش.

(ج) النسخة الثالثة في مكتبة الفاتيكان بروما أيضاً تحت رقم 2281 وعلى رق الغزال وتاريخها هو سنة 1207م. وفي حواشيها تعليمات ومذكرات باللغة العربية! وقد طبعها أيضاً سوانسون في كتابه.

(د) النسخة الرابعة في سيناء في مكتبة دير سانت كاترين، وهي على رق الغزال من القرن الثاني عشر. ويوجد لها ترجمة مقابل اليوناني باللغة العربية!! وهي لم تُطبع ولكن يوجد لها نسخة بالميكروفيلم في متحف المتروبوليتان بنيويورك وفي مكتبة جامعة الإسكندرية، نقلها العالِم القبطي المرحوم دكتور مراد كامل مع المرحوم الأستاذ يسى عبد المسيح بتكليف من مكتبة المتروبوليتان بنيويورك، ولكن للأسف لا نعرف رقم الميكروفيلم.

---

(10) C.A. Swainson, *The Greek Liturgies chiefly from Original Authorities*, Cambridge, 1884, pp. 2-73.

(هـ) النسخة الخامسة موجودة في مكتبة البطريكية للروم الأرثوذكس بالإسكندرية وهي منسوخة على الورق العادي، ومن القرن السادس عشر، وعليها مذكرة بخط الأسقف أمفيولوخيوس أسقف القلزم (بمصر) يقول فيها إن الذي نسخها هو البطريرك ميليتوس بجاس سنة 1585م – وهي لم تُطبع.

ثانياً: ليتورجية القديس مرقس الرسول التي تصلّي بها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية:

أ – مخطوطات:

(**1**) **مخطوطات تحوي الثلاث الليتورجيات معاً** (الباسيلي والغريغوري والكيرلسي) قبطي وعربي:

مكتبة الفاتيكان: قبطيات: مخطوطة 17 (سنة 1288)، مخطوطة 24 (القرن الرابع عشر) – مخطوطة 25 (سنة 1616م).

مكتبة المتحف البريطاني: ملحق عربي 18 – (12)، رقم 17725 (سنة 1811م).

مكتبة البوديليان: مخطوطة فهرس 360 رقم (13)، وهي التي استخدمها العالم برايتمان وترجمها إلى اللغة الإنجليزية عن العربية.

مكتبة ليبزج: مجموعة تشندورف رقم 12 (فوللرز نيبولدز – كتالوج رقم 1084) – القرن الرابع عشر على رق غزال.

المكتبة الأهلية بباريس: مخطوطة قبطية رقم 26، رقم 28، رقم 31.

(**2**) **مخطوطات تحوي: ليتورجية القديس باسيليوس مع ليتورجية القديس مرقس الرسول فقط:**

مكتبة البوديليان: (هنتجتون) 572 – رقم 13، رقم 14.

(**3**) **مخطوطات تحوي: ليتورجية القديس غريغوريوس مع ليتورجية القديس مرقس الرسول فقط:**

مكتبة الفاتيكان: قبطيات: مخطوطة رقم 20 (سنة 1315م)، مخطوطة رقم 51.

(**4**) **مخطوطات تحوي ليتورجية القديس مرقس الرسول فقط:**

مكتبة الفاتيكان: قبطيات: مخطوطة رقم 21 (سنة 1333م)، مخطوط رقم 22 (سنة 1580م).

المكتبة الأهلية بباريس: مخطوطة رقم 41. قبطيات:

مكتبة روما: في مجموعة الليتورجيات الكنسية رقم 1754 ت 7 فهرس.

هذا بخلاف المخطوطات الوارد ذكرها في كتاب ''الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار'' للمؤلف[11]، وهي أجزاء من مخطوطات الخولاجيات ووارد بها أسماء المكتبات والبلاد التي حُملت إليها هذه المخطوطات.

ب ـ مطبوعات:

تحوي الثلاث ليتورجيات للقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس والقديس كيرلس الكبير:

باللاتيني: طبعة طوخي.

بالإنجليزي: طبعة رودول.

ج ـ البرديات المكتشفة حديثاً:

وهذه البرديات تحمل نصوصاً مطابقة تماماً لليتورجية القديس مرقس الرسول أو مشابهة إلى حد كبير، وهي تلقي ضوءاً على شكل ليتورجية مرقس الرسول في القرون الأُولى، وعلى ضوء هذه النصوص سنجد كيف نستخلص أصل هذه الليتورجيا قبل الإضافات الحديثة بل وقبل الإضافات التي أدخلها القديس كيرلس الكبير. ولكن الأمر المذهِل للعقل أن البرديتين اللتين اكتُشفتا في مكانين مختلفين وفي زمانين متباعدين، **وُجد أن كُلاًّ منهما يحمل جزءاً من ليتورجية القديس مرقس الرسول مكمِّلاً للآخر،** بحيث أن البردية الأُولى تنتهي عند آخر أوشية وفي بداية الطلبة، والبردية الثانية تبتدئ بأول الطلبة عينها**!!**

(11) راجع، الأب متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، الطبعة الثانية، سنة 1984م. صفحة 529.

أولاً: بردية ستراسبورج

اكتُشِفت حديثاً سنة 1928، وهي تشمل الأجزاء الأُولى من ليتورجية القديس مرقس الرسول[12]**، وهي المسمَّاه بمخطوطة "استراسبورج"**:

هذه المخطوطة باللغة اليونانية المتقنة على ورق البردي، وهي في حوزة مكتبة جامعة استراسبورج. وتحوي أجزاءً من "مقدِّمة أنافورا" Proanaphora القديس مرقس الرسول. وقد قام العالِمان م. أندريو، ب. كوللومب بطبع صورة للمخطوطات. وابتُدئ في فحصها سنة 1928، فوُجد أنها تحوي الصلوات التضرعية التي تُقال بعد تلاوة قانون الإيمان وقبل تسبحة الثلاث تقديسات، وأيضاً صلوات من أجل الكنيسة الجامعة ومن أجل الأحياء وعن المنتقلين.

وقد استدل العلماء على أن زمن كتابة المخطوطة يرجع إلى ما قبل منتصف القرن الرابع، أي قبل زمن البابا كيرلس الكبير. ويبدو أن القديس أثناسيوس الرسولي كان يصلِّي بها، لأن الصلوات الواردة فيها مطابقة للصلوات التي وردت عابرة في كتابات البابا أثناسيوس (ما بين سنة 295 ـ 373م). وقد ألقت هذه المخطوطة ضوءاً كبيراً على قِدَم استخدام ليتورجية القديس مرقس الرسول في الكنيسة القبطية، كما كشفت عن حدود فاصلة بين بعض الصلوات (الأواشي) الأصلية والمضافة بصورة تكاد تكون قاطعة.

وتُعتبر هذه المخطوطة المكتشفة حديثاً أقدم من أية مخطوطة أخرى كانت معروفة لليتورجية القديس مرقس الرسول بمقدار 800 سنة على الأقل! ومن العوامل التي تجعل هذه المخطوطة ذات اعتبار كبير في دراسة أصل وتاريخ الليتورجيا في مصر أنها تكشف عن خلوها من الآثار البيزنطية التي دخلت على الليتورجيا القبطية بعد القرن الرابع، مع أنها باللغة اليونانية المتقنة جداً.

والذي زاد من أهمية هذه المخطوطة إلى درجة عالية هو احتواؤها على صلوات من أجل الكنيسة الجامعة، وبذلك تُعتبر مصر بواسطة هذه الوثيقة هي التي أمْلَت على العالم كله ـ وبالأخص روما ـ

(12) M. Andrieu & P. Collomp, *Fragm. sur pap. de l'anaph. de S. Marc*, *in Revue des Sciences Religieuses* (RSR), 1928 (vol. 8) p. 489-515; P.F. Palmer "*Christ. Theology*", vol. I, Westminster, 1955, in *"Sacraments & Worship"*.

قانون الصلاة من أجل الكنيسة في الليتورجيا[13].

ويؤكد العالِم ''جريجوري دكس'' أن بردية استراسبورج هذه هي نص قانوني أصيل لليتورجيا القديس مرقس الرسول[14].

نصوص الليتورجية الواردة في هذه البردية
مترجمة عن النص اليوناني والإنجليزي[15]:

1ـ الجزء الأول من الأنافورا بعد [ارفعوا قلوبكم] وبعد [فلنشكر الرب]:

[لأنه بالحقيقة مستحق وعادل أن نُسبِّحَك ونرتِّل لك. ونباركك (ونخدمك) ليلاً ونهاراً ... ونشكرك أنت الذي خلقت السماء وكل ما فيها، والأرض وكل ما عليها، البحار والأنهار وكل ما فيها. أنت الذي خلقت الإنسان كصورتك وشَبَهِك. وخلقت كل الأشياء بواسطة حكمتك، ابنك، النور الحقيقي، ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح. الذي من قِبَله نشكر ونقرِّب لك معه ومع الروح القدس **هذه الذبيحة الناطقة**، هذه الخدمة غير الدموية، هذه التي تقدِّمها لك كل الأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى اليمين، لأن اسمك عظيم بين كل الأمم وفي كل مكان يُقدَّم بخور لاسمك القدوس وذبيحة طاهرة وصعيدة].

2ـ الصلاة من أجل الكنيسة: وهي متصلة بالصلاة سابقتها بدون فراغات:

[ونحن نسأل ونطلب إليك اذكر الكنيسة المقدَّسة الواحدة الجامعة، كل الشعوب وكل القطعان (الرعية). السلامة التي من السموات أنزلها على قلوبنا جميعاً بل وسلامة هذا العمر، أنعم بها علينا. ملك الأرض (احفظه)، انظر أن يفكر بالسلامة نحونا ونحو اسمك القدوس ... (واحرس) القائد والجند والوزراء والمشيرين.

(سطر واحد ناقص) ...

أعدَّها للزرع والحصاد ... (كلمات قليلة ناقصة) ... من أجل فقراء شعبك، ومن أجل الأرملة واليتيم والغريب والضيف، ومن أجلنا كلنا نحن الذين نترجاك وندعو باسمك القدوس].

3ـ تذكار المنتقلين: وهي صلاة متصلة بسابقتها بدون فراغات:

(13) Palmer, *op. cit.*, p. 66.

(14) Greg. Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 217.

(15) *Ibid*.

[أولئك الذين رقدوا نيِّح نفوسهم. اذكر الذين قدَّمنا تذكارهم في هذا اليوم، والذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم[16]، واذكر أيضاً آباءنا الأرثوذكسيين والأساقفة في كل مكان، وأعطِنَا نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيك الأنبياء والرسل والشهداء ...

....
.... }
.... } أربعة أسطر مفقودة
....

هَبْ لهم الآن بواسطة ربنا ومخلِّصنا الذي به المجد إلى الأبد]. (انتهى النص)

ملاحظات هامة:

(أ) يُلاحِظ القارئ أن الفراغات التي بين السطور لا تحتمل أكثر من كلمات قليلة جداً غير واضحة أو مشوَّهة وغير مقروءة، أي أنه ليس في الليتورجيا مكان لصلوات أخرى بين هذه الصلوات، ما عدا الأربعة السطور الأخيرة التي بعد تذكار المنتقلين (ربما تكون أوشية القرابين).

(ب) يقرر العالِم "لوِي بوييه Louis Bouyer" في كتابه عن الإفخارستيا (صفحة 201) أن الصلوات التي جاءت في هذه البردية تعتبر نصاً صادقاً لليتورجيا التي بين أيدينا الآن بنفس كلماتها، وإن كانت هناك بعض زيادات موجودة الآن في نفس الصلوات فهي ليست من تأليف حديث على أي حال، بل إنها مأخوذة من صلوات أخرى على نفس المستوى من القِدَم ونفس المستوى من التقليد الطقسي، بل وتعود إلى زمن أسبق من زمن الليتورجيا في وضعها الأول[17]!! ويقصد هنا

---

(16) يقول العالم "بول ف. بالمر" في كتابه عن الأسرار والعبادة (صفحة 67):

في نفس تاريخ هذه البردية نجد أنه في ليتورجية مرقس الرسول، كما في ليتورجية سيرابيون، إشارة واضحة إلى وجود سجل أسماء تُكتب فيه أسماء الأحياء والمنتقلين لتُتلى أثناء الخدمة. ولو أن في هذه الليتورجية هنا تقتصر الإشارة على المنتقلين فقط. ولكن في مخطوطة أخرى من القرن السابع اكتُشفت حديثاً وقام بتحقيقها وطبعها العالِم كْرَم.

W.E. Crum, Proced. of the Soc. for Biblical Archaeology, XXX (1908) pp. 255-299.

وُجد هذا السجل مكتوباً وفيه مذكور اسم بطريرك الإسكندرية والأسقف الخاص بالكنيسة وأسماء الذين قدَّموا القرابين كل واحد باسمه – وهذا الترتيب الطقسي لا يزال معمولاً به في الطقس الغربي حتى الآن – كذلك وُجد فيها صلاة من أجل خلاص الكهنة الأطهار الواقفين حول الذبيحة والعلمانيين محبي المسيح ومن أجل خلاص وصحة أجساد الذين قدَّموا (القرابين والضحايا أي النذور) الرجال فلان وفلان والنساء فلانة وفلانة. ويعتبر العالِم دكس في كتابه صفحة 505 أن هذا الطقس من النقاط الهامة جداً التي تربط الطقس القبطي بالطقس الروماني في القرن الرابع.

(17) Louis Bouyer, *Eucharist*, p. 201.

الليتورجيا العبرية في المجامع بصورتها التي مارسها الرسل والتلاميذ في حياتهم الأُولى.

(ج) هنا نريد أولاً أن نلفت نظر القارئ إلى أهمية وضع هذه الصلوات بالنسبة لمثيلتها من الصلوات التي جاءت في الخولاجي الحديث والتي يصلِّي بها الكهنة اليوم، لأن هذا سيكشف لنا بمنتهى الوضوح الزيادات التي دخلت على الأواشي.

جدول رقم (1)

صلاة الإفخارستيا **كما جاءت في بردية القرن الرابع (ستراسبورج)**	صلاة الإفخارستيا **كما هي في الخولاجي الحديث المطبوع سنة 1902م**
	ارفعوا قلوبكم ـ هي عند الرب ـ فلنشكر الرب:
لأنه مستحق وعادل ''بدون فراغ'' (**نسبِّحك ونرتل لك**) ـ ''ممسوحة نوعاً ما'' **ونباركك** (ونخدمك) **ونشكرك** ... **ليلاً ونهاراً**	**لأنه مستحق وعادل** ومقدَّس ولائق ونافع لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا أيها الكائن السيد الرب الله ضابط الكل في كل زمان وبكل مكان لربوبيتك **أن نسبِّحك ونرتل لك** **ونباركك** ونخدمك ونسجد لك **ونشكرك** ونمجدك ونعترف لك **ليلاً ونهاراً** بشفاه غير هادئة وقلب لا يسكت وتمجيدات لا تنقطع
أنت الذي خلقت السماوات وكل ما فيها **والأرض وكل ما على الأرض** **البحار والأنهار وكل ما فيها** **أنت الذي خلقت الإنسان كصورتك وكشبهك** **وخلقت كل الأشياء** **بواسطة حكمتك نورك الحقيقي ابنك** **ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح**.	**أنت الذي خلقت السماوات وما في السموات** **والأرض وكل ما فيها** **البحار والأنهار** والينابيع والبحيرات **وكل ما فيها**. **أنت الذي خلقت الإنسان كصورتك وكشبهك** **وخلقت كل الأشياء** **بواسطة حكمتك نورك الحقيقي ابنك** الوحيد. **ربنا** وإلهنا **ومخلِّصنا** وملكنا كلنا **يسوع المسيح**.
هذا الذي من قِبَله نشكر ونقرِّب لك معه ومع الروح القدس	**هذا الذي من قِبَله نشكر ونقرِّب لك معه ومع الروح القدس** الثالوث المقدَّس المساوي غير المفترق.

صلاة الإفخارستيا كما جاءت في بردية القرن الرابع (ستراسبورج)	صلاة الإفخارستيا كما هي في الخولاجي الحديث المطبوع سنة 1902م
هذه الذبيحة الناطقة وهذه (لهذه) الخدمة غير الدموية	**هـذه الذبيحـة الناطقـة وهـذه (لهـذه)[18] الخدمـة غيـر الدموية**
هذه التي تقدِّمها لك جميع الأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى اليمين. لأن اسمك عظيم في جميع الأمم. وفي كل مكان يُقدَّم بخور لاسمك القدوس وذبيحة طاهرة وصعيدة "لا توجد فراغات في الأصل"	**هذه التي تقرِّبها لك جميع الأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى اليمين. لأن اسمك عظيم** يا رب **في جميع الأمم**. **وفي كل مكان يُقدَّم بخور لاسمك القدوس وصعيدة طاهرة** وعلى هذه الذبيحة وهذا **القربان**.

ويتضح من هذه المقارنة مقدار التطابق الشديد في التركيب الإفخارستي مع مطابقة تكاد تكون شاملة في المعاني والكلمات والجمل، أمَّا الزيادات فهي إمَّا تكرار لنفس المعنى أو زيادة صفة لاهوتية على اسم المسيح أو الثالوث. لذلك يمكننا بكل ثقة وتأكيد أن نقول إن صلاة الإفخارستيا التي يقولها الكاهن اليوم بعد [مستحق وعادل] هي نفسها التي كان يصلِّي بها البابا أثناسيوس الرسولي ومَنْ قبله!

جدول رقم (2)

صلوات الأواشي (التضرعات) كما جاءت في بردية القرن الرابع	صلوات الأواشي كما هي الآن في الخولاجي المطبوع سنة 1902
(**ملاحظة**): العناوين الجانبية المرقمة غير موجودة في الأصل وهي من وضعنا	
1ـ أوشية سلامة الكنيسة وكل الشعب:	**1ـ أوشية السلامة والشعب وفي وسطها**
	2ـ أوشية الملك:
نسأل ونطلب إليك	**نسأل ونطلب** من صلاحك يا محب البشر
اذكر الكنيسة المقدَّسة الواحدة الجامعة،	**اذكر** يا رب سلامة **كنيستك الواحدة** الوحيدة **المقدَّسة الجامعة** الرسولية هذه الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها،

(18) بحسب قراءة جريجوري دكس – انظر كتابه صفحة 222 Greg. Dix, *op. cit.*, p. 222.

كل الشعب وكل الرعية،	**كل الشعوب وكل الرعية**[19] باركهم،
السلامة التي من السموات أنزلها على قلوبنا جميعاً،	**السلامة التي من السموات أنزلها على قلوبنا جميعاً،**
بل وسلامة هذا العمر أنعم به علينا.	**بل وسلامة هذا العمر أنعم به علينا** إنعاماً.
2ـ أوشية الملك:	
ملك أرضنا احفظه. **وانظر أن يفكّر بالسلام،**	**الملك والجند والرؤساء والوزراء،**
نحونا ونحو اسمك القدوس،	والجموع وجيراننا ومداخلنا ومخارجنا زيِّنهم بكل سلام،
واحرس **القائد والجند والوزراء** والمشيرين،	يا ملك السلام أعطنا سلامك لأن كل شيء أعطيتنا،
	اقْتنِنَا لك يا الله مخلِّصنا لأننا لا نعرف آخر سواك
	فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس. ولا يقوى علينا نحن عبيدك **موت الخطية** ولا على كل شعبك.
"يوجد فراغ قليل لا يحتمل	**أوشية المرضى** مضافة كلها
وجود هذه الأواشي"	**أوشية المسافرين** مضافة كلها
3– أوشية الثمار:	**3– أوشية الثمار:**
... ... "ناقص ـ الكلام ممسوح" ... ... "ناقص ـ الكلام ممسوح"	أصعدها كمقدارها كنعمتك فرِّح وجه الأرض، ليُروَ حرثها وتكثر أثمارها.
أعدَّها للزرع والحصاد	**أعدَّها للزرع والحصاد**
... ... "ناقص ـ الكلام ممسوح"	دبِّر حياتنا كما يليق. بارك إكليل السنة بصلاحك،
من أجل فقراء شعبك من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضيف ومن أجلنا كلنا نحن الذين نرجوك ونطلب اسمك القدوس.	**من أجل فقراء شعبك من أجل الأرملة واليتيم والغريب والضيف ومن أجلنا كلنا نحن الذين نرجوك ونطلب اسمك القدوس** ...
"بدون فراغ في الأصل"	.. إلخ إلى نهاية الأوشية كما هي في الخولاجي (زيادة)
	أوشية الملك إعادة مرة أخرى
	ملك أرضنا عبدك

(19) أصل الكلمة يوناني po...mnion أي "رعية" بالمعنى الكنسي. فإذا ترجمت "قطيع" أو "قطعان" أصبحت بغير المعنى الكنسي وتُفيد المواشي أو الحيوانات. فمن المناسب جداً تغييرها في الطبعات الجديدة للخولاجي.

''بدون فراغ في الأصل''	**إحفظه** بسلام وعدل وجبروت، ولتخضع له كل البربر الأمم الذين يريدون الحرب في جميع ما لنا من الخصب.
	تكلَّم في قلبه من أجل سلامة كنيستك الواحدة
	الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية
	إعطِ أن يفكر بالسلام فينا وفي اسمك القدوس
	لكي نحن أيضاً نعيش في سيرة هادئة ساكنة
''بدون فراغ في الأصل''	ونوجد كائنين في كل تقوى وعفاف بك.
4ـ أوشية المنتقلين:	**4ـ أوشية المنتقلين:**
	أباؤنا وإخوتنا
أ ـ أولئك الذين رقدوا نيِّح نفوسهم	**أ ـ الذين رقدوا**، إذ قبضت **نفوسهم نيِّحهم**
ب ـ اذكر أيضاً الذين قدَّمنا تذكارهم في هذا اليوم	**ذاكراً أيضاً جميع** القديسين **الذين أرضوك منذ البدء**
ج ـ والذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم	ز ـ ''**المجمع بأكمله ـ وبعد المجمع يكمَّل**'':
د ـ اذكر أيضاً آباءنا الأرثوذكسيين	**د ـ اذكر أيضاً آباءنا القديسين الأرثوذكسيين**.
هـ ـ والأساقفة في كل مكان	**هـ ـ رؤساء الأساقفة** الذين سبقوا فاضطجعوا هؤلاء الذين فصَّلوا كلمة الحق باستقامة.
و ـ وأعطنا نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيك.	**و ـ وأعطنا نحن أيضاً حظاً ونصيباً معهم**
ز ـ الأنبياء والرسل والشهداء	**ب ـ ذاكراً أيضاً هؤلاء الذين نذكرهم في يومنا هذا**.
... ...	''هنا طلبة الشماس وذكر أسماء عظماء الآباء الرهبان''
... ...	
''أربعة سطور مفقودة''	**ج ـ هؤلاء كل واحد يا رب الذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم**.
هب لهم الآن بواسطة ربنا ومخلِّصنا الذي به المجد إلى الأبد.	الذين في فكر كل واحد منا والذين ليسوا فينا. ... إلخ ''حتى النهاية **مضافة**''.
	و ـ وأعطهم وإيانا نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيك (مكرر)

(انتهى النص)

ومن هذه المقارنة يبدو واضحاً كل الوضوح أمام القارئ أن ترتيب الأواشي كان أصلاً:

أولاً: يبدأ بصلاة واحدة طويلة من أجل الكنيسة والشعب وكل الرعية ومن أجل الملك وحكومته وجيشه، ومن أجل ثمار الأرض ومن أجل المنتقلين، وقد أعطيناها أرقاماً بالخط الأسود الثقيل.

ثانياً: ولكن عندما بدأ القديس البابا كيرلس الكبير بالإضافات، لم يستطع أن يفصل بين منطوق سلامة الكنيسة والملك فتركهما معاً في الأوشية الأُولى.

ثالثاً: أضاف بعدها أوشية للمرضى ثم أوشية للمسافرين وهما أوشيتان تكمّلان فعلاً سلامة الشعب.

رابعاً: ثم عاد إلى أوشية الثمار.

خامساً: وبعد أوشية الثمار خصَّص المؤلف (وهنا يبدو أنه بعد زمن القديس كيرلس الكبير) أوشية للملك مرة أخرى، ولكن بدون أن يذكر مقدِّمة لها كالعادة، لأن مقدمتها مذكورة مع أوشية سلامة الكنيسة والشعب، فيختصر الأوشية في بدايتها إلى كلمتين فقط ''عبدك ملك الأرض''. وبعدها يرد الشماس ثم الشعب. وهذا في الواقع يبدو غريباً وغير متماشٍ مع طقس تركيب الأواشي، وبذلك يكشف عن أن هذه الأواشي مضافة في زمن متأخر، لأن وضعها الأصيل كان ينبغي أن يكون بعد أوشية سلامة الكنيسة مباشرةً حيث ذكر الملك بعد الكنيسة أيضاً.

وواضح جداً الفارق بين وصف "**الملك**" كما جاء في أصل الأوشية القديم مع سلامة الكنيسة، وهذا كان يعني الدعاء للإمبراطور أو الملك الروماني، وبين استحداث وصف جديد للملك وهو "**ملك أرضنا**" وهذا يعني الدعاء لملك مصر، وهذا بالتالي يفيد أن استحداث أوشية جديدة ''لملك أرضنا'' بعد الأوشية الأُولى جاء متأخراً.

سادساً: ثم بعد أوشية الملك عاد إلى أوشية المنتقلين، ولكن هذه أيضاً أُضيف إليها في منتصفها المنشور الخاص بأسماء المنتقلين الذي كان يُتلى بواسطة الشماس أو الكاهن المساعد[20]، ثم عاد بعد نهاية المجمع إلى كمالة أوشية المنتقلين وختمها بنفس ختام الأوشية الأصلي. وبذلك يتضح أمامنا كل الزيادة التي أُضيفت على أوشية الراقدين بسهولة.

كما يتضح أمامنا أيضاً الإضافات التي أُضيفت بواسطة القديس كيرلس الكبير على الأواشي من

(20) يُلاحَظ أنه لا يزال هناك عادة أن تلاوة المجمع Diptychs أي المنشور بأسماء المنتقلين هي غالباً من نصيب الكاهن المساعد، أو الكاهن الخديم إذا كان المصلِّي أسقفاً، كما لا تزال تلاوة أسماء الآباء الرهبان العظام هي من نصيب الشماس الآن كما كان من قبل، أمَّا تلاوة أسماء البطاركة منذ البدء فهي من نصيب القارئين أي الأغنسطسيين.

بدايتها حتى أوشية الراقدين.

سابعاً: فإذا عُدنا إلى شهادة العالِم أبو البركات المعروف بابن كبر التي أدلى بها عن آخرين أسبق منه بخصوص الإضافات التي أضافها البابا كيرلس الكبير على قداس القديس مرقس الرسول نجده يذكرها في موضعين كالآتي:

1- في الموضع الأول عند ذكر القداديس المعمول بها في الكنيسة (الباب السابع) حيث يذكر أن القديس كيرلس الكبير **أكمل قداس مار مرقس الرسول**.

2- في موضع آخر عند ذكر مؤلفات القديس كيرلس الكبير (الباب السابع) يذكر أن القديس كيرلس الكبير **أكمل قداس القديس مرقس الرسول بأجوبة الشماس وأوشية البطريرك**.

وقد عثرنا على إشارة أخرى في نسبة قداس القديس مرقس الرسول للقديس كيرلس الكبير في خولاجي قديم وَجَدتُه بمكتبة مطرانية أسيوط وهو مخطوط قديم رقم 3/550 منسوخ، يبدو من نص أسماء المجمع الواردة فيه ومن أوصاف الأسماء والصفات البسيطة أنه غاية في القدم. يقول في مقدِّمته:

النص العربي	النص القبطي
قداس الطوباني مرقس **المنسوب** لأبينا كيرلس	ⲟ ⲁⲛⲁⲫⲟⲣⲁ Ⲙⲡⲓⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ Ⲙⲁⲣⲕⲟⲥ **ⲁⲙⲁ ⲧⲟⲩ** ⲟⲩⲥⲓⲱⲧⲁⲧⲟⲩ ⲕⲩⲣⲓⲗⲗⲟⲩ

ويُلاحَظ أن هذه الديباجة عتيقة للغاية وهي واردة في بداية القداس نفسه، أي قبل ذكر مناداة الشماس: "تقدَّموا تقدَّموا". أمَّا كلمة (منسوب) فجاءت مقابلها في القبطية عبارة أصلها اليوناني يكون كالآتي:

¤ma toà Ðsiot£tou Kur…llou

وهي تعني: "مع جزيل القداسة كيرلس".

4- كذلك وجدنا في نفس الخولاجي المذكور في موضع سابق يقول أيضاً إن هذا القداس ترجمه كيرلس الكبير:

النص العربي	النص القبطي
بداية زينة	Ⲁⲣⲭⲏ ⲙⲡⲓⲥⲟⲗⲥⲉⲗ

النص العربي	النص القبطي
القداس الطاهر	ⲛⲧⲉ ϯⲁⲅⲓⲁ ⲛⲁⲛⲁⲫⲟⲣⲁ
الذي لأبينا القديس	ⲛⲧⲉ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ
مرقس الرسول	Ⲙⲁⲣⲕⲟⲥ ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ
الذي **ترجمه**	ⲑⲏⲉⲧⲁϥ ⲉⲣⲃⲁⲓⲃⲁⲓⲱⲛ ⲙ̀ⲙⲟⲥ
كيرلس الحكيم	ⲛϫⲉ Ⲕⲩⲣⲓⲗⲗⲟⲥ ⲡⲓⲥⲟⲫⲟⲥ
المثلث الطوبى	ⲙ̀ⲡⲧⲣⲓⲥⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ
بسلام الله. آمين	ϧⲉⲛ ⲟⲩϩⲓⲣⲏⲛⲏ ⲛⲧⲉ ⲫⲛⲟⲩϯ ⲁⲙⲏⲛ.

ويُلاحَظ أن هذه الديباجة واردة قبل الدخول في صلاة الصلح وتبدو أكثر حداثة في لهجتها من الديباجة الأخرى السابق ذكرها.

وقد قمنا بالبحث عن ترجمة صحيحة مباشرة لكلمة **ⲉⲣⲃⲁⲓⲃⲁⲓⲱⲛ** وصحتها **ⲉⲣⲃⲉⲃⲁⲓⲟⲩⲛ** فوجدناها مقتبسة من الفعل اليوناني bebaiÒw والذي يعني ''رتَّب'' أو ''حقَّق'' أو ''أسَّس''، وبالتالي فهي تعني أكثر من مفهوم ''ترجمة''.

ثامناً: وبهذا نفهم أن الأواشي المذكورة في المخطوطة البردية التي من القرن الرابع كانت بدون مردات للشماس، وكان الشعب يرد بـ (آمين) و (كيرياليسون) فقط كالتقليد، وأن كيرلس الكبير هو الذي بدأ بفصل الأواشي كالعادة المتبعة في أيامه عن بعضها حتى يعطي فرصة لمرد الشماس والشعب عن كل أوشية بمفردها. وهذا يفسر لنا تفتيت أوشية السلامة الأصلية التي كانت أوشية واحدة إلى أربع أواشي منفصلة بمرداتها حيث بدت الضرورة مُلحَّة لوضع أوشيتي المرضى والمسافرين أيضاً في أماكنها.

تاسعاً: أمَّا أوشية البطريرك التي أضافها القديس كيرلس الكبير، فلها مميزات خاصة دون بقية الأواشي الأخرى التي جاءت في ليتورجيات القديسَيْن باسيليوس وغريغوريوس:

لا يُذكر فيها إلاَّ اسم البطريرك وحده فقط ولا يُذكر معه الأساقفة، أمَّا في الأوشية المماثلة في الليتورجيات الأخرى فيُذكر فيها البطريرك والأساقفة وكل رتب الكنيسة.

ومن هنا لزم بعد ذلك إضافة أوشيات أخرى في قداس مار مرقس خاصة للأساقفة وبقية رتب

الكهنوت، فأُضيفت ـ وغالباً في زمن آخر بعد القديس كيرلس الكبير ـ ويُذكر فيها بقية رتب الكنيسة.

أمَّا بقية الأواشي ولماذا جاءت كل أواشي ليتورجية مار مرقس الرسول قبل التقديس (أي الرشومات) دون بقية الليتورجيات الأخرى حيث تأتي فيها الأواشي بعد التقديس على الخبز والخمر، فسنعود إلى شرحه وتوضيحه في موضع آخر.

ملاحظات على صلاة المجمع (الراقدين)
في قداس القديس مرقس الرسول (الكيرلسي):

المجمع المذكور في أنافورا القديس مرقس الرسول له خصائص هامة:

أولاً: لا يحوي في المقدِّمة ما هو مذكور في أنافورا القديس باسيليوس (الطقس القبطي):

[لأن هذا يا رب هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك في تذكار قديسيك].

ثانياً: في مخطوطة ستراسبورج (القرن الرابع) يبدأ المجمع مباشرةً هكذا:

[واعطنا نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيك، الأنبياء والرسل والشهداء ...].

ومن هذا يتبيَّن لنا الزيادة التي حدثت في مقدمة المجمع بعد القرن الرابع كالآتي:
(المطبوع بالأسود هو المشترك بينهما والمطبوع بالبنط العادي هو الزيادة).

مخطوطة ستراسبورج (القرن الرابع)	مخطوطة برايتمان الموازية للمطبوع حالياً (القرن 13)
وأعطنا نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيك **الأنبياء والرسل والشهداء**	آباؤنا وإخوتنا الذين رقدوا، إذ قبضت نفوسهم نيحهم، ذاكراً أيضاً جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء: آباءنا الأطهار رؤساء الآباء **والأنبياء والرسل** والإنجيليين والمبشرين **والشهداء** والمعترفين.

ثالثاً: في ترتيب الأسماء:

عثرنا على مخطوطة قديمة ثمينة للغاية ربما يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الثاني عشر، وهي مودعة بمكتبة مطرانية أسيوط تحت رقم 3/550 خولاجي، جاء فيها ترتيب الأسماء مطابقاً حرفياً لما هو وارد في مخطوطة برايتمان. ولكن بمطابقة هاتين المخطوطتين مع جزء مخطوطة أخرى عثرنا عليها في أرضية مكتبة دير القديس أنبا مقار، وجدنا الكاتب ينحاز لأنبا مقار ويصفه مثل أنبا أنطونيوس.

كما وجدنا بدل لحن "العظيم أنبا أنطوني pini]; Abba Antoni"، يقول "العظيم أنبا مقار". وقد جئنا على ذكرها هنا لكي نوضح قدرة رهبان أنبا مقار وجرأتهم في التأليف.

جزء مخطوطة دير أنبا مقار (القرن الثاني أو الثالث عشر)	مخطوطة أسيوط ومخطوطة برايتمان (وهي تخالف كثيراً ما هو مطبوع الآن)
سيدي الأب البار العظيم أنبا مقاره وأبينا أنبا أنطونه وأبينا أنبا مقار وأنبا مقار. (أنظر صورة المخطوطة في نهاية الكتاب)	القديس مرقس الرسول الإنجيلي الشهيد والقديس ساويرس البطريرك والقديس كيرلس والقديس باسيليوس والقديس غريغوريوس وأبانا البار العظيم أنبا أنطوني وأبانا أبا بافلا وآباءنا المقارات الثلاثة وأبانا أبا يوحنا (القصير)، وأبانا أبا بيشوي وأبوينا الروميين وأبانا أبا موسى، والتسعة والأربعين شهيداً وأبانا أبا يوحنا كاما (الأسود) وكل مصاف القديسين.

ويُلاحَظ في كافة هذه المخطوطات القديمة أنها لا تذكر اسمَيْ الأبوين الروميين بل تترك هذا اللقب بدون تحديد أسماء مما يزيدنا ثقة بصحة البحث الذي قمنا به سابقاً عنهما في كتاب "الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار" (الباب الرابع الفصل الرابع صفحة 218 وما بعدها).

رابعاً: إعطاء السلام لأرواح القديسين:

وقد عثرنا على جزء مخطوطة نعتقد أنها تشير إلى طقس غاية في القِدَم، ولكن الكتابة تدل على زمن ما بين القرنين العاشر والثاني عشر.

وفيها يُعطَى السلام لأرواح القديسين الذين انتقلوا، عوض مجرد الاشتراك في ذكراهم. ولكن الذي لفت أنظارنا جداً وجود أسماء باباوات روما ـ ما قبل مجمع نيقية سنة 325 ـ مع ذكر اسم البابا ديسقوروس. وهذا يؤكد لنا جامعية الكنيسة القبطية الأرثوذكسية واتساع روحها في جمع هذه الأسماء معاً بروح مسكونية منقطعة النظير: انظر اللوحة المصوَّرة في آخر الكتاب.

[السلام لديسقوروس المعترف. السلام ليوحنا ذهبي الفم. السلام لكلستينوس وسفيريانوس. السلام للبطاركة والأنبياء. السلام للسبع طغمات[21] التي للكنيسة].

(21) "طغمة" هي تعريب الكلمة اليونانية t£gma وتعني "رتبة" أو "درجة". ويُقصد بها رتب الكهنوت المقدَّسة في الكنيسة.

خامساً: ختام المجمع:

واضح أن الأوشية التي يقولها الكاهن في ختام مجمع أنافورا القديس مرقس الرسول باللحن الحزين (لحن أيوب) أقتُبِست بشيء من الاختصار ووُضعت كختام لمجمع أنافورا كل من القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس (الطقس القبطي).

ختام مجمع أنافورا **القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس**	**ختام مجمع أنافورا** **القديس مرقس** (**الكيرلسي**)
هؤلاء الذين بسؤالاتهم وطلباتهم ارحمنا كلنا معاً وأنقذنا من أجل اسمك القدوس الذي دُعي علينا.	ليس أننا أهلاً يا سيدنا أن نتشفع عن طوباوية أولئك القديسين. بل لأنهم هم الوقوف أمام منبر ابنك الوحيد، ليصيروا عوضاً عنَّا يتشفعون في مسكنتنا وفي ضعفنا. كن غافراً لآثامنا لأجل طلباتهم المقدَّسة، ولأجل اسمك القدوس الذي دُعي علينا.

سادساً: تُقال هنا أسماء البطاركة (وبحسب خولاجي أسيوط 3/550، تُقال هذه الأسماء كلها لا سرًّا ولا جهراً ـ أي بصوت منخفض ـ وفي بعض الكنائس تُقال جهراً).

سابعاً: البركة التي تُقال بعد المجمع:

لاحظنا في المخطوطات القديمة جميعاً أن هذه البركة مذكورة في أنافورا كل من القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس ولكن في مخطوطة برايتمان وخولاجي أسيوط 3/550 غير مذكورة في أنافورا القديس مرقس الرسول. وعلى العموم فإن هذا التقليد الطقسي قد سقط للأسف من ترتيب الأنافورات كلها الآن ... وذلك بالرغم من اهتمام الخولاجيات حتى المطبوع منها ـ بذكر ضرورة تلاوة البركة في هذا المكان المخصَّص لها حسب الطقس قديماً.

وهذه البركة هي البركة الختامية التي تُقال في ختام كل صلاة، سواء في خدمة باكر أو عشية أو نهاية خدمة القداس، وهي التي تبتدئ هكذا:

[الله يتراءف علينا ويباركنا، يُظهر وجهه علينا ويرحمنا. يا رب خلِّص شعبك بارك ميراثك ... إلخ].

ولكن في خولاجي أسيوط تأتي البركة بكلمات أخرى غير المطبوعة في الخولاجيات الآن.

ومجيء البركة هنا ينبِّه ذهننا إلى أن أوشية المجمع كانت تجيء قديماً في نهاية خدمة الأنافورا؟ ولنا في أنافورا سيرابيون ما يُثبت هذا إلى حد كبير، فالصلاة من أجل الراقدين تأتي في نهاية خدمة القداس. وفي التعليمات الخاصة بهذه البركة يقول الخولاجي المخطوط 3/550 بمكتبة مطرانية أسيوط:

[وبعد أن تُقال البركة يضع الكاهن الخديم لفافة حرير على يده اليمنى ويلتفت بيده هذه إلى الشعب ويده اليسرى مبسوطة أمام الصينية وعيناه ناظرتان إلى الجسد الطاهر ويتلو البركة. وهي بطول السنة ولكل أوان. والحذر أن ترشم قط لا في أول تلاوتها ولا في نهايتها ولا في النهاية. وهذه البركة هي:

"الآباء الراسمون خطيتي (أي الشيوخ الأكبر مني العارفون بخطاياي هم الذين ينبغي أن) يقولوا البركة. أيها الثالوث المقدَّس الآب والابن والروح القدس. بارك شعبنا المسيحي بالبركة السمائية. أرسل علينا نعمة روح قدسك. ودع أبواب الكنائس المقدَّسة مفتوحة لنا. وكمِّلنا في الأمانة الثالوثية إلى النفس الأخير ـ وهنا تُقال البركة الموافقة للوقت إن كان عيداً أو خلافه" ـ ثم يقول: بالسؤالات والطلبات التي تصنعها عنا كل حين سيدتنا كلنا والدة الإله ... إلخ.

وبعد قراءة البركة يقول الشماس: العظيم أنبا أنطوني ... إلخ].

ثامناً: أوشية الراقدين بعد ذكر أسماء مجمع الآباء والقديسين:

تمتاز أنافورا القديس مرقس الرسول بتلاوة أوشية الراقدين بعد ذكر المجمع، ولكن المعروف أن هذه الأوشية التي للراقدين هي من تأليف مبكر للغاية، ربما من صنع القديس كيرلس الكبير، وكان موضعها الأول في أنافورا القديس مرقس الرسول، ولكن استُخدمت بعد ذلك في رفع بخور كل من عشية وباكر.

وهكذا وبنفس الأسلوب أُقْتُبِسَ كثير من الصلوات والأواشي من أنافورا القديس مرقس الرسول واستُخدمت في الأنافورات الأخرى المعروفة مثل تلك التي للقديسَيْن باسيليوس وغريغوريوس المعتبرتين وليدتين لأنافورا القديس مرقس الرسول.

ثانياً: بردية دير البلايزة
وعلاقتها بليتورجية مرقس الرسول

في سنة 1907 عثر العالِمان فلندرز بتري وكرام Flinders Petrie & W.E. Crum أثناء أبحاثهم الحفرية في خرائب وحيطان دير البلايزة بالقرب من أسيوط على بردية من ثلاث ورقات غير كاملة مع 30 ـ 40 قطعة صغيرة جداً ملازمة لهذه الورقات الثلاثة، وهي الآن في حوزة مكتبة البودليان بأكسفورد.

وقد قام أولاً العالِم Dom P. Puniet بطبعها مقتصراً عمله على الثلاث ورقات فقط، ولكن تبعه العالِمان روبرتس وكابيل C.H. Roberts & Dom B. Capelle سنة 1949م. بفحص كل البردية، وجمعا فرافيتها إليها بدقة تبدو في الصورة مدهشة، وبصبر بالغ إلتأَمَت هذه القطع مع الورقات وأعطت بيانات أَوفَى جداً عن الليتورجيا، وذلك باعتمادهم على أبحاث وتصورات العالِم شيرمان Th. Shermann عن هذه البردية، وقد انتهى هذان العالِمان إلى التقرير الآتي:

1ـ إن هذه البردية تعود نساختها إلى القرن السادس، وهي جزء من خولاجي، أي كتاب صلوات كنسية ليتورجية.

2ـ محتويات هذه البردية هي أنافورا (قداس) يعود زمن الصلاة به إلى القرن الثالث سنة 200 ـ سنة 300م. وذلك وفقاً لتقرير العالِم شيرمان أيضاً. وإن أجزاء من الصلوات تعود إلى زمن قديم جداً. وأمَّا العالِم برايتمان الذي قام هو الآخر بفحصها وطبعها والتعليق عليها فيقول **إنها من القرن الرابع**، أي من نفس زمن بردية ستراسبورج السابق شرحها.

ونحن نقدِّم هنا محتويات هذه البردية مترجمة عن الأصل اليوناني و الترجمة الإنجليزية، معتمدين على أبحاث روبرتس وكابيل وعلى مراجعة لوي بوييه ومراجعة بالمر وملاحظات وتقارير العالِم ليتزمان[22].

---

(22) راجع:

- C.H. Roberts & Dom B. Capelle, *An Early Euchologium, (Bibliothèque du Muséon, 23)*, Louvain, 1949.
- Louis Bouyer, *Eucharist*, pp. 200-208: The *Der Balizeh* Anaphora.
- Paul. F. Palmer, *Sacram. & Worship*.

محتويات بردية دير البلايزة:

ترجمة لوي بوييه في كتابه عن الإفخارستيا: (انظر: الصورة الفوتوغرافية في نهاية الكتاب).

[...، الذين يبغضونك.

أمَّا شعبك الذي يصنع إرادتك فلتحل عليه بركتك. أقم الساقطين، ردّ الضالين إلى طريق الحق، عزِّ صغيري القلوب.

لأنك أنت فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وفوق كل اسم، ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي أيضاً.

ألوف الملائكة المقدَّسين، وأجناد رؤساء الملائكة التي بلا عدد يخدمونك مع الشاروبيم المملوئين أعيناً والسيرافيم ذوي الستة أجنحة، الذين بجناحين يغطون وجوههم وبجناحين يغطون أرجلهم ويطيرون باثنين. والكل على الدوام (في كل زمان) يقدِّسونك. فمع هؤلاء الذين يقدِّسونك، هكذا اقبل منَّا نحن أيضاً تقديسنا قائلين: قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك.

املأنا نحن أيضاً من مجدك، وتفضل وارسل روحك القدوس على خليقتك هذه أيضاً. واجعل هذا الخبز جسداً لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح والكأس أيضاً دماً للعهد الجديد لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح.

وكما كان هذا الخبز مرَّةً مبعثراً فوق الجبال والتلال والأودية، ثم اجتمع معاً ليكون جسداً واحداً!!، وأيضاً هذا الخمر الذي خرج من كرمة داود المقدَّسة، وهذا الماء الذي خرج من الحمل الذي بلا عيب، امتزجا معاً صائرَيْن سرًّا واحداً، هكذا أيضاً اجمع الكنيسة الجامعة التي للمسيح يسوع، } **النص هنا ممسوح نوعاً ما**

لأن ربنا يسوع المسيح في الليلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً على يديه المقدستين وشكر،

- Lietzmann, *op. cit*., Fasc. I & II & III.
- J.N.D. Kelly, *Early Christ. Creeds*, London, 1950, cited by Quasten, III, p. 143.

وباركه، وقدَّسه، وقسَّمه وأعطاه لتلاميذه ورسله قائلاً خذوا كلوا منه كلكم، هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم لمغفرة الخطايا.

وهكذا أيضاً بعد العشاء أخذ الكأس، وبارك وشرب منه، وأعطاه لهم قائلاً خذوا اشربوا منه كلكم، هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا. كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشرون بموتي، تعترفون بقيامتي، **تذكرونني** (بدون واو العطف ka^) (أي تصنعون ذكري كنتيجة مباشرة للأكل من الجسد والشرب من الدم).

الشعب:

بموتك يا رب نبشِّر وبقيامتك نعترف ونتضرع ...

... تفضَّل علينا نحن عبيدك بقوة روحك القدوس لتشديد ونمو (ارتقاء) إيماننا وليكون لنا رجاء الحياة الأبدية بربنا يسوع المسيح الذي لك معه يا أبانا ومع الروح القدس المجد إلى الأبد آمين.

الاعتراف بالإيمان: (عنوان في المخطوطة):

أؤمن بالله الآب ضابط الكل وبابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح وبالروح القدس وبقيامة الأجساد في الكنيسة المقدسة الجامعة.] انتهى النص في بردية دير البلايزة

مميزات هذه البردية:

1ـ تأتي هذه البردية مكمِّلة تقريباً للبردية السابقة، وذلك بتدبير الله حتى تتكامل أمامنا صورة لإفخارستية مرقس الرسول بليتورجيتها كما كانت في القرن الرابع أو كما كان يُصلِّي بها القديس أثناسيوس مثلاً.

2ـ الليتورجيا في هذه البردية تُعتبر صورة أصيلة من قداس مرقس الرسول. وسوف نضع في نهاية هذا الكلام مقارنة بينهما في جدول واحد ليظهر بوضوح أن ليتورجية مرقس الرسول الحالية استطاعت أن تستوعب كل ما جاء في مخطوطة دير البلايزة، وفي نفس المواضع، وبنفس التركيب والروح.

3ـ يلاحظ ليتزمان أن تركيب التسبحة الشاروبيمية جاءت هنا مطوَّلة عن ليتورجية سيرابيون التي جاءت مختصرة عنها. ولكنها مشابهة في الإضافات إلى ليتورجية مرقس الرسول[23]. كما

(23) Lietzmann, *op. cit.*, Fasc. I, pp. 31, 33.

يُلاحَظ أنها جاءت في النهاية بدون [مبارك الآتي باسم الرب] التي أتت في مرد الشعب في قداس القديس غريغوريوس.

4ـ يلاحِظ لوي بوييه أن استدعاء الروح القدس الأول (وقد جاء قبل التقديس "أي الرشومات") حسب مميزات الليتورجيا القبطية، جاء بصورة مزادة، إذ امتدت الصلاة لتشمل تحويل الخبز إلى جسد والخمر إلى دم، في حين أن استدعاء الروح القدس في ليتورجية الرسل (هيبوليتس) لم يصاحبه طلب التحويل.

5ـ ومجيء استدعاء الروح القدس مع طلب التحويل يشير إلى تغير حدث في تركيب الليتورجية وفي شكلها العام، ولكن يُعتبر هذا التغيير مبكراً جداً وربما يكون من أول التغييرات التي حدثت لليتورجية مرقس الرسول، لأن بعد ذلك استُحدثت صلاة للحلول بأكملها ووُضعت بعد صلاة التقديس بكلمات الرب Institution، وسيأتي الكلام على ذلك.

6ـ بخصوص التقديس على الخبز والخمر (الرشومات):

[لأن ربنا يسوع المسيح في الليلة التي أُسلم فيها،
أخذ خبزاً على يديه المقدَّستين وشكر وباركه وقدَّسه،
وقسَّمه وأعطاه لتلاميذه ورسله قائلاً:
خذوا كلوا منه كلكم، هذا هو جسدي
الذي يُبذل عنكم لمغفرة الخطايا.
هكذا أيضاً بعد العشاء أخذ كأساً وشكر وشرب منه
وأعطاه لهم قائلاً اشربوا منه كلكم، هذا هو دمي
المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا
كل مرَّة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس
تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي تذكرونني].

يُلاحِظ العالم ليتزمان ملاحظات هامة ودقيقة للغاية نوردها كالآتي:

(أ) النص هنا بخصوص التقديس (فقط) يخلو من تأثيرات سريانية واضحة. ولكنه يميل في تركيبه الإفخارستي إلى الليتورجيا السريانية أكثر منه إلى ليتورجية سرابيون مثلاً، مما يكشف عن بداية التغيير.

(ب) يشترك مع ليتورجية قوانين الرسل .Ap. Const في كونه حذف كلمة [الذي للعهد الجديد] بعد كلمة (هذا دمي). مما يشير إلى وجود ترابط بين ليتورجية الرسل (هيبوليتس) وبين ليتورجية مرقس الرسول.

(ج) يتقارب من ليتورجية القديس باسيليوس في كونه أضاف [ورسله] إلى كلمة [وتلاميذه]، كذلك في استخدامه لكلمة ‘‘æsaÚtwj = وهكذا’’ بدل كلمة ‘‘Ðmo…wj بالمثل’’ (مشيراً إلى الكأس). وكذلك في استخدامه لكلمة [وبارك eÙlog»saj] على الكأس بدل كلمة (وشكر).

(د) هذا النص أيضاً يتقارب مع نص ليتورجية القديس يعقوب الرسول والنص الليتورجي الذي جاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس من جهة إضافة **[يُعطَى لمغفرة الخطايا]**، من جهة إضافة **[وبعد العشاء]**، ومن جهة استخدام الكلمة (**خذوا**) قبل كلمة (**اشربوا**)، وهي إحدى خواص الليتورجية القبطية. ومن جهة استخدام الجملة الأخيرة بأكملها [كلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذه الكأس تبشرون بموتي ...].

(هـ) يتقارب النص هنا من نص ‘‘هيبوليتس’’ في جعل التذكار [تذكروني] نتيجة مباشرة للأكل من الجسد والشرب من الدم وليس بالكلام فقط. مما يفيد أن التركيب الأصلي لليتورجية قائم على وعي رسولي عميق للإفخارستيا.

(و) من المميزات الفردية لنص التقديس في هذه الليتورجيا قوله في الجسد [خذوا كلوا منه كلكم] على مثال ما جاء بخصوص الكأس. كذلك في قوله (وشرب) و (أعطاه) الذي هو من مميزات الطقس القبطي عموماً.

7 ـ يُلاحظ ليتزمان[24] مع العالمين روبرتس وكابيل[25] أن التركيب العام لكل الليتورجيا يتمشَّى مع نفس تركيب ليتورجية مرقس الرسول، فالعلاقة بينهما وثيقة مثل [اشربوا منه كلكم]، [وشرب منه (وذاق)]، (تصنعون ذكري)، (“**خذوا**” اشربوا)، [“**وأخذ**” كأساً]. كما يلاحظ أن كلا النصَّين إنجيلي وإضافاته إنجيلية، وهو أحد مميزات الليتورجية القبطية عموماً.

(24) Lietzmann., *op. cit.*, Fasc. I, pp. 31, 33.
(25) C.H. Roberts & Dom B. Capelle, *op. cit.*, p. 50.

8ـ في هذه الليتورجية يبدأ ظهور محاولة عمل تطابق وتوازٍ بين ما يُقال على الخبز وما يُقال على الكأس الذي سينمو بعد ذلك بصورة كبيرة.

9ـ يُلاحظ ليتزمان أن **تمسُّك الأقباط في ليتورجيتهم بأن الرب شرب من الكأس قبل أن يعطيه لتلاميذه هو تقليد قديم جداً يحتفظ بآثار طقس العشاء في داخل الإفخارستيا، لأن رئيس المتكأ كان يستحيل عليه أن يوزِّع كأس البركة إلاَّ إذا ذاق منه أولاً كقانون حتمي**. وظلَّ هذا القانون محتفظاً بسلطانه بصورة واضحة في قوانين الرسل في طقس إقامة عشاء الرب المدعو بالأغابي.

وهذا التقليد الإفخارستي عند الأقباط له ما يؤكده عند القديس إيرينيئوس في شرحه لإنجيل متى 26: 27ـ29. حيث يقول فيه [وعند الشكر أخذ كأساً **وشرب منه** وأعطاه لتلاميذه قائلاً اشربوا](26).

10ـ كذلك يجد العلماء ـ ومن ضمنهم ليتزمان ـ أن في استدعاء الروح القدس الأول جنحت الليتورجيا إلى وضع غريب وهو تسمية الذبيحة أو الصعيدة بكلمة [خليقة] أو المخلوقات t¦ kt...smata. ولكن عندما بحثنا عن هذه التسمية للخبز والخمر كصعيدة مرفوعة لله وجدنا أن لها أصولاً وتقليداً قديماً له معنى بعيد، وقد استخدم القديس إيرينيئوس نفس هذا الاصطلاح هكذا:

[لأن الرب أعطى تلاميذه الوصية أن يقدِّموا لله **أبكار ثمارهم التي هي من "خليقته"** ليس كأن الله يقف محتاجاً إليها ولكن لكي لا يكونوا هم كأنهم بلا ثمر أو بلا شكر، وهو نفسه أخذ **هذه الأشياء المخلوقة: الخبز، وشكر** قائلاً: "هذا جسدي" **والكأس أيضاً بالمثل الذي هو جزء من هذه الخليقة** التي ننتمي نحن إليها، وقال إنه دمه. وهكذا علَّمهم الصعيدة = التقدمة (Anaphora) الجديدة التي للعهد الجديد **التي استلمتها الكنيسة من الرسل** وهي تقدِّمها في كل أنحاء العالم لله الذي يقيم حياتنا بباكورة مواهبه الخاصة التي للعهد الجديد.](27)

وهذا الاصطلاح نفسه الذي تستخدمه هذه الليتورجيا [أرسل روحك على خليقتك هذه] هو نفسه الذي استخدمته ليتورجية القديس مرقس الرسول وبقية الليتورجيات القبطية الأخرى، إنما بتعبير آخر هو **[أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدوس قرابينك "ممَّا لك"...]**. هنا **"ممَّا لك"** تعبير على أنها "خليقته". والمعنى هنا بحسب القديس إيرينيئوس سرِّي للغاية فيما يخص الإفخارستيا، فنحن نقدِّم باكورة أثمارنا كإفخارستيا للشكر، والله في هذه الإفخارستيا، ومن الباكورة المقدَّمة

(26) Irenaeus, *Adv. Haer.* V, 33,1, ANF I, p. 562, quoted by Lietzmann, *op. cit.*, p. 34.

(27) Irenaeus, *Adv. Haer.* IV, 17,5, ANF I, p. 484.

إليه، يهبنا بحلول روحه القدوس عليها، باكورة مواهبه التي هي الخليقة الجديدة للعهد الجديد، أي جسد المسيح ودمه!

11ـ يلاحظ أن هذه المخطوطة تبدأ بجملة ناقصة [... الذين يبغضونك، وأمَّا شعبك الذي يصنع إرادتك فلتحل عليه بركتك].

هذه الجملة في الواقع هي نهاية أوشية الاجتماعات التي تنتهي في ليتورجية القديس مرقس الرسول هكذا:

[وليهرب من قدام وجهك كل الذين يبغضون اسمك القدوس. وأمَّا شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات يصنعون إرادتك].

وهكذا تكشف لنا هذه البردية عن أن أوشية الاجتماعات ـ التي تأتي قبل الطلبة، والتي تبدأ بعدها مباشرةً التسبحة الشاروبيمية ـ قديمة وأصيلة أيضاً في ليتورجية القديس مرقس الرسول، حيث تبدو فيها الإضافة: [فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات] واضحة جداً، وهذه الإضافة وُضعت لتتناسب أصلاً مع التسبحة الشاروبيمية التي تصف الملائكة بألوف ألوف وربوات ربوات، ولكن اعترضتها الطلبة وفصلت بين الأوشية والتسبحة.

12ـ الطلبة الواردة في هذه الليتورجية قبل التسبحة الشاروبيمية، وإن كانت تبدو مختصرة، إلاَّ أنها تُعتبر الأساس الذي بُنيت عليه الطلبة الكبيرة الواردة في ليتورجية مرقس الرسول. ونلاحظ أن هذه الطلبة القصيرة الواردة هنا في بردية دير البلايزة لها مثيل مشابه في صلاة القديس كليمندس الروماني في رسالته الأُولى (سنة 95م) إلى كورنثوس، حيث يوجِّه تضرعاً إلى المسيح رأساً يظهر منه أنه اقتباس من صلاة ليتورجية محفوظة يقتبس منها هذه الصلاة ويقدِّمها لأهل كورنثوس، حيث يقول كليمندس في الفصل 38:

[حصن الذين في المخاطر، خلاص الذين في اليأس ... لأنك أنت يا رب معين لنا وناصر، خلِّص الذين في الشدائد، المنسحقين أشفق عليهم، أقم الساقطين، الذين في بؤس الحاجة انتشلهم، المرضى اشفهم، ردّ الضالين من شعبك، أشبع الجياع، حلّ المربوطين، افدِ المقيَّدين، أقم الضعفاء، عزِّ صغيري القلوب].

ولكن الذي يسترعي انتباهنا هو أن موضع هذه الطلبة التي جاءت بنفس كلماتها بين أوشية الاجتماعات وبين تسبحة الشاروبيم هو واحد في كلتا الليتورجيتين، ليتورجية بردية دير البلايزة

وليتورجية القديس مرقس الرسول. وهذا يشير إلى وحدة الأصل فيهما معاً.

13ـ أمَّا بخصوص الاعتراف الأخير والذي جاء مبسَّطاً غاية البساطة فقد ظنه العلماء السابق ذكرهم جميعاً أنه خاص بالمتناولين أو ربما خاص بالمعمَّدين، فتكون الليتورجيا كلها خاصة بالمعمَّدين. ولكن في الحقيقة بعد أن قمنا بأبحاث خاصة في مجال اعتراف الكاهن، عثرنا على نص وارد في كتاب مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة للعالِمِ أبو البركات الملقَّب بابن كبر قسيس كنيسة المعلَّقة (من القرن الثالث عشر) نقله هذا العالِمِ عن نص الليتورجيا حسب الدسقولية يقول فيه في نهاية ترتيب القداس في الباب السابع عشر: [وإذا تكاملت الصلوات كلها يعترف الكاهن "**بالثالوث**"]. إذاً، فأمامنا ليتورجية كاملة واعتراف خاص بالكاهن. فإذا علمنا أن اعتراف الكاهن الموجود في كافة الليتورجيات المعروفة الآن يشمل ضرورة الاعتراف بلاهوت المسيح فقط، أي اعتراف عقائدي لاهوتي حيث لا يُذكر فيه الآب أو الروح القدس، وهذا يشير إلى تأثير المجامع المسكونية وزمان دخول البدع والهراطقة، إذاً، نستدل بكل وضوح أن هذه الليتورجية سابقة على زمن المجامع ـ أي قبل سنة 325م ـ حينما كان الإيمان بالآب والابن والروح القدس وقيامة الأجساد هو مضمون العقيدة حسب تسليم الرسل، لذلك يتأكد لدينا صحة قول العالِمِ Th. Shermann الذي يصمم على أن هذه الليتورجية هي من القرن الثالث (200ـ300م).

14ـ يرى العالِمان ''روبرتس'' و ''كابيل'' أن أنافورا دير البلايزة من أقدم الصلوات المعروفة. ولكن أُعيدت صياغتها لكي تناسب ممارسات الليتورجيا في القرن السادس.

ويقرر هذان العالِمان أنه حتى إلى هذا العصر كانت الحرية مكفولة لرؤساء الكنائس الكبرى أن يغيِّروا في نصوص الإفخارستيا حتى في الأجزاء الرئيسية، لكن في حدود التقليد المعروف والثابت وبحسب نصوص أقدم عهداً ومعترَف بها.

كما يقرر أيضاً أنه بالرغم من هذه التعديلات والإضافات بقيت جميع الليتورجيات في مصر ذات طابع قبطي غايةً في التميُّز[28].

15 ـ يوجد في هذه الأنافورا قبل صلاة التقديس على الخبز والخمر (الرشومات) صلاة تضرُّعية (أوشية) من أجل وحدة الكنيسة وهي تطابق الطلبة التي وردت في سيرابيون وفي الديداخي (فصل 4:9)، حيث تطلب الأنافورا اتحاد الكنيسة على مثال اتحاد حبَّات القمح التي كانت مبعثرة في

(28) C.H. Roberts & Dom B. Capelle, *op. cit.*, p. 52.

الجبال. ولكن تختلف هنا هذه الصلاة عن مثيلاتها في سيرابيون والديداخي كونها بدل أن تقول: [فصار "**خبزة واحدة**"] تقول: [فصار "**جسداً واحداً**"]، وهي بذلك تشير إلى نمو في المفهوم السري، كذلك تمتد الصلاة لتشتمل استخدام امتزاج الماء بالخمر وتحولهما بالسر إلى "**دم المسيح الخارج من جنبه ممزوجاً بماء**"، لتشبِّه به اتحاد المؤمنين أيضاً. والنص هنا يأتي شديد التطابق مع النص الوارد في أنافورا القديس غريغوريوس التي عند الأقباط، وسيأتي الكلام عنه في موضعه.

جدول رقم 1

ليتورجية بردية دير البلايزة **منسوخة في القرن السادس** (برايتمان) **وهي تمثل طقس** (سنة 200–300م) **مهم للغاية**	**ليتورجية القديس مرقس الرسول** **الخولاجي المطبوع سنة 1902م.** (**القمص عبد المسيح المسعودي**)
 ... ... الذين يبغضونك **أمَّا شعبك.** **الذين يصنعون إرادتك** فلتحل عليه **بركتك.**	**أوشية الاجتماعات:** ... ... قم أيها الرب الإله وليتفرَّق جميع أعدائك. وليهرب من قدَّام وجهك كل **مبغضي اسمك** القدوس. **أمَّا شعبك فليكن بالبركة** ألوف ألوف وربوات ربوات **الذين يصنعون إرادتك:**
	الطلبة:
  (أ) **أقم الساقطين.** **(ب) رد الضالين إلى طريق الحق.** (ج) **عزِّ صغيري القلوب.**	(د) حل المربوطين. خلِّص الذين في الشدائد. أشبع الجياع. (ج) **عزِّ صغيري القلوب.** (أ) **أقم الساقطين.** ثبت القائمين. (ب) **رد الضالين.** أدخلهم جميعاً **إلى طريق خلاصك.** ونحن أيضاً أنقذنا من خطايانا. صائراً حارساً وساتراً علينا في كل شيء.
لأنك أنت فوق كل رياسة وسلطان وقوة. **وفوق كل اسم ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي أيضاً. ألوف الملائكة المقدَّسين،**	**لأنك أنت** هو الله الذي **فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة،** **وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي.** أنت الذي يقوم أمامك **ألوف** ألوف

ليتورجية بردية دير البلايزة منسوخة في القرن السادس (برايتمان) وهي تمثل طقس (سنة 200-300م) مهم للغاية	**ليتورجية القديس مرقس الرسول الخولاجي المطبوع سنة 1902م. (القمص عبد المسيح المسعودي)**
"وأجناد" رؤساء الملائكة "الذين بلا عدد" يخدمونك.	وربوات الملائكة **ورؤساء الملائكة المقدَّسين يخدمونك.**
مع الشاروبيم المملوئين أعيناً والسيرافيم ذوي الستة الأجنحة الذين بجناحين يغطون وجههم. **وبجناحين يغطون أرجلهم ويطيرون باثنين.** **والكل على الدوام يقدسونك.** **فمع هؤلاء الذين يقدسونك اقبل تقديسنا منا نحن أيضاً قائلين:**	أنت الذي يقوم أمامك حيواناك الكريمان جداً. **ذو الستة الأجنحة الكثيرو الأعين السيرافيم والشاروبيم فبجناحين يغطون وجوههم** من أجل لاهوتك الذي لا يُستطاع النظر إليه ولا التفكير فيه. **وباثنين يغطون أرجلهم ويطيرون بالاثنين الآخرين.** **لأن في كل زمان يقدسك كل أحد.** **لكن مع كل مَنْ يقدسك اقبل تقديسنا منا نحن أيضاً يا رب إذ نسبحك معهم:**

جدول رقم 2

ليتورجية بردية دير البلايزة منسوخة في القرن السادس (برايتمان) وهي تمثل طقس (سنة 200-300م) مهم للغاية	**مخطوطة برايتمان - هنا - (الخولاجي مختلف)**
قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك.	**قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس.** قدوس. قدوس. قدوس بالحقيقة أيها الرب إلهنا. بالحقيقة السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس، من قِبَل ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح.
''املأنا نحن أيضاً من مجدك''. وتفضَّل **وأرسل روحك القدوس** ''على خليقتك هذه''.	''أملأ هذه الصعيدة التي لك يا رب بالبركة''. ''التي من قِبلك'' **بحلول روحك القدوس عليها.** وبالبركة بارك. **وبالتقديس قدِّس.**

واجعل هذا الخبز جسداً لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، والكأس أيضاً دماً للعهد للعهد الجديد لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح	قرابينك هذه المكرَّمة التي بُدِيء بوضعها أمامك هذا الخبز وهذه الكأس.
لأن ربنا يسوع المسيح	**لأن**(29) ابنك الوحيد **ربنا** وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا **يسوع المسيح**.
في الليلة التي أُسلم فيها.	**في الليلة التي أَسلم ذاته فيها**. ليتألم عن خطايانا والموت الذي قَبِلَه بذاته. بإرادته وحده عنَّا كلنا.
أخذ خبزاً على يديه المقدَّستين.	**أخذ خبزاً على يديه المقدَّستين** اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين. ونظر إلى فوق إلى السماء نحوك **يا الله** أباه وسيد كل أحد.
وشكر / وباركه / وقدَّسه	**وشكر / وباركه / وقدَّسه**
وقسمه وأعطاه لتلاميذه ورسله قائلاً:	**وقسَّمه وأعطاه لتلاميذه** الكرام القديسين **ورسله** الأطهار **قائلاً**:
خذوا كلوا منه كلكم هذا هو الذي يُبذل عنكم لمغفرة الخطايا.	**خذوا كلوا منه كلكم لأن هذا هو** جسدي الذي **يُقسم عنكم** وعن كثيرين يُعطى **لمغفرة الخطايا** هذا اصنعوه لذكري.
وهكذا أيضاً بعد العشاء أخذ الكأس	**هكذا الكأس** أيضاً بعد **العشاء** مزجها من خمر وماء
وبارك. **وشرب منه وأعطاه لهم قائلاً**:	وشكر / **وباركها** / وقدَّسها. **وذاق وأعطاها** أيضاً لتلاميذه الكرام القديسين ورسله الأطهار **قائلاً**:

(29) كلمة ''لأن'' هنا هي الدالة أو العلة التي نطلب على أساسها أن الآب يقبل الذبيحة التي هي جسد ودم المسيح، لأن المسيح نفسه هو الذي أسس هذا وأمرنا أن نصنعه تذكاراً له أمام الآب، لكي يستمر عمل الجسد المكسور والدم المسفوك.

خذوا اشربوا منه كلكم. هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا.	**خذوا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي** الذي للعهد الجديد **الذي يُسفك عنكم** وعن كثيرين يُعطى **لمغفرة الخطايا** هذا اصنعوه لذكري.
كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي تذكرونني.	**لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني** إلى أن أجيء.
يقول الشعب:	يقول الشعب:
نبشِّر بموتك ونعترف بقيامتك، **ونتضرع.**	**بموتك** يا رب **نبشر وبقيامتك** المقدسة وصعودك إلى **السموات نعترف** نسبحك نباركك نشكرك يا رب. **ونتضرع** إليك يا إلهنا.
؟ (*) ... ... **ناقص**	(**الحلول**): **وأرسل إلى أسفل من علوك المقدس ومن مسكنك المُستَعَد ومن حضنك غير المحصور ومن كرسي مملكة مجدك البارقليط روحك القدوس الكائن بالأقنوم غير المستحيل ولا متغير، الرب المحيي الناطق في الناموس والأنبياء والرسل، الحال في كل مكان المالئ كل مكان ولا يحويه مكان الفاعل الطهر** على الذين أحبهم بمسرتك بسلطان وليس كالخادم. البسيط في طبيعته الكثير الأنواع في فعله ينبوع النعم الإلهية المساوي لك المنبثق منك شريك كرسي مملكة مجدك مع ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح.
إلينا نحن عبيدك.	**علينا نحن عبيدك،**

(*) [هذا الفراغ وضع مؤرخي الليتورجيا في تمزُّق وحيرة صعبة، فهل هنا يوجد حلول ثاني مخاطب للروح القدس؟ أو يوجد هنا مثل نص هيبوليتس مجرد صلاة لاتحاد المسيحيين لبناء جسد المسيح باعتبار أن ذكر الروح القدس هنا هو لختم هذا الاتحاد؟ بلا شك لا نملك الإجابة إلاَّ إذا اسعدتنا الفرصة بكشف مخطوطة أخرى تحت رمال مصر = لوي بويه صفحة 202].

امنحنا قوة الروح القدس الذي لتشديد ونمو إيماننا في الرجاء الذي للحياة الأبدية الآتية، بواسطة ربنا يسوع المسيح الذي له معك أيها الآب ومع الروح القدس المجد إلى الأبد. آمين[30].	وعلى هذه القرابين التي لك المكرَّمة السابق وضعها أمامك.

1ـ ومن هذه المقارنة يبدو واضحاً أن جميع النصوص التي جاءت في ليتورجية بردية دير البلايزة واردة في ليتورجية مار مرقس (حسب الخولاجي المطبوع) كأصل يُزاد عليه دائماً ولكن لا يُحذف منه، باستثناء:

(أ) "**املأنا نحن أيضاً من مجدك**" التي صارت في ليتورجية مرقس الرسول "**املأ هذه الصعيدة التي لك يا رب بالبركة**". والنص الأول هو أقدم تقليدياً من النص الثاني.

(ب) "**على خليقتك هذه أيضاً**" صارت في ليتورجية مرقس الرسول "**الصعيدة التي من قبلك**". وواضح أن الثانية محاولة لتحسين ما جاء في الأُولى.

2ـ ولكن من الملاحَظ أن المعاني أدق وأوضح وأعمق في بردية دير البلايزة، وعلى سبيل المثال:

(أ) جاء في ليتورجية مرقس الرسول: ''ألوف ألوف وربوات ربوات الملائكة ورؤساء الملائكة'' ... هنا المعنى يمتد إلى أن عدد رؤساء الملائكة ألوف ألوف وربوات ربوات أيضاً مع الملائكة، وهنا المعنى تسبب من سقوط كلمة ''جنود'' أو ''أجناد'' المضاف إلى رؤساء الملائكة كما جاءت في النص القديم لمخطوطة دير البلايزة ''**وأجناد** رؤساء الملائكة الذين بلا عدد''، حيث تنحصر الكثرة العددية في الجنود وليس في رؤساء الملائكة.

(ب) كذلك في ليتورجية مرقس الرسول لم يخصص أي من الاثنين: الشاروبيم أو الساروفيم الذي له أعين كثيرة. لأن المعروف في التقليد أن الشاروبيم هم المملوؤن أعيناً كناية عن الحكمة والبصيرة، وليتورجية دير البلايزة أوضحت هذه الصفة أي الأعين الكثيرة. أمَّا

(30) C.H. Roberts & B. Capelle, *An Early Euchologium, The Dêr-Balizeh papyrus enlarged and reedited* (Louvain 1949).

السيرافيم فمعروف في التقليد أيضاً أنهم متَّقدون ناراً كناية عن الغيرة الإلهية. وسوف نجد في ليتورجية سيرابيون أنه يذكر السيرافيم فقط باعتبار أنهم اثنان ولا يذكر الشاروبيم، وهذا التقليد كان أوريجانوس يعلِّم به، وسيأتي ذكره في موضعه.

(ج) تذكر ليتورجية مرقس الرسول "**لأن في كل زمان** يقدِّسك **كل أحد**". هنا يبدو أن النص متحوِّل عن معناه الأصلي بسبب الترجمة. والأصل في ذلك واضح في ليتورجية دير البلايزة: "**والكل على الدوام** يقدسونك"، حيث "**الكل**" هنا هم الشاروبيم والسيرافيم وألوف ألوف وربوات ربوات الملائكة. وحيث "على الدوام" معناها "**بلا انقطاع**"، أو "بغير سكوت" كما جاءت في تعاليم ديديموس الضرير، التي فُهمت خطأ "في كل زمان".

(د) كلمة "اصنعوا هذا لذكري" أو "تذكروني" التي جاءت في ليتورجية مرقس الرسول جاءت كأنها في سياق الكلام كعمل متمم لـ "تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي" و "تذكروني"، ولكن في الأصل كما في ليتورجية دير البلايزة ــ وهي مطابقة في هذا لليتورجية هيبوليتس ــ يأتي الذكر كغاية ونهاية وعلة معاً لإقامة الإفخارستيا كلها وبالتالي الأكل والشرب من الجسد والدم والبشارة والاعتراف بالموت والقيامة، وهذا التعبير الدقيق للغاية استطاعت ليتورجية دير البلايزة أن تصيغه بمنتهى الاختصار هكذا: "كل مرة تأكلون.../ وتشربون.../ وتعترفون بقيامتي**!!**" هنا الذكر يأتي كنتيجة حتمية لكل أفعال الإفخارستيا**!**

(هـ) يلاحَظ أن طلب حلول الروح القدس يخلو من أية إشارة لعملية التحوُّل. فحلول الروح القدس جاء كعمل منفرد بذاته. ثم "اجعل هذا الخبز جسداً وهذا الكأس دماً" هو عمل آخر مطلوب من الله الآب.

دراسة للعناصر الأساسية في ليتورجية مار مرقس
«القداس الكيرلسي»

من جهة العناصر الأساسية التي تتكون منها ليتورجية مار مرقس (الكيرلسي)، فهي لا تختلف عن الليتورجيات عامةً. والعناصر الأساسية هي كالعادة:

1ـ **مقدِّمة الليتورجيا** التي تُدعى Préface أو Action de Grâce.

2ـ **بداية التسبحة الشاروبيمية** وتُدعى Pro Sanctus أو Embolisme du Sanctus.

3- **التأسيس** وهي كلمات الرب يسوع على الخبز والخمر Dominical Words وتُدعى ''رسم السر'' أو Institution أو القانون Canon.

4- **الاستدعاء**: أي الدعاء بالاسم، وهو Epiclesis أو Invocation ويُسمَّى بحسب الفعل المترتب عليه = "**الحلول**" إمَّا "**للكلمة**" أو "**للروح القدس**".

ولكن من جهة ترتيب هذه العناصر الأساسية والتعبيرات الخاصة بها، فإن ليتورجية مار مرقس تُعتبر ليتورجية مميزة للطقس الشرقي عامةً والطقس الإسكندري بصفة خاصة جداً.

ويأتي ترتيب صلوات ليتورجية مار مرقس (القداس الكيرلسي) كالآتي:

1ـ صلاة الشكر (**المقدِّمة**) **وتشمل**:

(أ) سلام الكاهن للشعب وهو على هيئة ديالوج ـ حوار ـ مع الشعب "**الرب مع جميعكم**".

(ب) رفع القلب = Sursum Corda حسب التعبير الليتورجي الشائع: "**ارفعوا قلوبكم**".

(ج) الدعوة للاشتراك في الشكر (في الإفخارستيا) "**فلنشكر الرب**".

(د) "**مستحق ومستوجب**" مع أفعال التسبيح السبعة.

(هـ) المضمون الذي تنطوي عليه صلاة الشكر (المقدِّمة).

ـ الشكر على خلقة العالم وخلقة الإنسان.

ـ الشكر على حق تقدمة ''الذبيحة الناطقة والخدمة غير الدموية''.

– الشكر على عظمة اسم الله (وردت في ''الديداخي'': نحن نشكرك من أجل اسمك القدوس).

[وهنا تعترض الأواشي]

ثم يعود لتعظيم اسم الله في بداية التسبحة الشاروبيمية هكذا:
''لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة وكل سيادة وكل اسم**!**''

2ـ الصلوات التوسلية (الأواشي):

وتنتهي بالصلاة من أجل قبول القرابين.

3ـ مقدمة التسبحة الشاروبيمية:

وهي تكملة لصلاة المقدمة حيث المقدمة تمهد أساساً للتسبحة الشاروبيمية. والصلة بينهما تتركز في وصلة ''تعظيم اسم الله'' الذي هو موضوع التسبحة الشاروبيمية نفسها **"قدوس"**.

4ـ التسبحة الشاروبيمية.

5ـ الاستدعاء الأول: (الصغير)

وهو عبارة عن وصلة انتقال من التسبحة الشاروبيمية لبداية التأسيس (التقديس على الخبز والخمر).

6ـ رواية التأسيس:

تلاوة كلمات الرب على الخبز والخمر للتقديس.

7- التذكار.

8- الاستدعاء الثاني:

مع طلب تأثيرها الروحي.

9ـ الذكصولوجيا الأخيرة.

❋ ✣ ❋

والآن نبدأ في دراسة الليتورجيا، ولتسهيل ذلك نقسِّمها إلى عناصرها الأساسية:

مميزات الليتورجية الإسكندرية (المصرية)

التي تميزها عن كافة الليتورجيات السوريانية وما تفرَّع عنها

أولاً: من أهم الصفات الأساسية، مجيء صيغة ''لتقديم الذبيحة'' أو "**تقريب الذبيحة**" ـ وكلمة الذبيحة هنا ذات اعتبار هام جداً ـ في **مقدِّمة الليتورجية** (مع ''مستحق وعادل'') ومركَّبة عليها بإحكام، في حين أن في كافة القداسات الأخرى تأتي هذه الصيغة في نهاية "**التذكار**" ''anamnesis''، حيث تأتي حينئذ لا باسم "**تقريب ذبيحة**" بل ''نقرِّب لك **قرابينك** من الذي لك''. وفي الحقيقة بينما كافة الليتورجيات السوريانية البيزنطية الأخرى لا يمكن أن تغفل ذكر التجسُّد والفداء كموضوع للشكر (فكر متأخر زمناً)، إلاَّ أن مقدِّمة القداس المرقسي أغفلت ذكر التجسُّد والفداء عن عمد، إذ جعلت عوضاً عن ذلك الشكر على الذبيحة الناطقة التي هي موضوع الليتورجيا بأكمله[31] (برهان قدم زمن تأليفها).

ثانياً: أمَّا الميزة الأساسية الثانية التي فيها تختلف عن باقي الليتورجيات الأخرى جميعاً بما فيها نفس القداسات المصرية الأخرى، فهي مجيء الصلوات التشفعية، أي الأواشي العامة ''الشفاعة العظمى Great Intercession''، بعد مقدِّمة الليتورجيا ''مستحق وعادل أن نشكرك'' **وقبل بداية** التسبحة الشاروبيمية، في حين أن كافة الليتورجيات الأخرى سريانية ومصرية، تضعها بعد ''الاستدعاء'' أي في النهاية تقريباً.

ثالثـاً: موضـوع ''الاسـتدعاء'' الأصـلي Epiclesis، أي التضـرُّع لحلـول الـروح القـدس علـى الصعيدة، يأتي قبل التأسيس مباشرةً، أي قبل تلاوة ''كلام الرب يسوع'' على الخبز والخمر. على أنه، مؤخراً، وُضع استدعاء آخر في كافة الليتورجيات المصرية – بما فيها ليتورجية مار مرقس أيضاً – بصيغة عقائدية مطوَّلة في مكانه الحديث، تمشياً مع الوضع السرياني والبيزنطي بعد «**التذكار**»: [ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدَّسة وقيامته من الأموات ... إلخ].

---

(31) والسر في ذلك هو طقس "**تقديم الحمل**" قبل القداس، وهو موضوع سرًّا ولم ينتبه إليه أحد منذ وضع إلى الآن، وهو بحد ذاته إفخارستية كاملة حدث فيها تحوُّل للخبز والخمر وهو من وضع الرسل، كما وجدناه في المخطوطة المسجَّلة في ملزمة اللوحات في نهاية الكتاب.

أولاً: المقدمة

(أ) **السلام الذي يبتدئ به الكاهن المصلِّي** هو على هيئة حوار (ديالوج) بين الكاهن والشعب: "**الرب مع جميعكم** Ð KÚrioj met¦ p£ntwn Ømîn":

ويُعتقد أن الكلمة الأخيرة Ømîn مضافة، وهي التي تحدد المخاطَب بصفة الجمع ''أنتم''، والدليل على ذلك عدم وجودها في الأصل في النسخ القديمة[1]، كذلك لا نجدها في النسخة المستخدمة عند الروم القديمة منها والحديثة[2]، كذلك لا نجدها في قوانين التقليد الرسولي لهيبوليتس الخاصة بالمعمودية، كذلك لا توجد في جميع النسخ القبطية القديمة الخاصة بالإجراءات الطقسية الأخرى[3].

ومما يزيد اليقين بأن كلمة Ømîn مضافة، عدم وجودها في الجُمل التخاطبية المماثلة التي تأتي بعدها في الطقس. فهي ليست موجودة مثلاً في الدعاء e„r»nh p©sin وترجمتها "**السلام للجميع**" (ولم يقل ''لجميعكم'') التي تأتي بصورة متكررة كثيراً ليس في الطقس القبطي فقط بل وفي السرياني أيضاً، حيث تأتي كلها بدون تحديد المخاطَب، وهذا كان **نوعاً من الأدب العبادي حيث الدعاء بالسلام أو الدعاء بوجود الرب لا يمنحه الكاهن للشعب بل يطلبه طلبة لنفسه وللجماعة: "الرب مع الجميع – السلام للجميع!!"**. ولكن تشجَّع الأقباط حديثاً واستخدموا المخاطَب الجمع "**جميعكم**" بعد أن لاحظوا استخدام الروم لها. لأن المعروف أن النُسخ اليونانية حذفت هذه التحية الأصلية التي كانت بالصيغة المصرية واستعاضت عنها بتحية من الكتاب المقدَّس يرد فيها كلمة ''جميعكم'' وهي الواردة في 2كو 14:13: «نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس "**مع جميعكم**" » وأول مَنْ استخدم هذه الآية كاصطلاح ليتورجي هي الليتورجية الواردة في الكتاب الثامن لقوانين الرسل A.C. VIII، (حيث يُلاحظ فيها أن الله الآب استعاد موقفه قبل الابن تصحيحاً للآية) وقد وردت هكذا[4]:

`H c£rij toà pantokr£toroj Qeoà ka˜ ¹ ¢g£ph toà Kur…ou ¹mîn

(1) R.G. Coquin, “L’anaphore alexandrine de saint Marc”, *Le Muséon*, t. 82 (1969), p. 314.
(2) ANF vol. VII, p. 551ff.
(3) *Patr. Orient.* XXXI, p. 352.
(4) Lietzmann, *op. cit.*, p. 100.

'Ihsoà Cristoà ka˜ ¹ koinwn…a toà ¡g…ou pneÚmatoj œstw met¦ p£ntwn Ømîn

(ب) **ارفعوا قلوبكم** ¥nw Ømîn t¦j kard…aj:

يُلاحَظ أن كلمة Ømîn هنا أيضاً مضافة وغير موجودة في النسخ القديمة. والمعروف سواء في الأدب الفرعوني القديم[5] أو في اللاهوت الآبائي المسيحي القديم أن القلب هو الذي يؤدي وظيفة الفهم والمعرفة والحكمة. وقد حلَّ محله العقل في المفهوم الأكثر شيوعاً لتأدية هذه الوظائف في البلاد الأخرى. لذلك نجد في تقليد أورشليم وأنطاكية ـ كما هو وارد في عظات القديس كيرلس الأُورشليمي[6] وكما هو وارد أيضاً في قوانين الرسل الكتاب الثامن ـ هذا النداء آخذاً هذه الصورة ¥nw tÕn noàn أي "**ارفعوا العقل**".

ولكن ظلت كافة الليتورجيات في العالم محتفظة بـ "القلب" بحسب الطقس المصري القديم، وصارت جملة "ارفعوا القلب" اصطلاحاً عالمياً Sursum Corda.

ويشذ عن كل تقليد الكنيسة في هذه الجملة ما يستخدمه الطقس الموزاربك (الأسباني) إذ يقول: Aures ad Dominum وتعني "**الآذان للرب**".

(ج) **فلنشكر الرب** eÙcarist»swmen tù Kur…J:

هذه بداية صلاة الشكر "الكبرى" والتي بسببها يُسمَّى الطقس كله بصلاة الشكر أو "**سر الشكر**". وهي أصلاً في الطقس العبري، كانت تُقال فقط في نهاية الوليمة على كأس البركة وهو مرفوع في يد رئيس المتكأ. وكان لا يصح أن تكون (صلاة الشكر) حواراً، أي لا يرد عليها الجالسون (بالمرد المعروف الآن "مستحق وعادل") إلاَّ إذا كان الحضور لا يقل عن مائة شخص، فهي نداء لصلاة شكر جماعي وكان لا يصح النداء به إلاَّ في المجمع (اليهودي). أمَّا إذا كان العدد في حدود عشرة أشخاص فتكون صلاة الشكر "**الأصغر**" التي ليس لها رد (مثل صلاة الشكر العادية التي تُقال للتقديس على الكأس في طقس تقديم الحمل [فلنشكر صانع الخيرات الرحوم] وهي بدون مرد مباشر).

---

(5) في اللغة القبطية نجد كلمة "إنسان ذكي أو نبيه" تتركب هكذا: **ⲛⲉⲃϩⲏⲧ** ، وكلمة "جاهل أو غبي" تتركب هكذا **ⲁⲧϩⲏⲧ** ، أي بدون قلب. وكلمة "ماكر" تتركب هكذا: **ⲕⲁⲃϩⲏⲧ** ، وكلمة "صبور أو طويل البال": **ⲱⲟⲩⲛ̀ϩⲏⲧ**، وكلمة "نادم أو متأسف": **ⲟⲩⲱⲙ̀ⲛϩⲏⲧ**.

(6) Catech. XXIII, 4 f. (PG XXXIII, 1112; NPNF 2nd Ser., vol. VII, p. 153).

هذا النداء هو استحثاث الشعب لكي يشترك لا في ''مجرد شكر الرب'' فقط بل في صلاة الشكر بأكملها التي هي الإفخارستيا حتى النهاية، لهذا يرد الشعب أنه ''مستحق ومستوجب''.

(د) مستحق ومستوجب أن نسبحك:

يأخذ الكاهن كلمة ''مستحق ومستوجب''[7] من فم الشعب ويدخل في صلاة الإفخارستيا الكبرى.

ومن مميزات ليتورجية مرقس الرسول (الكيرلسي) أنها تقدِّم أفعال التسبيح بكثرة أكثر من أي ليتورجية أخرى. وقد يبدو لأول وهلة أن هذه الأفعال مبالغ في زيادتها، ولكن برجوعنا إلى مخطوطة بردية استراسبورج[8] (التي من القرن الرابع، والتي يتضح منها أربعة أفعال تسبيح على أقل تقدير – انظر صفحة 539و541)، بالإضافة إلى بردية المتحف البريطاني[9] (من القرن السادس)، مع النسخة اليونانية[10] والنسخة القبطية[11] اللتين من القرن الثاني عشر، تأكد لدينا أن مقدِّمة مار مرقس ذات صبغة خاصة تختلف عن باقي المقدمات التي لليتورجيات عامةً، فهي تحتفظ بأكبر عدد من أفعال التسبيح.

فمثلاً في ليتورجية سيرابيون التي من نفس زمانها (القرن الرابع) تأتي أفعال التسبيح هكذا:

قداس سيرابيون:

[مستحق ومستوجب أن **نسبِّحك، ونرتِّل لك، ونمجِّدك...]**

أمَّا في قداس القديس مرقس:

[مستحق ومستوجب أن **نسبِّحك** a„ne‹n **ونرتل لك** Ømne‹n **ونباركك** eÙloge‹n، **ونخدمك** latreÚein **ونسجد لك** proskune‹n **ونشكرك** eÙcariste‹n، **ونمجِّدك** doxologe‹n، **ونعترف لك** ¢nqomologe‹sqai ليلاً ونهاراً بشفاهٍ غير هادئة وقلب لا يسكت وتمجيدات لا تنقطع...]

(7) هذا المرد مأخوذ بحروفه من صلوات المجمع اليهودي حسب تقليد ما قبل المسيح: انظر:

(a) Baumstark, *Comparative Liturgy*, p. 88.

(b) E. Werner, *The Sacred Bridge*, p. 46, n. 45.

(8) انظر صفحة 538 -544.

(9) *Papyrus* 2037 E.F., publiched by H.J.M. Milne, *Catalogue of the Literari Papyri in the British Museum*, London, 1927, nº 232, p. 195 sq, cited by R.G. Coquin, *op. cit.*, p. 311.

(10) ANF. Vol. VII, p. 555.

(11) Brightman, *Liturgies Eastern and Western* p. 222.

يقول العالِم كوكان[12] إن أقدم نسخة للقداس الباسيلي ''السيرو - بيزنطي'' النسخة السريانية، ليس فيها سوى فعلين ''نشكر'' و''نمجِّد'': eÙcariste‹n - doxologe‹n.

ولكن هذا التسبيح الذي يقدِّمه الكاهن لا يمكن أن نعبر عليه دون أن نشير إلى مرد الشعب السابق "**رحمة السلام ذبيحة التسبيح**"، لأن روح هذا المرد يشرح لنا سر هذه الأفعال المترادفة والمتكررة بصورة ملفتة للنظر. فهذا المرد عبارة عن نقلة مفاجئة من وضع ذبائحي بالجسد والدم إلى وضع ذبائحي بالفم والشفاه. أمَّا سر هذا الانتقال المفاجيء فمذكور في فصل (دخول التسبحة الشاروبيمية). "**فالإفخارستيا**" تأخذ بحسب اسمها: ''سر الشكر'' وضعها التطبيقي العملي في ليتورجية مار مرقس باعتبارها ذبيحة شكر وتسبيح أصيلة، بل ذبيحة ''تسبيحات'' كصفة مميزة جذرية لليتورجية القبطية[13].

هذا ينقلنا إلى قيمة هذا **التسبيح الشكري** ومركزه الأصلي في وليمة الرب والولائم الفصحية بحسب التقليد اليهودي القديم، فصلاة الشكر الكبرى كانت تُقال في آخر الوليمة والكأس في يد الرب كما تسجله الأناجيل: «وشكر» حيث الشكر هذا كان عبارة عن صلوات شكر حارة وتسابيح وتذكارات « ثم سبَّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون »

أمَّا لماذا جاءت ''صلاة الشكر'' هكذا هنا في قداس القديس مرقس في المقدمة بدل النهاية باعتبارها صلاة وتسبيح وشكر ختامي، فلأنها تتبع إفخارستية سابقة هي ''تقديم الحمل'' وهي إفخارستيا كاملة وصلاة الشكر فيها كانت على الكأس ليتحوَّل إلى دم. انظر كتاب قداس الرسل "**تقديم الحمل**".

إذاً، فهذا الإمعان في التكرار المتعمَّد لأفعال التسبيح في ليتورجية مار مرقس إنما يكشف عن مدى قدمها وأصالتها التقليدية الأُولى جداً كذبيحة شكر وتمجيد لله.

كذلك لا نستطيع أن نتجاهل التأكيد من جهة دوام التسبيح الذي تصرُّ عليه مقدِّمة ليتورجية مرقس الرسول قائلةً: "**ليلاً ونهاراً**" كما جاء في بردية ستراسبورج (النصف الأول من القرن الرابع) فإن هذه النبرات توجِّه ذهننا إلى صفة التسبيح لدى الشاروبيم والساروفيم ''في كل زمان – أو على الدوام''، هذا ينبِّهنا إلى أن تركيب المقدِّمة يمهِّد مباشرةً للتسبحة الشاروبيمية Sanctus.

---

(12) R.G. Coquin, *op. cit.*, p. 319, n. 31.
(13) Greg. Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 222.

وهذا بدوره نأخذه كأحد العوامل التي ستبرهن لنا على أن الأواشي الكثيرة التي تعترض بين المقدِّمة والتسبحة الشاروبيمية ليس موضعها أصلاً في هذا المكان، فالأواشي منقولة. وسيأتي الكلام على ذلك في مكانه.

(هـ) مضمون تسبيح المقدمة:

والتسبيح بأفعاله السبعة كما تقدِّمه ليتورجية مرقس الرسول يدور حول حقيقتين:

الحقيقة الأُولى: الشكر والتسبيح من أجل خلقة السماء والأرض وخلقة الإنسان:

[أنت الذي خلقت السماوات وكل ما فيها والأرض وكل ما فيها، البحار والأنهار (والينابيع والبحيرات = في نسخة القرون المتأخرة، وهي تكشف عن واقع جغرافي مصري) وكل ما فيها ـ أنت الذي خلقت الإنسان كصورتك كشبهك وخلقت كل الأشياء بواسطة **حكمتك** نورك الحقيقي ابنك ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح.]

وهنا تكشف لنا كلمة "**حكمتك**" عن منابع عبرية أصيلة في ليتورجية مار مرقس، هذه الصفة المحببة في الصلوات العبرية المقتبسة في قوانين الرسل ـ الكتاب السابع. ولكن يوازيها أيضاً كلمة "**نورك**" وهي تكشف أيضاً عن منابع التقليد الإسكندري المعروف.

الحقيقة الثانية: الشكر والتسبيح من أجل حق تقديم الذبيحة:

[هذا الذي من قبله نشكر ونقرِّب لك معه ومع الروح القدس هذه الذبيحة الناطقة وهذه الخدمة غير الدموية، هذه التي تقدمها لك جميع الأمم من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى اليمين. لأن اسمك عظيم في جميع الأمم، وفي كل مكان يُقدَّم بخورٌ لاسمك القدوس وذبيحة طاهرة وقربان](14).

هنا الإحساس الأممي واضح، فهو تحدٍّ واضح لأورشليم الأرضية وللهيكل المخرَّب اللذين كانا عند اليهود هما موضع الذبيحة الطاهرة الوحيدين في كل العالم، لذلك وبسبب هذا الانتباه الواعي نجد أيضاً في تسبحة الشاروبيم أن واضع الليتورجيا القبطي يَعْمَد إلى حذف إحدى مقاطع التسبيح التي كانت أساسية في تسبحة "القدوساه" التي هي تسبحة الشاروبيم في المجمع اليهودي، حيث كان الطقس العبري يقول: «**مبارك مجد الرب في موضعه**» (حز 12:13). فلأن اليهود اعتبروا ـ امتداداً من ذلك ـ أن موضع الله على الأرض هو أورشليم وفي الهيكل بالذات، حذفها واضع الليتورجية

(14) نص بردية القرن الرابع.

القبطية عن عَمْد باعتبار أن الله هو في كنيسته في كل زمان ومكان.

كما يعمَد واضع الديداخي (نهاية القرن الأول) إلى نفس الأسلوب، عندما يقول: [نشكرك أيها الآب القدوس من أجل اسمك القدوس (شخصك) الذي جعلته **يسكن في قلوبنا**]. فهنا امتداد لانتقال سُكنى الله من الهيكل إلى قلب الإنسان في العهد الجديد: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.» (1كو 16:3)

(هنا تعترض الأواشي ـ فلو تجاوزنا وجودها وواصلنا النص نجده يرتبط هكذا:)

بقية المقدِّمة:

[لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة وكل سيادة وكل اسم يُسمَّى ...]

الاعتراض هنا شديد وعنيف من جهة العلماء على هذه المقدمة التي للقديس مرقس، وبالأخص العالِم ليتزمان الذي يقول بكل ازدراء إن مقدِّمة قداس القديس مرقس مأخوذة من قداس القديسين باسيليوس ويعقوب وبالأخص بسبب خلوها من الشكر على الفداء والخلاص وغلبة الشيطان وميراث الحياة الأبدية، الأمور التي أكملها الرب يسوع كما هو وارد في بقية الليتورجيات مثل ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس.

ولكن إذا انتبهنا لنظرية العالِم بومشتارك التي تقول إن خلو أي ليتورجية من بعض العناصر التي تبدو أساسية في الليتورجيات التي أمامنا الآن، هذا الخلو ـ بحد ذاته ـ يجعلنا ننتبه أكثر إلى قُربها من الأصل الذي نبعت منه ودخولها في أعماق القدم[15]، فإن أول ليتورجية أقامها الرسل لم تكن بأي حال من الأحوال أكثر ولا أقل من ليتورجية العشاء الأخير حيث كان الشكر فيها محدوداً فعلاً في إطار الخليقة وحسب. وهذا ينطبق بغاية الوضوح والدقة على الصلاة المعروفة في التقليد العبري في وليمة "**القدوش**" بصلاة الدخول إلى اليوم المقدَّس (السبت). بل إن ليتزمان نفسه يقول إننا سوف نكتسب معرفة أعمق إذا فحصنا المقارنة بين الليتورجية التي بين أيدينا الآن وبين هذه النصوص

(15) Baumstark, *Comparative Liturgy*, p. 16 ff.

العبرية[16]، التي منها نستطيع أن نكتشف أن صلاة الشكر على الكأس في أنافورا القديس مرقس المطابقة للطقس العبري القديم كانت منصبَّة كليةً على ذكر خلقة السماء والأرض والإنسان.

ومن هنا نستطيع أن نلمح في مقدِّمة ليتورجية مار مرقس نفس هذا العنصر البدائي التقليدي العتيق جداً قبل أن تدخل الليتورجية في مضمار المصارعات اللاهوتية واستعراض الدقة والشمول في اختيار العبارات العقائدية.

كذلك لا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن ''ذكر الخليقة'' كسبب أول وأساسي لصلاة الشكر بعد

---

(16) أمَّا طقس الصلاة الاحتفالية الخاصة بتحديد ''الدخول في يوم السبت'' المسمَّاه بصلاة ''قدوش السبت Sabbath Kiddush'' التي كانت تُقال في مساء الجمعة (حوالي الساعة السادسة) فهي كالآتي:

''تعليمات بخصوص البركة على الخمر في الاجتماع المقدَّس (العشاء)، والتحذيرات من أجل عدم تناول شيء قبل أن يباركها المتناول منها'':

بصوت منخفض: وكان مساء وكان صباح. (يُلاحظ في التقويم العبري أن المساء يأتي في أول اليوم الجديد).

بصوت مرتفع: اليوم السادس:

أ { **واكتملت السماء والأرض وكل جندها،** وفي اليوم السابع أكمل الله كل عمله الذي عمل،
واستراح في اليوم السابع من كل عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدَّسه لأنه استراح فيه من كل أعماله التي عملها الله وخلقها.

هذا هو إيمان معلمينا وكل الربيين وكل السلطات:

صلاة على الكأس:

ب { مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الدهور الذي خلق ثمر الكرم.
مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الدهور يا مَنْ قدَّستنا بوصاياك، وأنعمت علينا بمحبتك ونعمتك وورثت شعبك هذا المقدس – **ذكر الخليقة التي كانت منذ البدء.**
لأن هذا اليوم هو بدء "الاجتماعات المقدَّسة" ذكر الخروج من مصر، لأنك أنت "**اخترتنا**" "**وقدَّستنا**" فوق جميع الشعوب وجعلتنا بمحبتك ونعمتك وارثين لسبتك المقدَّس، مبارك أنت يا رب يا مَنْ قدَّست السبت.

صلاة على الخبز:

وبعد هذا القدوس، تُقال البركة على "**خبزتين**" وعند كسر الخبزة الأسفل يُقال:

مبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك الدهور الذي أخرجت الخبز من الأرض.

وبعد الأكل يقول:

عندما ردَّ الرب سبي صهيون، **حينئذ امتلأ فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً.**

ويقولون البركة على الكأس ويسبِّحون التسابيح.

وينص تلمود بابل: [إنه من المعتاد أن يشترك في الوليمة **حتى تدخل الظلمة، وحينئذ يُملأ الكأس وتُقال بركة اليوم الجديد]** – وهذا القانون خاص بأيام السبوت وأيام الأعياد.

وهكذا توقف الوليمة في الحال بمجرد دخول اليوم الجديد وتُقال مردَّات بركات السبت (من أجل الخليقة).

ويقرِّر كل من العالمين: ''إلبوجين'' و''ليتزمان'' أن هذا هو طقس القدوس في زمن ما قبل الميلاد.

‘‘مستحق وعادل’’ في مقدمة الإفخارستيا أصبح ضرورة حتمية لم تُستثنى منها ليتورجية ما قط.

كذلك من المفيد أن يتذكر القارئ أن وليمة السبت في الطقس العبري انتقلت بكل مميزاتها وخصائصها، وصارت وليمة الأحد بعد أن أخذت طابعها المسيحي الذبائحي والخلاصي، لذلك **نجد فيها ذكر الخليقة واكتمالها التي هي أصلاً من خصائص اليوم السابع (السبت)**. وقد استخدمت الليتورجية المسيحية هذه الخاصية وامتدَّت بها لتشمل خلقة اليوم الثامن (الأحد) ـ الذي ليس من هذا الزمن ـ يوم القيامة الحقيقية الذي تمت فيه الخليقة الجديدة.

لذلك فإن مجرد عبور الليتورجيا من أخبار اكتمال خلقة السماء والأرض والبحر وكل ما فيها (يوم السبت) إلى الليلة التي أسلم فيها المسيح ذاته بإرادته، ثم ذِكر الآلام والقبر والقيامة (يوم الأحد) الذي التزم به مار مرقس في ليتورجيته، هو في الحقيقة وبالدرجة الأُولى عبور **من السبت إلى الأحد**، أي تحويل جذري للطقس من وضعه العبري القديم للشكر المنحصر في الخليقة العتيقة إلى وضعه المسيحي الجديد للشكر الشامل على الخليقة الجديدة. لذلك فهو تطبيق مباشر لوصية الرب «اصنعوا هذا (هذا الطقس) لذكري»

وتعليق العالِم ‘‘دكس’’ على الوضع التركيبي المبسَّط لمقدمة مار مرقس هو كالآتي:

[إنه من الممكن أن ندرك أن هناك طقساً بدائياً لصلاة الإفخارستيا يتكون بكل بساطة من مجرد الدعاء باسم الله يتبعه عدة تشكُّرات من أجل العهد الجديد وينتهي بتمجيد اسم الله. وحينئذ سيكون مثل هذا الطقس بدون بعض الأجزاء التي تُعتبر الآن مهمة لمثل هذه الصلاة. ولكن بالدراسة لأهداف التشكرات يمكن أن نتحقق أنها تخدم في نفس الوقت نوعاً من التذكار بمعنى إعادة ذكر أعمال يسوع المسيح أمام الله الآب، وبالنهاية فإنه من جهة تقريري الشخصي أستطيع أن أرى أن مثل "**هذه الصلاة ككل**" هي مأخوذة أو مقتبسة مباشرةً من ‘‘البركات’’ اليهودية Jewish Berakah التي استُخدمت بالفعل على العشاء الأخير وبعد ذلك في الكنيسة اليهودية المتنصِّرة.][17]

و ـ ذِكر اسم الله:

ومن الحقائق الهامة جداً ـ كما يقول العالِم ‘‘جريجوري دكس’’ ـ أن نعرف أن الموطن الذي نشأت فيه صياغة المقدِّمة وصياغة التسبحة الشاروبيمية هو مصر، فيما قبل سنة 230م، فقد صدَّرت مصر لكل من فلسطين وأنطاكية وروما[18] مقدِّمة الليتورجيا بكل خصائصها سواء ذكر

(17) Greg. Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 220.
(18) *Ibid*. p. 219.

الخلقة الأُولى أو الوصلة التقليدية بين المقدِّمة Preface والتسبحة الشاروبيمية Sanctus: ''لأنك أنت فوق كل رياسة وسلطان وقوة ... إلخ''، فلا عجب كما يقول ''دكس'' أن تكون مصر محتفظة بالوضع الأوّلي جداً للمقدِّمة المختصة بذكر الخلقة فقط في الوقت الذي تبارت فيه البلاد الأخرى في إضافة التجسُّد والفداء والخلاص ... إلخ. على أن قداس مرقس الرسول احتفظ بالشكر على أعمال التجسُّد والفداء وعرضها في مواضع أخرى غير المقدِّمة.

كذلك من الأمور الهامة والدقيقة أن نلمح اهتمام ''المقدِّمة'' في ليتورجية مرقس الرسول كما في مقدمة سيرابيون في **التأكيد على ذكر أسماء الأقانيم** بشيء من الإلحاح، تسمية **الآب بـ "الضابط الكل" والابن بـ "الوحيد حكمتك ونورك الحقيقي"**، ''هذا الذي نشكر ونقرِّب لك معه **ومع الروح القدس**''. لأن من الأمور المتيقنة في طقس خدمة الإفخارستيا أن النداء بالاسم، اسم الله الآب والابن والروح القدس على القرابين هو بحد ذاته فعل تقديسي بالدرجة الأُولى. لذلك نقرأ عند سيرابيون تشدُّده في الطلبات اعتماداً على هذا الدعاء بالاسم هكذا:

[لأننا **دعونا باسمك** أنت الآب غير المخلوق، بواسطة **وحيد الجنس، وبالروح القدس**.][19]

---

(19) وهنا يقدِّم لنا العالِم دكس تصوُّراً خاصاً للتركيب الأَوَّلي لإفخارستية مار مرقس في وضعها البدائي جداً، وهذا نعتبره من جهتنا جديراً جداً بالدراسة والفحص والاعتبار، وسوف نعود إليه في نهاية دراسة ليتورجية مرقس الرسول لنلقي عليه أضواءً أكثر.

يقول دكس ما معناه:

إن المقدِّمة (صلاة الإفخارستيا) لليتورجية مرقس الرسول كانت في الواقع تحمل البداية والنهاية لليتورجية كلها، فهي تبتدئ: (1) بذكر اسم الله ''الثالوث''، (2) ثم الشكر على الخليقة والإنسان، (3) ثم التقديم ويليه ملتحماً فيه التسبحة الشاروبيمية. فالأجزاء الهامة الأساسية الناقصة في هذه المقدِّمة هي ذكر التجسُّد والفداء وبقية أعمال المسيح، وموضعها الطبيعي الرسمي هو بين الشكر على الخليقة (رقم 2) والتقديم (رقم 3)، فلو تصورنا أن هذه الأعمال الخلاصية ذُكرت بالفعل في هذا الموضع فإننا نرى أن كل العوامل المكوِّنة لليتورجيا تكون قد تكاملت، وحينئذ يكون قول المقدِّمة: [هذا الذي من قبله يليق بك معه ومع الروح القدس...] عبارة هي في الواقع أصلاً بداية لختام صلاة، أي مقدمة ذكصولوجية ختامية، وواضح فيها أنها حُذفت وقُطعت العبارة فجأة ليلتحم فيها **تقديم الذبيحة من جديد** فصارت: [هذا الذي من قِبَلِهِ نشكر ونقرِّب لك معه ومع الروح القدس **هذه الذبيحة**...إلخ]. في حين تصوَّر العالِم ''دِكس'' أنها كانت – بدون تقديم للذبيحة – هكذا: [هذا الذي من قِبَلِهِ (بعد ذكر كل أعمال الفداء والخلاص التي عملها المسيح) يليق بك معه ومع الروح القدس – (هنا الذكصولوجية المصرية التقليدية) – لأن اسمك عظيم يا رب في جميع الأمم وفي كل مكان يُقدَّم بخور لاسمك القدوس ... لأنك أنت فوق كل رياسة وسلطان وقوة وفوق كل اسم ... ثم تسبحة الشاروبيم – ثم مرد الشعب الأصيل كختام نهائي لليتورجيا الموجود في نهاية ليتورجية سيرابيون [كما كان هكذا يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الداهرين آمين].

وبذلك يرى دِكس أن المقدِّمة بوضعها الكامل، أي بإضافة أعمال الفداء والخلاص ثم التسبحة الشاروبيمية، هي النواة الأُولى لإفخارستيا مار مرقس. وعندنا ما يبرِّر هذه الدراسة التي يقدِّمها دِكس وسوف نعود إليها في النهاية.

ز ــ نقرِّب لك معه ومع الروح القدس "هذه الذبيحة الناطقة":

الاعتراض هنا على أشده من كافة العلماء بدون استثناء بسبب اعتبار الخبز والخمر هنا ونحن في المقدِّمة "**ذبيحة ناطقة**" وهما لم يدخلا بعد عملية التقديس بالصلاة عليهما سواء بالتأسيس ''بكلمات الرب'' أو بالاستدعاء ''بالروح القدس''**!!** بل وقبل مقدِّمة الإفخارستيا، بل وقبل تلاوة الثلاث أواشي التي بعد الإنجيل التي في نهاية خدمة الصباح ــ فإن الكنيسة القبطية تعتبر أن الذي وضع على المذبح هو ''جسد الرب'' أي ''الجسد والدم''. وإليك شرح العالِم أبو البركات ابن كبر كاهن كنيسة المعلَّقة سنة 1230م في ذلك:

[ثم يبتدئ الكاهن بتقديس **الأسرار** ويقول أوشية السلامة والآباء ــ ويرفع البخور وتقول الجماعة ويقول الشعب الأمانة، ويأخذ الكاهن المبخرة ويبخِّر فوق "**الجسد**" **وقدام المذبح** ... **ويقبِّل يديه!**].

والسؤال الذي حيَّر العالِم ''ليتزمان'': أين ومتى صار الخبز والخمر "**ذبيحة**"، والليتورجيا لم تبدأ بعد؟ وأخيراً ظن هذا العالِم أن الطقس الشرقي يعتبر مجرد وضع الخبز والخمر على المذبح يجعلهما ذبيحة[20]، لأن ليتورجية سيرابيون تسلك نفس المسلك. أمَّا العالِم ''جون ماسون نايل'' فتقدَّم خطوة أكثر في تحليله لهذه العقدة الليتورجية المستعصية، فيقول:

[إن عائلة ليتورجية الإسكندرية لها نظرية خاصة في صلاة الاستدعاء لحلول الروح القدس، والنظرية تقوم على ما يبدو لي كما هو الحادث في جميع الليتورجيات أنه يوجد ازدواج في الصعيدة (أي صعيدتان في ليتورجية واحدة) **الأُولى** بالخبز والخمر، **والثانية** بالجسد والدم.][21]

أمَّا العالِم جريجوري دِكس فقد حار وضاق به التفكير حتى قال:

[إن هذا المقطع صعب شرحه ... لأن اصطلاح ''الذبيحة غير الدموية'' معروف ومستخدم بواسطة كُتَّاب القرن الرابع مثل كيرلس الأُورشليمي سنة 348م أنه يفيد بصفة خصوصية كأس الإفخارستيا **المقدَّس** والخبز الإفخارستي **المقدَّس**. لذلك كان ذِكر ''الذبيحة غير الدموية'' على الخبز والخمر قبل تلاوة التأسيس (أي قبل كلمات الرب على الخبز والخمر) هو صفة غريبة وخاصة بإفخارستية مصر.][22]

(20) Lietzmann, *op. cit*., p. 68.

(21) John. M.Neale, *op. cit*., 472.

(22) Greg. Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 166.

ويعود أيضاً ويعقِّب على نفس هذا الوضع بالنسبة لإفخارستية سيرابيون بقوله:

[إنه توجد صعوبة خاصة في الصلاة التي تطلب من الله أن ''يملأ **هذه الذبيحة بشركته وقوته**'' ـ وهما لا يزالان خبزاً وخمراً، كما أنه لا يمكن أن نتوقع أن يُقال على الخبز والخمر ''ذبيحة حية'' وهما بعد على المذبح، في هذه الدرجة من الصلاة (قبل تلاوة التأسيس على الخبز والخمر).](23)

بل والطامة الكبرى هي ما انتهى إليه العالِم جون ماسون نايل عندما لاحظ قبل ''الدخول الكبير'' عند الروم البيزنطيين (طقس القسطنطينية) كيف يستقبلون ''الخبز والخمر'' من موضع الإعداد المسمَّى ''بروثيسيس'' ـ وهو هيكل جانبي ـ بزفة واحتفال مهيب يبلغ حد العبادة، إذ يسير أمامها الكهنة والأساقفة ويسجدون ''للخبز والخمر'' ويضعون المرضى في الطريق لينالوا الشفاء، حتى رئيس الأساقفة ينزل عن كرسيه وينحني لهما بوقار رافعاً غطاء رأسه(24)، مع أن قداس المؤمنين لم يبدأ بعد**!!** أي لم يبدأ تقديم القرابين بعد**!!** فكان تعليقه الصارم المتشائم هكذا:

[إن هذا شذوذ فائق الغرابة ومذهل، فليس فقط أن التقديس لم يبدأ بعد بل ولا ''الدخول الكبير'' أيضاً.](25)

[إن عبادة مواد الإفخارستيا وهي لا تزال خبزاً وخمراً قبل أن يتقدَّسا أحدث عثرة كبيرة لدى علماء اللاتين واليونان... حتى قال بعض النُقَّاد أنها عبادة أوثان...](26)

ولكن كل هذه البلبلة وهذه العثرات والتخبُّط الذي وقع فيه العلماء هو بسبب جهلهم لحقيقة الطقس الإفخارستي الشرقي من جهة، ومن جهة الأجزاء الأكثر قِدماً والأكثر أهمية وخطورة والتي يتوقف عليها معنى كل ما يُقال وكل ما يجري في الليتورجية بحيث أن كل خطوة وكل كلمة تعتمد أساساً على ما يسبقها، فإذا حذف أو أهمل شيء في البدء، تختل الليتورجيا بأكملها.

أمَّا حل هذه المعضلة التي حيرت العلماء فهو يكمن في حقيقة غاية في الأهمية والخطورة، وهي أنه يوجد طقس إفخارستي ليتورجي كامل أهملته كل كنائس الشرق ولم يتبق منه إلاَّ إشارات عابرة، أمَّا كنائس الغرب فقد أسقطته كلية. ولم يبق هذا الطقس في صورته الكاملة الدقيقة إلاَّ في مصر. وهو الطقس المسمَّى "تقديم الحمل"، وهو في حقيقته وبمقتضى المعنى الذي

(23) *Ibid*.

(24) والعادة الحالية المتَّبعة عند الروم هي أن يُغطِّي رأسه لكي يستقبل القرابين (انظر: J. M. Neale, *op. cit.*, p. 374).

(25) John. M. Neale, *op. cit.*, 428, 436.

(26) *Ibid*., 373-375.

يحمل اسمه هو أقدم طقس تقديسي بالكامل حيث يقدَّم فيه الخبز والخمر ليتم تقديسهما فيصيران حملاً مهيأً للمحرقة، أو مهيأ في بداية القداس للتقديم للآب كذبيحة ناطقة، والخدمة غير الدموية!!

وهنا نتوقف عند هذا الحد لأننا سنوفي هذه الدراسة حقها فيما بعد. ولكن نكتفي هنا بأن نقول أن العبارات المقولة في مقدِّمة ليتورجية مرقس الرسول بخصوص الخبز والخمر باعتبارهما قد صارا ''الذبيحة الحية الناطقة غير الدموية'' أمر صادق وصحيح.

وأنه من المؤسف حقاً أن يعمد بعض اللاهوتيين الروم إلى إسقاط هذا التعبير اللاهوتي الخطير من قداس مار مرقس في النسخة اليونانية، وذلك في القرون الوسطى بعد أن أعيتهم الحيل في فهم قيمته، ولكن شكراً لبردية استراسبورج التي من القرن الرابع، لأنها احتفظت بالحقيقة.

كذلك فإن الاحتفال المهيب والتقديس الفائق والسجود اللائق الذي يقدِّمه الروم ''للخبز والخمر'' وهم يتقدَّمون بهما إلى المذبح قبل ''الدخول الكبير'' هو صادق وصحيح ومستوجب أيضاً، لأن المفروض أن يكون ''الخبز والخمر'' قد جازا بالفعل صلاة التقديم التي يتم فيها تقديس الخبز والخمر فيصيران حملاً بلا عيب مهيأ للذبح عن حياة العالم، كما يهتف عندهم الشمامسة للحمل في لحظة دخول البروثيسيس (التقدمة) هكذا قائلين: ''ليصمت كل ذي جسد بشري، وليقف بخوف ورعدة، ولا يفتكرنَّ في نفسه فكراً أرضياً، **فإن ملك الملوك ورب الأرباب يُوافي ليُذبح ويُعطى مأكلاً للمؤمنين** وتتقدَّمه صفوف الملائكة وكل الرئاسات والسلطات''(27) ـ قداس القديس باسيليوس عند الروم (تقال هذه القطعة ثلاث مرات)**!**

ثم بعد دخول الشمامسة والكهنة الهيكل حيث يضع الصينية بجوار الكأس (لاحِظ أن القداس لم يبدأ بعد ولم يبدأ حتى التقديس على الخبز والخمر) ـ يقول هذه الصلوات: ''إن يوسف التقي **أحدر جسدك الطاهر من على العود** ولفه بالسباني النقية وحنطه بالطيب وأضجعه في قبر جديد...''(28)

وكذلك هذا الافشين الذي للتقدمة: ''اقبلنا بحسب كثرة رحمتك لدى اقترابنا من مذبحك المقدَّس لكي نصير أهلاً لأن نقدِّم لك **هذه الذبيحة الناطقة غير الدموية عن خطايانا وجهالات شعبك**.''(29)

من هذا يتبين أن الخبز والخمر ليسا هما بعد ـ ونحن هنا في المقدِّمة ـ خبزاً وخمراً، بل هما: **"ملك الملوك ورب الأرباب قد وافى ليُذبح ويُعطى مأكلاً للمؤمنين، وهو الجسد الطاهر المنحدر**

(27) كتاب خدمة القداس الإلهي بقلم جراسيموس مسرة (طبعة ثانية منقحة) صفحة 135-139.
(28) شرحه.
(29) شرحه.

من على الصليب وهو الذبيحة المقدَّمة لله الآب عن خطايانا وجهالات شعبك".

ثم ألا يكفي كل هذا لينبه العلماء واللاهوتيين عن سر هذا التناقض حتى يستدركوا ما انهدم من الطقس وما أُهمل وما نُسي؟

ونعود وننبه أن طقس تقديم الحمل عند الأقباط يحمل سر فهم الليتورجية ليس في مصر وحسب بل وفي كل العالم، فهو المفتاح الوحيد الذي سوف يفك كل ألغازها.

ولا يفوتنا هنا أن ننبه أن العالِم ''كوكان R.G. Coquin'' يظن خطأً أن قداسي باسيليوس الكبير وذهبي الفم قد أغفلا ذكر "**الذبيحة الحية**" في مقدِّمة قداسيهما واستعاضا عنها، كما يقول، بالاصطلاح الأكثر إبهاماً ''نقدِّم لك هذه العبادة العقلية prosfšrein t¾n logik»n taÚthn latre…an''.

ولكن بمراجعتنا لنصوص قداسيهما وخصوصاً في النص القديم في خولاجي البربريني وجدناهما يفصحان بكل تأكيد عن مفهوم "**الذبيحة الحية**" في أوشية التقديم قبل البدء بالقداس[30]. وبذلك يتساوى الطقس البيزنطي (القسطنطيني) مع الطقس القبطي في الإشارة القوية العملية إلى طقس تقديسي كامل للخبز والخمر يسبق البدء في القداس الرسمي[31].

---

(30) R.G. Coquin, *op. cit.*, p. 319.

(31) ويهمنا جداً أن نسجِّل هنا لجريجوري دِكس تصوُّره من جهة الشكل البدائي جداً لإفخارستية مصر أو على وجه الأصح لأول إفخارستية مصرية إذ يقول متسائلاً:

1– هل كانت صلاة الإفخارستية الأصلية في الإسكندرية عبارة عن عدة تسبيحات (كالتي تُقال في بداية المقدِّمة الآن)، والتي يتبقى منها الآن ذكر الخليقة يتبعها ''تمجيد الاسم'' وتنتهي في القمة بالتسبحة الشاروبيمية؟

2– ثم هل باقي الصلاة (صلاة الليتورجيا الآن بأكملها) تعتبر عينة أخرى للإضافات التي توسطت بين صلاة الإفخارستيا (المقدمة) والتناول؟

3– هل الانتقال الغريب المفاجيء بعد التسبحة الشاروبيمية إلى بقية الصلوات التي بعدها يفيد أن بقية الصلاة لم تكن أصلاً متصلة إطلاقاً بالتسبحة الشاروبيمية؟ (أي أن التسبحة الشاروبيمية كانت هي النهاية حيث يعقبها التناول؟).

4– ثم في النهاية هل لنا في قداس القديس مرقس أن نلمح بقايا إفخارستيا أصيلة عبارة عن "**تسبيحات**" يسبقها "**ذكر الاسم**" وتنتهي "**بتمجيد وتقديس للاسم**" وتكون هذه هي "**الجذر الليتورجي للتقليد المصري**"؟

أمَّا تعليقنا على هذا، فهو أن هذا التصوُّر ناقص جداً ويستحيل أن تكون إفخارستيا بدون فعل تقديم، ثم تقديس خبز وخمر، ثم استدعاء، ثم تسبيح للشكر بعد التناول.

إذاً هذا التصوُّر الذي يقدِّمه دِكس يكون صحيحاً فقط لو أخذنا في الاعتبار أن طقس تقديم الحمل يغطِّي هذه الالتزامات الإفخارستية الأساسية، لأنه حينئذ لا يتبقى بعده إلاَّ الشكر والتسبيح الأخير قبل وبعد التناول الذي يحتمل أن تكون له هذه العناصر. وفي هذه الحالة يكون تصوُّر جريجوري دِكس صحيحاً وسليماً فيما يختص بما هو بعد البركة على الخبز والشكر على الكأس واستدعاء ظهور وجه الرب على الخبز والخمر ليقدِّسهما ولينقلهما إلى جسده ودمه، كما هو وارد قي طقس تقديم الحمل القبطي الآن تماماً.

ح – ''وفي كل مكان يُقدَّم بخور لاسمك القدوس **وذبيحة طاهرة وصعيدة** qus…a ka^ prosfor£'' حسب بردية القرن الرابع:

لو عدنا للنص كما جاء في سفر ملاخي (حسب النص العبري)، نجده لا يحتوي على هاتين الصفتين اللتين للتقدمة، إذ يقول ملاخي النبي:

+ «لأنه من مشارق الشمس إلى مغاربها اسمي عظيم بين الأمم وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور **وتقدمة طاهرة**.» (ملا 11:1)

من هذا يتبين لنا أن واضع القداس قصد قصداً أن يذكر صفتين متضامنتين جديدتين للتقدمة التي يذكرها ملاخي. فبدل أن كانت ''تقدمة طاهرة'' التي تشير إلى **تقدمة البخور فقط** التي كان مصرَّحاً بها لليهود الذين في الشتات في وسط الأمم لكي يقدموها في مجامعهم، جعلتها الليتورجية المسيحية هنا "**ذبيحة طاهرة**" بدل ''تقدمة'' (وذلك حسب نبوَّة ملاخي، ولكن في الترجمة السبعينية) ''وصعيدة'' بمفهوم إصعاد الإفخارستيا التي تقدمها كنائس الأمم، بحسب شرح القديس يوستين في حواره مع ''تريفو'' (116-117).

كذلك قصد واضع الليتورجية باختياره هذه الآية، قول الرب فيها «إن في كل مكان يُقدَّم لي» ... ثم أضاف كلمة ''الذبيحة'' بدل «البخور» وذلك ليستبدل مفهوم الذبيحة المقصورة على هيكل أورشليم فقط بالإفخارستيا المقدَّمة في كل مكان في العالم.

لذلك فإن تعبير «**ذبيحة** طاهرة **وصعيدة**» هي محاولة للتعبير من واقع حالة ''الخبز والخمر'' في هذه اللحظة من القداس، فهما ليسا الآن تقدمة وحسب وهما ليسا ذبيحة وحسب ولا هما صعيدة فقط، بل هما "**ذبيحة وصعيدة معاً**" أي ''ذبيحة مرفوعة'' أو "**إصعاد ذبيحة**". وبلغة الليتورجية تكون هي صميم البروسفورا ''الصعيدة'' ذات ''الثيسيا'' أي ذات ''الذبيحة''.

☙✞☙

ثانياً: الأواشي: الصلوات التوسلية

هنا نستخدم كلاً من مخطوطة دير البلايزا (القرن السادس)، ومخطوطة برايتمان (القرن الثالث عشر)، والمخطوطة التي استخدمها ليتزمان (وهي من القرن الثاني عشر).

ملاحظة: يستخدم الكاتب في أبحاثه هنا وتحليله بعض الدراسات لكل من العلماء ليتزمان ـ ريتشاردسن ـ دكس – سراولي – لوي بوييه – كوكان – جوزيف يونج – جون ماسون نيل.

الأواشي: الصلوات التوسلية: Intercession prayers

في التقليد الإسكندري (المصري) القديم حتى القرن الثالث، كانت هذه الصلوات التوسلية تابعة أصلاً وبطبيعة الحال ضمن الخدمة الصباحية[1] العامة Synaxis (الأواشي الثلاث للمؤمنين بعد الإنجيل). لهذا فإن **الليتورجيا ــ أو على وجه الأصح ــ صلاة الإفخارستيا** التي كانت تُقام وقتئذ بدون ''سيناكسيس'' (في المساء غالباً) في كل زمان ما قبل مجمع نيقيه، كانت خالية من هذه الصلوات التوسلية[2]. غير أنه لا ينبغي أن يغيب عن البال أن صلاة تقديم الحمل كان يُتلى فيها هذه الصلوات التوسلية ــ وكانت تُتلى علناً ــ ولكن كانت لحساب أصحاب القرابين خاصة (وهذا الطقس مسائي أصلاً).

غير أنه في القرن الثالث أيضاً انضمت ليتورجية الإفخارستيا بكاملها (تقديم الحمل زائد صلاة الإفخارستيا) إلى الخدمة الصباحية، فجاءت صلاة الإفخارستيا بعد تلاوة الأواشي الثلاث التي للمؤمنين التي في ختام خدمة الصباح (السيناكسيس)، وهكذا بدأت الكنيسة تعتبر أن الأواشي الثلاث التي للمؤمنين جزءٌ تمهيديٌ للإفخارستيا[3].

بل إن الليتورجيا المصرية اعتبرت هذه الأواشي الثلاث التي للمؤمنين (التي في نهاية خدمة الصباح بعد الإنجيل) **أنها جزءٌ أصيل من تقديس الأسرار**. وإليك شرح العالِم أبو البركات بن كبر كاهن كنيسة المعلّقة في كتابه ''مصباح الظلمة'' (1230م):

---

(1) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 170.

(2) *Ibid*.

(3) Dix, *op. cit.*, p. 170.

[ثم يبتدئ الكاهن بتقديس "السرائر" ويقول أوشية السلامة وأوشية الآباء ـ ويرفع البخور هنا ـ ويقول الجماعة (**أوشية الاجتماعات**) ـ ثم يبتدئ الشماس بالأمانة إذ يقول ''بحكمة الله انصتوا'' ـ ويقول الشعب ''بالحقيقة نؤمن''].

لاحِظ هنا قول ابن كبر ''ثم يبتدئ الكاهن **بتقديس السرائر ويقول أوشية السلامة** ... **إلخ**''، إذاً، فصلاة الأواشي الثلاث هي تقديس للسرائر في عرف ابن كبر العالِم الطقسي القبطي وليست بداية للقداس الوصفي بعدها.

وفي خولاجي القديس سيرابيون نجده يضع أواشي المؤمنين هذه بمفردها منفصلة عن الجزء الخاص بالإفخارستيا[4]. ولكن الكنيسة ظلت تشعر بمسيس الحاجة إلى إدخال بعض الصلوات التوسلية داخل جسم الإفخارستيا ذاتها، ولكن الكنيسة اصطدمت بأن صلاة الإفخارستيا (المسمَّاه الآن بالمقدِّمة preface) عبارة عن صلاة واحدة متماسكة جداً تعبِّر عن الشكر والتسبيح والتمجيد لاسم الله فقط ـ وأوضح نموذج لذلك صلاة إفخارستيا القديس مرقس (المقدمة). ولكن الكنيسة صممت على إدخال الصلوات التوسلية داخل هذه الصلاة مهما أحدث ذلك من ارتباك في شكلها البدائي وفي هدفها البسيط[5].

ونحن إذا فحصنا الأواشي المسماه ''الصلوات التوسلية'' التي في داخل إفخارستيا القديس مرقس الرسول (القداس الكيرلسي)، نجد أن ضمن الستة عشر أوشية هناك نفس الثلاث أواشي التي تُقال في نهاية خدمة الصباح synaxis بعد الإنجيل (أي: السلامة، والآباء والاجتماعات) وهذا دليل دامغ على محاولة الكنيسة أن تجعل الإفخارستيا ''خدمة''، أي ليتورجية كاملة، فهي لم تكتف بضم خدمة الأواشي الثلاث مع خدمة الصباح كلها لجسم الإفخارستيا (الذبيحة) ـ انظر قول ''ابن كبر'' أعلاه، بل وأدخلت هذه الأواشي عينها مرة أخرى داخل مقدمة صلاة الإفخارستيا غير عابئة بالتكرار أي بالازدواج الذي لا بد أن يعبر عليه المصلي إذ بعد أن يتلو الكاهن الثلاث أواشي الكبار في نهاية الإنجيل، يعود فيتلوها هي بذاتها في بداية إفخارستيا مرقس الرسول.

على أن كلاً من قداسي باسيليوس وغريغوريوس حاولا التخفيف من أثر هذا التكرار، أي الازدواج الحتمي، فغيرا من منطوق وكلمات هذه الأواشي الثلاث، فضاعت بسبب ذلك الصلة

---

(4) *Ibid*.
(5) *Ibid*.

التي تربطها بأصلها الذي أخذت عنه، لولا قداس مار مرقس (الكيرلسي) الذي تمسَّك في أصالة رائعة بنفس الأواشي دون تغيير (إلاَّ في مقطع واحد من مقاطع أوشية الاجتماعات، وسوف نلاحقه بالدراسة في موضعه) فأبقى على الأصول الأُولى للطقس واضحة حية.

ولكن لا يمكن أن نعبر على مثل هذا الإجراء، أي إدخال هذه الأواشي عينها مرة أخرى في إفخارستية مار مرقس، ببساطة. فالعمل يبدو في ظاهره غير مناسب بل مخلاًّ برزانة الصلاة بل ومقلقاً. إذاً، فلا بد أن تكون هناك حقيقة خطيرة وراء هذا الإجراء تحمل ضرورة جوهرية أوقفتنا إزاء هذا الوضع الازدواجي، فما هي هذه الحقيقة؟ هذا ما سنشرحه في الصفحات القادمة.

ولكن سرعان ما شعر واضعو ومنقحو الليتورجيات في مصر منذ القرن الرابع بالحاجة إلى نقل هذه الصلوات التوسلية من المقدِّمة (مثل قداس مار مرقس) إلى ما بعد تقديس القرابين (مثل قداس سيرابيون) حتى يكون ذكر هذه الأمور الخاصة والعامة بحضرة الجسد والدم، أي بحضرة المسيح!

وهذا بالطبع يكشف عن بداية **ضعف مفهوم الإجراء التقديسي الذي تم في طقس "تقديم الحمل" الذي بحسبه تعتبر الأواشي التي في مقدمة ليتورجية مار مرقس أنها بعد التقديس!!!**
وهذا الاتجاه الجديد مسجَّل في عظات كيرلس الأورشليمي الذي حبَّذ هذا الوضع الجديد سنة 348م:
[أمَّا الصلوات التوسلية، فإنها معونة عظمى لنفوس الذين من أجلهم جُعلت هذه التوسلات **في حضرة الذبيحة المقدَّسة الرهيبة**.][6]

ولقد جارى بعض الأساقفة في **مصر** هذا التطور الفكري الأُورشليمي ونقلوا بالفعل الصلوات التوسلية إلى ما بعد تقديس الخبز والخمر كما هو حاصل في قداس سيرابيون. وواضح جداً من سياق ترتيب الأواشي عند سيرابيون أن الصلاة من أجل الراقدين تحتل مكانة غير مناسبة، فهي لا تتصل بما قبلها ولا بما بعدها، وكذلك مرد الشعب في الختام يكشف عن تغيير حاصل في ترتيب الأواشي.

ولكن الطقس **الإسكندري** بقي متمسكاً بتقليده الرسولي الأصيل، ممثلاً في ليتورجية القديس مرقس الرسول، ولم ينقل الصلوات التوسلية من مكانها الذي احتلته منذ القرون الأُولى في داخل

(6) *Ibid.*, 199.

المقدِّمة (صلاة مقدِّمة الإفخارستيا ذاتها). وهكذا بقيت الصلوات التوسلية في قداس مرقس الرسول كجزء أساسي في داخل جسم المقدِّمة حيث تُتلى كلها قبل البدء في تقديس الخبز والخمر (في القداس الكبير ــ ''بعد تقديم الحمل'').

والنموذج أسفله يوضِّح ما تمَّ في مقدِّمة إفخارستية مار مرقس وكيف أُستوعبت الأواشي داخل صميم جسم صلاة الإفخارستيا:

المقدِّمة أصلاً: بدون أواشي	[مستحق وعادل أن نسبِّحك ... أنت الذي خلقت (بواسطة) ربنا وإلهنا يسوع المسيح ... هذا الذي مِنْ قِبَله نشكر ونقرِّب لك ... هذه الذبيحة ... **لأن اسمك عظيم** ... وفي كل مكان يقدَّم بخور **لاسمك** القدوس وصعيدة طاهرة]، [لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي].

المقدِّمة بعد إدخال الأواشي

مستحق وعادل أن نسبِّحك... أنت الذي خلقت... (بواسطة) ربنا وإلهنا يسوع المسيح... هذا الذي مِنْ قِبَله نشكر ونقرِّب لك... هذه الذبيحة... **لأن اسمك عظيم**... وفي كل مكان يقدَّم بخور **لاسمك** القدوس وصعيدة طاهرة	↑	لأنك أنت هو الله ... الذي فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي

إضافات تستغرق نحو نصف ساعة

1 ــ أوشية السلامة[7].

2 ــ أواشي المرضى.

(7) هذه الأواشي هي نفس الأواشي التي تُقال بعد الأناجيل.

3 ـ أوشية المسافرين.

4 ـ أوشية المياه والثمار.

5 ـ أوشية الملك.

6 ـ أوشية المنتقلين.

7 ـ أوشية القرابين.

8 ـ أوشية البطريرك(8).

9 ـ أوشية الأساقفة.

10ـ أوشية بقية الأرثوذكسيين.

11ـ أوشية الموضع.

12ـ أوشية الخديم.

13ـ أوشية الكهنوت.

14ـ أوشية الاجتماعات(9).

15ـ أوشية الطِلْبَة.

ملاحظات هامة:

يُلاحَظ أن جميع الأواشي من نهاية المقدِّمة: [لأن اسمك عظيم في كل مكان يقدَّم بخور لاسمك وصعيدة طاهرة ... إلخ]، إلى بدء [لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رئاسة]، أي أن جميع الأواشي أدخلت بكاملها على الليتورجيا. وذلك بقصد أن تكون الليتورجيا نافعة لخدمة كنسية عامة في خدمة الصباح.

يُلاحَظ في المخاطبة الافتتاحية التي يُخَاطب بها الله في قداس القديس مرقس أنها مشغولة ومعدَّلة، لكي توافق أن تكون قبل التقديس مع أنها أصلاً كانت بعد التقديس. لأنها كانت أصلاً صلاة شكر ختامية، تنتهي بذكصولوجية ختامية وكانت كالآتي:

(8) شرحه.

(9) شرحه.

شكر على الكأس:

الوضع الأصيل قبل التطوير	الوضع بعد التطوير
مستحق وعادل ... أن نسبِّحك ونرتِّل لك ... ونعترف لك **ليلاً ونهاراً** (قداسات المساء والصباح) أنت الذي خلق السموات أنت هو الذي خلق الإنسان، وخلقت كل الأشياء بحكمتك[10] بواسطة ربنا وإلهنا يسوع المسيح	
هذا الذي نقدِّم لك معه ومع الروح القدس المجد والإكرام والسجود (ذكصا ختامية)	هذا الذي من قِبَله نقدِّم [الإفخارستيا ونقرِّب] لك معه مع الروح القدس الثالوث المقدَّس المساوي غير المفترق هذه الذبيحة الناطقة وهذه الخدمة غير الدموية.
(انتهى) وهنا كانت تبدأ الأواشي والتذكارات والتسابيح حسب طقس عشاء الرب الأصيل[11]	
	هذه التي تقدمها لك جميع الأمم ... إلخ. حيث التسبحة الشاروبيمية ثم التقديس.

ونُلاحِظ هنا في هذه الصلاة التخاطبية للآب بعد التطوير أنها تنقطع فجأة من الوسط عند كلمة "وصعيدة طاهرة"، ليضاف عليها جميع الأواشي ولكن أصلاً هذه الصلاة في وضع مبكر تبدو أنها كانت متصلة بمقدِّمة التسبحة الشاروبيمية مباشرة، كالآتي:

[**لأن اسمك عظيم يا رب** في جميع الأمم، وفي كل مكان يقدَّم بخور **لاسمك القدوس** وصعيدة

(10) الشكر على كأس اليوم الجديد وذكر الخليقة استعداداً ليوم السبت.

(11) في الطقس اليهودي أيام المسيح: صلوات على كأس البركة ثم التسبيح والانصراف.

طاهرة. لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة وكل سيادة **وكل اسم يسمَّى** ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الآتي. **وأنت الذي يقوم أمامك** ألوف ألوف ... إلخ. (وبقية التسبحة الشاروبيمية)].

هذا يكون مطابقاً تماماً لأنافورا سيرابيون. أي أنها ـ أي الأواشي ـ زيدت ونُقلت بعد القرن الرابع (على يدي القديس كيرلس الكبير).

والسؤال: أين كانت أو أين تكون الأواشي إذاً؟

معروف أن هذه الصلاة التخاطبية التي للشكر والتسبيح كانت تُقال ـ بحسب طقس عشاء الرب الأصيل ـ في النهاية كتقديس أخير على الكأس المدعو ''كأس البركة'' عندما كانت الإفخارستيا يسبقها الأغابي، حيث كان يلي هذه الصلاة جميع الأواشي والتذكارات. **فلمَّا انتقلت هذه الصلاة لتأتي في المقدِّمة لتكون قبل التقديس انتقلت ومعها كل الأواشي** التي كانت تُقال بعدها، فجاءت الأواشي قبل التقديس. وهذا بالطبع كان في المراحل الأولى جداً التي أزيد فيها صياغة الليتورجيا لتصلح أن تقام بدون أغابي، وهذا يكشف عن قدم ليتورجية مار مرقس جداً.

ولكن في المرحلة المتأخرة في صياغة الليتورجيا، تعدَّلت الأواشي في كل القداديس الأخرى مثل قُدَّاسَي باسيليوس وغريغوريوس، فاستخلصت صلاة الإفخارستيا هذه من الأواشي التي بعدها، وجاءت هي في المقدمة، **وأُعيدت الأواشي والتذكارات إلى موضعها الأصلي بعد التقديس على كأس البركة (وحلول الروح القدس الآن)**[12].

ولكن ليس طقس ليتورجية مرقس الرسول وحده الآن هو الذي يضع الأواشي قبل التقديس والبركة، **فعندنا تقديم الحمل حيث نجد فيه أن جميع الأواشي أي الصلوات والتذكارات تأتي قبل تقديم الحمل: الأحياء والأموات والمرضى والمتضايقين والمسافرين وسلام وبنيان الكنيسة والقرابين، كل هذا قبل أن يبارك على الخبز ويشكر على الكأس. وهذا كان أصلاً في الحقيقة بمثابة خدمة مسائية "العشية"، تقام قبل تقديم الحمل، خدمة صلاة وتوسلات وطلبات.**

وهذا الطقس نراه تماماً في إفخارستيا ''يوستين'' الصباحية. وقد انتقل قداس مار مرقس من الخدمة المسائية إلى الصباحية، فأصبح هو نفسه طقس الخدمة الصباحية، أي أن قداس مار مرقس أو القديس

(12) هذا التعديل في وضع الأواشي ونقلها إلى ما بعد حلول الروح القدس إنما يتبع انتقال الفكر اللاهوتي من كون التقديس كان يتم أثناء صلاة الشكر الكبرى إلى كونه يتم الآن بحلول الروح القدس.

كيرلس أصبح يحتوي على نفس الخدمة، أي لا تأتي الإفخارستيا بعد خدمة صباحية ولكن ليتورجيا الإفخارستيا هي نفسها خدمة صباحية كاملة. فبعد تقديم الحمل تبدأ الليتورجيا شاملة القراءات، ثم يُبْدأ بأواشي الليتورجيا بعد المخاطبة، ولكن بقيت أواشي الخدمة الصباحية كما هي، فصار التكرار واضحاً: أواشي خدمة الصباح ثم أواشي الإفخارستيا مباشرة.

فلكي لا تصطدم الأواشي بتكرار واضح رفعت الليتورجيات الأخرى أواشيها واختصرتها، وجعلتها بعد حلول الروح القدس، ولكن في عصر متأخر عن ليتورجية مرقس الرسول التي احتفظت دون جميع الليتورجيات بوضعها الفريد.

ونحن إذا قارنا بين طقس الإسكندرية في إفخارستية مرقس الرسول وطقس روما نجد تأثير طقس الإسكندرية على طقس روما واضحاً في أمر الصلوات التوسلية هذه، إذ أن هذه الصلوات تأتي في طقس روما في البداية أيضاً وقبل التقديس على الخبز والخمر (في القداس الكبير)، ولكن بعد التسبحة الشاروبيمية. أمَّا في القداسات الخاصة بالأموات في روما فقد وُضِعَت أوشية للأموات بعد التقديس وذلك لكي يصيبهم أكبر قدر من قوة الأسرار (نظرية كيرلس الأُورشليمي) ـ وربما كان هذا هو أول دافع شجَّع على نقل كل الأواشي إلى ما بعد التقديس كما حدث في أورشليم.

أمَّا بالنسبة لطقس أفريقيا فيما يخص هذه الصلوات التوسلية، ففي التاريخ تُذكَر حادثة وقعت في أفريقيا على يد القديس كبريانوس حينما أصدر أمراً سنة 240م يمنع فيه ذكر اسم أحد الأساقفة (كان قد خالف نصوص أحد المجامع) وذلك من التقديم at the offertory، وكذلك أيضاً يمنع أن **تُقدَّم الذبيحة** عن نياحته (أو من أجل نياحته) لأنه **غير مستحق أن يُذكر اسمه في أوشية الأساقفة**[13].

وهذه الحادثة توضِّح أن أوشية الأموات كانت تُذكر مرتين: مرة في "التقديم" offertory ومرة بعد التقديس داخل الإفخارستيا. وهكذا يُستدل أن في سنة 240م في أفريقيا كانت العادة قد ترسَّخت بأن يُذكر أسماء المنتقلين في الصلوات داخل صلاة الإفخارستيا. على أن ذكر الأحياء لم يُذكر عنه قط في كتابات القديس كبريانوس أنه كانت هناك صلاة من أجلهم داخل القداس.

وفي الحقيقة أن اختلاف الكنائس في أمر هذه الصلوات التوسلية هو اختلاف كامل حيث لا توجد كنيسة تشابه الأخرى، فالبعض يضعها قبل التسبحة الشاروبيمية والبعض بعد التسبحة،

(13) Cyprian, *Epi. I*, 2.

وبعضها يضعها في البداية والبعض يضعها في النهاية. هذا يثبت أن وضع الصلوات التوسلية إنما دخل جسم الإفخارستيا في عصور متفاوتة[14].

وكان من نتيجة انضمام صلاة الإفخارستيا في القرن الثالث على الخدمة الصباحية Synaxis، أن حدث في الحال هذا الازدواج بين صلوات المؤمنين الثلاث المعروفة التي في ختام الخدمة الصباحية بعد الإنجيل والصلوات التوسلية التي أُدخلت داخل جسم الإفخارستيا، وهي صلوات من نفس النوع تقريباً.

لذلك فسرعان ما بدأت الكنائس تُهمل ثم تسقط شيئاً فشيئاً مُنذ القرن الخامس الأواشي الثلاث التي للمؤمنين التي في ختام خدمة الصباح من صلواتها[15]. وأخيراً تلاشت من كل الطقوس في كافة الكنائس كما هو حادث الآن في روما وسوريا (قداس السريان ليعقوب الرسول يخلو منها). ولكنها ظلت في التقليد القبطي تتنازع البقاء إزاء محاولة جادة من الكهنة المحدثين لإلغائها.

أمَّا في مصر في القرن الرابع فنعرف من قداس سيرابيون أنه كان يذكر الدبتيخا Diptychs، أي منشور بأسماء المنتقلين، (وهو أصلاً منشور من لوحين أي وجهين متصلين: وجه للأحياء ووجه للأموات، الذي أصبح من بعد القرن الرابع شيئاً ثابتاً رسمياً).

كذلك في عظات كيرلس الأُورشليمي ينكشف لنا أن في طقس أُورشليم كانت أسماء المنتقلين تُذكر بعد التقديس كما سبق وقلنا ولكن لا يذكر ذلك القديس كيرلس الأُورشليمي كأنه كان أمراً معتاداً في أيامه، بل يظهر كأنه يدافع عن هذا الإجراء، ولهذا يبدو أنه كان إجراءً حديث الممارسة آنئذ.

ذكر الأحياء: (سلامة الكنيسة، كل الشعوب، سلامة هذا العمر أنزلها على قلوبنا ...).

أمَّا بخصوص ذكر الأحياء، فأول إشارة رسمية وردت لنا من الغرب باستخدام الصلاة من أجلهم داخل القداس فكانت من أسبانيا، وبالتحديد في قوانين مجمع الفيرا Elvira سنة 305م في القانون التاسع والعشرين حينما يُذكر عرضاً أنه ممنوع ذكر أسماء الذين عليهم أرواح نجسة "على المذبح وذلك أثناء صلاة الصعيدة"، وذلك يعني غالباً في صلاة التقديم offertory أي قبل الإفخارستيا. والقانون يكشف عن أن أسماء المؤمنين كانت تُكتب في دَرْجٍ أو كشف Roll-call وهم غالباً الذين

(14) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 171.
(15) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 510.

قدَّموا القرابين والذين سيشتركون في التناول منها[16].

وفي الحقيقة يُعتبر ذكر الراقدين في سجل خاص تحرص الكنيسة مع المؤمنين على ذكرهم في ذبيحة الإفخارستيا، دليلاً يكشف عن عقيدة الكنيسة القوية الراسخة من جهة "**شركة القديسين**" ووحدة جسم الكنيسة من الأحياء والأموات معاً.

لوحا (الدِبتيخا Diptychs) في الشرق:

وهما لوح للأحياء ولوح للأموات يشمل أولاً أسماء القديسين الذين انتقلوا، المقيدين قانونياً في الكنيسة بأيام أعيادهم، وبعد ذلك أسماء الأشخاص الذين يتقدَّم بهم المسئولون في الكنيسة لتذكارهم.

وقد ظهر ذكر هذه (الدِبتيخا Diptychs) فجأة في طقس القسطنطينية سنة 420م وذلك أثناء النزاع الذي قام من أجل ذكر اسم يوحنا ذهبي الفم أو عدم ذكره، الذي كان قد رقد أثناء نفيه سنة 407م.

وفي هذه الحقبة الزمنية يتضح لنا من الكتابات والرسائل المتبادلة أن الطقس كان كالآتي في القسطنطينية:

1ـ كانت الأسماء للأحياء والأموات تُقدَّم في كشوفات منفصلة.

2ـ وكان كل منشور يلتزم بالتسلسل الكنسي: الأساقفة أولاً ثم القسوس ثم الشمامسة ثم العلمانيين أخيراً.

3ـ أن جميع الأساقفة السابقين كان لهم منشور خاص، أمَّا الأباطرة المنتقلون فكانوا على رأس قائمة العلمانيين.

ومن الخطابات المتبادلة بين أتيكوس بطريرك القسطنطينية وكيرلس الكبير بابا الإسكندرية بخصوص محاولة أتيكوس إقناع كيرلس الكبير بإدخال اسم يوحنا ذهبي الفم داخل الدِبتيخا أي (لوحي الأحياء والأموات "المجمع الآن")، يظهر أن طقس الإسكندرية كان يحتفظ بأسماء الأساقفة منفردين وحدهم قبل بقية الإكليروس والعلمانيين[17].

والمعروف في طقس الإسكندرية أنه كان يماثل طقس القسطنطينية[18].

(16) *Ibid*., p. 499.

(17) R.H. Connolly, *The Liturgical Homilies of Narsai* (Texts and Studies VIII, 1), Cambridge, 1909.

(18) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 502.

وتوجد بعض أقوال من أوائل القرن الثالث لأوريجانوس تشير إشارة واضحة إلى ذكر الأموات في الصلاة داخل الكنيسة:

[وأنهم يصنعون تذكاراً بخشوع للقديسين الذين رقدوا في الإيمان لكي ينالوا عزاء وسروراً طالبين أن **يكون لهم معهم أيضاً كمالٌ في الإيمان**.][19]

وهذه الجملة التي أوردها أوريجانوس تشير إشارة واضحة لنهاية أوشية الراقدين التي كانت مستخدمة آنئذ: ''وأمَّا نحن كلنا فهب لنا كمالنا المسيحي الذي يرضيك أمامك، وأعطهم وإيانا نصيباً وميراثاً مع كافة قديسيك'' (أوشية الراقدين)[20].

كذلك يقول أوريجانوس في موضع آخر:

[ويعتقدون أنه من اللائق أن يذكروا القديسين في صلواتهم ويعزوا أنفسهم بذكراهم.][21]

كذلك توجد بعض أقوال للقديس أثناسيوس الرسولي تشير إلى وجود أوشية القديسين الذين رقدوا، حيث يذكر الآباء القديسين الذين رقدوا بلهجة كنسية ليتورجية هكذا:

[ونحن نعلم أنه بمقتضى اعتراف إيمانك أنك ترغب أن تمسك بالتقليد الرسولي وتعيش بحسب وصايا الناموس الإلهي، **حتى نوجد نحن أيضاً معك في الجماعة التي هي الآن تضم البطاركة والأنبياء والرسل والشهداء في الابتهاج**.][22]

كذلك يذكر القديس أثناسيوس الرسولي أوشية للكنيسة وجزءاً من الطلبة الواردة في قداس القديس مرقس الرسول هكذا:

[ونحن نسأل الرب في الصلاة لكي برحمته يتراءف وينظر من علوه إلى الكنيسة الجامعة وينجِّي خدامه من أيدي المضطهدين، **ولكي كل الذين سقطوا بسبب** الخوف الوقتي أن **يقوموا ويعودوا إلى طريق التقوى، ويردهم من طريق الضلالة**.][23]

أمَّا أوشية (**الدِبتيخا Diptychs "ذكر الأحياء والأموات"**) فكان موضعها التقليدي في مصر

(19) Origen, *In Job I.* 3, cited by Bingham 5, p. 310.

(20) الخولاجي المقدَّس المطبوع.

(21) Origen, *Lib 9. in Rom.* 12.

(22) Athanasius, *Letter LI*, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 561-562.

(23) *Ibid*.

ـ بحسب ما هو وارد في قداس القديس مرقس الرسول ـ بعد المقدِّمة مباشرة حيث تبدأ الأواشي أولاً بسلامة الكنيسة وكل الشعوب.

وهذا الترتيب نجده في طقس روما وإيطاليا عامة في القرن الرابع حيث توجد صلوات الأحياء يتبعها ''سلامة الكنيسة'' بعد آخر فقرة من مقدِّمة صلاة الإفخارستيا. وهذا يُعتبر أحد النماذج الهامة جداً التي تكشف عن مدى تطابق طقس روما منذ القدم على طقس الإسكندرية. وهذا الأمر جدير جداً بالدراسة بأكثر مما أُعطي له سابقاً بسبب ما لهذا الموضوع من أهمية(24) خصوصاً ونحن نترجَّى الوحدة الكنائسية الآن.

وهذا التطابق يظهر أكثر بوضوح في البردية التي اكتشفت(25) في نواحي طيبة في صعيد مصر والتي قام العلاَّمة كرام بدراستها ونشرها والتي يوجد فيها الدِبتيخا Diptychs، حيث يذكر فيه أولاً بطريرك الإسكندرية ثم أسقف المدينة المحلي، ثم يذكر أسماء المتناولين الأحياء ومقدمي القرابين:

[ومن أجل خلاص (ذوي رتب) الكهنوت الكُلِّي الطهارة، الواقفين الآن والشعب المحب للمسيح وخلاص وعافية فلان وفلان وفلانة وفلانة الذين قدَّموا القرابين هذا اليوم وكافة أصحاب التقدمات].

أمَّا عادة ذكر البطريرك والأسقف المحلي هذه، فأول مَنْ استخدمها مصر، وأخذت عنها روما(26).

على أن هذه الصلوات التوسلية التي داخل الإفخارستيا ـ فيما قبل مجمع نيقية ـ يلزم أن ننتبه أنها كانت أكثر شخصية (أي فردية، أي تُتلى بالأسماء) أكثر من أواشي المؤمنين التي للعامة، التي كانت تُتلى في الخدمة الصباحية Synaxis، ولا يُتلى فيها أسماء خاصة إلاَّ فيما يخص الأشخاص ذوي الصفة المحددة العامة (كالملك والبطريرك)(27). وواضح جداً أن هذا يرجع إلى أن الإفخارستيا في القرون الأُولى كانت تُقام في البيوت بصفة شخصية، فكان الأسقف أو الكاهن يركز في صلواته وأدعيته على أهل البيت والحاضرين.

(24) Dix, p. 505.

(25) Pub. by W.E. Crum, *Proceedings of the Soc. for Bibl. Arch.* xxx, 1908, pp. 255 sqq., cited by Greg Dix, *op. cit.*, p. 505.

(26) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 509, n. 5.

(27) *Ibid.*, p. 510.

وفي التقليد القديم في مصر[28] ـ القرن الرابع ـ (كما في أورشليم وأنطاكية وكل سوريا) كما هو واضح من قداس سيرابيون، فإن **الأسماء الخصوصية الفردية** التي تتلى داخل الإفخارستيا ـ بعد التقديس ـ كانت مقصورة على **المنتقلين فقط**.

أمَّا في أورشليم[29] فانتقلت أسماء **المنتقلين من "التقدمة" مع أسماء الأحياء من السيناكسيس** synaxis، إلى الإفخارستيا في الموضع ما بعد التقديس مباشرة. وانتقل هذا التقليد من أورشليم إلى كل الشرق.

في حين أنه منذ ما بعد مجمع نيقية نرى في مصر بدء دخول أسماء الأحياء الشخصية كل شخص باسمه الخاص ـ خصوصاً مقدمي القرابين ـ كما هو مذكور في بردية نواحي طيبة (القرن السابع) التي قدمها وشرحها العالِم كرام السابق ذكرها (صفحة 552). ولكن هذا الطقس ضعف وتلاشى على ممر العصور.

ويقول دكس:

[وتوجد أدلة تعتبر أساساً حسناً للاعتقاد (ولكن الحقيقة أنه أمر مقطوع بكل تأكيد) أن الموضع الأصلي لهذه الألواح أو الأدراج المسجل فيها الأسماء (ليس من الأحياء فقط كما يظن دكس، بل ومن الأموات أيضاً) كان موضعها الأصلي هو ''التقدمة'' (أي صلوات "**تقديم الحمل**" عندنا.][30]

ولكن الأمر الذي أخطأ فيه دكس[31] هو اعتباره طقس سيرابيون في ذكر المنتقلين داخل الإفخارستيا بعد التقديس أقدم من طقس قداس مرقس الرسول الذي فيه ذكر المنتقلين يقع في نهاية مقدمة الإفخارستيا.

كما يُخطئ دكس[32] إذ يعتبر أن أسماء المنتقلين الفردية تُقال مرة واحدة، كما في قدَّاس مار مرقس وفي قدَّاس سيرابيون، أثناء الليتورجيا، وأنها غير رسمية لأنها لم تكتب في المخطوطات.

(28) *Ibid*.
(29) *Ibid*., pp. 509, 510.
(30) *Ibid*.
(31) *Ibid*., p. 505.
(32) *Ibid*., p. 504.

والحقيقة أن أسماء المنتقلين الفردية تُقال مرتين: مرَّة في التقدمة أي ''تقديم الحمل'' (الآن سراً) وهو جزء رسمي وأساسي في الليتورجيا المصرية الآن، ومرة أخرى (الآن أيضاً سراً) بعد أسماء القديسين (المجمع)، حيث هذا ''المجمع'' يوجد في سيرابيون بعد التقديس على الخبز والخمر. أمَّا في مار مرقس فيوجد (في القداس الكبير) قبل التقديس على الخبز والخمر بعد المقدِّمة مع الصلوات التوسلية (أي الأواشي). أمَّا كونها لم تكتب في المخطوطات فلأنها أسماء شخصية متغيرة. أمَّا الأسماء الرسمية مثل أسماء البطاركة فهي مسجلة في جميع المخطوطات بلا استثناء.

غير أن عادة تلاوة المنشور بأسماء جميع البطاركة الذين خدموا كرسي الإسكندرية فهي عادة يبدو أنها بدأت أولاً في أورشليم وأول من ذكرها هو كيرلس الأُورشليمي سنة 348م.

وأمَّا تلاوة أسماء الشهداء فبدأت أيضاً من أورشليم وأول مَنْ اقتبسها وأذاعها هو القديس أغسطينوس سنة 410م.

أمَّا عادة تلاوة أسماء القديسين فقد اقتبستها روما من الشرق واستخدمتها أول مرة في أيام البابا جلاسيوس سنة 492م حيث استمر إضافة الأسماء بلا أي نظام حتى القرن السادس حينما بدأ البابا غريغوريوس الأول سنة 595م بترتيب هذه الأسماء. وبنوع من السماحة وحبه للأرثوذكسية وللشرق عامة أضاف بعض شهداء أجانب مثل أغناطيوس الأنطاكي (استشهد في روما) والشهيدات أجاثا ولوسي وأنستاسيا[33].

وبينما ظلت روما تحتفظ بأسماء أبنائها فقط في كل تلاواتها للأسماء من بطاركة وشهداء وقديسين بنوع من التعصُّب العنصري الشديد (حتى مجيء غريغوريوس الأول)، نجد أورشليم تذكر أسماء قديسي وشهداء الكنائس الأخرى في كل العالم. وهكذا أيضاً كانت بيزنطه بعض الشيء. أمَّا كنيسة مصر فكانت أكثر كنائس بلاد العالم انفتاحاً على جميع البطاركة والشهداء والقديسين من كل جنسيات العالم بلا أي إحساس منها أن هناك أي عنصرية أو وطنية أرضية تفرِّق أو تميِّز بين بطريرك وبطريرك أو قديس وقديس أو شهيد وشهيد.

ففي ''المجمع'' الذي فيه ذكر أسماء كل طغمات ودرجات الراقدين مُبْتَدِئاً بالبطاركة والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين وكل أرواح الذين كملوا في الإيمان، وأولهم

(33) *Ibid.*, p. 508.

القديسة المملوءة مجداً دائمة البتولية القديسة مريم والدة الإله الكلمة، لا نجد أيضاً أي ترتيب في ذكر الأسماء (وروما مثلنا في ذلك تماماً)، وإنما روعي في اختيارها شتى الاعتبارات. غير أن ما يُلفت النظر هو شمول المجمع لجميع صنوف بني البشر القديسين من فلسطين وبيزنطه وروما وأرمينيا والحبشة، بل وحتى العلمانيين الذين بلا رتب كهنوتية على الإطلاق. وفي نهاية المجمع يذكر القارئون جميع الآباء البطاركة الذين خدموا كرسي مار مرقس في مصر، وتوجد نسخ قديمة تذكر بطاركة الكنائس الأخرى(34). وكانت تلاوة أسماء البطاركة مقصورة على كنيسة كاثيدرا البطريرك فقط في مدينته العظمى الإسكندرية أو في موضع كرسيه في مصر. وحتى هذا توقف وبطل الآن ولم يعد له وجود.

أمَّا ترتيب "المجمع" الذي يذكر فيه هذه الأسماء فهو يختلف في الثلاثة قداسات الكيرلسي والباسيلي والغريغوري في بعض الأسماء وترتيبها ووجود وغياب بعضها. ولكن المدهش أن نجد فيه اسم البطريرك ساويرس الأنطاكي الذي حضر إلى مصر في زمان بطريركية أنبا تيموثاوس الثاني والثلاثين (في عداد البطاركة) حيث يأتي في ترتيب الأسماء بعد القديس مرقس الرسول مباشرة، وهذا أمر فيه مبالغة لا يمكن أن تؤخذ على محمل التكريم، فإن كان قد تألم أو تشرَّد زماناً عن كرسيه فهو ليس أفضل من بطرس خاتم الشهداء أو أثناسيوس الرسولي أو ديسقوروس حتى يأتي في الترتيب قبلهم. والأمر يحتاج حقاً إلى مراجعة!! لأن هذا عمل دخيل بلا شك، فعندنا إشارة واردة في طقس أبو البركات ابن كبر كاهن المعلَّقة ـ وهو عالم طقسي بلا نزاع ـ يقول فيها هكذا:

[ويُضاف اسم البطريرك المتنيح إلى آخر أسماء الآباء البطاركة، وآخرهم جميعاً يذكر اسم القديس ساويرس بطريرك أنطاكية].

أمَّا تطبيق ذلك فانظر المخطوطة التي عثرنا عليها في أرضية مكتبة دير القديس أنبا مقار بالحصن القديم. فإن كان مركز ساويرس الأنطاكي حسب التقليد القبطي الآبائي يأتي في نهاية أسماء بابوات الإسكندرية المتنيحين، فكيف يوضع اسمه في "المجمع" بعد مار مرقس الرسول مباشرة؟

أصالة موضع وترتيب الصلوات التوسلية Intercessions

= **الأواشي في قداس مار مرقس حسب التقليد القديم:**

يقول العالِم بوييه:

[في كافة ليتورجيات الشرق كان هناك ميل دائم لتطوير وتوسيع هذه الصلوات بصورة

(34) انظر الورق المخطوط في القسم الخاص بالصور بهذا الكتاب.

متضخمة وبصفة مستمرة ومتلاحقة. أمَّا في قداس مار مرقس فعندنا من البراهين ما يؤكد أن النص الحالي للإفخارستيا فيه، بالرغم من حدوث بعض التوسعات في الصلوات فإنه بقي أميناً بصورة أساسية وجوهرية لنموذجه العتيق جداً.][35]

ففي المقدِّمة التي هي بداية صلاة الإفخارستيا الكبرى بين تعظيم اسم الله في نهاية المقدِّمة وبين تعظيم اسم الله في بداية تسبحة الشاروبيم، وضعت ليتورجية مرقس الرسول كافة الأواشي التشفعية (صلوات التوسل) جميعاً بما فيها تذكار الراقدين ومقدمي القرابين، أربعة عشر أوشية خلاف الطِلْبَة!!

كما يُستطرد العالِم بوييه في كتابه عن الإفخارستيا مدللاً على أصالة طقس قداس مرقس الرسول وقدمه قائلاً:

[إنه لو ألقينا نظرة على التقليد العبري القديم في صلوات التضرعات المسمَّاه "تفلاه" Tefillah (سبق أن سجلناها من صفحة 139 إلى صفحة 142) فإننا نلاحظ الآتي:

كما أن صلوات التضرعات (**طلبات**) الاثنتي عشرة المسمَّاه tefillah في التقليد العبري تنحصر بين ثلاث **بركات** (تشكرات) في البداية وفيها تمجيد وتعظيم اسم الله القدوس، وثلاث **بركات** (تشكرات) في النهاية وفيها أيضاً تمجيد وتعظيم اسم الله القدوس ــ أي أن الطلبات التي هي صلوات التضرعات وضعت بإحكام بين شكر وتقديس وتعظيم اسم الله القدوس في البداية وشكر وتعظيم اسم الله القدوس في النهاية، نجد أن هذا ما التزمت به ليتورجية مرقس الرسول بدقة مذهلة إذ جعلت الأواشي (الطلبات) وهي كلها صلوات تضرعات تقع بين جزء من مقدِّمة صلاة الشكر وفيها تقديس وتعظيم اسم الله القدوس في البداية وجزء آخر من صلاة الشكر وفيها تقديس وتعظيم اسم الله في النهاية.

وهكذا احتفظت ليتورجية مرقس الرسول بالروح العبادية وبنفس دقائق التقليد العبري القديم من جهة الصلوات التضرعية، فلم تقلعها من تربتها العتيقة قلعاً جائراً منفرداً بدون حكمة بل حافظت على نقلها كاملة بتربتها اللاهوتية في أعمق مفهوماتها، إذ يسبقها شكر وتعظيم اسم الله ويختمها شكر وتعظيم اسم الله. وهذا مما يجعلنا نعتقد أن الذي أدخل الأواشي في مقدِّمة ليتورجية مرقس الرسول إنسان تقليدي ملهم وحاذق يدري بأصول التقليد القديم ودقائق الطقس العبراني.

(35) Louis Bouyer, *Eucharist*, p. 196.

ويلزم هنا أن ننبه أن تأليف مقدِّمة ليتورجية مرقس الرسول أقدم من محاولة وضع الأواشي التي جاءت في وقت لاحق بعد تأليف هذه المقدِّمة، لأن المقدِّمة يبدو واضحاً فيها **أنها انفلقت نصفين ثم حشرت الأواشي في داخلها حشراً وبقيت علامات هذا الإجراء الجريء الواثق واضحة دون أي محاولة لإخفائها!** وهذا ما سبق أن أوضحناه (في صفحة 586). وهذا واضح لأن النص الأصلي لمقدِّمة الإفخارستيا لم يوضع في البدء ليكون مقدمة خدمة عامة تليه أو جزءاً أساسياً لتركيب الأواشي بل كانت متصلة بموضوع الذبيحة ذاتها طقسياً ولاهوتياً في أضيق حدودها.

وبناءً على ذلك فإن مقدِّمة كل من إفخارستيا باسيليوس وإفخارستيا غريغوريوس أو حتى إفخارستيا سيرابيون فلأنها تخلو من هذه الأواشي قد تبدو لأول وهلة بناء على هذا أنها أقدم من قداس مار مرقس (الكيرلسي). ولكن ينبغي أن لا يغيب عن ذهننا أن كلاً من قداسي باسيليوس وغريغوريوس مأخوذ ومقتبس ومتطور عن قداس مار مرقس[36]، ولكن بأصالة أيضاً ودراية دقيقة بأصول الطقس العبري وتقاليده الدقيقة في كثير من أوضاعه، لأن نقل الأواشي من مقدمة الإفخارستيا أي من وضع ما قبل التقديس على الخبز والخمر كما جاء في إفخارستية مرقس الرسول (إذا أهملنا حقيقة التقديس الذي تمَّ في طقس تقديم الحمل)، إلى ما بعد التقديس على الخبز والخمر في القداس الكبير (بعد تقديم الحمل)، ولو أن هذا في الحقيقة هو عمل ثانوي أتى بعد العملية الجريئة التي تمت أولاً بإدخال الأواشي نفسها داخل الإفخارستيا، إلاَّ أن محاولة إعادة وضع الأواشي بعد التقديس على الخبز والخمر في القداس الكبير بعد تقديم الحمل هو درجة في العودة إلى الوضع الأصيل جداً بحسب أصول العشاء الأخير وكل طقس الولائم الرسمية القديمة، حيث كانت كل التذكارات والصلوات والتضرعات **تُقال بعد الشكر الأخير على كأس الإفخارستيا** وهو مرفوع في يد رئيس المتكأ الأمر الذي مارسه الرب يسوع نفسه (انظر صفحة 146).

ولكن بقاء ليتورجية مرقس الرسول محتفظة بوضع الأواشي والتذكارات بعد الشكر في مقدِّمة الإفخارستيا في القداس الكبير يوضح لنا مقدار عمق القدم الهائل الذي توقفت عنده إفخارستية مرقس الرسول عند التطور، لأنها تكشف عن مدى اعتمادها الأصلي على التقديس الذي تم في طقس تقديم الحمل الأول، إذ تكون الأواشي على هذا الأساس تأتي بعد التقديس أي البركة على الخبز والشكر على الكأس، بل وبعد حلول كلمة الله الأزلي وظهور وجهه (حضرته) على الخبز

(36) ارجع لأبحاث كل من ليتزمان وجون ماسون نيل.

والخمر وتحويلهما إلى جسده المحيي ودمه الكريم.

لذلك، فالأواشي بوضعها الحالي في أنافورا مرقس الرسول تؤكد قيمة طقس تقديم الحمل وتعتمد على تقديسه وتأتي بعده لتثبت وجوده وقيامه، حتى ولو كنَّا قد أهملناه هذه المئات من السنين.

أمَّا قداسا باسيليوس وغريغوريوس فيمثلان الدرجة الأخرى اللاحقة في هذا التطور حيث أبقى كل منهما على صلوات الشكر في بداية الطقس كمقدمة، ولكن رفع منها التذكارات والصلوات (الأواشي) لتعود إلى موضعها التقليدي الأصيل هناك في النهاية بعد التقديس على كأس البركة في القداس الكبير ـ "بعد طقس الحمل".

ولكن هل بذلك يكون قدَّاس مرقس الرسول توقَّف عند مرحلة ناقصة؟

في الواقع أن موضوع قداس مار مرقس وإن كان لا يزال يحمل أقدم البصمات الخاصة بالإفخارستيا وليتورجيتها، فهو أيضاً لا يزال محسوباً أنه ليتورجية كاملة أصيلة تفتخر به الكنيسة القبطية وتصلي به. ولكن لكي نكشف هذه الأعماق التي فيه، يلزمنا أن نعود إلى دراسات العالِم دكس وأسئلته الحائرة التي لم يعرف لها جواباً (صفحة 541)، فالجواب حان أوانه لكي يعطيه قداس مار مرقس، إنما أيضاً في عمق سري.

فمقدِّمة الإفخارستيا لمار مرقس التي اشتبه دكس أنها ربما كانت أصلاً هي هي الإفخارستيا كلها (أو القداس كله) بدون أواشي وأنها كانت متصلة مباشرة بالتسبحة الشاروبيمية حيث تنتهي بذكصولوجية ختامية وبذلك ينتهي عندها القداس، هذا ما كان يتصوره دكس ـ أمَّا أين كان التقديس على الخبز والخمر وأين يبتدئ وأين ينتهي من هذه الإفخارستيا، فهذا ما لم يستطع دكس أن يعطي عنه جواباً أو حتى تصوراً.

والحقيقة كما نوهنا إليها في هامش صفحة 577 هي أن ما اشتبه العالِم دكس فيه هو صحيح، أي أن إفخارستية مار مرقس كانت عبارة عن "**صلاة إفخارستية**" **مسيحية** صاغها القديس مار مرقس لتضاف على الإفخارستية التقليدية القديمة التي مارسوها فيما سبق (العشاء الأخير، والتي هي الآن طقس تقديم الحمل بكامله)، والذي سُمِّي في سفر الأعمال **طقس "كسر الخبز"**، وهو بحسب وضعه التقليدي القديم لم يزد عن تلاوة البركة التقليدية ـ أي مباركة اسم الله على الخبز ثم كسره وتوزيعه، وكذلك الإفخارستيا أي الشكر على كأس البركة، ولم يزد هو الآخر عن عدة جمل بسيطة فيها يُقدَّم على الكأس الشكر لله على عناية الله وعلى اليوم المقدَّس (السبت).

ولكن الآن وبحسب الأوضاع الجديدة في العهد الجديد، التزم الرسل بصبغ الطقس بالصبغة المسيحية. ولكن لما وقف الطقس القديم أمامهم مقفولاً، فالبركة على الخبز والبركة على الكأس ـ كما مارسها المسيح ـ لا يمكن الإضافة إليها، لذلك لم يكن من وسيلة لصبغ طقس كسر الخبز بالصبغة المسيحية إلاَّ بالاحتفاظ به هو كما هو في بساطته المتناهية، ثم الالتجاء إلى الإضافة إليه، وذلك بتأليف صلاة شكر جديدة (أي إفخارستية جديدة) مطولة وفيها اسم المسيح وكل العناصر المسيحية المتعلقة أساساً بالتجسُّد والفداء والخلاص وربطها بموضوع الطقس أي بسر الشكر، على أن الرسل التزموا بأن تكون الإفخارستية الجديدة (صلاة الشكر المضافة على الطقس) مطابقة لأصول التقليد القديم أيضاً من جهة كيف تبدأ وكيف تنتهي وما هو جوهر مضمونها، وخاصة علاقتها باسم الله. هذا كله كانت تتحكم فيه تقاليد غاية في الدقة والحساسية، وهذا ما استوفته تماماً إفخارستية مار مرقس كما كشفناه بدقة سابقاً.

ومن ذلك يتبين أن نواة كل إفخارستيا مسيحية جديدة لم يكن في البداية أكثر من ''صلاة شكر جديدة'' تضاف على حدود الطقس القديم (عشاء الرب)، أي كسر الخبز. وكان القصد منها صبغ طقس كسر الخبز بالصبغة المسيحية، أو على وجه الدقة كان لجعل الطقس القديم ''لذكر المسيح'' حسب وصية الرب «اصنعوا هذا ... لذكري»

إذاً، فالإفخارستيات المسيحية كلها وعلى وجه العموم هي إفخارستيات تذكارية.

والذي يحقق ويؤكد هذا الوضع المحدود لحقيقة نواة الإفخارستيا الأُولى جداً هو شرح كيرلس الأُورشليمي للإفخارستيا سنة 350م، وهو كما يذكر العالِم دكس إنما يصف إفخارستية يعقوب الرسول في شكلها البدائي جداً الذي كان عبارة عن مجرد ''صلاة شكر مسيحية'' ليست أكثر مما يسمَّى الآن بـ''المقدِّمة'' ويتبعها مباشرة تسبحة الشاروبيم. وبعد تسبحة الشاروبيم مباشرة تأتي صلاة استدعاء الروح القدس. وهنا تنتهي الإفخارستيا من حيث جوهرها التقديسي حيث لم تكن قد امتدت ''صلاة الشكر'' هذه لتستوعب الشكر على التجسُّد والفداء ولا ''وصف البركة على الخبز وعلى الكأس'' التي تسمَّى الآن بالتأسيس ولا حتى عبارات خاصة بالتذكار anamnesis.

إنما بعد حلول الروح القدس الذي يذكر فيه تحويل الخبز إلى جسد والخمر إلى دم ـ الذي يحتسبه دكس أنه بمثابة ارهاصة أُولى (أي بداية حركة) لتكوين شكل ''التذكار'' anamnesis باعتبار تحويل الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دم المسيح هو إعادة الأفعال التي تمت ليلة العشاء

واستمراراً لوجودها ـ خصوصاً وأن ''الحلول'' عند كيرلس هو عملية تقديس للقرابين حسب قوله: ''لأن كل ما يتصل بالروح القدس يتقدَّس ويتحوَّل''، وهذه هي الإشارة الأُولى التي انطلقت منها عقيدة التحوُّل فيما بعد[37]. ثم يبدأ كيرلس الأُورشليمي مباشرة في شرح الأواشي، وأخيراً يختم كيرلس شرحه ''للإفخارستيا'' بصلاة «أبانا الذي في السموات»

وفي نهاية التحقيق التحليلي الذي يقدِّمه العالِم دكس في كتابه (من صفحة 196 ـ صفحة 199) ليؤكد القيمة التاريخية لليتورجية ما قبل نيقية في شرح كيرلس الأُورشليمي، ثم بعد سرده للوقائع الواحدة بعد الأخرى ينتهي بهذه الحقيقة أن ''إفخارستية ما قبل نيقية'' التي كان يمارسها ويشرحها كيرلس الأُورشليمي كانت بلا جدال لا تحتوي على أكثر من المقدِّمة ثم تسبحة الشاروبيم ثم استدعاء الروح القدس ثم الأواشي ثم «أبانا الذي في السموات» [38].

ثم يعود دكس وبفحص دقيق لتركيب إفخارستية القديس يعقوب التي اعتمد كيرلس الأُورشليمي على نصوصها الأُولى (أي ما قبل القرن الثالث)، يبرهن دكس على أن رواية التأسيس فيها هي أيضاً مضافة وفي القرن الرابع.

أمَّا تأليف هذه الإفخارستيات المسيحية الجديدة فليس كما يعتقد ليتزمان من صنع بولس الرسول، بل إنها رُسمت بيد الرسل جميعاً أو أُخذت وسُجِّلت عنهم، كلٌ باسمه. وجاءت مبكراً جداً قبل البدء بتأليف رسائل بولس الرسول والأناجيل ذاتها. وهذا نجده واضحاً جداً في مقدِّمة صلاة إفخارستية سيرابيون حيث نجد كل الجمل المستخدمة والتعابير المسيحية فيها ليست مأخوذة من نصوص إنجيلية. وهذا لا ينطبق على إفخارستية سيرابيون فحسب، بل وعلى أجزاء كثيرة من معظم الإفخارستيات الأصيلة.

ولكن لم تتوقف ''الإفخارستية'' المسيحية الجديدة في حدود مجرد ''صلاة الإفخارستية'' أي مجرد صلاة شكر تذكارية للمسيح تقال بعد ''البركة على كأس إفخارستية كسر الخبز''، بل امتدت لتشمل من جديد كل طقس حركات كسر الخبز؛ فبدأت تصف ما عمله المسيح على الخبز وعلى الكأس وإنما بصيغة ''الماضي'' كقصة ورواية تذكارية «لأن في الليلة التي أسلم فيها ذاته أخذ خبزاً... وبارك... وكسر... إلخ» وهكذا بدأت ''الإفخارستيا المسيحية الجديدة التذكارية'' تزحف لتأخذ

(37) Dix, *op. cit.*, p. 200.
(38) *Ibid.*, pp. 188-199.

كل شكل ومقومات "**طقس كسر الخبز**" خطوة خطوة حتى استوفت جميع حركاته ومراحله. وهكذا أصبحت الإفخارستية المسيحية الجديدة عبارة عن طقس كسر الخبز بكل دقائقه ومراحله وصلواته، إنما في صورة وصفية تذكارية مضافة إلى طقس ''كسر الخبز'' الأصيل الذي انحصر وأخذ صورة ''تقديم'' offertory. وشيئاً فشيئاً فقد طقس ''كسر الخبز'' الذي أصبح اسمه prothesis هيبته الأُولى وجلاله – إلاَّ من بعض مظاهر التكريم والعبادة المجهولة أسبابها – في كنائس بيزنطة الروم وإرمينيا (انظر صفحة 580).

وهكذا أخذت ''الإفخارستيا'' المسيحية الجديدة كل هيبة وجلال ومجد طقس ''كسر الخبز'' (الجزء السري من العشاء الأخير). وضمناً واجهنا ازدواجاً في الإفخارستيا في كل حركة وكل جملة وكل صلاة أولاً في طقس ''التقديم'' الذي اسمه عندنا "**طقس تقديم الحمل**"، وثانياً **في طقس الإفخارستيا الجديدة المسيحية** التي تسمَّت بأسماء الرسل والأساقفة مثل إفخارستية مرقس الرسول. والجدول المبيَّن في صفحة 628 وما بعده يشرح ذلك ويبرهن عليه ويصفه في دقة بالغة مذهلة. غير أن طقس الإفخارستيا الجديدة المسيحية يمتاز أيضاً بأنه يحمل وصية المسيح: «اصنعوا هذا لذكري» كأمانة عظمى!



ثالثاً: التسبحة الشاروبيمية

Sanctus

كلمة[1] سانكتوس Sanctus تعني ‘‘قدوس’’ باللغة اللاتينية، ولكن هذه الكلمة صارت تعني في الأبحاث الليتورجية معنى التسبحة الشاروبيمية كلها. وأول مَنْ استخدم هذه الكلمة وأشاعها هو قداس سيرابيون[2].

منذ أول كلمة في مقدِّمة الإفخارستيا preface نبدأ نحس بالاستعداد للتسبحة الشاروبيمية، لأن الأصل في مقدِّمة الإفخارستيا حسب التقليد القديم المنحدر للكنيسة كما هو منذ ليلة الخميس أن يقدِّم رئيس المتكأ "**الشكر**" فقط لله على الخليقة، كما هو واضح جداً في إفخارستية هيبوليتس، كذلك الموجود في الحبشة باسم "**قداس الرب**"، ولكن توجد منه نسخ في الحبشة أدخلت فيها التسبحة مثل ‘‘قداس الرسل’’. أمَّا أن يدخل عنصر التسبيح قبل الشكر وبصورة طاغية، فهذا خارج عن التقليد القديم لمقدِّمة الإفخارستيا، لأن بحسب الطقس القديم **يقع التسبيح بعد صلاة الإفخارستيا، أي بعد الصلاة على كأس الإفخارستيا الأخيرة** «**ثم سبَّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون**.» (مت 30:26)

ولكن الملاحَظ أن عنصر التسبيح الذي دخل على بداية الإفخارستيا (ذات الطبيعة الشكرية) ليس أصيلاً أيضاً في تركيبها كما يبرهن على ذلك العالِم دكس (صفحة 219 من كتابه).

لأنه كلما رجعنا إلى النصوص الأقدم كلما وجدنا انكماشاً في عنصر التسبيح داخل المقدِّمة. فمثلاً في نص أنافورا مرقس الرسول الذي يستخدمه برايتمان، وهو نص من القرن 13 (ويطابق النص المطبوع المستخدم عندنا الآن في الكنيسة القبطية)، **نجد سبعة أفعال تختص بأعمال التسبيح ومعها فعل واحد للشكر**.

بل ونلاحظ في هذه المخطوطة أنه قد أُضيف عليها بعد القرن الرابع جملة تتعلَّق أساساً بتسبيح

(1) Oesterley, *op. cit.*, p. 146.
(2) G. Dix, *The Shape of the Liturgy*, p. 165.

الشاروبيم أكثر منها تعلُّقاً بموضوع مقدِّمة الإفخارستيا الذي للشكر، الذي بدأ يختفي تحت وطأة أفعال التسبيح. إذ تقول المقدِّمة بعد أفعال التسبيح السبعة: [ونعترف ''بالتسبيح'' ليلاً ونهاراً بشفاه غير هادئة وقلب لا يسكت وتمجيدات لا تنقطع أنت الذي خلقت ...]. هذه الجملة التي تأتي بلهجة تسبحة الشاروبيم ولتخدم التقديم لهذه التسبحة لا نجدها في مخطوطة بردية القرن الرابع لإفخارستيا مار مرقس. إذاً فقد بدأ الإمعان في الابتعاد عن معنى الشكر بسبب طغيان فكرة التسبيح على الإفخارستيا الجديدة. وفي هذا يقول دكس:

[إنه من العادة اعتبار مقدِّمة التسبحة مع التسبحة الشاروبيمية بحد ذاتها كتطور متميز في صلاة الشكر التي تأتي في بداية الصلاة (المقدِّمة). ولكن الحقيقة تبقى أمامنا أنها من الجهة العملية لا تبدو هذه التسبحة تطوراً في صلاة الشكر، بل هي في الواقع بديل لصلاة الشكر**!** وكأنها ''ليتورجية'' بنوع ما لأنها تنتهي بأنها تأخذ موضع صلاة الشكر فعلاً في أي مكان توضع فيه ... وليس ذلك فقط بل أن وجودها (كما هو في حالة قداس القديس يعقوب) تسبب في رفع مفهوم الشكر نهائياً عن الجمل التي تجيء بعدها. فبدل أن تعود الكلمات بعد التسبحة لتعبِّر عن "**إعطاء الشكر لله**"، إذ بها تقول "**قدوس أنت**"**!!** (يُلاحَظ أن هذا هو الحادث بصورة شديدة في قداس القديس باسيليوس وغريغوريوس المستخدمين في مصر). وحينما نفحص قداس القديس مرقس نجد أن نفس الشيء قد حدث في الإسكندرية نفسها وهي التي بدأ فيها طقس التسبحة ومقدمتها، إذ نجد أن أسباب ''الشكر'' وأولها من أجل "**الخليقة**" (بالكاد) احتفظت به ليتورجيا القديس مرقس. أمَّا الشكر من أجل التجسُّد والفداء وبقية التشكُّرات فقد تجاوزها المصنِّف ليحل محلها التسبحة الشاروبيمية بمقدمتها. أمَّا لماذا أبقى على الشكر من أجل "**الخليقة**" فقط (وهذا ما شرحناه سابقاً في صفحة 556) فهو ربما لارتباط ''الاسم'' **بالخلقة** مما يصعب فكهما عن بعض.][3]

كذلك فإن بردية استراسبورج ـ مهما تمشينا مع النص الممسوح ـ لن نجد أكثر من **خمسة أفعال** للتسبيح مع فعل واحد للشكر.

فإذا رجعنا إلى نص إفخارستية سيرابيون وهو من منتصف القرن الرابع نجد **ثلاثة أفعال للتسبيح**

(3) Greg. Dix. *op. cit.*, pp. 219, 20.

حيث لا يوجد فعل للشكر ولا حتى أي إشارة إليه[4]. ولكن غياب فعل الشكر هنا يكشف عن اعتماد إفخارستية سيرابيون على فعل شكر أساسي سابق (في تقديم الحمل). وهنا تأتي المقدِّمة تسبيحية خالصة ملتحمة بالتسبحة الشاروبيمية.

أمَّا في نص إفخارستية هيبوليتس ـ وهي من قبل بداية القرن الثالث ـ فلا نجد أي فعل ولا أية إشارة للتسبيح على الإطلاق. وهنا نسأل لماذا؟ والسبب في ذلك واضح، لأن إفخارستية التقليد الرسولي **تخلو تماماً من التسبحة الشاروبيمية**، لذلك بقي الشكر هو طابعها السائد. فحتى هذا الزمان ـ أي بداية القرن الثالث لم تكن الإفخارستيا قد دخل عليها لا تسبحة الشاروبيم ولا الأواشي، اللتان كانتا من اختصاص طقس خدمة الصباح Synaxis يوم الأحد فقط. وهذا يكشف لنا عن زمان دخول الأواشي والتسبحة الشاروبيمية داخل الإفخارستيا.

زمن دخول التسبحة الشاروبيمية ملتصقة بالمقدِّمة التقليدية الخاصة بها، داخل الإفخارستيا:

إن الإشارة الواضحة التي يوردها أوريجانوس بخصوص وجود التسبحة الشاروبيمية داخل الإفخارستيا ملتصقة بمقدمتها يكشف عن بداية استخدام التسبحة في الخدمة:

[الذي هو فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي المستقبل أيضاً ... لأن الملائكة المقدسين والقوات المقدَّسة والعروش (الكراسي) المباركة والسيادات (الأرباب) الممجَّدة هي ذات قوة وكرامة ومجد باستحقاق طبيعتها.][5]

[إن الساروفيمين اللذين يذكرهما إشعياء موصوفان أن لهما ستة أجنحة ويصيحان الواحد قبالة الآخر قائلين: «قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت» (إش 3:6).][6]

[وتسبحة حبقوق النبي: «يا رب سمعت خبرك فجزعت، وتبصَّرت أعمالك فَدُهِشت "**إنك تُعرف بين حيوانين**" وتُدرك في مجيء السنين» (حب 2:3 ترجمة سبعينية).][7]

(4) Ibid. p. 165.

(5) Origen, *De Principiis*, I,V, 1-3, ANF, IV, p. 256-257.

(6) *Ibid.*, I, III, 4, ANF IV, p. 253.

(7) *Ibid.*

[فنحن قد علمنا أن ألوف ألوف قدامه وربوات ربوات يقدمون له الخدمة (دا 10:7).](8)

وأوريجانوس إذ يشير إلى كل هذه العناصر بنفس اللغة المستخدمة في التسبيح داخل الإفخارستيا يكشف بغاية الوضوح عن أن دخول التسبحة الشاروبيمية في الإفخارستيا في مصر بدأ في الإسكندرية بالذات قبل سنة 230م (أي قبل أن يسجِّل هيبوليتس ليتورجية التقليد الرسولي بقليل). كما يقول العالِم دكس:

[ومن الإسكندرية خرج طقس التسبحة إلى كل مصر. ومن القطر المصري إلى كل المسيحية في كافة أنحاء العالم](9)

ولكن بالبحث وجدنا أيضاً أن كلمندس الإسكندري (190ـ 200م) في كتاباته ألمح هو الآخر إلى هذه النصوص الخاصة بالتسبحة الشاروبيمية. فهو يقول:

[مقدماً "الشكر" لله دائماً أبداً على مثال ما قاله إشعياء بخصوص **تسبيح الحيوانات**.](10)

[هذه كنيسة الأبكار ذات الأولاد الكثيرين، هؤلاء الأبكار المكتوبة أسماؤهم في السماء الذين يعيِّدون **مع ربوات الملائكة**.](11)

[الرتبة الأُولى هم **الملائكة** "لأن الملائكة مُخْضَعُون له"، ثم **الرئاسات** "وهم خاضعون أيضاً".](12)

وبهذا يحتمل أن تكون التسبحة الشاروبيمية داخل الإفخارستيا الإسكندرية هي أقدم من القرن الثالث.

ونحن إذا وضعنا النصوص الثلاثة التي بين أيدينا والتي تحمل أقدم صورة للتسبحة الشاروبيمية، وهي: نص سيرابيون، ونص دير البلايزا، ونص القديس مرقس القرن الثالث عشر، نجد التطابق العجيب الذي يوحي إلينا بأن التسبحة الشاروبيمية مع مقدمتها ذات أصالة وقدم ورسوخ في التقليد الإسكندري منذ عصر مبكر للغاية:

---

(8) *Against Celsus*, VIII, 34, ANF IV, p. 652

(9) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 165.

(10) Clement of Alex., *Stromata*, VII, 12, ANF II, p. 544.

(11) *Exhortation to the Heathens*, 9, ANF II, p. 195.

(12) Ibid. *Frag*. No. 1, ANF II, p. 572.

نص سيرابيون (القرن الرابع)	**نص بردية دير البلايزا (القرن السادس)**	**نص مخطوطة برايتمان (القرن الثالث عشر)**
لأنك أنت عالٍ فوق كل رياسة وقوة وسلطان وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي أيضاً.	**لأنك أنت فوق كل رياسة وسلطان وقوة وفوق كل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي أيضاً.**	**لأنك أنت هو** الله الذي **فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي الدهر الآتي أيضاً.**
أنت الذي يقف أمامك ألوف **ألوف** وربوات ربوات **الملائكة** **ورؤساء الملائكة** والعروش والسيادات والرئاسات والقوات	**ألوف الملائكة** المقدسين. [ألوف، وربوات، ربوات الملائكة ... حُذف]. وأجناد **رؤساء الملائكة** الذين بلا عدد يخدمونك.	أنت الذي يقف أمامك ألوف **ألوف** وربوات ربوات **الملائكة** **ورؤساء الملائكة** المقدسين يخدمونك.
	باسيليوس	
أنت الذي يقف حولك الساروفان الكريمان **ذوو الستة الأجنحة** [الشاروبيم ... حُذف]	مع الشاروبيم المملوئين أعيناً والسيرافيم **ذوي الستة أجنحة**	أنت الذي يقف أمامك حيوانك الكريمان جداً. **ذوو الستة الأجنحة** كثيرو الأعين الساروفيم والشاروبيم
فبجناحين يغطون الوجه. **وباثنين يغطون الرجلين ويطيرون باثنين** ويصيحون قدوس.	**الذين بجناحين يغطون وجههم.** **وبجناحين يغطون أرجلهم ويطيرون باثنين** والكل على الدوام يقدسونك.	**بجناحين يغطون وجوههم** من أجل لاهوتك الذي لا يستطاع النظر إليه ولا التفكير فيه. **وباثنين يغطون أرجلهم ويطيرون بالاثنين الآخرين** لأن في كل زمان يقدسك كل أحد.
ومعهم اقبل منا نحن أيضاً دعاءنا **بالتقديس** **قائلين:** **قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك.**	فمع هؤلاء الذين يقدسونك **اقبل تقديسنا منا نحن أيضاً** **قائلين:** **قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك.**	لكن **مع** كل مَنْ يقدسك **اقبل تقديسنا منَّا نحن أيضاً** يا رب إذ نسبحك معهم. **قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس.**

وعمق هذا التركيب الليتورجي يظهر أكثر إذا تتبعنا كيفية تجميعه من أصوله في الكتاب المقدس ثم ربطه معاً بهذه الكيفية المنسجمة. فالهيكل العام لتسبحة الشاروبيم يقوم على ثلاثة أجزاء مترابطة:

الجزء الأول: وهو عبارة عن ديباجة مشتركة في الثلاثة قدَّاسات، وهي مأخوذة بنصها من رسالة أفسس 21:1، مضافاً إليها بادئة واحدة في الجميع "**لأنك أنت**". أمَّا الأصل في الآية فهو موجه للمسيح بصورة الغائب «الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً »(أف 1: 20و21). ولكن القدَّاسات الثلاثة تشترك في توجيه هذه الصفة لله الآب وليس للمسيح وبصورة المخاطب وليس بصورة الغائب.

وواضح جداً أن البادئة المذكورة في البداية ''لأنك أنت'' مأخوذة من أصل ليتورجي أخذت عنه القداسات الثلاثة بلا أي تغيير. ويقينا أن هذه البادئة أصلاً أخذت كما هي من خدمة الصباح Synaxis.

الجزء الثاني: وهو عبارة عن منطوق التسبيح ذاته وهو مأخوذ من أوصاف إشعياء لليتورجية السمائية (إش 2:6، دا 10:7). مع فارق أنه يضيف هنا ''السماء'' لأن إشعياء يقول: "**الأرض مملوءة من مجدك** (**فقط**)"، ولكن الإضافة المسيحية تعتمد أيضاً على نص كتابي يقول: «ألستُ أنا أملأ السماء والأرض.» (إر 24:23)

كذلك بالرجوع إلى القدوشاه (تسبحة الشاروبيم) "**الثالثة**" المسمَّاه "**سدرا**" التي تُقال في آخر خدمة الصباح نجد أن النص فيها يحوي "**السماء والأرض**" مملوءتان من مجدك. ويعترف العالِم **البوجن Elbogen اليهودي أن التسبحة المصرية هي طبقاً لأقدم تقليد عبري معروف**[13]**!**

وأمَّا الطقس الأُورشليمي والطقس السرياني والطقس البيزنطي (القسطنطينية) وطقس روما (وهو مأخوذ كله من مصر) يضيف ''أوصنا في الأعالي مبارك الآتي باسم الرب''. ويضيف الطقس الأنطاكي ''مبارك إلى الأبد'' كما نجدها في رسالة كليمندس الروماني إلى أهل كورنثوس هكذا: ''الخليقة كلها مملوءة من مجدك'' حيث وضع ''الخليقة'' بدلاً من ''الأرض''. ويشترك في هذه الإضافة **قدَّاس "غريغوريوس"** المستخدم في مصر.

ويُلاحَظ أن قدَّاس سيرابيون يتميز بأنه يضيف إلى مقدِّمة التسبحة الشاروبيمية نص دانيال 10:7. ومعروف أن النص الذي استخدمه سيرابيون في الأنافورا هو النص الرسمي الذي ذكره القديس أثناسيوس الرسولي في رسائله عن الروح القدس الذي صار معتمداً في كافة أنحاء العالم[14].

(13) I. Elbogen according to Eric Werner, *The Sacred Bridge*, p. 286.
(14) *Ibid.*, p. 284.

أمَّا ليتورجية قوانين الرسل[15]، الكتاب الثامن (ليتورجية كلمندس)، فهي تمزج إشعياء 3:6 مع نص حزقيال 12:3 مع ما جاء في كولوسي 16:1 «العروش والسيادات والرياسات والسلاطين»

وفي نهاية هذه المقدِّمة تلي هذه النصوص الثلاثة عبارة ليست من الكتاب المقدَّس تعبِّر عن اتحاد الليتورجيا الأرضية بتلك التي للملائكة متضرعة إلى الله أن يقبل هذا التسبيح:

❋ "**مع هؤلاء اقبل تقديسنا**".

أمَّا إذا فحصنا هذه النصوص الثلاثة من جهة أصالتها واتصالها بأقدم نص، فإن قداس مرقس الرسول يبدو أكثرها التزاماً بالجمل الأساسية وأقلها إضافات وأقلها حذفاً في النصوص الأصلية[16]، كما هو واضح من الجدول السابق، أمَّا أكثرها حرية في الزيادة والحذف فهو سيرابيون بلا شك، ولو أنه في حذفه لذكر الشاروبيم جاء محاولة منه ليكون أكثر أمانة لنص إشعياء[17]. أمَّا خلو الطقس الإسكندري عموماً من هتاف ''أوصنَّا في الأعالي'' و''مبارك الآتي باسم الرب'' فإنه جعل تسبحة الشاروبيم منحصرة في "**تقديس**" أي ''عبادة'' الأقانيم الثلاثة في حدود الفعل الليتورجي المطلوب، وهو تقديس العابدين وتقديس الذبيحة الموضوعة**!!** و''أوصنَّا في الأعالي'' ليس موضعها هنا على الإطلاق لأنها خاصة بمجيء الرب، وها نحن على أبواب التقديس فقط**!!** كذلك ''مبارك الآتي باسم الرب'' فبكل تأكيد ليس موضعها هنا.

وأخيراً تضيف مخطوطة مار مرقس من القرن الثالث عشر كلمة ''مجدك الأقدس'' على الأصل الموجود في إشعياء الذي يقول: «الأرض مملوءة من مجدك (فقط)» وهذه الزيادة ليست أصيلة وهي فعلاً غير موجودة في باقي النصوص القديمة. ولكننا نجد هذه الزيادة "**مجدك الأقدس**" قد دخلت أيضاً في الطقس الأثيوبي.

والملاحَظ أن التسبحة الشاروبيمية، أي الثلاثة ''قدوسات للثالوث'' مقتبسة مباشرة من الخدمة الصباحية ليوم الرب، التي هي بدورها أصلاً كانت في خدمة الصباح في المجمع اليهودي[18]. والعجيب أنها كانت تُقال مباشرة وكتمهيد لقانون الإيمان اليهودي «اسمع يا إسرائيل الرب إلهك **واحد**...» ولا تزال آثارها باقية في تسبحة الشاروبيم كتقديم لقراءة أوشية الإنجيل. والمعروف أن

(15) *Apostolic Constitutions*, VIII, II, 12 ANF VII, p. 388.

(16) Coquin, *op. cit.*, p. 326.

(17) F.X. Funk, cited by Coquin, *op. cit.*, p. 326 n. 51.

(18) Baumstark, *Comparative Liturgy*, pp. 49, 50.

الإنجيل بدوره هو قانون الإيمان المسيحي للعهد الجديد.

ولكن من أهم ما يميز موضع تسبحة الشاروبيم في بداية الإفخارستيا هو أنها أُخذت من الخدمة الصباحية لخدمة تسبيح عبادي حسب التقليد القديم لتدخل كعنصر أساسي في ''الإفخارستيا'' كعنصر تسبيح استعلاني في العهد الجديد في موضع التسبيح الإفخارستي لاستعلان الخلاص بدم المسيح في كأس الإفخارستيا. وهنا يلزم أن نعود ونذكِّر القارئ أن التسبيح في العشاء الأخير الذي صنعه المسيح مع تلاميذه (والذي هو بحسب التقليد اليهودي) **كان بعد العشاء بعد رفع كأس البركة** الذي يسمَّى الآن كأس "**الإفخارستيا**" أي كأس الشكر. فبعد الشكر في العهد القديم كان التسبيح يقدَّم بالمزامير، ولكن الكنيسة في العهد الجديد حريصة دائماً أن لا تستخدم المزمور (باعتباره نبوَّة) في لحظات الاستعلان الإلهي، أي استعلان تدبير الخلاص الذي أكمله المسيح بمشورة الآب وعمل الروح القدس بالتجسُّد والفداء. لذلك قدَّمت الكنيسة تسبحة الشاروبيم بدل المزامير تعبيراً عن الاستعلان السمائي كما رآه إشعياء بالنسبة لله، إنما هنا بالنسبة للثالوث باعتبار أن استعلان الثالوث هو أعظم تسبيح يمكن أن يقدم لله.

كما ينبغي أن نلتفت إلى أن التسبيح هنا يأتي بعد طقس تقديم الحمل ... أي تقديس الخبز و « الشكر» على الكأس**!!** إذاً فتسبحة الشاروبيم ـ مع مقدِّمة الإفخارستيا هي في حقيقتها ''إفخارستية التسبيح'' كأساس ونواة الإفخارستيا المسيحية الجديدة. أو كما يقول بومشتارك وبالحرف الواحد، إنما بدون أن يخوض في الموضوع بدقة:

[هذه كانت نقطة البداية لنشأة وتطور الإفخارستيا (الأنافورا) في الشرق وكل الإفخارستيات (الأنافورات) في الغرب.][19]

ولكن يعود بومشتارك في حزن لائماً نفسه وكل مَنْ سبقه من العلماء العظام مثل ليتزمان بسبب عدم قدرته على ملء الفراغ الذي ظل يتحداهم في شرح هذا الموضوع وخاصة من جهة **كيف تبدأ إفخارستيا بتسبحة الشاروبيم؟ والتسبيح يأتي عادة ختاماً وليس بداية؟**[20]. **هكذا يظهر عجز العلماء عن إدراك سر تقديم الحمل كأساس لا يمكن بدونه فهم الليتورجيا.**

ولكننا قد أوضحنا في مواضع كثيرة، ونعود ونوضح، أن الذي خفي على بومشتارك

(19) *Ibid*., p. 51.
(20) *Ibid*.

وليتزمان وغيرهما هو أن الإفخارستيا المسيحية الجديدة التذكارية بكل أنواعها إنما بدأت كوصف مسيحي تذكاري، تفسيراً لطقس "عشاء الرب" العملي (تقديم الحمل الآن) الذي كان يخلو من التعبيرات المسيحية. لذلك لم تكن الإفخارستيا المسيحية ملتزمة في البداية بأكثر من شرح عابر، لأن تقليد العشاء الأخير الذي هو كسر الخبز ظل كاملاً ومستوفياً لكل مطالب التقديس. فكان المطلوب من الإفخارستيا الجديدة هو استيفاء استعلان المسيح وتذكاره. وكان أول مجال لهذا العمل في الإفخارستيا هو الشكر و"**التسبيح بعد العشاء**" لأن هذا كان هو العنصر المسيحي الوحيد الناقص في طقس ''كسر الخبز'' القديم. ومن عند نقطة هتاف الشعب ''رحمة السلام **ذبيحة التسبيح**'' بدأت الإفخارستيا الجديدة تصف حركات العشاء الأخير حركة حركة حتى أخذت كل صورة العشاء الأخير، إنما في قالب وصفي تذكاري وتسبيحي وشكري معاً، الذي هو الآن ''الأنافورا الكبرى'' أو ''الليتورجيا'' والذي سندعوه لتسهيل تمييزه عن طقس ''تقديم الحمل'' بـ"**القداس الوصفي**" أو "**الإفخارستيا الوصفية**".

وصلة نهاية التسبحة الشاروبيمية بالإفخارستيا مرة أخرى وتسمَّى Embolism:

التسبحة كما عرفنا، لها وصلة في مبدأها تربطها بالإفخارستيا وتسمَّى **مقدِّمة** ''التسبحة'' التي تقول: ''لأنك أنت العالي فوق كل رئاسة ... إلخ''[21]. أمَّا الوصلة التي تربط نهاية التسبحة الشاروبيمية بالإفخارستيا مرة أخرى فهي على صنفين أو طقسين: طقس إسكندري مصري أصيل لم يخرج خارج مصر، وهي كلمة التخاطب مع الله: "**املأ هذه الصعيدة**" المأخوذة مباشرة من كلمات التسبحة ''السماء والأرض **مملوءتان**''. أمَّا الطقس الآخر وهو في كل ما هو خارج مصر، وقد استخدم كلمة التخاطب ''مقدَّس أنت'' وهي مأخوذة من الروح العامة للتسبحة ''**قدوس** قدوس قدوس''.

ولكن لم يقتصر الفارق بين الطقس الإسكندري والطقس الآخر مثل الأنطاكي على نوع كلمة الوصلة فقط، إذ نرى أنه بينما يمتد الطقس الأنطاكي مثلاً ليتوسع في هذه المرحلة ليعلن الأقانيم الثلاثة ثم يمتد بسرعة وبدون مناسبة ليشمل تدبير الخلاص، نجد الطقس الإسكندري يقف في وضعه النواتي (نواة) الأول كما هو، محصوراً فقط في وسيلة الانتقال من التسبيح إلى طلب ملء الذبيحة تمهيداً للدخول في التأسيس ــ أي تقديس الخبز والخمر.

(21) ننبه أنه يلزم التمييز بين **مقدِّمة** التسبحة **ومقدِّمة** ''الإفخارستيا'' نفسها، التي تبدأ بالحوار المثلث: الرب مع جميعكم/ ارفعوا قلوبكم / فلنشكر الرب، ثم الشكر على الخليقة ... إلخ.

وفي مخطوطة دير البلايزا يبدو هذا الاختصار في الانتقال على أدق صورة، إذ يكتفي بعد "قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك" بأن يقول: "املأنا نحن أيضاً من مجدك وتفضَّل وأرسل روحك القدوس ...". كما توجد مخطوطة أخرى بردية محفوظة بمكتبة جون رايلاند بمنشستر بإنجلترا[22] فحصها بدقة العالم ك. هـ. روبيرتس[23] وقرر أنها منسوخة في القرن السادس وأنها تعطي صورة مطابقة كثيراً لإفخارستيا مار مرقس. وهي تشمل نهاية التسبحة الشاروبيمية حتى آخر "الاستدعاء" الذي يلي التسبحة الشاروبيمية. هذه المخطوطة نقرأ لها في هذا االموضع الوصلة التي تربط التسبحة بالاستدعاء هكذا:

[لأنه بالحقيقة السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس **بواسطة** ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح].

كذلك قداس مار مرقس (المخطوطة المستخدمة في برايتمان)، فإنه يتسع في هذا الموضع ولكن بحذق إذ يأخذ آخر عبارة في النص الكتابي "السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس" ويزيدها "**تحقيقاً**" بروح العبادة قائلاً "**بالحقيقة**"، ثم يستمر بنفس روح مقدِّمة الإفخارستيا التي بدأ بها ليحقق أن هذا الملء أي أن انتشار المجد الإلهي حتى ملء السماء والأرض **هو حادث عن طريق وساطة الرب يسوع**، **بنفس** تسلسل المعنى الذي قدمت به الإفخارستيا في البداية ـ أي أنك أكملت خلقة السماء والأرض وكل ما فيها وأكملت خلقة الإنسان وكل شيء "**بواسطة حكمتك نورك الحقيقي ابنك الوحيد**".

وأيضاً كما أن إفخارستيا الذبيحة الناطقة، الخدمة غير الدموية هي أيضاً **من قبله تقرب للآب معه!!** كذلك فالسماء والأرض امتلأت من مجد الله بواسطة ظهور ابنه!!

وبهذا تكون مقدمة إفخارستية مار مرقس قد نجحت في تلافي انقطاع التسلسل الفكري أو حدوث أي فراغ أو تبلبل في المعنى من جراء دخول التسبحة الشاروبيمية داخل تقديم الإفخارستيا.

ويعلِّق على ذلك العالِم كوكن[24] أن إفخارستية مار مرقس تصر على تفخيم دور الوساطة التي

(22) C.H. Roberts, *Catalogue of the Gr. & Lat. papyri in the J. Rylands Lib.*, Manchester, III, 1938, p. 25-28; nº465.

(23) *Ibid*.

(24) توجد بعض القداسات الأرمنية تحمل صورة مصغَّرة من هذا الاعتراف في وساطة الابن في الخليقة والذبيحة (انظر Coquin *op. cit.*, pp. 328, n. 57).

يقوم بها الرب يسوع مؤكدة على أنه ينبغي أن يكون موضع إعلان وشهادة. ويضيف كوكن ''إننا في الواقع لا نقابل مثل هذا الحذق في أي قداس شرقي آخر.''

ويقيناً أن هذا الاتجاه الفكري في إبراز وساطة الرب يسوع هو عقيدة لاهوتية متأصلة في التقليد الإسكندري، لأننا نجدها أيضاً بغاية الوضوح والإصرار في قداس باسيليوس المستخدم في مصر الذي يورد هذا النص: **[هذا الذي خلقت به كل شيء ما يُرى وما لا يُرى]** استدراكاً لما سبق ذكره من خلقة الله للسماء والأرض والبحر وكل ما فيها، وهنا يبرز عنصر الإصرار في التقليد القبطي. في حين أن قداس باسيليوس السرياني البيزنطي يخلو من هذا الاتجاه العقيدي تماماً[25].

وهذا الاتجاه العقائدي الذي يبرز أهمية وساطة الابن في الخلقة وفي تقديم الذبيحة، كما هو واضح في قداس مرقس الرسول والقداس المصري لباسيليوس، وهو في الواقع تقليد عتيق للغاية، نقرأ عنه كثيراً جداً وبوضوح عند أوريجانوس:

[وعلى ذلك فنحن نعبد ـ بكل قوانا ـ الله الواحد وابنه الوحيد الكلمة ـ صورة الله ـ وذلك بالصلوات والتضرعات، مقدمين توسلاتنا لله خالق العالم بواسطة ابنه الوحيد، **نقدِّمها أولاً للابن متضرعين إليه بصفته كفارة لخطايانا وكاهناً أعظم لكي يقدم ذبائحنا** واشتياقاتنا وصلواتنا **إلى الله العلي**.][26]

ونضيف إلى ذلك أقوالاً من كليمندس الإسكندري تثبت أن هذه العقيدة في مصر أقدم أيضاً من القرن الثالث:

[وإن كنَّا نقول (في الكنيسة) **إن الرب كرئيس كهنة أعظم يقدِّم إلى الله** بخوراً ذا رائحة عطرة، فلا نتصور أن ذلك يعني ذبيحة وبخوراً عطراً (مادياً)، ولكن ينبغي أن نفهم أن ذلك يعني أن الرب يصنع ذبيحة ''الأغابي'' المقبولة كرائحة روحية عطرة على المذبح (السمائي).][27]

وهنا يتحفنا العالِم كوكن بعدة مراجع تبرهن على مقدار قدم هذه العقيدة حيث يتتبعها العلماء إلى القرن الثاني، ومنها يستقرئ كوكن أن قداس مار مرقس كان قد بلغ نضوجه العقيدي هذا مسجِّلاً هذا النص (بدون الاستدعاء المطوَّل الذي يأتي بعد التذكار) ـ قبل الدخول في الصراعات

(25) Coquin, *op. cit.*, p. 328.

(26) Origen, *Against Celsus*, VIII, 13, ANF IV, p. 644.

(27) Clement of Alexandria, *The Instructor, II, 8*, ANF II, p. 255.

مع الآريوسية التي بدأت في بكور القرن الرابع[28].

❋ **"املأ" هذه الصعيدة** plhrîson:

هذه الكلمة هي إحدى مميزات الإفخارستيا الإسكندرية، وتُستخدم كما سبق وقلنا لربط التسبحة الشاروبيمية بالإفخارستيا مرة أخرى، وذلك استعداداً للدخول في الاستدعاء ''الصغير'' Epiclesis.

ولكن بينما تتجه بردية دير البلايزا إلى طلب **ملء المجد** (وليس بالبركة فقط كالعادة) للعابدين الواقفين في الكنيسة ومقدمي الذبيحة [**املأنا** نحن أيضاً من **مجدك**] أي بنفس المجد الذي يملأ السماء والأرض[29]، نجد أنافورا مار مرقس تتجه إلى ملء "**هذه الصعيدة**" التي لك "**بالبركة**"، والبركة في المفهوم الطقسي واللاهوتي القديم هي التقديس. أمَّا أنافورا سيرابيون فيطلب: [املأ هذه الذبيحة ''**بقوتك**'' و"**شركتك**"]. وليلاحَظ دائماً أنه لا فرق إطلاقاً في المفهوم الذبائحي الإفخارستي بين ''قربان'' و''ذبيحة'' و''صعيدة''، فقد وردت كلها معاً في آية واحدة: «كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة (بخوراً).» (أف 2:5)

رؤية أعمق لمفهوم هذا الاصطلاح الليتورجي الإسكندري "املأ":

هذا الاصطلاح الكنسي الذي استخدمته الإسكندرية لربط تقديس الله بتقديس الذبيحة ''املأ'' plhrîson هو نفس الاصطلاح الذي استخدمه المسيح للتعبير عن ''تكميل'' الإفخارستيا في ملكوت الله plhrwqí حيث الكلمة تعني ''ملء'' أو ''تكميل'' على حد سواء: «لا أشرب منه بعد حتى **يكمل** في ملكوت الله plhrwqí ™n tí basile…v toà Qeoà.» (لو 16:22)

ولكي يتضح أكثر أن كلمة ''املأ'' هي هي نفسها كلمة ''أكمِّل'' سواء باليونانية أو العبرية، يكفي أن نشير إلى أن كلمة ''يكمِّل'' في العبرية يجيء نطقها هكذا mill'e وهو يطابق الكلمة العربية ''ملأ''.

- فهنا **التكميل** لهذه الذبيحة كان بالنسبة للمسيح متوقفاً على قيامته وصعوده.

(28) Coquin. *op. cit.*, p. 329.

(29) يلزم أن نضع أمام القارئ هذه الآيات حتى يدرك الروح الإنجيلية التي كتبت بها الأنافورا الإسكندرية:

+ «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل.» (أف 10:4)،

+ «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف 19:3)،

+ «امتلئوا بالروح مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح.» (أف 19:5)،

+ «في الكنيسة التي هي جسده ملؤه، ذاك الذي يملأ كل شيء في الكل.» (أف 23:1)

ويُلاحَظ أن هذه الآية الأخيرة تأتي مباشرة بعد الآية التي منها أخذت مقدمة التسبحة «لأنه فوق كل رياسة وسلطان... إلخ».

- وأيضاً فإن **التكميل** لهذه الذبيحة كان متوقفاً على **إرسال** الروح القدس بالنسبة لنا.
- لذلك حينما يصلِّي الكاهن طالباً الملء أو التكميل، فهو يتمسك بوعد إفخارستي نطقه الرب ضمن تأسيس السر، ويحقق عهداً بآن واحد. فإذا **طلب الكاهن الروح القدس "للتكميل"** أي الملء، فهو يمارس حقاً وعد به المسيح، وإذا لم يطلب الروح القدس بالذات ولكن اكتفى بطلب **"الملء"** فالحاصل أن الرب **سيرسل الروح القدس من تلقاء ذاته "ليكمل" الذبيحة.** لأن المسيح يجلس معنا الآن، أو بالحري نجلس نحن معه، على مائدته في ملكوته ونشرب معه أو بالحري يشرب معنا من نتاج الكرمة الجديد، حيث ''الجدة'' تشير إلى ملء الروح.

ولكن الذي ينبغي الإشارة إليه هو أن هذا الاصطلاح ''املأ هذه الذبيحة'' هو في الواقع **نص إفخارستي** احتفظت به الليتورجية القبطية منذ البدء كجزء لا يتجزأ من قانون الإفخارستيا أو ''الرسم الإفخارستي'' الذي أسسه الرب بقوله: «إلى أن يكمل (أو يملأ)» **فهو ضمن كلمات الرب التأسيسية لسر الإفخارستيا** احتفظت به الليتورجيا القبطية منذ البدء وتمسكت به حتى اليوم، ولكنه مفقود من كافة الليتورجيات الأخرى.

ولكن الدقة والحبك الذي استخدمه الأقباط في **اختيار "الموضع" المناسب الذي يُقال فيه،** هو الذي صرف انتباه العلماء عن **"المعنى الإفخارستي"** الأساسي له والقصد اللاهوتي في استخدامه. فلأن الأقباط وضعوه بعد لفظة ''السماء والأرض مملوءتان من مجدك، هكذا ... **املأ أيضاً** هذه الصعيدة'' ظن العلماء أن المسألة لا تعدو تسلسل أفكار ولباقة في استخدام ''الكلمات المترادفة''. فكما ملأ الله السماء والأرض من مجده بظهور المسيح يطلب الكاهن أن يملأ هذه الذبيحة أيضاً. ولكن المعنى الحقيقي يتعدَّى هذا المعنى الظاهري:

أولاً: فالمسيح الآن وقد صعد فوق السموات فوق كل رياسة وسلطان وفوق الشاروبيم والسيرافيم، كما تقول الصلاة، أي استوى على عرشه ودانت له ملكوت السموات. فالآن حق لنا أن نتمسَّك بالوعد الذي قاله أنه سيكمِّل الإفخارستيا في ملكوت السموات: «إني لا آكل منه **حتى يكمل في ملكوت الله»** لذلك يتوسل الكاهن كواثق من وعد المسيح ''**فالآن** املأ هذه الصعيدة'' أي ''كمِّلها''**!**

ثانياً: أمَّا اختيار هذا الموضع بالذات للهتاف بالتسبحة الشاروبيمية فالموقف نفسه هو الذي حتَّم بذلك لأن المسيح مستعلن الآن على المذبح بحسب هتاف الشماس سابقاً ''والقلوب مرفوعة إليه''، فالهتاف مع الملائكة والسيرافيم والشاروبيم أصبح ضرورة حتمية. وهذا الهتاف بهذه التسبحة للمسيح مع طلب ملء الذبيحة باعتبار المسيح موجوداً الآن وقائماً على المذبح هو بحد ذاته اعتراف

وشهادة بأن ‘‘ملكوت الله قد أتى’’. المسيح هنا هو ملكوت الله، هو الآتي باسم الرب «لن تروني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب» (مت 39:23). وهذه الآية يضعها قداس القديس غريغوريوس بالذات هنا تأكيداً لهذا المعنى، ويضيف إليها أيضاً: «أوصنا في الأعالي» ـ أي أن المسيح قد استعلن والخلاص معه ممثلاً في الجسد، ولو أن الطقس يعتبر هذا النداء سابقاً لأوانه.

كما يهتف الكاهن قبل ذلك عند قراءة الإنجيل حيث تستعلن ‘‘الكلمة’’ وكما سيهتف كل الشعب عندما يقول الكاهن ‘‘القدسات للقديسين’’.

أي أن هذا التسبيح هو إعلان لاستعلان **ظهور ملكوت السموات في جسد ودم المسيح،** لذلك تُعتبر هذه اللحظة أنها هي اللحظة الحاسمة التي نطلب فيها من الرب أن يكمِّل وعده «لأني أقول لكم إني لا أشرب من نتاج الكرمة **حتى يأتي ملكوت الله**.» (لو 18:22)

والآن، وإذ قد أتى ملكوت الله، إذاً ‘‘املأ وكمِّل هذه الصعيدة حسب وعدك’’.

ومن الأشياء الملفتة لنظر الباحث المدقق محاولة قداس باسيليوس وضع لمسة من اللمسات المصرية الصميمة (في تركيبه البيزنطي) بتطبيق عقيدة الملء هذه، ولكن بتسبحة أخرى غير تسبحة الشاروبيم. فهو هنا ـ إمعاناً في صبغ القداس بالصبغة المسيحية الصرف، يختار تسبحة الملائكة يوم ميلاد الرب يسوع: ‘‘المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة’’، يلتقط كلمة ‘‘المسرة’’ من نهاية التسبحة ويضعها في فم الكاهن لتكون وصلة الدخول في موضوع الإفخارستيا مرة أخرى ‘‘بمسرتك يا الله **املأ** قلوبنا من سلامك ... لكي نتناول ...’’.

ولكن وبالرغم من هذا الوعي للتقليد الإسكندري الذي جاء متقدماً في صلاة الصلح (قبل الدخول في القداس رسمياً ـ علماً بأن الإفخارستيا الكبرى تبتدئ بـ ‘‘ارفعوا قلوبكم’’)، نجد في هذا القداس ذاته (قداس القديس باسيليوس) تجاوزاً للقاعدة التقليدية في تركيب التسبحة الشاروبيمية حيث لا تبتدئ ولا تنتهي بالشكر أو تمجيد الاسم كالتقليد القديم ـ مثل قداس مار مرقس، وهذا يسجله لنا أوريجانوس: [وكما بدأنا الصلاة بتمجيد الله، فمن المناسب أن نختمها بتمجيد وتسبيح: نمجد الآب بالمسيح يسوع في الروح القدس][30]، ولا تهتم باختيار الوصلة المختصرة المناسبة التي تربط التسبحة بالإفخارستيا، بل يمتد قداس باسيليوس بالتسبحة بالعكس، ويدخل مرة أخرى فيما

(30) Origen, *On Prayer*, Ch. 33.

يصلح أن يكون مقدمة الإفخارستيا: الخلقة والسقوط والتجسُّد (حيث كان المنتظر أن يدخل هنا في التقديس ولكنه يستمر ليذكر الآلام والقيامة والصعود والجلوس والمجيء الثاني والدينونة، قبل التقديس). وأخيراً [وفيما هو راسم أن يسلِّم نفسه عن حياة العالم] يدخل إلى تقديس الخبز والخمر! ثم يعود مضطراً بحكم التقليد الطقسي ويستدرك كل ما قاله ـ قبل التقديس ـ ويعيد تذكاره مرة أخرى في موضعه الأصيل بعد التقديس. [ففيما نحن نصنع ذكر **آلامه وقيامته** ... **وصعوده** ... **وجلوسه** ... **وظهوره الثاني**]. وهكذا يظهر لنا أن تقليد أنافورا باسيليوس يختلف عن التقليد الإسكندري في مواضع هامة. كذلك يتبين لنا أصالة قداس مار مرقس ودقته التقليدية، وقدمه السحيق الذي يقول عنه دكس: ‘‘إن امتداده غير منقطع قط حتى إلى الرسل’’!

كما يتبين لنا من تركيب قداس القديس باسيليوس أنه تخريج من التقليد القديم (من قداس مار مرقس) تحرر كثيراً عن الدقة التقليدية حسب الطقس الليتورجي القديم.

كذلك نعتقد أن صلاة الصلح في قداس القديس باسيليوس هي مصرية الأصل والتأليف، وأقدم من زمن القديس باسيليوس نفسه، ويشتبه في أن تكون هي بحد ذاتها **إفخارستيا مسيحية كاملة**، أي نموذجاً مسيحياً لصلاة شكر كاملة قديمة غاية القدم قصد مؤلفها أن يضع تسبيحاً ملائكياً مسيحياً أصيلاً وكاملاً هتفت به الملائكة يوم ميلاد المسيح نفسه، ليكون بديلاً عن التسبحة الشاروبيمية المأخوذة من خدمة الصباح للمجمع اليهودي، وضعت بعد تقديم الحمل بمفهومه القديم (الذي يتم فيه تقديس الخبز والخمر وحلول المسيح).

وبهذا كانت ‘‘صلاة الصلح’’ هذه تنتهي بالتناول وذلك من واقع منطوقها [لكي نتناول بغير وقوع في دينونة من قربانك غير المائت السمائي]، حيث تأتي القبلة المقدَّسة قبل التناول مباشرة حسب أقدم تقليد ليتورجي في مصر (أخذت عنه روما وبقي فيها حتى الآن، وأول مَنْ كشفه وأثبته هو البابا إينوسنتيوس ـ وحسب ما سجله العلاَّمة أوريجانوس الإسكندري) وبعد القبلة ينادي الشماس أصلاً [تقدَّموا تقدَّموا بالترتيب kat¦ trÒpon] أي الأساقفة أولاً ثم الشمامسة ثم النسَّاك (طقس قديم قبل الرهبنة) ثم الشعب. وبقية نداء الشماس هنا يكشف بوضوح أنه نداء يختص بالتناول حيث يقول صراحة أن الموجود على المذبح هو [جسد ودم عمانوئيل] ويرد الشعب (رحمة السلام ذبيحة التسبيح) الذي هو مطلع التسبيح بالمزمور المناسب أثناء التناول. ولكن بدخول الإفخارستيا الكبرى انحصر كل هذا الطقس في حدود تقديم الحمل فقط حيث تبدأ الإفخارستيا الكبرى الجديدة من أول [ارفعوا قلوبكم].

رابعاً: الاستدعاء الصغير

Epiclesis - Invocation

'Ep…klhsij

الاستدعاء epiclesis يعني الدعاء بالاسم (باسم الله) على الشيء pikalšw™. وبحسب المفهوم التقليدي العبري القديم يكون هذا هو البركة[1] تماماً أو التقديس أو الشكر (الآية «كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلص» أع 21:2، أي كل مَنْ يبارك الله يتبارك).

وهنا يتضح لنا أكثر معنى قول القديس إيرينيئوس: [إن الخبز الذي يتقبَّل الدعاء باسم الله epiclesis لا يعود بعد خبزاً عادياً بل إفخارستياً][2] هذا يجعلنا نفهم أن "الدعاء بالاسم" كان هو صميم "عملية التقديس" منذ بدء الإفخارستيا.

ولكن هذا الدعاء بالاسم نجده على أوضح وأوقع صورة في تقديم الحمل حينما يبارك الكاهن اسم الثالوث المقدَّس كل أقنوم بمفرده وباسمه الخاص: الآب "ضابط الكل"، والابن "المونوجينيس"، والروح "الباراكليت" على الخبز (والكأس). ولكن نعود في نفس طقس "تقديم الحمل" ونجد أيضاً استدعاءً آخر بالاسم epiclesis ينادي فيه باسم الأقنوم الثاني فقط وبصفاته الشخصية: "كلمة الآب" "الخبز الحي" "الحمل" الذي بلا عيب، مع الطلب "بالظهور الشخصي" [اظهر وجهك على الخبز والخمر – (اقنومك)]. ويتجدد هنا الطلب لصيرورة الخبز جسداً للمسيح والخمر دماً للمسيح. ثم نعود في قداس مار مرقس لنجد بعد التسبحة الشاروبيمية استدعاءً آخر على نمط استدعاء "تقديم الحمل" ولكن موجهاً للآب، ويتحدد الطلب فيه **بملء الصعيدة بالبركة بحلول الروح القدس عليها للبركة والتقديس (فقط) أي بدون إعادة المطالبة لجعل الخبز جسداً أو الخمر دماً.**

وهنا يتضح أمامنا أن **منطوق هذا الاستدعاء الذي يأتي بعد التسبحة الشاروبيمية كان على**

---

(1) Greg. Dix, *op. cit.*, pp. 274, 275.

(2) Iren., *Adv. Haer.*, IV, 18,5.

دراية تامة بما تم في طقس تقديم الحمل - أي التقديس وصيرورة الخبز جسداً والخمر دماً، وهو لا يغفل أن يذكر ذلك أيضاً إذ يقول: [قرابينك هذه **المكرَّمة** التي **بدئ بوضعها** أمامك]. ولاحظ التشديد على كلمة ''قرابينك هذه **المكرَّمة**'' كذلك جملة "**بدئ بوضعها**" إشارة إلى طقس تقديم الحمل.

إذاً، فهذا الاستدعاء له صلة جوهرية بتقديم الحمل، فهو أقدم مما تصوره العلماء الذين فحصوا ليتورجية مرقس الرسول. وقد استرعى انتباه الأسقف العالِم و. هـ. فرير W. H. Frere وعلَّق على ذلك تعليقاً حكيماً وذكياً، ولكن للأسف تركه معلَّقاً دون أي فحص. يقول فرير:

[هذا الاستدعاء الأولي يستحق مزيداً من الانتباه أكثر مما أُعطي له حتى الآن. ويمكن اعتباره أنه **ذو ملامح عتيقة حُفِظَ في مكانه العتيق** قبل تلاوة التقديس (على الخبز والخمر) **وبقي على حاله العتيق** من البساطة بلا أي تغيير حتى بعد أن اقتبست الإسكندرية ''الاستدعاء'' المتطور (من سوريا) ووضعته - كما وضعه الآخرون - بعد تلاوة التقديس (على الخبز والخمر).

لذلك فإن هذا الاستدعاء الأول (قبل التقديس) **يعتبر ذخيرة أثرية لاستدعاءٍ تخلف عن التطور** بعدما احتل الاستدعاء الجديد بثقله الكامل مكانه بعد تلاوة التقديس](3) أهـ.

هذه اللفتة الكريمة من هذا الأسقف العالِم جعلتنا أكثر اشتياقاً لمزيد من الدرس والفحص لهذا ''الاستدعاء'' الأثري فعلاً، ولكن بحسب ما انتهى إليه العلماء قاطبة أنه لم يدخل استدعاءٌ قط داخل الإفخارستيا **لمباشرة تحويل الخبز والخمر** صراحة قبل القرن الرابع، وعلى وجه الخصوص جداً (مصر)**!**(4)

هذا يجعلنا نزداد يقيناً من أن الاستدعاء الذي أمامنا (قبل تلاوة التقديس) هو عتيق فعلاً **بسبب عدم تحديده لفعل التحوُّل**، بل يكتفي بأن يكون حلول الروح القدس **للبركة والتقديس** فقط [بالبركة بارك وبالتقديس قدِّس].

كما نعتقد أن الاستدعاء "**لملء الصعيدة**" في هذا المكان لم يجيء ليحل محل الاستدعاء الموجود في طقس تقديم الحمل وهو الاستدعاء التقليدي حسب تقليد الإسكندرية الأصيل ''استدعاء اللوغس''، بل ليكمله. فالأول استدعاء الكلمة "**اللوغس**" لجعل الخبز جسداً له والخمر دماً له (كما جاء في سيرابيون)، والثاني توسُّل إلى الآب لاستدعاء الروح القدس ''على **هذه الصعيدة التي لك**''

(3) W.H. Frere, *The Anaphora or Great Eucharistic Prayer*, p. 85.
(4) *Ibid.*, 86-89.

التي هي هي ‘‘ذبيحة المسيح’’ للبركة والتقديس. فهي عملية تكميل بالروح القدس لما تممه المسيح ‘‘اللوغس’’ كما تم في الأُردن وكما تم في يوم الخمسين.

وكون حلول الروح القدس هنا كان يُفهم في الكنيسة دائماً أنه "**لتكميل**" الصعيدة (الذبيحة) فقط يتضح من قداس القديس مرقس الرسول حيث يقول في هذا الموضع:

[بالحقيقة السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدَّس، **كمِّل الذبيحة** لك بالبركة التي من قبلك بحلول روحك القدوس عليها، وبالبركة بارك، وبالتطهير طهِّر هذه القرابين المكرَّمة الموضوعة قدامك، هذا الخبز وهذه الكأس].

وهنا يلزمنا أن نتذكر أن فعل ‘‘الملء’’ أو ‘‘التكميل’’ لذبيحة الإفخارستيا هو فعل إفخارستي أصيل **أشار إليه الرب ليلة العشاء الأخير أنه ناقص ووعد بتكميله، وكمَّله بالفعل بحلول الروح القدس يوم الخمسين والكنيسة تمارسه هنا بصورة رائعة حقًّا:** «أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي» **!**

لذلك فإن الاستدعاء الذي يأتي بعد التقديس يُعتبر تكراراً مزاداً وموسعاً جداً للاستدعاء الذي قبل التقديس. وهذا يزداد وضوحاً للغاية إذا قارنا بين نص الاستدعاء الثاني مع نص الاستدعاء الأول ـ بعد اختزال الأوصاف التي جاءت مزادة على الروح القدس كما جاءت في الاستدعاء الثاني ـ فيتبين لنا أنه فعلاً تكرار (انظر الجدول):

الاستدعاء الأول في قداس ق. مرقس قبل التقديس	**الاستدعاء الثاني في قداس ق. مرقس بعد التقديس**
1ـ بحلول روحك القدوس عليها 2ـ بالبركة بارك وبالتقديس قدِّس **3ـ قرابينك هذه "المكرَّمة" المبدوء بوضعها أمامك.**	**1ـ وأرسل إلى أسفل ... روحك القدوس** علينا وعلى ... **2ـ القرابين التي لك "المكرَّمة" السابق وضعها أمامك** 3ـ لكي يتطهرا وينقلا.

وواضح أن كل الأوصاف المزادة التي للروح القدس التي جاءت في الاستدعاء الثاني هي أوصاف

لاهوتية عقائدية صرف، زيدت ـ في القرن الرابع ـ لتخدم قضية الإيمان بوحدة الجوهر للآب والابن والروح القدس، تلك القضية التي انفجرت فعلاً قبل القرن الرابع وانتهت بحسمها في المجمع المسكوني القسطنطيني سنة 381م. أمَّا تحديد عمل الروح القدس في الاستدعاء الثاني ليجعل الخبز جسداً والخمر دماً فهذا الاقتباس في الواقع أُخذ كما هو من الليتورجيا السوريانية. لذلك يجيء هنا متكرراً **حيث سبق تلاوته في موضعه الإفخارستي الأصيل الذي في "تقديم الحمل"**.

أمَّا كون الاستدعاء كان موضعه الأصلي القديم بعد التسبحة الشاروبيمية مباشرة في إفخارستية مرقس الرسول، فهذا يتضح من مصدر آخر هو عظات كيرلس الأُورشليمي على إفخارستيا أورشليم (قدَّاس يعقوب الرسول قبل تطويره) التي يشرح فيها مراحل الإفخارستيا هناك بتدقيق، حيث يذكر أن **الاستدعاء الوحيد يأتي بعد التسبحة الشاروبيمية مباشرة!**

وإليك شرح القديس كيرلس الأُورشليمي مع تعليق العالم دكس:

[وبعد التسبحة الشاروبيمية يأتي اللغز الأعظم في شرح القديس كيرلس لصلاة الإفخارستيا كما كانت في أيامه، يقول القديس كيرلس (وبعد أن نكون قد قدسنا ذواتنا بهذه التسبحة الروحانية "التسبحة الشاروبيمية Sanctus" نتوسل إلى الله ليرسل الروح القدس ...). هل حقاً يمكن أن يأتي في طقس أورشليم استدعاء الروح بعد التسبحة الشاروبيمية بدون شكر على الخليقة وعلى التجسُّد والآلام **وبدون تلاوة التأسيس "كلمات الرب للتقديس على الخبز والخمر"** وبدون تذكار حيث لا يتوسط بين التسبحة الشاروبيمية والاستدعاء أي شيء آخر؟ هذا هو ما يريد أن يقوله القديس كيرلس، ولكن هذه الحقيقة بدت غير محتملة لمعلقين كثيرين وشرَّاح الليتورجيا حتى أنهم حاولوا جاهدين ليقوّلوه غير ما قال ... ولكني أعترف أني أشك فيما حاوله هؤلاء الشرَّاح، لأن هذا الكاتب ـ القديس كيرلس الأُورشليمي ـ يُعتبر حجة أمينة في التعليق والتلخيص].

(وهنا يبتدئ العالِم دكس في أن يثبت أصالة شرح كيرلس ودقة سرده للحوادث على التوالي حتى يقنع القارئ باستحالة حدوث أي منفذ يؤدي إلى غير ما قاله وأثبته القديس كيرلس الأُورشليمي أن الاستدعاء في الليتورجيا في أُورشليم يجيء بعد التسبحة مباشرة).. ثم يستطرد دكس:

[وعلى كل حال أنه يبدو لي على أحسن وجه أن كيرلس يعني ما يقوله وأن الاستدعاء في القرن الرابع في أُورشليم كان يتبع التسبحة الشاروبيمية مباشرة ـ (ويُلاحظ أن أُورشليم أخذت عن مصر بالذات وبالدرجة الأُولى التسبحة الشاروبيمية ومقدمتها)، هذه هي الحقيقة مهما بدا

هذا الترتيب غير متوقع لدينا بمفهومنا الحديث عن الترتيب العادي لصلاة التقديس.](5)

ويعلّق دكس أيضاً على ذلك بقوله: [إن بعد هذا الاستدعاء **تكون الذبيحة قد تكاملت تماماً**](6) بحسب طقس كيرلس الأُورشليمي.

ونحن لا نستطيع أن نعبر على شرح القديس كيرلس الأُورشليمي لإفخارستية يعقوب الرسول في أيامه سنة 348م قبل أن تتطور ـ دون أن ننتبه إلى أن ما يقوله إنما ينطبق تماماً على إفخارستية مرقس الرسول، خصوصاً وأنه من الأمور المؤكدة أن أورشليم أخذت عن مصر التسبحة الشاروبيمية بمقدمتها.

ومن شرح القديس كيرلس يتأكد لدينا أن طقس ''الإفخارستيا'' المسيحية في بدايته كان لا يخرج عن وضعه التقليدي القديم ''صلاة شكر وتسبيح'' على كأس البركة الأخير كما مارسه الرب في العشاء الأخير، إنما مضافاً إليه **أولاً** التعبيرات المسيحية اللازمة للإفخارستيا الجديدة، **وثانياً** "**التكميل**" أو ''الملء **الجديد**'' الذي وعد به الرب «لا آكل منه حتى "**يكمل**" في ملكوت الله» (لو 16:22)، «وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه **معكم**، "**جديداً**" في ملكوت أبي. ثم سبحوا وخرجوا.» (مت 29:26)

ونحن لا نرى في الطقس الذي يشرحه القديس كيرلس الأُورشليمي (طقس أورشليم = إفخارستيا القديس يعقوب) أكثر من هذا، فهو يكشف عن أن الإفخارستيا(7) كانت بالفعل عبارة عن:

1ـ **مقدمة**: (حوار الكاهن مع الشعب، ثم ''مستحق وعادل''، ثم شكر على خلقة ما في السموات وما على الأرض وفي البحر وما يُرى وما لا يُرى).

2ـ **التسبحة الشاروبيمية**: بوضعها الإسكندري المعروف لدينا تماماً.

3ـ **استدعاء الروح القدس**: ''لتحويل'' الخبز إلى جسد الرب والخمر إلى دم الرب (هنا بداية دخول عقيدة التحوُّل).

4ـ **الصلوات التوسلية (الأواشي)**: منقولة من مكانها في أيام القديس كيرلس الأُورشليمي لتكون بعد التقديس بالروح القدس بحسب شرحه، حيث يعلل ذلك أنه طلباً لمزيد من التقديس.

(5) Greg. Dix, *op. cit.*, pp. 197, 198.
(6) *Ibid*., p. 199.
(7) *Ibid*., pp. 188-196.

ولكن لا يمكن فهم طقس كيرلس الأُورشليمي (الإفخارستيا المسيحية) بل **ويستحيل قبوله أو تصوره على الإطلاق إلاَّ إذا وضعنا في الاعتبار قدسية طقس "تقديم الحمل" وهو طقس تقديسي كامل صامت يتم على الخبز والكأس ويجري في البداية على نمط ما تمَّ في العشاء الأخير**.

بهذا الوضع تصير إفخارستية يعقوب الرسول التي شرحها كيرلس صحيحة وسليمة ومقبولة مائة في المائة، لأنها تأتي كصلاة شكر ختامية ـ بعد التقديس على الخبز والخمر ـ وتنتهي بالتسبيح وطلب ملء الروح القدس.

إذاً، فإهمال طقس تقديم الحمل وعدم ضمّه للأنافورا رسمياً هو الذي أنشأ القصور في فهم الليتورجيات الأُولى، والذي بدونه يستحيل فهم الإفخارستيا المسيحية بأي حال من الأحوال.

وطبعاً الذي زاد من صعوبة فهم إفخارستية القديس كيرلس الأُورشليمي هو التطور الذي تمَّ لها بعد هذا التاريخ سنة 348م. حيث دخلتها كل عناصر التقديس على الخبز والكأس من جديد حتى غطت على طقس ''تقديم الحمل'' الذي انكمش وانحصر في مفهوم الليتورجيا الحديثة في حيز ضيق لا يزيد عن كونه "**وضع الخبز والكأس على المذبح**" وحسب، وهكذا بدت إفخارستية القديس كيرلس ـ وهي فاقدة التقديس ـ ناقصة ومبتورة مع أنها كاملة وصحيحة إذا أدركنا أنها الجزء الأخير من طقس "**التقديم التقديسي**".

على هذا القياس ينحل أمامنا لغز ''الإفخارستيا'' على وجه العموم وبالأخص جداً **إفخارستية مرقس الرسول التي تعتبر أم الإفخارستيات في العالم**، لأنه إذا أخذنا بحسب تقرير كل علماء الليتورجيات **أن مصر هي المسئولة عن التسبحة الشاروبيمية بمقدمتها وهي التي صدرتها إلى أُورشليم وإيطاليا**[8]، ثم وبحسب شرح القديس كيرلس الأُورشليمي لم تكن إفخارستية أورشليم في أيامه (التي للقديس يعقوب الرسول) أكثر من هذا، أي من المقدمة ثم التسبحة الشاروبيمية ثم استدعاء الروح القدس، إذاً، فبالتالي **تكون مصر هي "أم الإفخارستيا المسيحية" بلا نزاع!**

كذلك فإن الإفخارستيا ـ أية إفخارستيا ـ لم تكن في نواتها الأُولى أكثر مما شرح كيرلس الأورشليمي: **شكر وتسبيح واستدعاء** ''الروح القدس'' للملء (أو للتكميل). ومن هنا يلزم أن تبدأ كل دراسة لليتورجيا.

---

(8) *Ibid*., p. 165.

وهكذا فكل استقراءات العالِم دكس تبدو الآن صحيحة تاريخياً وذات أسباب وأصول: مثل قوله:

[هل من الممكن أن نتصور عينة أولية للإفخارستيا لا تتكون إلاَّ من "**ذكر اسم الله**"، يتبعه **عدة تشكرات** من أجل العهد الجديد، وتنتهي "**بتمجيد اسم الله**" ولا يكون فيها هذه الإضافات الكثيرة التي تبدو الآن هامة وضرورية للإفخارستيا؟ ولكن على كل حال يمكن (لمثل هذه العينة الأولية) بالحق تسميتها ''إفخارستيا''.

ونحن إذا درسنا كل أهداف الإفخارستيات الآن كما هي لدينا الآن **في كل التقاليد**، فنحن سوف نجد أنه يمكن اعتبارها ''تذكارات'' anamnesis تُتلى أمام الله ويُذكر فيها أعمال شخص يسوع المسيح!

أمَّا من جهتي فإنني في ختام هذا كله أرى أن مثل هذه الإفخارستية بمقدمتها ذات الحوار التقليدي يمكن اعتبارها مأخوذة من طقس ''البيراخوت اليهودي'' الذي استُعمل في العشاء الأخير وفي العصر الرسولي في الكنيسة الأُولى ـ التي كانت ذات صلة جوهرية بالطقس اليهودي ـ ولكن لو أردنا الرجوع في ذلك إلى النصوص الأُولى، فلا نجد أمامنا أقدم من نص "**هيبوليتس**" و"**أدّاي وماري**" اللذين يمكن إرجاعهما إلى بداية القرن الثالث. أمَّا أقدم من ذلك فليس أمامنا إلاَّ طقس الإسكندرية في ليتورجية القديس مرقس الرسول.

فهي تبدأ هكذا:

1ـ ذكر اسم الله.

2ـ الشكر **من أجل "الخليقة"**.

3ـ مقدِّمة وتسبحة الشاروبيم.

ونحن لو لاحظنا ما تقوله المقدمة بعد الشكر على الخليقة، نجده هكذا "**هذا الذي من قبله نشكر** (**نقدِّم هذه الإفخارستيا**) = **ونقرِّب لك معه ومع الروح القدس**". نلاحِظ أن هذه في الحقيقة بداية الذكصولوجية الختامية لتمجيد الاسم (حسب التقليد العبري القديم). وبالفعل تستمر إفخارستية القديس مرقس (في هذا التمجيد) هكذا: "**لأن اسمك عظيم يا رب في جميع الأمم وفي كل مكان يُقدَّم بخور لاسمك القدوس وصعيدة طاهرة**". فلو اسقطنا الأواشي كلها، وهي مضافة هنا، يستمر التمجيد هكذا: ''لأنك أنت فوق كل رئاسة ... **وكل اسم يسمَّى** ...'' ثم يستمر التمجيد حتى يبلغ أوجه مع الشاروبيم وهم يصيحون ويصرخون في تقديس وتمجيد اسم الله ''قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت، السماء

والأرض **مملوءتان من مجدك**''. وهنا تبلغ ذكصولوجية الختام أوجها، وتنتهي الإفخارستيا. فيرد الشعب بمرد الختام "**كما كان كذلك يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور آمين**"، **وهو المرد الذي يأتي حسب التقليد الأصيل القديم في نهاية الليتورجيا كلها**، كما هو حادث في ليتورجية سيرابيون، (مما يكشف ضمناً أن كل الصلوات التي اعترضت بين نهاية تسبحة الشاروبيم في إفخارستية سيرابيون ومرد الشعب ''كما كان هكذا يكون...'' هي مضافة أو منقولة من موضع سابق. ودليلنا على ذلك أن هذا المرد ''كما كان هكذا يكون'' لا ينسجم الآن مع الصلاة الأخيرة التي تسبقه في هذه الإفخارستية).][9] أهـ.

ونحن لم نشأ أن نعلِّق هنا على أقوال العالم دكس بخصوص أن ''الشكر من أجل الخليقة'' في المقدمة كان يتبعه شكر من أجل التجسُّد والفداء. لأننا نرى في إفخارستية مرقس الرسول نموذجاً لإفخارستية أقدم من الإفخارستيات التي ذكر فيها التجسُّد والفداء بصورته اللاهوتية المتقدمة التي هي من صنع القرن الثاني والقرن الثالث مثل إفخارستية هيبوليتس، لأن إفخارستية مرقس الرسول تحوي بكل أمانة نواة إفخارستية مارسها الرسول مرقس نفسه ــ أي في القرن الأول ــ بحسب تقليد العشاء الأخير تماماً مكتفياً بذكر اسم الرب يسوع وألقابه في الصلوات، كما هو حادث في ''الديداخي'' وكما هو مسجَّل بكل أمانة ودقة في مقدمة إفخارستيته الحالية. وقد أخذ قداس القديس باسيليوس نفس هذا التركيب.

على أن كل الإضافات التي زيدت على نواة الإفخارستيا الأُولى والتي تظهر من إغفال شرح كيرلس الأُورشليمي، والتي بلغت صورتها النهائية بعد القرن الرابع لم تكن عبثاً ولا كانت عبئاً على الإفخارستيا، بل كانت ضرورة قصوى لأن **طقس سر العشاء الأخير "تقديم الحمل" هو حتى الآن طقس صامت يتم فيه التقديس بمفهومه العبري بلا شرح وبلا توضيح وبلا أي تعبير مسيحي يشرح واقع التدبير الإلهي الذي تمَّ بالفداء**. إذاً، فكان من اللائق بل ومن الضروري أن تغطِّي "**الإفخارستيا**" المسيحية الجديدة كل الطقس القديم شرحاً وتعليقاً.

وللعالم دكس تعليق على طقس ''التقدمة'' في غاية الأهمية في نظرنا، لأن على أساسه يمكن فهم سبب أو غاية قيام وتطور الإفخارستيا المسيحية الجديدة نفسها. غير أن دكس لم يضع يده على الحقيقة تماماً، لأنه اعتقد أن طقس ''التقدمة'' (عند البيزنطيين) هو من استحداث القرن الخامس

(9) Greg. Dix, *op. cit.*, pp. 220-221.

حيث بدأ منذ ذلك الزمان يأخذ جمله التعبيريه وشرحه من **طقس أقدم كان يتمم في صمت** (تقديم الحمل الآن في طقس الكنيسة القبطية).

يقول دكس عن طقس التقديم هكذا:

[هذا (الطقس) بدأت الكنيسة تضع له الكلمات التي تشرح المعنى المقصود من التقديم الذي كانت الكنيسة فيما قبل ''مجمع نيقيه'' مقتنعة بتكميله ـ في صمت ـ بالفعل أو بالحركة المجرَّدة من الكلام، كذلك فإنه توجد صلوات أخرى منفصلة أُضيفت (إلى الليتورجيا) ـ حتى في عصر أقدم ـ تشرح بالكلمات معنى ''القسمة'' ومعنى ''الشركة'' التي كانت الكنيسة ـ فيما سبق جداً ـ مقتنعة بترك هذه الحركات تعبر عن نفسها بدون كلام.](10)

هذا الكلام الذي يقوله دكس هو في الواقع لا يخص ''التقدمة'' ـ أي طقس تقديم الحمل في الكنيسة القبطية ـ بأي حال من الأحوال كما يظن، **لأن "التقدمة" باقية كما هي كنموذج رائع للتعليم السري منذ العشاء الأخير، وخصوصاً في كنيستنا القبطية، حتى اليوم**. فهو مجرد حركات طقسية دقيقة جداً ومنطوق صلوات قصيرة وقليلة جداً تخلو تماماً من أي شرح أو تعليق، كما يخلو تماماً من أي عقيدة لاهوتية أياً كانت، ظل يتداول بالتسليم السرّي من كاهن إلى كاهن حتى اليوم، لذلك خلت كل المخطوطات من أي شرح أو تعليق أو حتى ذكر له **لأنه هو هو الجزء السري من العشاء الرباني الأخير**.

ولكن كلام دكس يكون صحيحاً مائة بالمائة فيما يخص الإفخارستيا المسيحية الجديدة كلها، فهي عبارة عن محاولة عظمى ذات تاريخ طويل لشرح التقدمة ـ التي هي نواة سر العشاء الأخير العملية ـ وتوضيح دقيق له على المستوى **التاريخي** «**في الليلة** التي أسلم فيها ذاته» **وطقسي** «أخذ خبزاً على **يديه** ـ ونظر إلى **فوق**» **ولاهوتي** «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد **يُعطى لمغفرة الخطايا**» ... إلخ إلخ ... وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل في مكانه.

---

(10) *Ibid.*, p. 511.

التأسيس: وهو كلمات الرب يسوع التي قالها على الخبز والكأس

	إفخارستية سيرابيون القرن الرابع	بردية دير البلايزه منسوخة في القرن السادس وتمثل طقس 200ـ300م	رقوق مانشستر ج. رايلاند القرن السادس	قدَّاس مار مرقس المطبوع القرن الثالث عشر
أن الرب كه	**لأن الرب** **يسوع المسيح** **في الليلة التي أُسلم فيها** **أخذ خبزاً**	**لأن ربنا** **يسوع المسيح** **في الليلة التي أُسلم فيها** **أخذ خبزاً** على يديه المقدستين وشكر وباركه وقدَّسه	**لأن ربنا** نفسه **يسوع المسيح** إلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا **في الليلة التي أسلم فيها ذاته عن خطايانا** والموت الذي احتمله عن الكل **أخذ خبزاً** على يديه المقدستين الطاهرتين اللتين بلا دنس ونظر إلى فوق نحو السماء إليك يا الله أباه وشكر وبارك وقدس	**لأن** ابنك الوحيد **ربنا** وإلهنا ومخلِّصنا **وملكنا** كلنا **يسوع المسيح** في الليلة التي أسلم ذاته فيها ليتألم عن خطايانا والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنَّا كلنا **أخذ خبزاً** على يديه المقدستين اللتين بلا عيب ولا دنس الطوباويتين المحييتين ونظر إلى فوق إلى السماء نحوك يا الله أباه وسيد كل أحد وشكر وباركه وقدسه
سدي	**وكسر وأعطى لتلاميذه** **قائلاً** **خذوا وكلوا** **هذا هو جسدي** **الذي يكسر عنكم** **لمغفرة الخطايا**	**وقسَّمه وأعطاه** **لتلاميذه ورسله قائلاً** **خذوا كلوا منه كلكم** **هذا هو جسدي** الذي **يبذل عنكم** **لمغفرة الخطايا**	**وكسر وأعطاه لتلاميذه** ورسله القديسين **قائلاً** **خذوا كلوا** منه كلكم **هذا هو جسدي** الذي للعهد الجديد **المكسور عنكم** وعن كثيرين يُعطى **لمغفرة الخطايا**	**وقسَّمه وأعطاه لتلاميذه** الكرام القديسين ورسله الأطهار **قائلاً خذوا كلوا** منه كلكم لأن **هذا هو جسدي** الذي **يُقسم عنكم وعن كثيرين** يُعطى **لمغفرة الخطايا**
	نصنع مثال موته		هذا اصنعوه لذكري	هذا اصنعوه لذكري
	وأخذ كأساً بعد العشاء	وهكذا أيضاً **بعد العشاء** **أخذ كأساً**	وهكذا أيضاً **بعد العشاء** **أخذ كأساً**	هكذا الكأس أيضاً **بعد العشاء** مزجها من خمر وماء

إفخارستية سيرابيون **القرن الرابع**	**بردية دير البلايزه** **منسوخة في القرن السادس** **وتمثل طقس** **200-300م**	**رقوق مانشستر** **ج. رايلاند** **القرن السادس**	**قدَّاس مار مرقس** **المطبوع** **القرن الثالث عشر**
	وبارك	وشكر	وشكر وباركها وقدسها
وقال لتلاميذه الأخصاء	وشرب منه وأعطاه لهم **قائلاً:**	وشرب وأعطاه لتلاميذه ورسله **قائلاً:**	وذاق وأعطاها أيضاً لتلاميذه الكرام ورسله الأطهار **قائلاً:**
خذوا **اشربوا** هذا هو العهد الجديد	خذوا **اشربوا** منه كلكم **هذا هو دمي**	اشربوا منها كلكم **هذا هو دمي** الذي للعهد الجديد	خذوا **اشربوا** منها كلكم لأن **هذا هو دمي** الذي للعهد الجديد
هذا هو دمي الذي **يُسفك عنكم** **لمغفرة الخطايا**	**المسفوك عنكم** **لمغفرة الخطايا**	الذي **يُسفك عنكم** وعن كثيرين ويُعطى **لمغفرة الخطايا**	الذي **يُسفك عنكم** وعن كثيرين يُعطى **لمغفرة الخطايا**
تقدم قبل الدم	كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي تذكروني	هذا اصنعوه لذكري كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي	هذا اصنعوه لذكري، لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكروني إلى أن أجيء

❋ ✞ ❋

خامساً: التأسيس

الإفخارستيا بوضعها الحالي الذي استقرت عليه من بعد القرن الرابع تنقسم بحسب رأي العلماء[1] إلى قسمين أساسيين. ولكن لنا تحفُّظ على هذا التقسيم وسوف نعود إليه لتوضيح نقصه (انظر صفحة 653):

1ـ قسم يبدأ من أول الإفخارستيا، أي من تقديم الشكر لله على الخلقة عامة بتمجيد اسم الله، وينتهي بتمجيد اسم الله الذي يبلغ القمة في التسبحة الشاروبيمية.

2ـ القسم الثاني يبدأ بذكر العشاء الأخير وهو المدخل للتأسيس: **[لأن ربنا يسوع المسيح في الليلة التي أسلم فيها ذاته أخذ خبزاً...]** وحتى نهاية التناول[2].

ولكن يلزم هنا الإشارة إلى أن النصف الثاني (الذي يبدأ بقول الكاهن: لأنه في الليلة التي أسلم فيها ذاته) لا يلتحم مع النصف الأول (الذي هو الشكر والتمجيد) التحاماً طبيعياً. فالمعنى والأسلوب والمضمون يقف مباشرة بعد الشكر والتسبيح ليدخل النصف الثاني بمفهومه وطبيعته المأسوية[3]، ولكن عن طريق وصلة تربط النصفين معاً. غير أن هذه الوصلة لا تمت لا لطبيعة النصف الأول التسبيحي الخاص بالشكر وتمجيد اسم الله ولا لطبيعة النصف الثاني المأسوي الخاص بليلة الآلام، إنما تأخذ الوصلة طبيعتها من مفهوم الإفخارستيا العام كذبيحة أو صعيدة: [املأ هذه الصعيدة (بالمجد أو البركة أو القوة ... إلخ) التي من قبلك] مثل قداسات الإسكندرية، أو تأخذها من سرد مطول لحياة المسيح العامة مثل هيبوليتس، أو من واقع خدمة القداس نفسه مثل قداس أدّاي وماري [ونحن أيضاً الذين اجتمعنا في اسمك الواقفين أمامك الآن][4].

وهكذا تكشف لنا هذه الوصلة ـ التي لا يشترك قداسان في منطوق واحد لها ـ أن النصف الثاني دخل على النصف الأول دخولا غير طبيعي. وهذه حقيقة أيضاً لا ينبغي أن تغرب عن بالنا

---

(1) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 225.
(2) *Ibid.*
(3) *Ibid.*, p. 226.
(4) *Ibid.*, p. 226.

لأن أصل الشكر على الخليقة والتسبيح وتمجيد اسم الله، أي النصف الأول بأكمله، إنما موضعه الأصيل حسب التقليد الأول هو في آخر ''الوليمة'' والذي به ينتهي بالفعل العشاء الأخير!

ويقول دكس:

[إن "**التأسيس**" في التقليد المصري يأتي دائماً وبصورة ثابتة بعد تسبحة الشاروبيم ملاصقاً لتمجيد الله، إنما عن طريق وصلة قصيرة. وهذا إنما يدلنا على أن "**رواية التأسيس" أُضيفت في الأصل على صلاة الشكر الأُولى التي كانت تنتهي بالتسبحة الشاروبيمية** ولكن في وقت مبكر جداً ـ وربما تكون هذه أول إضافة حدثت على النواة الأُولى لصلاة الإفخارستيا في **مصر** (بقصد تكوين إفخارستيا ذات علاقة متصلة بالعشاء الأخير).][5]

والأمر الذي حيَّر ''دكس'' وحير غيره من العلماء[6] بخصوص كيف ومتى ولماذا أدخل النصف الثاني على النصف الأول، فهذا حله واضح للغاية، إذ أن النصف الأول الذي قوامه الشكر والتسبيح كان يأتي مكمِّلاً أو ختاماً أخيراً لطقس ''التقدمة''، أي كان يأتي في وضعه التقليدي القديم في نهاية الإفخارستيا وظل كذلك حتى بدأت الكنيسة تحت وطأة عاملين أساسيين هما: أولاً فقدان رؤيتها لكفاية وأهمية طقس ''التقدمة''، وثانياً أنها رأت الضرورة ملحة لشرح هذه ''التقدمة'' عملياً داخل القداس بسبب دخول أفواج كثيرة من الأُمميين. فبدأت الإضافات بعد هذا النصف التسبيحي الختامي بإعادة ذكر العشاء الأخير مرة أخرى كيف أخذ الرب ليلة آلامه الخبز والكأس وبارك ... إلخ ـ وذلك بدقة وتفصيل، ووصف كل ما جاء فيه. **وقليلاً قليلاً اكتمل النصف الثاني** الذي ـ في حقيقته العملية ـ هو هو نفس ''طقس التقدمة'' موصوفاً ومشروحاً مرة أخرى.

ولتوضيح ذلك نقدِّم هذا التدرج المختصر الذي يشرح هذا النمو والتطور:

المرحلة الأولى: طقس تقديم الحمل كعشاء سري = بركة على الخبز وشكر على الكأس وتسبيح.

المرحلة الثانية: طقس تقديم الحمل كعشاء سري = بركة على الخبز وشكر على الكأس + شكر جديد يحمل الروح المسيحية الجديدة.

المرحلة الثالثة: [سقوط طقس تقديم الحمل من صُلب القداس] وبدء تكوين القداس الجديد من: الشكر المسيحي (النصف الأول) + التقديم مرة أخرى (النصف الثاني).

(5) *Ibid*., p. 226.
(6) *Ibid*., pp. 226-237

- أمَّا النصف الأول من الإفخارستيا، فهو بحسب قول "دكس"، الجزء المتوارث من الطقس اليهودي ودخل الكنيسة على يد الرسل واحتفظ به في مدخل الإفخارستيا بعد أن صبغوه بالصبغة المسيحية، وهو الجزء الذي ينحصر فعلاً في معنى ومضمون "الإفخارستيا" أي الشكر على الكأس الأخير، أي أن موضعه الأصلي في وليمة العشاء الأخير كان في ختام الوليمة وبالذات أثناء رفع كأس الإفخارستيا وهو المذكور في رواية الإنجيل بكلمة "وشكر" «كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشُّوا ... وأخذ الكأس وشكر ...»
- والنصف الآخر ويحوي **التأسيس** (أي رسم سر العشاء) وهو ما صنعه وما قاله الرب ليلة العشاء الأخير على الخبز والخمر (أي هو نفسه طقس تقديم الذبيحة)، وهو يُعتبر بالنسبة للإفخارستيا في مفهومها الليتورجي واللاهوتي المستقر في الكنيسة الآن وخاصة من وجهة نظر التقديس، القطب الموجه لكل صلوات الإفخارستيا وقلبها النابض.

فالتأسيس هو قمة الإفخارستيا ونقطة التلاقي لكافة الصلوات. ففي التأسيس ينتهي كل القصد من كل ما سبقه من الصلوات، ومن التأسيس تبدأ تأخذ الصلوات التالية له مضمونها وفعلها وغايتها النهائية. وإن كان للأسف وبتأثير من الفكر البيزنطي في القرون الوسطي بدأت النظرة في الشرق تتجه إلى "مرحلة" استدعاء الروح القدس التي تأتي بعد التأسيس والتذكار كأنها هي مركز الإفخارستيا. وسوف نرجئ الكلام في هذا الموضوع إلى أن يأتي موضعه.

ولكن من الأمور التي ينبغي أن تسترعي انتباه الباحث أنه توجد ليتورجيات قديمة تعود إلى القرن الثاني أو الثالث مثل ليتورجية "أدّي وماري" تشير إلى التأسيس، ولكن لا تذكر بالمرة كلمات الرب التأسيسية التي قالها على الخبز والخمر. فمثلاً تقول هذه الليتورجية في موضع التأسيس هكذا: [وقد تسلمنا بالتقليد الرسم (التأسيس) الذي منك] دون أن تذكر أي كلمة مباشرة قالها الرب. وبالرغم من ذلك يلحظ الباحث أن هذه الإشارة الصغيرة تقع من الليتورجيا كلها موقع القلب النابض وتوجه كافة صلواتها، فعلى أساسها تأخذ الكنيسة سلطانها في تكميل الإفخارستيا وعلى أساسها تقف الكنيسة تطلب استحقاق التناول(7).

ونحن لا نستطيع أن نَعْبُرَ على هذه الحقيقة بهذه البساطة كما فعل "دكس" وغيره من العلماء، فالمسألة جد خطيرة. والسؤال الآن من واقع هذه الليتورجيا: ما هو هذا التقليد وما هو هذا الرسم

(7) *Ibid.*, p. 181.

أو النموذج أو التأسيس الذي أخذته الكنيسة من الرب؟ ثم كيف تعتمد الكنيسة على هذا الرسم أي التقليد دون أن تذكره؟ ثم كيف يكون له هذا السلطان وهذه القوة داخل الأنافورا بمجرد الكلام عنه دون أن يكون له وجود فعلى عملي؟

كل هذه الأسئلة جوابها واحد وواضح أنَّ في طقس ''التقدمة'' (تقديم الحمل) قد تمَّ بالفعل هذا الرسم التقليدي المأخوذ من الرب نفسه، وهو البركة على الخبز والشكر على الكأس بتسليم سري عملي بدون كلام للشرح أو التعليق، أمَّا ما تقوله هنا هذه الأنافورا فهو مجرد إشارة للتأسيس توضح فيها أهمية هذا التسليم التقليدي لهذا الرسم الذي تمَّ في التقديم، الذي استلمته الكنيسة من الرب نفسه!

ونحن نعتبر أن أنافورا ''أدّي وماري'' هي نموذج بدائي جداً يكشف لنا عن بداية عملية تكوين الأنافورا (رفع الصعيدة) بالكلام (وبالصلاة) على أساس عملية التقديم السابقة التي تمت بالفعل الصامت. حيث يظهر لنا بمنتهى الوضوح أن **قوة التأسيس الفعلية هي منبعثة أصلاً من عملية "التقديم"**، ففي التقديم تجري البركة على الخبز والشكر على الكأس بحسب تسليم الرسل الذي استلموه من الرب ليلة العشاء الأخير بحركة اليد وبرفع العين وبتلاوة البركة على الخبز ثم الشكر على الكأس في سر صامت يفوق المنطق. أمَّا وصف الأنافورا للتأسيس، فهو التعبير المنطوق عن سر قوة الإفخارستيا التي لم تشأ الكنيسة أن تجعله مجرد كلام بل أعادت إليه مرة أخرى الحركة والفعل إذ استعارت من ''طقس التقدمة'' نفس الحركات ووصفت الأفعال دون أن تنطق مضمونها. فوصفت ''البركة'' بأن يقول الكاهن [وبارك] **دون أن يذكر كلمات البركة**، ووصفت الشكر دون **أن تذكر كلماته التي قالها الرب** مكتفية بهذين الفعلين اللذين أكملهما الكاهن في ''طقس التقدمة''.

أمَّا في ''طقس التقدمة'' فيقول الكاهن نفس الكلمات التي قالها الرب، ولكن بوضعها المسيحي، على الخبز الذي في يده:

[**مبارك** الله الآب ضابط الكل. **مبارك** ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، **مبارك** الروح القدس الباراقليط].

أمَّا في الأنافورا فصحيح أن الكاهن يعمل نفس الحركة إذ يضع الخبز على يديه، ولكنه يقول **واصفاً فقط ما تمَّ في "طقس التقدمة"** أو بالحري في ''العشاء الأخير'': **[وبارك]** كفعل ماضي **وصفي!**

فإذا عدنا إلى تركيب ليتورجية أُورشليم التي يشرحها القديس كيرلس الأُورشليمي (صفحة 622) ـ في زمانه سنة 348م، نجد أنها كانت فاقدة بالمرة "**التأسيس**" جملة وتفصيلاً، الأمر الذي

حيَّر العلماء إلى أقصى حد ـ والمعتبر أنه قلب الليتورجيا النابض وقطبها الموجِّه لكافة صلواتها ـ فإغفال ''التأسيس'' في ليتورجية كيرلس الأُورشليمي كان إغفالاً لفظياً ـ إغفال شرح وتعليق، أمَّا التأسيس عملياً فقد تمَّ بكل التأكيد وبكل التقليد المسلَّم من الرب إنما على مستوى الفعل والحركة في ''طقس التقدمة'' الذي لم يشأ كيرلس الأُورشليمي أن يتعرَّض له لكونه الجزء السري الخالص الذي من اختصاص الكهنة.

فليتورجية كيرلس الأُورشليمي (وهي عينها ليتورجية يعقوب الرسول قبل تطويرها ـ انظر صفحة 622) تعتبر هنا فيما يخص التأسيس درجة سابقة على ليتورجية ''أدّي وماري''. فكيرلس اعتمد في ليتورجيته على ''طقس التقدمة'' كفعل ليتورجي سري خاص غير قابل للشرح فلم يشر أية إشارة إلى ''التأسيس'' الذي يتم فيه.

أمَّا في ليتورجية ''أدّي وماري'' فقد اعْتُمِدَ أيضاً على ''طقس التقدمة'' كفعل ليتورجي سري ولكن أُخْضِعَ ''التأسيس'' فيه للتعبير والتذكار فأُشير إليه مجرد إشارة.

ونحن لا نعيب على كيرلس الأُورشليمي كونه لم يتعرَّض لطقس ''التقدمة'' فهيبوليتس يسلك نفس السلوك إذ لم يذكره بالمرة.

أمَّا سيرابيون فيصحو لأهميته وخطورته ويبدأ يُلَمِّح له ويعتمد عليه، ولكن بصورة لا ينتبه إليها إلاَّ المدققون جداً. والذي يلزم أن نوضحه أن هذا التدرُّج في إدخال وصف التأسيس كرواية تاريخية داخل الأنافورات المختلفة لا يتبع التدرُّج الزمني، فليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس يرجع نصها إلى نهاية القرن الثاني، ولكنها تحوي كلمات التأسيس بدقة ـ في حين أن ليتورجية كيرلس الأُورشليمي سنة 348م تخلو من ذكر التأسيس نهائياً. إذاً، فليس العامل الزمني هو الذي كان يتحكم في تسجيل كلمات التأسيس أو إهمالها، بل هو مقدار الاعتماد على ''طقس التقدمة'' الذي فيه التأسيس بصورة عملية كرسم تقليدي مُسلَّم من الرب.

فالبلاد التي أهملت ''طقس التقدمة'' أو فقدت رؤيتها الصحيحة له بسبب ابتعادها عن المنبع ''اليهودي ـ المسيحي'' الذي كان التقليد يفهمه ويوقره ويهابه، بدأت تتلمس ما يحل محله بسرعة واقتبست من الأناجيل كل ما وقع تحت يديها منذ القرن الأول، ويقول في ذلك ''دكس'':

[إن الكنائس كانت تسارع لاتخاذ خطوة عندما كانت تفقد رؤيتها للمبادئ الرئيسية التي

كانت تقوم عليها تقاليدها وذلك قليلاً قليلاً.][8]

أمَّا البلاد التي حافظت على "**طقس التقدمة**" وأعطته أهميته وكرامته باعتباره رسماً عملياً لـ''سر العشاء الأخير'' وظلت تمارسه بالتسليم السري كرسم أسسه الرب، اكتفت به مدة فتأخر عندها تسجيل "**التأسيس**" الوصفي نوعاً ما داخل الإفخارستيا ـ كمصر وأُورشليم، بقي تسجيل التأسيس في صورة وصفية روائية مطوَّلة دون أن يأخذ قانونه المحدد بألفاظه المحددة المتداولة ـ مثل أنافورا سيرابيون ـ التي تأتي فيها رواية ''التأسيس'' كقصة يتخللها أدعية وأوصاف ومناظر للطبيعة وصلاة من أجل الكنيسة، هذا كله يأتي بين التقديس على الخبز والتقديس على الكأس! كما يتخلل التأسيس أيضاً في سيرابيون جمل التذكار anamnesis مما يوضح أن "**التأسيس**" عند سيرابيون لم يكن قد أخذ صيغته المحددة والمتداولة المعروفة الآن حتى إلى منتصف القرن الرابع! وذلك لأن التأسيس لم يستقر في الكنائس **في حدوده القانونية وألفاظه الدقيقة** إلاَّ بعد القرن الرابع، بالرغم من ظهورها مبكراً جداً منذ القرن الثاني وربما القرن الأول.

ولكن نعود ونذكر أن أي تأخر حدث في تسجيل النص الليتورجي المحدد للتأسيس ـ كما هو مسجَّل في الأناجيل ـ لم يكن معناه نقصاً أو تأخراً في صياغة الإفخارستية، بل على النقيض فهذا كان يعني تمسُّكاً أكثر بالتقليد العملي لعشاء الرب التقليدي المسلَّم من المسيح ممثلاً في ''طقس التقدمة''، وتحاشياً للازدواج الذي بدا واضحاً من ممارسة كلمات ''التأسيس'' مرة أخرى في الإفخارستيا بعد ممارستها عملياً في "**طقس التقدمة**" offertory.

كما أن الحاجة لم تبدو ملحة في البداية إلى شرح ما كان يجري على المائدة عند ممارسة طقس سر العشاء بحسب تقليده العملي الأول، لأن الجالسين على المائدة كان معظمهم من اليهود المتنصرين وكانوا على دراية كاملة بكل ما يجري أمامهم. أمَّا الأُمم الذين دخلوا إلى الإيمان حديثاً فكان الرسل يكتفون بالشرح النظري لما يتم أمامهم، وذلك قبل أن يزداد عددهم وتبدو الحاجة ملحة إلى إدخال هذا الشرح والتوضيح في داخل الممارسة ذاتها للعشاء حيث بدأت الإفخارستيا تأخذ عن اضطرار طبيعتها الوصفية التوضيحية لكل حركة.

ويقول في ذلك ''دكس'':

[وإني أتصور أن الأُممي المسيحي هناك في القرن الأول عندما كان يحضر الإفخارستيا لأول

(8) *Ibid.*

مرة بعد عماده، كيف كان يشعر بالاكتفاء عندما يرى تقليداً لطقس أسسه المسيح نفسه دون أن يشعر بأي حاجة إلى شرح تفصيلي يتخلل الصلاة ذاتها ... وكذلك أيضاً بالنسبة للعلاقة بين الإفخارستيا المسيحية وتقليد مائدة المحبة في الطقس اليهودي، فمنْ مِنْ الأُمميين المتنصرين كان يمكن أن يفهم أو يخطر على باله أن يسأل من أجل توضيح هذه العلاقة؟ ... أمَّا اليهودي المتنصر فكان شعوره بأن ما يجري أمامه في الإفخارستيا هو بعينه التقليد الأول إنما **في معناه** المسيحي الجديد، والأواشي هي بعينها البركات والطلبات الأُولى إنما مُصاغة بمفهومها المسيحي للعهد الجديد، كان ذلك يكفيه كل الكفاية ليذكره بالمسيح وما قاله وما عمله على العشاء الأخير. فلم يكن يشعر بأية حاجة إلى مزيد من وصف تكراري. وقداس "**أدّي وماري**" يعبِّر عن هذه الحقيقة في جملته التي يستعيض بها عن رواية التأسيس كلها بقوله ـ مخاطباً المسيح: (نحن تسلَّمنا بالتقليد "**الرسم**" الذي انحدر إلينا منك). ولكن بمجرد أن شاع تداول الأناجيل في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني بدأ التقليد الإفخارستي يقتبس منها مباشرة نصوص التأسيس.][9] أهـ.

ولكن ''دكس'' يخطئ عندما يعتقد[10] أن قول الشهيد يوستين: [إننا تعلَّمنا أن الخبز يصير إفخارستيا بواسطة **كلمة الصلاة التي انحدرت إلينا منه (من الرب)**][11] أن هذا يعني نفس كلمات التأسيس كما نقرأها ونسمعها اليوم، لأن ما نقرأه وما نسمعه اليوم في الإفخارستيا هو **وصف لهذه الكلمة وليست هي الكلمة بذاتها**، أمَّا كلمة الرب التي قدَّس بها الخبز فعلاً فهي في الحقيقة البركة التي نطقها على الخبز مباركاً الله الآب، والخبز موضوع على يديه وهو ناظر نحو الآب إلى السماء! وهذا ما يمارسه الكاهن الآن تماماً وبالحرف الواحد في طقس تقديم الحمل في الكنيسة القبطية! هذا هو سر [كلمة الصلاة التي انحدرت إلينا من الرب نفسه] التي يقصدها يوستين الشهيد التي حوَّلت آنئذ، وما زالت تحول حتى اليوم، الخبز إلى إفخارستيا!

"التأسيس" ومفهوم "الاستدعاء" Epiclesis

''التأسيس'' هو الكلمات التي **أسس** بها (**أو رسم**) الرب العهد الجديد بدمه، على الخبز وعلى الكأس، ليلة العشاء "**الأخير**". وهي تسمَّى كلمات ''التأسيس'' أو كلمات ''العهد'' أو "**الحد**" (الحـــد

(9) *Ibid*., p. 233.

(10) *Ibid*.

(11) Justin, *Apol.* I, 66, ANF I, 185.

الأخير بين العهدين). وكلمة "**الحد**" هي كلمة ''الرسم'' نفسها وهي كلمة ''القانون'' Canon، وهي أيضاً تترجم بالسريانية ''دستور''. ولكن ينبغي أن نكرر هنا ما سبق وقلناه أن الرب ليلة العشاء الأخير لم يقل ''وأخذ خبزاً على يديه وشكر وباركه وقدَّسه وأعطاه لتلاميذه ... وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء ...'' إلخ هذا لم يقله المسيح قط، ولكن هذا مجرد وصف لما قاله وعمله المسيح لكي يقدِّس به الخبز والكأس!

إذاً، فماذا قال المسيح؟ وما هي الكلمات الفعلية التي قدَّس بها الإفخارستيا؟ هذا كما سبق وقلناه واضح أشد الوضوح في ''طقس التقدمة'' في الكنيسة القبطية حيث يقف الكاهن والخبز على يديه ويقول ما قاله المسيح مباشرة مخاطباً الله ''مبارك الله الآب ضابط الكل'' ويرد الشعب ''آمين''! حيث يرد الشعب هنا على قول المسيح!

إذاً، فـ ''التأسيس'' لا يمكن أن يكون إلاَّ بالمخاطبة العملية لله بنطق البركة باسم الله، هذا الذي استلمته الكنيسة من المسيح وأعطته الصبغة المسيحية، إذ جعلت البركة باسم الثالوث:

[مبارك الله الآب ضابط الكل. آمين
مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح. آمين
مبارك الروح القدس الباراكليت. آمين]

ويبدو أن صيغة البركة "**باسم الآب والابن والروح القدس**" على الخبز والكأس سلمها المسيح لتلاميذه أيضاً كما سلمهم نفس هذا الدعاء ''باسم الثالوث الآب والابن والروح القدس'' على المعمَّدين: «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت 19:28). فالنداء باسم الثالوث على الخبز والخمر في الإفخارستيا هو تسليم من المسيح، وهو نفسه الذي أشار إليه الشهيد يوستين بقوله:

[إن الخبز يصير إفخارستيا بواسطة ''صلاة الكلمة أو كلمة الصلاة'' التي انحدرت إلينا منه (المسيح)].

ولكن هذا هو هو عينه الدعاء بالاسم المسمَّى Epiclesis أو Invocation حيث يدعو الكاهن الله بالاسم الشخصي للآب "**ضابط الكل**" **بانطوكراطور**، وبالاسم الشخصي للابن "**الوحيد ـ المونوجينيس**"، والاسم الشخصي للروح القدس ''المعزي ـ **الباراكليت**''.

ثم هذا هو الذي ذكره الآباء الأوائل تحت اصطلاح الاستدعاء Epiclesis أو Invocation، كما مارسه الرب نفسه وكما استلمه الرسل منه. وقد أشار إليه الآباء إشارات واضحة وكثيرة لا

تقبل الشك ونورد منها ما وصل إلى أيدينا:

1- يقول كليمندس نقلاً عن ثيئودوتس المصري سنة 160م:

[إن "**الخبز**" يتقدَّس "**بقوة اسم الله**" ... بهذه القوة يتحوَّل إلى قوة روحية.][12]

2- وتقول الدسقولية (سوريا سنة 250م):

[إذ يوضع **الخبز** النقي الذي خُبز بالنار **وقُدِّس بالاستدعاء (الاسم)**. أمَّا الصلوات فتقبل بتوسط الروح القدس و «**الإفخارستيا**» **تتقدَّس بواسطة الروح القدس**.][13]

3- ويقول إيرينيئوس (سنة 202م):

[لأنه كما أن "**الخبز**" الذي من الأرض حينما يقبل "**الدعاء باسم الله**" لا يعود بعد خبزاً عادياً بل إفخارستيا...][14]

4- ويقول أوريجانوس (سنة 200-254م):

[و "خبز" الإفخارستيا هو الذي **فوقه يُدعى باسم الله والمسيح والروح القدس**.][15]

5- ويقول أيضاً:

[وإذا كان الشخص لكي يُسمح له بأن يأكل من خبز الوجوه يلزم أن يكون طاهراً (1صم 4:21): فماذا إن كان سيتناول من "**الخبز**" الذي هو أعظم من خبز الوجوه، "**هذا الذي**" **استُدعي عليه اسم الله والمسيح والروح القدس**، ألا ينبغي أن يكون هذا الإنسان أكثر طهارة حتى يتناول بالحق من الخبز للخلاص وليس للدينونة.][16]

6- ويقول **القديس أثناسيوس الرسولي** (سنة 295 - 373م):

[وسترون الشمامسة (اللاويين) يحضرون الخبزات وكأس الخمر ويضعونهما على المائدة، وطالما الاستدعاء والصلوات لم تبتدئ فإنهما يكونان خبزاً وخمراً فقط.][17]

7- ويقول **سيرابيون أسقف تمي في خولاجيه** (سنة 330م):

(12) Clement of Alex., *Excerpta ex Theodoto*, 82, cited by Dix, p. 230.

(13) Cited by Norman, *op. cit.*, p. 312.

(14) Irenaeus, *Adv. Haer.*, IV, 18,5, ANF I, p. 486.

(15) Origen, *Comment. on 1 Cor.* VII. 5, in JTS, p. 502 f. (1908).

(16) *Ibid.*, cited by Oesterley.

(17) Athanas, *Sermon to Newly Bap.*, PG 26, 1325, cited by Quasten, Vol III, p. 79.

[فاجعل الذين يشتركون فيه (في خبز الإفخارستيا وكأس الإفخارستيا) يحصلون على ترياق الحياة ... لأننا دعونا باسمك أنت غير المخلوق (الأبدي) بواسطة وحيد الجنس (مونوجينيس) وبالروح القدس].

8- ويقول **كيرلس الأُورشليمي** (سنة 350م):

[لأنه كما أن الخبز والخمر في الإفخارستيا قبل **استدعاء الثالوث الكلي القداسة والعبادة** كانا مجرد خبز وخمر ...][18]

9- ويقول **ثاوفيلس الإسكندري البطريرك 23** (سنة 400م):

[إن "خبز الرب" الذي يُستعلن فيه جسد المخلِّص والذي نكسره من أجل تقديسنا، والكأس المقدس، هذان اللذان يوضعان على مائدة الكنيسة ... يتقدسان **باستدعاء "الاسم"** Invocation وبمجيء الروح القدس.][19]

10- **نيلس السينائي** (توفي سنة 430م):

[بعد **الاستدعاءات** المهيبة **ونزول** الروح الصالح المحيي المسجود له، فإن الأشياء التي كانت موضوعة على المذبح لا تعود بعد مجرد خبز وخمر، ولكنها تصير جسداً ودماً كريمين زكيين.][20]

ومن هذه النصوص يتبين لنا أن كلمة "الدعاء" Invocation تعني تماماً الدعاء باسم الثالوث الآب والابن والروح القدس الذي يُدعى به على الخبز، أو كما يقول أوريجانوس يُدعى به "**فوق**" الخبز.

وإن كان بعض الآباء، يختصرون في القول عندما يذكرون أن **الخبز يتقدَّس بالاستدعاء** وحسب فإن بعض الآباء أوضحوا أنه باسم الله تمَّ، ثم كشف لنا بقية الآباء بغاية الوضوح والتأكيد أن هذا الاستدعاء **هو باسم الثالوث**، وبعضهم حددوا اسم الآب والابن والروح القدس، وبعضهم كشف بالأكثر لماذا يحدث التقديس عند الدعاء باسم الله عندما ذكروا أن اسم الله "قوة"، فقوة اسم الله عند الدعاء به فوق الخبز تُحوِّل الخبز إلى قوة روحانية!

كما يُلاحظ أن الآباء الأوائل اكتفوا بأن تقديس "**الخبز**" والخمر يحدث باستدعاء الثالوث.

---

(18) Cyril of Jer., *Catech. Myst.* I. 7, cited by Norman. *Handbook to the Christian Liturgy* p. 313.

(19) Theophilus 23, Patr. of Alex., *apud* Jerome, *Ep.* XCVIII. 13, cited by Norman, *op. cit.*, p. 315.

(20) Nilus (Sinai), *Ep*. I. 44, cited by Norman, *op. cit.*, p. 316.

أمَّا الآباء المتأخرون نوعاً ما قبل البابا ثاوفيلس الإسكندري فبدأوا يذكرون أن التقديس يحدث **بالاستدعاء وبحلول** الروح القدس.

وبعضهم مثل الدسقولية أوضح أن بالاستدعاء باسم الله يَحْدُث تقديس الخبز، أمَّا بالروح القدس فتتقدَّس **الإفخارستيا**.

كما يُلاحَظ أن بعض الآباء ذكروا الاستدعاء بالجمع (استدعاءات)، ولكنَّه في الحقيقة مثنًّى، فَهُما استدعاءان الأول باسم الثالوث على الخبز والخمر، واستدعاء ثانٍ لحلول الروح القدس.

كذلك فإنه تبين لنا من النصوص الأكثر قدما أن بمجرد الدعاء باسم الثالوث على "**الخبز**" والخمر يتقدسان ويصيران في الحال إفخارستيا أي جسد ودم يسوع المسيح. وهذه إشارة ضمنية إلى اقتناع الكنيسة في العصور الأولى بمدى اكتمال فاعلية الاستدعاء باسم الآب والابن والروح القدس لتقديس الخبز والخمر في ''طقس التقدمة'' الذي نعرفه جيداً الآن من واقع ممارسته الفعلية في الكنيسة القبطية حتى اليوم.

كذلك نلاحِظ من أقوال الآباء أن الآباء الأوائل يركزون على أن **الاستدعاء يتم "على الخبز**" فقط حيث لا يذكر الكأس، مما يوضح أن طقس الاستدعاء باسم الثالوث (ونطق البركة باسم الثالوث) كان يتم على "**الخبز**" فقط، أمَّا الكأس فكان يصلَّى عليه ''صلاة الشكر'' حسب التقليد، الذي بها يتم التقديس على الكأس. ونلمح هذا من قول القديس أثناسيوس الرسولي عندما يذكر أن بالاستدعاء ثم ''الصلوات'' يتم التقديس، أي يتم بهما تقديس **الخبز و "الخمر**" حيث الصلوات التي يقصدها هنا أثناسيوس هي صلوات الشكر التي كانت تُقال على الكأس ولا تزال تُقال حتى اليوم في ''التقدمة'': [فلنشكر صانع الخيرات ...]، وفي بداية الإفخارستيا: [مستحق وعادل أن نسبحك ونشكرك ... إلخ].

ولكن نلاحظ أن الآباء المتأخرين يذكرون أن الاستدعاء يتم على "**الخبز والخمر**". وهنا ينكشف حدوث تعديل طقسي في وضع التقديس على الخبز إذ يضاف إليه الكأس فيصير الدعاء باسم الثالوث وتلاوة البركة على الخبز والكأس معاً كما هو حادث الآن تماماً في "**طقس التقدمة**" (إذ يضع الكاهن على يده اليسرى القربان، ويقدِّم الشماس قارورة الخمر بيده أمامه فيرسمهما معاً باسم الآب والابن والروح القدس).

ومن هذا العرض السريع لمقولات الآباء عن الاستدعاء يتضح:

1ـ إنه بدأ بمفهوم واحد وهو الدعاء بالاسم فقط اسم الله في الثلاثة الأقانيم وذلك على الخبز

أو الخمر الموضوعين على المذبح (أو على كف الكاهن). وهذا يعني أن أصل الاستدعاء Invocation في الإفخارستيا لم يبتدئ بنظرية "الحلول الشخصي Personal Presence" كما يعتقد "أويسترلي" في كتابه: "الخلفية اليهودية لليتورجيا المسيحية"[21]، ولكنه بدأ بدعاء الاسم وبالتحديد اسم الثالوث فوق الخبز والخمر لكي تحل فيهما "قوة" اسم الله. وهذا تقليد طقسي قديم يقوم على مفهوم ذبائحي كتابي.

2- ثم بعد ذلك بدأ الاستدعاء يشمل الحلول الشخصي، ولكنه انحصر أولاً في مفهوم حلول المسيح بصفته اللوغس الكلمة ليصير الخبز جسداً على أساس لاهوتي بحسب إنجيل يوحنا، وبدأ هذا في مصر بصورة خاصة. كما يتفق في ذلك كل الآباء ما قبل القرن الرابع. وقد بدأ هذا الحلول أن يكون على الخبز والخمر، ثم امتد ليشمل المتناولين على أساس «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم.» (مت 20:18)

3- ثم تطور الاستدعاء بعد ذلك ليشمل حلول الروح القدس على أساس ما تمَّ في الأردن[22] ويوم الخمسين. ولكن يبرز هنا تقليد الرسل لهيبوليتس ليعارض هذا التسلسل الزمني، ولكن يظن كثيرٌ من العلماء يظنون أن استدعاء الروح القدس في التقليد الرسولي مضاف في زمن متأخر عن زمن هيبوليتس (ريتشاردسن).

ومن ذلك نستخلص أن هناك مفهومين أساسيين للاستدعاء Invocation:

الأول: ويعتبر الأساس والأصل، وهو "الدعاء بالاسم" فقط وذلك للتقديس، وهذا يتم حرفياً في طقس "تقديم الحمل" في مصر، وموضعه على الخبز والخمر أثناء البركة عليهما باسم الآب والابن والروح القدس، أي أنه هو هو ذات التأسيس.

والثاني: امتداد وتطور عن الأول، وهو استدعاء للحلول الشخصي بالنسبة للأقنوم الثاني ثم الثالث على التوالي بالترتيب الزمني لتطور الإفخارستيا. وموضع هذا الحلول في الإفخارستيات المختلفة يأتي في مكانين:

المكان الأول: بعد تقديس الخبز والخمر، أي بعد التأسيس (العملي). وهو الأصل والأقدم كما في طقس تقديم الحمل في مصر (حلول الكلمة).

---

(21) Oesterley, *Jewish Back. of Chr. Lit.*, p. 219.
(22) *Ibid.*, p. 221.

والمكان الثاني: وهو التطور المطابق لطقس تقديم الحمل ويأتي في كل الإفخارستيات (ما عدا روما) بعد التأسيس أيضاً.

والذي أربك العلماء في دراسة ''الاستدعاء Invocation'' هو اعتبارهم أنه استدعاء واحد بصفة نهائية ويختص بالحلول الشخصي للروح القدس، وأهملوا نهائياً الدعاء بالاسم الذي هو الأساس، مع أن كلمة ™pikale‹n, ™pikšklhtai, ™p…klhsij كلها تختص بذكر **الاسم**. وبالرغم من ذلك فقد انحرف العالِم أويسترلي واتجه ناحية إثبات أصول الاستدعاء من التقليد اليهودي على أساس الحلول الشخصي فقط[23].

ولكن الأصح هو ما أثبته الطقس أمامنا بنصوصه أن الاستدعاء قد مَرَّ على مرحلتين متتابعتين معاً ومتقاربتين جداً وربما في القرن الأول، ولكن بدأ بلا نزاع باستدعاء الاسم كما حدث على يدي المسيح حينما نادى باسم الله الآب وباركه على الخبز والخمر، كما يمارسه الكاهن القبطي تماماً بعد تلاوة صيغة النداء بالثالوث قبل نداء كل أقنوم باسمه.

ثم تطور الاستدعاء بالاسم إلى الحلول الشخصي حينما التزم الرسل باستدعاء المسيح نفسه للحضور حسب وعده، وقد حقق المسيح هذا الحضور عياناً مرات كثيرة وفي أثناء إقامة ''كسر الخبز'' في ''أول الأسبوع'' مما جعل الاستدعاء الشخصي هو القطب الجاذب والملفت لانتباه الكنيسة كلها باحتساب أنه قد يظهر ويتراءى علانية بعد البركة وكسر الخبز.

على أنه ينبغي ألا يفوت عن بالنا أن "**الاستدعاء بالاسم**" الذي هو استدعاء الثالوث على الخبز والخمر الذي يتم في ''تقديم الحمل'' الذي يعتبر أنه ''التأسيس'' الأصلي يقوم على أساس تقليدي كتابي قوي للغاية يشمل كل قوة العبادة اليهودية على مدى العهد القديم كله. وقد أفرد لذلك الموضوع العالِم ''أرميتاج روبنسن Dean Armitage Robinson''[24] بحثاً مستفيضاً يثبت فيه أن التقديس في الإفخارستيا يقوم على الدعاء بالاسم، ولكن للأسف، لم يضع هذا العالِم يده على الحقيقة تماماً لأنه لم يعثر على الموضع الذي تستخدم فيه الإفخارستيا ''الدعاء بالاسم''، فجاء بحثه نظرية غير محققة أو كمجرد تخمين. لذلك استطاع العالِم ''أويسترلي'' أن ينقده ويستخف بنظريته.

(23) Oesterley, *op. cit.*, p. 229.

(24) Dean Armitage Robinson, *Theology*, Feb. 1924, M89 f.

ولكن أهم ما يسترعي انتباهنا في بحث العالم ''أرميتاج'' قوله:

[في كل من العبادة اليهودية والكنيسة المسيحية الأُولى **ظل اسم الله (وكيفية الدعاء به) ممنوعاً ومحتجباً من الذين لم يعرفوه بعد.** والسبب في هذا الاحتراس **هو الاحتفاظ "بالقوة" المتوارثة من "ذكر الاسم"، وهذا بالتالي طُبِّق بصورة حرفية في الكنيسة** (إذ جعلوه تسليماً سرياً خاصاً بالكهنة فقط ولا يُعلَّم به الشعب أو يقال أمامهم ''يقدِّس الكاهن سراً والستارة مرخية'' ـ الدسقولية). وقد أوضح ذلك الكُتَّاب الأوائل الذين تحيروا بسبب الغيرة الشديدة التي كانت تُبديها الكنيسة ـ في حراسة مواد الإفخارستيا وتقديسها.][25]

ويعلِّق على ذلك ''أرميتاج'' نفسه بقوله أن تقليد الكنيسة متوارث لأن ''قوة النداء باسم الله'' كانت هي مركز العبادة اليهودية.

ولكن في نظرنا نحن أن دعاء المسيح نفسه بالبركة لاسم الله الآب على الخبز وعلى الخمر ليلة العشاء، هو في الواقع محور التضخم في سرية الدعاء بالاسم في الكنيسة الأُولى، فهو المحور الذي انتقل عليه التقليد من اليهودية إلى الكنيسة المسيحية مضروباً في مائة ضعف. لأن التقليد اليهودي الخاص بالبركة الذي كان يُحتسب أنه تعليم الناموس أو الشيوخ جعله المسيح ـ عندما مارسه بنفسه ـ تعليماً إلهياً ذا فاعلية أقوى مما كان له في العهد القديم ألف مرة.

وأهم ما يعنينا في تصريح أرميتاج بالنسبة لدراسة التاريخ الإفخارستي وخاصة الجزء المعروف بـ ''تقديم الحمل'' وهو الجزء الوحيد من الإفخارستيا الذي يجري فيه الدعاء باسم الثالوث بدقة ووضوح ومهابة على الخبز والخمر، إنه بسبب كون هذا الدعاء يحمل كما يقول أرميتاج سر التقليد وفاعليته أي ''يحمل سر قوة النداء باسم الله'' وحلولها في الخبز والخمر، أصبح هذا الجزء من الإفخارستيا هو أكثر الأجزاء سرية واحتجاباً، فلم يُوضَع بالكتابة في المخطوطات الأُولى ولم يذكر تفاصيله ولا عباراته حتى في المخطوطات الأكثر حداثة فيما قبل القرن العاشر، بل كان يلمح عنه تلميحاً، كأن تقول الدسقولية مثلاً أن ''الكاهن يحمل الخبز والخمر وأمامه الأسقف يحمل البخور يدورون حول المذبح مجداً للثالوث''. وكان يسمَّى آنئذ بـ "**الدعاء**" فقط، ثم بعد ذلك بأكثر تصريح يسمَّى "**الدعاء بالاسم**" ثم "**الدعاء باسم الثالوث**"، ثم "**الدعاء باسم الآب والابن والروح القدس**". ولكن لم يُذكر ولا مرة واحدة

(25) *Ibid.*

من المرات كيفية هذا الدعاء ومنطوقه! لأن الكنيسة كانت تدرك أن في ذلك يكمن سر ''قوة'' الاسم المتوارثة، أي ''قوة ميراث المسيح في الله'' التي ورثتها الكنيسة، وهي كل الذخيرة التي آلت إليها من ليلة العشاء الأخير! لذلك ظل طقس ''تقديم الحمل'' وما يجري فيه غير مذكور بالمرة في المخطوطات. فنجد أن الديداخي لا تأتي ولا بكلمة واحدة بخصوصه إلاَّ النداء الخاص به فقط: [مَنْ كان طاهراً فيلتقدَّم ومَنْ كان غير طاهر فليتب]. والتقليد الرسولي لهيبوليتس يعبر عليه دون أن يذكره بكلمة أكثر من أن الأسقف ''يضع يديه على الخبز والخمر''. وكذلك سيرابيون، بل وكل المدونات الإفخارستية على وجه العموم وبدون استثناء، أغفلته عمداً وحجبته عن الشعب، العامة منه والخاصة، وجعلته تسليماً وتعليماً سرياً خاصاً بالكهنة فقط. ولذلك وللأسف ضعف مفهومه وقلت الدراية به حتى توارى نهائياً وفقد نفس قيمته العملية السرية التي كانت هي الداعي الأول إلى توقيره والاهتمام به.

وببساطة يمكن أن نقول أن ما يسمَّى الآن **بالتأسيس** Institution هو في حقيقته الأُولى الذي كان يسمَّى عند الآباء الأوائل ''استدعاء الاسم'' Invocation of the Name والذي كان في اعتقادهم ذا فعل مباشر في التقديس[26] أي التقديس الكامل لمواد الإفخارستيا. بمعنى أنه بمجرد استدعاء اسم الثالوث (الكلي القداسة والعبادة) على الخبز والخمر يصيران جسداً ودماً للمسيح نفسه تماماً كما في العشاء الأخير. ولحظنا السعيد ظل ''استدعاء الاسم'' بكل مواصفاته الرسمية في طوره الجنيني Embrionic Stage كما هو منذ العشاء الأخير حتى اليوم في مصر في طقس ''تقديم الحمل''. وعلى نمطه تماماً تشكل ومنذ القرن الأول أيضاً وبيد الرسل أنفسهم ـ خدمة للأُمم ـ وصفاً كاملاً دقيقاً لهذا الاستدعاء لاسم الله بالبركة الذي تمَّ ليلة العشاء الأخير كما ورد في الأناجيل ''أخذ خبزاً على يديه "**وبارك**" الله وقال هذا جسدي وكسر وأعطى'' «وأخذ كأساً (وبارك) وشكر وأعطى وقال هذا دمي» **فصار هذا الوصف الكامل الدقيق "الدعاء بالاسم" (بالبركة)** الذي حدث ليلة العشاء الأخير هو طقس الاستدعاء المتوارث، ولكن قليلاً قليلاً أُهمل الاستدعاء العملي الأول، ثم نُسِيَ ذكره، ثم أُسقط نهائياً باعتباره إجراءً إفخارستياً له فعله التقديسي، وبقي **التأسيس الوصفي** ونُسِبَ إليه كل فعل التقديس الذي ''لاستدعاء الاسم''، خصوصاً بسبب الانتقال من الوصف إلى التشخيص في قوله ''هذا هو جسدي''، ''هذا دمي''.

(26) W.H. Frere, *op. cit.*, p. 41,42.

التأسيس الوصفي: di£taxij

والآن نعود إلى التأسيس في الأنافورا، ولكن واضعين كأساس لرؤيتنا في دراستنا أن التأسيس كما هو في أي أنافورا حالياً هو في أصله الأول عبارة عن الدعاء باسم الثالوث ''الكلي القدس والعبادة'' بالبركة على الخبز والخمر كما يتم في ''تقديم الحمل''، إنما تُقدِّمهُ الأنافورا بصورة وصفية بمقتضى ما تمَّ ليلة العشاء الأخير. ولهذا يبتدئ التأسيس بهذه الرواية: [لأن ابنك الوحيد ربنا ... يسوع المسيح في الليلة التي أسلم ذاته فيها ليتألم عن خطايانا ... أخذ خبزاً ...].

ثم يدخل مباشرة في وصف ضمني للدعاء بالاسم كما قاله المسيح دون أن يذكر تفاصيله علناً مكتفياً بما تمَّ سرًّا في ''تقديم الحمل'' إذ يقول: [وأخذ يسوع خبزاً ''وبارك'' ـ مت 26:26] ـ وهنا نستعير التسجيل الذي في الأناجيل مؤقتاً حيث لا يُذكر ''شكر وباركه وقدَّسه'' بل ''بارك'' فقط ـ لأن هذا هو ما تمَّ فعلاً، أي أن المسيح نادى باسم الله الآب مباركاً اسمه. ولكن جميع الإنجيليين وكذلك بولس الرسول في رسالته إلى كورنثوس امتنعوا عن ذكر ما هي هذه ''المباركة'' وكيف قيلت ولمن قيلت؟ ولكن الكنيسة ظلت تمارس هذه البركة في طقس التقديم سراً إنما بصورة تسليمية كاملة، ثم بدأت تفصح قليلاً إنما بطريقة طقسية عن ما يتم في هذه البركة في الإفخارستيا العلنية في ما يسمَّى الآن بـ''التأسيس''، حيث يصف الكاهن البركة المثلثة للآب والابن والروح القدس بدون تكرار النداء بالاسم، فيقول "**فوق**" الخبز وهو على يديه "**وشكر، وباركه، وقدَّسه**" بثلاث حركات (رسم الصليب) على القربانة، علماً بأن هذه الأفعال الثلاثة هي واحد أصلاً ومعنىً وأثراً! لأن الأناجيل قالت فقط: ''وبارك''، فتكرارها هنا متعمد ليشير إشارة سرية رائعة إلى مباركة الثالوث بنداء اسم الآب والابن والروح القدس التي تمت سابقاً في ''طقس تقديم الحمل'' = [مبارك الله الآب ضابط الكل آمين. مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح آمين. مبارك الروح القدس الباركليت آمين]. ويُلاحَظ أن كلمة ''آمين'' التي يَرُدُّ بها الشعب كله (الشماس الآن خطأ) بعد كل بركة لكل أقنوم هي نفس كلمة ''آمين'' التي يَرُدُّ بها الشعب كله بعد كل فعل من الثلاثة الأفعال ''وشكر''، ''وبارك''، ''وقدَّس'' في القداس الوصفي.

ونعود ونذكِّر القارئ أن قدَّاس الإفخارستيا هو تطبيق وصفي دقيق لطقس ''تقديم الحمل'' إنما مشروحاً ومفسَّراً ـ علماً بأن كلمة "**بارك**" بالعبرية تعني ''شكر'' أيضاً، وتعني ''قدَّس'' بالضرورة، إذا كانت موجهة لله.

ولكن الذي نريد أن نؤكده أن كل **خصائص ومفاعيل** الدعاء باسم الثالوث بالبركة على الخبز والخمر في طقس ''تقديم الحمل'' (الذي يستمد قوته أصلاً من بركة المسيح على الخبز والكأس ليلة العشاء) انتقلت بكاملها إلى ''تأسيس'' في الأنافورا الوصفية ـ وهذه الخصائص هي التقديس وصيرورة الخبز جسداً للمسيح والخمر دماً للمسيح الذي هو جوهر ''الإفخارستيا''، لأن الإفخارستيا بحد ذاتها هي ''فعل'' تقديسي.

والتركيز بهذه الصورة على التأسيس كمركز تقديس يكشف لنا عن سر عدم وجود استدعاء للروح القدس في تقليد ليتورجية ''روما'' واعتبار ''التأسيس'' فيها ـ طقساً ولاهوتاً ـ هو لحظة وفعل التقديس بالنسبة للتأسيس وأصله ـ باعتباره استدعاء ''الثالوث'' بالدرجة الأُولى ـ ولكن للأسف لم تحتفظ بوعيه، فبقي الطقس وسقط الوعي. وهكذا ظلَّ غياب استدعاء الروح القدس في ليتورجية روما حتى اليوم مصدر حيرة وقلق ودراسات بلا نتيجة مع شعور بالنقص من جهة ''التقديس''، الأمر الذي انتهى ببعض العلماء مثل ''دكس'' لكي يُنكر أهمية فعل "**التقديس**" من الإفخارستيا عموماً دفاعاً عن طقس روما الأمر الذي لا يجوز إطلاقاً، إذ يقول:

[وبقولنا هذا وبتأكيدنا على أن الصلاة (الإفخارستيا) من جهة الغرض منها أصلاً ليست هي ''صلاة تقديس'' ولا ''صلاة صعيدة'' ولكن ''صلاة شكر ـ إفخارستيا''، إذاً، فليس هناك حاجة أن نناقش الفكرة الشائعة الرائجة في العالم أن الصلاة في الإفخارستيا هي للتقديس ... فالتقديس في الحقيقة هو فقط في وصف التقدمة وقبولها كذبيحة.](27)

هذا في الواقع تجنٍّ مريع على طقس الإفخارستيا كله لأن حتى الشكر في حد ذاته هو تقديس**!!**

أمَّا ردنا على هذا فهو أن الإفخارستيا لا تكون إفخارستيا بالمرة إلاَّ بصلاة التقديس، **فالتقديس** أولاً هو الذي يجعلها "**إفخارستيا**"والتقديس هو "**فعل**" محدد أُعطي للكنيسة سرُّه، وسرُّه هو "**ميراث قوة الاسم**" ـ المسلَّم من المسيح رأساً ـ اسم الثالوث حينما ينطقه الأسقف أو الكاهن بالبركة ـ كأمر الرب ـ كما هو حادث في المعمودية تماماً ـ وأي إنكار لفاعلية التقديس بنطق اسم الثالوث سواء في المعمودية أو الإفخارستيا يخرجنا في الحال عن دائرة ''السر''، وبالتالي عن الله.

ولكن خداع النظر الذي وقع فيه ''دكس'' كان بسبب ـ كما يقول هو ـ غياب حتى التأسيس

(27) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 238.

من بعض الأنافورات مثل أنافورا ''كيرلس الأورشليمي''[28] وبعض نصوص آباء ما قبل القرن الثالث[29]. ولكن ردنا على ذلك أن التأسيس أصلاً هو ''**فعل**'' action داخل الإفخارستيا منحدر بالتسليم كانت الكنيسة تمارسه قبل أن تحوّله إلى وصف داخل الأنافورا. فحتى غياب "**التأسيس**" الوصفي من الأنافورا لا ينقص من الأنافورا لأنه يشرحها فقط، أمَّا حدوث التقديس بالفعل فيتم وقت التقديم عملياً.

ولكن يعود ''دكس'' ومن واقع الأنافورات عامة، ويعترف أنه بمجرد أن كان يدخل "**التأسيس**" أية أنافورا، كان يصير في الحال هو مركزها، حيث تشير إليه الصلوات وتنبثق منه[30]. ولكن هذا الاعتراف في الواقع يبقى ضعيفاً مهتزاً لأن السؤال المترتب على ذلك يكون: وماذا قبل أن يدخل ''التأسيس'' داخل الأنافورا؟ وهل تعتبر الأنافورا آنئذ أنها كانت بلا مركز أو بمعنى آخر أنها كانت بلا قوة تقديسية؟ الحقيقة غير ذلك لأن كل الإفخارستيات التي كان يتكلَّم عنها بعض آباء ما قبل القرن الثالث ـ وكما يقول دكس ـ التي كانت بدون "**رواية**" التأسيس كانت إفخارستيات ذات قوة وذات فعالية، ومنها ورثت الكنيسة حتى اليوم قوتها وكيانها. هنا يظهر بلا لبس وبلا شك أن الطقس العملي في "**التقديم**" آنئذ ـ والذي سبق الأنافورا ـ وجوداً وتاريخاً ـ كان مستوفياً كل الشروط اللازمة للإفخارستيا للتقديس عملياً، لذلك **فإن غياب رواية التأسيس من الأنافورا قديماً لم يؤثر في قوة التقديس وحدوث إفخارستيا مقبولة** مائة بالمائة.

التأسيس في أنافورا القديس مرقس والبرديات الموازية:

والآن نأتي لدراسة واقعية "**للتأسيس**" كما يجيء الآن في أنافورا مرقس الرسول (الكيرلسي) متتبعين نموه وتطوره على ضوء البرديات والمخطوطات الموازية التي احتفظت لنا برواية التأسيس. وهذه هي:

1ـ مخطوطة باللغة اليونانية على رق الغزال محفوظة تحت رقم 465 في مكتبة ''ج. رايلاند'' في مانشستر، وقام بنشرها ''ك. هـ. روبيرتسن'' وهي مخطوطة من القرن السادس. ويقرر

(28) يُلاحظ أن القديس كيرلس الأُورشليمي لم يذكر رواية التأسيس في الأنافورا التي كان يشرحها، ولكنه في عظاته تعرَّض ''للتأسيس'' الذي جاء في الأناجيل وعلَّق عليه أنه ضرورة حتمية لتقديس وتحوُّل مواد الإفخارستيا، وهو هنا إنما يشير إلى أجزاء التأسيس في الطقس العملي قبل بدء الأنافورا (انظر: W.H. Frere, *op. cit.*, p. 68).

(29) Dix, *op. cit.*, pp. 239,240.

(30) *Ibid*., p. 240.

ناشرها أنها كثيرة الشبه والتطابق للنص القبطي لمار مرقس وكثيرة الاختلاف مع النص "الملكاني" الخلقيدوني البيزنطي لمار مرقس. ويبدأ النص فيها من بعد تسبحة الشاروبيم حتى نهاية استدعاء الروح القدس[31].

2ـ مخطوطة باللغة القبطية محفوظة في مكتبة لوفان تحت رقم 27. أعاد بحثها "لوفور" في منشورات موزون 53 (1940)[32].

3ـ مخطوطة سيرابيون (انظر صفحة 532).

4ـ مخطوطة دير البلايزة (انظر صفحة 552).

نص التأسيس

أولاً جملة الربط قبل "لأن ... في الليلة"

يُلاحَظ أن في جميع القداسات المصرية تأتي رواية التأسيس غير مرتبطة بتسلسل منطقي لجمل سابقة، فهي تأتي خاصة بذاتها بدون توقُّع مسبق بعكس كل القداسات ذات الطابع السرياني، فإن "**تلاوة التأسيس**" تأتي مرتبطة منطقياً بما يسبقها **من شكر على تدبير التجسُّد والفداء**، هذا ما جعل أنافورا سيرابيون تمهد لرواية التأسيس بتوسُّل اعترافي مشار إليه في النص بالرقم (2) يقابله في أنافورا مرقس الرسول جملة اعتراضية أصغر حجماً وأقل توسعاً مُشار إليها أيضاً بالرقم (2).

	بردية دير البلايزه (مكتوبة في القرن السادس) وتمثِّل القرن الثالث	**أنافورا سيرابيون (منتصف القرن الرابع)**	**أنافورا القديس مرقس الرسول (نسخة القرن الثالث عشر)**
أ	املأنا نحن أيضاً من مجدك وتفضل وأرسل روحك القدوس على خليقتك هذه أيضاً	يا رب القوات املأ أيضاً هذه الذبيحة بقوتك وشركتك.	املأ الصعيدة التي لك يا رب بالبركة التي من قبلك بحلول روحك القدوس عليها ـ بالبركة بارك وبالتقديس قدِّس
ب	اجعل هذا الخبز جسداً لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح والكأس أيضاً دماً للعهد الجديد لربنا ومخلِّصنا يسوع	لأننا لك نقدِّم هذه الذبيحة الحية والصعيدة غير الدموية. [(2) نحن قدَّمنا لك الخبز مثيلاً لجسد الوحيد.	قرابينك هذه المكرمة **التي بُدِئ** (سابقاً)](2) **بوضعها أمامك]**

(31) R.G. Coquin, *op. cit.*, p. 312.
(32) *Ibid.*, p. 335.

بردية دير البلايزه (مكتوبة في القرن السادس وتمثِّل القرن الثالث	**أنافورا سيرابيون (منتصف القرن الرابع)**	**أنافورا القديس مرقس الرسول (نسخة القرن الثالث عشر)**
المسيح	هذا الخبز مثيلاً للجسد المقدَّس]	هذا الخبز وهذه الكأس
لأن ربنا يسوع المسيح في الليلة	لأن ربنا يسوع المسيح في الليلة	لأن ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح. في الليلة

ويُلاحَظ أن الجملة (ب) التي جاءت في أنافورا سيرابيون تتفق تماماً مع الجملة (ب) التي جاءت في أنافورا مرقس الرسول في الإشارة إلى "**التقديم**" السابق، هذا يعني أن أنافورا سيرابيون وأنافورا مرقس الرسول تعتمدان فيما سيُتلَى من الصلوات أو الكلمات على ''طقس التقديم'' السابق، بمعنى أن حرف "**الآن**" الذي يأتي بعد الإشارة إلى التقديم السابق (ب ـ ب) يفيد أن كل ما أكمل حتى الآن في الأنافورا هو حق وهو حقيقي، وهو يعتمد اعتماداً أساسياً على طقس العشاء الأخير الذي أجراه الرب وسلَّم به سرَّه لتلاميذه وأوصاهم أن يصنعوه كما صنعه هو.

أي أن "**رواية التأسيس**" مع كل ما سيأتي بعدها هو بنظر سيرابيون ومرقس الرسول السند الأساسي والرسمي بالنسبة للكنيسة "**نحن**" في كل ما قدمته عملياً منذ أول طقس التقديم، ثم صلاة الشكر ثم التسبيح ثم طلب الملء أو الحلول.

ويمكن توضيح ذلك من إبراز أهمية ''لأن'' كحرف ربط بين ما تم وما سيتم هكذا في أنافورا سيرابيون:

[**نحن** قدَّمنا لك ... **لأن** الرب يسوع المسيح في الليلة التي أُسلم فيها أخذ ... وقال ...].

وفي أنافورا مرقس الرسول:

[**نحن** سبق أن وضعنا أمامك قرابينك ... **لأن** ابنك ... في الليلة التي أخذ ... وقال ...]

وهذا يعني أن الليتورجيا بأجمعها تنقسم الآن أمامنا بكل وضوح إلى قسمين:

القسم الأول:

عملي سّري تسليمي بدون شرح يبدأ منذ وضع القرابين على المذبح، والدعاء باسم الثالوث على القرابين، وصلاة الشكر الصغيرة، واستدعاء اللوغوس ـ [وهنا تعترض القراءات وقانون الإيمان والقبلة] ـ ثم صلاة الإفخارستيا الكبرى، ومقدِّمة التسبحة الشاروبيمية وطلب الملء.

القسم الثاني:

نظري علني وهو **وصفي** تماماً يشرح الحركات والمبادئ والأهداف تاريخياً وطقسياً ولاهوتياً، ويبدأ بحرف "**لأن**" ويدخل مباشرة في رواية التأسيس حتى التناول. باعتبار أن هذا الوصف التاريخي الطقسي اللاهوتي يؤكد ويختم و''يكمِّل'' كل ما تمَّ في النصف الأول.

ويتحتَّم علينا هنا أن نستدرك ما سبق أن قلناه من جهة تقسيم الإفخارستيا إلى نصفين، لأن التقسيم الذي اقترحه ''دكس'' والذي أتينا على شرحه (صفحة 633) يعتبر أمامنا الآن ناقصاً إذا لم نضف عليه "**طقس التقدمة**"، وذلك بحسب الإشارة الواضحة (ب) التي يصرّ على أهميتها كل من سيرابيون والقديس مرقس الرسول قبل الدخول في النصف الثاني من الأنافورا: [**نحن نقدِّم لك** ... **لأن** الرب في الليلة ...]

أمَّا أنافورا دير البلايزه (ب) فلا نجد فيها هذه الإشارة إلى "**التقديم**" السابق قبل الدخول في التأسيس [لأن في الليلة ...] بل عوضاً عن ذلك نجد أن طلب الملء يتجاوز تقليده ويصرّ فيه على طلب حلول الروح القدس لتحويل الخبز إلى جسد والخمر إلى دم ''ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح''، قبل الدخول في النصف الآخر من الأنافورا.

هذا الوضع يتعارض مع اتفاق بعض العلماء بأن أنافورا دير البلايزه تمثِّل طقساً أقدم عهداً من سيرابيون في 200 ـ 300م[33]. مما لا يجعل مجالاً للشك في أن هذا الاستدعاء لحلول الروح القدس وتحويل الخبز والخمر هو تكملة أُضيفت على المخطوطة بعد القرن الرابع، بعد طلب الملء. وهذا بحد ذاته مرحلة من مراحل استدعاء حلول الروح القدس المأخوذ من الطقس الإسكندري. **لذلك جاء بالتالي استدعاء الروح القدس للتحويل قبل رواية التأسيس، وهذا وضع استثنائي جداً ليس له**

(33) Srawley, *op. cit.*, p. 63 n.

نظير في أي أنافورا مما يشير إلى أنه طور من أطوار الاستدعاء توقف عند هذه المرحلة فبدا ناقصاً، لذلك فإن الأنافورات الأخرى التي جاءت بعد زمن بردية دير البلايزه نقلت حلول الروح القدس ليجيء بعد التأسيس وبعد التذكار.

أمَّا لماذا لم تشر أنافورا دير البلايزه (طقس سنة 200 – 300م) كبقية تقليد الإسكندرية إلى "**التقديم السابق**" كما أشار سيرابيون والقديس مرقس، فيبدو أنه لم تكن هناك قراءات تعترض، فكان الطقس مستمراً بلا توقف، لأن بحسب شرح ''سراولي'' كانت أنافورا دير البلايزه طقس إفخارستيا للمعمدين[34]. فكان يتحتم إجراء الإفخارستيا بعد العماد مباشرة.

1– "لأن الرب يسوع المسيح في الليلة التي أُسلم فيها":

تشترك جميع الليتورجيات القبطية في هذه الوصلة التقليدية التي تميز التقليد الإسكندري عامة والتي تدخل بها الأنافورا إلى التأسيس [لأن الرب – أو ربنا يسوع المسيح – في الليلة التي أُسلم فيها]، وذلك بدون أي حذف إنما توجد إضافات. ولكن مخطوطة ''لوفان'' القبطية تتميز باستخدام حرف آخر غير سÓti = لأن، إذ تستخدم kaqëj aÙtÒj Ð KÚrioj ومعناها الحرفي ''كما أن الرب نفسه'' أو ''بمقتضى أن الرب نفسه ...''. وبه تكشف المعنى المقصود تماماً من دخول التأسيس على الأنافورا (كما سبق وشرحنا صفحة 645) ولكن بوضوح أكثر، إذ تعني أن ما سبق من الأنافورا "**يقوم على أساس**" أو "**بمقتضى**" أو "**بناءً على**": ''أن الرب نفسه في الليلة التي أسلم فيها ذاته أخذ ...''.

– وبينما نجد أن بردية لوفان ومعها أنافورا سيرابيون تلتزم الاختصار المطلق في وصف يسوع المسيح بكلمة ''الرب''.

– نجد بردية دير البلايزه تبدأ لتعطيه صفة زائدة ''ربنا''، وتليها رقوق مانشستر فتؤكِّد شخصه: ''لأن ربنا نفسه''. ونعتقد أن هذا التأكيد ''لشخص'' المسيح يعود إلى مطابقة ما يعمله الأسقف أو الكاهن على المذبح بالخبز والخمر على ما عمله المسيح "**نفسه**"، أي أن موقف الكاهن الخديم مستمد من المسيح رأساً.

ولكن رقوق مانشستر (القرن السادس) تكشف عن إضافات قرنين من الزمان، فمقارنتها بأنافورا سيرابيون (القرن الرابع) نجد أوصاف المسيح وقد زادت بأوصاف جديدة واضح فيها الإتجاه اللاهوتي الذي يخرج عن الضرورة الإفخارستية كاشفاً عن قصد آخر جانبي: "**إلهنا**" و"**مخلِّصنا**"

(34) *Ibid.*, p. 59.

و"**ملكنا**" كلنا.

● أمَّا أنافورا القديس مرقس الرسول فتعطينا إضافات لاهوتية أخرى على أوصاف المسيح ''ابنك الوحيد''. ومناداة المسيح بالمونوجينيس فقط تميز دائماً اللاهوت الإسكندري، حيث ''المونوجينيس'' بدأت ـ كما في سيرابيون ـ بدون أية قرينة أخرى، إذ كان المسيح يُدعى ''بالمونوجينيس''. وطبعاً كل هذه الأوصاف جاءت نتيجة المصارعات اللاهوتية التي احتدمت في القرن الرابع وما بعده.

● وبينما تشترك بردية لوفان القبطية مع أنافورا سيرابيون مع بردية دير البلايزه بعد ذلك في الدخول مباشرة في رواية التأسيس [أخذ خبزاً]، نجد كلاً من رقوق مانشستر وأنافورا القديس مرقس تضيفان أسباباً لاهوتية تختص بالصليب لتعكسها على مفهوم الجسد المكسور والدم المسفوك في سر خبز وكأس العشاء الأخير. حيث نجد أن رقوق مانشستر بعد [في الليلة التي أسلم فيها] تضيف **[عن خطايانا ومات عن الكل]**، ولكن تُحوِّل الفعل ''أُسلم'' المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم بإضافة **[ذاته]** كمفعول به جاعلة المسيح هو الذي **أسلم ذاته** ليموت عن خطايانا. وواضح أن هذا لم يتم في هذه الليلة ولكنها محاولة لربط العشاء الأخير بالصليب ربطاً لاهوتياً. ويلزم هنا أن ننبه أن الأفعال المبنية للمجهول مثل "**أُسلم**"، و"**يُكمل في ملكوت الله**"، "**يُرفع**" ابن الإنسان هي إحدى المميزات الأساسية في التقليد العبري القديم الذي مارسه المسيح أيضاً للتعبير عن الله "**كفاعل**" حيث يحذف اسم الله للتوقير الشديد، ومثل ذلك تماماً حذف اسم الله "كمفعول به" في أفعال ''وشكر'' ''وبارك''. لذلك فأي محاولة للإفصاح عن الفاعل أو المفعول به في هذه الأفعال الإلهية إنما تدل إما على التقدم في الزمن والابتعاد عن التقليد العبري القديم ـ عن جهل ـ وإما كمحاولة لتفهيم الشعب الأممي الذي وُلد مفصولاً عن التراث والتقليد العبري القديم.

● ثم تجيء أنافورا القديس مرقس وتضيف أيضاً إلى ما يُعبِّر عن أن المسيح **أسلم ذاته بإرادته** فتقول: [أسلم **ذاته** ليتألم عن خطايانا، والموت الذي قبله **بذاته بإرادته وحده عنَّا كلنا**].

وهذا الإتجاه اللاهوتي ظهر أولاً في تقليد أورشليم في ليتورجية يعقوب الرسول ''النسخة السريانية''، ثم في النسخة اليونانية المأخوذة عنها بتطويل وإسهاب أكثر: [وبينما هو قادم على احتمال موته الإرادي المحيي بواسطة الصليب، البار من أجل الأثمة ـ في الليلة التي أُسلم فيها بل أسلم ذاته فيها عن حياة وخلاص العالم][35]. وعلى هذا النمط أخذت جميع الليتورجيات السريانية

(35) *Divine Liturgy of James*, ANF, vol. VII, p. 544.

والبيزنطية على السواء بين تطويل كثير واختصار كثير.

ولكن لا ينبغي أن يتوه عن نظرنا أصل الجملة بحسب الحدود الإفخارستية أنها لم تخرج عن فعل واحد مبني للمجهول "**أُسلم**"، ولكن بسبب الكثافة الروحية واللاهوتية المذخرة في هذا التعبير الطقسي المبدع أو بالحري في هذا الإجراء الذبائحي العميق، استلزم هذا الشرح والتطويل. وهنا ننبه ذهن القارئ إلى أن الطقس أو الإجراء الطقسي هو المصدر الذي ينبثق منه اللاهوت دائماً: وبقدر ما كان الطقس واعياً لما يدور فيه ينبثق منه اللاهوت في أعماق بلا حدود!! لذلك لا ينبغي قط أن نستكثر الشرح الطقسي ولا نمل من التطويل في الليتورجيا، أليس العشاء الأخير وبالتالي الإفخارستيا وكل القداس هو التعبير العملي الذي يبرهن لنا على صدق حقيقة ''أن المسيح صُلب بإرادته''؟

وعليك أن تتأمل في هذه الآية:

+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأَسلم نفسه لأجلها لكي يقدِّسها، ... لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دَنَس فيها ولا غضن أو شيءٌ من مثل ذلك بل تكون مقدَّسة وبلا عيبٍ ... فإنه لم يُبغض أحدٌ جسده قط بل يقوته ويُربِّيه كما الرب أيضاً للكنيسة، لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه ... يكون الإثنان جسداً واحداً هذا السرُّ عظيمٌ ... من نحو المسيح والكنيسة.» (أف 5: 25-32)

2- "أخذ خبزاً على يديه":

نرجو من القارئ أن يعود ليتفهَّم الشرح المبدئي لهذا النص الإنجيلي (صفحة 153). ولكن يُلاحَظ هنا أن الكاهن يبدأ فيوقِّع الكلمات على الحركات الموازية لها فيأخذ الخبز بكلتا يديه بحسب ما ينطق ثم يردده من اليمين للشمال [أخذ خبزاً على **يديه**] بحسب التقليد وهو تسليم كهنوتي يعرفه الكهنة ولكنه أصلاً تقليد ذبائحي يمتد إلى العهد القديم (انظر صفحة 281).

أوصاف اليد:

بدأ الطقس بعدم ذكر أوصاف لليد باعتبارها يداً إلهية تحمل كل الأوصاف ولا يحملها أي وصف، وهذا ما نجده في بردية دير البلايزه وأنافورا سيرابيون وبردية لوفان، ولكن ليتورجية هيبوليتس تتميز عن كل هؤلاء بأنها لا تذكر اليد بل تكتفي بالقول ''أخذ خبزاً'' وذلك من واقع تسجيل الأناجيل حيث لا يذكر فيها قط أن المسيح أخذ خبزاً "**على يديه**". إذاً، فتقليد هيبوليتس ينتمي إلى التسجيل الإنجيلي أكثر منه إلى التسجيل الطقسي، وهو يعطي نصاً أكثر مما يعطي طقساً!!

أمَّا أنافورات الإسكندرية التي أمامنا فكلها تذكر ''اليد'' وبصورة ''المثنى'' [يدين] لأنها في الواقع تصف وتشرح وتمارس معاً الإفخارستيا المسلَّمة بالتقليد الطقسي، وتشدِّد جميعها على أن الخبز **[على]** اليد (ولكن ليتورجية يوحنا ذهبي الفم هي الوحيدة التي تقول: [**في** اليدين]).

أمَّا بداية أوصاف اليد(36) فنجدها في رسالة كليمندس الروماني إلى كورنثوس 4:33: «يديه الكهنوتيتين اللتين بلا عيب»

ثم أول وصف لليد في الأنافورات الإسكندرية نجده في بردية دير البلايزه حيث تذكر: [أخذ خبزاً على يديه "**المقدستين**"]. وتصف ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل الكتاب الثامن): [يديه المقدستين اللتين **بلا عيب**]. ثم تضيف أنافورا رقوق مانشستر: [المقدستين اللتين بلا عيب **ولا دنس**]. ثم تضيف أنافورا مرقس الرسول: [المقدستين اللتين بلا عيب ولا دنس "**الطوباويتين**" "**المحييتين**"]. وواضح أن أنافورا القديس مرقس استعارت كلمة "**المحييتين**" من ليتورجية القديس يعقوب (المتطورة) من النص اليوناني الذي تجيء فيه ''غير المائتتين ¢qan£twn'' حيث النص السرياني لا يحوي هذا الوصف(37).

ومن هذا التدرج يتضح لنا عملية النمو في الأنافورا فيما يختص بصياغة ووصف التأسيس ليلة العشاء.

3- "ونظر إلى فوق":

هذه الكلمات واردة في إنجيل القديس متى الرسول: «ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى »(مت 19:14)، ولكن الإنجيل يذكر ذلك في معجزة الخمس خبزات، وليس في ليلة العشاء، وبالتالي فلابد أن تكون هذه الحركة من صميم طقس التقديس بالبركة على الخبز وهي عملية تقديم أو تقريب أو رفع الذبيحة لله عملياً. ولكن لا تأتي إطلاقاً على الكأس، إذ يلزم أن تكون يمين الكاهن على مستوى الكأس تماماً ولا يرفع عينيه بل يظل مطأطأً حسب طقس الصلاة على كأس البركة. لذلك فالأنافورات التي تميل إلى التوازي، أي تكرار ما يُقال وما يعمل على الخبز ليُقال ويعمل على الكأس وقعت دون أن تدري في هذا المحظور إذ خالفت الطقس والتقليد الأصيل حينما ذكرت أن الرب رفع عينيه وهو يبارك على الكأس مثل أنافورا الملكيين - الخلقيدونيين - لمار

(36) Lietzmann., *op. cit.*, p. 24.
(37) *Ibid*., p. 24.

مرقس[38]، وأنافورا يعقوب الرسول في التقليد البيزنطي، أمَّا التقليد السرياني فكان أكثر حرصاً[39].

ولكن الأنافورات لا تكف قط عن شرح الحركات، فلم تكتف بأن تقول: [ورفع عينيه] أي ''نظر إلى فوق'':

- فنجد أولاً أنافورات لم تذكر هذه الحركة جملة، مثل بردية دير البلايزه، وقداس سيرابيون، وبردية لوفان القبطية، والتقليد الرسولي لهيبوليتس، وكذلك ليتورجية يوحنا ذهبي الفم.
- أول مَنْ أضاف إلى ''نظر إلى فوق'' ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن): [ونظر إلى فوق نحوك يا الله أباه].
- أمَّا القديس باسيليوس في ليتورجيته البيزنطية فحاول أن يشرح هذا النظر إلى فوق عملياً فقال: [ورفعه إليك يا الله الآب.][40]

وهذا في الواقع يكشف عن وعي ذبائحي طقسي مُبدع، وهو طقس رسولي بلا نزاع وقد أخذه القديس باسيليوس من أنافورا القديس يعقوب الرسول حسب النص السرياني.

- أمَّا أنافور رقوق مانشستر فتضيف: [ونظر إلى فوق **نحو السماء** إليك يا الله أباه].
- أمَّا أنافورا القديس مرقس القبطية فتضيف أيضاً على ذلك: [ونظر إلى فوق إلى السماء **نحوك** يا الله أباه **وسيد كل** أحد].

وواضح أن هذه الزيادات كلها معها كلمة [ونظر إلى السماء] منقولة من طقس القديس يعقوب الرسول حسب التقليد السرياني ثم البيزنطي، فالسرياني هو الذي بدأ يشرح التقديم إلى الآب، والبيزنطي أكمل عليه: [ونظر نحو السماء وقدَّمه إليك يا الله أباه].

ومن هذا التدرُّج تتضح لنا عملية النمو في الأنافورا فيما يخص صياغة ووصف التأسيس ليلة العشاء.

4- «وبارك»: الصيغة المثلثة: "وشكر وبارك وقدَّس":

أ ـ توجد أنافورات امتنعت قصداً عن ذكر هذه الصيغة المثلثة للبركة على الخبز، وحتى على الكأس، ودخلت مباشرة على كلمة ''وكسر'' دون ذكر البركة. لأن المعروف والمسلَّم به تماماً أن

(38) ANF, vol. VII, p. 557.

(39) Lietzmann, *op. cit.*, p. 24.

(40) *Ibid.*, p. 21.

هذه الصيغة كانت تتبع التعليم السري Disciplina arcani وكانت هذه البركة تُسلَّم كميراث ''لقوة الاسم'' كما سبق شرحه صفحة 638. واكتفت الأنافورات بتتميمها عملياً في ''طقس التقديم'' بالنداء بالاسم (الثالوث)، ثم بالبركة المثلثة على الخبز و''الكأس'': [مبارك الله الآب ضابط الكل/ آمين. مبارك ابنه الوحيد يسوع المسيح/ آمين. مبارك الروح القدس الباراكليت/ آمين]. والليتورجيات التي امتنعت عن ذكر أو عن وصف هذه البركة داخل الأنافورا هي أنافورا سيرابيون، وأنافورا كليمندس (قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن)، وأنافورا كيرلس الأورشليمي.

ب ـ وتوجد أنافورات وصفتها وصفاً عاماً بدون تحديد طقسي وبدون ذكر الصيغة المثلثة التي تشير إلى النداء والبركة باسم الثالوث هي:

- ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس، حيث ذكر في موضع تقديس الخبز هكذا: [أخذ خبزاً "**وشكر**" قائلاً]. ومن هذه الصيغة نفهم أن هيبوليتس لم يحاول إعادة وصف الطقس التقليدي الذي يتم في "**التقديم**" بالرشم ثلاث مرات. وبذلك تعتبر إفخارستية هيبوليتس وصفية غير طقسية أي بدون إجراء الرشم المثلث. وأخذت عنه ليتورجية عهد ربنا إذ تقول [أخذ خبزاً وأعطى لتلاميذه] النص السرياني المعرَّب ـ انظر كتاب ''عهد الرب'' للأب يوحنا تابت ـ مطبوع في لبنان سنة 1975.

- أنافورا بردية لوفان القبطية: وتذكر فعلين فقط وليس ثلاثة [وشكر عليه وباركه]، وهذه أيضاً تشترك مع هيبوليتس في كونها لا تتبع حركات ''طقس التقدمة''.

ج ـ أنافورات تتبعت حركات طقس التقدمة الثلاث وقدَّمت وصفاً لها بحكمة وحذق منقطع النظير إذ نجحت في وصف عملية النداء والبركة باسم الآب والابن والروح القدس دون ذكرها عملياً مكتفية بذكر المضمون المثلث للفعل أو للأفعال المتأتية من بركة الثالوث [وشكر وبارك وقدَّس].

وهنا تنقسم هذه الأنافورات إلى قسمين، قسم كان فيه واضع الأنافورا ملتزماً بالتقليد العبري القديم فاهماً أن البركة هي باسم الله على الخبز وليست مباركة الخبز ذاته، فلم يقل ''وباركه'' بل قال [وبارك] ـ مثل إنجيل متى 26:26 ـ أي بارك الله عليه. وقسمٌ تحرر من هذا الإلتزام العبري إمَّا للجهل به وإمَّا للخروج من نيره من أجل جعل الكلام مفهوماً لدى الأمم لأن الشعب غير اليهودي لن يفهم من كلمة "**وبارك**" المضمون الذي تنطوي عليه، فسهَّل الكاتب على المستمع الأمر وقال: ''وباركه'' ـ مثل 1كو 16:10.

- أنافورات التزمت بنص التقليد العبري تماماً من جهة توجيه الشكر والبركة والقداسة لله وليس

للخبز، مثل رقوق مانشستر حيث قال الكاتب **["وشكر" "وبارك" "وقدَّس"]**، حيث كلمة ''قدَّس'' تفيد أنه ''قدَّس اسم الله'' على الخبز.

▪ أنافورات تحررت من هذا الإلتزام مثل أنافورا القديس مرقس الرسول إذ قال: [وشكر وباركه وقدَّسه]. ولكن على كل حال لم تستطع أية أنافورا أن تفلت من هذا الإلتزام التقليدي الذي بحسب الطقس العبري في موضوع "**الشكر**"، فالكل قال "**وشكر**". ومن هنا ينكشف الأصل في التقليد، لأنه لم يستطع أحد أن يقول أيضاً ''وشكر الله'' بل تركها صامتة بحسب التقليد.

فلمَّا فَصَلَ التلاميذ **العشاء** (أي الأغابي) عن **سر العشاء** (أي كسر الخبز والشكر على الكأس) صارت البركة على الخبز والشكر (الإفخارستيا) على الكأس تأتيان تباعاً متصلتين. هذا استلزم بالضرورة أن يُرجأ كسر الخبز (أي القسمة) إلى ما بعد "**الشكر**" أيضاً على الكأس. هذا ما كان يتم بالفعل في التقليد الرسولي الأول، وهذا ما يزال يتم بالحرف الواحد في "**طقس تقديم الحمل**" في الكنيسة القبطية، غير أن كسر الخبز أي القسمة لا يجرى بعد صلاة الشكر الصغيرة على الكأس في طقس تقديم الحمل، بل رُفع الكسر (القسمة) من طقس تقديم الحمل كلية ليدخل في الأنافورا الوصفية.

5 – "وقسَّمه" = "وكسر":

يُلاحَظ في ''طقس تقديم الحمل'' أنه بعدما يبارك الكاهن على الخبز داعياً ومباركاً باسم الثالوث أنه لا يقسِّم الخبز ولا يعطيه لأحد، كذلك يُلاحَظ في الأنافورا نفس الشيء تماماً أنه بعد أن "**يصف**" الكاهن كيف أن المسيح في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً ''وشكر'' ''وبارك'' ''وقدَّس'' ثم يقول ''**وقسَّمه** وأعطاه'' دون أن يجري عملية القسمة أو الإعطاء (ولكنه يشق الخبز فقط رمزاً للتقسيم ولكن لا يكمِّله).

إذاً، فالأصل في تأجيل القسمة إلى نهاية الأنافورا يرجع إلى أن الأنافورا اتبعت في وصفها نفس الخطوات التي تتم في طقس التقديم، فكما حدث في "**طقس التقديم**" أن القسمة (وكسر) رفعت من بعد البركة على الخبز ـ (وذلك أصلاً بسبب رفع العشاء كله ''الأغابي'' من الطقس)، كذلك انضم شكر الكأس إلى بركة الخبز مباشرة. هكذا اتبعت الأنافورا نفس الترتيب في وصفها وشرحها.

وبهذا نجد أن وضع القسمة في الأنافورا لا يتبع المذكور في الأناجيل حيث في الأناجيل كلها تأتي القسمة [وكسر] **قبل** الشكر على الكأس، كما في إنجيل لوقا: [أخذ خبزاً وبارك "**وكسر**" ... وكذلك الكأس **بعد العشاء**].

إذاً، هنا يتضح لنا أن في ‘‘طقس العشاء الأخير’’ تغيَّر ترتيب القسمة ــ أي كسر الخبز ــ فصارت بعد الشكر على الكأس. وأول طقس تقليدي في الكنيسة ظهر فيه هذا التغيُّر هو ‘‘طقس تقديم الحمل في مصر’’. وهذا يبدو أنه طقس رسولي من القديس مرقس الرسول لأن درجاته الأُولى تظهر في إنجيل مرقس الرسول نفسه، فهو أول إنجيلي أسقط ذكر العشاء من بين البركة على الخبز والبركة على الكأس، ورفع العشاء أو جعله يتقدَّم السر كله ــ أي قبل البركة على الخبز وكسره والبركة على الكأس وشربه:

+ «**وفيما هم يأكلون** أخذ يسوع خبزاً وبارَكَ وكسَّرَ وأعطاهم وقال **خذوا كلوا هذا هو جسدي ثم أخذ الكأسَ وشكرَ** وأعطاهم فشربوا منها كلُّهم.» (مر 14: 22و23)

فإذا علمنا أن جميع الصلوات والتذكارات كانت بحسب الطقس القديم تُتلى **بعد العشاء** مباشرة، كما هو مذكور ومشروح بالحرف الواحد في الديداخي فصل 10:

[فإذا **امتلأتم** (بعد العشاء) اشكروا هكذا: نحن نشكرك أيها الآب القدوس من أجل اسمك ... ومن أجل المعرفة والإيمان ومن أجل عدم الموت ... أنت السيد المقتدر الذي خلقت كل شيء .. اذكر يا رب كنيستك نجِّها من كل شر واجعلها كاملة في محبتك، اجمع شملها ... لملكوتك الذي أعددته. ليت النعمة تأتي، وليت العالم ينتهي. أوصنا لإله داود (هنا يبدأ الدخول **إلى السر**): **مَنْ كان طاهراً فليتقدَّم. والذي ليس طاهراً فليتب. تعالَ أيها الرب يسوع. "آمين"**].

من هذا يتبيَّن لنا سبب مجيء الأواشي أي الصلوات والتذكارات كلها في تقليد أنافورا مرقس الرسول قبل البدء في سر البركة على الخبز والشكر على الكأس! وهو نفس الشيء تماماً الحادث في ‘‘طقس تقديم الحمل’’ حيث تتلى جميع الصلوات والتذكارات وأوشية القرابين وأصحابها قبل البدء في البركة على الخبز والشكر على الكأس! (انظر الجدول صفحة 586).

وقد حذا إنجيل متى في ذلك حذو إنجيل مرقس، ولكنه رفع ذكر العشاء جملة وتفصيلاً وهذه في الحقيقة تعتبر في تاريخ الليتورجيا درجة كبيرة من التطور.

ونجد في ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل ــ الكتاب الثامن) تطبيقاً لهذا التصرُّف حيث لا يذكر في رواية التأسيس أي ذكر ‘‘للعشاء’’، حيث تتبع الكلمات واقعية الطقس بعد تعديله.

كما نجد أيضاً في ليتورجية تقليد الرسل لهيبوليتس نفس التصرُّف، فلا يذكر في رواية التأسيس أي شيء عن العشاء.

6 ـ "وأعطاه لتلاميذه قائلاً":

تشترك الليتورجيات: بردية لوفان القبطية، وأنافورا سيرابيون، في هذه الجملة بدون أوصاف. ما عدا بردية دير البلايزه فتزيد ''ورسله'' إنما أيضاً بدون ذكر أوصاف للتلاميذ.

أمَّا رقوق مانشستر فتضيف على ''لتلاميذه ورسله'' كلمة "**القديسين**".

وتأتي أنافورا مرقس الرسول فتزيد أوصافاً أخرى هكذا: ''لتلاميذه "**الكرام**" القديسين ورسله "**الأطهار**"''. وفي نسخة برايتمان ونسخة ليتزمان لا توجد صفة "الأطهار"[41] مما يفيد أنها زيدت بعد القرن الثالث.

وأول مَنْ بدأ سلسلة هذه الصفات للتلاميذ والرسل هو قداس القديس يعقوب الرسول (الطقس السرياني) في نسخته السريانية[42] حيث أضاف صفة ''القديسين''. وبدأت تقتبس منه ليتورجيات الإسكندرية بعد القرن الرابع. وشاع ذلك التقليد حتى ملأ الدنيا كلها، فلم يعد يذكر اسم أي تلميذ أو رسول إلاَّ ويعطي لقب قديس (مار).

ولكن قبل هذا كله تأتي ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس بدون ذكر هذه الجملة أساساً، أي بدون ''وأعطاه لتلاميذه''. مما ينبه ذهننا أن عملية وصف التقديس (التأسيس) ليلة العشاء جاء في الليتورجيات متدرجاً ونما قليلاً قليلاً حتى أخذ هذه الصورة الحالية في أنافورا مرقس الرسول.

ومن هذا التدرُّج يتضح لنا عملية النمو في الأنافورا فيما يخص صياغة ووصف التأسيس ليلة العشاء.

7 ـ "خذوا كلوا":

تشترك كافة الليتورجيات في هذه الصيغة حيث توردها بردية لوفان القبطية بهذا الاختصار هي وأنافورا سيرابيون، وليتورجية يعقوب الرسول (الطقس البيزنطي)، أو في قُدَّاس القديس باسيليوس والقديس يوحنا ذهبي الفم عند الروم.

- ثم تزيد على هذه الجملة حرف "**منه**" كل من ليتورجية قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن، وليتورجية القديس يعقوب (الطقس السرياني).

- ثم تزيد عليها بردية دير البلايزه ''خذوا كلوا **منه كلكم**'' وكذلك رقوق مانشستر وأنافورا القديس مرقس الرسول. وهذه الزيادة بدأت بسبب محاولة اجراء توازٍ بين ما يُقال على الكأس وما

(41) Lietzmann. *op. cit.*, p. 32.
(42) *Ibid*., pp. 20, 21.

يُقال على الخبز. وواضح أن التوازي هنا جاء على الشرب "**من**" الكأس، لأنه في العادة لا يُقال ''كلوا **من الخبز**'' ولكن يُقال ''اشربوا **من** الكأس''. وواضح أن أول مَنْ أدخل هذا الحرف "**منه**" هي ليتورجية القديس يعقوب في الطقس السرياني(43).

ولكن وبعد هذا كله نجد أن ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس لا تورد هذه الجملة أساساً أي لا تقول ''خذوا كلوا''، مما يكشف لنا أنه يوجد فعلاً عملية تدرُّج ونمو في وصف العشاء الأخير داخل الأنافورا.

8– "**هذا هو جسدي** المكسور عنكم لمغفرة الخطايا":

تشترك جميع الليتورجيات بلا استثناء في ذكر هذه الجملة السرائرية، ولكن تأتي بعضها بكلمة ''المبذول'' بدل ''المكسور''. وتضيف رقوق مانشستر بعد ''جسدي'' كلمة ''الذي **للعهد الجديد**'' رغبة في التوازي على ما يُقال على الكأس.

▪ ولكن تضيف عليها الأنافورات – رقوق مانشستر ومار مرقس– كلمة ''عنكم **وعن كثيرين**''. وهذه مقتبسة أصلاً من ليتورجية القديس يعقوب الرسول الطقس السرياني، لأن الطقس البيزنطي يخلو منها.

▪ ولكن تحتفظ ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل – الكتاب الثامن) بوضعها الخاص إذ لا تذكر "**عنكم**". بل تقول مباشرة "**عن كثيرين**".

▪ كما تضيف رقوق مانشستر وأنافورا مرقس الرسول كلمة "**يُعطى**" قبل ''لمغفرة الخطايا''. وهي مقتبسة من ليتورجية يعقوب الرسول الطقسين السرياني والبيزنطي.

▪ ولكن عندما نفحص ليتورجية هيبوليتس لا نجدها تذكر ''يُعطى لمغفرة الخطايا'' نهائياً.

9 – "هذا اصنعوه لذكري"

▪ تأتي أنافورا دير البلايزه خالية من هذه الجملة تماماً، ويشترك معها في هذا ليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم عند الروم، سواء على الخبز أو على الكأس.

▪ ولا يذكرها هيبوليتس إلاَّ بعد الكأس ليشمل "**الذِكْر**" كل ما يُعمل على الخبز وعلى الخمر معاً. ويشاركه في هذا ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل – الكتاب الثامن) والقديس باسيليوس

(43) *Ibid*., p. 24.

عند الروم والقديس يعقوب الرسول الطقسين السرياني والبيزنطي.

▪ أمَّا أنافورا رقوق مانشستر وأنافورا القديس مرقس الرسول القبطية فتذكرها **مرتين**، مرة **بعد الخبز** ومرة **بعد الكأس**. ويبدو أن هذه الإضافة نشأت مؤخراً بعد القرن الخامس ـ أي بعد مجمع خلقيدونية ـ لأن ليتورجية القديس مرقس المستخدمة عند الملكانيين لا تحوي هذا ''الذِكْر'' إلاَّ بعد الكأس فقط.

كذلك يُلاحظ اهتمام الكنيسة القبطية الواضح في إعطاء ''الذِكْر'' هذا التأكيد ليس فقط بالتكرار بعد كل من الخبز والكأس، ولكن بإعطاء وقفة خاصة عند كل ذِكْر لكي يؤمِّن الشعب على هذه الوصية الثمينة، حيث يرد الشعب "**هذا هو بالحقيقة آمين**".

▪ أمَّا أنافورا سيرابيون فيبدو لأول وهلة أنها أغفلتها، ولكن في الحقيقة أن أنافورا سيرابيون تُعتبر من الوثائق الهامة في تاريخ التذكار لأنها تقدِّمة لا كجملة ولكن كحقيقة قائمة ممثَّلة في الذبيحة الموضوعة على المذبح: الخبز لتذكار الجسد والخمر لتذكار الدم أو بحسب لغة أنافورا سيرابيون: ''هكذا نحن أيضاً **إذ نصنع مثال موته نقدِّم هذا الخبز** ونضرع إليك أن **بهذه الذبيحة** تتصالح معنا ... وهكذا أيضاً إذ **نقدِّم الكأس نقدِّم مثيل الدم**''.

وهذه تعتبر أول محاولة للطقس حسب التقليد الإسكندري، لكي يورد صيغة ''التذكار'' داخل الأنافورا حراً من التقليد السرياني لا من جهة الصيغة كجملة محددة بل من جهة الأسلوب العملي الفريد في نوعه الذي يؤكد الفعل الذبائحي السرائري للإفخارستيا مطبَّقاً تطبيقاً لاهوتياً على ذبيحة الصليب، إذ يقول عن الإفخارستيا بكل دقة ووضوح: ''ونضرع إليك أن بهذه الذبيحة **تتصالح معنا**''.

كذلك يظهر من تكرار التذكار في طقس سيرابيون نفس الأسلوب الذي اتخذته أنافورا مرقس الرسول في تكرار التذكار بعد الخبز وبعد الكأس مما يكشف عن أصول عميقة في التقليد الإسكندري الخاص بالتذكار معتبراً الخبز والخمر عنصرين متميزين للذبيحة، كلاًّ منهما يمثلها بمفرده.

10ـ "وهكذا أيضاً بعد العشاء أخذ كأساً":

جميع الأنافورات الإسكندرية تتبع هذا النص بحرفيته، وهو مطابق لليتورجيا القديس يعقوب الرسول في الطقس البيزنطي. ولكن أنافورا القديس مرقس الرسول تغيِّر أوضاع الكلمات فتأتي: ''**وهكذا الكأس أيضاً** بعد العشاء'' ـ وبسبب هذا التقديم سقط فعل "**أخذ**". ويشترك مع أنافورا القديس مرقس الرسول في هذا ليتورجية يوحنا ذهبي الفم. وهذا الترتيب مأخوذ من ليتورجية

القديس يعقوب الرسول النص السرياني.

- ولكن تتميز أنافورا سيرابيون بأنها توردها مختصرة بدون ‘‘وهكذا أيضاً’’.

- أمَّا ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن) فلا تذكر ‘‘وهكذا أيضاً بعد العشاء’’، بل تأتي مختصرة "**وهكذا الكأس**" فقط، ويشترك معها في ذلك ليتورجية القديس باسيليوس (الطقس البيزنطي).

11 ـ "ومزجها من خمر وماء":

- هنا تقف كل أنافورات الإسكندرية القديمة خالية من هذا النص تماماً: أنافورا سيرابيون، وبردية دير البلايزه، ورقوق مانشستر، وبحسب أبحاث العالم الألماني شيرمان في كتابه عن الليتورجية المصرية أثبت أن مزج الخمر في مصر كان ممنوعاً في الأيام القديمة(44)، واستشهد بأقوال لأوريجانوس في عظته على سفر إرميا العظة الثانية عشر. ولكننا نعترض على ذلك لأن كليمندس الإسكندري وهو أسبق في عصره وتقليده على أوريجانوس يشرح مزج الخمر في الإفخارستيا بطريقة لا يمكن أن يتسرَّب إليها الشك هكذا:

[نحن نشرب دم المسيح لكي نكون شركاء في عدم الموت الذي للرب، وكما أن الروح هو الفعَّال بالنسبة للكلمة، كذلك الدم بالنسبة للجسد ـ **وكما يُمزج الخمر بالماء** كذلك يكون ‘‘الروح’’ في الإنسان، ومزيج الخمر والماء يغذي الإيمان وأمَّا الروح فإنه يقود إلى عدم الموت.](45)

ولكن لا يزال يقف أمامنا الطقس يشهد فعلاً أنه كان هناك تقليد قديم ربما أقدم من كليمندس الإسكندري كان **لا** ينص على مزج الخمر، وبذلك يكون كلام كليمندس هو دفاع عن بداية دخول طقس مزج الخمر. وربما أن هذا الطقس الذي كان ينص على عدم مزج الخمر، **كان يعتمد على استخدام عصير طازج من الزبيب** كما كان سارياً إلى عهد قريب، وربما حتى إلى اليوم في بعض كنائس الصعيد في مصر(46)، وهذا الطقس يشير إليه خفياً طقس القديس باسيليوس (البيزنطي) عندما يستبدل كلمة ‘‘الخمر’’ بكلمة "**نتاج الكرمة**". ولكن القديس باسيليوس يذكر

(44) Schermann, *Ägypt. Liturgien*, 67ff., citing Origen, *In Jerem. Hom.* XII; cited by Lietzmann, *op. cit.*, p. 33.

(45) Clement of Alex., *The Instructor*, II,2, ANF, II, p. 242.

(46) انظر صورة المخطوطة في ملزمة صور المخطوطات.

المزج ويشدِّد عليه[47] مثل ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن).

12 ـ "وشكر":

وهنا نعود مرة أخرى إلى قضية التعليم السري والتلميح الوصفي لصيغة التقديس بدون ذكر تفاصيل النطق ذاته. وهنا يبدأ التدرُّج:

(أ) إفخارستية سيرابيون ترفض نهائياً ذكر أي فعل من الأفعال: ''أخذ كأساً بعد العشاء وقال لتلاميذه الأخصاء خذوا اشربوا''. وواضح هنا إصرار الأنافورا في إخفاء أفعال التقديس، ويشاركها في هذا ليتورجية هيبوليتس وليتورجية يوحنا ذهبي الفم.

(ب) أنافورات ذات الفعل الواحد مثل أنافورا دير البلايزه، حيث تذكر "**وبارك**" فقط، وهذا أقرب إلى التقليد العبري. أمَّا أنافورا رقوق مانشستر فتقول "**وشكر**"، وهذا أقرب إلى تقليد العشاء الأخير (كأس الإفخارستيا ـ أي الشكر).

أمَّا ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل الكتاب الثامن) فتقول "**وقدَّس**" وتقصد تقديس اسم الله وهذا تعبير عن مضمون الفعل الحادث أي تقديس الإفخارستيا.

(ج) أنافورات ذكرت ثالوث الأفعال ''وشكر وبارك وقدَّس'' في وضعها التقليدي الأصيل بدون إضافة حرف ''الهاء'' أي ليس ''باركه'' أو ''قدسه'' بل ''بارك وقدَّس'' مثل ليتورجية القديس باسيليوس (الطقس البيزنطي). ويشاركه في هذا ليتورجية القديس يعقوب الرسول كل من الطقس السرياني والطقس البيزنطي وليتورجية القديس مرقس للملكانيين.

(د) أمَّا أنافورا القديس مرقس الرسول الطقس القبطي ـ القرن الثالث عشر فتلتزم بالأفعال الثلاثة حسب التقليد الصحيح القديم ''شكر وبارك وقدَّس''[48]. ولكن للأسف فإن النسخة المطبوعة المستخدمة خرجت عن هذا التقليد في عصر ما بعد القرن الثالث عشر ووضعتها هكذا ''وشكر وباركها وقدَّسها''.

13 ـ "وذاق":

طقس مصري صميم (بدأ متأخراً نوعاً ما)[49]:

(47) Lietzmann, *op. cit.*, p. 23.
(48) Lietzmann, *op. cit.*, p. 32.
(49) *Ibid.*, p. 34.

(أ) تأتي أنافورا سيرابيون دون ذكر لهذا التقليد، وكذلك أنافورا القديس باسيليوس الطقس القبطي والطقس اليوناني (رينودوت)، والنسخة الصعيدية التي من النصف الأول من القرن الرابع[50]. وكذلك ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل) والقديس باسيليوس الطقس البيزنطي، ويوحنا ذهبي الفم، والقديس يعقوب الرسول الطقس السرياني والطقس البيزنطي، والقديس مرقس للملكانيين.

(ب) وبذلك لا يتبقى إلاَّ بعض أنافورات الإسكندرية هي التي أصرت على أنه ''ذاق'' أو ''شرب''، فالذين أصروا على أن الرب "**شرب**" من الكأس هي أنافورا دير البلايزه وأنافورا رقوق مانشستر.

أمَّا أنافورا القديس مرقس الطقس القبطي فاختصت دون الليتورجيات بكلمة "**ذاق**".

وهذا الطقس المصري صميم، وهو يعتمد على نص إنجيلي (مت 29:26). ولكن هذا المبدأ كان معروفاً أيضاً عند الآباء، فالقديس إيرينيئوس أشار إليه وهو يعلِّق على نص إنجيل متى المذكور[51].

بل وهناك أيضاً شاهد من صميم الطقس، فالكاهن يصنع ذلك تماماً فهو يذوق قبل أن يعطي مشيراً بذلك إلى أن هذا هو التسليم[52]. كما فعل الرب، لأن الطقس في الأنافورا هو شرحي وتوضيحي لما أُكمل وقت العشاء الأخير.

14 ـ "وأعطاه لهم قائلاً "خذوا اشربوا" منه كلكم":

- تتفق الأنافورات الإسكندرية كلها في هذا النص تقريباً.
- ما عدا أنافورا سيرابيون، فتأتي مختصرة خالية من ''منه كلكم'' مكتفية فقط بـ"**خذوا اشربوا**".
- وبدل "**وأعطاه لهم**" كما جاءت في كل الأنافورات كما وفي إنجيل متى، جاءت هنا "**وقال لتلاميذه الأخصاء**" مما يفيد أن تقليد سيرابيون يبدو هنا حاملاً آثاراً قديمة من تقليد رسخ في الإسكندرية قبل أن تنتشر الأناجيل.
- ولكن ليتورجية يوحنا ذهبي الفم تأتي مختصرة هنا أكثر من سيرابيون، فتحذف ''وأعطاه لهم قائلاً خذوا'' وتكتفي بـ"**اشربوا منها كلكم**".

(50) Coquin, *op. cit.*, p. 337 n.
(51) Irenaeus, *Adv. Haer.*, V, 33, 1, ANF, I, p. 562.
(52) Lietzmann, *op. cit.*, p. 34.

▪ ولكن أكثر الأنافورات استطالة في هذا الموضع هي أنافورا مرقس الرسول للأقباط وتأتي هكذا: ‘‘وأعطاه أيضاً لتلاميذه الكرام ورسله الأطهار قائلاً **خذوا اشربوا** منها كلكم لأن’’.

▪ والملاحَظ في كافة الأنافورات الإسكندرية أنها تحافظ بوضوح على اصطلاح "**خذوا اشربوا**" مهما كان الحذف أو الإضافة، مما يدل على أنه تقليد رسولي عتيق في مصر[53] لا يشترك فيه من جهة الليتورجيات الأخرى العتيقة سوى ليتورجية **يعقوب الرسول الطقس السرياني**، أمَّا الطقس البيزنطي فخال منه، مما يدل على أن الطقس السرياني أُخذ هنا عن مصر. كما يُلاحَظ أن هذا الاصطلاح مستخدم في الخبز بنفس الالتزام. وهو وارد في أقوال كليمندس الإسكندري[54] وعند أوريجانوس[55].

▪ أمَّا التقليد الرسولي لهيبوليتس فيخلو تماماً من كل هذا بأجمعه فيأتي الكلام على الكأس "**وهكذا الكأس قائلاً هذا دمي**" مما يزيدنا تأكيداً هنا أن هيبوليتس ينقل لنا **نصاً** ولا ينقل **طقساً**، ولا يسلِّم **تقليداً** بل يسلِّم نموذجاً أولياً.

15 ـ "**هذا هو دمي** الذي للعهد الجديد
الذي يُسفك عنكم وعن كثيرين يُعطى **لمغفرة الخطايا**":

▪ هذا النص وارد كله أو بعضه في أنافورات الإسكندرية.

▪ وأكثر الأنافورات اختصاراً هي بردية دير البلايزه فتأتي ‘‘هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا’’، وهي خالية من ذكر ‘‘العهد الجديد’’. ويشترك مع بردية البلايزه في عدم ذكر ‘‘العهد الجديد’’ على الكأس ليتورجية تقليد الرسل لهيبوليتس وليتورجية كليمندس (قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن) فقط. أمَّا جميع الليتورجيات بعد ذلك شرقاً وغرباً فتحرص على ذكر العهد الجديد بالنسبة للكأس.

وهنا نرى بردية دير البلايزه تقف مع أقدم النصوص ولكن ليس مع أقدم الطقوس.

▪ ولكن بدراستنا لأقوال كليمندس الإسكندري، لا نرى هذا الربط الذي يربط الدم بالعهد الجديد، إذ يقول:

[لقد بارك المسيح الخمر قائلاً "**خذوا اشربوا**" **هذا دمي**، وهنا إشارة أيضاً إلى الكلمة

---

(53) *Ibid*., p. 34.

(54) Clement of Alex., *The Instructor*, II, 2, ANF, II, p. 246.

(55) Origen, *In Jerem.* XII. 2.

(اللوغوس) الذي انسكب للكثيرين لمغفرة الخطايا، نهراً مقدَّساً للبهجة.][56]

كذلك فإن أوريجانوس لا يأتي هو الآخر على ذكر الرباط الذي ربط الدم بالعهد الجديد، إذ يقول: [**"خذوا اشربوا"** هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا هذا اصنعوه كُلَّما شربتم لذكري.][57]

وهكذا نجد أن كلاًّ من كليمندس وأوريجانوس لا يأتي على ذكر هذا الطقس مما يكشف لنا عن جذر من جذور الطقس الإسكندري للأنافورا قبل أن تتطابق في أوصافها مع النصوص الإنجيلية.

- أنافورا القديس مرقس الرسول القبطية تضيف أكثر من النص الوارد في سيرابيون وبردية دير البلايزه كلمة ''وعن كثيرين'' وكلمة "**يُعطى**" ويشاركها في هذا رقوق مانشستر. وواضح أنها اقتبستها من ليتورجية يعقوب الرسول الطقس السرياني.

16 ـ "هذا اصنعوه لذكري":

- تأتي أنافورا دير البلايزه خالية من هذا النص. ويشاركها في هذا ليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم، ولكن تعود بردية دير البلايزه وتورد نصاً آخر على كل من الخبز والخمر للتذكار.
- أنافورا سيرابيون تعطي نصاً آخر غير مباشر يفيد التذكار، كما كان على الخبز كذلك على الكأس ''نقدِّم مثيل الدم''. ويؤكد العالم بومشتارك أن هذا يُعتبر مع الخبز الموازي له تذكاراً أصيلاً[58].
- أنافورا القديس مرقس الرسول (القبطية) مع رقوق مانشستر، تقدِّم هذا النص بوضوح مثل باقي الليتورجيات السريانية والبيزنطية.

17 ـ "كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن أجيء":

(أ) هذا النص موجود أصلاً في كل من أنافورا سيرابيون وليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم.

(ب) يأتي بصورة مختصرة في ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل): ''كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي إلى **أن أجيء**''. هذا النص هو محاولة ـ ربما تكون أول محاولة ـ للتطابق مع نص وصية بولس الرسول في 1كو 11.

(56) Clement of Alex., *The Instructor*, II, 2, ANF II, p. 246.

(57) Origen, *In Jerem.*, Hom. XII. 2, quoted by Lietzmann *op. cit.*, p. 30 n.

(58) Baumstark, *Röm. Quart.* (1904) 140, quoted by Lietzmann, *op. cit.*, p. 45.

(ج) بردية دير البلايزه لأنها لم تسبق وتذكر ''هذا اصنعوه لذكري'' تعوض ذلك بأن تورد هنا قراءة مختصرة بحسب قراءة ليتزمان وهو حجة في قراءة المخطوطات القديمة: ''كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي تذكرونني''، فهي هنا قريبة من قراءة ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل) ولكن بدون أن تذكر ''إلى أن أجيء''.

(د) تأتي مختصرة في رقوق مانشستر ''كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي **وتعترفون بقيامتي**'' بدون ''وتذكرونني إلى أن أجيء''.

(هـ) ليتورجية القديس باسيليوس (الطقس البيزنطي) تضيف ''**وتعترفون بقيامتي**''، ولكن لا تذكر ''إلى أن أجيء''.

(و) ليتورجية القديس يعقوب الرسول (الطقس السرياني) هي التي بدأت بإضافة ''وتعترفون بقيامتي **إلى أن أجيء**''.

(ز) **أنافورا القديس مرقس الرسول** (**الطقس القبطي**):

1 ـ أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) هي الأنافورا الوحيدة في طقس الإسكندرية التي اقتبست "**إلى أن أجيء**" من ليتورجية القديس يعقوب الرسول (الطقس السرياني).

2 ـ كذلك فإنها ورثت من بردية البلايزه إضافة "**وتذكرونني**" في هذا الموضع، مع أنها سبقت وأضافت في وقت سابق جملة التذكار كبقية الأنافورات "**هذا اصنعوه لذكري**"، ولذلك جاء التذكار في أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) مكرراً هكذا: ''هذا **اصنعوه لذكري** ... **وتذكرونني** إلى أن أجيء''. ولكن أنافورا القديس مرقس الرسول (للملكانيين) لم تسلك هكذا بل اكتفت بالتذكار الأول فقط. لذلك فواضح أن تكرار التذكار ظهر في أنافورا مرقس الرسول بعد القرن الخامس (بعد الانشقاق).

3 ـ كذلك يُلاحَظ أن أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) حملت معها في رقوق مانشستر بعد ''تبشرون بموتي'' جملة ''وتعترفون بقيامتي'' وقد اقتبستها مبكراً قبل القرن الخامس من ليتورجية القديس يعقوب الرسول (الطقس السرياني) الذي أخذت عنه جميع الليتورجيات دون حذر، لأن الشرح الذي سلَّمه بولس الرسول، أن يكون التذكار للموت فقط ''كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس **تخبرون بموت الرب** إلى أن يجيء'' (1كو 26:11)، فالأمر يختص "**بتذكار موت الرب**" وحتى كلمة ''إلى أن يجيء'' لا تدخل أصلاً ضمن الوصية إنما هي استطراد من بولس الرسول

شخصياً. لذلك فإضافة ذكر ''القيامة'' هنا كان بداية إضافة كل أعمال الرب الأخرى.

ويُلاحَظ أن طقس الإسكندرية حسب التقليد الرسولي القديم ظل حريصاً لا يذكر إلاَّ موت الرب حتى إلى بداية زمن دير البلايزه أو رقوق مانشستر حتى القرن الخامس مع بداية اقتباس المردات من الطقس السرياني.

وبناءً عليه، فإن المرد التقليدي للشعب الذي يُقال الآن ''آمين آمين آمين بموتك يا رب نبشِّر وبقيامتك المقدَّسة وصعودك إلى السموات نعترف ... إلخ'' نجده أنه كان في بردية البلايزه حتى إلى ما قبل القرن الخامس مختصراً للغاية هكذا: ''بموتك يا رب نبشِّر وبقيامتك نعترف ونتضرع إليك'' حيث يجيء ذكر القيامة ليس كتذكار ولكن كاعتراف[59] أساسي للكنيسة.

كذلك يُلاحَظ في نهاية مرد الشعب بالنسبة للتذكار أنه مُنتهٍ عند ''ونتضرع إليك'' وليس له بقية، حيث كلمة ''ونتضرع إليك'' التي تأتي في آخره هي في الواقع بادئة أخرى للتوسُّل من أجل حلول الروح القدس، مما يفيد أن كل ما يأتي بعد كلمة ''ونتضرع إليك'' من جهة التذكار مرة أخرى هو في الواقع إضافة نشأ عنها تكرار التذكار، لذلك حاول التقليد أن يجعله شاملاً كل أعمال المسيح الخلاصية حيث يمكن اعتباره لا كتذكار في الحقيقة ولكن كاعتراف.

وفي نهاية التأسيس يلزم أن نلخِّص المميزات التقليدية الهامة لطقس الإسكندرية كما وردت فيه:

- البادئة التقليدية لطقس الإسكندرية التي جاءت في أول التأسيس «**لأن الرب يسوع المسيح في الليلة** ... Óti Ð KÚrioj 'Ihsoàj CristÒj»[60] هي في الواقع مفتاح فهم الأنافورا الإسكندرية كلها، لأنها تربط كل ما تمَّ عملياً في الطقس وهو **تقديم الحمل** ــ **بما فيه مطلع صلاة الشكر ــ الذي أصبح محسوباً أنه من الأنافورا ــ ثم مقدِّمة التسبيح ثم التسبيح الشاروبيمي، ثم الاستدعاء الصغير** ــ تربطه بما سيأتي في الأنافورا وهو وصف في حقيقته عبارة عن وصف العشاء الأخير الذي ستبدأ الأنافورا تشرحه من أول أحداثه ''لأنه في الليلة التي أَسلم فيها ذاته ...''.

- ينفرد طقس الإسكندرية[61] في رواية التأسيس بإنهائه بجملة تذكارية ''وتذكروني إلى أن أجيء'' ــ أو ما يماثلها في بردية أنافورا سيرابيون. ثم يشدِّد عليها تشديداً قوياً وبلا استثناء مرتين:

(59) Lietzmann, *op. cit.*, p. 45.
(60) *Ibid*., p. 34.
(61) Coquin, *op. cit.*, p. 339.

مرة بعد الخبز ومرة بعد الكأس. وذلك مسجَّل منذ بداية القرن الرابع في أنافورا سيرابيون والنسخة الصعيدية لقداس القديس باسيليوس (الطقس القبطي) وهي من أوائل القرن الرابع.

هذا في الواقع ينبغي أن ينبه ذهننا لنفهم أن تقليد الإسكندرية فيما يختص برواية التأسيس يحاول وضع التأسيس كله في موضع تذكاري تأكيدي بمعنى أن الأنافورا موضوعة هنا لتكون هي مجال التذكار والبرهان بالنسبة للفعل الذبائحي العملي الذي تم في طقس تقديم الحمل ـ وكأن واضع الأنافورا يريد أن يقول: أن كل ما أكملناه عملياً فيما يختص بتقديم الحمل بالخبز والخمر كذبيحة هو حق وصدق ''لأنه في الليلة التي أسْلم فيها ذاته ...'' أي أن ما أكملناه في طقس تقديم الحمل هو حقيقة وسر نافذ المفعول، لأن المسيح هو بنفسه الذي أكمله في تلك الليلة. وهذ الإصرار والتشديد على كلمة ''المسيح **بنفسه**'' واردة كذلك في رقوق مانشستر مما يعزز قولنا هذا.

- كذلك نرى أن فكرة الإمعان في إعطاء ألقاب لاهوتية وخلاصية للمسيح في الأنافورا القبطية بصورة فريدة وبالذات في مقدمة التأسيس وذلك منذ ما قبل القرن السادس كما هو وارد في رقوق مانشستر، هكذا: ''لأن ربنا يسوع المسيح **بنفسه إلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا** في الليلة التي أسلم فيها ذاته''، هو بقصد التأكيد على أن **التأسيس هو عمل إلهي خلاصي يشملنا كلنا وبالتالي فإن العمل التقديسي الذي عمله الكاهن على المذبح على الخبز والخمر في تقديم الحمل يستمد كل قوته وسلطانه من المسيح نفسه!!**

- تنفرد الأنافورا المصرية التي تمثلها البرديات الأثرية لطقس مار مرقس بمبدأ أن المسيح "**ذاق**" من الكأس قبل أن يعطيه لتلاميذه، هذا في الواقع ينصبُّ على مبدأين:

الأول: طقسي، لأنه يستحيل حسب التقليد العبري القديم أن يشكر رئيس المتكأ أو يبارك على الكأس دون أن يبدأ هو ويذوق منه أولاً.

الثاني: لاهوتي وهو من أجل الحفاظ على المفهوم اللاهوتي "**للشركة**" بصورة طقسية، ''فالشركة'' في المفهوم اللاهوتي السرائري أن يكون الإنسان شريكاً في الطبيعة الإلهية (انظر 1كو 16:10 و16ـ18)، وفي المفهوم الطقسي هو الأكل والشرب من ''خبزة'' واحدة وكأس واحدة. فذوق المسيح من الكأس جعل ما في الكأس ـ في الحال ـ متصلاً وممتداً معه بصورة سرية للغاية. فذوق المسيح من الكأس في تلك الليلة هو من جهة الطقس السرائري تأكيد لاتصال وامتداد أبدي من المسيح إلينا في كل كأس إفخارستيا،

كأس الشركة الإلهية، كامتداد دمه على الصليب فينا.

▪ كذلك يتميز التأسيس في أنافورا الإسكندرية عامة وفي قداس مار مرقس بصفة خاصة بممارسة عملية دقيقة يقف فيها الكاهن موقف المسيح ويشير بيديه مع الألفاظ والأوصاف المقولة إشارات طقسية مُحكمة ذبائحية تقليدية حسب التسليم العبري الأول الذي مارسه المسيح ليلة العشاء، وقد أشرنا إليه في عدة مواضع. هذا بحد ذاته مع الأوصاف التمجيدية للمسيح والآب التي يشدِّد عليها التأسيس في قداس مار مرقس بصفة خاصة ـ يعطي الأنافورا المصرية هيبة ووقاراً، كما يقول عنها كوكان:

[إن تلاوة التأسيس ـ كما هو حادث في قداس مار مرقس ـ تمده وتقويه أكثر بكثير من الليتورجيات الأخرى، حيث يدخل التأسيس في تلك الليتورجيات الأخرى كمجرَّد جزء من تذكار عظائم الله.] [62]

هذه هي المميزات ذات القيمة الليتورجية الهامة **للتأسيس** في التقليد الإسكندري الطقسي، أمَّا المميزات اللغوية واللفظية والتركيبية للجمل فقد ذُكرت في موضعها.

ويلزم هنا أن ننبه مرة أخرى أن كنيسة روما (الكنيسة الكاثوليكية ـ الطقس اللاتيني) تعتمد على **صيغة التأسيس** = كلمات الرب على الخبز والخمر، باعتبارها إجراءً تقديسياً كاملاً، فيها يتحوَّل الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، هذا وأن القداس اللاتيني يخلو من حلول الروح القدس المعروف بـ Epiclesis أي الاستدعاء

وهذا الطقس يُعتبر طقساً أصيلاً بحسب ليتورجية ما قبل القرن الرابع وفي هذا يقول ذهبي الفم:

[''هذا هو جسدي''، يقول الكاهن هذا وبهذا القول يتحوَّل (metarruqm...zei) كيان التقدمة ،وهكذا إذ قِيلت مرة (بفم المسيح) صارت تجعل الذبيحة كاملة على كل مائدة في الكنائس منذ ذلك اليوم وحتى إلى مجيئه الثاني،

وبتلاوة هذه الكلمات يقف الكاهن ليكمِّل دوره (scÁma plhrîn) ... أمَّا القوة والنعمة فهما من الله.][63]

❀❀✠❀❀

(62) Coquin, *op. cit.*, p. 334.

(63) Chrysostom, *De Prod. Judae*, I, 6, cited by G. Dix, *op. cit.*, p. 281, and by R.D. Richardson, *op. cit.*, p. 429.

سادساً: التذكار

'An£mnhsij

عقيدة تذكار موت الرب سجلها بولس الرسول كوصية للرب استلمها بولس من الرب (عن التلاميذ) وسلمها لأهل كورنثوس كما استلمها، أن يصنع المؤمنون "**ذكر موت الرب**" على كل عشاء إفخارستي، ومن هنا التزمت كل ليتورجيا بعد أن تذكر هذه الوصية داخل التأسيس أن تعود بعد التقديس على الخبز والخمر، وتشرح هذا التذكار شرحاً خاصاً **معدِّدة كل أعمال الرب وليس موته فقط**. أمَّا الصيغة العامة في التذكار التي سادت في كل الليتورجيات فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ بادئة تربط حاضر الكلام بسابقه، مثل بادئة التأسيس.

2 ـ تذكار كل الأعمال الخلاصية التي أكملها الرب من موت وقيامة وصعود وجلوس، والمجيء الثاني.

3 ـ تقريب القرابين.

1 ـ البادئة

["**فالآن بالموت**" يا الله الآب ضابط الكل الذي لابنك الوحيد ...]

يُلاحَظ أن هناك تقليدين بخصوص هذه البادئة: فالتقليد الإسكندري يبدأ بكلمة "**الآن** nàn"، والتقليد السرياني ومعه التقليد البيزنطي يبدأ بـ [''لهذا'' أو ''لذلك'' نذكر]:

قداس قوانين الرسل (كليمندس): هوذا نحن متذكرون memnhmšnoi t£nun

وباسيليوس: فإذ نحن متذكرون Memnhmšnoi oân

وكذلك القديس يعقوب (طقس سرياني وطقس بيزنطي).

أمَّا يوحنا ذهبي الفم: ونحن بما أننا متذكرون memnhmšnoi to…nun

وفي الحقيقة هذه البادئة عموماً سواء في الطقس الإسكندري أو السرياني أو البيزنطي تأتي رداً أو استجابة على أمر سابق يتطلب هذه الموافقة، فإذا التفتنا إلى آخر جملة سابقة نجدها هي بعينها وصية المسيح ''اصنعوا هذا لذكري'' مضافاً إليها ''تبشرون بموتي''. فلأن الليتورجيا في الشرق اعتبرت أن هذا "**أمر إلهي**"[1]، لذلك جاء المرد كأنه موافقة أو استجابة مستعدة. فالتقليد الإسكندري يرد على ذلك مخاطباً الله الآب نفسه قائلاً: [الآن (أو ''ها الآن'') بموت ابنك ... نبشِّر]، والتقليد السرياني والبيزنطي يرد قائلاً: [لذلك (أو ''أيضاً'') ها نحن متذكرون أو ذاكرون.][2]

ولكن من جهة تركيب المقدِّمة لغوياً ومنطقياً يختلف التقليد الإسكندري عن التقليد السرياني والبيزنطي:

فالتقليد الإسكندري من جهة التذكار ممثلاً قديماً في طقس أنافورا القديس مرقس الرسول يبدأ بكلمة: ''الآن بموت nàn tÕn q£naton'' أي يأتي ذكر "**الموت**" بدون إضافة في بادئة الكلام بوضوح. وللأسف لا يمكن الاحتفاظ في الترجمة العربية بكلمة ''الموت'' في مبدأ الجملة، إلاَّ إذا تجاوزنا عن النحو قليلاً هكذا: [الآن **بموت** ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح نبشِّر يا الله الآب ضابط الكل ...]. ولكن مجيء حادث "**الموت**" الخلاصي في بداية التذكار كبادئة الكلام كان له أعظم الفضل في حفظ التقليد الإسكندري من إضافات تسبقه أي تسبق الموت كالآلام مثلاً كما جاءت في التقليد السرياني والبيزنطي. وهكذا بقي التقليد الإسكندري وخصوصاً في مرد الشعب ["**بموتك**" يا رب نبشِّر] ـ حافظاً للتسلسل الفكري والمنطقي في الأنافورا، إذ بعد أن ينتهي الكاهن من قوله **[لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون "بموتي"** (وتعترفون بقيامتي ـ مضافة) ـ **وتذكرونني** (إلى أن أجيء ـ مضافة)] يرد الشعب مستجيباً مباشرة **[آمين "بموتك يا رب نبشِّر!!** tÕn q£naton"] ثم يلتقط الكاهن نفس المرد من فم الشعب ويخاطب الله الآب **[الآن "بموت" ابنك نبشِّر!!]**.

من هنا كان اهتمامنا ببحث هذه البادئة للتذكار لعظم أهميتها من جهة الحِفاظ على التقليد الإسكندري وروحه المنسجمة مع سياق الأنافورا. لأن الطقس السرياني والبيزنطي خرجا عن هذا التسلسل المنطقي للتذكار في هذا الحوار المبدع المنحصر في الأمر الإلهي المحدد **بتذكار موته**

---

(1) في الليتورجية الغربية في الترجمة اللاتينية، هذه الوصية جاءت لا بصيغة الأمر بل بالصيغة الإخبارية، فضاع هذا التوافق بين السؤال بالأمر والجواب بالاستعداد.

(2) Lietzmann, *op. cit.*, p. 41-46.

والاستجابة المحددة **لهذا التذكار**. فالليتورجيا البيزنطية للقديس باسيليوس تأتي هكذا: [لأنكم كل مرة تأكلون هذا الخبز وتشربون هذه الكأس، **تخبرون بموتي** (وتعترفون بقيامتي): **فإذ نحن متذكرون أيها السيد آلامه الخلاصية، وصليبه المحيي ودفنه ثلاثة أيام** ...]. وهكذا ضاع التسلسل وجاء الرد مخالفاً لحدود الأمر: فالأمر يقول ''تخبرون **بموتي**'' **ولكن الرد يأتي على ذلك**: ''نعم متذكرون **آلامه!!**''.

أمَّا ليتورجية يوحنا ذهبي الفم فينقطع هذا التسلسل نهائياً إذ لا ينتهي التأسيس (التقديس على الخبز والخمر) بوصية الرب ''اصنعوا هذا لذكري''، فيأتي التذكار رداً على غير سؤال وكأنه من فراغ هكذا: [هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يُهرق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا: ونحن بما أننا **متذكرون هذه الوصية** وكل الأمور التي جرت من أجلنا الصليب والقبر ...]، وهكذا يخفق تقليد القديس يوحنا ذهبي الفم في ربط الاستجابة لـ''وصية التذكار'' بأمر الوصية نفسه لأن الأمر نفسه غائب**!**

❋ ⌖ ❋

2 – موضوع التذكار: ذكر أعمال الرب الخلاصية

التذكار وعلاقته الأساسية بالتأسيس

مقارنة بين نصوص الطقس الإسكندري في مواجهة

تقليد الرسل لهيبوليتس

ليتورجية تقليد الرسل لهيبوليتس أوائل القرن الثالث	أنافورا سيرابيون منتصف القرن الرابع	بردية دير البلايزه مخطوطة من القرن الخامس أو السادس تمثل طقس القرن الثالث	رقوق مانشستر مخطوطة من القرن الخامس أو السادس	أنافورا القديس مرقس (برايتمان) مخطوطة من القرن الثالث عشر وتمثل الطقس الحديث
[عندما تصنعون هـذا تصـنعون ذكري]			[هذا اصنعوه لذكري]	[هذا اصنعوه لذكري]
		[كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس **تبشرون بموتي** **وتذكرونني]**	[لأن كل مرة تأكلون من هـذا الخبـز وتشـربون مـن هذه الكأس **تبشرون بموتي** وتعترفون بقيامتي]	[لأن كل مرة تأكلون من هـذا الخبـز وتشـربون مـن هذه الكأس **تبشرون بموتي** وتعترفون بقيامتي **تذكرونني** إلى أن أجيء**]**
		مرد الشعب:(3)		**مرد الشعب:**
		[بموتـك يـا رب نبشِّـر وبقيامتـك		**[بموتـك يـا رب نبشِّـر وبقيامتـك** المقدَّسة **وصعودك إلى السموات**

(3) Cyril d'Alex., *Ep.* 17.7., Schwartz, *Acta Concil. Oecum.* 1.1 Fasc. 1, (Berlin 1914, p. 37), cited by Coquin, *op. cit.*, p. 342 n. 82.

ليتورجية تقليد الرسل لهيبوليتس أوائل القرن الثالث	أنافورا سيرابيون منتصف القرن الرابع	بردية دير البلايزه مخطوطة من القرن الخامس أو السادس تمثل طقس القرن الثالث	رقوق مانشستر مخطوطة من القرن الخامس أو السادس	أنافورا القديس مرقس (برايتمان) مخطوطة من القرن الثالث عشر وتمثل الطقس الحديث
		نعترف ونتضرع إليك]		**نعترف نسبحك نباركك نشكرك يا رب ونتضرع إليك** يا إلهنا]
			الكاهن:	**الكاهن:**
[لذلك نحن نصنع ذكر **موته،** وقيامته، (4)	هكذا نحن أيضاً نصنع **مثال موته** هذا الخبز مثيلاً للجسد المقدَّس والكأس مثيل الدم (4)	(4)	**بموت** ابنك الوحيد، ربنا وإلهنا ومخلِّصنا نبشِّر وبقيامته وصعوده إلى السموات، وجلوسه عن يمينك(5)، ونتنظر ظهوره الثاني، الممجَّد، الـذي يأتي فيه **ليدين المسكونة بالعدل**	فيما نحن نبشِّر **بموت** ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ونعترف بقيامته المقدَّسة وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وننتظر ظهوره الثاني الآتي من السموات ***المخوف*** **المملوء مجداً** في انقضاء الدهور هذا الذي يأتي فيه **ليدين المسكونة بالعدل**

(4) يُلاحَظ أنه لم يذكر جلوسه عن يمين الآب ويشترك في عدم ذكر الجلوس، ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس).

(5) سقط سهواً أو عمداً من الناسخ كلمة: "ونعترف".

ليتورجية تقليد الرسل لهيبوليتس أوائل القرن الثالث	أنافورا سيرابيون منتصف القرن الرابع	بردية دير البلايزه مخطوطة من القرن الخامس أو السادس تمثل طقس القرن الثالث	رقوق مانشستر مخطوطة من القرن الخامس أو السادس	أنافورا القديس مرقس (برايتمان) مخطوطة من القرن الثالث عشر وتمثل الطقس الحديث
			ويعطي كل واحد كأعماله خيراً أو شراً	**ويعطي كل واحد كأعماله إن كان خيراً وإن كان شراً**
				مرد الشعب:
				كرحمتك يا رب ولا كخطايانا
			الكاهن:	**الكاهن:**
نقدِّم لك الخبز والكأس]			**أنت الذي وضعنا أمامك قرابينك مما لك**	**أنت الذي وضعنا أمام** مجدك المقدَّس **قرابينك مما لك** يا أبانا القدوس.

ملحوظة:

(أ) [ما هو مكتوب بالبنط الثقيل] مميزات خاصة انفرد بها التقليد الإسكندري عن تقليد القديس باسيليوس.

(ب) [ما هو خطه مائل] النصوص المشتركة بين الطقس البيزنطي والطقس القبطي المأخوذ عن البيزنطي.

من هذا الجدول يتضح أمامنا درجة نمو الأنافورا في هذا الجزء الهام وهو التذكار، ولم يكن القصد من التوسُّع في التذكار إلاَّ إيفاءً بوصية الرب العزيزة جداً ''اصنعوا هذا لذكري''. ويُلاحَظ أن التقليد الرسولي الذي يقدِّمه هيبوليتس ليس هو طقساً يُمارس ولكن نصاً يُقتبس منه. هكذا نبه هيبوليتس نفسه، أنه هنا إنما يضع النموذج أو البذرة التي يمكن أن يصنع منها أي أسقف أنافورا تقليدية. على أن طقس الإسكندرية له مميزاته الأُولى التي من نفس زمن هيبوليتس.

✠

أهم ما يميز التذكار في التقليد القبطي ويجعله متسلسلاً مع منطق الأنافورا هو وجوده داخل صميم التأسيس كما سبق وأشرنا أعلاه، فمجيء التذكار بعد التأسيس في التقليد الإسكندري هو امتداد عضوي حيوي، فالتأسيس في التقليد الإسكندري هو الوحيد الذي ينتهي بكلمة ‘‘وتذكرونني **ϵⲣⲉⲧⲉⲛⲓⲣⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲙⲉⲩⲓ**’’ وقد انتقل هذا التقليد بحرفه إلى أنافورا كل من القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس (الطقس القبطي).

وأول تذكار في تأسيس ظهر في الأنافورا القبطية، ظهر في بردية دير البلايزه، إنما في صورته الطبيعية الأصيلة التي تتمشَّى فعلاً مع منطق الأنافورا، إذ يأتي كمرد للشعب وليس كصلاة للكاهن. فالكاهن إذ ينتهي في التأسيس بإلقاء الأمر والوصية [تبشرون بموتي تذكرونني] ينطق الشعب هاتفاً ومردداً [بموتك يا رب نبشِّر].

ويُلاحَظ أنه بالرغم من أن الأنافورا حسب التقليد القبطي هي بالدرجة الأُولى موجهة للآب نفسه، إلاَّ أنه هنا يخرج التقليد الليتورجي الإسكندري عن التزامه ويخاطب الابن مباشرة، لأن الوصية جاءت على فم الكاهن منطوقة وموجهة من فم المسيح ‘‘تبشرون **بموتي** ... **تذكرونني**’’. هذه هي أول صيغة للتذكار رسمية، وقد ظهرت في الكنيسة القبطية في بردية دير البلايزه (تمثل طقس القرن الثالث). حيث تقول [**بموتك** يا رب "**نبشِّر**" وبقيامتك "**نعترف**" ونتضرع إليك].

وقيمة التذكار في هذا المرد تظهر أكثر لو عرفنا أن الصيغة التي حضت عليه في نفس بردية دير البلايزه التي تأتي في نهاية التأسيس لا تحمل **إلاَّ الأمر بالبشارة بموت الرب فقط مع تذكاره،** هكذا [كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس **تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي تذكرونني**]. فالأمر هنا يتضمن البشارة والتذكار، هذا ما حددته الأنافورا، وهو نفسه ما فهمه الشعب فجاء المرد يتضمن البشارة والتذكار إنما بصورة اعتراف علني يخص الشعب. ويُلاحَظ أن مجيء أول صيغة للتذكار هكذا بصورة مرد للشعب يؤكد أن الفعل الذي تحمله الوصية "**تبشرون**" بموتي "**تذكرونني**" إنما يأتي بصيغة الأمر. هذا واضح في النص القبطي للنسخة البحيرية للأنافورات جميعاً، إذ يأتي الفعل بصيغة المستقبل الثالث التي تُستخدم للأمر (أو التمني) وهي نفس الصيغة المستخدمة في الوصايا العشر.

ϵⲣⲉⲧⲉⲛϩⲓⲱⲓϣ, ϵⲣⲉⲧⲉⲛⲉⲣⲟⲙⲟⲗⲟⲅⲓⲛ, ϵⲣⲉⲧⲉⲛⲓⲣⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲙⲉⲩⲓ

ولكن يُلاحَظ في التحليل اللغوي أن هنا حرف ⲉ ساقط للتسهيل النطقي لأن المستقبل الثالث يلزم أن يُكتب هكذا ⲉⲣⲉⲧⲉⲛⲉϩⲓⲱⲓϣ. أمَّا النسخة الصعيدية لأنافورا القديس باسيليوس (أوائل القرن الرابع) فيأتي فيها هذا الفعل في المضارع الثاني من واقعه في الكتاب المقدَّس باللهجة الصعيدية ⲉⲧⲉⲧⲛⲧⲁϣⲉⲟⲉⲓϣ ⲙⲡⲁⲙⲟⲩ وترجمته الحرفية: [هو موتي الذي تبشرونه][6].

وهكذا يحتفظ لنا التقليد القبطي بإحساس أن ''التذكار'' إلتزام ليتورجي إذ يقدِّمه لنا بصورة "**أمر**" إلهي نافذ المفعول إلى ما شاء الله لأنه يأتي في صيغة المستقبل الدائم مشدِّداً على كلمة ''تذكروني'' إذ يضيف إليها (فيما بعد زمنياً) كلمة **[إلى أن أجيء]**. وهذا يؤكد بصورة لا تقبل الشك أن التقليد الإسكندري كان منذ البدء على وعي تام بهدف الأنافورا عامة وغاية التأسيس خاصة أنه طقس **تذكاري** بالدرجة الأُولى أو على وجه الأصح ''تذكاري إعلاني''. وحينما يورد الطقس كلمات التذكار في صميم التأسيس مشدِّداً عليها بعد الخبز ثم بعد الكأس ''اصنعوا هذا لذكري'' فهو يريد أن يرسخ في وعينا أن التذكار ليس هو منطوقاً لفظياً يتم بالصلاة أو بالتسبيح فقط بل هو حقيقة تلتحم فينا بالأكل من الخبز (الجسد) والشرب من الكأس (الدم): [كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي تذكروني].

إضافة "القيامة" مع الموت في التذكار:

وحينما أضاف المرد (في بردية دير البلايزه) ''الاعتراف بالقيامة'' مع البشارة بالموت كانت هذه الإضافة حتمية، لأن الرب ليلة العشاء كان منحصراً في موته ـ فصحه الأبدي ـ فكان ''الجسد'' وكان ''الدم'' هما موضوع العشاء الفصحي عشاء الخروف المذبوح، وبالتالي انحصر طلب ''التذكار'' في موضوع هذا الموت، فكان طبيعياً أن تضيف الكنيسة بعد قيامته من الأموات تذكاراً لهذه القيامة أيضاً.

ولكن كانت إضافة القيامة إلى ''تذكار الموت'' بداية سلسلة جديدة من الإضافات الأخرى كالصعود والجلوس والمجيء الثاني وأخيراً الدينونة.

(6) Coquin, *op. cit.*, p. 340.

تاريخ نمو التذكار في أنافورا القديس مرقس
(الطقس القبطي)

(أ) إضافة الصعود:

لما بدأت أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) تكون مقطعاً خاصاً ''للتذكار'' بعد ''التأسيس'' بدأت من هذا المرد الوارد في بردية دير البلايزه المعتبر جوهر التذكار في الأنافورا الأُولى(7) [بموتك يا رب نبشِّر وبقيامتك نعترف ونتضرع إليك]. وأول إضافة ظهرت في الطقس رسمياً وبصورة محددة وصلتنا من إحدى رسائل القديس كيرلس الكبير سنة 412م حيث وضح فيها عملية التكوين والنمو إذ بدأ فيها ذكر "**الصعود**" بعد القيامة، ولكن لم تكن قد نضجت بعد إذ لم يُذكر فيها الجلوس عن يمين الآب، إذ يأتي التذكار هكذا [لأننا نبشِّر بموت يسوع المسيح ابن الله الوحيد ـ حسب الجسد ـ ونعترف بقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات](8).

ومن المعروف والمحقق تاريخياً أن القديس كيرلس الكبير بابا الإسكندرية هو الذي أدخل مردات الشماس (والشعب) في أنافورا القديس مرقس الرسول وذلك بحسب ما سجلته لنا مخطوطة مصباح الظلمة للعالم أبو البركات بن كبر قسيس كنيسة المعلقة في القرن الثالث عشر. كذلك من المعروف أن أول مَنْ سجَّل ''الصعود'' في التذكار داخل الليتورجية هي ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن). إذاً، فقد بدأ القديس كيرلس الكبير الاقتباس من الطقس السرياني.

ولا يفوتنا هنا أن نسجِّل أن بدخول "**الصعود**" في "**التذكار**" في أيام القديس كيرلس سنة 421م وعدم وجود ذكر للصعود في التذكار في بردية دير البلايزه يثبت لنا أن زمن هذه الأنافورا هو ما قبل ذلك التاريخ. كذلك وبنفس الطريقة نستطيع أن نحقق زمن رقوق مانشستر التي تنقل لنا طقس أنافورا القديس مرقس الرسول حرفياً، فبسبب وجود "**الجلوس عن يمين الآب**" ضمن التذكار يَثْبُتُ لنا أن زمن هذه الأنافورا هو بعد زمن القديس كيرلس الكبير.

(7) Lietzmann, *op. cit.*, p. 47.

(8) Cyril d'Alex., Ep. 17.7., Schwartz, *Acta Concil. Oecum.* 1.1 Fasc. 1, (Berlin 1914, p. 37), cited by Coquin, op. cit., p. 342 n. 82.

(ب) عدم إمكانية إضافة "الآلام" إلى التذكار
في أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي):

كان بسبب احتفاظ الأنافورا العتيقة ''بالتذكار'' ممثلاً في مرد الشعب الذي مطلعه ''بموتك يا رب نبشِّر tÕn q£naton'' أن ظلت هذه البداية محفوظة بالتسليم وغير قابلة لأفعال سابقة عليها، وبذلك حبست التذكار في أفعال يمكن أن يزاد عليها بعد فعل الموت مثل فعل القيامة ... إلخ، ولكن لا يمكن أن يسبقها ـ كالآلام ـ وهكذا ظلت هذه البداية tÕn q£naton هي الهادية والمرشدة والحارسة لأصل التقليد القبطي في ''التذكار'' في مفهوم ''الموت'' أصلاً ثم ما يتبعه، فبقي التذكار في الطقس القبطي في كافة بردياته ورقوقه ومخطوطاته القديمة والحديثة حتى اليوم ممثلاً في أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) يخلو تماماً من ذكر الآلام والصلب والقبر، أمَّا طقس الأنافورا الباسيلي (الطقس القبطي) فقد نقل عن البيزنطي وفقد طابعه القبطي في هذا المجال. وأمَّا أنافورا القديس غريغوريوس (الطقس القبطي) فوقف وسطاً، إذ لم يذكر الآلام ولكنه أضاف بعد ''الموت'' ''القبر ثلاثة أيام''، الذي كان أول مَنْ أضافها هو القديس باسيليوس في ليتورجيته.

(ج) إضافة "الجلوس" عن يمين الآب و"المجيء الثاني" و"الدينونة":

أول ظهور لهذه الأعمال الثلاثة "**الجلوس**" و"**المجيء الثاني**" و"**الدينونة**" جاء في رقوق مانشستر (القرن السادس). ولكن يُلاحَظ أن التذكار بدأ يأخذ صفة المخاطبة الرسمية ''لله الآب ضابط الكل'' بعد أن كان مرد الشعب تخاطبياً مع المسيح رأساً [بموتك يا رب نبشِّر وبقيامتك نعترف ونتضرع إليك].

ثم نجد درجة أخرى في التطور في صياغة التذكار من جهة التشديد على الصفات الإلهية والخلاصية للمسيح من بعد زمن القديس كيرلس الكبير نتيجة الصراعات العقائدية وخاصة فيما يخص "**الموت**". فبينما نجد في مرد القديس كيرلس الكبير صفات المسيح محدودة في المونوجينيس (حسب التقليد الإسكندري العتيق): ''لأننا نبشر "بموت" يسوع المسيح "**ابن الله الوحيد**" ـ "**حسب الجسد**" ...''، نجد في رقوق مانشستر أن هذه الصفات تنمو لتصبح: [بموت ابنك الوحيد **ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا** يسوع المسيح]. كما يُلاحَظ أن "**المجيء الثاني**" وُصف "**بالمجد**" فقط دون أن يذكر أنه ''مخوف''، كذلك فإن "**الدينونة**" انصبَّت على **[**"**يدين المسكونة بالعدل**" ويُعطي كل واحد حسب أعماله "**إن خيراً أو شراً**"**]**. وهذه سوف ندرسها بالتفصيل بالمقارنة مع الطقس السرياني البيزنطي الذي أخذت عنه أنافورا الإسكندرية.

ومن بعد زمن رقوق مانشستر لم يصلنا عن التذكار إلاَّ ما هو مسجَّل في مخطوطة القرن الثالث

عشر لبرايتمان، حيث لا نجد زيادات إلاَّ في أمور طفيفة، وما ترتب على ذلك من إدخال ‘‘الخوف والرعدة’’ لأول مرة في مردات الشماس في الأنافورا المصرية.

الأصول الأُولى للتذكار التي أخذت منها وأخذت عنها أنافورا الإسكندرية:

صيغة "التذكار anamnesis"، في ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس):

إن أساس التركيب في ‘‘التذكار’’ كصيغة اعترافية كاملة ظهرت في الطقس السرياني منقولة عن صيغة اعتراف مستخدمة في الكنيسة الأنطاكية سنة 341م كان يتلوها المعمدون بالفعل، وقد قام ‘‘ليتزمان’’ بتحقيق هذه الوثيقة وموازاتها كلمة كلمة مع طقس التذكار في ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل). وهي تسجل لنا ممارسة الليتورجية في بطريركية أنطاكية في القرن الرابع[9]. فوجود التطابق يفيد أن الليتورجيا أدخلت هذا الاعتراف بترتيبه ولغته، ولذلك أخذ التذكار صورة اعتراف عام وهو كالآتي:

[(أ) ولذلك إذ نحن نتذكر (1)ـ، آلامه، وموته (2)ـ، وقيامته من بين الأموات (3)ـ، وعودته إلى السموات (4)ـ، وظهوره الثاني الآتي (5)ـ، الذي يأتي فيه بمجد وقوة (6)ـ، ليدين الأحياء والأموات (7)ـ، ويجازي كل واحد بحسب أعماله (8)ـ،

(ب) نقدم لك يا إلهنا وملكنا (9)ـ، ما هو بحسب ‘‘تأسيسه di£taxin Institution’’ (10)ـ، : هذا الخبز وهذه الكأس (11)ـ،

(ج) مقدمين الشكر (12)ـ، بواسطته، لأنك حسبتنا مستحقين (13)ـ، أن نقف أمامك لكي نقدم لك ذبيحتنا (14)ـ، (لكي نكهن لك).][10]

هذا التذكار[11] الوارد في ليتورجية قوانين الرسل (المنسوب لاكليمندس) يُعتبر في الحقيقة المنبع الذي أخذت عنه كل ليتورجيا ما يوافقها.

أمَّا الهيكل العام بالنسبة ‘‘للتذكار’’ في وضعه الأولي فيبدو واضحاً في ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس قبل أن تملأه ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس) بهذه الصيغة المطولة للاعتراف المستخدم آنئذ في المعمودية.

(9) Lietzmann, *op. cit.*, p. 41 ff.

(10) Ibid., *op. cit.*, Gr. text, p. 41, Eng. tr., ANF, VII, p. 489.

(11) ورد هنا تحت رقم (10) أول اصطلاح ليتورجي عن **التأسيس** di£taxin Institution أي تقديس المسيح ليلة العشاء على الخبز والخمر والذي صار بعد ذلك اصطلاحاً كنسياً مسكونياً وهو الذي استخدمناه مراراً كثيرة في هذا الكتاب.

"**التذكار**" في هيبوليتس:

[(أ) لذلك نذكر موته وقيامته،

(ب) نقدِّم لك الخبز والكأس،

(ج) نشكرك إذ جعلتنا مستحقين أن نقف أمامك ونخدمك ككهنة].

وبالرغم من أن هذه تعتبر أكثر الصيغ اختصاراً وشمولاً إلاَّ أننا بحسب اعتقادنا نعتبر أن الصيغة الواردة في بردية دير البلايزه حسب طقس الإسكندرية أقدم من هيبوليتس، لأنها مسجَّلة في وضعها البدائي كمرد طبيعي للشعب على وصية الرب، فلم تكن الليتورجية آنئذ قد انتبهت لتجعل للتذكار وضعاً مستقلاً داخلها. ولكن على أي حال تشترك هاتان الصيغتان في القدم والأصالة الرسولية بلا نزاع.

القديس باسيليوس يضيف أعمالاً وأوصافاً جديدة على "التذكار" الوارد في "قوانين الرسل":

(أ) ببحث ليتورجية القديس باسيليوس في الطقس البيزنطي يتضح لنا أنه أضاف ثلاثة أعمال على الأعمال الواردة في الطقس الأنطاكي في تذكار ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس)، وبفحص هذه الأعمال الثلاثة وجدها ليتزمان أنها موجودة أيضاً في قانون الاعتراف للمعمدين في الطقس الأنطاكي، ولكن أغفلتها ليتورجية قوانين الرسل ولم تسجلها عندها، فقام القديس باسيليوس بإضافتها على التذكار في ليتورجيته. وهذه الأعمال هي [صليبه المحيي، وقبره ثلاثة أيام، وجلوسه عن يمين الآب][12] وواضح أن الأنافورا الإسكندرية أخذت منه العمل الثالث فقط أي ''الجلوس عن يمين الآب''.

(ب) كذلك أضاف القديس باسيليوس وصف ''المخوف'' على صفات "**المجيء الثاني**". وهذه الصفة أدخلتها أنافورا الإسكندرية مع أنها غريبة عن الروح القبطية.

(ج) كما أضاف جملته المشهورة ذائعة الصيت في كل الليتورجيات [نقدِّم لك ما هو لك من الذي لك]. وهذا الاصطلاح حير كثيرين من الباحثين واعتبروه لغزاً وأحجية شعرية، ولكنه في الحقيقة يحمل معنى طقسياً عميقاً. وقد قام العالم كوكن ببحث هذا الاصطلاح بإسهاب دون أن يصل في الحقيقة إلاَّ إلى هذا السؤال المحيِّر ''وليس لدينا أي مستند يقدر أن يعطينا جواباً لهذا''. ولو أن كوكن تقارب كثيراً مع الحقيقة عندما أفصح عن أن هذا التقديم يشمل مفهوم إفخارستيا متكاملة قبل ميعادها أي قبل التقديس بالروح القدس.

أمَّا شرحنا لهذا الاصطلاح فهو كالآتي:

(12) Lietzmann, *op. cit.*, p. 42.

الاصطلاح من مقطعين: **المقطع الأول**: ''من الذي لك''، **والثاني** ''ما هو لك''.

المقطع الأول: يشير إلى الخبز والخمر في وضعهما البسيط قبل أن يصيرا إفخارستيا إذ يحسبان كما يقول القديس إيرينيئوس أنهما ''**من** الخليقة''، فهما ''من الذي لله''.

المقطع الثاني: ''ما هو لك''، فهذا يشير إلى الإفخارستيا بعد التقديس (إتمام طقس تقديم الحمل) أي بعد أن صارا ما هو للمسيح، والمسيح هو لله الآب، فهنا ـ أي بعد التأسيس ـ والخبز مقدَّم على أنه جسد المسيح والخمر على أنه دم المسيح، يقف الكاهن ويقرِّب هذه (القرابين) الذبيحة للآب باعتبارها جسد المسيح، ودمه اللذين كانا قبل التقديس من خبز وخمر (من خليقته): ''نقرِّب ما هو لك من الذي لك''. أمَّا أنافورا القديس باسيليوس (الطقس القبطي باللهجة الصعيدية) في بردية القرن الرابع فتذكر بالتحديد بعد "قرابينك" فتقول: [ⲉⲧⲉ ⲛⲁⲓ ⲛⲉ ⲡⲉⲓⲟⲉⲓⲕ ⲙⲛ ⲡⲉⲓⲡⲟⲧⲏⲣⲓⲟⲛ] ''الذي هو هذا الخبز وهذه الكأس'' دون ان تذكر ''من الذي لك''. وهنا يلزم الإشارة أن الطقس القبطي لم يأخذ بهذا الاصطلاح إلاَّ بعد القرن السادس، فرقوق مانشستر تخلو أيضاً من هذا الاصطلاح[13].

(د) ثم أضاف أيضاً القديس باسيليوس على اصطلاح التقديم السالف قوله (بحسب ترجمة الروم): [نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء kat¦ p£nta ka^ di¦ p£nta].

وهذا اصطلاح لم يأخذ به التقليد الإسكندري ولم يدخل أنافوراتها الأُولى كما تسجله كل بردياتها ورقوقها. ولكن دخل ضمن أنافورا القديس باسيليوس (قبطي) وأنافورا القديس غريغوريوس (قبطي) المأخوذين عن الطقس البيزنطي، ولكن بصيغة أخرى مخالفة [على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال]. وهذه قريبة جداً من تلك الواردة في صلاة الشكر الصغرى التي تقال كإفخارستيا على الكأس في تقديم الحمل. لذلك نستطيع أن نفهم معناها في ضوء أن الإفخارستيا هي صلاة شكر، وأن الذبيحة فيها هي أيضاً ذبيحة شكر نقدمها لله بواسطة المسيح على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال، عربون الرضى والحمد والتسبيح.

(هـ) عند ذكر تقديم الذبيحة على كل شيء ومن جهة كل شيء يتوقف التذكار **anamnesis** عند القديس باسيليوس في الطقس البيزنطي ليقدم الشعب مرد التسبيح هكذا [نسبحك. نباركك. نشكرك يا رب ونتضرع إليك يا إلهنا.][14]

---

(13) Coquin, *op. cit.*, p. 343.

(14) Lietzmann, *op. cit.*, p. 42.

فمن أين أتى القديس باسيليوس بهذا المرد؟

حقيقة هذا المرد وأصله يتركز في كلمة "**مقدمين الشكر**" التي وردت قبل التقديم في هذا المكان من التذكار في ليتورجية قوانين الرسل. فقد قام القديس باسيليوس برفع هذه الكلمة من مكانها الأصلي (من التذكار كما هو مسجل في ليتورجية قوانين الرسل ـ الطقس الأنطاكي) وحولها في ليتورجيته الخاصة (الطقس البيزنطي) إلى مرد تسبيح للشعب تعبيراً عن هذا الشكر. أي بدل أن يقول الكاهن "**مقدمين الشكر**"، جعل الشعب يقدم هذا الشكر بالفعل على هيئة تسبيح.

وماذا حصل للطقس القبطي؟

الطقس القبطي في أنافورا القديس مرقس لم يأخذ بهذا المرد في هذا المكان بالذات وإن كان استخدمه في مكان آخر أسبق.

أمَّا الطقس القبطي في أنافورا القديس باسيليوس المأخوذ عن أنافورا القديس باسيليوس الطقس البيزنطي فأخذ بهذا المرد وأدخله فعلاً في هذا المكان من التذكار مع حذف الجزء الأخير منه. ولكن ظهر تعارض شديد بين هذا المرد وواقع الحال. وقد حاول الطقس القبطي أن يتدارك الموقف بالنظر إلى تقليد الإسكندرية الأصيل لأنه بينما تكون الذبيحة موضوعة على المذبح، والكاهن يلح بتوسل لحلول الروح القدس أصبح هنا السجود (وليس التسبيح) أمراً حتمياً حسب الذوق والروح القبطية، لذلك تدارك الطقس القبطي هذا الموقف وجعل الشماس يأمر [اسجدوا لله بخوف ورعدة] ـ وطبعاً هذا غير وارد في الطقس البيزنطي عند القديس باسيليوس. ولكن وبالرغم من ذلك ظهر التعارض واضحاً في الطقس القبطي لأنه بينما يأمر الشماس **بالسجود بخوف ورعدة**، إذا مرد الشعب يقول: **[نُسبِّحك، نباركك!!!]**

أمَّا في طقس أنافورا القديس مرقس (القبطي) فقد احتُفِظَ هنا في هذا الموقف بمرد قاطع ومناسب جداً [كرحمتك يا رب ولا كخطايانا] رداً على الكاهن عند ذكر الدينونة مباشرة [هذا الذي يأتي فيه ليدين المسكونة بالعدل ويعطي كل واحد كأعماله إن خيراً او شراً]. أمَّا بعد ذكر تقديم القرابين [أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدوس قرابينك] فجعلت الشماس يأمر بالسجود: **دون تسبيح!!** (انظر الخولاجي المطبوع)

ولكي يظهر واضحاً أمام القارئ هذا التقليد الإسكندري الأصيل المبدع نقدِّم هذا الجدول:

الجزء الأول من التذكار anamnesis
مقارنة بين القداس الباسيلي (البيزنطي) والباسيلي (القبطي) والقديس مرقس (التقليد الإسكندري)

القداس الباسيلي (الطقس البيزنطي)	القداس الباسيلي (الطقس القبطي)	أنافورا القديس مرقس (القداس الكيرلسي) التقليد الإسكندري
فإذ نحن متذكرون أيها السيد	ففيما نحن نصنع ذكر	**فالآن** ــ يا الله الآب الضابط الكل فيما نحن نبشر
آلامه الخلاصية وصليبه المحيي ودفنه ذا الثلاثة أيام	***آلامه المقدسة***	
وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السموات	وقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السموات	**بموت ابنك الوحيد ربنا** وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ونعترف بقيامته المقدسة وصعوده إلى السموات.
وجلوسه عن يمينك أيها الآب	وجلوسه عن يمينك أيها الآب	وجلوسه عن يمينك أيها الآب
ومجيئه الثاني	وظهوره الثاني الآتي من السموات	وننتظر ظهوره الثاني الآتي من السموات
المجيد الرهيب	المخوف المملوء مجداً	المخوف المملوء مجداً في انقضاء الدهر **هذا الذي يأتي فيه ليدين المسكونة بالعدل ويعطي كل واحد كأعماله إن كان خيراً وإن كان شراً**
		يقول الشعب: **كرحمتك يا رب ولا كخطايانا**
التقريب: التي لك مما لك نقدمها لك *على كل شيء ومن جهة كل شيء*	**التقريب:** نقرِّب لك قرابينك من الذي لك *على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال*	**التقريب:** أنت الذي **وضعنا أمام** مجدك القدوس **قرابينك** مما لك يا أبانا القدوس
	الشماس: اسجدوا لله بخوف ورعدة	**الشماس:** اسجدوا لله بخوف

القداس الباسيلي (الطقس البيزنطي)	القداس الباسيلي (الطقس القبطي)	أنافورا القديس مرقس (القداس الكيرلسي) التقليد الإسكندري
الخورس: إياك *نسبِّح إياك نبارك إياك* نشكر يا رب	**الشعب:** *نسبِّحك نباركك نخدمك* نسجد لك	
الكاهن: لأجل هذا أيها السيد	**الكاهن:** ونسألك أيها الرب إلهنا	**الكاهن:** نسأل ونطلب

ملحوظة:

(أ) [ما هو مكتوب بالبنط الثقيل] مميزات خاصة انفرد بها التقليد الإسكندري عن تقليد القديس باسيليوس.

(ب) [ما هو خطه مائل] النصوص المشتركة بين الطقس البيزنطي والطقس القبطي المأخوذ عن البيزنطي.

1 ـ واضح من هذا الجدول أن القديس باسيليوس (القبطي) خرج عن التقليد القديم الإسكندري وذكر "**الآلام**" وأسقط "**الموت**".

2 ـ وواضح من هذا الجدول لماذا احتفظت أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) بمرد الشعب ''كرحمتك يا رب ولا كخطايانا'' في هذا الموضع بالذات، لأن التلاوة السابقة التي تنتهي عندها تذكر الدينونة بحسب الأعمال، فطبيعي أن يكون المرد هو لطلب الرحمة. ولكن لأن كلاً من القداس الباسيلي (الطقس البيزنطي) والطقس القبطي أسقط ذكر الدينونة، فأصبح المرد هنا بلا معنى لذلك سقط عن الطقس.

3 ـ التقليد الإسكندري الأصيل والقديم جداً يتميز بأنه لا يُقرّب القرابين بصيغة المضارع بل يذكرها في الفعل الماضي ـ قُدِّمت ووُضعت وسبق وضعها ـ مؤكداً أنها **قُربت في السابق**. وهذا له علاقة جوهرية ومعنى خطير بالنسبة للأنافورا كلها، كما سبق وأوضحنا لأن طقس "**تقديم الحمل**" هو رفع قرابين.

4 ـ الطقس البيزنطي أجاز التسبيح في موضع التقريب، أمَّا الطقس الإسكندري الأصيل في

أنافورا القديس مرقس فلم يجز ذلك بل إذ رأى الذبيحة مقدَّمة لله الآب، ونحن بصدد المجيء وذكر الدينونة وبصدد طلب حلول الروح القدس، يطلب الشماس من الشعب "**السجود بخوف**". أمَّا في قداس القديس باسيليوس (القبطي) الذي يقتبس هنا من الطقس البيزنطي مباشرة فقد تدارك الموقف وجعل مع **التسبيح السجود بخوف ورعدة**. فبدأ الوضع متعارضاً نوعاً ما، إذ صار مع السجود **بخوف ورعدة** تسبيح وترتيل؟

5 – كذلك من المهم أن نشير إلى كيفية اقتباس نداء الشماس عن قول الكاهن في الكلام عن المجيء الثاني المخيف أو المخوف، إذ صار من المناسب طقسياً وعملياً أن ينادي الشماس بالسجود "**بخوف ورعدة**" في هذه اللحظة ـ وطبعاً هذا النداء مأخوذ أصلاً عن قول القديس باسيليوس من جهة المجيء الثاني أنه مخيف لأنه هو أول مَنْ وصف هذا الوصف.

6 ـ ولكن المرد الذي أدخلته أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) بعد ذكر الدينونة بحسب الأعمال: "**كرحمتك يا رب ولا كخطايانا**" هو مقتبس من ليتورجية القديس يعقوب الطقس السرياني حيث يأتي فيها ضمن التذكار وضمن كلام الكاهن إذ يقول: ''ونحن نتوسل **أن تعاملنا لا كخطايانا** ولا تجازنا بآثامنا **بل كرحمتك**''. هذا التقطته الأنافورا القبطية من فم الكاهن ووضعته في فم الشعب، وهذا في الحقيقة أوقع وأكثر شمولاً. كما نلاحظ أن هذا المرد نفسه أخذته أنافورا القديس باسيليوس (الطقس القبطي) في موضع موازٍ قبل التأسيس، أي قبل التقديس على الخبز وسيأتي الكلام عنه في حينه.

والذي نريد أن ننبه عليه هنا هو وضوح كيفية تكوين مردات الشعب ونداءات الشماس، فهي إمَّا مستوحاة من كلام الكاهن، كما هو واضح في مرد [كرحمتك يا رب ولا كخطايانا]، أو مأخوذة عنها كما هو حادث في نداء الشماس [اسجدوا لله بخوف ورعدة]، أو مرفوعة نهائياً من كلام الكاهن ومحولة إلى هتاف للشعب مثل تحويل قداس القديس باسيليوس قول الكاهن ''نشكرك ـ **أو نقدم لك الشكر في التذكار**'' إلى ''نسبِّحك. نباركك. نشكرك يا رب ونتضرع إليك يا إلهنا''. وقد جاء هذا المرد مأخوذاً عن الطقس البيزنطي حرفياً في كل الأنافورات المستعملة الآن في الكنيسة القبطية في نهاية التأسيس وبداية التذكار عند قول الكاهن ''لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن آجيء''. ولكن موضعه هنا مقبول جداً وصحيح تماماً لأن الموقف موقف قيامة وتذكار دائم حتى المجيء!! فهو يستحق التسبيح حقاً.

7 ـ كذلك من جهة وصف الدينونة ـ على نمط كتابي كما جاء في سفر الأعمال (31:17) [ليدين المسكونة بالعدل]، نجد أن أنافورا القديس مرقس الرسول (**الطقس القبطي**) تحذو حذو ليتورجية القديس يعقوب (الطقس **السرياني**)، بينما نفس أنافورا القديس مرقس (الطقس **البيزنطي**) تأخذ وصفاً آخر للدينونة اقتبسته من ليتورجية القديس يعقوب (الطقس **البيزنطي**) [ليدين الأحياء والأموات ويعطي كل واحد كنحو أعماله]. وهذا أيضاً مطابق لما جاء في ليتورجية كليمندس (قوانين الرسل).

وهنا يلزم التنبيه أن الشكل الأولي القديم لليتورجية القديس يعقوب الرسول كان شبيهاً إلى درجة كبيرة بليتورجية كليمندس (قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن)، قبل أن تتأثر ليتورجية القديس يعقوب الرسول ويعاد صياغتها على الأساس الباسيلي[15].

والملاحَظ أيضاً أن أنافورا القديس غريغوريوس (الطقس القبطي) خرجت عن الطقس الإسكندري واقتبست هذا الوصف عن الطقس البيزنطي وقالت [ليدين الأحياء والأموات].

8 ـ والملاحظ بالنسبة للطقس القبطي في موضوع التذكار كما تكشفه لنا المخطوطات العتيقة، أن التقليد يشدِّد عليه كوضع متميز. ففي المخطوطات يهتم النسَّاخ بوضع صليب ✠ قبل البدء في التذكار ـ وذلك قبل كلمة tÕn q£naton المشهورة. وليس هنا فقط في هذا الموضع يهتم التقليد القبطي بالتأكيد على أهمية التذكار، بل وأيضاً في صميم التأسيس عند قول الكاهن: [لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشِّرون بموتي ...]. فإن عند أول كلمة "**لأن كل مرة** Ós£kij" نجد الناسخ يضع صليباً ثم يشدِّد على أول حروف الكلمة بأن يجعلها حرفاً كبيراً (Capital) مشيراً إلى بداية هامة في نظر التقليد الكهنوتي، وهذا واضح للغاية في رقوق مانشستر وفي بردية دير البلايزة ... وهذا بالتالي يؤكِّد ما سبق أن قلناه من أن التقليد القبطي يشدِّد على التذكار سواء في التأسيس أو في مبدأ حلول الروح القدس، تأكيداً على أن الأنافورا في أهم أجزائها هي تذكارية بالدرجة الأولى، وهذا يعتبر على حد قول (كوكن) أنه وضع فريد ينفرد به الطقس القبطي[16].

(15) Lietzmann, *op. cit.*, p. 44.
(16) Coquin, *op. cit.*, p. 340.

3 – "التقريب" أو "التقديم"

ذكرنا أن التذكار ينقسم إلى ثلاثة أقسام (صفحة 672):

أولاً: بادئة التذكار.

ثانياً: موضوع التذكار.

ثالثاً: التقريب.

والآن نأتي إلى الجزء الثالث:

هنا اختلاف جوهري بين التقليد الإسكندري الأصيل، وبين التطور الشهير الذي حدث في الليتورجيا السريانية والبيزنطية الناتج من ضياع مفهوم الأنافورا ككل.

فالطقس الإسكندري الأصيل لا يقول "**بتقديم**" جديد للقرابين ـ أي مرة أخرى هنا، فأنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) لا تذكر هنا إطلاقاً أنها تقرب الآن قرابين، ولكنها تقول [أنت الذي "**وضعنا**" أمام مجدك القدوس قرابينك مما لك يا أبانا القدوس]. هنا كلمة "**وضعنا**" لا تفيد التقديم كما أنها لا تفيد أي فعل أو أي عمل في الحاضر ـ أي في هذه اللحظة، بل "**وضعنا هنا**" تفيد لغوياً ومعنوياً: ''أنت **الذي سبقنا فوضعنا أمامك**''. فهو عمل يختص بإجراء سابق هناك في ''تقديم الحمل''.

لقد أربكت هذه الكلمة بما تفيده من إجراء تقديمي كل العلماء والباحثين، لأنها تأتي في جميع الليتورجيات السريانية والبيزنطية بمعنى ''التقديم'' في الحاضر prosfšromšn soi "**نقدِّم**" لك أو ''نقرِّب لك''. هكذا جاءت في ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس)، وفي ليتورجية القديس يعقوب، وجاءت في ليتورجية القديس باسيليوس (الطقس البيزنطي) وليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم prosfšrontej. فالسؤال الذي طرح نفسه وحيَّر العقول ـ إذ لا جواب له على الإطلاق ـ هو كيف يصير تقديم من جديد هنا؟

ولكن شكراً للطقس الإسكندري وللتقليد القبطي الذي أبقى على مفهوم هذا الوضع بإعطائه هنا الكلمة الصحيحة بالمعنى الصحيح العميق proeq«kamen (أي وضعنا سابقاً) وهي هنا ـ بحسب أبحاث كوكان ـ لغوياً في الماضي aorist.

وبالبحث وراء أصول أخرى لهذه الكلمة تكون ذات تقليد قديم، وجد في أنافورا أثرية للقديس

باسيليوس، وهي مخطوطة باللغة القبطية (اللهجة الصعيدية) منذ بداية القرن الرابع، النص القبطي الصعيدي المطابق حرفياً لهذه الكلمة اليونانية وهي ⲉⲁⲛϣⲣ̀ⲡⲕⲱ ⲉϩⲣⲁⲓ ومعناها حرفياً ''التي سبق أن وضعناها أمامك''.

وهكذا يزداد التقليد الإسكندري وضوحاً وفهما أن هنا ليس تقديم ولا تقريب، ولكن تذكير الآب ''بوضعها السابق أمامه''، وهذا ما تزال تفصح عنه أنافورا القديس مرقس بكل دقة حتى إلى يومنا هذا بدون تحريف: [أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدوس قرابينك مما لك يا أبانا القدوس].

وللقديس أثناسيوس الرسولي إشارة في قوانينه عن الإفخارستيا بخصوص أصل ومعنى "**مما لك**" ـ **القانون السابع والثمانون**:

[فالله يطلب منَّا سبباً لكي نخلص، وهو لا يحتاج إلى قرابين لأن داود يقول في سفر الملوك: « منك الجميع ومن يدك أعطيناك» (1أي 13:29). وبالحقيقة أن كل الأشياء الكائنة هي له.] (مخطوطة النوموكانون)

كذلك يقول القديس أثناسيوس الرسولي في موضع آخر:

[يقول الرب: «تقدماتي هي عطاياي» (عد 2:28 ترجمة سبعينية). أي أن الذي تقدمون لي هو أصلاً عطيتي لكم ...] (الخطاب الفصحي الخامس)

وليست هذه هي أول مرة تذكر فيها أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) هذا الاصطلاح أي "**الوضع السابق للقرابين**"، لأن هذا الاصطلاح يتكرر ثلاث مرات:

(أ) ففي موقف موازٍ بل ومساوٍ تماماً لهذا الموقف قبل التأسيس (تقديس القرابين) عند طلب حلول الروح القدس للبركة والتقديس على الخبز والخمر، تقول الأنافورا: [قرابينك هذه المكرمة **المبدوء بوضعها أمامك** هذا الخبز وهذه الكاس]. وترجمتها القبطية توضح هذا المعنى بصورة أدق مؤكدة إلى طقس ''تقديم الحمل'' السابق، ثم محاولة مشددة لنفي أي فهم أن هنا تقديماً جديداً.

(ب) كذلك أيضاً إذ يتكرر الوضع ونحن بصدد طلب حلول الروح القدس مرة أخرى تعود الأنافورا وتطبق نفس الكلام والتعبير لكي تنفي أن هنا تقديماً جديداً. وتشير إلى كرامة ما سبق أن تمَّ بالتقديس السابق وتحفظ حقّ فاعلية الطقس الأول (طقس تقديم الحمل).

(ج) أمَّا في المرة الثالثة والأخيرة فيأتي هذا الاصطلاح في نهاية استدعاء الروح القدس بعد التأسيس هكذا: [علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين التي لك **المكرَّمة السابق وضعها أمامك**].

والآن نوجز هذه المواضع الثلاثة التي أتى فيها هذا الاصطلاح الهام في أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) في الجدول الآتي:

قبل التأسيس في حلول الروح القدس الأول	بعد التأسيس وقبل حلول الروح القدس الثاني	في حلول الروح القدس الثاني
قرابينك هذه المكرمة **المبدوء** بوضعها أمامك. هذا الخبز وهذه الكأس.	أنت الذي **وضعنا أمام مجدك** القدوس قرابينك مما لك يا أبانا القدوس.	علينا وعلى هذه القرابين المكرمة التي لك **السابق وضعها أمامك** على هذا الخبز وعلى هذه الكأس.

أمَّا اتفاق الطقس السرياني والطقس البيزنطي في القول هنا بصيغة المضارع (الحال الواقع) ''نقدم لك''، فهو إن لم يكن تجاهلاً بما تم من التقديس في طقس التقديم الأول فهو على الأقل تجاهل بما تمَّ في التقديس عند تلاوة التأسيس. ولكن في عرفنا أن هذا ليس تجاهلاً بقدر ما هو جهل بالطقس وعمقه واتساعه وفنه العالي. لأنه بحسب ملاحظتنا أنه منذ بداية التغيير الكثير والاقتباسات التي بلا حد التي حدثت في القرن الثالث بين الطقوس المتعددة وحشر الصلوات والاقتباسات في غير مواضعها، كل ذلك أضعف معالم التقليد القديم وضيَّع حدوده.

ولكن الحقيقة التي لا تقبل الشك أن كلاً من الطقس السرياني والطقس البيزنطي أهمل تماماً ومنذ القرن الرابع ''طقس التقديم العملي'' الأول الذي كان على نمط سر العشاء الأخير، واستعاض عنه تماماً بالليتورجيا إن لم يكن من جهة الإجراء فمن جهة العقيدة والفهم الطقسي، فاعتبر أن طقس التقديم لا وجود له إلاَّ بالشكل حيث يوضع الخبز والخمر على المذبح لتجرى عليهما إجراءات شكلية لا علاقة لها بالتقديس. فلما مات مفهوم التقديم باعتباره تقديساً للقرابين، سهل بعد ذلك استخدام كلمة ''نقدم لك'' بالفعل المضارع، وأصبح من الممكن وضعها في أي مكان بلا خوف ولا حذر.

ولكن بالرجوع إلى جميع الأنافورات المصرية القديمة بكل بردياتها ورقوقها ومخطوطاتها التابعة لتقليد الإسكندرية والممثلة في طقس أنافورا القديس مرقس الرسول، لا نجد إلاَّ كلمة proeq»kamen أي ''السابق وضعها'' عند التعبير عن ''التقديم'' إلاَّ في موضع واحد وهو في صلاة الإفخارستيا (في مقدمة الأنافورا) ـ المحسوب أنها جزء لا يتجزأ من تقديم الحمل، عندما يقول [هذا

(المسيح) الذي بواسطته نشكر "**ونقرِّب**" لك ... هذه "**الذبيحة الناطقة**" وهذه الخدمة غير الدموية] حيث كلمة نقرِّب prosfšromen هنا لا تأتي بمعنى **تقديم الخبز والخمر** ولكن "**تقريب ذبيحة**" تامة ناطقة وذلك إشارة بليغة إلى ما تم في طقس تقديم الحمل. فهنا في الواقع تقريب التقديم أو The prosphora of the prosphora، أي تقريب الذبيحة التي تمَّ تقديمها!

وهذا المعنى يزداد وضوحاً وتأكيداً في أنافورا سيرابيون عندما يقول: [هكذا نحن أيضاً إذ نصنع مثال موته "**نقدم**" هذا الخبز ونتضرع إليك أن بهذه "**الذبيحة**" تتصالح معنا ...]. وهذا تقوله أنافورا سيرابيون قبل طلب حلول اللوغوس ليصير الخبز جسداً والخمر دماً للكلمة بل وقبل أن تكمل تلاوة التأسيس!

وبناءً على ذلك فإن هذا الاصطلاح "القرابين السابق وضعها أمامك" يفصح عن معنى واحد للأنافورا كلها: أنها هي عبارة عن رفع هذه القرابين (السابق وضعها وتقديسها) إلى الله الآب! هذا هو المعنى اللاهوتي والخلاصي الذي كان يفهمه تماماً واضع أنافورا سيرابيون عند قوله: [نقدِّم هذا الخبز ونتضرَّع إليك أن **بهذه الذبيحة تتصالح معنا** ...]. أمَّا التأسيس، وأمَّا حلول الروح القدس فهو لتأكيد هذه الحقيقة ـ أي التقديس الذي تمَّ في طقس رفع الحمل ـ وبلوغ تحقيقها على كل المستويات عملاً وطقساً وشرحاً وإعلاناً وسرًّا وتناولاً!

☙☙ ✠ ❧❧

مقدِّمة الاستدعاء

أو مضمون التضرُّع

يختتم التذكار في صيغته الأُولى المختصرة ـ "**بالتضرع**" ـ كما وردت في بردية دير البلايزه في أول مرد يحويها [بموتك يا رب نبشِّر وبقيامتك نعترف "**ونتضرَّع إليك**"]. هذه الكلمة ''ونتضرع إليك'' هي بادئة للدخول في طلب حلول الروح القدس. فلمَّا تحول هذا المرد إلى صلاة تذكارية مطولة، لم يَفُت على القديس باسيليوس واضعها أن ينهيها أيضاً "**بالتضرُّع**". فبعد أن يذكر الموت والقيامة والصعود والجلوس والمجيء الثاني والدينونة ثم المرد الذي أدخله ضمن هذا التذكار، يعود في النهاية ويختم ''بالتضرع''. ولكن ليس بكلمة واحدة كما في المرد الوارد في بردية دير البلايزه ''ونتضرع إليك''، بل بصلاة أيضاً مطولة، إذ يأخذ من كلام الكاهن الوارد في ليتورجية قوانين

الرسل (كليمندس) قوله [لأنك **حسبتنا مستحقين أن نقف أمامك** لكي نقدِّم لك ذبيحتنا]. ويربط القديس باسيليوس بين ''التضرع إلى الله'' كما يطالب به التذكار وبين أن الله يحسبنا مستحقين للوقوف أمامه وقت حلول الروح القدس، ويضع صلاة أخرى مطولة مستوحياً كلماتها من قول القديس بولس الرسول في رسالته إلى تيطس 3: 5و6 «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح»

وهكذا تحولت كلمة ''ونتضرع إليك'' إلى ''صلاة تضرع'' تمهيداً لحلول الروح القدس في ليتورجية القديس باسيليوس.

وهكذا تبدأ سلسلة الإضافات على نمط ليتورجية القديس باسيليوس، وأول ليتورجية تأثرت بهذه الصلاة التضرعية هي ليتورجية القديس يعقوب الرسول فيما بعد القرن الرابع، وأضافت عليها عبارات خشوعية أكثر تضرُّعاً وإنسحاقاً، ولكنها اهتمت بوضع كلمة "**ونتضرع إليك**" في مستهلها، فاحتفظت بذلك ''بكلمة الأصل'' التي انبثقت منها الصلاة. وزادت على الأسلوب الذي سلك به القديس باسيليوس إذ جعلت التضرع قسمين: قسم عام يتكلم فيه الكاهن بصيغة الجمع، وقسم خاص في النهاية يتكلَّم فيه عن نفسه خاصة من جهة ''نجاسات قلبه'' راجياً أن لا يكون ذلك مانعاً لحلول الروح القدس على الشعب. كما أشركت الشعب رسمياً في التضرُّع بصورة مؤثرة.

أمَّا أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) فقد اقتبست مباشرة من ليتورجية القديس يعقوب الرسول الأسلوب والمنطق ونفس الكلمات، ولكنها زادت وأسهبت جداً في وصف هذا التضرع، ونقلت حرفياً عن ليتورجية القديس يعقوب مرد الشعب المكرر بطلب الرحمة.

ولكن بينما ليتورجية القديس يعقوب الرسول تُعطي الفرصة للشعب وتُقدِّمه هو أولاً ليطلب الرحمة مرة واحدة ثم يعقِّب الكاهن على الشعب بطلب الرحمة ثلاث مرات، تعكس أنافورا القديس مرقس الرسول الوضع ويبدأ الكاهن هو بنفسه بطلب الرحمة ثلاث مرات مُعطياً الشعب الفرصة من بعده لطلب الرحمة كما هو واضح في الجدول التالي.

ولكن لا يوجد أي أثر في التقليد الإسكندري لهذه الصلاة قبل القرن السادس، وهذا واضح من رقوق مانشستر (المنسوخة في القرن السادس)، فإن صلاة التضرع هذه قبل حلول الروح القدس لم تكن تزيد عن ثلاث كلمات "**نتضرع ونتوسل إليك**" قبل حلول الروح القدس مباشرة. مما يوضح أن دخول صلاة التضرع في أنافورا القديس مرقس الرسول مع مردات الشعب بدأت بعد القرن السادس بمدة.

كذلك فإن عدم وجود صلاة تضرعية بهذا الشكل في كل من بردية دير البلايزه ورقوق مانشستر وأنافورا سيرابيون، بل وكل ليتورجيات ما قبل القرن الرابع، يؤكد لنا أن هذا الطقس غريب عن التقليد الإسكندري وأنه بدأ فعلاً في نهاية القرن الرابع زمن القديس باسيليوس. ولكن دخول مرد الشعب "**بطلب الرحمة**" هو بعد زمن القديس باسيليوس بدون شك لأن هذا المرد هو استجابة تأثرية عاطفية من جراء "**ذكر الدينونة**" والتشديد على محاسبة كل واحد "**كنحو أعماله**". هذا التأثير العاطفي النفساني هو أحد خصائص النسك السرياني الذي برع فيه القديس أنبا أفرآم السرياني المبني كله على فكرة "**الدينونة المخيفة**"، وهو غريب عن الروح القبطية التي كانت ولا تزال ترى في الليتورجيا عموماً وفي الإفخارستيا خصوصاً روح الفرح والشكر والتسبيح والانعتاق من الدينونة المزمعة، ولا تزال الكنيسة القبطية إلى الآن، حتى وبعد مُضِيِّ ثلاثة عشر قرناً على استخدام هذه المردات الحزينة بطلب الرحمة لا تستسيغ ممارستها إلاَّ في أيام الصوم فقط، بل ولا يزال لحن الفرح المبهج [هذا هو اليوم الذي صنعه الرب. فلنفرح ونبتهج فيه. يا رب خلِّصنا يا رب سهل طرقنا. مبارك الآتي باسم الرب هلليويا] هو لحن الليتورجيا الأول عند الأقباط والحامل لروحها المستبشرة في قلوب جميع الشعب حتى الأطفال، ويندر مَنْ لا يحفظ ويتقن لحنه باللغة القبطية في الكنيسة القبطية حتى اليوم.

بهذا الهتاف الشعبي تبدأ الأنافورا القبطية وتنتهي (أنافورا القديس مرقس) بنفس روح الفرح بالهتاف: [كما كان هكذا يكون، من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور آمين]. لاحِظ أن هذا المرد هو ختام الأنافورا للقديس مرقس بعد حلول الروح القدس مباشرة، وبعد ذلك يرد الكاهن بنفس لحن الفرح والروح المستبشرة: [لكي يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم القدوس في كل شيء، كريم ومبارك مع يسوع المسيح ابنك الحبيب، والروح القدس (لاحِظ أن بهذه الصلاة تنتهي خدمة الإفخارستيا لتبدأ القسمة ثم التناول في أنافورا القديس مرقس)].

وهذا المقطع بالذات أيضاً الخاص بالدينونة والمحاسبة أسقطه عمداً **القديس باسيليوس من التذكار في ليتورجيته**. ورفضت أنافورا القديس مرقس (الطقس البيزنطي) استخدامه بالمرة، فهو غير موجود في كافة نسخها القديمة والحديثة على السواء، مما يؤكد أن منشأه القرن السادس كما ذكرنا (زمن مجيء أنبا ساويرس الأنطاكي إلى مصر).

وأول مَنْ التقطه كان ليتورجية القديس يعقوب السريانية من ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس ـ السريانية)، وركبت عليه هذا المرد الحزين الذي يتناسب فعلاً مع الروح السريانية.

جدول يبيِّن صلاة التضرع ـ كمقدمة لاستدعاء الروح القدس

يوضح تطور الصلاة من كلمة واحدة إلى صلاة مطولة ذات مردات

ـ (ـتر)	**كليمندس** A.C.	**باسيليوس** **(البيزنطي)**	**القديس يعقوب**	**القديس مرقس** **(القبطي)**
ـمـك لك	(أ) نقدم لك يا إلهنا وملكنا بحسب تأسيسه هذا الخبز وهذه الكأس	(أ) التي لك مما لك نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء		أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدوس قرابينك مما لك يا أبانا القدوس
ـك	مقدمين لك الشكر **لأنك حسبتنا مستحقين** **أن نقف أمامك لكي نقدِّم لك ذبيحتنا**	مرد: لأجل هذا أيها السيد القدوس نجسر **نحن أيضاً عبيدك الخطاة غير المستحقين** الذين أهلنا أن نخدم مذبحك المقدس لا بالنظر إلى برنا (لأننا لم نصنع شيئاً صالحاً على الأرض) **بل بمجرد رحمتك ورأفتك** التي أفضتها علينا بسخاء ندنو من مذبحك المقدس **وإذ وضعنا رسمي جسد ودم مسيحك المقدسين**	"ونتضرع إليك": أن **لا تعاملنا كخطايانا ولا تجازنا بحسب آثامنا،** ولكن كرحمتك، ورأفتك التي لا يُنطق بها. تجاوز ومزِّق الكتاب الذي ضدنا نحن المتوسلين إليك. هب لنا خيراتك السمائية الأبدية (التي لم ترها عين ولم تسمع بها أُذن ولم تأتِ على قلب بشر) ما أعددته يا الله للذين يحبونك.	نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لا تخزنا بالخزي الأبدي ولا تطرحنا نحن عبيدك ولا تصرفنا عن وجهك ولا تقل لنا لست أعرفكم. بل اعطِ ماءً لرؤوسنا وينابيع دموع لأعيننا لكي نبكي نهاراً وليلاً أمامك على زلاتنا لأننا نحن شعبك وخراف قطيعك. **تجاوز عن آثامنا واصفح عن زلاتنا** التي صنعناها بمشيئتنا والتي صنعناها بغير مشيئتنا، التي صنعناها بعلم والتي صنعناها بغير علم، الخفية والظاهرة. التي سبق بإظهارها والتي نسيناها هذه التي يعرفها اسمك القدوس.
			(ج) *ومن أجل خطاياي وبسببي أيها القدوس الممجَّد لا ترفض شعبك*	اسمع يا رب طلبة شعبك والتفت إلى تنهدات عبيدك *ومن أجل خطاياي ونجاسات قلبي لا تحرم شعبك* حلول روحك القدوس
			الكاهن: **لأن شعبك وكنيستك يطلبون إليك قائلين:**	(و) ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل (د) **الكاهن: 3 مرات** **لأن شعبك وبيعتك يطلبون إليك قائلين**
			الشعب: **ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل**	**ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل**

ـس (ـتر)	**كليمندس** A.C.	**باسيليوس** **(البيزنطي)**	**القديس يعقوب**	**القديس مرقس** **(القبطي)**
			الكاهن: ارحمنا يا الله ضابط الكل ارحمنا يا الله مخلِّصنا ارحمنا يا الله كعظيم رحمتك	**اسجدوا لله الآب ضابط الكل**
ـدس	أرسل الروح القدس	أرسل الروح القدس	وأرسل لنا روحك القدوس علينا وعلى هذه	[طلب إرسال للروح القدس]

ملحوظة:

(أ) [ما هو مكتوب بالبنط الأسود] **مميزات خاصة انفرد بها التقليد الإسكندري عن تقليد القديس باسيليوس.**

(ب) [ما هو مكتوب بالبنط المائل] *النصوص المشتركة بين الطقس البيزنطي والطقس القبطي المأخوذ عن البيزنطي.*

ومن الأمور المؤكدة لدينا أن أول مَنْ أدخله في الليتورجيا القبطية هو القديس ساويرس الأنطاكي الذي ملأ الليتورجيا القبطية بالعناصر السريانية في بداية القرن السادس (465 ـ 538م)، لأنه تعلَّم أولاً في الإسكندرية في شبابه وعاش بعد هروبه عن كرسيه سنة 518م بقية أيام حياته في مصر (عزل رسمياً سنة 536م)، ومارس تأثيره الفعلي الشديد داخل الكنيسة والأديرة بصورة طاغية لأنه كان صديقاً حميماً لبطريرك مصر أنبا تيموثاوس الرابع، ولكنه كان ذا شخصية قوية وكان معتبراً أنه بطل الأرثوذكسية في عصره وقائد حركة الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي في الشرق. وكان محبوباً ولبقاً حتى أن اسمه يُكتب ويُذكر الآن في المجمع بعد القديس مرقس الرسول!! (تعجَّب).

☙☙ ✟ ❧❧

سابعاً: الاستدعاء "المطوَّل" للروح القدس

'Ep…klesij

هنا نصل بحسب إيمان الكنيسة ـ وخصوصاً في الوقت الحاضر ـ إلى أهم مرحلة على مدى الأنافورا كلها: الآن حلول الروح القدس، حيث يتقدس كل الشعب مع الكاهن ويصير الكل جسداً واحداً بالروح مهيَّأً لاستقبال الجسد الإلهي، ويحل الروح القدس على الذبيحة (الخبز والخمر) فيجعلهما ـ بسر لا يُنطق به ـ جسداً مقدَّساً ودماً كريماً لمسيحه الضابط الكل [لا يعود الكاهن يصلب عليهما لأن الخبز والخمر قد صارا جسداً مقدَّساً ودماً زكياً متحداً بالروح القدس.][1]

إن فترة حلول الروح القدس بما تحمله من رهبة حقيقية وقوة تهز كيان النفس وتعيد صياغة القلب والفكر والحواس، لتنطق بعظمة الكنيسة واستطاعتها ـ كهيكل حقيقي للإله ـ أن تعمل سماءً (إيرفي **ⲉⲣⲫⲉⲓ** هيكل) على الأرض.

وهذا الاستدعاء الأخير هو الثالث في الاستدعاءات التي سبقت.

أمَّا الاستدعاء الأول، فكان في طقس تقديم الحمل بعد الدعاء بالاسم ونُطق البركة ـ باسم الثالوث على الخبز والكأس ـ وصلاة الشكر على الكأس، ونعيد نصه للتذكرة كالآتي:

[أيها السيد **الرب يسوع المسيح الشريك الذاتي وكلمة الآب** غير الدنس المساوي له مع الروح القدس، أنت هو الخبز الحي الذي نزل من السماء **وسبقت أن تجعل** ذاتك حملاً بغير عيب عن حياة العالم. نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر: **أظهر وجهك على هذا الخبز وعلى هذه الكأس هذين اللذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتية التي لك، باركهما، قدسهما، طهرهما، وانقلهما.**

لكي هذا الخبز يصير جسدك المقدس **والمزيج الذي في هذه الكأس يصير دمك الكريم، وليكونا** لنا جميعاً ارتقاءً وشفاءً وخلاصاً لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا لأنك أنت هو إلهنا يليق بك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس المحيي المساوي لك].

---

(1) مخطوطة مصباح الظلمة لابن كبر باب 17.

أمَّا الاستدعاء الثاني وأسميناه ''الصغير'' وهو يأتي قبل تلاوة التأسيس، ونعيد ذكره أيضاً للتذكرة:

[املأ هذه الصعيدة التي لك يا رب بالبركة التي من قبلك **بحلول روحك القدوس عليها** وبالبركة **بارك** وبالتقديس **قدس،**

قرابينك هذه المكرمة السابق وضعها أمامك هذا الخبز وهذه الكأس].

أمَّا الاستدعاء الثالث والأخير ويأتي بعد التأسيس والتذكار فنوجزه بعد رفع الأوصاف المضافة للروح القدس كالآتي:

[**أرسل** إلى أسفل من علوك المقدس ... **روحك القدوس** ...

علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين التي لك المكرمة السابق وضعها أمامك على هذه الكأس لكي "**يتطهرا**" و"**ينتقلا**"

وهذا الخبز "**يجعله**" جسداً مقدساً للمسيح، وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له.

لكي يكونا لنا جميعاً نحن الآخذين منهما إيماناً بغير فحص ومحبة بغير مراءاة وصبراً كاملاً ورجاءً ثابتاً وحراسة وعافية وفرحاً وتجديداً للنفس والجسد والروح، ومجداً لاسمك القدوس ومشاركة سعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد وغفراناً للخطايا].

شرح الاستدعاء أي الابيكليسيس klhsij…p™:

كان يعني بحسب شرح الآباء ـ في القرنين الثاني والثالث ـ **إدخال قوة "الاسم"** ـ أي التأثير بفعل اسم الله(2).

وعلى أساس هذا المفهوم الآبائي الأصيل للاستدعاء الـ Epiclesis يكون واضحاً أمامنا أن الطقس الأول الذي تم في تقديم الحمل بالنداء باسم الآب والابن والروح القدس على الخبز وهو على يديّ الكاهن **وعلى الكأس وهو في يديّ الشماس،** ثم الدعاء بالبركة بتبريك اسم الآب الضابط الكل وباسم ابنه الوحيد يسوع المسيح وباسم الروح القدس الباراكليت على كل من الخبز والخمر أيضاً وهما على يدي الكاهن "**والشماس**"، يكون هذا أوضح وأقوى استدعاء في الإفخارستيا بأجمعها، لأن الاستدعاء والنداء والبركة تمت باسم الثلاثة أقانيم كدعاء ومخاطبة مباشرة، (انظر أقوال الآباء صفحة 639 وما بعده). وهذا ما سبق أن أوضحناه وسوف نعود إليه مرة أخرى.

(2) Richardson in Lietzmann., *op. cit.*, p. 439 n.3.

ولكن الذي يهمنا الآن من هذا هو أن نتدرج مع القارئ ومع الليتورجيا باختصار شديد لنشرح التاريخ الطقسي لدخول الاستدعاء عند الآباء وفهمه على أساس لاهوتي.

(أ) المرحلة الأُولى في الاستدعاء

(استدعاء الثالوث)

كان أول استدعاء تمَّ طقسياً هو "**استدعاء الثالوث**" كما سبق أن قلنا، وتمَّ على أساس لاهوتي إنجيلي صرف كما يتم في المعمودية تماماً وعلى نفس الخط في المفهوم الطقسي واللاهوتي، لأن **الإفخارستيا أخذت منذ البدء نفس صفة الهيبة السرية والفعالية التأثيرية التي للمعمودية التي كان جوهرها الدعاء باسم الثالوث على المعمدين**: «**عمدوهم باسم** الآب والابن والروح القدس» (مت 19:28). وهكذا أيضاً الإفخارستيا فإن الدعاء بتأكيد واستمرار وإصرار كان المقصود منه تلاوة صيغة التقديس **وهو الدعاء باسم الثالوث على مثال المعمودية تماماً**، وهذا كان أساس ومضمون السر الإفخارستي الذي استلمه الرسل وسلموه للكنيسة.

ولهذا كان الآباء الأوائل يصرّون عند الدعاء على هذا "الخبز والخمر" على أن يقولوا "على هذه **الخليقة**" باعتبار أنها **كخليقة مادية** تحتاج إلى الدعاء باسم الثالوث لتصير **خليقة روحانية** بشبه ما يحدث في المعمودية، (وهذا المفهوم انحرف فعلاً في المفهوم اللاهوتي والطقسي معاً لدرجة أن بعض المفسرين الاجتهاديين أرادوا أن يعتبروا الدعاء باسم الثالوث على الخبز هو معمودية فعلية وتحايلوا على الطقس ـ بدون وجه حق ولا عن تقليد قديم ـ وأفتوا بضرورة مسح الخبز بالماء أثناء تلاوة صيغة الدعاء بالثالوث. وهذا في الواقع كان تدميراً لمفهوم سر الإفخارستيا واعتباره تمثيلية لا يمكن قبولها لاهوتياً، نرجو الإقلاع عن هذه العادة).

لذلك اعتبر القديس أغناطيوس الأنطاكي أن الخبز بعد الاستدعاء هو "**خبز الله**"[(3)].

ويضيف القديس إيرينيئوس على ذلك قائلاً: إنه "خبز الله الذي استقبل الدعاء بالاسم"[(4)].

ويعلِّق ريتشاردسن على موضوع فهم الآباء الأوائل للاستدعاء باسم الثالوث على الخبز والخمر

(3) R.D. Richardson, *op. cit.*, pp. 442, 443.

(4) *Ibid*.

قائلاً: إن هذا هو ما كان يفهمه يوستين الشهيد من جهة فعل الصلاة بتأثير مخاطبة الثالوث. وكان هذا هو أيضاً أقصى ما بلغه نموذج الأنافورا في الشرق حيث كان حدوث العامل المؤثر فيها يرجع إلى أقانيم الثالوث الإلهي كل بفعله وفي رتبته.

ويعطينا القديس يوستين الشهيد طقساً واضحاً ثابت المعالم كعينة من هذا الدعاء (باسم الثالوث) عندما يقول:

[ورئيس الإفخارستيا يقدم التسبيح والمجد لأب الخليقة بواسطة اسم الابن والروح القدس](5)

كذلك:

[في كل الأشياء التي نقدمها ـ نباركه ـ الذي صنع كل شيء بواسطة ابنه يسوع المسيح وبواسطة الروح القدس](6) .

ويعلِّق على ذلك ريتشاردسن بقوله:

[وهذا النموذج من الاستدعاء (باسم الثالوث) الذي يذكره يوستين في ليتورجية زمانه، ليس هو تمجيداً ختامياً، بل هو عبارة عن صلاة فيها يذكر الثلاثة أقانيم في الثالوث المبارك بمخاطبته مباشرة بحسب ترتيبهم وبحسب صفاتهم.](7)

ونكتفي بهذا القدر هنا من جهة تاريخ الاستدعاء بالثالوث، ولكن نشير إشارة عابرة إلى أن الدعاء باسم الثالوث كان يعني ضمناً وبالتأكيد استدعاء الابن واستدعاء الروح القدس مع الآب! فالروح القدس الذي استأثر أخيراً بالمكانة النهائية في تاريخ الاستدعاء كان وارداً ضمناً وبتأكيد في مفهوم الرسل إنما من داخل الصيغة التقديسية العظمى "باسم الآب والابن والروح القدس" وبدون انفراد.

(5) Justin Martyr, *Apol*. I, 65, ANF, I, p. 185.

(6) *Ibid.*, I, 67, ANF, I, pp. 185-186.

(7) *Ibid*., p. 441.

(ب) استدعاء اللوغوس (الابن)
الأقنوم الثاني من الثالوث

يقول ريتشاردسن معتمداً على أبحاث ضافية ـ لـ"إدموند بيشوب"[8] قائلاً:

[لقد أوضح إدموند بيشوب بطريقة قاطعة أنه حتى القرن الرابع لم يوجد أحد قط من الآباء المتكلمين باليونانية (في الإسكندرية وغيرها) لم يتكلَّم أو لم يشرح ويدلل على الدور الأساسي الذي يقوم به المسيح الأقنوم الثاني من الثالوث في تقديس الإفخارستيا.][9]

ويعود ريتشاردسن ليؤكد مرحلة طقس استدعاء اللوغوس الأقنوم الثاني بمفرده هكذا:

[هذا الخط الفكري واضح وثابت في استدعاء اللوغوس في الليتورجيات المصرية كما هو وراد في ليتورجية سيرابيون وفيما يصفه كليمندس الإسكندري وأوريجانوس ـ وأثناسيوس الرسولي ـ حيث كان الطقس فيما قبل يوستين وفيما بعده.

ولكن واضح كذلك من ليتورجية سيرابيون ومن التقليد الرسولي لهيبوليتس ومن ليتورجية "أدّاي وماري" أن مفهوم استدعاء الروح القدس ـ ليؤثر بنوع ما ـ على مواد الإفخارستيا بدأ يتجمع وينمو ويزداد منذ **القرن الثاني**].

واستدعاء اللوغوس ـ أي المسيح ـ شخصياً وبمفرده (غير وروده الواضح في أنافورا سيرابيون) يظهر بصورة قوية ومنطقية للغاية ـ من جهة الألفاظ والمعاني في الاستدعاء الذي يتم في "**طقس تقديم الحمل**" بعد صلاة الشكر على الكأس، قبل الدخول إلى الأنافورا ـ ونقول إن منطق الاستدعاء هنا قوي للغاية بالنسبة إلى حدود فهم هذه المرحلة المبكرة جداً في تاريخ الليتورجيا، حيث كان المطلوب في هذه المرحلة أن يتحول الخبز إلى خبز سمائي على مستوى ذبيحة كذبيحة الحمل الذي ذُبح عن حياة العالم، كذلك نجد أن صيغة الاستدعاء الأثرية تبدو واضحة كل الوضوح لأنها تتبع التقليد العبري القديم من جهة قولها: "**أظهر وجهك على** هذا الخبز". هذا هو أقدم تعبير يحمل معنى حلول الأقنوم في مفهوم العهد القديم. وسوف يأتي الكلام عنه في حينه، ولكن نكتفي هنا بهذا القدر من جهة الاستدعاء لحلول الأقنوم الثاني.

---

(8) Edmund Bishop, cited by Richardson, *op. cit.*, p. 441.

(9) Richardson, *op. cit.*, p. 441.

(ج) الاستدعاء لحلول الأقنوم الثالث

الروح القدس

هذه هي المرحلة الثالثة زمنياً وطقسياً ولاهوتياً لاستدعاء الروح القدس كأقنوم يعمل منفرداً لتقديس الإفخارستيا.

وحسب ما يقول ريتشاردسن:

[كان مستحيلاً أن يكون هناك استدعاء كامل ناضج للروح القدس بصفته أقنوماً ثالثاً بمفرده لتحويل مواد الإفخارستيا إلى جسد ودم المسيح، قبل أن يعلن لاهوت الروح القدس رسمياً، الأمر الذي لم يتم إلاَّ في القرن الرابع!

غير أن الإعداد لذلك المفهوم بدأ قديماً جداً ... منذ إنجيل القديس يوحنا **حينما أعلن أكل جسد المسيح وشرب دمه**، وحينما بدأت الليتورجيا تدعو الروح القدس ليحل على المواد (الإفخارستيا) حتى تصير هذه المواد وسيلة لنوال منافع الشركة التي وإن تعددت أنواعها ـ أي أنواع منافع الشركة ـ بتعدد الليتورجيات إلاَّ أنها بقيت متعلقة بروح الله في المسيح ـ وكان هذا المفهوم (البدائي) الخاص ''بالطعام الروحي'' مرحلة (مبكرة) من مراحل فهم عمل الاستدعاء. ولا ينبغي أن ننظر إليها باستصغار وإلاَّ نكون قد أسقطنا مرحلة هامة من مراحل تطور ونمو الاستدعاء].

ونُعيد ونوجز هنا قولاً لريتشاردسن يوضح فيه كيف بدأت مرحلة استدعاء الروح القدس مبكرة جداً:

[وواضح من أنافورا سيرابيون ومن الدسقولية ومن ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس ومن ليتورجية ''أدّاي وماري'' أن مفهوم استدعاء الروح القدس ـ ليؤثر بنوع ما ـ على مواد الإفخارستيا بدأ يتجمع وينمو ويزداد **منذ القرن الثاني**.][(10)]

ولكن كما سبق وقلنا أنه قد اتفق العلماء وبلا استثناء على أن الاستدعاء الكامل الناضج للروح القدس كأقنوم منفرد يقدِّس ويحوِّل الخبز والخمر إلى جسد ودم، لم يتكامل إلاَّ في القرن الرابع.

من هذا يتضح أمامنا أن الاستدعاء عبر على ثلاث مراحل كان فيها الطقس واللاهوت

(10) *Ibid.*

متفاهمين أشد التفاهم، فما كان يجريه الطقس كان يشرحه اللاهوت تماماً، وما كان يفهمه اللاهوت كان يؤديه الطقس تماماً. وكان النمو والتدرج في الفهم اللاهوتي هو الداعي الأول لنمو الطقس وتوضيحه.

وبناءً عليه عندما نعود إلى الاستدعاء في أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) نجد بكل دقة وبكل وضوح هذه الثلاث مراحل بحدودها الطقسية واللاهوتية:

المرحلة الأُولى: استدعاء الثالوث الآب والابن والروح القدس على الخبز والخمر في طقس تقديم الحمل (للبركة والتقديس).

المرحلة الثانية: استدعاء اللوغوس (المسيح) على الخبز وعلى الخمر في تقديم الحمل للبركة والتقديس والتطهير. وليصيرا جسداً ودماً.

المرحلة الثالثة: استدعاء الروح القدس:

(أ) قبل التأسيس على الخبز والخمر للبركة والتقديس فقط.

(ب) بعد التأسيس على الخبز والخمر ليتطهرا وينتقلا ويجعلهما جسد ودم المسيح.

هذا ومن المسلم به حسب الطقس القديم وحسب التقليد الإفخارستي أن بواسطة الاستدعاء يتم تقديس الخبز والخمر، أي أن بعد الاستدعاء يكون عندنا الخبز إفخارستيا والخمر إفخارستيا. هذه حقيقة ثابتة وواضحة في سر العشاء نفسه. ومعنى هذا أن عندنا في داخل أنافورا القديس مرقس ثلاث مراحل كملت فيها الإفخارستيا، تحددها زمنياً وطقسياً هذه الاستدعاءات الثلاثة.

هذه المراحل الإفخارستية الثلاث التي تحكي تاريخ الإفخارستيا وإن كانت قد تمت طقسياً على مراحل زمانية متتالية ارتباطاً بالتزام النمو اللاهوتي الذي استغرق هذه الفترات الزمانية، إلاَّ أن هذه الفترات متقاربة جداً فيما عدا (ب) من المرحلة الثالثة، أي مرحلة طلب الروح القدس لجعل الخبز جسداً والخمر دماً للمسيح. ونستطيع أن نقول من واقع النصوص وكلمات الآباء الأوائل أن الثلاث مراحل فيما عدا (ب) يمكن أن تكون قد تمت في زمان الرسل أنفسهم.

إذاً، وعلى أساس هذا الوعي بالنسبة للتركيب الليتورجي للأنافورا، نستطيع أن نتصور مراحل النمو التي عبرت عليها الإفخارستيا ـ على أيدي الرسل من بعد العشاء السري مباشرة:

أولاً: مرحلة كان يتم فيها استدعاء واحد وهو البركة على الخبز باستدعاء الثالوث، وبعدها إذ يصير الخبز إفخارستيا يُكسر ويُوزع وتتم الشركة منه، وبعد ذلك يبدأ العشاء (الأغابي)، وفي نهايته

يصير الشكر على الكأس ويُوزع بدون استدعاء حيث الشكر على الكأس كان بحسب التقليد القديم معتبراً أنه عملية تقديس بدون استدعاء. وهذا الطقس كله كان يسمَّى **"عشاء الرب"**.

ثانياً: ثم تلاها مرحلة كان يتم فيها استدعاءان، الأول على الخبز ـ باستدعاء الثالوث، ثم يعقبه مباشرة شكر على الكأس (وكانت تسمَّى إلى زمن قريب، ربما القرن الثالث عشر أو الرابع عشر ـ بصلاة ''شبهموت الرسل ـ أو قداس الرسل'')[11]. يتم بعدها استدعاء ثانٍ للمسيح ليكمل التقديس بأن يجعل الخبز جسداً له والخمر دماً له. وهذا يمثل أول تطور في المفهوم اللاهوتي يقابله أول تطور في الطقس ـ أي استدعاء المسيح منفرداً ـ وهذا الطقس بدأ من بعد إسقاط الأغابي عن سر العشاء.

ثالثاً: وفيه ثلاثة استدعاءات، الأول والثاني كما هو مذكور أعلاه، ثم الاستدعاء الثالث (أ): أي استدعاء الروح القدس **قبل التأسيس هكذا:**

بعد استدعاء المسيح لتكميل التقديس (ليجعل الخبز جسداً له والخمر دماً له) أضاف الرسل كل رسول حسب اختياره وتدبيره صلاة شكر جديدة مطولة لشرح أعمال المسيح في العهد الجديد. وكانت هذه الصلاة المطولة التي للشكر تسمَّى ''صلاة الإفخارستيا الكبرى''. وكانت تسمَّى باسم صاحبها، أي ''إفخارستيا القديس مرقس'' أو ''إفخارستيا القديس يعقوب''، **تنتهي باستدعاء الروح القدس للملء فقط ـ من أجل الحصول على منافع ومواهب روحية من التناول من خبز الإفخارستيا وخمر الإفخارستيا**[12].

وهذه كانت تمثل التطور الثاني في المفهوم اللاهوتي للإفخارستيا، كقوة مانحة للمواهب ويقابلها تطور مماثل في الطقس **باستدعاء الروح القدس منفرداً ـ ليكمل البركة والتقديس. وكان هذا الاستدعاء الثاني محصوراً في طلب مواهب ومنافع روحية فقط ـ وهذا الطقس صار يسمَّى بالإفخارستيا**، لأن خدمة الليتورجيا صارت تبدأ رسمياً بصلاة الإفخارستيا الكبرى ـ وانزوى طقس التقديم ـ تقديم الحمل ـ وصار في معظم الكنائس يكمَّل سراً والستارة مسدولة[13].

---

(11) انظر المخطوطة رقم 1 لاهوت مكتبة دير أنبا مقار باسم ''الاعتراف الصحيح في تجسُّد السيد المسيح'' صفحة 193. وانظر صورة المخطوطة في آخر الكتاب.

(12) مخطوط مصباح الظلمة لابن كبر باب 17:

[وبواسطة الجسد والدم اللذين حل الروح القدس عليهما يتعلق (يرافق = يتحد) الروح القدس بأنفس الذين اشتركوا فيه وتناولوا منه].

(13) مخطوطة مصباح الظلمة لابن كبر باب 17:

[وليقدس الأسقف وهو قائم على المذبح والستارة مرخية وداخلها القسوس والشمامسة حَوْلَه يروحون بمراوح مثل أجنحة الكاروبيم].

وهذه المرحلة استرعت بالذات اهتمام العالِم فرير إذ يتكلَّم عنها باهتمام (كما سبق وأوضحنا) قائلاً:

[هذا الاستدعاء البدائي يستحق اهتماماً أكثر مما أُعطي له، إذ يمكن اعتباره ملامح مبكرة حُفظت في مكانها القديم قبل تلاوة التأسيس وبنفس بساطتها العتيقة فيما تقرره. وبقيت على ممر الزمن بدون تغيير حتى بعد أن اقتبست الإسكندرية مؤخراً الشكل المتطور للاستدعاء ووضعته ـ كما صنع الآخرون ـ بعد التأسيس. وبالتالي فإن هذا الاستدعاء ربما يكون كما اقترحنا أعلاه بقايا أثرية لاستدعاء توقَّف في مكانه، بعد ما انتقل الاستدعاء بكل ثقله ليوضع بعد تلاوة التأسيس.][14]

على كل حال فإن هذا يدل على أنه سابقاً لم يكن يوجد أيضاً تذكار مطول بأي حال بعد تلاوة التأسيس، أكثر من هذين المقطعين: [بموتك يا رب نبشِّر. وبقيامتك نعترف]، فلا يوجد أي تذكار آخر ولا حتى كلمة "نذكر".

كذلك أيضاً فإن الاستدعاء هنا بوضعه الفريد هذا، قد استرعى انتباه كلٍّ من العالِم بومشتارك وليتزمان، ويقول الأخير فيه هكذا:

[إن الشهادة المشتركة التي تقدمها هذه الثلاث أنافورات الرسمية: سيرابيون، ودير البلايزه، والقديس مرقس (الطقس القبطي) تقودنا إلى التأكيد من أن **الاستدعاء الذي يأتي قبل تلاوة التأسيس الذي يبدأ بكلمة (املأ) هو في الحقيقة صفة مميزة خاصة بمصر، إذ لا يوجد أية ليتورجية في أي قطر آخر لها هذه الصيغة المتصلة بالتسبحة الشاروبيمية**، حيث هذه التسبحة موطنها الأصلي والوحيد هو مصر أيضاً، ... فإن كان هذا الاستدعاء المبدوء بـ(**املأ**) والذي يأتي قبل التأسيس هو مصري أصيل، فنحن نستخلص من ذلك ـ طبيعياً ـ **أن هذا الاستدعاء كان منذ البدء هو الاستدعاء (الوحيد) في مصر، وهذا ما يقرره وينتهي إليه أيضاً العالِم بومشتارك في كتابه عن (ليتورجية الشرق ـ سنة 1906). إذ لا يحتمل أن تُقدم نفس الصلاة ـ رسمياً ـ مرتين وبنفس الصيغة لأجل نزول الروح القدس، لذلك فكل الاستدعاءات التي تأتي في الليتورجيات المصرية بعد كلمات التأسيس يتحتم اعتبارها نتيجة التأثير السرياني البيزنطي.**][15]

على أنه ينبغي أن لا يتوه عن بالنا أن بردية دير البلايزه تقدم لنا استدعاءً للروح القدس في هذا

(14) W.H. Frere, *The Anaphora*, p. 85.

(15) Lietzmann, *op. cit.*, pp. 62-63.

المكان ـ أي قبل التأسيس (في نهاية صلاة الإفخارستيا الكبرى) ـ **ولكن تضيف إلى طلب المنافع الروحية طلباً بجعل الخبز أن يصير جسداً والخمر أن يصير دماً**، وبهذا فإن هذه البردية (القرن الخامس أو السادس) تقدم لنا طوراً آخر متقدماً يوازي تماماً الطور الأخير من حيث النمو اللاهوتي في مفهوم أقنوم الروح القدس وفاعليته في الإفخارستيا الذي بلغه في القرن الرابع.

ثالثاً: (ب) **الاستدعاء بعد التأسيس**: وفيه صار يتم أربعة استدعاءات، فبعد الاستدعاء الثالث (أ)، أضافت الكنيسة في القرن الرابع على وجه التحديد ـ على يد أساقفتها استدعاءً رابعاً (الثالث ب) ـ بعد التأسيس والتذكار ـ وتحدد هذا الاستدعاء لحلول الروح القدس بطلب جديد هو **ليجعل الخبز جسداً للمسيح والخمر دماً للمسيح** بالإضافة إلى المنافع الروحية، هذا باعتبار أن الإفخارستيا أو الليتورجيا أو الأنافورا تبدأ فقط من أول صلاة الإفخارستيا الكبرى [ارفعوا قلوبكم ـ فلنشكر الرب] حيث حلَّ التأسيس (تلاوة كلمات المسيح على الخبز والخمر) محل طقس البركة على الخبز والشكر على الكأس معاً التي تمت في طقس تقديم الحمل.

وهذا الاستدعاء الرابع (أو الثالث ـ ب) يمثل تطوراً عقائدياً صرفاً حتمت به الصراعات اللاهوتية بالنسبة لأقنوم الروح القدس في القرن الرابع، وصارت الإفخارستيا من بعد ذلك تسمَّى بأسماء الأساقفة الذين تولوا هذه الإضافة مع ما يلزمها من تعديلات أخرى، حتى أنافورا القديس مرقس الرسول نفسها إذ صارت تسمَّى باسم البابا كيرلس الكبير الذي أكملها.

سبب أهمية "الاستدعاء" الأخير والتركيز عليه بشدة في الليتورجيات السريانية والبيزنطية:

بحسب التركيب الليتورجي لأنافورا القديس مرقس (القداس الكيرلسي) في الطقس القبطي ـ مضافاً إليها طقس تقديم الحمل، وجدنا أن هناك أربعة استدعاءات متتالية تحملها الأنافورا حتى الآن، وكل واحدة منها لها هيبتها ووقارها وفعلها وتأثيرها الكامل.

ولكن لو فحصنا الليتورجيات السريانية والبيزنطية بالنسبة لما هو موجود في أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي)، لوجدنا أنها فقدت جميعاً الثلاثة استدعاءات:

أولاً: استدعاء الثالوث في التقديم.

ثانياً: ثم استدعاء الكلمة المسيح في نهاية الشكر على الكأس في طقس التقدمة.

ثالثاً: ثم استدعاء الروح القدس للملء الذي في نهاية صلاة الإفخارستيا الكبرى قبل التأسيس.

وبذلك لم يعد في الليتورجيا السريانية أو البيزنطية سوى استدعاء واحد هو الاستدعاء الأخير!

هذا بالإضافة إلى أن تلاوة التأسيس (تلاوة كلام الرب وذكر البركة والشكر على الخبز والكأس) فقدت وظيفتها في هذه الكنائس منذ القرن الثامن[16] كتقديس فعلي للخبز والخمر يمكن بمقتضاه اعتبار الخبز جسداً أو الخمر دماً كما كان في القرن الرابع[17] إلاَّ (كنيسة روما). وقد صار من أجل ذلك صدام لاهوتي عقائدي لا ينتهي بين اليونان واللاتين منذ القرن الرابع عشر[18]. لذلك أصبح من الطبيعي والمحتم أن يأخذ استدعاء الروح القدس الوحيد ـ الذي انحصر موضعه بعد التأسيس ـ كل ثقل مسئولية التقديس وتحويل الخبز إلى جسد والخمر إلى دم في الليتورجية السريانية والبيزنطية. ومن هنا صار التركيز اللاهوتي والطقسي معاً على الاستدعاء الأخير في هذه الكنائس عقيدة شديدة النزعة بصورة حساسة جداً! ولكن العجب حقاً أن تنتقل هذه الحساسية بلا أي داعٍ ـ في العصور المتأخرة جداً ـ للكنيسة القبطية! التي تحمل ليتورجيتها ثلاثة استدعاءات أخرى كلها بالغة القوة والتأثير.

ونكتفي بهذا القدر الآن على أننا سنعود إلى هذا الموضوع في شرح القداس.

فحص الاستدعاء الأخير في أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي):

يوجد تحت أيدينا ثلاث نسخ من أنافورا القديس مرقس يمكن بواسطة المقارنة بينها دراسة تاريخ الاستدعاء الأخير. هذه النسخ هي: نسخ رقوق مانشستر التي استخدمناها سابقاً، ونسخة ليتورجية القديس مرقس البيزنطية التي كان يستخدمها الملكانيون في مصر، ونسخة أنافورا القديس مرقس الطقس

---

(16) يقول يوحنا الدمشقي (القرن الثامن) بالحرف الواحد هكذا:

[إن التقديس لا يتأثر بكلام تلاوة التأسيس ولكن بكلمات الاستدعاء الذي يأتي بعد التأسيس.] (انظر: De Fide Orthodoxa, IV, 13 cited by Dix, p. 293)

في حين أن القديس يوحنا ذهبي الفم في تعليقه على الإفخارستيا **يؤكد التقديس الحاصل بتلاوة التأسيس** (انظر حاشية رقم 17 أسفله) ويضيف يوحنا ذهبي الفم بحسب رواية ريتشاردسن هكذا:

[كذلك يستخدم ذهبي الفم في لغته صيغتين يميز فيهما بين (**1**) **المسيح الكائن قبل تلاوة التأسيس مكسور الجسد ومسفوك الدم** ''الرب مذبوح وراقد أمامكم''، ''نتوسل إلى الحمل الراقد على المذبح'' – وهذه التعبيرات راجعة بالضرورة إلى **خدمة التقديم** – وبين (**2**) **المسيح الحي الحاضر بعد استدعاء الروح القدس على الخبز والخمر** (الجسد والدم)] Richardson., *op. cit.*, p. 429.

(17) يقول القديس يوحنا ذهبي الفم بالحرف الواحد:

[عندما يقول الكاهن ''هذا جسدي'' فإن هذه الكلمة تحوِّل المواد. الرب قال: «هذا جسدي ... هذا دمي» فهذه الكلمة عندما تُقال على كل مذبح منذ ذلك اليوم حتى هذا اليوم وحتى إلى أن يأتي فإنها تكمِّل الذبيحة]

راجع: Chrysostom, De, Prod. Judae, I, 6 cited by Greg. Dix, *op. cit.*, p. 281.

(18) *Ibid*., p. 293.

القبطي باللهجة البحيرية في مخطوطة برايتمان والتي لا تزال تستخدمها الكنيسة القبطية حتى اليوم.

التقليد الرسولي لهيبوليتس	رقوق مانشستر	القديس مرقس نسخة الملكانيين (البيزنطي)	القديس مرقس (النسخة القبطية البحرية)
(**1**) ونحن نتوسل إليك، لكي ترسل،	(**1**) ونتضرع إليك لكي ترسل،	(**1**) ونتضرع ونتوسل إليك يا محب البشر الصالح أرسل إلى أسفل من علوك المقدس ومن مسكنك الذي أعددته ومن حضنك غير المحصور	(**1**) وأرسل إلى أسفل من علوك المقدَّس ومن مسكنك الذي أعددته ومن حضنك غير المحصور ومن كرسي مملكة مجدك
(**2**) روحك القدوس،	(**2**) روحك القدوس،	(**2**) الباراكليت **نفسه** روح الحق القدوس الرب المحيي الناطق في الناموس والأنبياء والرسل، الحال في كل مكان والمالئ الكل الفاعل التقديس على الذين اختارهم كمسرتك بسلطان وليس كالخادم، البسيط في طبيعته الكثير الأنواع في فعله، ينبوع النعم الإلهية، المساوي لك، المنبثق منك، الكائن معك على كرسي مملكة مجدك ومع ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح.	(**2**) الباراكليت روحك القدوس الكائن بالأقنوم (نفسه) غير المستحيل ولا متغيِّر، الرب المحيي، الناطق في الناموس والأنبياء والرسل(19). الحال في كل مكان ولا يحويه مكان، الفاعل الطهر على الذين أحبهم بمسرتك بسلطان وليس كالخادم، البسيط في طبيعته الكثير الأنواع في فعله، ينبوع النعم الإلهية المساوي لك، المنبثق منك، الكائن معك على كرسي مملكة مجدك ومع ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح.
(**3**) على هذه الذبيحة التي لكنيستك المقدسة	(**3**) على هذه القرابين السابق وضعها أمامك على هذا الخبز وعلى هذه الكأس	(**3**) علينا أيضاً على هذه الخبزات وعلى هذه الكؤوس لكي روحك القدوس بقوته الكلية ولاهوته يقدسها ويكملها	(**3**) علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين التي لك المكرمة السابق وضعها أمامك وعلى هذا الخبز، وعلى هذه الكأس لكي يتطهرا وينتقلا

(19) «كما أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح.» (أف 5:3)

التقليد الرسولي لهيبوليتس	رقوق مانشستر	القديس مرقس نسخة الملكانيين (البيزنطي)	القديس مرقس (النسخة القبطية البحيرية)
			الشماس: ننصت: الشعب آمين
	(**4**) ولتجعل (أنت) هذا الخبز جسداً مقدساً للمسيح وهـذه الكـأس دمـاً للعهد الجديد الذي لربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح آمين	(**4**) ويجعل هذا الخبز جسداً وهذه الكأس دماً للعهد الجديد الذي لربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح. (**الشمامسة ينزلون**)!	(**4**) وهـذا الخبـز يجعلـه جسـداً مقدسـاً للمسيح ـ هذا هو بالحقيقة آمين. وهـذه الكـأس أيضـاً دمـاً كريماً للعهد الجديد الذي له ـ آمين. ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح – آمين
(**5**) لكـي تجمـع وتوحـد (معــك) كــل المتناولين منها، حتى يمتلئوا بالروح القدس الـذي يثبِّـت إيمـانهم في الحق.	(**5**) لكي يكون لنا نحن جميـع الآخـذين منـه إيماناً، تعففاً، شـفاءً ومسرة. وتجديـــداً للـــنفس والجسد والروح وشركة الحيـــاة الأبديـــة ـ وصبراً ـ ولاستحقاق اسمك القدوس وعدم فســـاد وغفـــران الخطايا.	(**5**) لكي يكون لنا نحن جميع الآخذين منه إيماناً، تعففاً، شفاءً، صبراً، قداسةً، وتجديداً للنفس والجسد والروح ومجداً لاسمـك القـدوس ومشـاركة سـعادة الحياة الأبدية وعدم فساد، وغفراناً للخطايا.	(**5**) لكي يكون لنا نحن جميع الآخذين منهما إيمانـاً بغـير فحـص، محبـة بغـير مـراءاة صــبراً كــاملاً ورجــاء ثابتــاً وإيمانــاً وحراسة، وعافية وفرحاً، وتجديداً للنفس والروح ومجداً لاسمك القدوس ومشاركة سعادة الحياة الأبدية وعدم فساد، وغفراناً للخطايا.
(**6**) لكــي نســتطيع أن نسبحك ونمجــدك "بابنــك المحبـــوب يســـوع المسيح الذي به لك المجد والكرامة (الآب والابــن مــع الــروح القدس) في كنيستك المقدسة"	(**6**) **الذكصا** لكي بهذا أيضاً كما في كل شيء يتمجد ويرتفع ويتبارك اسمك القدوس الكريم الكلي المجــد مــع يســوع المســـيح لغفـــران الخطايا	(**6**) **الذكصا** لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجــد ويســبح اســك الكلــي القـدس الكـريم والممجـد دائمـاً مـع يسوع المسيح والروح القدس	(**7**) **المرد:** الشـعب: [كمـا كـان كـذلك يكـون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور] (**6**) لكـي وبهـذا كمـا أيضـاً في كـل شـيء يتمجد ويرتفع اسمك العظيم القدوس في كل شيء، كريم ومبارك مع يسوع المسيح ابنك الحبيب والروح القدس

التقليد الرسولي لهيبوليتس	رقوق مانشستر	القديس مرقس نسخة الملكانيين (البيزنطي)	القديس مرقس (النسخة القبطية البحيرية)
(7) الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.		(7) الشعب: [كما كان وهكذا يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور آمين].	

ملاحظات على الجدول السابق:

(أ) الباراكليت روحك القدوس "**الكائن بالأقنوم**" = الأصل اليوناني: الباراكليت ـ "**نفسه**" أي: أرسل الروح القدس أقنومياً، أو بشخصه، أو بذاته، وليس كنعمة أو كقوة صادرة عنه.

(ب) كلمة الطهر والطهارة (لكي يتطهرا)، أصلها اليوناني ''القداسة'' وهي أوضح وأليق لاهوتياً وأسهل في المعنى.

(ج) كلمة "**انقلهما**" أو ''لكي ينتقلا'' التي تأتي في كل النسخ القبطية هكذا: أنقلهما **ⲟⲩⲟⲑⲃⲟⲩ**، ولكي ينتقلا **ⲛⲧⲟⲩⲟⲩⲱⲧⲉⲃ** هي أصلاً باليونانية metapoi»sV ومعناها ''اصنعهما (اخلقهما) من جديد'' أو ''شكلهما من جديد'' (وهذا المفهوم القبطي هو أروع وأعمق مقابل وأصدق من التعبير البيزنطي الذي يقول بتحويلهما). أمّا الكلمة التي تقع مقابل هذا الاصطلاح عند الملكانيين فواضح أنها "**كملهما**" وهو نفس الاصطلاح الوارد في ليتورجية عهد ربنا.

(د) يُلاحَظ أن نسخة الملكانيين استخدمت في الخبز والكأس صيغة الجمع ''الخبزات والكؤوس''. وهذا يمثل في الحقيقة وبدقة الطقس القديم فعلاً حيث كان يقدَّس على ثلاث خبزات وعلى كأسين أو أكثر. وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه (انظر ليتورجية عهد ربنا ـ النسخة السريانية).

(هـ) ''اسمك العظيم القدوس في كل شيء كريم ومبارك'': تبدو هذه الجملة غير منسجمة وغامضة، وهذا الارتباك ناتج من عدم ترجمة الجملة الآتية ترجمة صحيحة:

« TÕ mšga Ônom£ sou tÕ pan£gion kaˆ œntimon kaˆ dedoxasmšnon»

فكلمة ''باناجيون pan£gion'' تعني ''الكلي القداسة'' وليس ''قدوس في كل شيء''.
وكلمة كريم هي تكملة صفات اسم الله،

والكلمة الأخيرة dedoxasmšnon مقطعها الأول de تفيد الاستمرار. وبهذا ينبغي أن تترجم هذه الجملة الهامة كالآتي: [اسمك العظيم، الكلي القدس الكريم الممجَّد دائماً].

❖❖❖

أولاً: مقارنة نص الملكانيين (البيزنطي) مع النص القبطي البحيري:

1 ـ توجد فوارق لفظية في تركيب نفس الكلمات يصعب وصفها باللغة العربية ويمكن ملاحظتها في النسخة اليونانية التي قدمها ليتزمان في كتابه والتي نقلناها للقارئ كما هي. والفروق اللغوية النحوية تشير إلى أن النصين الملكاني والقبطي أخذا من مصدر واحد ولكن لم يأخذ الواحد منهما عن الآخر.

2 ـ توجد زيادات في بعض أوصاف الروح القدس في كل من النسختين توضح أن كل نسخة أضافتها من عندها خاصة على النص الأصلي المشترك (ليتورجية القديس يعقوب قبل تطويرها) الذي أخذتا منه كلتاهما[20]. كذلك فإن نمو كل من النسختين سار الواحد بعيداً عن الآخر، لذلك نشأت تركيبات مختلفة[21] ـ وهذا يدلنا على أن التطور والتوسع في هذا التذكار بدأ بعد الانشقاق ـ أي بعد القرن الخامس.

3 ـ توجد بعض الاصطلاحات صعب على المترجم القبطي الحديث ترجمتها من اليونانية إلى القبطية البحيرية وهو النص الوحيد الباقي عندنا، فنجد هذه الاصطلاحات واضحة في النص اليوناني ونقترح الأخذ بها في الترجمة العربية

4 ـ كيفية حلول الروح القدس وترتيب عمله على الخبز وعلى الخمر منسقة بوضوح في النص القبطي، أمَّا النص البيزنطي فإن صياغته مشوهة ومعادة بدون دراية. وهنا يتضح أن الطقس القبطي هو الأصيل[22].

5 ـ وتوجد زيادات في النص القبطي في أوصاف المنافع الروحية المطلوب الحصول عليها من التناول من الجسد والدم. فمن بين الفوائد الثماني الروحية التي تذكرها النسخة القبطية، لا يوجد في قداس

(20) Lietzmann, *op. cit.*, p. 65.
(21) Coquin, *op. cit.*, p. 351.
(22) Lietzmann, *op. cit.*, p. 65.

القديس يعقوب إلاَّ ثلاث فقط تشترك معها وهي ''مغفرة الخطايا، حياة أبدية، وتجديد الجسد والروح''.

ويمكن القول بحسب المقارنة العامة أن الاستدعاء المطوَّل والمتطور في أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي والطقس البيزنطي) يأخذ نفس البناء والتركيب الموجود في ليتورجية القديس يعقوب(23)، مع مفارقات جانبية طفيفة. إنما التوسعات اللاهوتية في أوصاف الروح القدس والتوسعات الروحية في أوصاف فوائد التناول تكاد تسير على نفس النمط الواحد الذي سارت عليه ليتورجيا القديس يعقوب وهي تتمشَّى مع لاهوت القرن الرابع وما بعده، وكما يقرر ليتزمان فإن النص الأصلي للاستدعاء في ليتورجية القديس يعقوب هو مأخوذ من ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس)(24).

أمَّا أهم النصوص المشتركة بين ليتورجية القديس يعقوب(25) والنص القبطي لأنافورا القديس مرقس (الكيرلسي) فتتلخَّص في:

(أ) وصف الروح القدس بكلمة (باناجيون Pan£gion = كُلي القدس) من ليتورجية القديس يعقوب الطقس البيزنطي، مع أنها في الطقس السرياني جاءت (قدوس ¤gion) فقط.

(ب) وبكلمة ''المحيي'' وكلمة sÚnqronon أي ''الكائن واحداً معك على كرسيك'' وخطأ فادح أن يُقال ''شريك''.

(ج) وكلمة ''المساوي لك'' و''الناطق في الناموس والأنبياء''.

(د) أمَّا إضافة ''والناطق'' **في العهد الجديد** ... في ليتورجية القديس يعقوب، يقابلها في ليتورجية القديس مرقس ''الناطق **في الرسل**''.

(هـ) وكلمة ''ابنك الوحيد''.

(و) عبارة "**علينا**" بالإضافة إلى ''وعلى هذه القرابين''.

(ز) كذلك عبارة "**الموضوعة أمامك**"، ولكن صححتها أنافورا القديس مرقس القبطية وجعلتها ''**السابق** وضعها أمامك''.

(ح) أخذت أنافورا القديس مرقس الطقس القبطي مرد الشعب "**آمين**" بعد: ''على الخبز''

(23) Coquin, *op. cit.*, p. 351.

(24) Lietzmann, *op. cit.*, p. 59.

(25) يُلاحَظ أن النسخة اليونانية (البيزنطية) لليتورجية القديس يعقوب الرسول هي الأكثر توسعاً من النسخ الأرمنية والسريانية. والمعروف أن أنافورا القديس مرقس الرسول أخذت من نسخ أقدم لليتورجية القديس يعقوب وأقل تطوراً وتوسعاً.(Coquin, *op. cit.*, 351.)

و"**آمين**" بعد: ''على الكأس''. بالإضافة إلى ''آمين'' ثالثة بعد: ''ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح''. وهو موضوعها الأصلي الوحيد.

من جهة منافع الروح المشتركة، توجد ثلاثة فقط مشتركة بينهما: مغفرة الخطايا، وحياة أبدية، وتقديساً للأجساد و''الأرواح''.

وفي ختام هذه المقارنة ينبِّه ذهننا العالِم ''إدموند بيشوب'' بقوله:

[إذ بينما النص الحالي لأنافورا القديس مرقس يحمل في طياته بقايا مدفونة هي على أعظم درجة من القيمة الأثرية لليتورجيا الإسكندرانية أي المصرية، إلاَّ أن هذه العناصر قد غطتها عناصر أخرى غريبة هي بالأساس من طقس أورشليم (ليتورجية القديس يعقوب الرسول)، إمَّا منقولة كلمة بكلمة أو مشغولة بصورة لغوية عامة. هذا بالإضافة إلى عنصر ثالث هو محاولة صياغة التركيب بصورة بلاغية بيد معلِّم متفتح.][26]

ثانياً: مقارنة الاستدعاء الأخير للروح القدس

بين نسخة القديس مرقس ـ "رقوق مانشستر" (القرن السادس)

مع نص أنافورا القديس مرقس "القبطي البحيري" (القرن الثالث عشر):

بمجرد إلقاء نظرة على الجدول السابق، يتبين للقارئ بوضوح ماذا كانت عليه أنافورا القديس مرقس قبل القرن السادس، حيث يظهر التطور الكبير الذي حدث للاستدعاء الأخير:

(أ) مقابل رقم (1) نجد أن موضوع طلب الإرسال (الاستدعاء) الذي أخذ سطرين في مخطوطة القرن الثالث عشر، لم يزد في مخطوطة مانشستر (القرن الخامس أو السادس) عن مجرد كلمتين: "**لكي ترسل**"!

(**ب**) مقابل رقم (2) وهو الجزء الخاص بأوصاف الروح الذي استغرق خمسين كلمة في مخطوطة القرن الثالث عشر، لم يزد عن كلمتين أيضاً في رقوق مانشستر بواقعية صادقة مذهلة للعقل "**روحك القدوس**".

(ج) مقابل رقم (3) وهو الجزء الخاص بكيفية الحلول على القرابين، نجد أن رقوق مانشستر تلتزم الواقعية باختصار دون إضافة "**مما لك**" التي إن سبقت نفس المخطوطة وذكرتها في ''التذكار'' (انظر جدول صفحة 675). ولكن تعود وتدقق في ذكر [السابق وضعها أمامك]، لأن الاستدعاء هنا في اعتبار الأنافورا ليس جديداً.

(26) Edmond Bishop, *JTS*, X, (1909), p. 592f., cited by Lietzmann, *op. cit.*, p. 64.

ولكن يسترعي انتباهنا جداً أن رقوق مانشستر لا تذكر بأي تحديد كان فعل الروح القدس في القرابين، فلا تنسب للروح القدس أي شيء عن "**التقديس او الانتقال**"[27] مثل أنافورا مخطوطة القرن الثالث عشر. كما يُلاحَظ هنا أن رقوق مانشستر توضح لنا أول مكان لمرد الشعب "**آمين**" بعد ذكر ''الجسد والدم الذين لربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح'' مرة واحدة الذي صار بعد ذلك ثلاث مردات "**آمين**" بعد ذكر ''الجسد''، وبعد ذكر ''الدم''، وبعد ذكر ''الذي لربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح''.

(**د**) مقابل رقم (4) وهو الجزء الخاص بفعل الروح القدس في الخبز والخمر، لا نجد رقوق مانشستر تذكر أي فعل للروح القدس بل تنسب الفعل كلية ومباشرة للآب: [**ولتجعل** (**أنت**)[28] هذا الخبز جسداً مقدَّساً للمسيح وهذه الكأس دماً للعهد الجديد الذي لربنا...]، حيث يكون عمل الروح القدس **هنا هو دور الوساطة**[29].

وهذا ما نجده تماماً في ليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم (وهي التي تحاول دائماً مثل رقوق مانشستر أن تلتزم الاختصار والواقعية والرجوع إلى النصوص الأقدم) إذ تقول مُخاطبةً الآب: [واجعل (أنت) هذا الخبز جسد مسيحك المكرَّم وأمَّا ما في هذه الكأس فدم مسيحك المكرَّم]. ولكي يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم على أن دور الروح القدس هو للوساطة، يكمِّل قائلاً: [محوِّلاً metabalèn إياهما بروحك القدوس**!**] (الخولاجي المطبوع).

وفي نسخة البربريني (القرن الثامن) تكررها ليتورجيا يوحنا ذهبي الفم مرتين مرة على الخبز ومرة على الكأس[30]. ويعلِّق ليتزمان على ذلك قائلاً:

[وكما هو منتظر فإن ليتورجية ذهبي الفم هنا تظهر ملتزمة بنص بدائي قديم كما هو واضح في كل ملامح هذا التذكار حيث تعكس لنا نفس لغة قوانين الرسل (كليمندس).][31]

وهذا يوضِّح لنا أنَّه حتى إلى القرن الرابع لم يكن قد استقر تماماً في الليتورجيا دور الروح القدس المباشر ـ في (تحوُّل) الخبز إلى جسد والخمر إلى دم ـ كأقنوم قائم بمفرده. وهذه الشهادة من

(27) Coquin, *op. cit.*, p. 352.
(28) *Ibid*., Gr. text., *op. cit.*, pp. 343-347.
(29) *Ibid*.
(30) Lietzmann, *op. cit.*, p. 57.
(31) *Ibid*.

ليتورجية يوحنا ذهبي الفم التي لا تزال تُمارس في كنائس اليونان والروم بنفس هذه الصيغة حتى اليوم تؤكد لنا حقيقة الخطوات التي مرت عليها الأنافورا في تحديد دور الروح القدس من جهة تقديس وتحويل الخبز والخمر.

ونجدها هنا فرصة لكي نطلع القارئ على عقيدة عمل الروح القدس في الإفخارستيا في أيام يوحنا ذهبي الفم وقد جاء ذلك على لسان صديقه ثيؤذور أسقف مبسوستيا (المصيصا) ونحن هنا ننقل الكلام على لسان العالِم دكس:

[من الواضح أن ثيؤدور **يعتبر الخبز والخمر بمعنى ما جسداً ودماً للمسيح منذ لحظة وضعهما على المذبح عند التقديم حيث يكونان في هذه الحالة "مخيفين": "رب حقيقي قدوس" ويعاملان "بتكريم عبادي" و "بسكوت وخوف" وهذا كله في الواقع قبل أن تبدأ الإفخارستيا (الإشارة هنا واضحة إلى إفخارستية تقديم الحمل)**. غير أن ثيؤذور يحتسب السر في هذه المرحلة هو قائم في "**الجسد المائت**" الذي للمسيح مكفن على المذبح، ثم باستدعاء الروح القدس تتم القيامة في الإفخارستيا.

ولكن تعليقنا الذي يلزم أن نقوله على هذا الشرح (الكلام هنا للعالِم دكس) هو أن الاصطلاحات التي يذكرها ثيؤذور نفسه عن الاستدعاء لا تحوي أي أثر يشير إلى هذا الشرح الذي قدَّمه ثيؤذور. فالمواد التي يذكرها في الاستدعاء يسميها "**خبز وخمر**" وليس "**جسداً مائتاً**" كما يشرح بعد ذلك، وعندما يستدعي الروح القدس عليهما فلكي يجعلهما "**يظهران جسداً حقيقياً ودماً حقيقياً**" وليس لكي يبعث فيهما القيامة.][32]

والذي يوضح لنا بالأكثر طقس الإسكندرية من جهة تحديد عمل الروح القدس في الاستدعاء في القرن الرابع هو نسخة الأنافورا الباسيلي (المصرية) المخطوطة باللهجة الصعيدية التي من أوائل القرن الرابع ـ فهو أقدم بالطبع من الاستدعاء الوارد في رقوق مانشستر ـ حيث يأتي فيها الاستدعاء هكذا: [أرسل روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة **ليقدسها ويظهرها قدساً لقديسيك**][33] **فقط**. ولا يأتي في هذه الأنافورا أي ذكر للتحويل. في

(32) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 284.

(33) E. Lanne, cited by Coquin, *op. cit.*, pp. 349, 350.

يُلاحَظ أن هذا النص هو الجزء الأول بحروفه من الاستدعاء الموجود في ليتورجية القديس باسيليوس (البيزنطية – خولاجي البربريني) ـ ولكن أضيف إليه الجزء الباقي من جهة جعل الخبز جسداً والخمر دماً. انظر: Coquin, *op. cit.*, p. 350.

حين أنه في نسخة مصرية أخرى من هذه الأنافورا ولكن أكثر حداثة (وهي النسخة رقم 325 في المخطوطات اليونانية المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس)[34]، نجد أن هذا الاستدعاء اتسع وشمل عقيدة عمل الروح القدس في "**جعل**" الخبز جسداً والخمر دماً. وهذا يوضح لنا النمو الذي حدث في القرن الرابع وما بعده من جهة فاعلية الروح القدس بمفرده في الاستدعاء الأخير على القرابين "السابق وضعها".

(**هـ**) مقابل رقم (5): وهو الجزء الخاص بالمنافع الروحية للتناول، نجده يأتي مختصراً وواضحاً في رقوق مانشستر، ومنه تظهر محاولات إضافة صفة لكل صفة في نسخة القرن الثالث عشر. فبدل "الإيمان" يصير "إيماناً بغير فحص" وهكذا ... ولكن الذي يسترعي انتباهنا جداً هو صفة "**الثبات**" التي تضيفها نسخة القرن الثالث عشر إلى الرجاء. فهذه الصفة ذات قدم سحيق وهي واردة بصورة ما في كل الليتورجيات القديمة في هيبوليتس وقوانين الرسل والقديس يعقوب. وهي إما ثبات للمؤمنين أو ثبات إيمان أو ثبات رجاء. كذلك نجد أن إحدى المنافع المطلوبة في رقوق مانشستر هي "**ولاستحقاق اسمك القدوس**". وهذه في الواقع صفة ذات معنى وأهمية وهي واردة في ليتورجية قوانين الرسل إنما بصورة أكثر تطوراً فهي تأتي هكذا "**ويصيرون مستحقين لمسيحك**". وقد حولتها أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) في النسخة الحديثة (القرن الثالث عشر) إلى "**ومجداً** لاسمك القدوس" بدل "**لاستحقاق** اسمك القدوس" التي تعود على المتناول نفسه، أي يأخذ من الجسد والدم قوة تجعله مستحقاً لأن يُدعى عليه اسم المسيح. أمَّا "**المجد** لاسمك القدوس" فهي تخص تمجيد اسم الآب، وهذه نفسها جاءت مرة أخرى مكررة في الجملة التي تليها، فظهر ضعف مناسبتها هنا.

(و) **الذوكصا الختامية:**

يلزمنا هنا في البداية تكميل الجدول المذكور في الصفحات السابقة وما بعدها بخصوص الاستدعاء، بإضافة الذوكصا الختامية الواردة في بردية دير البلايزه لأهميتها:

[لنا نحن عبيدك، امنحنا قوة الروح القدوس لتشديد ونمو إيماننا، ولرجاء الحياة الأبدية الآتية **بواسطة ربنا يسوع المسيح الذي معه لك أيها الآب المجد مع الروح القدس إلى الأبد**

(34) *Ibid*.

آمين.](35)

وفي الواقع نجد أن هذه الذوكصا الختامية لبردية دير البلايزه أكثر من جميع الذكصولوجيات الختامية التي للنسخ الأخرى لأنافورا القديس مرقس الرسول قرباً وأصالة للطقس القبطي. ولو أن كوكن يؤكد أن ذكصولوجية الختام الأصلية والأُولى لابد وأنها كانت أجمل، حيث كانت تذكر دائماً ‘‘**في** الروح القدس’’(36).

ويُلاحَظ أن ذكصولوجية ختام بردية دير البلايزه أكثر تشابهاً ومطابقة في أجزاء منها لذكصولوجية ختام التقليد الرسولي لهيبوليتس.

أمَّا نواة الذوكصا الختامية للإفخارستيا على الإطلاق، كما وجدت في النصوص الأُولى فهي الديداخي حيث تأتي: [لأن لك المجد إلى الأبد (إلى الدهور)]، ولكن في نسخة أخرى للديداخي تأتي متطورة نوعاً ما: [لأن لك المجد والقوة في المسيح يسوع إلى الأبد (إلى الدهور).](37)

وهنا يلزمنا أن نسجِّل قولاً هاماً جداً في هذه المناسبة لأوريجانوس حيث يكشف لنا عن صورة الذوكصا الختامية المصرية الصميمة بكل وضوح ودقة: [وكما بدأنا الصلاة بتمجيد الله فمن المناسب أن نختمها بتمجيد وتسبيح هكذا: ‘‘نمجِّد الآب بالمسيح يسوع في الروح القدس’’](38). وقد أخذها عنه القديس باسيليوس وأدخلها في الليتورجيات البيزنطية ومنه إلى الليتورجيا السريانية. وهذه الصيغة المصرية الصميمة يتمسك بها القديس كيرلس عمود الدين بشدة. لذلك فإن غياب هذه الذوكصا الختامية المصرية الصميمة من النسخ الأُولى لأنافورا القديس مرقس الرسول مثل بردية دير البلايزه وكل النسخ الأخرى بعد ذلك، يجعلنا نشعر بأن التأثيرات السريانية على الأنافورا المصرية بدأت مبكرة للأسف وظلت بكامل ثقلها، حيث كان كل همّ اللاهوت السرياني هو وضع الثلاثة أقانيم على مستوى واحد في كل شيء وفي كل موقف، الذي أخذت عنه مصر بدون اعتبار لتقليدها الأصيل في تنوع الفعل بين الثلاثة أقانيم!!

إن رقوق مانشستر تجمع أوصاف اسم الله بوضوح، ولكن لا تذكر الروح القدس مع المسيح في

(35) C.H. Roberts & Capelle, *An Early Euchologium. The Der Balizeh pap.*, cited & transl. by Louis Bouyer, *op. cit.*, p. 202.

(36) Coquin, *op. cit.*, p. 353.

(37) Baumstark, *Comp. Lit.*, p. 67.

(38) راجع صفحة 462.

التمجيد شأنها في ذلك شأن الديداخي فصل 9، وكذلك رسالة أفسس 21:3. وهي في ذلك تعتمد على أن قبول الروح القدس هو الذي سيكون عاملاً فينا لتسبيح ولتمجيد اسم الله مع المسيح، (وهذا وارد في مقدمة الإفخارستيا لسيرابيون) فالروح القدس هنا (في صيغة رقوق مانشستر) هو في موضع الفاعل في التمجيد وليس في موضع المفعول به.

وتعود رقوق مانشستر وتذكر في نهاية الاستدعاء ''غفران الخطايا'' كهدف نهائي لعمل الروح القدس بتمجيد اسم الله الآب مع المسيح.

(ز) **المرد: أساس مرد الشعب الوارد في نهاية الاستدعاء في انافورا القديس مرقس:**
مقابل رقم (7): نُلاحِظ في آخر الجدول السابق أن مرد الشعب [كما كان هكذا يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور "**آمين**"] أنه يأتي أصلاً في الأنافورا الملكاني للقديس مرقس كمرد ختامي للاستدعاء، وبالتالي كمرد ختامي للأنافورا بجملتها حيث بالاستدعاء الأخير تكون قد انتهت كل أفعال وأقوال التقديس، وخاصة أن المرد ينتهي بكلمة "**آمين**" التي كانت تعتبر ذات وزن عال جداً في تقليد الإفخارستيا الأول، حيث كانت تعتبر كشركة تامة ومساوية لكل ما قاله الأسقف أو الكاهن، فهنا ''آمين'' هي الموافقة الكاملة والشركة الفعلية في الاستدعاء الأخير. ويُلاحَظ أن هذا المرد جاء بهذا الوضع والمعنى تماماً في نهاية أنافورا سيرابيون.

كذلك نُلاحظ أن نهاية الاستدعاء في كافة الليتورجيات المذكورة في الجدول أمام رقم (6) ـ تنتهي بفعل ''تسبيح'' وتسلمه لفم الشعب لكي يبدأ بالتسبيح الأخير الذي يُلازم نهاية الليتورجيا كلها قبل الانصراف.

وهذا التسبيح واضح غاية الوضوح بصورته المختصرة في ليتورجية هيبوليتس: **[لكي نستطيع أن نسبِّحك ونمجدك]**.

وهنا تنتهي الليتورجيا ويبدأ الشعب في التسبيح، كذلك في رقوق مانشستر ينتهي الاستدعاء بصيغة تسبيحية [لكي بهذا أيضاً كما في كل شيء **يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم القدوس الكلي** المجد]. أمَّا نسخة الملكانيين فتضيف على نفس هذه الخاتمة التسبيحية إضافة لتأكيد التسبيح [... ويُسبَّح اسمك].

ولكن هذا المرد نفسه الذي هو أصلاً مرد على هذه الخاتمة التسبيحية نجد أصوله الأُولى

واردة في ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس، إذ ينتهي الاستدعاء بفم الكاهن أمام رقم (7) هكذا: [...بابنك المحبوب يسوع المسيح الذي به لك المجد والكرامة في كنيستك المقدسة الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين] ـ هذه الخاتمة نجدها بنصها في الديداخي ـ فصل 9. وهذا في الواقع مأخوذ بنصه من رسالة أفسس حيث يأتي هكذا: ''**له المجد، في الكنيسة** في المسيح يسوع **إلى جميع الأجيال لدهر الدهور آمين**'' (أف 3:21). هذا أخذته أنافورا القديس مرقس وجعلته مرداً **للكنيسة** هكذا [كما كان (لك المجد والكرامة في كنيستك) وهكذا يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور آمين]. ويُلاحَظ أن **اسم "كان"** هنا يأتي ـ في اللغة اليونانية ـ في شكل ضمير العاقل الغائب = كما كان "**هو**" أي "**الله**".

ولكن لم تستطع أنافورا القديس مرقس الطقس القبطي أن تُبقي هذا المرد الختامي في هذا الموضع لئلا تنتهي الأنافورا، ولا يزال أمامها طقس القسمة، الذي جعلته الكنيسة القبطية ـ دون كافة الكنائس ـ بعد الاستدعاء مباشرة وبصلاة رسمية خاصة! لذلك رفعت هذا المرد الختامي من مكانه وقدمته قبل الخاتمة التسبيحية ثم ضمت الخاتمة التسبيحية على مدخل صلاة القسمة، فظهر المرد للأسف كأنه مرد خاص بـ''غفران الخطايا'' لأن هذا هو آخر ما يقوله الكاهن في هذا الموضع قبل المرد. ونفس الشيء حدث في أنافورا القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس الطقس القبطي، حيث يأتي هذا المرد بعد المجمع (ذكر الأموات)، فظهر للأسف وكأنه مرد خاص بالموتى! فبدأ الشعب يرنمونه بصوت حزين! مع أنه مرد ختامي تسبيحي بالدرجة الأُولى يختص بتمجيد الله نفسه بواسطة المسيح في كنيسته من جيل إلى جيل، كما هو وارد في أنافورا سيرابيون، ومجيئه بعد المجمع (ذكر الأموات) لا ينطبق ـ معنى ولغة ـ لأن المرد يختص بواحد "**شخص عاقل**" هو الله ''كما كان كذلك يكون''، فعلى أي شخص من المذكورين في المجمع ينطبق هذا القول؟ ثم إذا كان الموقف موقف موت فكيف يكون المرد ''كما كان كذلك يكون ...''؟ أمَّا كيف جاء هذا المرد في هذا الوضع في أنافورا القديس باسيليوس فسوف نعود إليه عند شرح هذه الأنافورا. ولكن المطلوب الآن كتصحيح للموقف أن لا يُقال بلحن حزايني.

التقليد الرسولي لهيبوليتس(39)	**ليتورجية قوانين الرسل ـ الكتاب الثامن (المدعو ليتورجية كليمندس)**(40)

(39) Lietzmann, *op. cit.*, p. 65,66.
(40) *Ibid*. p. 56.

ونحن نتوسل إليك،	ونحن نتوسل إليك، أن تتطلع برحمتك على هذه القرابين الموضوعة أمامك لأنك أنت يا الله الذي تقف غير محتاج إلى شيء من تقدماتنا. اقبلها إليك كرامة لمسيحك.
لكي ترسل روحك القدوس	وأرسل إلى أسفل، روحك القدوس الشاهد لآلام المسيح،
على هذه الذبيحة التي لكنيستك المقدسة	على هذه الذبيحة
لكي تجمع وتوحِّد (معك) كل المتناولين منها.	لكي يظهر هذا الخبز ليكون جسد مسيحك، والكأس ليكون دم مسيحك لكي كل المتناولين منه يتشددوا للتقوى ويفوزوا بغفران الخطايا، وينقذوا من الشيطان وخبثه
حتى يمتلئوا بالروح القدس (الذي يثبت إيمانهم في الحق).	وليمتلئوا من الروح القدس (ويصيروا مستحقين لمسيحك)
لكي نستطيع أن نسبحك ونمجدك بابنك المحبوب يسوع المسيح.	ويفوزوا بالحياة الأبدية بمصالحتك لهم أيها الرب القادر على كل شيء.

يُلاحَظ في هذا الجدول بداية الانتقال من مجرد استدعاء الروح القدس على الذبيحة في هيبوليتس بقصد إعطائها أو ملئها بالمواهب حتى تنتقل هذه المواهب إلى كل المتناولين منها إلى استدعاء لدرجة أكثر تقدماً وهي "**لإظهار**" الخبز أن يكون جسداً **وإظهار** الكأس أن يكون دماً، وهي الدرجة الأُولى التي بدأت في الاستدعاء من جهة تأثير الروح القدس في المواد. ولكن هذا الاتجاه الطقسي اللاهوتي ليس جديداً ــ أي ليس من القرن الرابع ــ فنحن نقرأ عنه عند إيرينيئوس فهو يقول بالحرف الواحد:

[لكي يظهر Ópwj ¢pof»nV (أو يعلن) هذه الذبيحة وهذا الخبز جسداً للمسيح والكأس دماً للمسيح لكي المتناولون منه ...][41]

(41) Irenaeus, *Fragment XXXVII*, ANF, I, p. 574; Gr. Text in ANF, VII, p. 507.

وواضح بحسب رأي الأسقف وليم أسقف كونيكتيكت[42] وبحسب أبحاث هاموند[43] أن كلاً من إيرينيئوس وكاتب ليتورجية قوانين الرسل أخذ هذا المبدأ ـ أي مبدأ فعل الروح القدس المحصور في استعلان أو في إظهار الذبيحة التي تقدست سابقاً، يظهر خبزها جسداً للمسيح وكأسها دماً للمسيح ـ من مصدر واحد آخر أقدم منهما كليهما.

ويُلاحَظ أن كلمة ¢pof»nV "**أظهـر**" هـذا الخبـز ليكـون جسـداً هـي بدايـة مفهـوم "**انقـل**" metapoi»sV = **oⲩoⲑⲃoⲩ** هـذا الخبز ليكون جسـداً بحسب الطقـس القبطـي، أو "**حـول**" هـذا الخبز ليكون جسداً حسب الطقس السرياني القبطي.

ثالثاً: مقارنة التذكار في ليتورجية التقليـد الرسـولي لهيبوليتـس
مع نص القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي البحيري):

بالنظر إلى الجدول السابق يتبين لنا أن التذكار في التقليد الرسولي لهيبوليتس (160 ـ 258م) هو في الحقيقة وبلا جدال النواة الأُولى التي انبثقت منها وعنها كل التذكارات في النسخ المتطورة، وهو يكشف أمامنا كل منابع هذا الاستدعاء ببساطتها الأُولى. ولو أن ريتشاردسن في تعليقاته على ليتزمان يرى أن [ليتورجية هيبوليتس حدث لها مراجعة بعد كتابتها ـ أي بعد زمن هيبوليتس (بداية القرن الثالث) ـ وتعدَّل فيها هذا الاستدعاء ليشمل الروح القدس بدل ''اللوغوس'' لأن اللوغوس كان هو عامل التقديس الوحيد في كل زمن هيبوليتس، كما تتفق في ذلك جميع النصوص الواردة في هذه الحقبة الزمانية (انظر تقرير إدموند بيشوب ـ صفحة 703). وكذلك يدلل ريتشاردسن على ذلك أيضاً بأن الأسلوب اللاهوتي المكتوب به مقدمة الإفخارستيا لهيبوليتس هو أسلوب القرن الرابع بلا شك ويحمل صورة للصراع اللاهوتي وبداية وضع صيغة لقانون الإيمان. ويحشر فيه عمل الروح القدس: ''(المسيح) الذي هو كلمتك غير المفترق الذي خلقت الكل به وفيه كانت مسرتك الذي أرسلته من السماء إلى بطن العذراء والذي حملته في أحشائها قد صار جسداً الذي هو ابنك المولود من الروح القدس ومن العذراء''. والذي قام بتنقيح وإعادة ليتورجيا هيبوليتس حرص هنا على أن يوضح عمل الثالوث في التجسُّد ويبرز دور الروح القدس خاصة ـ حسب فكر القرن الرابع، تمهيداً لأن يطبق نفس عمل الثالوث داخل الإفخارستيا.

وهكذا يعتقد ريتشاردسن أن استدعاء الروح القدس في هيبوليتس هو نتيجة مراجعة دقيقة تمت في القرن الرابع، وقد امتدت بلا شك إلى كل تركيب الليتورجيا، حاملة معها تيارات العصر فيما

(42) Dr, Williams, Bishop of Connecticut, cited in ANF, VII, 507.
(43) Hammond, Fragment of an Ancient East-Syrian Liturgy, Oxford, 1879.

يختص بوصف أقنوم الروح القدس وعمله، والتأكيد على رواية الميلاد التي جاءت في إنجيل لوقا: «الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللكِ» (لو 35:1)، واستخلاص الصيغة القانونية منها ''مولود من الروح القدس ومن العذراء'' الذي هو من مميزات لاهوت القرن الرابع(44).

وبذلك نجد أن ريتشاردسن على حق في اعتباره أن استدعاء الروح القدس الوارد في الليتورجية المنسوبة إلى هيبوليتس هو مراجعة من القرن الرابع بقصد أن يصير ''التقليد الرسولي'' على مستوى عقيدة العصر بالنسبة للثالوث وعمله في التجسُّد.

ولكن ريتشاردسن يستطرد ويقول:

[بالرغم من استدعاء الروح القدس هكذا صار جزءاً أصيلاً من الليتورجية التي وصلتنا عن هيبوليتس ـ والتي لا يمكن احتسابها إلاَّ من مدونات بداية القرن الرابع ـ فهو ليس استدعاءً بالمعنى الطقسي الدقيق لأنه لا يصلى من أجل ''تحوُّل'' يحدث لمواد الإفخارستيا، ولكن من أجل إرسال الروح القدس ـ "**على الذبيحة**" ـ لكي يمتلئ المتناولون منها بالروح كهدف للإفخارستيا.](45)

كذلك يرى ريتشاردسن(46) أن النصوص الواردة إلينا ـ في الدسقولية ـ في هذه الحقبة الزمانية تكشف لنا عن بداية دخول الروح القدس داخل الإفخارستيا كعامل فعَّال، ففي إحدى الفقرات توجه الدسقولية الكلام للمتناولين هكذا:

[إن الصلاة تُسمع وتُستجاب بالروح القدس، والإفخارستيا بواسطة الروح القدس تُسمع وتَتَقدَّس.](47)

ولكن يأتي ليتزمان وينبِّه ذهننا إلى أن الاستدعاء برمته ـ عند هيبوليتس ـ يحمل "**صفات مصرية**" صميمة تشوبها بعض العناصر السريانية(48):

أولاً: فهو يذكر هنا قبل حلول الروح القدس صفة للقرابين أنها "**ذبيحة**" وهذا ما تقوله أنافورا القديس مرقس الطقس القبطي في الاستدعاء قبل التأسيس وما تقول به أنافورا سيرابيون أيضاً.

(44) Richardson, *op. cit.*, p. 435 ff.
(45) *Ibid.*, p. 439.
(46) *Ibid.*, p. 440.
(47) *Didascal. Apost.*, ed. R.H. Connolly, p. 244.
(48) Lietzmann, *op. cit.*, p. 67.

ثانياً: كذلك فإن الاستدعاء المصري الذي يأتي قبل التأسيس يخلو من ذكر تحوُّل المواد، وقد حافظت على هذا الاتجاه ليتورجية هيبوليتس أيضاً في استدعائها هذا (الوحيد).

ثالثاً: إن أهم صفة تميز الاستدعاء المصري الذي يأتي قبل التأسيس بصورة خاصة ومؤكدة، هي كلمة الاتصال المشهورة "**املأ**"، وهنا في هيبوليتس نجده يضعها كهدف أساسي من الاستدعاء، وقد أخذتها حرفياً ليتورجية قوانين الرسل (كليمندس) ـ انظر الجدول السابق.

فالآن لو طبقنا تحقيقات ريتشاردسن على تحقيقات ليتزمان بخصوص استدعاء الروح القدس في ليتورجية تقليد الرسل لهيبوليتس، تظهر أمامنا بلا شك أن هذا التعديل الذي تم على استدعاء الروح القدس (بعد التأسيس) ونقله إلى موضعه الجديد هذا وبهذه الألفاظ والاتجاهات اللاهوتية والعقائدية والطقسية، إنما تم في مصر ولكن تحت تأثيرات سريانية. وبذلك أصبح أحد المصادر الأساسية التي بدأت تتطور على هداه الليتورجية القبطية، والذي بمقتضاه تم وضع استدعاء جديد فيه يكون بعد التأسيس (حسب الطقس السرياني)، كما جاء في أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) مع الاحتفاظ بالاستدعاء الذي جاء قبل التأسيس.

وهنا يلزمنا مرة أخرى أن نضع أمام القارئ جدول مقارنة بين الاستدعاء قبل التأسيس والاستدعاء بعد التأسيس كما جاء في أنافورا القديس مرقس (انظر صفحة 692). ولكن بعد رفع الصفات المزادة للروح القدس التي أُضيفت على الروح القدس في الاستدعاء الثاني:

الاستدعاء قبل التأسيس	الاستدعاء بعد التأسيس
بحلول روحك القدوس عليها	وأَرسل ... روحك القدوس علينا وعلى هذه القرابين
بالبركة بارك وبالتقديس قدِّس	لكي يتطهرا (يتقدسا) وينتقلا
قرابينك هذه المكرمة	القرابين التي لك المكرمة.
المبدوء بوضعها أمامك	السابق وضعها أمامك.

وهكذا يظهر بكل وضوح أن هنا عملية تكرار تمت بنقل صورة نفس الاستدعاء ووضعها بعد التأسيس إنما بإضافة العقيدة الجديدة، حيث يزداد هنا الاستدعاء بعد التأسيس ليشمل جعل الخبز جسداً مقدساً للمسيح والكأس دماً كريماً للمسيح، كما هو مأخوذ عن تعديل النص السرياني.

ي	رقوق مانشستر	القديس مرقس نسخة الملكانيين (البيزنطي)	القديس مرقس (النسخة القبطية البحيرية)
ـك،	(**1**) ونتضرع إليك لكي ترسل،	(**1**) ونتضرع ونتوسل إليك يا محب البشر الصالح أرسل إلى أسفل من علوك المقدس ومن مسكنك الذي أعددته ومن حضنك غير المحصور	(**1**) وأرسل إلى أسفل من علوك المقدَّس ومن مسكنك الذي أعددته ومن حضنك غير المحصور ومن كرسي مملكة مجدك
	(**2**) روحك القدوس،	(**2**) الباراكليت **نفسه** روح الحق القدوس الرب المحيي الناطق في الناموس والأنبياء والرسل، الحال في كل مكان والمالئ الكل الفاعل التقديس على الذين اختارهم كمسرتك بسطان وليس كالخدم، البسيط في طبيعته الكثير الأنواع في فعله، ينبوع النعم الإلهية، المساوي لك، المنبثق منك، الكائن معك على كرسي مملكة مجدك ومع ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح.	(**2**) الباراكليت روحك القدوس الكائن بالأقنوم (نفسه) غير المستحيل ولا المتغيِّر، الرب المحيي، الناطق في الناموس والأنبياء والرسل[49]. الحال في كل مكان ولا يحويه مكان، الفاعل الطهر على الذين أحبهم بمسرتك بسلطان وليس كالخادم، البسيط في طبيعته الكثير الأنواع في فعله، ينبوع النعم الإلهية المساوي لك، المنبثق منك، الكائن معك على كرسي مملكة مجدك ومع ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح.
ـسة	(**3**) على هذه القرابين السابق وضعها أمامك على هذا الخبز وعلى هذه الكأس	(**3**) علينا أيضاً على هذه الخبزات وعلى هذه الكأسات لكي روحك القدوس بقوته الكلية ولاهوته يقدسها ويكملها	(**3**) علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين التي لك المكرمة السابق وضعها أمامك وعلى هذا الخبز، وعلى هذه الكأس لكي يتطهرا وينتقلا
			الشماس: ننصت: الشعب آمين
	(**4**) ولتجعل (أنت) هذا الخبز جسداً مقدساً للمسيح وهذه الكأس دماً للعهد الجديد الذي لربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح آمين	(**4**) ويجعل هذا الخبز جسداً وهذه الكأس دماً للعهد الجديد الذي لربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح. **(الشمامسة ينزلون)!**	(**4**) وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح ـ هذا هو بالحقيقة آمين. وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له ـ آمين. ربنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح آمين
ـحـد اولين لروح	(**5**) لكي يكون لنا نحن جميع الآخذين منه إيماناً، تعففاً، شفاءً ومسرة.	(**5**) لكي يكون لنا نحن جميع الآخذين منه إيماناً، تعففاً، شفاءً، صبراً، قداسةً،	(**5**) لكي يكون لنا نحن جميع الآخذين منهما إيماناً بغير فحص، محبة بغير مراءاة صبراً كاملاً ورجاء ثابتاً

(49) «كما أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح.» (أف 5:3)

ـت	وتجديداً للنفس والجسد والروح وشركة الحياة الأبدية ـ وصبراً ـ ولاستحقاق اسمك القدوس عدم فساد وغفران الخطايا.	وتجديداً للنفس والجسد والروح ومجداً لاسمك القدوس ومشاركة سعادة الحياة الأبدية وعدم فساد، وغفران للخطايا.	وإيماناً وحراسة، وعافية وفرحاً، وتجديداً للنفس والروح ومجداً لاسمك القدوس ومشاركة سعادة الأبدية وعدم فساد، وغفراناً للخطايا.
ع أن سوع ـلك لآب ـروح ستك	(**6**) **الذكصا** لكي بهذا أيضاً كما في كل شيء يتمجد ويرتفع ويتبارك اسمك القدوس الكريم الكلي المجد مع يسوع المسيح لغفران الخطايا	(**6**) **الذكصا** لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجد ويسبح اسمك الكلي القدوس الكريم والممجد دائماً مع يسوع المسيح والروح القدس	(**7**) **المرد:** الشعب: [كما كان كذلك يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور] (6) لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجد ويرتفع اسمك العظيم القدوس في كل شيء، كريم ومبارك مع يسوع المسيح ابنك الحبيب والروح القدس
وإلى		(**7**) الشعب: [كما كان وهكذا يكون من جيل إلى جيل وإلى دهر الدهور آمين].	

ملاحظات على الجدول السابق:

(أ) الباراكليت روحك القدوس "**الكائن بالأقنوم**" = الأصل اليوناني: الباراكليت ـ "**نفسه**" أي: أرسل الروح القدس أقنومياً، أو بشخصه، أو بذاته، وليس كنعمة أو كقوة صادرة عنه.

(ب) كلمة الطهر والطهارة (لكي يتطهرا)، أصلها اليوناني ''القداسة'' وهي أوضح وأليق لاهوتياً وأسهل في المعنى.

(ج) كلمة "**انقلهما**" أو ''لكي ينتقلا'' التي تأتي في كل النسخ القبطية هكذا: أنقلهما **ⲟⲩⲟⲑⲃⲟⲩ**، ولكي ينتقلا **Ⲛ̄ⲧⲟⲩⲟⲩⲱⲧⲉⲃ** هي أصلاً باليونانية metapoi»sV ومعناها ''اصنعهما (أخلقهما) من جديد'' أو ''شكلهما من جديد'' (وهذا المفهوم القبطي هو أروع وأعمق مقابل وأصدق من التعبير البيزنطي الذي يقول بتحويلهما). أمَّا الكلمة التي تقع مقابل هذا الاصطلاح عند الملكانيين فواضح أنها "**كملهما**" وهو نفس الاصطلاح الوارد في ليتورجية عهد ربنا.

(د) يُلاحَظ أن نسخة الملكانيين استخدمت في الخبز والكأس صيغة الجمع ''الخبزات والكؤوس''. وهذا يمثل في الحقيقة وبدقة الطقس القديم فعلاً حيث كان يقدَّس على ثلاث خبزات وعلى كأسين أو أكثر. وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه (انظر ليتورجية عهد ربنا ـ النسخة السريانية).

(هـ) ''اسمك العظيم القدوس في كل شيء كريم ومبارك'': تبدو هذه الجملة غير منسجمة وغمضة، وهذا الارتباك ناتج من عدم ترجمة الجملة الآتية ترجمة صحيحة: TÕ mšga Ônom£ sou tÕ pan£gion ka ˆ œntimon ka ˆ dedoxasmšnon

فكلمة ''باناجيون'' pan£gion تعني ''الكلي القداسة'' وليس ''قدوس في كل شيء''.

وكلمة كريم هي تكملة صفات اسم الله،

والكلمة الأخيرة dedoxasmšnon مقطعها الأول de تفيد الاستمرار. وبهذا ينبغي أن تترجم هذه الجملة الهامة كالآتي: [اسمك العظيم، الكلي القدس الكريم الممجَّد دائماً].

ثامناً: القسمة

EÙc¾ tÁj kl£sewj

القسمة أصلاً هي ''كسر الخبز''، وكانت إحدى عمليات الإفخارستيا الأُولى والأساسية، لأن المسيح بعد أن بارك على الخبز ''كسره'' أو ''قسَّمه'' ثم أعطاه لتلاميذه. فالقسمة والتناول من الخبز كانتا عمليتين متلاحقتين ومتصلتين. وهكذا حرصت الكنيسة القبطية أن تحتفظ بهما في هذا الوضع الأصيل، فأرجأت القسمة حتى نهاية حلول الروح القدس (بعد أن مارستها جزئياً عند ''تلاوة كلام الرب: وبارك وكسر الخبز''، بان شقت القربانة شقاً غير منفصل أثناء التأسيس).

أولاً مقدمة القسمة:

القسمة (كسر الخبز) كانت في أصل الطقس تُجرى في البداية جداً وكانت تتم بدون كلام خاص[1] حسب تقليد العشاء الأخير، وكانت تتم بطبيعة الحال في ''طقس التقدمة'' بعد البركة على الخبز والشكر على الكأس مباشرة (كما هو حادث حتى اليوم في طقس الروم ـ كبقايا من الطقس القديم، ولكنها تعمل الآن عند الروم بدون إدراك أنها عملية كسر الخبز الداخلة في عمق أعماق سرّ الإفخارستيا).

كذلك نلاحظ أن طقس "**كسر الخبز**" أي قسمة خبز الإفخارستيا كان يتم قبل صلاة الشكر على الكأس في طقس الديداخي فصل 11 الخاص بيوم الأحد. ولكنها رُفعت في الطقس القبطي من ''تقديم الحمل'' نهائياً ورحلت إلى نهاية حلول الروح القدس الأخير.

ولكن عندما بدأت الكنيسة بشرح طقس العشاء شرحاً إفخارستياً بوضع الأنافورا الوصفية، أعطت القسمة اهتماماً خاصاً في الشرح منذ القرن الأول، أمَّا أول صلاة رسمية لصلاة القسمة في أنافورا القديس مرقس الرسول فهي المعروفة الآن بمقدمة القسمة التي تقول:

[وأيضاً فلنشكر الله ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح لأنه جعلنا أهلاً أن نقف في هذا الموضع المقدس ونرفع أيدينا إلى فوق ونخدم اسمه القدوس، هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين لشركة وتناول أسراره الإلهية غير المائتة].

---

(1) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 511.

ولكن لما وُضعت امتدادات أخرى للقسمة لتناسب الموسم الكنسي لم تتغير هذه الصلاة الأُولى من مكانها بل أُضيف إليها الجديد واحتسبت هي كمقدمة ثابتة غير متغيرة.

وأنافورا ''عهد ربنا'' تحتفظ بأول امتداد ملحق لصلاة القسمة حيث تأتي فيها "**مقدمة القسمة**" جزءاً أوليًّا أساسياً من القسمة، والجزء الثاني يأتي مطابقاً للجزء الأول فتقول:

[يقول الكاهن ''السلام لكم'' ويصلِّي على قسمة الخبز هكذا:

(أ) ''أيضاً فلنطلب إلى الله أبي ربنا يسوع المسيح ونطلب إلى صلاحه لكي، كما جعلنا مستحقين أن نقف في موضع قدسه هذا ونكمِّل هذه الخدمة الناطقة التي ترضيه، هكذا أيضاً يجعلنا مستحقين أن نأخذ من غير وقوع في دينونة من السرائر المحيية، الجسد المقدَّس والدم الكريم (يُلاحَظ أنه بدون سجود للشعب أو مردات للشعب) اللذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا''.

يقول الشماس: "صلوا"

يقول الكاهن:

(ب) ''اللهم الرب ضابط الكل أبا ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح الذي أعطانا مذبحاً ليس لخدام القبة أن يأكلوا منه، تفضل بعظم محبتك للبشر أن تجعلنا مستحقين بغير لوم أن ننال من هذه السرائر المحيية الجسد المقدس والدم الكريم اللذين لمسيحك، ولا توقفنا في الحكم لأجل خطايانا، لكن باركتنا وطهرتنا في كل شيء. أنعم لنا يا رب بروحك القدوس لكي نجسر بدالة من غير خوف أن نصرخ إليك أيها الآب القدوس الذي في السموات ونقول...'']

(قداس عهد ربنا ـ بومشتارك صفحة 25و26 النسخة العربية)

ويُلاحَظ أن هذه الصلاة المضافة (ب) على صلاة القسمة الأُولى (أ) تسير على منهجها، وأحياناً بنفس ألفاظها. ولم تكن قد أخذت بعد صفتها المتغيرة لتناسب الموسم الكنسي إن كان لعيد أو لصوم.

وملامح صلاة القسمة الأُولى المعروفة بـ"**مقدِّمة القسمة**" الآن نجدها واضحة في صلاة قسمة ''الديداخي''. فنحن نقرأ في "**صلاة القسمة**" في ''الديداخي'' (الذي هو من مدونات نهاية القرن الأول المسيحي ـ وهي في حقيقتها مجرد اقتراح ''رسولي'' بكيفية هذه الصلاة) هكذا:

[أمَّا بخصوص المكسور (القسمة) فقولوا هكذا: **نشكرك يا أبانا** من أجل الحياة والمعرفة التي أعلنتها لنا **بواسطة يسوع** فتاك (عبدك). لك المجد إلى دهر الدهور ـ **وكما كان هذا المكسور (أي الخبز المكسور) مبعثراً فوق التلال "ثم جمع معاً وصار واحداً" هكذا اجعل كنيستك أن تجتمع معاً من أقاصي الأرض إلى ملكوتك لأن لك المجد والقوة بالمسيح**

يسوع إلى دهر الدهور].

ويُلاحَظ هنا أصل الطقس الذي يحتم على الكاهن بعد تقسيم الجسد إلى أجزاء متعددة أن يجمعه كله ليصير مرة أخرى جسداً واحداً (خبزة واحدة) إشارة إلى اجتماع الكنيسة من أقاصي الأرض في ملكوت ربنا.

وفي صلاة القسمة هذه الواردة في ''الديداخي'' نلمح ثلاثة عوامل أساسية تقوم عليها:
الأول: ابتداؤها "**بالشكر**" باعتبارها جُزءاً من الإفخارستيا.
الثاني: ربط القسمة وسر الخبز المكسور "**بالاجتماع معاً إلى الملكوت**".
الثالث: توجيه الصلاة في القسمة "**لتمجيد الآب بواسطة المسيح يسوع**".

(هنا لم يُذكر الروح القدس، لأن في القرن الأول لم يكن قد تحدد فعل الروح القدس داخل الإفخارستيا ـ ويُلاحَظ أن نفس هذا الاتجاه رأيناه في ''الديداخي'' فصل 9).

فالآن إذا عدنا إلى أنافورا القديس مرقس الرسول نجد أنها تضع هذه العوامل الثلاثة نصب عينيها في بداية القسمة، فهي تبدأها هكذا:

العامل الأول: [وأيضاً فلنشكر الله الآب ضابط الكل أبا ربنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح لأنه جعلنا أهلاً الآن]. كذلك تسبق وتمهد للقسمة بقولها:

العامل الثاني: [واهدنا إلى ملكوتك].

العامل الثالث: تقول: [لكي بهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجَّد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم القدوس في كل شيء (أو الكلي القدس) الكريم والمبارك، مع يسوع المسيح ابنك الحبيب والروح القدس].

ويُلاحَظ هنا أن رقوق مانشستر تتبع خط ''الديداخي'' فلا تذكر الروح القدس هنا في صلاة القسمة مما يوضح جداً قدم هذا الجزء في نسخة الرقوق.

كذلك نقرأ صلاة خاصة ''للقسمة'' في أنافورا القديس سيرابيون لربط القسمة بالشركة حيث اصطلاح الشركة بحسب التقليد الكنسي القديم ينصب أساساً على التناول من الخبز المكسور:

[اجعلنا مستحقين للشركة فيك (أي في الأسرار) يا إله الحق. امنح أجسادنا ارتقاءً في الطهارة وأنفسنا في الفهم والمعرفة، أعطنا حكمة يا إله المراحم بتناولنا من جسدك ودمك.

لك المجد والقوة بواسطة ابنك الوحيد في الروح القدس الآن وإلى دهر الداهرين آمين.][2]

والآن إذا عدنا إلى أنافورا القديس مرقس الرسول نجدها لم تغفل أيضاً ذكر هذه الشركة في مقدمة صلاة القسمة إذ تقول:

[هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين **لشركة وتناول** (ترجمت خطأ ''وإصعاد'') أسراره الإلهية غير المائتة]، فنرجو التصحيح.

ويُلاحَظ هنا أن ''الشركة في الأسرار'' تقابل ''الشركة فيك'' عند سيرابيون. كما يلزم هنا أن نصحح أولاً ترجمة كلمة **ϯⲙⲉⲧⲁⲗⲩⲙⲯⲓⲥ** الواردة في الترجمة القبطية بصيغة المصدر فهي لا تعني إطلاقاً ''إصعاد'' بل "**تناول**" أي ''الأخذ''. هذا من حيث المعنى اللغوي في اللغة اليونانية **أولاً**، **وثانياً** من حيث وضع الكلمة في هذا المكان فهو لا يمكن أن يفيد ''إصعاد'' لأن الكلمة التي تسبقها هي شركة أي ''اشتراك'' للأكل، فلا يصح أن يكون ''الإصعاد'' بعد ''الاشتراك''. أمَّا الكلمة الصحيحة بعد الاشتراك فهي التناول وهي المرادف الأصلي للاشتراك ''الاشتراك والتناول'' ـ حيث **الشركة هي الاجتماع الحبي حول المائدة للأكل**، هذا بالمعنى العام.

أمَّا بالمعنى الليتورجي، **فالشركة هي الاجتماع فالاتحاد بجسد المسيح بواسطة التناول** من الخبزة الواحدة التي هي الجسد الواحد. لذلك لا يمكن فصل ''الشركة'' عن التناول في الإفخارستيا**!** أمَّا الإصعاد بالمعنى الليتورجي فقد تمَّ وانتهى نهائياً بختام الذوكصا كما أوضحنا سابقاً. وهذا الخطأ كبير ويلزم تصحيحه[3].

كذلك ينبغي في هذا أن تُلاحَظ العلاقة الأساسية القائمة بين طلب استحقاق "**الشركة**" وعملية "**القسمة**" وهي سرية ولاهوتية بآن واحد: «الخبز الذي **نكسره** أليس هو **شركة** جسد المسيح» (1كو 16:10)، ولكي يتضح خروج معنى ''الإصعاد'' هنا عن الواقع الليتورجي ونحن في مبدأ صلاة القسمة نتأمل نفس صلاة القسمة في القداس الكيرلسي إذ عادت وأدخلت في داخلها نفس كلمات المقدمة مرة أخرى، ولكن بوضوح آخر تكشفه نفس الكلمات باليوناني والقبطي. فعند الشركة قالت **ⲛ̀ⲧⲟⲩ ⲕⲟⲓⲛⲱⲛⲓⲁ** ـ وعند التناول (لم تقل ''إصعاد'' أو ''ميتا ليمبسيس'') بل قالت: **ⲛⲉⲙ ⲡⲓϫⲓⲛϭⲓ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲙ̀ⲙⲱⲟⲩ** (والتناول منها).

(2) Lucien Deiss, *Early Sources of the Liturgy*, p. 119.
(3) Brightman, *Liturgies Eastern and Western*, p. 108.

"عملية" كسر الخبز عامة:

معروف في التقليد القديم بحسب ما ورد في نص التقليد الرسولي لهيبوليتس أن ''الأسقف هو الذي كان يقوم بكسر الخبز''(4). ولكن يعود نفس النص عندما يذكر إفخارستية يوم الأحد داخل الكنيسة يقول:

[وفي اليوم الأول من الأسبوع فالأسقف نفسه ـ إذا كان ذلك ممكناً ـ عليه أن يوزع (الإفخارستيا) على كل الشعب بينما يكون الشمامسة يكسرون الخبز.](5)

وبحسب التسليم الصحيح في الكنيسة القبطية أنه إذا بدأ الأسقف أو الكاهن في القسمة فإن الشمامسة ينزلون جميعاً من الهيكل واحداً واحداً ما عدا الشماس المساعد للكاهن، وهذا التقليد القديم يكشف عن مدى هيبة عملية القسمة قديماً في الكنيسة. وإليك ما قرره العالِم ابن كبر قسيس المعلقة في كتاب ''مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة'':

[فإذا قال الكاهن "**يا الذي قسَّم في ذلك الزمان**" يشق القربانة شقاً. فإذا قال "**لتقسم الآن**" يتم قسمة القربانة بيديه، **ثم يشكر ويكمِّل القسمة. وهنا يبتدئ الخدام ينزلون من الهيكل إلى الخورس** واحداً بعد واحد حتى يبقى (القس والشماس) **وحدهما** ويكمِّل صلاة القسمة. ويقول الشعب أبانا الذي في السموات ...](6) (الباب السابع عشر)

كذلك نجد في أحد قوانين البابا أثناسيوس الرسولي ما يعزز هذا القول:

[لا يتقدم أحد من الشمامسة إلى المذبح وهناك مَنْ هو أكبر منه، بل يداوموا الترويح بالمراوح **حتى يقسِّموا الجسد** وهم ملازمون الصلاة، **وإذا فرغوا من القسمة يبقى واحد** يروِّح بالبوميس الذي هو لابسه من البداية إلى كمال الصعيدة.]

(مخطوطة النوموكانون ـ القانون التاسع والثلاثون)

يُلاحَظ هنا ضرورة **الترويح بملابسه** لكي يبدو كأنه يروح بجناحه بشبه الشاروبيم.

كما يُلاحَظ أن كل الشمامسة يحضرون بداية القسمة ولكن قرب نهايتها ينزل الجميع ولا يبقى إلاَّ واحد. كما يُلاحَظ أن الكلام يحتمل ضمناً أن الشمامسة يشتركون في القسمة إذ يبقى أكبرهم مع الكاهن ليشترك معه في القسمة.

(4) *Apost. Tr.*, XXXIII, 5.

(5) *Ibid.*, XXIV. 1.

(6) هذا التقليد الليتورجي خطير في الواقع وقد سقط من الطقس لقلة الدراية وضعف التسليم وعدم توقير السر.

مخطوطة أثرية تشرح دور الشماس
في القسمة عند الأقباط في القرن الرابع

هذا جزء من مخطوطة fragment عبارة عن ورقتين (4 صفحات) يجري فيها حوار بين شماس وشيخ من الآباء حول إحساس الشماس بخطاياه ورهبته من خدمة المذبح. ومنها يتضح من قول الشماس أن هذه الحوادث تجري في أيام أنبا إشعياء الأسقيطي المعروف الذي عاش (337 ـ 447م) وما يهمنا من هذه المخطوطة هنا هو الحوار الآتي:

[**مسألة**: لأنك يا أبي القديس أمرتني أن أخدم المذبح فأنا أسألك أن تخبرني إيش (أيُّ شيءٍ) ينبغي لي أن أفكر به أو أهِذُّ به إذا **كنت واقف** (**واقفاً**) **على المذبح مع القسيس** وإذا كنت **أفصل القربان** أو **أقرِّب الكأس** أو **أحمل قربان** (**قرباناً**) **وأذهب به إلى إنسان عليل** أو إن كان ينبغي لي أن يكون لي ثوبان ثوب مفترز لخدمة المذبح أو ألبس سراويل؟

جواب: يا أخي هذه الأشياء هي روحانية وهي عندك جسدانية. الشماس ينبغي أن يكون مثل السيرافيم كله أعين، كله عقل، فيما فوق يفكر، فيما فوق يتفطن، بالفزع والرعدة يسبِّح الله لأنه يحمل جسد ودم الملك الذي لا يموت وهو مثل السيرافيم. من أجل أنه يصرخ بالتسبحة ويروِّح على السراير (الأسرار) المفزعة (الرهيبة) كمثل ما تفعل تلك بأجنحتها. وتذكر أن تلك الأجنحة مثال لارتفاع العقل من الأرضيات إلى السماويات، ويصرخ بلا هدو (هدوء) في هيكل إنسانه الداخل ويقول تسبحة الغلبة لجلالة مجد الله إلهنا ويعج قائلاً: قدوس قدوس قدوس السماء والأرض ممتلئة من تسبحته، وما يتلو ذلك. فمن صوت هذه الكرازة المفزعة المرعبة يقع الشيطان مرتعداً من النفس المسبية ويهربوا (ويهرب) أجناده خازيين وتبقى النفس حرة من عبوديتها. وبعد ذلك ... **إذا كنت واقف** (**واقفاً**) **قدَّام السراير المقدسة وإذا كنت "تفصلها" أو تعطي الكأس أو تحمل إلى إنسان قربان** (**قرباناً**) **أو** تطوي ثياب المذبح أو في شيء من خدمته.][7]

ومن هذا الكلام نستطيع أن نستخلص الآتي:

أولاً: أن الشماس كان يقف على المذبح أمام الأسرار المقدسة مع القسيس.

ثانياً: أن الشماس كان يفصل (يقسِّم) "**الأسرار**".

---

(7) انظر صورة المخطوطة في آخر الكتاب.

ثالثاً أنه كان يقرِّب المتناولين بالكأس.

رابعاً: أنه كان يناول بنفسه المرضى من الجسد والدم.

خامساً: أن عملية القسمة كانت عملية كبيرة وتحتاج إلى جهد لأن التقديس لم يكن يتم على ''خبزة'' واحدة بل ثلاث خبزات على الأقل وكذلك على ثلاث كؤوس[8] وكانت الخبزة الأُولى (وتحتها الخبزتان الأخريان) هي التي كان يُجرى عليها الرشومات. علماً بأن الشعب كله كان ملزماً بالتناول.

والذي يؤكد حقيقة مناولة الشماس للمرضى من الجسد والدم القصة التي أوردها البابا ديونيسيوس الإسكندري الكبير (تنيح 264م) عن الشماس الذي أرسله الأسقف لمناولة إنسان مريض قبل موته بثوان، وسنأتي على ذكرها في موضوع المناولة Communion.

وهنا يكفينا شهادة هيبوليتس مع رواية هذه المخطوطة من حيث اشتراك الشماس في القسمة مع الكاهن أو الأسقف.

المهابة والكرامة التي يعطيها الطقس القبطي لعملية القسمة:

ليس معنى اشتراك الشماس في القسمة أنه كان هناك تقصير ما في كرامة الأسرار، ولكن الحقيقة تكمن في أن الشماس في العصر الحاضر هو الذي فقد مركزه المهيب وكرامة دوره الوظيفي في الكنيسة كأحد أعضاء الكهنوت أو كما يقول عنه القديس أثناسيوس الرسولي أنه ''أحد أعين الله السبعة''.

والحقيقة أن "**عملية كسر الخبز وتوزيعه**" هي منذ الأيام الأُولى بحسب التقليد القديم العبري ثم المسيحي كانت **هي التي يتركز عليها الطقس**[9]. وهي التي كانت تعطي سر وحدة المؤمنين بالشركة في الجسد الواحد كما من الخبزة الواحدة المكسورة، ''الخبز الذي **نكسره** (في القسمة) أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبزة واحدة جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبزة الواحدة ™k ¥rtou ˜nÕj toà.'' (1كو 10: 16و17)

ويُلاحَظ أن ''كسر الخبز'' هو عملية طقسية ذبائحية بالدرجة الأُولى، وتتكلَّم عنها المخطوطة بحسب لغة الكنيسة الأُولى التي سمعناها من فم الشماس في حواره مع أبيه الشيخ حيث يعبِّر عن

(8) انظر المرجع السابق ـ كذلك انظر كتاب ''عهد الرب'' للأب يوحنا تابت المطبوع في لبنان الذي يقول أن يوم السبت يقدَّس فيه على ثلاث قربانات، أمَّا الأحد فعلى أربعة.

(9) Richardson, *op. cit.*, p. 328.

القسمة أو عن ‘‘كسر الخبز’’ بعبارة سرائرية مبدعة وهي ‘‘**يفصل** الأسرار’’ ـ أي يفصل الجسد ـ أي الذبيحة ـ وكلمة “**يفصل**” اصطلاح ذبائحي حيث كان يفصل الكاهن قديماً أجزاء الذبيحة ما هو صالح للتقديم وما هو غير صالح، ما يؤكل وما يُحرق، بحكمة ودراية وحسب أصول كهنوتية دقيقة يتوارثها بالتسليم، وهو الاصطلاح الذي دخل في مفهوم تفسير الكلمة وفحصها والتعليم بها ‘‘يفصل كلمة الحق باستقامة’’ (أوشية البطريرك) باعتبار أن ‘‘الكلمة’’ ذبيحة عقلية.

وعندنا من أقوال أوريجانوس ما يشير إلى الاهتمام والاعتناء الزائد بالقسمة ‘‘والأجزاء’’ المكسورة من ‘‘الخبز المقدَّس’’ باعتبارها أجزاء الجسد المقدس:

[وأنتم الذين أعطي لكم **أن تساعدوا في إقامة الأسرار** الإلهية احذروا وأنتم تحملون جسد الرب لكي تكونوا بانتباه شديد لئلاَّ يقع جزء منه على الأرض أو تضيع أجزاء من القرابين المقدسة وتختفي عن نظركم، احسبوا هذا جريمة وهي كذلك بالحق إن كان عن إهمال يسقط منكم شيء.][10]

ولكن لأن إنجيل يوحنا أشار إلى حمل الفصح عند ذكر الجسد على الصليب، قائلاً: «عظمٌ لا يُكسر منه» (يو 19:36) أي لم تكسر عظمة واحدة للمسيح عند موته، بدأ مفهوم القسمة أي كسر الخبز يتزعزع عند بعض الكنائس، ولكن الحقيقة أن هذا لا يعني أن الخروف لم يفصل ويقطع، بل أن الوصية هي أن يؤكل كله «رأسه مع أكارعه وجوفه ولا تبقوا منه إلى الصباح، والباقي منه إلى الصباح تحرقونه بالنار» (خر 12: 9و10). معنى هذا أنه لا يبقى فيه عظم على عظم ولا مفصل مربوط ولا لحم ولا غضروف! هذا هو المعنى النهائي الذي قصده الرب بقوله: «هذا هو جسدي المكسور لأجلكم.» (1كو 11:24)

ويوجد في الطقس الإفخارستي ثلاثة اصطلاحات هي كلها أصلاً إنجيلية:

‘‘جسدي المفتت = qruptÒmenon’’ وهذه وردت في إحدى النسخ في 1كو 11:24 وتستخدمها قوانين الرسل.

‘‘جسدي المكسور = klèmenon’’ وهذه وردت أيضاً في 1كو 11:24 في معظم النسخ.

‘‘جسدي المبذول = didÒmenon’’ وهذه وردت في لو 22:19.

(10) Origen, *In Ex.* Hom., 13. 3., cited by Quasten, *Patrol.* vol. II.

وحتى إلى الآن تتحاشى الكنيسة الرومانية استخدام هذا الاصطلاح مراعاة لنص الكتاب: «إن عظماً لا يُكسر منه» [11]. كذلك لا نجد هذا الاصطلاح في إنجيل متى ولا في مرقس ولا في الأصول السريانية القديمة ولا في النسخ اليونانية المعتمدة للأسفار، مما يفيد أن تسجيله في لوقا وفي 1كو 24:11 جاء انعكاساً من قوة الطقس المستخدم في الكنيسة لكسر الخبز الذي كان قد استقر في رواية ''التأسيس'' و ''القسمة'' كاستلام رسولي قبل تسجيل الأناجيل[12].

ولكي نوضح للقارئ القيمة السرائرية بل والهيبة السرية التي يحتلها طقس ''كسر الخبز'' أي "**القسمة**" في الكنيسة القبطية، وعمق وعيها لهذا الإجراء المملوء أسراراً، نُذَكِّره بإفخارستية تلميذي عمواس التي أكملها الرب بنفسه في اليوم الأول يوم الأحد يوم قيامته المجيدة بالذات، وما حدث عند لحظة "**كسر الخبز**"، حيث استُعلن المسيح أو بالحري استُعلنت حضرته الإلهية "**وحلوله**"، مما يفيد أن هذه اللحظة هي قمة الفعل السري في الإفخارستيا حيث نصبح في مواجهة الرب وتُستعلن حضرته. وبسبب ذلك ألحت الإفخارستيا في تركيبها الليتورجي البدائي (طقس تقديم الحمل) أن يكون بعد البركة على الخبز والشكر على الكأس طلب حلول المسيح بالذات! كذلك ألحت الأنافورا على أن يكون استدعاء الروح القدس بعد تلاوة التأسيس الذي يقول فيه "**وقسَّمه**".

هذا التركيز على "**كسر الخبز**" في الكنيسة الأُولى ـ كما في سيرابيون والديداخي ـ باعتباره قمة سر الشركة الذي فيه يحدث حضور الرب السري، جعل العلماء يعتقدون أن طقس الشكر على الكأس يأتي ثانوياً بالنسبة لـ''كسر الخبز''.

والملاحَظ أن كلمة "**المكسور**" أو "**الكسر** = kl£sma" موجودة في الأناجيل في **حادثة إشباع الجموع فقط**، لذلك فإن استخدامها في الليتورجيا يشرح لنا إحدى الطرق التي سلكتها الإفخارستيا في اختيار الكلمات واقتباس أصول الطقس وخصوصاً الطقس الشرقي[13].

وعلى قدر ما وصلنا فإن أول تسجيل ليتورجي استخدم **الجسد** "**المكسور**" هو الديداخي ومن بعده تسجيل هيبوليتس للتقليد الرسولي[14].

(11) Richardson, *op. cit.*, p. 413.
(12) Greg. Dix., *op. cit.*, 133.
(13) Richardson, *op. cit.*, p. 413.
(14) *Ibid*.

عملية التقسيم:

أثناء عملية التقسيم يقول الكاهن صلاة خاصة، تسمَّى صلاة القسمة، ولكن الأمر الملفت للنظر أن تقسيم القربانة يعني شيئاً والصلاة تعني شيئاً آخر، فصلاة القسمة الآن متغيِّرة، لكل مناسبة كنسية صلاة بحسب الموسم سواء كان موسم صوم أو عيد، وكل صوم له صلاته ولكل عيد صلاته. هذه الصلاة نرجئ الكلام عنها الآن قليلاً ـ ولكن الذي يهمنا هنا هو التقسيم للقربانة (للجسد) فماذا يعني هذا التقسيم وكيف يتم؟

(أ) **الرشم بالدم:**

يأخذ الكاهن القربانة بيده اليمنى وينقلها ويضعها على يده اليسرى (عملية ترديد الذبيحة أمام الله ـ انظر صفحة 281)، ثم يضع إصبع اليد اليمنى السبابة بجانب الذسبوتيكُن من الناحية اليمنى ـ أي الجانب المشقوق ـ وهو يقول آخر مقطع من المقدمة السابق ذكرها ... ‘‘ويجعلنا أهلاً الآن لشركة وتناول أسراره الإلهية غير المائتة الجسد المقدس’’. ثم يرفع يده ويضع إصبعه ذاته داخل الكأس ويغمسه في الدم قائلاً: ‘‘والدم الكريم’’ (وهنا أَدخلت حديثاً بعض النسخ: سجود الشعب وقوله: ‘‘نسجد لجسدك المقدَّس ودمك الكريم’’). ثم يرفع إصبعه بحذر ورفق ويرشم القربانة وجهاً وظهراً بأصبعه المبلل بالدم على هيئة صليب دون أن يرفع أصبعه ـ أي بحركة دورانية متصلة فوق وأسفل ـ وهو يقول ‘‘اللذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا’’ (‘‘اللذين’’ هنا مجرورة بالإضافة على شركة وتناول "تناول" جسده ... ودمه...).

والملاحَظ أن هتاف الكاهن هنا بكلمة ‘‘الجسد المقدس’’ و‘‘الدم الكريم’’ أخذ الآن في الوقت الحاضر نغمة الاستعراض أو الاعتراف، مع أنه امتداد عادي لمقدمة القسمة بالتضرع لأن يجعلنا الله أهلاً للتناول من الجسد المقدس والدم الكريم.

طريقة التقسيم ومعناه:

التقسيم في الطقس القبطي يتم على مرحلتين:

المرحلة الأُولى: وتتم في التأسيس عند قول الكاهن "**وقسَّمه**"، فهو عندئذ عليه أن يتمم ما يقوله عملاً بأن يشق القربانة (دون أن يفصلها) إلى ثلث وثلثين. ثم يعود ويشق (دون أن يفصل) ودون أن تنفصل من القسم الأوسط، الطرف الأعلى منه دون أن يفصله. وهكذا يترك القربانة صحيحة شكلاً ولكن مشقوقة إلى ثلث وثلثين وجزء من الثلثين.

هذه التعليمات الموجهة للكاهن حققها لنا بصورة أخرى العالِم رينودوت من قراءاته للتعليمات المكتوبة

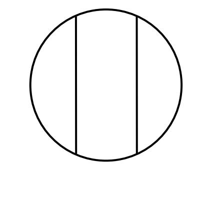
بالخط الأحمر في هذا الموضع لعدة مخطوطات قديمة من أنافورا القديس باسيليوس الطقس القبطي هكذا:

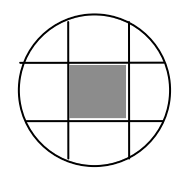
[قسم القربانة إلى ثلاثة أقسام ـ ولكن اجمعها ثانياً لتكون في حالة كأنها لم تقسَّم.](15)

وتوجد نسخة لقداس عند اللاتين، وجدت فيه هذه التعليمات لهذا الإجراء الطقسي في هذا المكان بالذات مما يدل على أن روما وشمال فرنسا وبعض بلاد الغرب أخذت عن مصر في وقت متأخر (القرن الرابع عشر ـ السادس عشر)(16).

أمَّا الطقس الأنجليكاني فقد اعترف بصراحة أنه أخذ عن مصر هذا الإجراء الطقسي(17) في القرن الرابع عشر سنة 1385م.

ويقول جريجوري دكس في كتابه إن مصر أدخلت هذا الطقس في القرن الرابع عشر. ولكن في ظننا أنها أقدم من ذلك، فالعالِم "ابن كبر ـ قسيس المعلقة" يذكرها في كتابه "مصباح الظلمة" في أوائل القرن الرابع عشر على أنها طقس قديم مستقر في البيعة، كما يذكرها البابا غبريال الخامس البطريرك 88 (سنة 1409 ـ 1427م) في كتابه عن ''الترتيب الطقسي'' مع شرح لها يفيد أنها قديمة ومستقرة في البيعة.





ولكن ترتيب المخطوطات القديمة التي استخلصها رينودوت يختلف عمَّا هو مذكور في ابن كبر وفي غبريال الخامس، لأن رينودوت يقول: [إن في القسمة الأُولى الكاهن يقسِّم القربانة (الجسد) إلى ثلاثة أجزاء طولية ثم يعود في القسمة الثانية ويقسِّم هذه الأجزاء الثلاثة الطولية إلى ثلاثة أجزاء عرضية مع الاحتفاظ بالذسبوتيكُن سليماً في الوسط. فينشأ عن ذلك تسعة أقسام على هيئة صليب. وهذا في اعتبارنا هو الأصل القديم للتقسيم في الطقس القبطي لأن ذلك له معنى ومغزى سِرِّي، إذ بذلك يكون قد تمَّ تقسيم القربانة بواسطة قطع على هيئة صليب، المرة الأُولى تكملها المرة الثانية. وفي هذا حبك في المعنى، أي أن القسمة الأُولى لا تَكْمُل إلاَّ بالثانية، أي أن القسمتين معاً هما قسمة واحدة ''صليب واحد'' إشارة إلى اكتمال الآلام الواحدة ولو بإجراء طقسي على مرتين! وهذا كله تحاشياً بليغاً لمفهوم إجراء تكرار القسمة (الآلام والصليب) مرتين!!

(15) Renaudot, *Liturg. Orient.*, I., p. 15, cited by Dict. of Anti. vol. 1., p. 686.
(16) V. Stanley, *The Manual Acts* (Alcuin Club, 1927), coted by G. Dix, *op. cit.*, p. 49 n.2.
(17) Dix, *op. cit.*, p. 49. n. 2.

أمَّا القسمة التي يذكرها ابن كبر وغبريال الخامس بالنسبة للمرحلة الأُولى التي تتم عند ذكر كلمات التأسيس فيكون رسمه كالآتي: ⇦

وعلى العموم لم تحمل المرحلة الأُولى من القسمة أثناء التأسيس أي مفهوم رمزي سوى أنها تطبيق لما تمَّ بالصليب وبالتالي آلام وتمزيق الجسد على الصليب «هذا جسدي المبذول «» هذا جسدي المكسور» فهي مطابقة طقسية لنص إلهي سري.

ولكن في المرحلة الثانية نضجت عقيدة ''القسمة'' حاملة بعض الرموز.

المرحلة الثانية للقسمة: وهي التي تأتي بعد حلول الروح القدس:

وهي طقس في الكنيسة القبطية دوناً عن جميع كنائس العالم، ذو هيبة كبيرة ووقار وصلاة مطولة ذات مقاطع لها مرداتها المتواصلة كل منها طلباً للرحمة ثلاث مرات ''كيرياليسون. كيرياليسون. كيرياليسون''.

وهنا ينتمي المرد لمفهوم القسمة **العملي** وليس لمنطوقها **النظري** الذي هو بكلمات الصلاة**!** فأمَّا مفهومها العملي فهو كما قلنا الصليب والآلام والجسد الذي يتمزق على الصليب، فهنا ''كيرياليسون'' تأتي من فم الشعب موافقة لهذا الواقع العملي أشد التوافق. أمَّا المنطوق النظري في كلمات الصلاة فربما يكون للفرح والتهليل خصوصاً في الأعياد، وهنا تحدث مضادة مبدعة، فالكاهن يتهلل بفمه بالصلاة واللحن وفي نفس الوقت يمزِّق الجسد بيديه، أمَّا الشعب فينحاز لما يجري على المستوى السري، أي يرد مرده التقليدي الدائم بصوته الحزين على ما يجري على المذبح أثناء التقسيم، والصليب يملأ عقله وتفكيره.

الكاهن هنا، كما يقول رينودوت بحسب المخطوطات القديمة، يبدأ يقسِّم القربانة ثلاثة أقسام عرضية بعد أن كان قد تم تقسيمها في القسمة الأُولى إلى ثلاثة أقسام طولية، حيث ينشأ تسعة أجزاء الجزء الأوسط منها وهو الأكبر ويُسمَّى "**الذسبوتيكُن**"، وهي كلمة محرَّفة وأصلها اليوناني despotikÒn = ذسبوتيكون ومعناها الحرفي ''الذي للسيد''، وهو يوضع في الوسط ومن حوله الأجزاء الثمانية على مثال الصليب، وهكذا يتم في الطقس القبطي الإشارة إلى الصليب والآلام عملياً بدون كلام.

أمَّا القسمة الآن في الأنافورا القبطية فلها طريقتان عموماً، **طريقة** يتم فيها تقطيع الجسد إلى أجزاء مع ترتيب خاص يعتمد كله على رسم إشارة الصليب بالأجزاء وهي مستحدثة نوعاً ــ منذ القرن الرابع عشر ــ على غرار الطقس البيزنطي المتطور،

أمّا الطريقة الأخرى، فتنقسم فيها القربانة بنفس الوصف الذي قدَّمه رينودوت أي ثلاثة أقسام طولية وثلاثة أقسام عرضية ينتج عنها تسعة أجزاء بما فيها الذسبوتيكُن في الوسط، ولكن دون أن ينفصل منها أي جزء على الإطلاق. وهذه الطريقة هي الأقدم وهي مشروحة ومزكاة في الخولاجيات المطبوعة الآن، ومستخدمة عند بعض الكهنة الحاذقين. ويقول عنها البابا غبريال الخامس البطريرك الثامن والثمانون: [وإن كان الكاهن حاذقاً مرتَّباً على مشايخ ويقسِّم القربانة بترتيب إلى أن تكون مقسَّمة وهي صحيحة ويرفعها بيديه مقسومة صحيحة **فذلك هو الحق الصحيح**](18). وهذه إشارة ضمنية إلى أنها هي الطريقة الأقدم والأصح، **حيث يتم فيها الإشارة إلى ذبح وتمزيق الجسد دون أن يُكسر عظم من عظامه! وهنا في الحقيقة أبدع طقس ناطق بعمق الواقع اللاهوتي دون كلمة واحدة**(19).

السباذيقون (**وصحتها الذسبوتيكُن**) **والقدسات للقديسين:**

في الثلث الأوسط للقربانة (الجسد)، الجزء الأوسط من هذا الثلث هو "الذسبوتيكُن".

وهذا الثلث الأوسط للقربانة (الجسد) الذي في وسطه الذسبوتيكُن لا تُفصل أجزاؤه الثلاثة بنوع خاص بل يبقى متصلاً، ولكن يُفصل الوجه الأعلى من الجزء الأوسط (الوجه المختوم من الذسبوتيكُن) استعداداً لرفعه وغمسه في الكأس. [فالكاهن بعد القسمة وبعد أن يختمها بالصلاة هاتفاً: "أبانا الذي في السموات" يقول صلاة أخرى تعليقاً على صلاة "أبانا الذي في السموات" ثم صلاة الخضوع من أجل الاستعداد للتناول ثم التحليل ـ وهذا كله سنعود إليه بعد القسمة].

بعد أن يصلِّي الكاهن هذه الصلوات يرفع الذسبوتيكُن ماسكاً إياه بيده اليمنى ويده اليسرى تحتها صارخاً "القدسات للقديسين". فيسجد الشعب بوقار كثير، ثم يرشم الكأس (الدم) بالذسبوتيكُن على مثال الصليب ثم يغمس الذسبوتيكُن داخل الكأس ـ بالدم ـ ويرفعه باحتراس ويرشم به القربانة (الجسد) على مثال الصليب، ثم يرفعه ويعود به إلى داخل الكأس يرشم به الدم ثم يضعه مقلوباً داخل الكأس.

هذا الإجراء الطقسي وصل إلينا شرحه قديماً جداً سنة 400م وكان يُعتبر ختماً لعملية القسمة

(18) الترتيب الطقسي للبابا غبريال الخامس ـ البطريرك 88 ـ مطبوعات المركز الفرنسيسكاني صفحة 83و84.

(19) *Dict. of Antiq.* I., p. 687.

ومفهومه الرمزي هو اتحاد الجسد والدم كذبيحة واحدة ذات قوة وفعل واحد[20]. فهو يأخذ من الجسد الذي يمثله ‘‘الذسبوتيكُن’’ ويضعه في الدم ويأخذ من الدم ويضعه في الجسد. والذسبوتيكُن له كرامة خاصة واهتمام زائد، وهذا له تاريخ قديم يصل إلى أوائل القرن الثاني الميلادي[21].

تاريخ طقس الذسبوتيكُن:

(تُقرأ ذسبوتيكُن despotikÒn ومعناها ‘‘الذي للسيد’’).

ولهذا الإجراء الطقسي تاريخ قديم.

فقبل كل شيء نعلم أن تاريخ ‘‘القسمة’’ Fraction كإجراء طقسي كامل داخل الأنافورا القبطية هو قبل القرن السابع بزمن طويل، إذ توجد مخطوطات من قبل دخول العرب مصر تحمل إشارات واضحة عن القسمة[22].

أمَّا عن تاريخ الذسبوتيكُن (ذسبوتيكون) فهذا يرجع إلى ما قبل مجمع نيقية بكثير حينما كانت الكنيسة تعتمد على الأسقف وحده في إقامة الإفخارستيا، فلم يكن مصرحاً في البدء للكاهن أن يقيم الإفخارستيا، بل كان الأسقف ينفرد بذلك وحده مع شمامسته في كنيسته الوحيدة في الإيبارشية فلما تعددت الكنائس وتصرح للكهنة أن يقيموا الإفخارستيا كان ذلك بشرط أن يكون ذلك امتداداً من الإفخارستية الرسمية الواحدة التي يقيمها الأسقف في كنيسته الأم، فلكي يتم ذلك عملياً كان الأسقف يرسل من إفخارستيته بعد تقديسها لكل الكنائس الفرعية جزءاً من الذبيحة (جسد مغموس بالدم) مع الشمامسة فكان يضعها الكاهن في الصينية مع القربانة ـ في وسطها ـ إلى أن يحين وقت القسمة فكان يرفعها ويضعها داخل الكأس ـ (كما يفعل الآن بالذسبوتيكُن)، ثم يرفعها ويرشم بها الجسد.

هذا ما كانت الكنيسة الفرعية تعمله لكي تثبت به ‘‘شركتها’’ في الكنيسة الأم وامتداد إفخارستيتها من إفخارستية الأسقف الواحدة التي يقيمها الأسقف بمفرده ممثلاً المسيح، حيث القربانة الواحدة التي يقدس عليها والكأس الواحد الذي يقدس عليه يعتبران الأصل والمصدر (الخميرة) لكل القرابين الأخرى على كل المذابح الأخرى، وكشهادة على بقاء الأسقف كرئيس لليتورجية ورئيس

(20) Theodore of Mopsuestia, *Cat.* VI., cited by Greg. Dix, *op. cit.*, p. 134.

(21) Dix, *op. cit.*, p. 134.

(22) *Dict. of Antiq.*, vol. I., p. 687.

للكهنة في كل الكنائس التي تحت رئاسته[23].

ولكن هذا الإجراء الطقسي ضعف شيئاً فشيئاً في الشرق بازدياد نفوذ الكهنة وتعدد الكنائس وبُعدها عن كنيسة المتربوليس (الكنيسة الأم التي يُصلي فيها الأسقف) ولكن بقي هذا الإجراء الطقسي شديد البأس في الغرب وخاصة في روما حتى القرنين الثامن والتاسع[24]. فلما توقف مجيء ''الذسبوتيكُن = despotikÒn'' وتنطق despotikon = ذسبوتيقون (ومعناه الذي للسيد) من ذبيحة الأسقف (السيد)، بدأ الكاهن يُمارس نفس الطقس بوضع الجزء الأوسط من قربانته (الجسد) الذي يُكتب في الخولاجيات أيضاً "**الاسباذيقون**" داخل الكأس في نفس الوقت المحدد، حيث رسَّخ الطقس في ذهن الكنيسة أن هناك عملية اتحاد تتم في ذلك الوقت بين الجسد والدم. وعلى هذا الطقس بدأت الكنيسة تقدم التفسيرات وتضع بعض الصلوات التي تشير إلى ذلك الاتحاد أثناء هذا الإجراء الطقسي، أي في لحظة وضع الاسباذيقون في الدم مثل القسمة السريانية حيث تقول حينئذ: [وإن هذا الجسد لهذا الدم، وهذا الدم لهذا الجسد] (انظر الخولاجي المطبوع ــ القسمة السريانية).

ولكن هذا المفهوم الطقسي بحد ذاته أي اتحاد الجسد بالدم والدم بالجسد هو مفهوم هام وبليغ، لذلك فإن هذا الإجراء الطقسي ضرورة تحتمها حقيقة الذبيحة الواحدة التي تشمل الجسد والدم معاً في وحدة سرية غير منفصلة.

وللعلم أيضاً أصبح الاسباذيقون وصحة نطقه الذسبوتيكون في المناولة هو من نصيب الشماس (أصلاً الشماس الذي أحضره من كنيسة الأسقف).

ماذا في الطقس السرياني:

إن التأثر الشديد الذي عاناه الطقس القبطي من جراء تداخل السريان في مصر يجعلنا نضع في الاعتبار دائماً الرجوع إلى الطقس السرياني لنرى مدى تأثرنا بهذا الطقس.

في الطقس السرياني قبل البدء بالأنافورا في مرحلة الـ Prothesis أي ''سبق الوضع أو التقديم'' يقوم الكاهن بتقسيم القربانة إلى ما هو مناسب أو لازم ويبخرها ويضعها على المذبح قائلاً: ''واقتيد مثل خروف إلى الذبح ...''[25].

(23) Greg. Dix, *op. cit.*, pp. 21, 105.

(24) *Ibid*.

(25) Renaudot, Tom. I. p. 3; *Dict. of Ant.*, p. 687.

ثم بعد اكتمال التقديس في الليتورجيا (بعد حلول الروح القدس) يقتطع جزءاً من الأجزاء قائلاً "أنت هو المسيح إلهنا الذي فوق الجلجثة في أورشليم طُعن في جنبه من أجلنا ..."(26)

ثم قبل التناول يغمس (الكاهن) هذا الجزء(27) داخل الكأس ويرفعه ويرشم القربانة (الجسد) كله على هيئة صليب قائلاً: [دم الرب يرش به على الجسد باسم الآب ...]. ثم تُرفع الجوهرة وتُوضع داخل الكأس مع صلاة خاصة تشير إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح(28). وفي شرح "ابن الصليبي" يقول إن اقتطاع هذه الجوهرة وغمسها في الدم وصبغ الجسد بها يمثل طعن جنب المسيح وخروج الدم(29).

وتوجد صلاة خاصة للقسمة تشرح هذا الإجراء اقتبست منها الكنيسة القبطية إحدى صلواتها وهي المعروفة بالقسمة السريانية.

طقس الأرمن:

الكاهن يقسِّم القربانة إلى نصفين فوق الكأس قائلاً: [ملء الروح القدس]. ثم يقسِّم أحد النصفين إلى ثلاثة أجزاء ويضعهم في الكأس على هيئة صليب(30). ولا توجد صلاة خاصة للقسمة.

طقس أورشليم:

ليتورجية يعقوب الرسول ـ (لا تزال تُستخدم في أوقات معيَّنة).

يُقسِّم الكاهن القربانة ويمسك نصفها بيده اليُمنى والنصف الآخر بشماله ويغمس النصف الأيمن في الكأس قائلاً: [لاتحاد الجسد المقدَّس والدم الكريم لربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح](31) ـ ولا توجد صلاة خاصة للقسمة.

---

(26) *Ibid*., pp. 22, 40 etc.

(27) ويُسمَّى في الطقس السرياني: "**الجوهرة**" (وقد أخذ الطقس القبطي هذا الاسم مؤخراً ـ ظهر في الترتيب الطقسي للبابا غبريال الخامس سنة 1405 ـ وصار ضمن التقليد الكنسي الليتورجي. وطبعاً هذا الاصطلاح يشير إلى مثل التاجر الحكيم واللؤلؤة أو الجوهرة).

(28) *Ibid*., Tom II 3, 41.

(29) *Ibid*., p. III.

(30) Le Brun, *Explication de la Messe*, Diss. X, art. XX.

(31) Assemani, Tome V, p. 54.

الطقس البيزنطي: (يقدِّس على قربانتين)

يبدأ التقسيم على احدى القربانتين ويكمِّل وينتهي كله قبل البدء بالليتورجيا. ففي الطقس المسمَّى بروثيسيس Prothesis أي ''وضع القرابين'' على ''مذبح'' جانبي، ويمثل فيه الذبح والطعن بواسطة سكين خاصة = حربة lÒgch، وتقسَّم القربانة بالحربة إلى عدد محدد من الأجزاء (الحمل في الوسط وعن يمينه جزء العذراء مريم وعن يساره تسعة أجزاء لتسع طغمات وأسفله أجزاء الأحياء والأموات). ولا يزال يحمل هذا الطقس الابتدائي آثار التقديم الذبائحي الأصيل في هذا الموضع حيث يقول الكاهن وهو يقسِّم القربانة قولاً واضحاً صريحاً أنَّه يجري عملية ''قسمة'' حقيقية للذبيحة نفسها: [حمل الله الذي يرفع خطية العالم يُذبح الآن](32) ثم بعد التقديس في نهاية الليتورجيا وعند نداء الكاهن ''القدسات للقديسين'' يأخذ الكاهن القربانة الصحيحة الأخرى (القربانة المقدسة) ويقسِّمها إلى أربعة أقسام كل قسم عليه أحد أجزاء الختم المنطبع باليونانية على القربانة وهي على التوالي: '' IC - XC - NI - KA'' ومعناها: ''يسوع المسيح يغلب'' وهو يقول (الكاهن): [يُقطَّع ويُوزَّع حمل الله الذي يُقطَّع بدون أن ينقسم] ثم يأخذ بعد ذلك القسم الأعلى من الأربعة أقسام ويكون عليه الختم بحرفي ''IC'' وهو اختصار اسم ''إيسوس'' ويمسكه بيده ويقول: [في ملء الروح القدس] ويصنع به إشارة الصليب على الكأس ويضعه داخله(33). ويُلاحَظ أن هذا الطقس القديم يُجرى حالياً بنفس النظام.

طقس روما وميلان:

في طقس روما القديم (قبل القرن الثامن) لا توجد أية إشارة أو صلاة خاصة بطقس التقسيم (أو القسمة المقدسة)، كذلك طقس ميلان(34).

ومن مقارنة ''القسمة'' في هذه الطقوس مع الطقس القبطي يتضح الآتي:

1 ـ أن هناك ليتورجيات قديمة فقدت ''القسمة'' نهائياً داخل الليتورجيا الوصفية مثل هيبوليتس ـ قوانين الرسل ـ وكيرلس الأورشليمي، والسبب أن القسمة أُجريت صمتاً أي بدون صلاة أو كلام في طقس التقديم قبل البدء بالليتورجيا.

2 ـ إن هناك ليتورجيات حديثة فاقدة نهائياً أي طقس للقسمة مثل ليتورجيات روما وميلان.

(32) انظر التعليق لبومشتارك في كتابه: Baumstark, *op. cit.*, p. 132.

(33) *EuchＯlog. Goar.*, pp. 60, 81, 175, cited by *Dict. of Ant.*, p. 687.

(34) Baumstark, *op. cit.*, pp. 136-137.

لأن حتى ما كان يُجرى في صمت في طقس التقديم الأَوَّل سقط مع مرور الزمن بسقوط طقس التقديم نفسه.

3 ـ ليتورجيات احتفظت بطقسين للقسمة: طقس أول للقسمة بمفهومه الذبائحي في وضعه الكامل قبل البدء بالليتورجيا، وبذلك خرجت القسمة عن مجال التقديس وفقدت بالتالي هيبتها وكرامتها كفعل ذبائحي داخل في صميم التقديس وذلك بسبب إهمال وسقوط طقس التقديم كله المسمَّى Prothesis من دائرة الليتورجيا كجزء رسمي مقدَّس فيها.

4 ـ ثم طقس مصغَّر آخر للقسمة بدون صلاة عبارة عن جملة واحدة في نهاية الليتورجيا ـ فظهرت القسمة هنا صورة مصغَّرة ضعيفة للقسمة الأُولى الأوسع التي خرجت خارج الليتورجيا بوضعها في البروثيسيس (التقديم الأول). وهذا مثل الطقس البيزنطي كله.

5 ـ ليتورجيات فقدت القسمة الأُولى بفقدها لطقس التقديم جملة وتفصيلاً، ولم يسعفها التطور لوضع قسمة أخرى داخل الليتورجيا قبل التناول إلاَّ بحركة مختصرة وجملة مختصرة، كما في الطقس الأُورشليمي والطقس الأرمني.

6 ـ أمَّا الطقس القبطي (والطقس السرياني إلى حد ما) فقد احتفظا بمفهوم ''القسمة'' كإجراء طقسي ذبائحي عملي ولاهوتي شرحي كامل، بصلاة خاصة. فأصبح ذا مكانة كبيرة ومهيبة داخل الأنافورا. وقد تمَّ ذلك منذ القديم برفع القسمة كلها من طقس التقديم العملي وهي في حالة احتفاظها الكامل بمعناها الذبائحي، ثم تمَّ إدخالها في صميم الأنافورا بعد التقديس. لذلك فإن طقس ''القسمة'' في الأنافورا القبطية يعتبر الرباط الجوهري الذي يربط بين "**طقس تقديم الحمل**" العملي **وطقس الأنافورا التذكاري الشرحي**. جاعلاً من الطقسين طقساً واحداً كبيراً وممتداً يشمل الإجراء العملي الذبائحي والشرح الليتورجي في وحدة منسجمة أقصى ما يكون الانسجام.

ويُلاحَظ هنا أن "**كسر الخبز**" ثم التناول منه الذي كان يأتي في بداية إفخارستيا العشاء الأخير، يأتي هنا في الطقس القبطي في نهاية الإفخارستيا كلها لكي يتمم حرفياً قول الرب: «**وكسر** وأعطى قائلاً خذوا **كلوا**» حيث هنا بعد القسمة تتم الشركة مباشرة.

ولنا في أقوال كليمندس الإسكندري ما يشير إلى وجود ''القسمة'' قبل الشركة مباشرة في طقس الإسكندرية في القرن الثاني: [وبعد أن تقسَّم الإفخارستيا حسب العادة (نظام القسمة له تقليد

حسب التسليم) يسمح لكل واحد أن يأخذ نصيبه][35].

كذلك ينقل لنا بيثيون باكر في كتابه عن تاريخ العقيدة قولاً لكليمندس يشرح فيه حالة الأغابي العامة التي تقام في الكنيسة حينما كانت الأغابي تقام بعد الإفخارستيا: [كانت الإفخارستيا في البداية يتم فيها "تقديس **الخبز** والخمر، ثم **توزع** بواسطة الشمامسة"[36] وبعد ذلك يكون العشاء].

وكذلك يشير البابا ثاؤفيلس الإسكندري البطريرك الثالث والعشرون إلى القسمة في خطابه الفصحي الأول بوضوح.

ويُلاحَظ أن الآباء كانوا منتبهين غاية الانتباه من جهة العلاقة بين تقسيم الخبز وبين وحدة الشركة، وكأنما الأجزاء الكثيرة المقسمة من الخبزة الواحدة حينما تستقر في أحشاء المؤمنين تجمعهم بقوة وحدتها الأُولى الجوهرية (الجسد الواحد ـ الخبزة الواحدة) تجمعهم إلى واحدٍ سرًّا!!

وهذا يتضح من قول ديونيسيوس الأريوباغي:

[وعندما يكشف الكاهن الخبز الذي كان مغطًّى وهو خبزة واحدة غير منقسمة ثم يقسمها إلى أجزاء كثيرة ثم يوزع الكأس الواحد على الكل فهو إنما بالرمز يكثر ويوزع الوحدة unity].

وأيضاً لديونيسيوس الأريوباغي:

[وحينما يكشف الكاهن القرابين المغطاة ويقسِّم "**الواحد**" إلى أجزاء كثيرة ... فإنه يجعل الذين يتناولون إنما يشتركون مع بعضهم البعض في هذا (الواحد).][37]

عادة الاحتفاظ بالإفخارستيا (جسد مغموس بالدم)
في بيت الأسقف أو الكاهن، للطوارئ:

من سيرة القديس البابا ديونيسيوس الكبير الإسكندري (سنة 200 ـ 265م):

[وكان معنا رجل مؤمن متقدم في الأيام يُدعى سيرابيون، هذا قضي عمره الطويل بلا لوم، ولكنه في زمان التجربة سقط بسبب الاضطهاد (أي قدَّم الذبيحة للأوثان)، وعبثاً حاول هذا الإنسان أن يحصل على الحل بتوسُّل دائم وصلاة، ولكن لم يلتفت إليه أحد (من الكهنة) قط باعتبار أنه ذبح للأوثان. وأخيراً وقع مريضاً وظل إلى ثلاثة أيام وهو في حالة إغماء لا يسمع

(35) Clement of Alex., *Stromata*, I, 1, ANF, II, p. 300.
(36) Bethune-Baker, *Early History of Christian Doctrine*, p. 407.
(37) *De Eccl. Hierar.*, ch. III, cited by *Dict. of Anti.*, vol I, p. 688.

ولا يحس. وفي اليوم الرابع انتعش قليلاً فاستدعى حفيده ابن ابنته وقال له: ''يا بني إلى متى تمنعونني؟ أتوسَّل إليك أسرع واحصل لي على الحل واستدع لي أحد الكهنة'': وإذ قال هذا ذهب في غيبوبة طويلة مرة أخرى. فجرى الولد إلى أحد الكهنة، ولكن الوقت كان مساءً وكان الكاهن مريضاً فلم يستطع الحضور معه، **ولكني كنت قد أصدرت وصية أن الأشخاص الذين يبلغون حالة الموت إذا طلبوا الحل وخصوصاً إذا ألحوا في ذلك مخلصين فإنه يلزم إعطاؤهم الحلّ، حتى ينطلقوا من الحياة في رجاء بفرح، لذلك أعطاه الكاهن جزءاً صغيراً من الإفخارستيا** وأوصاه أن ينقِّع هذا الجزء (يبدو واضحاً أنه جزء من الجسد مغموس بالدم محفوظ في بيت الكاهن) في الماء ويسقطه في فم الرجل، فعاد الولد حاملاً "**الجزء**". ولما اقترب إلى المنزل وكان لم يدخله بعد أفاق سيرابيون مرة أخرى وقال (وهو لم يرَ الولد بعد): ''ها قد حضرت يا بنيَّ والكاهن لم يحضر ... أسرع يا بنيَّ واصنع ما أوصاك به ودعني أنطلق''. أمَّا الولد فنقَّع ''الجزء'' في ماء وأسقطه في فم الرجل فبلعه في الحال، وللحال أسلم الروح**!!** أليس من الواضح جداً أن هذا الإنسان ظل محفوظاً ولم يُصرَّح له بمغادرة الحياة حتى نال الحل**؟!!** وأنه انتظر **حتى تُمسح خطاياه ولكي تتزكَّى أعماله الصالحة السابقة؟!!**][38]

ولكن هذه العادة أُبطلت منذ أيام القديس أثناسيوس الرسولي:

[من أجل السراير المقدسة جسد المسيح ودمه لا تفضلوا منه شيئاً **من المساء إلى باكر**، ولكن كلما أرادوا أن يصنعوه (أي يقيموا الإفخارستيا) فها المذبح ''المقدَّس'' مستعد.]

القانون الثامن والسبعون

وهذا يكشف لنا ضمناً أن إقامة السرائر المقدَّسة (الإفخارستيا) كانت **تُقام ليلاً** بصفة عامة كما سبق وأوضح لنا ذلك كليمندس الإسكندري:

[وهكذا أيضاً **فإن الأسرار تُقام في أغلب الأوقات ليلاً** إشارة إلى مناسبة انطلاق النفس من الجسد الذي يحدث ليلاً.][39]

وللأسف هنا يتضح بداية نسيان أصل التقليد القديم أن سبب إقامة الأسرار ليلاً هو أن المسيح

(38) Dionysius the Great, Patr. of Alex., *Epistle III*, 11, ANF, vol VI, p. 101.

(39) Clement of Alex., *Stromata* IV, 22, ANF, vol II p. 435.

أسسها في عشاء الخميس وأن جميع الولائم المقدسة كانت حسب التقليد اليهودي تُقام ليلاً، حتى المعمودية كانت الكنيسة تتمسَّك بأن تُقيمها ليلاً لأن المعمودية موت وقيامة، وقيامة المسيح ''في جدة الحياة'' حدثت والظلام باق (يو 1:20)[40]!! ولكن كليمندس معذور فهو أممي متنصِّر أي وثني الأصل، ومعروف أن سر الطقوس الوثنية التي شب عليها كليمندس تستمد فكرها من خيالات الظلام والليل[41].

طقس الكهنة الجدد عندما يشتركون في القسمة مع البطريرك يوم رسامتهم:

يقول البابا غبريال الخامس البطريرك الثامن والثمانون (1409 ـ 1427م) في كتابه (الترتيب الطقسي):

[ثم يتقدَّم القمص المدعو جديداً أو القس إلى عند الأب البطريرك **ويقسِّم معه ويشاركه في قسمة الجسد الطاهر، وإذا اشتركا في القسمة كل منهما يقسِّم ما معه ثلاثة أجزاء ويجعله في كفه اليمين ويجعل كفه الأيمن بأعلى كفه الأيسر**. ويلقِّنه الأب السيد البطريرك الاعتراف من عند (ابتداءً من): ''الجسد المقدَّس'' إلى: عند ''هذا هو بالحقيقة آمين''. ثم يأخذ الأب البطريرك الجسد الذي في يد الكاهن الجديد ويجعله في يده على الذي معه ويأخذ منه "**جوهرة**" ويضعها في يد الكاهن الجديد فيتناولها لذاته ...][42]

يُلاحَظ هنا استخدام كلمة "**جوهرة** Pearl" وصحيحها ''لؤلؤة'' وهو استعارة سريانية لمفهوم أجزاء الجسد. وقد لاحظنا في طقس البابا ديونيسيوس الإسكندري الكبير (سنة 200 ـ 265م) وما بعده أنها كانت تُدعى في الكنيسة القبطية "**جزء**" كما يُلاحَظ هنا أمران:

الأول: أن الكاهن يقسِّم الجسد مع البطريرك في نفس الصينية وفي نفس ''القربانة''.

الثاني: أن البطريرك يضع نصيب الكاهن في يده اليمنى وتحتها اليد اليُسرى ليأخذها ويأكلها ـ وليس بواسطة الملعقة أي ''الميستير'' كما هو حادث الآن.

صلوات القسمة المتنوعة

(40) Baumstark, *Comp. Lit.*, p. 66.

(41) *Ibid*.

(42) الترتيب الطقسي للبابا غبريال الخامس البطريرك 88 ـ مطبوعات المركز الفرنسيسكاني بالموسكي.

...الأولى ...مة الآن)	**صلاة قسمة عهد ربنا**	**صلاة قسمة سيرابيون**		**أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) قسمة ق. باسيليوس رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك**
	اللهم الرب الضابط الكل أبو ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح		(1) مؤهل التقدم للقسمة والشركة	يا الله الذي سبق فوسمنا للبنوة بيسوع المسيح ربنا كمسرة إرادتك كرامة لمجد نعمتك التي أنعمت بها لنا بحبيبك هذا الذي صار لنا به خلاصنا بدمه الطاهر لغفران الخطايا.
...ه ضابط الكل ...خلِّصنا يسوع ...لنا أهلاً الآن ...ـذا الموضع ...دينا إلى فوق ...دوس	الذي أعطانا مذبحاً ليس لخدام القبة أن يأكلوا منه		**تكرار لمقدمة القسمة** (2) الشكر لاستحقاق الوقوف في القداس (3) استحقاق الشركة والتناول	**نشكرك** أيها الرب الإله ضابط الكل لأنك جعلتنا مستحقين نحن الخطاة أن نقف في هذا الموضع المقدس ونكمِّل هذا السر المقدس السمائي لكي كما جعلتنا مستحقين أن نكملهما هكذا أيضاً فلنستحق الشركة والتناول منهما
...أله أن يجعلنا ...وتناول أسراره ...ة.	تفضل بعظم محبتك للبشر أن تجعلنا مستحقين بغير لوم أن ننال هذه السرائر المحيية	وأيضاً اجعلنا مستحقين يا إله الحق أن نقبل هذه الشركة فيك		
		مانحاً لأجسادنا الطهارة ولنفوسنا ارتقاءً في الفهم والمعرفة، وأعطنا الحكمة يا إله الرأفات.	(4) **التطهيرات اللازمة للشركة = (كليمندس)**	يا مَنْ فتحت أعين العميان افتح عيون قلوبنا إذ نطرح عنَّا كل ظلمة الشر والخبث الذي يشبه الدنس. ونستطيع أن نرفع أعيننا إلى فوق نحو بهاء مجدك القدوس. وكما طهرت شفتي عبدك إشعياء النبي إذ أخذ أحد السيرافيم جمرة بالملقط من على المذبح وطرحها في فمه وقال له إن هذه قد مست شفتيك فتُرفع آثامك وتُطهَّر جميع خطاياك، هكذا نحن أيضاً الضعفاء الخطاة عبيدك الطالبين رحمتك. تفضَّل **طهر أنفسنا وأجسادنا وقلوبنا** وأعطنا هذه الجمرة الحقيقية المعطية **الحياة للنفس والجسد والروح**.
...والدم الكريم ...ضابط الكل	(5) الجسد المقدس والدم الكريم اللذين لمسيحك	(5) عند تناولنا الجسد والدم	**تكرار لمقدمة القسمة** } **(5) من الجسد والدم**	**التي هي الجسد المقدَّس والدم الكريم اللذان لمسيحك**

لأولى سمة الآن)	صلاة قسمة عهد ربنا	صلاة قسمة سيرابيون		أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) قسمة ق. باسيليوس رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك
	(6) لا توقفنا في الحكم لأجل خطايانا لكن باركنا وطهرنا في كل شيء	(6) (مفهوم الدينونة داخل الأنافورا)	**(6) حق الإعفاء من الدينونة**	**لا للدينونة ولا للوقوع في الدينونة** ولا خزياً وتبكيتاً لزلاتنا لئلاَّ إذ ننال منهما بغير استحقاق نكون مدانين بهما ولئلاَّ تكون لنا كثرة كراماتك يا سيدنا علة ثقل أكثر للوقوع في الدينونة إذ نصير غير شاكرين لك أنت المحسن.

لأولى مة الآن)	صلاة قسمة عهد ربنا	صلاة قسمة سيرابيون		أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) قسمة ق. باسيليوس رئيس أساقفة قيصرية الكبادوك
	(7) انعم لنا يا رب بروحك القدوس	(7) المجد لك والقوة بابنك الوحيد في **الروح القدس** الآن وإلى الأبد آمين.	(7)	بل انعم لنا **بروحك القدوس** **لكي بقلب طاهر** **وسريرة مستنيرة** **بوجه غير مخزي** **وإيمان بغير مراءاة** **بمحبة كاملة** **ورجاء ثابت**
	لكي نجسر بدالة بغير خوف أن نصرخ إليك أيها الآب القدوس الذي في السموات **ونقول يا أبانا**			**نستجرئ بدالة** **بغير خوف** أن نقول الصلاة المقدسة التي أعطاها ابنك الحبيب لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلاً لهم: إنَّ في كل زمان إذا صليتم فاطلبوا هكذا **وقولوا: أبانا**

تابع صلوات القسمة المتنوِّعة

لقد عرضنا لنواة صلاة القسمة الأُولى الأثرية وهي نفسها نص الصلاة المسمَّاه الآن ''بمقدمة القسمة'' والتي على نمطها بدأت توضع توسعات لصلاة القسمة. ولكن يُلاحَظ أن صلاة القسمة عبرت في توسعها على مرحلتين:

المرحلة الأُولى:

وهي المرحلة التي فيها انحصر التوسُّع في نفس حدود ألفاظ ومعنى صلاة ''مقدمة القسمة'' الأُولى أي في **الشكر** (من أجل استحقاق الوقوف في الموضع المقدس أي في القدس!!)، ثم طلب **استحقاق للشركة والتناول من الأسرار**، ثم صلاة ''أبانا الذي'' في الختام، حيث يُطلب فيها خبز الغد الذي هو خبز الحياة الأبدية، ومغفرة الخطايا كنتيجة مباشرة لأكل جسد المسيح.

ولكن زيد على ذلك بعض التوسعات:

ففي صلاة قسمة أنافورا عهد ربنا أضافت:

أولاً: بدل ما جاء في مقدِّمة القسمة الحالية ''جعلتنا مستحقين أن نقف في هذا الموضع المقدس''، قالت «الذي أعطانا مذبحاً ليس لخدام القبة أن يأكلوا منه.» (عب 10:13)

ثانياً: كما أضافت بعد طلب الاستحقاق من التناول مباشرة ـ طلب الانعتاق من الدينونة (أي بسبب التناول بدون استحقاق)، وهذا الطلب نفسه نجده واضحاً ومؤكَّداً في أنافورا سيرابيون ليس في صلاة القسمة ولكن داخل جسم الأنافورا بعد طلب استدعاء الكلمة. كذلك نجد هذه الطلبة ـ أي طلبة الانعتاق من الدينونة بسبب احتمال عدم الاستحقاق من التناول ـ موضحاً أكثر وبتوسع أكثر في صلاة القسمة بحسب نص برايتمان (*LEW*) أنها لساويرس الأنطاكي المحسوبة الآن لأنافورا مرقس الرسول الطقس القبطي. ونحن نعتقد أن هذه الصلاة قبطية صميمة وليست لساويرس الأنطاكي، فصلوات القسمة السريانية تختلف اختلافاً جوهرياً عن تقليد القسمة عند الأقباط، كما نجد أنها في هذا الموضع (طلب الإعفاء من الدينونة) تستخدم نفس الألفاظ الواردة في أنافورا سيرابيون:

أنافورا سيرابيون	أنافورا القديس مرقس
ليس لدينونة يا إله الحق ولا للخزي أو التبكيت	لا لدينونة ولا لوقوع في دينونة ولا خزياً وتبكيتاً لزلاتنا.

بل ويعطينا القديس أثناسيوس الرسولي تعليماً ليتورجياً يشرح العلاقة بين الطهارة والدينونة والشركة، ويشير إلى هذا النص بعينه الوارد في الأنافورا في أيامه:

[علينا أن نصلِّي حتى لا نأكل الفصح بغير استحقاق لئلاَّ نتعرَّض للخطر، لأن بالنسبة للذين يحفظون العيد "**بطهارة**" يكون الفصح **طعاماً سماوياً**، أمَّا الذين يمارسونه بنجاسة أو استصغار فهو يكون خطراً وتوبيخاً.](43)

ويُلاحَظ أن روح العبارات هنا موازية لصلاة القسمة المستخدمة في أنافورا القديس مرقس (الكيرلسي) مما يرجح أنها ليست لساويرس.

ثالثاً: كما أضافت كل من أنافورا عهد ربنا وأنافورا القديس مرقس في النهاية طلب الروح القدس ـ بحسب تعليم الإنجيل ـ ليكون علة لجسارة مناداة الله "يا أبا الآب" أي بصلاة "**يا أبَّا الآب**" الذي في السموات. هذا الاتجاه الوارد بنصه في قسمة أنافورا القديس مرقس الرسول (الطقس القبطي) هو أيضاً تقليد قبطي أصيل لا علاقة له بالقديس ساويرس الأنطاكي لأنه وارد ضمناً في ختام الذوكصا لأنافورا القديس سيرابيون،

أنافورا عهد ربنا (عربي – بومشتارك)	أنافورا سيرابيون	أنافورا هيبوليتس	أنافورا القديس مرقس الرسول
انعم لنا يا رب بروحك القدوس لكي نجسر بدالة بغير خوف أن نضرع إليك أيها الآب القدوس الذي في السموات ونقول. يقول الشعب: أبانا الذي في السموات.	ليت الروح القدس يسبِّحك بالترنيم في داخلنا.	حتى يمتلئوا بالروح القدس الذين ثبت إيمانهم في الحق لكي نستطيع أن نسبِّحك ونمجِّدك.	انعم بروحك القدوس لكي بقلب طاهر وسريرة مستنيرة ووجه غير مخزي نجرأ بدالة بغير خوف أن نقول الصلاة المقدسة. أبانا الذي...

(43) Athanasius, *Festal Letter* V, 5, NPNF, 2nd Series, vol. IV, p. 519.

ولكن بالإضافة إلى الزيادات الواردة في قسمة أنافورا عهد ربنا وسيرابيون، تمتاز صلاة قسمة أنافورا القديس مرقس (الطقس القبطي) بإضافة أخرى مميزة وهي طلب التطهير على منوال ما تمَّ لإشعياء النبي من جهة الجمرة التي طار أحد السيرافيم والتقطها من على ''مذبح الله'' ومس بها شفتيه وقال له اطهر، وأضافت أنافورا القديس مرقس على رواية سفر إشعياء أن السيرافيم طرح الجمرة في فم إشعياء لكي يعود ويطبِّق هذا على وضع الجسد ـ والدم ـ وهو "**الجمرة الحقيقية**" المطهِّرة والمعطية الحياة للنفس والجسد والروح داخل فم المتناولين.

هذا التطهير الرمزي في العهد القديم وتطبيقه الواقعي الحي في العهد الجديد يتناسب بالفعل مع التقليد الإسكندري وليس هو من وضع ساويرس الأنطاكي، ولنا في أحد أقوال كليمندس الإسكندري (195م) عن هذه الجمرة وفعلها الإفخارستي ما يثبت أن هذا التقليد بل صلاة هذه القسمة برمتها هي إسكندرانية أصيلة وكانت تُمارس أيام كليمندس الإسكندري.

يقول كليمندس الإسكندري:

[إن إشعياء النبي تطهر لسانه بجمرة النار حتى يستطيع أن ينطق بالرؤيا، وكذلك نحن أيضاً يلزم أن نتطهر لا من جهة اللسان فحسب بل والآذان أيضاً إذا أردنا أن ندخل في ''الشركة'' لمعرفة الحق.][44]

كذلك نلاحِظ في نهاية التطهير بغرض الاستعفاء من الدينونة، أن أنافورا القديس مرقس تورد جملة هي في حقيقتها تقليد قديم في التعبيرات الإفخارستية في الطقس الإسكندري: هي **[لئلاَّ تكون كرامتك يا سيدنا علة ثقل أكثر للوقوع في دينونة، إذ نصير غير شاكرين]** حيث كلمة "**نصير غير شاكرين**" تفيد أن تقديمنا للإفخارستيا التي هي "**الشكر**" بمعناه الكلي والسري العميق يصير باطلاً إذا لم نوفي الشكر الحقيقي لله على كثرة خيراته لنا. وفي هذا يقول أوريجانوس وكأنه يعلِّق على هذا المقطع بالذات في الأنافورا:

[ونحن بالأكثر جداً مسئولون لئلاَّ نكون غير شكورين لله الذي حملنا أحمالاً من خيراته ونحن قبل كل شيء صنعة يديه، وهو الذي يعتني بنا في كل حال والذي أعطانا الرجاء بأمور تتجاوز الحياة الحاضرة، لذلك لنا في خبز الإفخارستيا مثال الشكر الذي نقدمه لله...][45]

(44) Clement of Alex., ANF, vol. VII, p. 313.

(45) Origen, *Against Celsus*, ANF, vol. IV, p. 661.

وعلى كل حال فإن صلاة القسمة الواردة في أنافورا القديس مرقس الرسول والمستخدمة كما هي اليوم، تُعتبر تقليدية قديمة، وقد عبرت صلوات القسمة بوجه عام من حيث مضمونها الإفخارستي واللاهوتي على ثلاث مراحل:

المرحلة الأُولى: وهي لا تخرج قط عن عناصر ''القسمة الأُولى'' المعروفة الآن ''بمقدمة القسمة'' والتي هي في حقيقتها مرتبطة أشد الارتباط بالتناول الذي سيليها مباشرة، ولا تخرج في معناها ومبناها عن كونها استعداداً أو إعداداً للتناول.

ولما بُدئ بوضع صلاة للقسمة مطولة خاصة بقداس مرقس الرسول (الكيرلسي)، دخلت هذه المقدمة فيه بأكملها (انظر الجدول صفحة 750) وهي غالباً من القرن السادس. وظلت حتى اليوم صلاة قسمة أنافورا القديس مرقس الرسول ملتزمة بهذا الطابع الفريد.

أمَّا المرحلة الثانية من التطور فتمثلها بوضوح صلاة القسمة عند السريان المستخدمة الآن وهي في حقيقتها ثلاث صلوات منفردة، وهي التي اقتبست الكنيسة القبطية بعض أجزاء منها وجمعتها في صلاة واحدة، وأسمتها ''صلاة قسمة سريانية''. وفي هذه الصلاة نجد أن القسمة خرجت **نهائياً** عن مضمون الاستعداد أو الإعداد للتناول لتدخل مرحلة أخرى من التطور فانشغلت في وصف:

1 ـ "**آلام الجسد**" بالصليب. 2 ـ و"**الذبح والكسر**".

3 ـ "**والطعن**" . 4 ـ وخروج "**الدم والماء**".

5 ـ "**وتخضب الجسد بالدم**". 6 ـ "**وانفصال**" النفس عن الجسد.

7 ـ "**وعودة اتحاد**" النفس بالجسد. 8 ـ **وانتقالنا** من التدبير **الشمالي إلى** التدبير "**اليميني**".

وهذه الأفعال كلها جُعلت لتكون مطابقة لعملية القسمة كعملية قائمة بحد ذاتها على مستوى ما تمَّ على الصليب، حيث:

1ـ شق القربانة بمثابة آلام الجسد.

2ـ وتقسيم الأجزاء على شكل صليب بمثابة الذبح.

3ـ وفصل الجزء الأعلى من فوق الذسبوتيكُن بمثابة الطعن.

4ـ وغمس الجسد في الكأس الممزوج بمثابة خروج الدم والماء من الجنب.

5ـ وصبغ القربانة المقسَّمة بالذسبوتيكُن المغموس بالدم بمثابة تخضُّب الجسد بالدم.

6ـ وعودة جميع الأجزاء المقسَّمة لتعود القربانة إلى شكلها الأول الصحيح بمثابة عودة اتحاد النفس بالجسد.

7ـ وإرجاع الأجزاء الموضوعة على شمال الثلث الأوسط إلى اليمين مرة أخرى بمثابة انتقالنا من التدبير الشمالي إلى التدبير اليميني.

وهذه المرحلة في الواقع هي تطور مبدع في إعطاء القسمة صفة الواقعية الحركية، فكما يكون النطق تكون الحركة في توافق وتوقيع غاية في العمق السري، ولكنها في الواقع أخرجت مراحل التسلسل الإفخارستي عن سلاستها وتتابعها المرحلي، لأن صلاة القسمة السريانية بهذه الكلمات أرجعتنا إلى الوراء مرة أخرى إلى الليلة التي أُسلم فيها والتأسيس.

وقد حذا حذو صلاة القسمة السريانية كثير من صلوات القسمة التي بُدئ بتأليفها منذ القرن السادس منحصرة في موضوع الآلام على الصليب والذبح والموت.

المرحلة الثالثة:

وفيها تحررت صلاة القسمة عن كلا المضمونين اللذين تقوم عليهما المرحلة الأُولى والثانية أي في كونها صلاة توسُّل للاستعداد للتناول، أو في كونها تعبيراً توقيعياً واقعياً عن عملية قسمة الجسد في عبارات ذبائحية، حيث تدخل صلوات القسمة في هذه المرحلة إلى مفهوم المناسبات الكنسية الخارجة عن مضمون واقع القسمة أو التناول، وذلك إمَّا بصلوات تخص الميلاد أو العماد أو الصوم أو القيامة، أو حتى صلوات تخص مناسبات أخرى كأعياد للعذراء أو الملائكة.

وهذه المرحلة الثالثة دخلت مُؤخراً للكنيسة لأن مفهوم الأعياد **"كحدث تاريخي يقام تذكاره"** بجمل خاصة بكل مناسبة داخل الإفخارستيا لم يُعرف في اللاهوت الطقسي إلاَّ بعد القرن الرابع بمدة طويلة، لأن الكنيسة كانت تعتبر الأعياد في عصورها الأُولى حدثاً غير تاريخي غير محصور زمنياً[46]؛ بل حدثاً روحياً حياتياً، حدثاً قائماً ودائماً، بل وتعتبر أن الإفخارستيا هي هي بجملتها ككل، عيد ميلاد وعماد وقيامة وعيد للعذراء والملائكة وعيد للخليقة كلها السماء والأرض معاً!

صلاة "أبانا الذي ...":

(أ) يبدو أن الليتورجيات الأُولى كانت تخلو تماماً من صلاة ''أبانا الذي ...'' فهي غير موجودة في التقليد الرسولي لهيبوليتس ولا في قوانين الرسل (كليمندس) ولا في الكتابات الليتورجية الخاصة بالقديس يوحنا ذهبي الفم، ولا في أنافورا سيرابيون.

(46) Baumstark, *Comp. Lit.*, pp. 152 ff.

وأول ظهور صلاة "أبانا الذي ..." في صلوات الإفخارستيا ظهرت في شمال أفريقيا مع أورشليم في نفس الوقت، أي في أواخر القرن الرابع، فقد ذكرها القديس كيرلس الأُورشليمي في عظاته للمعمَّدين سنة 348. وقد جاءت في شمال أفريقيا متصلة بقبلة السلام حيث تجيء تطبيقاً عملياً لقول الصلاة الربانية "كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا"(47)، مما يشير إلى أن قبلة السلام كانت قبل التناول مباشرة. وهكذا نرى أن دخول صلاة "أبانا الذي ..." جاء متأخراً في نهاية القرن الرابع بالنسبة لكافة الطقوس سواء طقوس أورشليم أو سوريا أو مصر، أمَّا روما فتأخر دخولها حتى سنة 595م في أيام غريغوريوس الكبير (الأول). ولم تتبع روما نظام شمال أفريقيا في وضع صلاة "أبانا الذي ..." بين القسمة وبين التناول أي قبل التناول مباشرة بل وضعتها مثل طقس أورشليم بين صلاة الشكر (مقدمة الإفخارستيا) والقسمة.

أمَّا كيفية تلاوة صلاة "أبانا الذي ..." فيوجد اختلاف كبير بين الكنائس:

ففي أورشليم يتلوها الأسقف والشعب معاً(48).

أمَّا في الغرب ـ كما في شمال أفريقيا ـ فيتلوها مقدم الإفخارستيا وحده ولا يشترك الشعب إلاَّ في كلمة "آمين" في نهايتها أو بالمقطع الأخير منها(49). ولا يزال بقايا هذا التقليد موجود في مصر، فبالرغم من اشتراك الشعب كله فيها الآن إلاَّ أنه بعد تلاوتها يعود الخورس ويردد آخر مقطع باللغة القبطية (حسب التقليد القديم) "**خين بي اخريستوس إيسوس بنشويس**" = بالمسيح يسوع ربنا.

ويقول أغسطينوس عن ذلك في إحدى عظاته:

[وتتلى صلاة "أبانا الذي ..." يومياً على المذبح والمؤمنون "**يسمعونها**".](50)

أمَّا في الطقس السرياني (وقد أخذت عنه ميلان وكل فرنسا في القرن السادس)، فالكنيسة كلها تشترك في تلاوتها كما هو حادث **الآن** في مصر.

وجدير بنا هنا أن نلفت النظر أكثر إلى القيمة الإفخارستية الكائنة في صلاة "أبانا الذي ..." حيث يحمل وضعها في نهاية القسمة عند الأقباط وقبل التناول مباشرة، معنى سرياً للغاية وله صلة

(47) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 108.
(48) *Ibid.*, p. 131.
(49) *Ibid.*
(50) Augustine, *Serm.* 58.

قوية بترجمتها الواردة باللغة القبطية ⲡⲉⲛⲱⲓⲕ ̀ⲛⲧⲉ ⲣⲁⲥϯ ⲙⲏⲓϥ ⲛⲁⲛ ̀ⲙⲫⲟⲟⲩ = [خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم]. حيث شرحها الإفخارستي كالآتي:

أخذ شعب إسرائيل في مسيرته في برية سيناء نحو أرض كنعان عطية المن السمائي، ولكن كان يوم الجمعة له امتياز دون جميع الأيام بصفته اليوم السابق للسبت المقدَّس، إذ كانت السماء تعطي فيه للشعب ضعف نصيبهم اليومي (مقدار عمرين بدلاً من عمر للواحد)، فكان لسان حال الشعب يوم الجمعة وهو واقف ينتظر عطية السماء خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم ولكنه كان خبز الجسد المائت آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا (يو π ϛ ϗ ϕ). والراحة كانت راحة الجسد المؤقتة لأن جثثهم سقطت في القفر (عب ϛ ϗ ϐ ο). أمَّا الآن فقد علَّم الرب تلاميذه أن يطلبوا ليس ليوم الجمعة فقط بل كل يوم وكل ساعة "**خبز الغد**"، هذا يعني سرًّا أننا الآن وبصفة مستمرة متغربون على الأرض في يوم هذا الدهر (نحن الغرباء في هذا المكان) ونطلب بإلحاح "**خبز الغد**" الأبدي خبز سبت الملكوت "أعطنا اليوم". نعم لقد وهب لنا المسيح أن نأكل الآن وفي صميم هذا الدهر خبز الغد الأبدي، خبز السماء الذي كل مَنْ يأكله لا يموت، الذي هو هو جسد المسيح السري خبز الحياة النازل من السماء، الإفخارستيا بعينها!

انظر الآن كيف صار الحبك والإتقان المبدع بين الدعاء بصلاة "أبانا الذي ..." ثم التقدم مباشرة للتناول من "الجسد والدم"!

لذلك لا أكون مغالياً إذا قلت أن صلاة "**أبانا الذي** ..." تُعتبر صلاة إفخارستية بالدرجة الأُولى.

وهكذا كانت نظرة الكنيسة الأُولى إذ يقول عنها ترتليان (ϐ ⲙ ο م):

[إن الصلاة الربانية يجب أن تُحفظ كأساس وأن أي بناء إضافي من الصلوات الأخرى يتحتَّم أن يوضع وفقاً لها.][51]

كذلك نسمع غريغوريوس الكبير أسقف روما:

[إن الرسل كانوا يقدسون مادة الصعيدة بواسطة صلاة أبانا الذي في ا لسموات وحدها!!][52]

ويعلِّق ريتشاردسن على ذلك معللاً هذا الكلام بأن صلوات الديداخي مرتبة فعلاً على كلمات

(51) Tertullian, *De Orat.*, X, cited by Richardson, *op. cit.*, p. 405.

(52) Gregory the Great, *Ep*. XII, 26, cited by Richardson *op. cit.*, p. 404.

صلاة ''أبانا الذي في السموات''(53).

(ب) صلاة تعقيب ''أبانا الذي''، وتُدعى في الغرب باسم The Embolismus ويتبع صلاة ''أبانا الذي ...'' في معظم الليتورجيات صلاة تعقيب على ''ابانا الذي ...'' تتركز كلها في طلب عدم الدخول في تجربة العدو، وتزيد الطلبة في أنافورا القديس مرقس بطلب الخروج أيضاً من التجربة وإطفاء سهام إبليس المتقدة. والمقصودة طبعاً التجارب ''الروحية''.

ويختلف الطقس الأثيوبي (الحبشي) عن كافة ليتورجيات العالم كله في وضع صلاة ''أبانا الذي...'' والتعقيب عليها بعد التناول وليس قبله، وطبعاً ما يعزز هذا الوضع ويجعله مقبولاً هو حادثة يهوذا الذي إذ أخذ اللقمة دخل في تجربة الهلاك الأبدي، لذلك فطلب الانعتاق من تجربة الشيطان بعد التناول تستمد لياقتها من هذه الحادثة.

صلاة الخضوع بعد "أبانا الذي ..." The Inclination:

هذه الصلاة، ولو أن ''دكس'' يقول عنها أنها من إضافات القرن الرابع، ولكن الأدلة والشواهد تثبت أنها أقدم من ذلك.

ولكن العجيب والغريب علينا الآن أن نعرف **أنها كانت (في أيام سيرابيون) تقال بعد أن يتناول الكهنة والشمامسة من الذبيحة**(54)، إنما قبل أن يتناول الشعب. ولكنها كما هو معروف تُقال الآن قبل التناول عامة.

ودليلنا هو العنوان الموضوع لهذه الصلاة في خولاجي سيرابيون (350م) حيث يقول العنوان (Rubric)(55): "**بعد أن يتناول الكهنة ـ صلاة بوضع اليد ـ (أي بركة) ـ على الشعب**".

وصلاة الخضوع أو "**وضع اليد**" للبركة Blessing على الشعب المنحني برأسه حسب نداء الشماس في أنافورا سيرابيون هي كالآتي:

[ارفع يدي فوق هذا الشعب، متوسلاً أن تمد يد الحق وتمنح هذا الشعب بركة بمحبتك للبشر وبواسطة هذه الأسرار يا إله الرأفات، اليد التي تقوّم للتقوى والطهارة وتمنح انضباطاً للقداسة

(53) Richardson, *op. cit.*, p. 404 n.2.

(54) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 513.

(55) من الكلمة اللاتينية rubrica ومعناها: عنوان بالخط الأحمر لجزء من كتاب أو مخطوطة أو بمعنى: (عنوان) فقط، أو بمعنى توجيه للإرشاد في الخدمة الليتورجية.

لكي تبارك على كل أعضاء هذا الشعب وتحفظهم في أسباب النمو والارتقاء بواسطة الوحيد يسوع المسيح في الروح القدس من الآن وإلى دهر الداهرين آمين].

وواضح أن وضع هذه الصلاة هو لتشجيع الشعب على الاقتراب والتناول من الأسرار المقدسة بسبب المهابة والخوف الذي بدأ يتسرب إلى وجدان الشعب من جهة التحذيرات الكثيرة التي وضعت في الصلوات والتعاليم المختلفة، والتي جعلتهم يحجمون كثيراً عن التناول(56).

ولنا في القصة التي أثبتناها صفحة 471 عن البابا ديونيسيوس الكبير أكبر شاهد على ذلك. كذلك فإن صلاة الخضوع (البركة) على الشعب في ليتورجية قوانين الرسل (الكتاب الثامن ـ كليمندس) توضح بالأكثر هذا الاتجاه نحو تقوية وتشجيع الشعب بالصلاة للإقتراب والتناول:

[يا الله القوي والمقتدر الاسم، القوي في مشورته والشديد في أعماله، إله وأبو فتاك pa‹j القدوس يسوع المسيح مخلِّصنا، اطلع علينا وعلى شعبك هذا الذي اخترته ''فيه'' لمجد اسمك القدوس، قدِّس أجسادنا وأنفسنا، واجعلنا ـ إذ صرنا أطهاراً من كل دنس الجسد والروح ـ مستحقين للتناول من هذه الخيرات الموضوعة أمامك، ولا تحكم على أحد منا بعدم الاستحقاق، ولكن كن أنت معيننا ومعضدنا والمدافع عنا بالمسيح الذي لك معه المجد والكرامة والتسبيح والترنيم والشكر مع الروح القدس إلى الأبد آمين.](57)

ويُلاحَظ أن طقس شمال أفريقيا ظهرت فيه هذه الصلاة ـ أي صلاة الخضوع ـ بوضع اليد بالبركة قبل التناول بواسطة الأسقف منذ القرن الرابع، والقديس أغسطينوس يعطي أمثلة من هذه الصلاة مما يوضح أنها لم تكن صيغة واحدة محددة(58).

كذلك طقس روما، فهو يحتوي على هذه الصلاة من القرن الرابع سنة 385م:

[إن القسوس الذين نسميهم أساقفة يتلون صيغة مسلَّمة اليوم بكلمات رسمية يباركون بها الشعب ... وحتى ولو كان الإنسان قديساً إلاَّ أنه يلزم أن يحني رأسه ليقبل البركة](59)

ولكن للأسف فقد بطل هذا الطقس في روما منذ القرن السادس، ولكن بقاياه ظلت موجودة في

---

(56) *Ibid*.

(57) *Ibid*., p. 514.

(58) *Ibid*., p. 517.

(59) Ambrosiaster, *Quaest*. 109, quoted by Dix, *op. cit*., p. 518.

صلوات قصيرة حتى إلى زمن البابا ليون العاشر[60].

أمَّا في مصر، فصلاة الخضوع قبل التناول قائمة منذ القرن الرابع، كما وجدناها في أنافورا القديس سيرابيون. أمَّا صلاة الخضوع في أنافورا القديس مرقس الطقس القبطي فهي موسَّعة جداً وربما تكون أطول صلاة للبركة على الشعب في كافة الليتورجيات جميعاً. ومكتوب عليها بالخط الأحمر عنوان Rubric أنها من وضع ''يوحنا أسقف بوسطرة'' وهو معاصر للقديس ساويرس الأنطاكي، أمَّا الصلاة الواردة في الخولاجي المطبوع فهي مطابقة للروح القبطية وبها عدة مقاطع دخلت في صلاة القسمة للقديس باسيليوس، وفي أنافورا غريغوريوس (القبطي)، كما ورد فيها مقطع نجده بألفاظه تقريباً في أقوال أوريجانوس، مما يجعلنا نعتقد أن هذه الصلاة قديمة جداً وليس كما تبدو للعلماء. ونذكر للقارئ بعض هذه المقاطع وما يقابلها:

مقطع من صلاة الخضوع قبل التناول وارد في أقوال أوريجانوس = (وأسلوبه مصري صميم)	**ما يقابله في صلاة الخضوع لأنافورا القديس مرقس الرسول**
[أعطنا يا الله ضابط الكل: 1ـ (شركة) **نصيباً مع أنبيائك** 2ـ و(شركة) نصيباً **مع رسل مسيحك** 3ـ وتفضل أن نكون عند **قدمَي ابنك الوحيد]**[61].	2ـ نصير شركاء في الجسد، 1ـ وشركاء في الشكل ⲙ̀ⲙⲟⲣⲫⲏ ϣ̀ⲫⲏⲣ وهي الكلمة المستعملة في رو **8: 29**: «مشابهين صورة ابنه» ح ـ وشركاء في **خلافة مسيحك**.

وهنا ينبغي أن نتدارس أحد الاصطلاحات النادرة التي كانت شائعة في اللاهوت الطقسي قديماً وهو احتساب استعلان الإفخارستيا على المذبح بمثابة ظهور أو استعلان وقوف الرب "**بقدميه**" على المذبح. وفي هذا يقول القديس أثناسيوس الرسولي في قوانينه:

[هكذا فليتطهر القسوس عند اقترابهم من المذبح لا سيما لأنه قد قُسِّم عليه الجسد المقدَّس ... كما يشهد بهذا سبعون شيخاً من بني إسرائيل قائلين إنَّنا نظرنا الموضع الذي وقف عليه

(60) John M. Neale, *op. cit.*, p. 516.

(61) Origen, *Hom. on Jerem.* XIV. 14, cited by Srawley *op. cit.*, p. 43 n.5.

إله إسرائيل (جبل سيناء) والموضع الذي تحت قدميه صار مثل حجارة كريمة: عقيق وأسمانجوني (زرقة صافية) كمثل جلد السماء في تقديسه، فإن كان الحجر قد "**انتقل**" إلى هذا الشكل الواحد (الفريد) وصار في مثل هذا الحسن، فكم **بالحري الموضع المقدَّس الذي يقف عليه كل يوم، الموضع الذي ظهرت لنا قدماه عليه؟]**
(القانون السابع ـ مخطوطة النوموكانون)

ومعروف أن القديس أغسطينوس أخذ عن أوريجانوس وعن التقليد القديم استخدام هذا التعبير عينه موضحاً في مواضع عديدة أن الإفخارستيا هي بمثابة استعلان قدمي الرب (أي قدومه). من هنا نفهم قول أوريجانوس: [وتفضل أن نكون عند قدمي ابنك الوحيد]. أنه يعني الشركة في الجسد الإلهي المقدس، التي صححتها أنافورا القديس مرقس وقالت: ''نصير شركاء الجسد''.

مقطع من صلاة الخضوع قبل التناول وارد في "صلاة القسمة" لباسيليوس (قبطي)	**ما يقابله في أنافورا القديس مرقس (قبطي) "صلاة الخضوع"**
وكل فكر *لا يرضي صلاحك يا الله* **فليبعد عنَّا**	**كل فكر** *رديء أرضي* **فليبعد عنا**.

مقطع من صلاة الخضوع قبل التناول وارد في أنافورا القديس غريغوريوس	**ما يقابله من أنافورا القديس مرقس "صلاة الخضوع"**
بذلت **ظهرك للسياط** خديك أهملتهما **للطم** **لأجلي يا سيدي لم ترد وجهك عن خزي البصاق**	**الذي لطم،** **وجُلد،** **من أجلنا لم يَرُدَّ وجهه عن خزي البصاق**

وهكذا نرى أن دخول مقاطع هذه الصلاة العتيقة في أنافورا القديس باسيليوس وأنافورا القديس غريغوريوس يؤكد لدينا أنها قديمة وأنها قبطية صميمة على أغلب الظن، ولكنها موسَّعة نوعاً ما وما يقابلها عند السريان لا يعدو خمسة أسطر.

تاسعاً: التحليـــل

Prayer of Absolution

الطقس القبطي هو الطقس الوحيد بين طقوس كنائس العالم شرقاً وغرباً ـ باستثناء شمال أفريقيا في القرن الرابع ـ الذي يقول هذا التحليل في هذا الموضع. وإذا دققنا الفحص نجده في الحقيقة يأتي موازياً تماماً للتحليل الذي يختتم به طقس تقديم الحمل بعد الاستدعاء والمسمَّى هناك بطقس تحليل الخدَّام وهو في الحقيقة يشمل الخدَّام والكنيسة كلها، كذلك التحليل هنا نجده في المخطوطات القديمة يشمل أيضاً الكنيسة والخدَّام. ولكن ذكر الخدَّام وطغمات الكهنوت محذوفة حديثاً.

والجزء المحذوف ـ من التحليل الأخير ـ والمشار إليه في الخولاجي المطبوع بقوله: [وهنا يذكر مَنْ يريد أن يذكرهم من الأحياء والأموات] هو في الواقع مسجَّل كله في المخطوطات القديمة التي نقل عنها رينودوت[1].

وهذا التحليل في الواقع هو أصلاً من أجل الذين كانوا تحت قانون توبة وهو موضوع هنا في هذا المكان ليعطيهم الشجاعة الخاصة ليشتركوا مع بقية المؤمنين بضمير طاهر. لذلك حرص أن يذكر فيه الحل للتائبين هكذا: [اللهم يا حامل خطية العالم اسبق بقبول توبة عبيدك منهم نوراً للمعرفة، وغفراناً للخطايا]. ولكن اتسع هذا التحليل حتى شمل كل أحد وكل خطيئة.

كذلك استرعى انتباهنا المقطع الذي يقول فيه: [أنت الذي قلت لأبينا بطرس من فم ابنك الوحيد ... أنت هو بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها]. وهذه الفقرة بالذات مأخوذة عن النسخ القديمة لقدَّاس القديس باسيليوس **الطقس البيزنطي**[2] حيث جاءت في النسخة القبطية التي سجلها رينودوت في نفس الكتاب بنفس الصيغة ـ انظر قاموس الآثار المسيحية للدكتور سميث صفحة 9 جزء أول.

وبرجوعنا إلى طقس شمال أفريقيا وجدنا أن التقليد هناك يوضح جداً سبب مجيء هذا التحليل في

---

(1) Brightman, L.E.W., *Liturgy of St. Mark;* J.M. Neale, *Lit. of St. Basil-Copt*, p. 636ff.

(2) Renaudot, *Lit. Or.*, 1. 81 *Greek - Lit. or. Cop.* 1. 22. quoted by *Dict. of Antiq.*, vol. I, p. 9.

هذا المكان حيث كان التائبون يقفون صفاً وينتظرون هذا الحل بوضع اليد من الأسقف في هذه اللحظة بالذات، ولكن قبل صلاة: ‘‘أبانا الذي في السموات’’. كذلك فإن المتنيحين تحت الخطيئة المطلوب حلهم من خطاياهم كانت تُذكر أسماؤهم في هذه اللحظة أيضاً.

على أنه بعد أن يقبل التائبون حل الأسقف بوضع اليد يتجهون نحو المذبح ويقولون صلاة ‘‘أبانا الذي ... ’’[3]. كذلك في طقس الديداخي وهي التي تمثل أقدم طقس إفخارستي ليوم الأحد (أواخر القرن الأول) نجد في هذا الموضع ـ أي قبل التناول مباشرة يأتي الاعتراف بالخطايا والمصالحة بين المتخاصمين:

[وكل يوم أحد اجتمعوا معاً واكسروا الخبز، وصلوا الإفخارستيا بعد أن تعترفوا بخطاياكم حتى تكون ذبيحتكم طاهرة. ولكن لا تسمحوا لأحدٍ يكون في خلاف مع أخيه أن **يجتمع** (**يشترك**) **حتى يتصالحا** معاً لئلاَّ تتنجَّس ذبيحتكم].

مرد الشعب:

هنا يرد الشعب المرد المعروف: [‘‘خلصت’’ حقًّا ومع روحك أيضاً]. ولكن خطأ هذا التركيب في المعنى واللفظ واضح للغاية، فكيف أن الشعب يرد على الكاهن ـ وهو الذي أعطاهم الحل من خطاياهم هم ـ وقولون له "**خلصتَ**"؟ ثمَّ كيف يستقيم المعنى أن يزاد على ذلك "**ومع روحك**" ثمَّ لماذا تأتي ‘‘أيضاً’’ أي كيف يُقال: ‘‘ومع روحك أيضاً’’؟

الخطأ هنا وقع من النُّسَّاخ لأن المرد رومي أي باللغة اليونانية، وقابل جدًّا من حيث تسلسل الحروف للتحريف في النطق والكتابة معاً، وقد عثرنا على هذا المرد واضحاً في جزء من مخطوطة عتيقة للغاية وجدتها تحت أرضية المكتبة القديمة بمكتبة دير القديس أنبا مقار، وصورتها في ملزمة المخطوطات، حيث يتضح منها أن المرد هو:

خلصنا (أو نخلص) مع روحك أيضاً = **cwθhcomen** (كما في المخطوطة)

وباليونانية swq»somen

ᏣᏣ✠ᏦᏦ

(3) Bingham, *op. cit.*, vol. V. XV. iii, p. 340.

عاشراً: رفع الذسبوتيكُن والرشم والمزج المتبادل بين الجسد والدم
Elevation, Consignation & Commixture

القدسات للقديسين Sancta Sanctis:

وهذه سبق الإشارة إليها وذلك عندما يرفع الكاهن الذسبوتيكُن ليغمسها في الدم داخل الكأس، وهذا الاصطلاح قديم، وهو أصلاً موضوع لمواجهة حادثة يهوذا الخائن حيث جلس للعشاء وتقدَّم للسر وهو خائن، كذلك فإن هذا الاصطلاح له جذوره الأُولى في الديداخي: [مَنْ كان طاهراً فليتقدم]. إذاً فالقدسات للقديسين فقط، والديداخي تؤكد على ضرورة فحص المتقدمين للتناول في فصل 9: [لا تجعلوا أحداً يأكل أو يشرب من إفخارستيتكم إلاَّ الذين اعتمدوا باسم الرب، لأن بهذا الخصوص قال الرب أيضاً لا تعطوا "**القدس**" للكلاب]. ومرة أخرى في فصل 11: [لا تسمحوا لأحد أن يكون في خلاف مع أخيه أن يجتمع معكم حتى يتصالحا معاً لئلاَّ تتنجَّس ذبيحتكم].

ولكن يقول القديس كيرلس الأُورشليمي:

[إن ‘‘القدسات للقديسين’’ تُقال لأن مواد الإفخارستيا الموضوعة أمامنا قبلت الروح القدس عليها وأنتم قديسون أيضاً حينما يسكن فيكم الروح القدس، لذلك فإن القدسات تليق بالقديسين.][4]

وكذلك القديس يوحنا ذهبي الفم:

[فالكنيسة تنادي بذلك حتى إذا كان هناك إنسان غير مقدَّس فلا يقترب ... ولكن لا تقول الكنيسة (الشماس) على المكشوف مَنْ كان بلا خطية فليتقدَّم بل مَنْ كان فيه الروح القدس وهو متمسِّك بالأعمال الصالحة.][5]

واضح أنه بعد حلول الروح القدس على الصعيدة وعلى الشعب وإعطاء البركة في صلاة الخضوع بعد القسمة، ثم تلاوة ‘‘أبانا الذي ...’’ ثم إعطاء الحل للتائبين والمعترفين أن يصبح المتقدمون للتناول في عرف الكنيسة الأُولى ‘‘قديسين’’ أي مؤمنين متطهرين لائقين أن يكونوا أعضاء

(4) Cyril of Jerus., *Catech.* 23,19.
(5) Chrysostom, *in Heb.* XVII, 5.

في جسد المسيح ـ ومعناها الحرفي هو أن الأشياء التي لله هي للأشخاص الذين لله[6]. لذلك يصيح الكاهن بعد هذا رافعاً الصينية بالجسد على مستوى عينيه قائلاً "**القدسات للقديسين**"، وفيها أيضاً تحذير وإنذار أن الجسد المقدَّس والدم الكريم (القدسات) لا ينبغي أن يتقدَّم إليها إلاَّ المستعدون، وهذا الطقس قديم منذ القرن الرابع[7].

ويكون رد الشعب حسب الطقس القبطي: [واحد هو القدوس الآب. واحدٌ هو القدوس الابن. واحدٌ هو القدوس الروح القدس. آمين]، بمعنى أنه بصدد القداسة لا يوجد إلاَّ قدوس واحد هو الآب والابن والروح القدس. خصصتها الكنيسة القبطية على الثالوث، ولكن في أصل التقليد كما هو موجود مثلاً في ليتورجية أورشليم التي شرحها القديس كيرلس الأُورشليمي (+ 386م) وليتورجيا قوانين الرسل (الكتاب الثامن ـ كليمندس) موجودة هكذا: [واحد قدوس هو ربنا يسوع المسيح.][8]

هذا يعني بعرف الكنيسة الأُولى أن واحداً فقط هو منبع ومصدر كل قداسة وتقديس الذي هو الرب يسوع.

أمَّا أول مصدر معروف تاريخياً عن توزيع صفة "القدوس" على الأقانيم الثلاثة فهو ثيؤذور أسقف مبسوستيا في عظته السادسة[9]، وأول مَنْ رددها بهذا الوضع في الطقس القبطي هو البابا كيرلس الإسكندري[10] ولا يُعرف أحد قبله في الكنيسة القبطية ذكر هذا الاصطلاح إلاَّ ديديموس الضرير[11] إنما ليس بالمفهوم الليتورجي.

والمعتقد أن أول مَنْ استخدم هذا الاصطلاح والرد عليه هو كنيسة أورشليم في بداية القرن الرابع. **والعجيب أن طقس روما حتى إلى اليوم لا يستخدم قط هذا الاصطلاح**.

وقد وجدنا جُزءاً من مخطوطة عتيقة ربما من زمن قبل القرن العاشر أو التاسع بنهر واحد قبطي ليس له ترجمة عربية مقابلة، في أرضية مكتبة دير القديس أنبا مقار، ولاحظنا أنه لا يوجد به نداء الكاهن عند رفع الذسبوتيكُن بقوله: "القدسات للقديسين" بل يدخل مباشرة بعد التحليل في

(6) Greg. Dix, *op. cit.*, pp. 134, 145.

(7) *Ibid.*

(8) Cyril of Jerus., *Cat.* XXIII, 19.

(9) Theodore of Mopsuestia, *Cat.* VI, cited by Greg. Dix, *op. cit.*, p. 135.

(10) Greg. Dix, *op. cit.*, p. 135.

(11) Brightman, *LEW*, p. 509 n. 26.

الاعتراف بالجسد والدم المقدسين إنما بصورة مختصرة عمَّا هو موجود في جميع مخطوطات القرن الثاني عشر والثالث عشر التي استخدمها برايتمان وليتزمان (انظر الصورة في ملزمة المخطوطات، والترجمة في الجدول الآتي:

المخطوطة القديمة (حوالي القرن العاشر)	**مخطوطة برايتمان ويوازيها المطبوع في الخولاجي**
غير موجود	• القدسات للقديسين
غير موجود	• مبارك الرب يسوع المسيح ابن الله وقدوس
غير موجود	الروح القدس آمين.
غير موجود	• السلام للكل.
الاعتراف على "الجسد" المقدَّس:	**الاعتراف المقدَّس:**
جسد ودم حقيقي ليسوع المسيح آمين.	**جسد** مقدَّس **ودم** كريم **حقيقي ليسوع المسيح** ابن إلهنا **آمين.**
جسد ودم حقيقي ليسوع المسيح آمين.	مقدَّس وكريم **جسد ودم حقيقي ليسوع المسيح** ابن إلهنا **آمين.**
جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين.	جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين.

وهذا يجعلنا نعتقد أن دخول النداء "القدسات للقديسين" بصورة عامة وقانونية في الكنيسة القبطية حدث في زمن متأخر بعد القرن العاشر. ولكن هذا لا يمنع أن تكون الإسكندرية قد بدأت في استخدام هذا النداء منذ القرن الخامس إنما بصورة محدودة، إذ إنه لا يوجد في أي من البرديات أو المخطوطات القديمة. كما أن أنافورا سيرابيون تخلو منه تماماً.

ولكن لدينا إشارة مبكرة لمضمون هذا النداء وارد في أقوال هيبوليتس عن الفصح إذ يقول معنِّفاً الذين [لا يأتون بقداسة إلى القدَّاسات](12) ولكنه لا يذكر هذا كنص إفخارستي في إفخارستيته!

---

(12) *On the Pascha*, III cited by Dix, *op. cit.*, p. 105.

فهرس المصطلحات الإفخارستية

الابركسيس: Praxis, pr£xeij

الفصل المنتخب من سفر أعمال الرسل للقراءة أثناء قدّاس الموعوظين (يقول بعض الشمامسة خطأ ''فصل من **قصص** آبائنا الرسل'' وصحتها "**من أعمال**").

أرضية عالية حول المذبح: Raised place, The

درجة عالية تعلو أرضية الهيكل عليها المذبح – توجد غالباً في الأديرة ويدور عليها الكاهن أثناء دورات البخور.

الذسبوتيكُن: despotikÒn – Asbadikon

وبالقبطية cπoϒΔIKON – والأثيوبية تنطقها اسباذياكون أي نصيب الذياكون وتُغمس في الكأس. (انظر تفسيرها الصحيح في صفحة ßΞ ı).

أسبسموس: ¢spasmÒj – Aspasmos

وهي ألحان متنوعة تُتلى أثناء القبلة المقدَّسة. انظر ''سلام''

الاستدعاء: Invocation, Epiclesis

وباليونانية والقبطية ™p…klhsij – ويسمَّى في الخولاجي القبطي سر حلول الروح القدس.

وهو التوسل من أجل حلول الروح القدس ليحوِّل ويقدِّس القرابين – وهو عموماً يبدأ بعد أن ينتهي التذكار ¢n£mnhsin.

الأسرار: Mystery, mysteries

باليونانية must»rion ، وبالحبشية مستير، وتعني: خطة مخفية أو تدبير مُخفى.

ولكن في سفر الرؤيا 1:20، 7:17 وأفسس 32:5 يعني: رمز يمثل هذا السر.

والأسرار وعلى الأخص الإفخارستيا يطلق عليها كلمة سر. وفي الليتورجيات تطلق كلمة ''سر'' على:

1 – القرابين التي لم تتقدَّس بعد.

2 – القرابين بعد تقديسها.

الاعتراف: Confession

باليونانية Ðmolog…a ويُقصد به اعتراف الإيمان، يقوله الكاهن جهاراً قبل التناول.

أغابي: Agape – ¢g£ph

ورد عنها في رسالة يهوذا 12 ـ وهي وليمة مشتركة. وكانت في الأصل تسبق الإفخارستيا ولكن تلازمها. وقد انفصلت عن الإفخارستيا في منتصف القرن الثاني ـ وبقيت في مصر وعلى الأخص في الأديرة بعد قداس الصباح. وقد تكون التقدمة وغسل اليدين وقبلة السلام في الليتورجيا هي بقايا الأغابي. على أن نزع وليمة الأغابي من الليتورجية أنهى عليها تماماً في معظم الكنائس.

افخولوجيون: Euchologion – eÙcolÒgion

وينطق بالعربية ''خولاجي'' ـ أي كتاب الصلوات. وكان أصلاً يحوي كل الصلوات بما فيها إقامة الأسرار الأخرى. لكنه اقتصر أخيراً على صلوات الإفخارستيا بما فيها رفع بخور عشية وباكر.

الأمبو (**أنبل**): Ambo – Pulpit

في اليونانية ¥mbwn ـ وبالعربية أنبل وهو المنبر. ويُسمَّى في القوانين الرسولية ØyhlÒn أي المكان المرتفع. كان أولاً في منتصف الكنيسة، والآن في الجانب البحري من صحن الكنيسة. وكان يُستخدم في:

1 ـ قراءة الفصول من الكتب المقدَّسة. وترديد آيات المزامير ذات المرد.

2 ـ لنداءات الشماس مثلاً: التسريح (الأمر بالانصراف) وأحيانا تلاوة الذبتيخا (أي أسماء الراقدين المطلوب عمل تذكار لهم).

3 ـ وأحيانا للوعظ.

أنافورا: Anaphora

باليونانية ¢nafor£ ـ الصعيدة أو رفع ذبيحة الإفخارستيا ـ وهي تشمل:

1 ـ الشكر والتقديس والأواشي المصاحبة لهما وقد امتد المعنى ليشمل كل الطقس من أول ''ارفعوا قلوبكم Sursum Corda'' وحتى الانصراف وكل الصلوات في قداس المؤمنين.

وفي السريانية ولدى الموارنة تُنطق ''أنافورا'' وتسمَّى عند النساطرة ''قداشاه'' ـ وفي العربية أيضاً ''قدَّاس'' وكذلك في الأثيوبية.

2

ـ وقد تُطلق على التقدمة (القربان المقدَّم للتقديس).

3 ـ كما تطلق عند البيزنطيين على الغطاء الذي تغطى به القرابين وقت الدخول الكبير.

أنتيفونا: Antiphon or Anthem - ¢nt…fwnon

1 ـ تسبيح يُتلى بأصوات متبادلة وهي على ثلاثة أنواع:

(أ) مرد حيث يتلو القارئ آيات (ستيخون) من المزامير ـ ويرد عليه الشعب بالقرار الملائم ـ وهذا ما يسمَّى الطروبارية.

(ب) بالمعنى الضيق للكلمة، وفيه ترتل المردات بالتبادل بين خورسين ـ (ليس بين قارئ منفرد والشعب).

(ج) وفيه ترتَّل الآيات بالتبادل بين خورسين بدون قرار.

وتُعتبر الطريقة الثانية أي تبادل المرد بين خورسين هي أقدم الطرق في التسبيح بالمزامير جماعياً.

(ارجع للدراسة المستفيضة عن طريقة الترتيل بالأنتيفونا في كتاب ''التسبحة اليومية ومزامير السواعي'' للمؤلف).

الإنجيل: Gospel, eÙaggšlion

1 ـ الفصل الذي يُتلى من الأناجيل.

2 ـ كتاب الأناجيل (البشارة) الذي يوضع على المذبح.

أوشية ـ الأواشي الكبار: The Great Intercession

الثلاث أواشي الكبار أي السلامة والآباء والاجتماعات وتُقال بعد قراءة الإنجيل.

البركة: The blessed bread, EÙlog…a

لقمة البركة التي توزَّع في نهاية القداس. وهي تسمَّى هكذا بسبب:

(أ) أنه أصلاً القربان الفائض (البركة) عمَّا قُدِّم على المذبح.

(ب) كعطية تعبِّر عن بركة الشركة مع الكنيسة ـ وسمِّيت ¢nt…dwron أي بديل القرابين.

(ج) هي في حد ذاتها بركة أو خبزة مباركة من حيث أنه تُليت عليها صلاة البركة وسبق أن قُدِّمت مع قربانة الحمل في البداية.

البروثيسيس: Prothesis, prÒqesij

وهو الاسم الذي أطلقه البيزنطيون على خدمة ''وضع القرابين'' على المذبح ـ راجع ''**تقديم** الحمل''.

بروسفارين: Prospharin, prosfere‹n

1 ـ نداء الشماس للشعب الذي ترجمته "**تقدموا**" تُقال ثلاث مرات في بدء قداس المؤمنين.

2 ـ ويُطلق أيضاً على الستر الذي يُرفع عن القرابين أثناء هذا النداء.

بقايا الذبيحة: Remains of the Consecrated species

بقايا الجسد والدم الأقدسين بعد تناول الشعب وتسمَّى باليونانية t¦ perisseÚsanta ويأكلها عادة الكهنة المشتركون في تقديم الذبيحة.

البولس: Paul, **πaϒλoc**

فصل من رسائل بولس الرسول الذي يُتلى في أول القراءات بالقبطية.

التأسيس: Institution

نص الكلمات التي أسس بها الرب الإفخارستيا المقدَّسة (مت 26: 26ـ28، مر 14: 22ـ24، لو 22:19، 1كو 11: 23ـ25) ـ وتقال في نهاية صلاة الشكر الكبرى وقبل الاستدعاء. وتُتلى بنفس الكلمات الواردة في الأناجيل مع إضافات طفيفة إمَّا من العهد الجديد أو من مواضع أخرى (إشارات عن يدي الرب مما ورد في مز 5:95، رسالة كليمندس الروماني إلى كورنثوس الأُولى 4:33، أو ترديد الذبيحة كما ورد في خروج 29: 22ـ24، لا 8: 25ـ27، 18:21).

التحليل ـ صلاة: Absolution or Penitence – Prayer of

1 ـ للإبن ـ تُقال قبل القراءات وبعد تقديم الحمل.

2 ـ للآب ـ تُقال قبل التناول.

الترديد باليد أثناء القداس Manual Acts

ترديد القرابين باليد أثناء القداس له أصول ومواقيت محددة:

أولاً: الرفع غywsij وبالسريانية: ''زياح''. وهو رفع الخبز المقدَّس داخل اللفافة قبل التناول والمنادة ''القدسات للقديسين''.

ثانياً: القسمة، وفصل الخبزة المقدَّسة للتوزيع وتسمَّى في الحبشية ''فتات'' من ''تفتيت'' ـ (1كو 10: 16و17، إش 7:58، مرا 4:4) وهي تُعتبر رمزاً للآلام. وفي طقس الكنيسة القبطية تتم القسمة على مرتين:

1 ـ قسمة غير كاملة أثناء تلاوة كلام التأسيس وهي حينما يقول الكاهن: ''وَقَسَّمَه''.

2 ـ قسمة كاملة أثناء صلوات القسمة وقبل التناول.

ثالثاً: الرشومات: وهي رشم أحد عنصري الذبيحة بالآخر Consignation.

رابعاً: غمس قطعة من الخبز المقدَّس (الذسبوتيكُن) في الكأس. ويرمز إلى رجوع النفس لتتحد بالجسد في القيامة (لا 2:17).

التسبحة الشاروبيمية: Cherubic Hymn, Ð ceroubikÕj Ûmnoj

وهي التسبحة التي يرتلها الخورس والتي مطلعها "الشاروبيم يسجدون لك ... إلخ".

وهي غير ال"قدوسات" الثلاثة التي يقولها الكاهن وحده. بعد انتهاء الخورس من نشيده.

أمَّا وصلة نهاية التسبحة الشاروبيمية بالإفخارستيا فتُسمَّى Embolism (راجع صفحة 612 من الكتاب).

التسبحة الملائكية المثلثة التقديسات: Sanctus

والذكصولوجية الملائكية ـ وهي ترنيمة السيرافيم المذكورة في إش 3:6 (رؤ 8:4) مع بعض التعديلات وهي:

(أ) "السماء" مضافة.

(ب) "مجدك" بدلاً من "مجده".

التسريح: Dismissal

وباليونانية ™kbol» ¢pÒlusij

1ـ تسريح أو أمر بانصراف الموعوظين في نهاية قدَّاس الموعوظين مصحوباً بصلوات يتلوها الشماس. وصيغة أمر الانصراف يتلوها الشماس أيضاً وكان موعد التسريح هذا قبل قبلة السلام.

2 ـ التسريح الأخير للمؤمنين في نهاية ليتورجية الإفخارستيا بصيغة كان يقولها الشماس أيضاً.

التقدمة: Oblate

خبزة الإفخارستيا.

التقديسات الثلاثة: Trisagion, tris£gion

وهي لحن: "آجيوس أوثيئوس ـ آجيوس إيس شيروس ... إلخ = قدوس الله. قدوس القوي. قدوس الحي الذي لا يموت ... إلخ".

وهي غير التسبحة الملائكية المثلثة التقديسات والمسمَّاه باللاتينية سانكتوس Sanctus المأخوذة من (إش 3:6). وأمَّا التريساجيون فيتلوها الشعب بعد أوشية الإنجيل. وتتميَّز التسبحة القبطية والأثيوبية بأنها توجه للابن ذاكرة أعماله الخلاصية ''يا مَنْ وُلد من العذراء''، ''يا مَنْ صُلب''، ''يا مَنْ قام .. وصعد''، أمَّا الكنيسة الأرمنية فتضيف الجملة المناسبة للموسم الكنسي.

أمَّا في الطقس البيزنطي فلا توجه للابن ولا تضاف أية جملة عن أفعال المسيح الخلاصية.

تقديم الحمل: Offertory

وباليونانية dwrofor…a

وهو تقديم عناصر الذبيحة الإفخارستية من خبز وخمر وماء في بدء قدَّاس الموعوظين (وكان يُجرى والستارة مرخية بعيداً عن أعين الموعوظين).

ويتكون من اللحظات الآتية في الطقس القبطي فقط:

1 ـ اختيار خبزة التقدمة.

2 ـ وضعها على المذبح.

3 ـ إجراء الرشومات الثلاثة عليها. وهي رشومات البركة الثلاثة باسم الثالوث الأقدس (وبارك).

4 ـ تلاوة صلاة الشكر عليها.

أمَّا في الطقوس الأخرى فهي توضع فقط على المذبح.

5 ـ تلاوة صلاة استدعاء عليها ''أظهر وجهك ...''.

التقريب:

من الكلمة السريانية Kurobho قرب وهي في اليونانية «prosagwg ـ أي تقريب القرابين (أف 18:2).

جزء: Particle

وباليونانية mer…j وبالقبطية Ⲕⲗⲁⲥⲙⲁ جزء الجسد المقسَّم الذي يُعطى لكل متناول.

الجمرة: Coal

وباليونانية ¥nqrax وبالسريانية جمورتو.

وهو الفحم المشتعل الذي أخذ من على المذبح ومُسَّ به شفتا إشعياء النبي (إش 6: 6و7).

يرمز به إلى المسيح وإلى الأسرار المقدَّسة: ولدى السريان هو اسم عنصر الذبيحة بعد التقديس.

خولاجي: (**انظر**: **افخولوجيون**)

الجوهرة: Pearl

وباليونانية margar…thj

وجمعها "جواهر" وتطلق على عنصري الذبيحة. والجوهرة هي جزء من الجسد.

الحمل: Lamb

هو القربانة المقدَّمة للتقديس وباليونانية والقبطية يسمَّى ¢mnÒj.

الخميرة: Leaven

وبالسريانية نفس النطق ـ وتُستخدم في خبز الخبز المقدَّس بالنسبة للكنائس الشرقية.

دورة الحمل: Procession of Lamb

الدورة التي فيها يحمل الكاهن الحمل (القربان) في لفافة حرير ويرفعه على رأسه والشماس يلف وعاء الخمر في لفافة حرير ويرفعه على رأسه أيضاً وهو خلف الكاهن ويدوران بهما حول المذبح قبل رشومات الحمل.

الذبتيخا: Diptychs – d…ptuca, t¦ fer£

وبالسريانية "سفر الأحياء" ـ وفي العربية هو الترحيم، وهو عبارة عن:

1 ـ جدول بأسماء الأحياء والأموات الذين تذكر أسماؤهم في القداس مرتين، مرة عند الحمل ومرة بعد المجمع.

2 ـ لوح عاجي كان يُنقش على وجهيه أسماء الأحياء والأموات المطلوب ذكرهم، ويوضع على المذبح.

الذوكصا: Gloria, Doxology

1 ـ أو تمجيد الثالوث الذي يُقال دائماً بعد المزامير والصلوات عموماً.

2 ـ يقصد بها أيضاً التسبحة الملائكية يوم ميلاد المسيح وتسمَّى Gloria in excelsis = المجد لله في الأعالي ـ وهي لا تستعمل في الليتورجيات الشرقية.

الردهة المؤدية إلى صحن الكنيسة: Narthex, n£rqhx

الردهة الداخلية في الكنيسة في الجانب الغربي وقد يفصلها حاجز أو أعمدة عن صحن الكنيسة.

وكان يشغلها السامعون (التائبون) والموعوظون والمؤهلون للمعمودية خلال الأربعين يوماً التي

تسبق المعمودية ليلة عيد القيامة.

الرسل: Apostle – ¢pÒstoloj

ويكني بها (بهذه الكلمة) عن ''الرسائل'' بالعربية – أي رسائل بولس الرسول التي تقرأ في قداس الموعوظين.

فهي تعبير آخر عن ''البولس'' – انظر ''بولس''.

الرشم (**انطباق الرشم على الرشم**): Consignation

رشم الكأس مع القربان – أي رشم الدم بالذسبوتيكُن ورشم الجسد الطاهر بالدم (المغموس فيه الذسبوتيكُن).

رفع بخور باكر (**وعشية**): Morning Incence, Office of

خدمة تتم قبل الليتورجية صباحاً وتتكون من الصلاة الربانية وصلاة الشكر وتقديم البخور، مصحوباً بالألحان والأواشي ثم الذكصولوجيات وقراءة الإنجيل ثم الأواشي مرة أخرى وأخيراً صلاة التحليل للابن.

ومثلها صلاة رفع بخور عشية في المساء.

الستارة (**الحجاب**): Veil, katapštasma

وتطلق على:

1 – الستارة المدلاة على باب الهيكل – ويسمَّى الحجاب.

2 – الستارة التي تعلَّق على أعمدة القبة التي تعلو المذبح (راجع مذبح). وقد اختفت هذه الآن. ولكن لدى السريان والأرمن ستارة تحيط بالمذبح أثناء الترديد اليدوي للقربان وتقسيمه.

3 – الستر الحريري الذي يغطِّي القرابين.

الستر: Cloud

الغطاء الذي تغطى به التقدمة (انظر ستارة).

السحر (**سحريت**): Morningtide

اسم خدمة الصباح (السَحَر) العبرية. وقد تكون الخدمة خاصة أو عامة جمهورية. وهذه الخدمة في منتهى الأهمية لدى اليهودي وهي فرض واجب عليه. ويرى المتصوفون في أجزاء هذه الخدمة الأربعة اكتمالاً، فالجزء الأول يتصل بالعالم الأرضي السفلي، والجزء الثاني عالم الهواء، والجزء الثالث عالم الملائكة، والجزء الرابع مسكن الله.

السلام: Peace

1 ـ قبلة السلام ¢spasmÒj ـ والصلاة الخاصة بها وتسمَّى صلاة ''الصلح'' reconciliation.

وهي صيغة السلام المتبادلة بين المؤمنين كما أوصى الإنجيل (رو 16:16، 1كو 20:16، 2كو 12:13، 1تس 26:5، 1بط 14:5) وتتم بعد الإنجيل وتلاوة قانون الإيمان كانت سابقاً قبلة حقيقية. ثم أصبحت مصافحة باليد ـ منذ عصر كليمندس الإسكندري على الأرجح.

وفي الطقس القبطي يؤدي الكاهن مطانية للشعب، بينما الشعب يصافح بعضه بعضاً باليد.

2 ـ بركة السلام التي يلقيها الكاهن على الشعب وصيغتها ''السلام لجميعكم'' أو ''السلام مع جميعكم''.

وفي الطقس السرياني يأخذ الشماس يدي الكاهن بين يديه ثم يمسح وجهه بيديه.

وفي الطقس الأرمني ينحني كل واحد لرفيقه.

السنكسار: Synaxar, sunax£rion

الكتاب الذي يحوي سير القديسين والشهداء مرتَّبة حسب العيد اليومي ـ يُتلى الفصل المناسب منه بعد الابركسيس.

الشركة: Communion

باليونانية koinwn…a (1كو 16:10)

أو met£lhyij وبالقبطية ⲙⲉⲧⲁⲗⲏⲙⲯⲓⲥ أي التناول أو الاشتراك في الأسرار المقدَّسة.

وفيه يُسلَّم عنصرا الذبيحة للمتناول منفصلين، ويتناولهما المشترك ويداه معقودتان على صدره، اليد اليمنى على اليد اليسرى على هيئة صليب.

صحن الكنيسة: Nave

وباليونانية naÒj ـ ويطلق عليه تجاوزاً اسم ''الكنيسة''. وهي ساحة الكنيسة التي يشغلها الراكعون والتائبون والمؤمنون. وفيها مكان للنساء يفصله عوارض خشبية (في الكنائس القديمة) أو ستائر. والصحن يحوي الأمبو (المنبر) ومنصة المرتلين.

صلاة الخضوع: Inclination

صلاة بركة وتحليل تقال بينما المؤمنون يحنون رؤوسهم بناء على نداء الشماس ''احنوا رؤوسكم للرب''.

صلاة الشكر الكبرى: Thanksgiving, The great

وهي غير صلاة الشكر الصغرى التي تفتتح بها كل خدمة، والتي مبدأها: فلنشكر صانع الخيرات.

وهي التي بها يبدأ قداس المؤمنين (الأنافورا) والتي فيها يصير ذكرى الخليقة والسقوط والفداء وإلى ذكر كلمات التأسيس. وهي تنقسم إلى: المقدمة ـ والتقديس ـ وما بعد التقديس.

وكلمات هذه الصلاة تختلف ما بين ليتورجية والأخرى ولكنها كلها تتبع نفس التقسيم والكلمات الأساسية.

الصلح (صلحا): Reconciliation

من الكلمة العبرية صلحا، وهي اسم صلوات وأواشي للتوبة. ومنها أخذ نفس اسم صلاة الصلح في القداس.

الصينية: Paten

وباليونانية d…skoj ,p…nax وبالقبطية ϯⲇⲓⲥⲕⲟⲥ وهو الطبق الذي يوضع فيه الخبز المقدَّس.

غسل اليدين: Lavatory, Lavabo

غسل اليدين بالنسبة للكاهن قبل تقديم الحمل ثلاث مرات مع تلاوة آيات من المزامير 7:50، 8:50، 6:25و7.

وبعد تلاوة قانون الإيمان في بدء قداس المؤمنين.

القارئ (اغنسطس): Reader

باليونانية والقبطية ¢nagnèsthj ونفس النطق بالحبشية. وهو أقل درجة في رتبة الشماسية مؤتمن على تلاوة الفصول والمزامير ذات المرد، أقل من الإيبودياكون. في الأصل لا يقرأ القارئ إلاَّ الفصول من الرسائل والابركسيس، أمَّا الإنجيل فكان من نصيب الشماس أو الدرجات العليا الأخرى. كثيراً ما يخلط بينهم وبين المرتلين "ابصلتس".

قانون الإيمان: Creed

وباليونانية sÚmbolon

ويسمَّى أحياناً "الأمانة"، وهو اعتراف الإيمان الأرثوذكسي، بدئ باستعماله في القداس في غضون القرنين الخامس والسادس. وهو يتلي قبل قبلة السلام في الطقس القبطي والطقس السرياني. وبعد القبلة

في الطقس البيزنطي.

قبلة السلام: Kiss

وباليونانية ¢sp£zesqai, ¢spasmÒj

1 ـ قبلة السلام ـ انظر **سلام**.

2 ـ التعبير عن توقير المقدسات وعلى الأخص المذبح والإنجيل.

القُبَّة: The dome

نصف طوق مزدوج في اعلاه صليب صغير، إذا فتحا يصيران على هيئة صليب مقوس. وأثناء القداس توضع على الصينية حيث القربان المقدَّس ويغطَّى من أعلى باللفافة.

لدى البيزنطيين شيء شبيه بذلك اسمه النجم ¢st»r, ¢ster…skoj.

قربان: Kurbono

من الكلمة السريانية ''كوربونو''. وهي التقدمة prosfor£ بروسفورا. وهي الأنافورا ¢nafor£ الصعيدة وتشير:

1 ـ إلى ذبيحة الإفخارستيا.

2 ـ نفس القربان المقدَّم للتقديس.

قداس: Kuddasha

كلمة سريانية عبرية تعني التقديس: وهي الليتورجية والأنافورا.

القدسات: Holy things

وتنطق بالحبشية ''قدسات'' ولدى النساطرة ''قدشا'' وباليونانية Agia" t£" وهي الجسد والدم الأقدسين.

قدُس الأقداس: Holy of Holies

ويقصد به:

1 ـ الهيكل ـ وبالأخص المكان أسفل القبة التي تظلل على المذبح.

2 ـ السر المقدَّس أي الإفخارستيا.

القراءات: Lections

وباليونانية «¢n£gnwsij, graf وبالسريانية ''قريوني'' وبالقبطية ⲗⲉⲝⲓⲥ.

وهي فصول منتخبة من أسفار الكتاب المقدَّس تسمَّى باليونانية «perikop وبالإنجليزية Pericope تتلى في قدَّاس الموعوظين.

وهي من:

1 ـ العهد القديم (الناموس والأنبياء).
2 ـ سفر أعمال الرسل ويسمَّى (الابركسيس).
3 ـ الرسائل الجامعة (الكاثوليكون).
4 ـ رسائل بولس الرسول (البولس).
5 ـ الإنجيل.

القربان: Gift

وباليونانية dîron. وفي المخطوطات العربية تسمَّى ''الذورون'' نفس النطق اليوناني ـ وبالحبشية قربان ـ والمقصود التقدمة التي منها يؤخذ الخبز الذي سيتم عليه التقديس.

القسمة: Fraction

تقسيم الخبز المقدَّس أثناء القدَّاس.

قطمارس: Kutmarus

من الكلمة اليونانية kat¦ mšroj أي فصلاً فصلاً. وهو كتاب القراءات الكنسية. ومسمَّى هكذا لأن الفصول المكتوبة فيه موزعة فصلاً فصلاً على الأيام والآحاد على مدار السنة.

فصل: «Pericope, perikop القسم المنتخب للقراءة من الكتب المقدَّسة (الأصحاح) بحسب ما ورد في كتاب ''القطمارس'' انظر "**قطمارس**".

الكأس: Chalice, pot»rion

وهو كأس الإفخارستيا ـ وشكله في الشرق لا يختلف عنه في الغرب ـ كأس النساطرة يختلف أنه لا قاعدة له على هيئة سلطانية نحاسية.

الكاهن الشريك: Assistant presbyter, Associate priest

هو الكاهن المشترك مع الكاهن خادم الأسرار ويوكل إليه بعض الأعمال أثناء القداس ـ كما هو مذكور في التعليمات الموجودة بالقداس.

الكاثوليكون: Catholicon, kaqolikÒn

الفصل الثاني من القراءات وهو من الرسائل الجامعة (أي رسائل بطرس أو يعقوب أو يوحنا أو يهوذا).

الكرسي (**كرسي الكأس**): Stand Chalice –

وبالقبطية πιτοτє

وهو صندوق خشبي مغلق الجوانب الأربعة ومفتوح من أعلى على هيئة دائرة يمكن أن تفتح أيضاً إلى أعلى. وتغطي جدران الكرسي الأيقونات.

اللوح المكرَّس: Altar Board (Slab) Antiminsion – ¢ntim…sion

ويسمَّى في الأثيوبية ''تابوت'' ـ كان في الأصل من الكتان أو الحرير ـ لكنه الآن عبارة عن لوح من الخشب أو الحجر أو الرخام يوضع على المذبح، سواء كان المذبح مكرَّساً أو غير مكرَّس. ويُستخدم أحياناً كمذبح متنقِّل في حالة الضرورة.

ليتورجيا: Liturgy, leitourg…a

تعني:

1ـ خدمة الإفخارستيا المقدَّسة.

2 ـ نفس نصوص كلمات وصلوات هذه الخدمة وتسمَّى في العربية خدمة الأسرار المقدَّسة ـ أو البروسفورا أو الأنافورا أو القدَّاس ولدى النساطرة يسمونها ''تقديس وقداس''.

3 ـ الاجتماع نفسه المنعقد من أجل الليتورجيا.

مار (**ومؤنثها**: **مارت**): Mar (fem. Mart)

كلمة سريانية معناها: سيدي أو سيدتي. لقب للقديسين والقديسات ـ وللرؤساء.

المجمرة: Censer – Qumiat»rion

بالقبطية ϯϣοϒρн

أي المبخرة ـ وهي الوعاء الذي يحوي الجمر والبخور ـ وتتميز المبخرة الشرقية بأنها تحمل جلاجل متصلة بالسلاسل.

المزج: Commixture

خلط عنصري الذبيحة معاً حينما يضع الكاهن الذسبوتيكُن (جزء الخبزة الأوسط في الكأس).

المذبح: Altar

تتنوع معانيه:

1 ـ مرادف للهيكل Sanctuary.

2 ـ المبنى حيث يحتفل بالأسرار المقدَّسة ويسمَّى:

(أ) مذبح في السريانية ـ وفي اليونانية Qusiast»rion وفي القبطية ⲙⲁⲛⲉⲣϣⲱⲟⲩϣⲓ ـ والأثيوبية مشواع.

(ب) ويسمَّى أيضاً المائدة (οكو πο ϰ οι) وفي اليونانية `Ag…a Tr£peza [1] أي المائدة المقدَّسة.

(ج) ويسمَّى أيضاً ''العرش'' (إش 1:6) Throne واليونانية qrÒnoj ونفس النطق اليوناني لدى السريان ''ثرونوس''.

(د) وقد يسمَّى ''الخيمة'' (عب 3:9) ـ وبالأرمنية ''خوران'' Tabernacle.

وكان في العصور الأُولى يصنع من الخشب فقط وكان على شكل ''ترابيزة''. ولكن ببداية القرن الرابع بدأ يصنع من الحجر وعلى شكل مقبرة فتحتها من الشرق. وهذا التغيير الهندسي يتبع في الحقيقة تغييراً جذرياً في طريقة تقديم الجسد، إذ صار يجري عليه طقس يشبه طقس الدفن والقيامة.

ويُبنى المذبح عادة من الحجارة، مربع الشكل، قائماً وحده في الوسط، وتعلوه قبة أو مظلة ذات أعمدة تستقر على زوايا المائدة أو ملتصقة بجوانبه.

والمذبح هو في السماء (رؤ 8: 3ـ5، إيرينيئوس ضد الهراطقة 6:18:4) كما هو واضح في أوشية القرابين.

مزج الخمر بالماء: Mixture

باليونانية ›nwsij

مزج الخمر بالماء الذي يجريه الكاهن أثناء صلاة الشكر وبعد تقديم الحمل.

في كل الليتورجيات ما عدا الأرمنية

المرحضة: Cantharus (fountain)

باليونانية kr»nh أو fi£lh

فسقية في ردهة الكنيسة، كان الشعب يغسل فيها يديه قبل دخول الكنيسة. مع العلم بأن غسل الأيدي قبل الدخول إلى الهيكل كان قانوناً طقسياً ملزماً، وذلك بسبب أن التناول كان يتم باليد (أي يوضع الجسد في اليد اليُمنى قبل تناوله في الفم).

المروحة: Fan, Flabellium

وباليونانية كما في القبطية `rip…dion

وهي المروحة التي يروِّح بها الشماس على التقدمة لتحميها من الذباب، وكانت أولاً من الجلود أو ستراً كتانياً كما هي الآن.

غير مستعملة عند البيزنطيين والأحباش ويستخدم الآن غالباً لفافة من حرير ويروِّح الشمامسة بها على الذبيحة قبل وبعد التقديس مباشرة.

مسح الحمل: Rubbing the bread

بالأثيوبية ''مزمزة القربانة''

وتحدث في أثناء اختيار الحمل في بدء القداس لاختبار صلاحية القربانة ونزع الأجزاء الزائدة عن القربانة.

وهذا غير مسح القربانة بالماء الذي يفسره البعض ـ خطأً ـ تعميداً.

مسح الوجه والعينين: Wipe the face

حركة تقوية مازالت قائمة لدى الأقباط حين يمسح الشماس بأواني المذبح (بالملعقة على الأخص) بعد غسلها في نهاية القداس جبهته وعينيه وشفتيه. وهي تقليد متوارث نجده في عظات القديس كيرلس الأورشليمي في القرن الثالث والرابع (العظة 22).

المفسر: Interpreter

شماس من رتبة أقل يقوم بقراءة الفصول السابق قراءتها بالقبطية، يقرؤها بالعربية.

موضع الخدمة: Sacristy, place of service

بالقبطية ⲆⲓⲀⲔⲞⲚⲓⲔⲞⲚ. الغرفة الملحقة بالكنيسة حيث تحفظ الأواني المقدَّسة. وهي تحت عناية الشماس. وكانوا قديماً يقدمون الحمل هنا في هذه الغرفة بعيداً عن أعين الموعوظين.

الموعوظون: Catechumen, kathcoÚmenoj

وبالأثيوبية ''ناوس خريستيان'' أي مسيحي جديد. وبالسريانية ''شموع'' أي سميع (يسمع).

وهو طالب العماد الذي يتعلَّم استعداداً للمعمودية ويقف الموعوظون في صحن الكنيسة الخارجي.

الميستير (**الملعقة**): Myster – Spoon

الملعقة التي يتناول منها الشعب الدم وبالقبطية: ϯⲙⲩⲥⲧⲏⲣ, ϯⲕⲟⲕⲗⲓⲁⲣⲓⲟⲛ, ϯⲙⲩⲥⲑⲏⲣⲥ

نسمة (**نشمة**): Soul, breath

بالعبرية نشمة، وهي في الطقس العبري القديم مطلع صلاة احتفالية في خدمة صباح السبت والأعياد، وهي من المزمور المائة والخمسين: «كل نسمة فلتسبح اسم الرب» وتنتهي بتمجيد اسم الله.

وهذه الآية بذاتها ترتل بعد المزمور المائة والخمسين ويتبعها تمجيد الله ''ذكصابتري ...'' ثم ''بي أوفا'' المجد للآب والابن والروح القدس آمين. في القداس الإلهي.

وضع اليد، صلاة: Imposition of the hand

صلاة بركة تُقال بعد التناول من الأسرار المقدسة.

هلليويا: Alleluia – ¢llhloÚia

في كل الليتورجيات ترتل هلليويا مرتين أو أكثر قبل قراءة الإنجيل، مصحوبة بآية أو اثنتين من المزامير (هذا باستثناء الليتورجية الأثيوبية).

وهي تسمَّى في قدَّاس يعقوب ستيخولوجيا sticolog…a (فاصل زمني ملحَّن)

وفي قداس مار مرقس Ð prÒlogoj toà ¢llhloÚia

وفي القدَّاس القبطي ⲯⲁⲗⲙⲟⲥ

وفي النطق العربي ''استيخون المزمور''.

وفي الأثيوبية ''مزمور''.

وعند النساطرة ''زمارة''.